الجـــزء الثانى

من البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الاوائل والاواخر

تأليف

الهمام البارع والعالم النافع المرحوم محمود فهمى المهندس
المتوفى بجزيرة سيلان فى شهر ذى الحجة سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام

﴿الطبعة الاولى﴾
بالمطبعـــة الاميريه ببولاق مصر المحميه
ســـــنة ١٣١٢
هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الحادى عشر

تاريخ مملكة فارس الاخيرة

الباب الاول

من ابتداء سقوط المملكة الفارطية الى الوقت الحاضر

امتداد المملكة الاخيرة وموقعها ـ رمى الفرس النافر الفارطى وتشييد استقلاليتهم ـ سلطنة أردشير بابكان ـ اعادته الدين المجوسى ـ سلطنتى الاثنين سابور ـ بهرام الخامس ـ خسرو أنوشروان ـ سلطنته الكبيرة ـ الصلح الذى لانهاية له ـ فتوحات ملك الفرس ـ اغتصاب خسرو أبرويز الاقاليم الاسياوية والافريقية من المملكة الرومانية ـ أبهة ديوانه ومجده ـ نبأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ السنى الاخيرة لخسرو ـ عاقبته ـ صيرورة شيرويه ملكا ـ تغلب العرب ـ ابادة الدين المجوسى ـ صيرورة فارس محمدية ـ عود استقلالية فارس بواسطة الصفار ـ تغلب الاتراك السلجوقية على المملكة ـ طغرول بك ـ سلطنة ملكشاه ـ تغلب التتار ـ اقامة المملكة الوطنية بواسطة اسماعيل ـ سلطنة عباس ـ تغلب الافغانية على فارس ـ طرد نادرشاه الافغانية وعودة المملكة ـ سلطنته ـ أغا محمد خان ـ خلفاؤه ـ حروب مع الروسيا ـ جلوس نصر الدين ـ حرب مع انكلترا ـ زيارة الشاه أوروبا

ماذكرناه فى الكتاب التاسع والكتاب العاشر من وصف مملكة فارس القديمة وان كان فى الايضاح الا أنه يلزمنا أن نشرح مملكة فارس الجديدة على حسب تقسيماتها الموجودة هى الآن عليها فنقول انه لاريب فى أن مملكة الفرس هى احدى الممالك العظيمة المشهورة التى كانت أينعت وأزهرت فى الشرق وكابدت عدة انقلابات وأدوار متوالية غير متعادلة مع بعضها فى مدة تنوف عن ألفين وسبعمائة سنة من ابتداء وجودها فى عالم الدنيا الى وقتنا هذا بكونها وقعت فى مخالب الاعداء الغريبة والعوبة فى يد ثوراتها الداخلية وما زالت من مدة وجودها لا تخضع للحكم المطلق الاستبدادى فتارة ترتفع الى أعلى ذروة مجدها وتارة تغرق فى مهاوى ذلها وكانت من قديم الزمان امامقر الملوك آسيا الغربية واما ميدان حرب تخاصم فيه الملوك من أجل التاج الشرقى وأما سبب تسميتها فارس فهو غير معلوم لاهلها الذين قالوا ان اقليم آسيا المحصور بين نهرى الدجلة وجيحون يسمى باسم ايران ابن ملكهم المشهور رفريدون فعلى حسب ما رووه ان ذلك الملك من بعد أن تسلطن مدة طويلة فى أبهة واجلال قسم ممالكه بين أولاده الثلاث فاعطى يسلم أوشرم جميع الممالك المسماة الآن تركية اسيا وأعطى لطور أوطوج السهول المجدبة الشاسعة من بلاد التتار بما فيها من جميع الاراضى الكائنة من وراء نهر جيحون المسماة عند الفرس باسم طوران وأعطى ما بقى من الاراضى لابنه الاصغر إيرج وكان يحبه زيادة عن اخوته

واسمها القديم المذكور فى التوراة عيلام الا انه يحتمل أن سلطنة عيلام كان داخلا فيها اقسم صغير من فارس محصور فى السوس أو خوزستان الآن ولورستان مع قطعة من الاقليم المجاور له الواقع على نهر الدجلة وأما ماذكر فى التوراة من اسم فاراس وما سماه الجريق باسم فارسيس وما سمى فى الازمان الاخيرة باسم فارس فهو جميعه مشتق من فرس وهو اسم لاحدى الايالات أو الاقسام الجنوبية

وأما حدودها الطبيعية فهى واقعة الآن فى الجهة الغربية من آسيا بين عرض ٣٠َ ٢٥° و ٥٠َ ٣٠° من العرض الشمالى وبين ٤٤° و ٦٢° من الطول الشرقى وطولها الاكبر من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى ١٤٠٠ ميل وعرضها الاكبر من الشمال الى الجنوب ٩٠٠ ميل ومساحتها ٦٢٨٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ٧٦٥٠٠٠٠ نفس وربع هذا العدد من الجنس الفارسى الصافى يسكنون فى الغالب المدائن والباقى ترك ويهود وكرد وقبائل أخرى رحالة نزالة وتحدد فارس من الجهة الشمالية بتركستان وبحر الخزر وما وراء جبال قوقازة ومن جهة الغرب بتركية آسيا ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسى ومن جهة الشرق بالافغان والبلوجستان وهى محدودة من الجهة الجنوبية بالمحيط الهندى والخليج الفارسى وبنهر الدجلة فى الجهة الجنوبية الغربية والجهة الغربية وبنهر عراس فى الجهة الشمالية ويفصلها من أرمينية وجورجستان وبحر الخزر وخط غير محدود فى الصحراء يفصل خراسان فارس من واحات خوارزم وأراضى بخارى وبلخ وفى الشرق توجد حدود غير معروفة داخل فيها اقليم هراة واقليم سيستان وبلوجستان مختلطة مع جبال أفغانستان والحقيقة ان اقليم قاين وصفه بعض الجغرافيين بانه من فارس ويمتد الى جهة الشرق الى أطوق حتى يتصل بالهند

وتنقسم مملكة فارس الى احد عشر اقليما هى اقليم فرس ومدائنه شيراز وبشير ولارستان ومدينة لار واقليم خوزستان ومدائنه شاستير وديزقول واقليم عراق العجم ومدائنه طهران وأصفهان وهمذان

واقليم أذربيجان ومدينته تبريز واقليم غيلان ومدينته رشت واقليم مازندران ومدائنه سارى وبلفروش واقليم خراسان ومدينته مشهد واقليم كرمان ومدائنه كرمان وجومبدرن ولوريستان ومدينته حورامآباد واقليم سيستان ومدينته شيلولاومكران

فاما اقليم فارس أوفارسيس عند القدماء فهو محدود من جهة الجنوب بالخليج الفارسى ومن جهة الشرق بكرمان ولوريستان ومن جهة الغرب بخوزستان ومن جهة الشمال بالعراق العجمى والجهات الشرقية منه رملية وخالية عن الجهات الشمالية والشمالية الغربية وهذه الجهات الاخيرة تشتمل على نفوس وعمران أقل من الجهات الاولى وعاصمة قسم فارس مدينة شيراز المشهورة وكانت أجل مدن فارس قبل الفتح الاسلامى وذكر ابن حوقل أن الذى أسسها أخو الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق فى سنة ٧٤ من الهجرة ونسب بعضهم بناءها الى طهمورث أو الى ملك يسمى فرس حفيد نوح عليه السلام ومقدار أهلها الان ٤٠٠٠٠ نفس وهى أصل مركز السلطنة الفارسية جيدة المناخ خصبة الارض مركز تجارة كبيرة وتشتمل على ١٠٠٠٠ بيت وأطلالها ممتدة نحو ميلين وبها ٣٨ محلة و ٣٠٠ مسجد و ٢٠٠ حمام ومعظم مبانيها فى حالة الشيخوخة والقدم ودائرها فرسخان وهى ضيقة الشوارع والحارات قذرتها ويصعب المشى فى شوارعها وقت فصل الامطار وبها سوق تحت قبوات وعقود طوله نحو ميل بناه كريم الدين خان زند وعرض هذا السوق ٤٠ قدما يحتوى على مئات من الدكاكين وبها مسجد جامع كبير وبها قبرا السعدى والحافظ الشيرازى ويوجد فى فارس عدة مدائن كثيرة منها اصطخر وكانت فى السابق عاصمة المملكة وهى مبنية على أطلال فرسفوليس القديمة ومدينة دارابجرد وفيروزاباذ فالاولى بها من السكان نحو ١٥٠٠٠ نفس والثانية ٣٠٠٠ نفس وفيروزاباذ مشهورة بان الذى أسسها هو أردشير بابكان أول الملوك الساسانية ولحد الان يوجد فى ضواحيها آثار عائلته

وأما لوريستان فكانت فى السابق مملكة مستقلة وهى الآن صحراء جافة عبارة عن جبال جرية وأودية رملية ملحية متباينة السطح ومع هذا فانه يوجد فى محال مختلفة منها شجر البرتقان والرمان ونخل البلح ينبت فيها وعاصمة هذا القسم مدينة لور وبها ٢٠٠ بيت مصنوع غالبها من أفلاق النخل وعمل فيها شاه عباس سوقا عظيما وهذا هو الجهة المحلى بها المدينة ومينة ككو ويحون سكانها ٦٠٠٠ نفس وبها مينة عظيمة يرسو فيها بعض المراكب الكبيرة الآن ساحلها مشحون بقطاع الطريق من العرب وأما خوزستان وهى السوس القديمة فهى واقعة فى الجهة الشمالية الغربية من فارس وعلى الشاطئ الشمالى لنهر الدجلة وتنقسم الى كورتين يختلفان فى الوصف والمناخ فالاولى تمتد من سواحل الخليج الفارسى الى الجبال والتلال المحتدة لوادى رامهرمز الكثير الخصوبة ومن شواطئ نهر التاب الى مصب نهر قارون وابزال ويسمى اقليم التاب ومدينة الدورق الموجودة على شط نهير الحافر وهو فرع من نهر قارون مصنوعة من أخصاص من أفلاق النخل وتعداد أهلها من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ نفس وهذا القسم تحت حكومة رئيس من العرب وأما الكورة الشمالية فانها تشكل حكومة شاستر وهى تحت مباشرة واحد بكلربك ولا تشتمل هذه الكورة على القسم الاعظم من خوزستان فقط بل وعلى أعظم قسم يخرج منه أجود المحصولات فى المملكة الفارسية ويسقى بأربعة أنهار كبيرة نهر قارون ونهر ابزال وقرمصو وشط هود وهذه غير غدران صغيرة ومجار طويلة وأرضها جيدة الخصوبة وهى

أشوان حبوب فارس و ينبت فيها القطن والارز والحبوب بمحصولات مختلفة ومدينتا شاستير وديزفول هما المدينتان الرئيستان فى خوزستان فى القسم الجنوبى الغربى من مملكة فارس بهما تجارة عظيمة نوعا وشاستير واقعة على نهر قارون وكذا مدينة المحمرة واقعة فى ملتقى نهر قارون بنهر الفرات وهذه المدينة تقدمت فى تجارتها من عهد حديث وتعداد سكان مدينة شاستير ١٥٠٠٠ نفس ومساكنها مبنية من الحجر وشوارعها ضيقة قذرة وقيل ان الذى بناها سابور الاول

وأما العراق أو عراق العجم المشتمل على القسم الاعظم من ميديا القديمة وفارطية فهو أوسع وأعظم وأجود أقاليم المملكة الفارسية وبه خلاف عاصمته أصبهان الاخيرة جملة مدائن ظريفة فى المملكة وجميع هيآت جهاته واحدة وعمومه جبلى وطول وديانه كبير جدا وان كان عرضها لايزيد عن عشرة أميال وجباله عقيمة خالية من أخشاب الصناعة وتجرى هذه الجبال بصور مختلفة من الغرب الى الشرق وتختفى فى الصحراء ويخرج منها فروع تجرى فى داخل كرمان وخراسان وعموم الوديان غير قابل للزراعة ماعدا ضواحى القرى والمدن مع أن أراضيها جيدة صالحة لاستخراج واستغلال محصولات وافرة

وكانت أصبهان فى السابق مقر سلطنة العائلة الصوفية وكانت ذات أبهة وجلالة وأجل عواصم الشرق وكائنة على نهر زندزرد الآخذ منبعه من كوه زرد أو الجبل الاصفر وأسوارها مبنية من الطين ودائرها أربعة وعشرون ميلا ومحاطة بمساكن وبساتين حتى لاتكاد ترى وبها ٣٨٢٤٩ بيت جميعها منسوبة للمدينة منها ٢٩٤٦٩ بيت داخل المدينة ٨٧٨٠ خارج دائرها ومن هذه الابنية ١٦٢ مسجدا و ٤٨ مدرسة و ١٨٠٢ خانا و ٢٧٣ حماما وكان تعداد أهلها من ٦٠٠٠٠٠ نفس الى ١٠٠٠٠٠٠ نفس وكان الفرس يزعمون أنه لايوجد مدينة فى الدنيا تعادل أصبهان فى العظمة والسعة ويقولون أصفهان نصف جهان است يعنى أصبهان نصف الدنيا وهذه الالفاظ لحد الآن فى أفواههم والآن خلت أصبهان من أبهتها وجلالتها لما وقع عليها من تقلبات أدوار السلب والنهب والقتل والحكم وصار تعداد سكانها ٦٠٠٠٠ نفس الآن وهى أجل موقع تجارى

وأما السهل الموجود فيه مدينة طهران عاصمة المملكة الفارسية فهو قليل الاهمية وهو سهل مجدب محل خالى المزارع والاشجار ولاتنبت فيه الخضرة الافى فصل الربيع ونفس طهران لاتستحق الذكر الا لكونها دار الملك ودائرها أربعة أميال محيطة بسور من الطين محفوظ بعدة أبراج وخندق جاف ولا يوجد بها أبنية فاخرة الاسراى الشاه وأسواقها مشحونة بالعالم وبها الجوامع والمكاتب والمدارس والخانات وتعداد أهلها نحو من ١٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ نفس وسبب اختيار الملك هذا المحل الحقير أن يكون دار الملك لكونه قريبا من مازوندران واستراباذ بلاد أهله وعائلته وبها كثير من البساتين والمساكن الخلوية المعدودة للملك وقت تنقله من محل الى آخر الا أنه قبل حلول حرارة الصيف يجمع جيشه ويعسكر فى سهول مدينة سلطانية

ويوجد فى ضواحى طهران أطلال وخربات مدينة الرها القديمة التى كانت معاصرة لنينوى وهمذان وكانت مشهورة فى حالة وجودها بانها ميدان لوقائع عظيمة حصلت بها ووقف اسكندر بجيشه عندها خمسة أيام وهو معقب دارا وكانت عاصمة الملوك الفارطية ومسقط رأس الخليفة هارون الرشيد ومن

طهران بمسافة ستة وتسعين ميلا مدينة قاشان بناها سابور ذو الاكتاف وكانت قبل سلطنة شاه عباس مقر سلطنة العائلة الصوفية وهى احدى المدن التجارية الكبيرة فى فارس وعلى مسافة ستة وثمانين ميلا من الجهة الغربية توجد مدينة سلطانية وكانت فى السابق مدينة كبيرة وهى الآن قرية صغيرة كائنة فى سهل واسع يمتلئ فى فصل الصيف بخيام وأخصاص العساكر الملوكية المضروبة حول سراى الملك وبها قبر السلطان محمد خداوند أخى غازان خان المشهور وهو بناء جليل من الطوب وفى هذه الجهات أيضا مدينة همذان وكرمانشاه فأما مدينة همذان فهى واقعة فى ذيل جبل الوند وكان اسمها فى السابق أكباتان عند الجريق وكانت من أعظم مدائن الشرق خربها تيمورشاه وقت غاراته على فارس ثم حازت أبهتها ومجدها بعد ذلك والآن هى عبارة عن مجمع مساكن مبنية من الطوب والطين وبها قبر الفيلسوف ابن سينا وتعداد أهلها نحو من ٥٠٠٠٠ نفس وأما مدينة كرمانشاه فهى مدينة صغيرة تشتمل على ١٥٠٠٠ عائلة محلاة ببعض أبنية عمومية ظريفة

ويوجد بين كرمانشاه وأصفهان كورة لورستان وهى مشتملة على النواحى الاكثر خصوبة من العراق الفارسى وهذه الجهة وان كانت محتلة ببطون رحالة من قبائل لاك وفيلى وبختيارى غير أنها قليلة الزراعة ووديانها مشحونة بخيامهم السود وبها قليل جدا من القرى ولا يوجد الا مدينة كروماباد وهى مدينة قديمة وهى الآن عاصمة رئيس بطون قبائل الفيلى ويوجد فى الشمال الشرقى حصار وبورجرد ونهاوند وفى مدينة نهاوند كانت الواقعة الفاصلة بين الفرس أتباع زردشت والمسلمين أتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والجنس الاخير الساسانى الذى كان حاملا للبيرق العراقى القديم غرق أمام البيارق وعلامات النصر الخضر التى كانت مرفوعة أمام المغيرين عليه

ويعتبر اقليم يزد بأنه مبادى العراق لانه فى الحقيقة قسم أوجهة من خراسان وهو واحة فى صحراء واسعة واصلة من جبال البورز الى كرمان ومدينة يزدجرد واقعة فى سهل رملى مشحون بتلال جبلية وهو قليل العمران من السكان ويوجد فيه عدة مدن وقرى منتشرة الى جهة أصبهان ومع ما كان عليه هذا الاقليم من جفاف الارض فانه يخرج منه محصولات جيدة مثل الحرير والحبوب الا أنها ليست كافية بشئ ومع كون مدينة يزدجرد خالية من الفوائد والمنافع الا أنها معدودة من ضمن المدائن العظيمة فى مملكة فارس بالنظر لتجارتها ومشغولاتها وهى احدى المراكز التجارية المشهورة بين الشرق والغرب وتتقابل فيها القوافل الواردة من قاين وكشمير وبخارى وهراة ومشهد وكرمان مع التجار الواردين من أصبهان وشيراز وقاشان وطهران ويتبادلون تجاراتهم مع بعضهم وبها من السكان نحو من ٥٠٠٠٠ نفس من ضمنها ٣٠٠٠ نفس جبرية أومجوس

وأما اقليم أذربيجان الواقع فى حدود فارس فانه عظيم جيد الخصوبة ومفصول من أرمينية من جهة الشمال بنهر عراس ومن العراق بقزل أوزون ويحده من الجهة الشمالية الشرقية بحر الخزر وغيلان ومن الجهة الجنوبية كورديستان وداخل فى هذا الاقليم اروان وقره بوق وقره طاغ ومنقسم الى اثنتى عشرة كورة وعاصمته تبريز وأهلها الآن ١٦٥٠٠٠ وكانت الموقع المحبوب لهارون الرشيد وقيل ان الذى أسس هذه المدينة زوجته زبيدة وهذا الاقليم أحد الاقاليم الكثيرة المحصولات فى المملكة الفارسية ويوجد فى هذا الاقليم بحيرة شاهى أو أرمينية ذات المياه الملحية ودائر هذه البحيرة ٣٠٠ ميل وهى محاطة بجبال وأودية كانت فى السابق خصبة جيدة الزراعة وكان فى ضواحيها عدة مدائن

منها

منها مدينة مراغة كانت مقر سلطنة هولاكوخان ودفن فيها مع زوجته وكان اقليم أذربيجان فى الاصل مركز خمس مذاهب العبادة التى كانت جارية فى مملكة فارس ولم يزل به مغارات وكهوف ومحاريب مثل الكهوف الهندية وبالقرب من هذه البحيرة قرية طابرنه التى هى مسقط رأس زردشت نبى المجوس

ويوجد فى الجهة الشمالية من بحيرة شاهى كورتان ظريفتان وهما مورند وخوى واقليم خوى خصب جيد الزراعة ومدينته خوى من أعظم مدن فارس وبها ٣٠٠٠٠ نفس وسهل هذا الاقليم مشهور بكونه كان ميدان محاربة مهولة حصلت بين الشاه اسماعيل وسليم الاول العثمانى

ويشتمل القسم الشمالى الشرقى من أذربيجان على جهات الخلخال ومسكين وأردبيل ومدينة أردبيل كانت مشهورة بكونها وطن العائلة الملوكية الصوفية وبها قبر الشيخ الصوفى وقبر الشاه اسماعيل وكان يوجد بها ٣٠٠ خان و ٢٥٠ مسجد وتعداد أهلها ٥٠٠٠٠ نفس الا أنها خربت وعضها الدهر بنابه وصارت الآن قليلة العمران والسكان

ويتبع اقليم أذربيجان ثلاث جهات وهى غيلان ومازندران واستراباذ فعاصمة غيلان وهى مملكة غيلى القديمة مدينة ريشت ومدينة بلفروش واقعتين فى داخل السهول الحارة المنخفضة المجاورة لبحر الخزر وبها من السكان من ستين ألف نفس الى ٨٠٠٠٠ نفس ولها تجارة عظيمة واسعة فى صنف الحرير وأصناف أخر وأسواقها كبيرة نظيفة وأما مازندران وهى هرقانية القديمة فهى أقل من غيلان فى المحصولات الا أنها أكثر شهرة ومدنه الاصلية سارى وعمول وبلفروش ومدينة سارى هى العاصمة وأسوارها أى أسوار مدينة سارى مبنية من الطين وعليها أبراج مربعة الشكل مبنية من الطوب ودائرها ينوف عن ميلين ولا تزيد سكانها عن ٤٠٠٠٠ نفس وبها قبر حسام الدولة أحد العائلة الديلمية وكذا مدينة عمول مشهورة بمقام السيد قوام الدين وهو ملك ناسك من مازندران ظهر فى القرن الثامن من الهجرة وشيد مقامه شاه عباس وسكان عمول مثل سكان سارى الا أنهم يذهبون فى فصل الصيف الى مساكن لهم فى الجبال وأما بلفروش فانها مدينة تجارية أهلها مشغولون بالتجارة خاصة ولا يوجد بها خانات ولا مبان من خرفة وتعداد أهلها غير محقق

وأما اقليم استراباذ فانه صغير ومفصول من خراسان من جهة الجنوب بجبال البورز ومن جهة الشمال ببحر الخزر والصحراء الواسعة الى سواحله وعاصمته مدينة استراباذ وعلى ما قيل ان الذى بناها يزيد بن محلوب وهو قائد عربى كان ظهر فى القرن الاول من الهجرة ودائرها ثلاثة أميال ونصف ومحفوفة بآثار أسوار عريضة وشوارعها مبلطة عموما وسوقها واسع الا أنه قليل التجارة ويوجد على مسافة ستة أميال منها الاشرف مقر عباس شاه والقسم الشرقى من استراباذ يسمى جورجان وهو سهل بعضه أورمانات وبعضه مستور بالكلا والحشائش ويسقى بعدة غدران صغيرة وكان فى السابق كثير العمران الا ان التركمان خربوه وهو الآن ميدان لرعى مواشيهم وأنعامهم

وكان اقليم خراسان الشاسع فى الازمان القديمة مقر مملكة عظيمة غنية بالرجال والزراعة وهى فى هذه الايام سهول خالية متوالية لانهاية لها مجدبة قليلة العمران منفصولة عن بعضها بجبال ويوجد به مدائن كثيرة مثل مشهد وسمنون ودمغان وبسطام وسبزوار ونيسابور وما يتبعها والبعض من جهات هذه المدائن خصب جيد الزراعة ونيسابور أقدم مدينة فى خراسان وأجلها والذى أسسها سابور ذو الاكتاف

وكانت مركز اقليم يحتوى على ١٤٠٠٠ قرية ويسقى بواسطة ١٢٠٠٠ ترعة خلاف الغدران الطبيعية ثم ابتدأ فيه الخراب من النهب والسلب وتم خرابه الافغانية عند تغلبهم على مملكة فارس حتى صار آكاما من الآثار والاطلال وسكانه الآن نحو ٥٠٠٠ نفس

وعاصمة اقليم خراسان الفارسى مدينة مشهد وهى على مسافة سبعة عشر ميلا من طوس القديمة والذى رسمها الامبراطور هرون الرشيد وحالها الآن بلا عند طهماسب شاه الآن عظمها وسعة حجمها منسوب من غير ريب لذهاب القوافل وتوجههم لزيارة قبر الامام الرضى الموجود بها واهل مشهد نحو ١٠٠٠٠٠ نفس وبها كثير من الجوامع والعلماء وبها ست عشرة مدرسة أكثرها فى غاية الاتقان ومزار الامام الرضى موجود فى موقع فى وسط الشارع الاكبر للمدينة وأنفق عباس شاه على هذا المزار مبالغ جمة من النقود حتى زخرفه وزينه وحلاه بالنقوش المذهبة والابنية الفاخرة ولا يجوز لليهود والنصارى الدخول فى هذا المزار

وأما مدينة مرو التى كانت فى السابق مقر مملكة ومحل رفاهية فهى الآن تلول خربة ولم تكن فى داخل الحدود المقررة لمملكة فارس لانها على مسافة واحدة بين مشهد وبخارى وموجودة فى واحة فى الصحراء وبها حاكم من طرف أمير بخارى وحول أسوارها قبائل التركمان وزال عنها مجدها الاولى حتى لا يعرف الآن فيها قبر الب ارسلان وبها من السكان ٣٠٠٠ نفس وهى مركز توزيع تجارات كبيرة واردة من الهند الى مدائن فارس

وأما مدينة هراة وكانت المقر الملوكى لذرية تيمور شاه فهى واقعة فى واد خصب طوله ٣٠ ميلا وعرضه ١٥ ميلا مشحون بالقرى والضياع ولقد زال مجد هذه المدينة عنها وأما المدينة الحالية فان مساحة أرضها ٤ أميال مسطحة ومحيطة بسور من الطين وخندق مبلول ومن ضمن مبانيها العمومية جامعها الجامع كانت قبابه ومناراته على غاية من الابهة والفخر لكنه الآن على غاية من الدمار والخراب وهى كثيرة السكان قليلة التجارة ومن بعد جملة أدوار تعاقبت عليها وقعة فى سنة ١٧٤٩ تحت يد أحمد شاه عبد الله وهى تابعة الآن لحكومة قاين

وأما كرمان أو كرمانية القديمة فيوجد فى شمالها سيستان وخرسان وفى جنوبها مكران والخليج الفارسى وفى غربها لويستان وفارس والعراق وهى اقليم جبلى مجدب لا ماء به ولا منبع غير أنه يوجد بعض منابع قليلة جدا فى الكور الجبلية ويوجد على الساحل كثير من أشجار النخيل والعاصمة موجودة فى سهل متسع جيد الزراعة ومدينة كرمان من المدن القديمة التى كانت مزهرة فى المملكة القديمة وهى واقعة على الطريق الاعظم الموصل من أكبر المدائن الشمالية الى هرمز وبندر عباس وهى محط التجارة الشرقية وكانت كثيرة الغنية فى السابق ومن ثم توالى عليها السلب والخطف حتى اضمحل حالها وذاقت وبال الخسارات فى الحروب التى حصلت بين عائلتى زند وقجور ومن بعد أن دافع فيها لطف على خان زند آخر هذه العائلة وحفظها من تغلب العدو عليها تغلب عليها أغا محمد خان بالخيانة وسبى جميع نسائها وأطفالها وباعهم وقتل جميع رجالها وهدم أبنيتها وأسوارها ومن بعد مدة أعيدت على سياق أقل مما كانت عليه قبل وبها الآن من السكان ٣٠٠٠٠ نفس وهى مركز حكومة وأسواقها ظريفة معمورة وعادت اليها تجارتها التى كانت سببا فى دمارها فى الاول

واقليم سيستان الصغير ويسمى نيم روز ويشمل مملكة سجستان القديمة يوجد على شماله وشماله

الغربي خراسان وفي شرقيه قندهار وفي جنوبه وجنوبه الغربي مكران وكرمان وهو صحراء رملية حجرية يمر منها نهر لطيف اسمه هيرموند يشكل في مجراه أرض خصبة على كل من شاطئيه بعرض ميلين وفي كل ناحية صخور وعرة قائمة وغالب هذه الاراضي مراع وبها قليل من المزارع ويوجد بها كثير من أطلال المدن وآثارها وعاصمة هذا الاقليم دوشاخ أو جلالباد وهي مدينة صغيرة مبنية على أطلال وآثار مدينة كبيرة هيئتها مثل هيئة أصبهان ومساكنها مصنوعة من الآجر بعلو دورين وسقوفها معقودة واقليم سيستان الآن مسكون بقبائل من الافغانية وبطون من البلوجستانية يظعنون من جهة وينزلون في أخرى وليس لهم قرار ثابت ورؤساء هذه القبائل متوطنون في قرى محصنة على نهر هيرموند ومن دأبهم الاغارة على بعضهم كما هو دأب القبائل والبطون من السلب والنهب والخطف وأما مكران الاصلية فهي جبلية محلة يوجد فيها بعض جهات قليلة الجدب عن الجهات المجاورة للصحراء المحيطة بها ويتج من بعض الجهات قليل من الحبوب والغلال والمراعي وفي بعض جهات الساحل كثير من أشجار النخيل وبعض محصول من الحبوب الا أن جهة الساحل والاقاليم حار جدا حتى ان الاهالي لا تتجاسر في فصل الصيف على أن تخرج من أخصاصها وأعشاشها وتهلك الارياح جميع النباتات وهذا الاقليم مقسوم الى كورتين كل كورة محكومة بحاكم تابع لخان كلات في الاسم الملوكي على جميع المملكة الا انه لا سلطة للخان المذكور على أقاليم بلاده الجنوبية وهذا الاقليم الشاسع مختلف في الطقس أو المناخ وسواحل مكران رملية وأشد حرا وسخونة ومداومة الثلوج المغطية لأسنان جبالها كاسرة شدة الحرارة وحاصل منها لطيف للهواء نوعا

ومن هنا نشرع في ذكر تاريخ مملكة فارس الاخيرة فنقول وعلى الله التوكل وحسن القبول قد ذكرنا الحوادث التاريخية للمملكة الفارسية من ابتداء تأسيسها الى حد سقوطها وخرابها بواسطة اسكندر الاكبر في الكتاب التاسع وكذا ذكرنا ما بعدها من تاريخ فارس تحت حكم الملوك الفارطية والمملكة الفارطية في الكتاب العاشر ثم نقول الآن ان المملكة الفارسية الاخيرة انتصبت على أطلال وخرائب المملكة الفارطية وان أرصيص الثلاثين أو أردوان آخر ملوك الفارطيين ابتدأت سلطنته في سنة ٢١٣ بعد الميلاد ومن بعد جلوسه بمدة قليلة جدد قركالا امبراطور رومة الحرب مع فارطية وفي سنة ٢١٦ بعد الميلاد عبر الفرات وتقدم من وسط ميزوبوتاميه أي جزيرة النهرين الى نهر الدجلة وتغلب على اربل وأرغم الفارطيين على الهرب الى الجبال وقتل في السنة التالية فشرع خليفته مترنيوس في استمرار الحرب فهزمه أرصيص مرتين في واقعتين كبيرتين فالتزم على مشترى صلح دفع في ثمنه جميع الفتوحات الرومانية التي كانت موجودة في شرق الفرات وتولد من هذه المظفرات عود الحدود القديمة للمملكة الفارطية وظهر عليها رونق عنفوانها الاول الا انه في هذا الوقت جاءتها قوة صادمة أعدمتها الحياة وانقضى نحبها

وذلك أن أهل فارس كانوا قلقين غير راضين بوجودهم تحت القانون الفارطي من مدة طويلة جدا ومع انه حصلت هزيمة الرومانيين الا أن المملكة كانت لم تزل في اختلال وارتجاج وزلزلة من دعوى المدعين المزاحمين لأرصيص على تاج المملكة وكانوا فرعين من العائلة الملوكية الارصيصية أو الاشكانية وكانوا متوطنين في نواحي بلخ أشبه بمتقاطعين مع الملك المتسلطن فتولد من هذه المنازعات الاهلية حالة أدتهم أخيرا الى الانقياد الى أجنبي أولى لهم وأحسن من انقيادهم الى رئيس من أهل بيتهم وما حصل

من مظفرات ارطيابانس أو ارصيص الثلاثين أو اردوان مع الحروب مع رومه أدنى تأثير على أعداء بيته فنشأ من هذه الاعمال تقوية الفرس على خلع طاعتهم للفارطيين واعادة استقلالية أنفسهم كما كانت سابقا وكان للفرس من أصل نظامات المملكة الفارطية امتيازات معلومة محترمة عند الملوك الفارطيين وكانوا مرخصين ببقاء ملوكهم الوطنية وهي منحة جعلت لهم استمرار شرائعهم وعوائدهم وأحاديثهم وخرافاتهم وما كان حصل التعدي من الفارطيين على دياناتهم التي انجذب اليها قلوب ملوك فارس في الزمن السالف الا أنه يحتمل أن امتيازات هذه الامة كان قل عملها في آخر الامر وتعدى العمال عليها حتى أوغروا صدور الفرس في نبذ طاعة الفارطيين ووراءهم ظهريا وكان ملك فارس الخراجي الموجود تحت سلطنة فارطية أردشير بن بابكان بن ساسان وكان يدعي نسبه الى ذرية كيرش الاكبر أو كيخسرو فتقوى في وقت حصول الاختلالات والزعازع في المملكة الفارطية وحمل السلاح في وجه مليكه في سنة ٢٢٠ بعد الميلاد أو أقل من ذلك بقليل وفي ظرف مدة قليلة فاز بتشييد استقلالية فارس الاصلية أو اقليم فارستان الاخير ثم وجه جيشه نحو الشرق على كرمان فأخضعها ومن بعدها تغلب على ميديا فانجبر ملك فارطية على البروز الى ميدان الحرب على عبده العاصي فانهزم وقتل في واقعة كبيرة حصلت في هرمز سنة ٢٢٦ بعد الميلاد فاستمر الحرب جاريا بواسطة أولاده بمساعدة ملك أرمينية الا أن الفرس كان لهم الظفر في كل جهة وصلوا اليها ومن بعد حصول حرب استمر بضع سنين خضعت المملكة الفارطية القديمة وصار أردشير بابكان من غير مزاحم ولا مضاد ولا مشاحن مستحوذا على مملكة فارس الاخيرة فاشتغل بتقرير قواعد مملكته وأعاد ديانة زرداشت القديمة وسلطة المجوس وعرفت العائلة التي أسسها أردشير بابكان بالعائلة الساسانية واستمرت هذه العائلة على تخت فارس مدة تنوف عن أربعمائة سنة وكان عدد ملوكها تسعة وعشرين ملكا وقليل من هذه الملوك من يستحق الذكر في التاريخ وهذه أسماء ملوكهم ومدة سلطنتهم مذكورة في الجدول الآتي بيانه

﴿ جدول ملوك الفرس الطبقة الرابعة الساسانية ومدة سلطنة كل منهم ﴾

عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر	عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر	عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر
١	اردشير بابكان	١٤	٠٠	١١	سابور	٥	٠٠	٢١	هرمز	١٢	٠٠
٢	سابور	٣١	٠٠	١٢	بهرام كرمنشاه	١٣	٠٠	٢٢	خسرو أبرويز	٣٢	٠٠
٣	هرمز	٣١	٠٠	١٣	يزد جرد	٢١	٠٠	٢٣	شيرويه	٠٠	٦
٤	بهرام	٣	٣	١٤	بهرام جور	٢٣	٠٠	٢٤	أردشير	١	٦
٥	بهرام	٧٠	٠٠	١٥	يزدجرد	١٨	٠٠	٢٥	شهريار	٢	١
٦	بهرام	٣٠	٤	١٦	هرمز	١	٠٠	٢٦	توران دخت	٠٠	٢
٧	نرسى	٩	٠٠	١٧	فيروز	٢٨	٠٠	٢٧	ارزميدوخت	١	٤
٨	هرمز	٧	٥	١٨	بلاش	١٤	٠٠	٢٨	فروخذاره	٠٠	١
٩	سابور ذو الاكتاف	٧٢	٠٠	١٩	قباد	٤٣	٠٠	٢٩	يزد جرد	٢٠	٠٠
١٠	اردشير	٤	٠٠	٢٠	أنوشروان	٤٨	٠٠				

وقد

وقد قيل ان أردشير بابكان كان أحد الضباط الصغيري الرتبة فى ديوان السلطنة الفارطية وهو من ذرية ساسان حفيد اسفنديار وترقى بسرعة فى الخدمات العمومية فأدته حدة عقله وما سولت له نفسه الى تولد مطامع اماله على تأكيد رغبته ونواله ولما طرد من الديوان استقبله أشراف فارس مع السرور والترحاب وتقوى على حل مقصده فى تشكيل سلطنة قوية بضعف الجيوش الملوكية ومعاضدة أهل بلده على السوية فسار من غير معارض الى أصبهان وتغلب على القسم الاعظم من العراق حذرا من أن يتمكن ارطابانيس من الخروج الى الميدان وتم آماله ومقاصد أحواله فى ثلاث وقائع أجراها وقتل الملك المتسلطن ولقب أهل فارس بأردشير فى ميدان الحرب بصفة شاهنشاه أى سلك الملوك وفى مدة سلطنته أعاد الديانة القديمة لمملكته وقد جمع لذلك مجلسا مؤلفا من ٠٠٠٠٤٠ نفس من الموابذة والقسس من المجوس وانتخب من هذا الجم الغفير ٤٠٠ نفس ومن هؤلاء صار انتخاب ٤٠ نفس ومن هؤلاء صار انتخاب سبعة عهد اليهم تنقيح وتهذيب الديانة وعودها الى ما كانت عليه لان ملوك الفارطيين كانوا أهملوها أو أمروا بعدم التمسك بها وكان هذا المحفل مجموعا من عموم أطراف وجهات المملكة ولبثت سلطنته أربع عشرة سنة قاوم فيها أردشير بنصرات متباينة جيوش الامبراطور اسكندر الرومانى ثم ربط علاقات مملكته وشرع قوانينها وأحكم قواعدها وذكر الفردوسى أنه وعظ ابنه وحثه على الالتفات الى الديانة وواجبات السلطنة وما يعود منه النفع على الامة الفارسية والمملكة الايرانية وابتنى كثيرا من المدن فى جهات شتى من المملكة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا الى أن هلك بعد أن تسلطن أربع عشرة سنة فى سنة ٢٤٢ بعد الميلاد

ولما هلك أردشير بن بابكان قام بالملك بعده ابنه شابور أو سابور الاول فى سنة ٢٤٢ بعد الميلاد وكان ملكا شديد البأس عالى الهمة مقداما فى الحروب ساق جيوشه الى داخل الاقاليم الرومانية فى آسيا فاستعد الامبراطور الشاب غورديان لملاقاته ومعاقبته على ما أجراه من هذه الوقاحة الا أنه قبل سيره قتل فجأة فعزم من بعده الامبراطور فاليريان على خلاص ادسا فحاصره فيها ابن أردشير وأسره وعامله بمعاملات مختلفة من العذاب والآلام وروى انه كان يصب عليه كل يوم أشكال العذاب و يؤتى به فيجعل سابور رقبته موطأ لقدمه وقت ركوبه على حصانه ومن بعد أن حبسه حبسا شديدا وعذبه عذابا مؤلما وجيعا أمر بقتله فشنع فى حقه مؤرخو الغرب وذموه وقالوا انه كان رجلا جبارا ظلوما مجردا عن الشرف والانسانية لا رحمة عنده ولا حنية وأما مؤرخو الشرق فانهم وصفوه بانه أنموذج الحكمة والعقل والعدل ومن بعد أن ابتنى سابور المدائن المختلفة فى مملكته منها مدينة نيسابور ومدينة سابور ومدينة فيروزسابور وهى الانبار وجنديسابور وفتح كثيرا من الاقاليم والبلدان تنازل عن مملكته الى هرمز ابنه وقيل انه أوصى بها اليه قبل موته فى سنة ٢٧٣ بعد الميلاد

ومن بعد أن تسلطن هرمز بن سابور احدى وثلاثين سنة خلفه بهرام وذكر فى الكامل لابن الاثير أن أباه كان ولاه خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى أبيه سابور على أنه عزم أن يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه بما بلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا وأرسل الى هرمز يعلمه بما ناله من ذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل آبائه

وخلفه بهرام الاول ابن هرمز وكان حسن السيرة وقتل مانى مؤسس المذهب المانيانى فى مملكة فارس

وكان مانى هذا عزم على أن يجمع العقائد الذردشنية وعقائد تناسخ الارواح الهندية ومذاهب الديانة المسيحية فى شريعة واحدة ديانية فطرد من فارس فى مدة سلطنة سابور ثم خاطر بنفسه وعاد ثانيا فى مدة سلطنة بهرام فقبض على هذا الكذاب بعلة أن يرغب أن يسمع مذهبه وطرائق شريعته فقتله وحشى جلده تبنا وعلقه على باب مدينة جنديسابور ويسمى هذا الباب باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر

ومن هذا البيت نرسى الملك السابع اشتهر بهزيمته الامبراطور غالير يوس فى نفس الميدان الذى انهزم فيه قراصوص وقتل وذلك من بعد أن هزم الجيوش الفارسية مرتين بالقرب من أنطاكية وكان ملكه تسع سنين

ومن الملوك الساسانية المستحقين للذكر فى التاريخ سابور الثانى وهو الملك التاسع ويلقب بذى الاكتاف وسبب تسميته بهذا الاسم ما كان يوقعه من العذاب الشديد من نزع أكتاف رؤساء القبائل الذين يتجاسرون على العصيان عليه وكذا قطاع الطرق واللصوص وكانت ولادته فى سنة ٣٠٩ بعد الميلاد وتسلطن اثنين وسبعين سنة أو من يوم ولادته واشتبك فى حروب دموية مع الامبراطور قسطنطين والامبراطور جوليان الرومانيين وهزم جوليان وقتله فى سنة ٣٦٣ بعد الميلاد وبنى سابور ذو الاكتاف ايوان الاكاسرة بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك من بعده ثم ان خليفة جوليان وهو يوويان رضى بعقد صلح مع سابور ذى الاكتاف واشترى هذا الصلح بكونه تنازل عن جميع الاقاليم والجهات الواقعة فى شرق القرجلة التى كانت تنازلت عنها أسلاف ذى الاكتاف للممالك الرومانية

ومنهم بهرام جور أو بهرام الخامس عند الجريق وهو الملك الرابع عشر من هذه العائلة تسلطن ثلاثا وعشرين سنة وكان مشهورا بجد دوانه وكثرة سخائه وكرمه وطرد قبائل التتار الذين كانوا عزموا على التغلب على فارس وكانت سلطنته تماثل فى طريقة أحكامها سلطنة رجل عربى لا ملك مستبد فى أحكامه وكان كثير المحبة للصيد فكان ذات يوم فى ميدان الصيد اذ ظهر له كورخر أو جورخر أى حمار وحشى فما زال سائقا خلفه متشوقا لقبضه ومن هذا الوقت سمى بهرام جور وكان محل هذا الصيد فى سهل اسمه سهل أوجان فجعل هذا السهل محل صيد الملوك تذكرة لبهرام جور وسماه الفرس وادى الشجعان وما زال هذا الملك سائقا خلف هذا الحمار الوحشى حتى عدمت حياته وهلك

ومنهم خسرو أنوشروان الملك العشرون جلس على التخت فى سنة ٥٣١ بعد الميلاد وتسلطن الى سنة ٥٧٩ بعد الميلاد أى ثمانيا وأربعين سنة وهو ملك مشهور الاسم والاحترام وحزم الرأى والتدبير عند كافة المؤرخين ولم يزل لحد الآن فى فم كل فارسى أن أنوشروان معدن الحكمة والعدل والكرم وقيل ان مولده منسوب الى أبيه قباد الملك التاسع عشر من هذه العائلة عشق امرأة جميلة من نيسابور وقت ما كان فارا من أخيه فيروز وبات فى مدينة نيسابور ليلة واحدة ومن بعد مضى أربع سنوات عند عوده من هذه الطريق فى رأس جيش قواه به خاقان الترك أتت اليه معشوقته الجميلة ومعها ولد ثمرة محبتهما وأعلمته انه ابنه وبينما هو يتأمل فيه اذ وردت الاخبار له بموت أخيه وانتظار التخت له فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك ورباه أعظم تربية وجعله ولى عهده ووارث ملكه ولما ولى من بعد قباد كان أعظم ملوك فارس واعتبره أهل بلاده بأنه معدن العدل والحكمة والكرم والسياسة ولقبوه بالملك العادل ووجد هذا الملك مملكته تبكى تحت أحمال ثقيلة قبيحة محملة

فوقها وذلك أنه كان ظهر فى أيام أبيه على ماذكره ابن الاثير فى الكامل وكذا فى بعض التواريخ غير العربية مزدك وابتدع ووافق زرادشت فى بعض ما جاء به وزاد ونقص وزعم أنه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس فى الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل فى شئ البتة فكثرت أتباعه من السفلة والاوباش فصار واعشرات ألوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا فى الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباد وحواشيه وما فى داخل سرايته فقال يوما لقباد اليوم نوبتى من امرأتك أم أنوشروان فأجابه الى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيديه وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه فى سائر ملكه فتركها

ولما جلس أنوشروان على التخت أذن للناس بالدخول عليه اذنا عاما فدخل عليه المنذر بن ماء السماء وكان يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها ودخل عليه مزدك فقال انى كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما الى فقال مزدك وماهما أيها الملك قال تمنيت أن أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر بن ماء السماء وان أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال أنوشروان وانك ههنا يا ابن الزانية والله ما ذهب نتن ريح خفيك من أنفى منذ قبلت رجلك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جاذر الى النهروان الى المدائن فى ضحوة واحدة نحو مائة ألف زنديق وقسمت أموالهم فى أهل الحاجة وأمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس فى أموالهم ورد الاموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وأن يعطى نصيبا من ملك الرجل الذى يسنده اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا أن يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوى الاحساب الذين مات قيمهم فأنكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وأنكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم فى أعماله وكانت مملكته مشتبكة فى حرب مع الرومانيين وكان غسطيانوس على رغبة زائدة من عقد الصلح فاشتراه من أنوشروان بثمن مقداره ١١٠٠٠ دينار من الذهب فى سنة ٥٣٣ بعد الميلاد وشرط الملكان على بعضهما أن يكون هذا صلح لانهائى الا انه فى سنة ٥٤٠ حصل لأنوشروان الغيرة والحمية من المظفرات الكبيرة التى نالها غسطيانوس فى افريقية وسيسيليا وايطاليا فجدد الحرب بغتة وأغار على سوريا وفلسطين فى رأس جيش كثيف وتغلب على هذه الممالك بسرعة زائدة فأرسلت رومة القائد الاكبر بليصاريوس لقيادة الجيش الرومانى وفى حربين متعاقبين حصلا فى سنة ٥٤١ وسنة ٥٤٢ بعد الميلاد أرغم بليصاريوس ملك الفرس على العود الى بلاده والقهقرة من الاراضى الرومانية ثم انفصل بليصاريوس من قيادة الجيوش الرومانية وأرسل لمباشرة الحروب فى ايطاليا فحصل الظفر للجيوش الفارسية مرة ثانية ودام الحرب الى سنة ٥٦١ بعد الميلاد حتى انجبر الرومانيون على عقد صلح بشرط أن يدفعوا الفارس مبلغا سنويا مقداره ٣٠٠٠٠ قطعة من الفضة وهذا خلاف الحروب التى كانت جارية مع الرومانيين فان خسرو أنوشروان ساق جيوشه وفتوحاته الى ماوراء نهر جيحون والسند من الجهة الشرقية وفى داخل بلاد العرب من الجهة الجنوبية وكانت سلطنته مرعية فى فارس بانها العصر المذهب وابتنى الخانات والاسواق والقناطر ورمم ما تداعت

أركانه منها وأنشأ مبانى عمومية وأسس المكاتب والمدارس وحث على التعليم ودعا الى ديوانه فلاسفة الجريس وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين فى آخر ملكه وأرسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين سنة من ملك خسروأبرويز وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز والله أعلم

ومن بعد موت أنوشروان خلفه ابنه هرمز الثالث وكان ملكا عاجز التدبير فاجرا قبيح السلوك وكان ملكه اثنتى عشرة سنة قال ابن الاثير فى تاريخه الكامل ان هرمز بن خسروأنوشروان كان أديبا راغبا فى الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وأبغضوه وكان داهيا ردىء النية قد نزع الى أخواله الترك لان أمه كانت ابنة خاقان الاكبر ملك الترك وقتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ولم يكن له رأى الافى تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ففسد عليه كثير ممن كان حوله وقتله أحد قواده فى سنة ٥٩٠ بعد الميلاد فدخل الامبراطور موريس الرومانى فى أمر خسروأبرويز ابن الملك المقتول وأجلسه على تخت أبيه فشكر خسرو وصنيع هذه المساعدة واستمر فى ارتباطات ودية وصداقة قلبية مع المملكة الرومانية مدة حياة موريس الا أنه بمجرد قتل الامبراطور موريس حول خسروأبرويز جيوشه على المملكة الرومانية وأخذ بعضا من أقاليمها العظيمة وخضعت سوريا وفلسطين ومصر وقرطاجنه وطرابلس وابثت هذه الممالك مدة من الزمن خاضعة لمملكة فارس وأوقع المصائب وأعظم البلايا على أورشليم وقال جبون ان جميع النذور الديانية التى كانت وفدت الى أورشليم فى مدة ثلاثمائة سنة سلبت فى يوم واحد انتهكت فيه حرمة أورشليم ونقل البطريرك زكريا دخشبة الصليب الى فارس وذبح من المسيحيين فى هذه الواقعة نحو من ٩٠٠٠٠ نفس نسبت مذبحتهم لليهود والعرب الذين زادوا فى ارتباك ملك فارس ونفس مصر التى كانت ايالة وحيدة مستثناة من عهد دوقلطيانوس من الحروب الاجنبية والداخلية أخضعها أيضا خلفاء كيرش الاول وأقيمت بيارق الظفر والنصر فى الجهات الغربية لا على أسوار قرطاجنة فقط بل وفى جميع ما جاور طرابلس الغرب وتدمرت المستعمرات اليونانية التى كانت فى نواحى صرفى (طرابلس الغرب) وسار هذا الفاتح على قدم اسكندر الاكبر وعاد فى أبهة وطنطنة من وسط رمال صحراء ليبيا أى صحراء برقة وأخضع فى حرب آخر كامل الاقاليم الكائن بين نهر الفرات وبوغاز البوسفور أى بوغاز القسطنطينية وفتح كاليشدون بعد حصار طويل واستمر الجيش الفارسى معسكرا عشر سنوات على مرأى من القسطنطينية وكان خسروأبرويز مشهورا بابهة ديوانه ورفاهية حياته وكان أمام باب سرايته ستة الاف فارس خفر راكبين على خيولهم يتعاقبون بعضهم بعضا فى نوبات الخفر وكانت خدمة الجهات الداخلية من السراية معهودة الى ١٢٠٠٠ من العبيد وكانت الكنوز المختلفة من الذهب والفضة والجواهر والحرير وأنواع العطريات مخزونة فى مائة قبوة تحت الارض ولا علينا من العار والفضيحة أن يقال على سبيل التملق أو الكذب انه كان يوجد ٣٠٠٠٠ ستارة ثمينة غالية القيمة مزين بها حوائط السراية و ٤٠٠٠٠ عمود من الفضة حاملة سقف السراية و ١٠٠٠ كرة من الذهب معلقة فى القبة على هيئة حركات الكواكب وسيارات منطقة فلك البروج وكان يوجد فى مجلس الملك الاعظم أمهر الشعراء وأجودهم قريحة النادر وجود أمثالهم وفى اسطبلاته ٥٠٠٠٠

حصان من جياد الخيول وفي حريمه ٣٠٠٠ من أحسن النساء وأجملهن وكان أجملهن وأظرفهن شيرين وكانت جريقية نصرانية ألف الشعراء في جمالها وظرفها وهيام الملك بحبها وخضوعه لها في نكاتهم وحكاياتهم وأشعارهم التآليف العجيبة والاشعار الغريبة وبينما كان ملك الفرس متمتعا بما هو فيه من النعم الوافرة والشوكة الظافرة اذ وردت عليه رسالة من أحد أهالي مكة مع شخص اسمه عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب ورفض الدعوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيمزق ملك خسرو كما مزق كتابنا ولا يقبل توبته ولا توسله كما رفض دعوتنا وكانت صورة الكتاب الذي أرسل اليه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني أدعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وان توليت فانما اثم المجوس عليك فلما قرأه شقه وقال يكتب الي بهذا وهو عبدي ثم كتب خسرو أبرويز الى باذان عامله باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذان بابوه وكان كاتبا حاسبا ورجلا اخر من الفرس اسمه خرخسره وكتب معهما مكتوبا بأمره بالمسير معهما الى كسرى وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الفرس أو ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على محمد صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما فكره النظر اليهما وقال ويلكما من أمركما بهذا قالا ربنا يعنون الملك فقال لكن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاربي فاعلماه بما قدقاله وقالا ان فعلت كتب باذان فيك الى خسرو وان أبيت يهلكك ويهلك قومك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله الخبر من السماء ان الله قد سلط على خسرو ابنه شيرويه فقتله فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهما بقتل خسرو وقال لهما ان ديني وسلطاني سيبلغ ملك خسرو وينتهي منتهى الخف والحافر وأمرهما أن يقولا لباذان ذلك ويسلم فان أسلم أقره على ما تحت يده وملكه على قومه ثم أعطى خرخسره منطقة ذهب وفضة أهداها له بعض الملوك وخرجا فقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال ما هذا كلام ملك واني لاراه نبيا ولننظرن فان كان ما قال حقا مرسل فهو نبي وان لم يكن فترى فيه رأينا فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل خسرو وأن قتله غضبا للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن محمد صلى الله عليه وسلم فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وحققت السنون الاخيرة من سلطنة خسرو نبأ محمد صلى الله عليه وسلم وحصل تمزيق المملكة كما أنبأ وذلك أن الامبراطور هرقل استيقظ من غفلته ووضع مبادي سني سلطنته بطرد الفرس من البوسفور في سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وفي ظرف ست سنوات طرد خسرو من جميع فتوحاته البرانية وأغار على فارس وأخذ سراياته في مدينة دستجرد ونهبها وحرقها وقبض ابنه البكري شيرويه على ثمانية عشر ولدا من أولاده وهو في وسط المصائب التي حلت به وقتلهم أمام عينيه ورماه هو في سرداب تحت الارض ثم أمر بقتله من بعد مضي خمسة أيام في سنة ٦٢٨ بعد الميلاد

وجلس شيرويه بن أبرويز على تخت المملكة بعد أن حبس أباه في سرداب تحت الارض وقال ابن الاثير في الكامل انه دخل على شيرويه الاشراف والعظماء من أهل مملكته وقالوا له لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما أن تقتل كسرى أبرويز ونحن عبيدك واما أن نخلعك ونطيعه فأرسل له رسولا من

طرفه وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ماترى منها جراءتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك اياه ومنها سوء صنيعك الينا معشر أبنائك فى منعنا من مجالسة الناس ومنها اساءتك الى من خلدت فى السجون ومنها اساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد ومنها معاملة رعيتك بالعنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال فى شدة وعنف من أربابها اوعدد اليه أمورا أخرى فان كان لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره فجاء الرسول الى أبرويز فأدى اليه الرسالة فقال أبرويز قل عنى لشيرويه القصير العمر لو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل أن تنشر عنا مثل هذا العظيم الذى يوجب علينا القتل لما يلزمك فى ذلك من العيوب فانه قضاء أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه وينفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن يملك مع انه قد بلغ من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيتنا ماليس فى شئ منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما الزمتنا من الذنوب لتزداد علما بجهلك فمن جوابنا ان الاشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا مايخوفنا منه فاعتزلنا بابه الى أذربيجان فلما انتهك منا ما انتهك شخصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا فبدأنا بأخذ الثأر ممن قتل أبانا أو اشترك فى دمه وأما ماذكرت فى أبنائنا فانا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ماتحتاجون اليه وأما ماذكرت عمن خلدناه فى السجون فانا لم نحبس الا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكنا نحب الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتأنى بهم ونكل أمرهم الى الله فان أخرجتهم من محبسهم فقد عصيت ربك وأما جمع الاموال وأنواع الجواهر والامتعة بأعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل أنه انما يقيم الملك بعد الله الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذى قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان أسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فأغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا ملكنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا الى نواحى بلادنا جيوشنا فكفوا الاعداء وأغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم بلادهم من أصناف الاموال والامتعة الكثيرة الجد وقد بلغنا أنك هممت بتفريقها فاعلم أن هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك ولما انصرف الرسول الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه اما أن تأمر بقتل أبيك واما أن نطيعه ونخلعك فأمر بقتل أبيه واخوته ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته

ولما جلس شيرويه عقد صلحا مع الامبراطور هرقل وتسلطن ست شهور أو ثمانية وفى ظرف الاربع سنوات التى جاءت عقب موته جلس على تخت مملكة فارس خمس ملوك كان آخرهم يزدجرد بن شهريار ابن أبرويز وكانت حالة هذه الملوك المضاربة بالسيوف أو الخناجر من أجل سلطنة كئيبة الحال متشوش البلبال كل أقليم فيها حتى ان كل مدينة فى غاية الارتباك والقلقلة بشأن الاستقلال وما كان فى المملكة الا نزاع وسفك دماء

وفى سنة ٦٣٢ بعد الميلاد قام يزدجرد الثالث بن شهريار وضم هذه الاحزاب تحت حكمه ومع هذا فانه لم يتم له خلاص السلطنة الفارسية القديمة لان المسلمين دخلوا بلادهم ودهموهم بجيوشهم التى لا تقهر واجتهد يزدجرد فى طردهم وردهم على أعقابهم الى بلادهم فكان على غير طائل من اجتهاده وهزمه العرب فى واقعة كبيرة حصلت فى الفارسية سنة ٦٣٦ بعد الميلاد وفى واقعة أخرى حصلت فى نهاوند سنة ٦٤١ بعد الميلاد وقيل انه هلك من الفرس فى واقعة نهاوند ١٠٠٠٠٠ نفس وكانت هذه الواقعة ختام المملكة وانقضاء نحبها والتزم يزدجرد على أن يجد سلامة نفسه فى الهرب فسار متنقلا من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد فى الاقاليم الشرقية حتى انه فى سنة ٦٥١ بعد الميلاد رأى رجل طحان ماعليه من الملابس الثمينة فقتله وأخذ ما عليه وما معه ورمى جثته فى النهر وبموته انقرضت السلسلة الساسانية والديانة المجوسية

ولما تغلب المسلمون على المملكة الفارسية من بعد واقعة نهاوند شرعوا فى استئصال المجوس فقتلوا كل من كان داخلا فى هذا الدين القديم من دون استبقاء أحد منهم ولا رحمة بهم ماعدا القليل منهم فانهم جازفوا وتجاسروا فى بقائهم على دين آبائهم وما حصل من الفرس أدنى مقاومة بعد واقعة نهاوند لاهل بلاد العرب أهل القوة والحماس وتغلبوا على المملكة من الفرات الى نهر جيحون ودمروا كل ما كان نافعا فيها من الاشياء المقدسة وغيرها التى كانت موجودة فى المملكة وكانت تقدمات المسلمين فى فتوحاتهم فارس على غاية العجلة المستغربة وأينع قبائل الصحارى المحرقة فى الجهة الجنوبية من آسيا فى البلاد الباردة لخراسان وبلخ ونبتوا فى الاراضى التى انغرسوا فيها وانتشروا حولها وأتم العرب خضوع المملكة الفارسية واستمرت اقليما من مملكة الخلفاء نحوا من مائتى سنة أو قرنين وفى ظرف هذه المدة اعتنق الامة الفارسية الديانة الاسلامية وبما أنهم اختاروا ديانة هؤلاء الفاتحين كانوا بالطبع راضين بأحكامهم الأن الامم صاروا لا طاقة لهم بعد على مداومتهم على هذا الرق والاستعباد ومن كثرة شدة توالى الحروب والذبح والقتل من حصول الثورات والخروج من الطاعة هبطت الامة عن طلب حقوقها الا أن الرؤساء أعيدت لهم شوكتهم شيأ فشيأ ولما انحطت حمية الغيرة الدينية وانقرض احترام الخلفاء حصل النفور أولا ثم بعده العصيان ثم امتدت الايدى الى قضيب الخلافة وبما أنه صار لا طاقة للخلفاء على المحافظة على هذا القضيب صار جائزة لاول مجازف وخاطر فى القبض عليه مع الشجاعة والبسالة

مبادى دولة يعقوب ابن الليث الصفار أول ملوك فارس

وفى سنة ٨٦٨ بعد الميلاد الموافقة لسنة ٢٥٣ من الهجرة قام يعقوب بن الليث الصفار ورفع بيرق العصيان على الخلفاء وشرع فى استقلال مملكة فارس وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر المركب من القصدير والنحاس بسجستان ويظهران الزهد والتقشف وكان فى أيامهما رجل من سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظى عنده ثم هلك وقام مقامه انسان آخر اسمه درهم فانضم يعقوب الى درهم ولما عظم شأن درهم وكثرت أتباعه احتال عليه صاحب خراسان حتى ظفر به وأرسله الى بغداد فحبسه بها وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولى أمر المتطوعة مكانه وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم وأطاعه أصحابه بمكره وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر أنه أمره بقتال

الشراة وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وكثرت أتباعه ثم سار من سجستان الى هراة من أعمال خراسان وتغلب عليها وعلى بوشنج وعظم أمره وهابه أمير خراسان وغيره من أمراء الاطراف ثم ساق جيشه على اقليم كرمان وتغلب عليه وأسر عامله طوق بن المغلس وكان صار ارساله من طرف على بن الحسين بن شبل عامل فارس بعد مدافعة قليلة ثم ساق الى فارس وجرى بينه وبين عاملها على بن الحسين ابن شبل حروب كانت نتيجتها هزيمة عامل فارس ودخل يعقوب شيراز وطاف بالمدينة ونادى بالامان وكان على بن الحسين جرح فى الحرب ثلاث جراحات وأخذ أسيرا وكان القتلى فى الحرب خمسة آلاف قتيل واطمأن الناس فى المدينة وعذب الصفار على بن الحسين بأنواع العذاب وأخذ جميع أمواله وسلاحه وخيله وكتب الى الخليفة بطاعته اسميا لارسميا وأهدى له هدية جليلة منها عشر بازات بيض وباز أبلق صينى ومائة من مسك وغيرها من الطرائف وعاد الى سجستان ومعه على وطوق ولما فارس بلاد فارس أرسل الخليفة عماله اليها

وفى سنة ٢٥٧ من الهجرة سار يعقوب بن الليث الى فارس فأرسل اليه المعتمد ينكر ذلك عليه فلما أتى رسول الخليفة كان يعقوب أصابته حمى شديدة ألزمته الفراش فقال للرسول وهو يتألم من أثر الحمى قل للخليفة انى أنا مديون لسيفى هذا بشأن الاراضى التى أحسنها الى من كرمه فان عشت فالسيف حكم بيننا وان مت تخلص من أفكاره بسببى وان كنت تنتصر فالانسان الذى يقدر على عيشة وحياة بالعيش الاسود والبصل لايخشى عواقب الحرب وماتؤول اليه حالته بعد ثم كتب اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند فقبل ذلك وعاد وسار الى بلخ وطخارستان فلما وصل الى بلخ نزل بظاهرها وخرب نوشاد ثم سار من بلخ الى كابل واستولى عليها وسار الى بست فأقام بها سنة ثم عاد الى سجستان ورجع الى هراة وحاصر مدينة كروخ حتى أخذها وسار الى بوشنج وقبض على الحسين ابن طاهر عاملها ثم سار الى نيسابور وتغلب عليها فى سنة ٢٥٩ من الهجرة واستولى على كافة خراسان ورتب فيها عماله ونوابه وفى سنة ٢٦٠ من الهجرة واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد العلوى فى طبرستان فهزمه ودخل طبرستان وهرب الحسن نحو السر وأرض الديلم ودخل يعقوب سارية وآمل وجبى من أهلها اخراج سنة وعاد الى سجستان ثم جدد طمعه فى ملك بلاد فارس فأغار عليها وسلبها من ابن واصل ورتب بها أصحابه وأصلح أحوالها وحدثت نفسه بالاستيلاء على الاهواز وغيرها

وفى سنة ٢٦٢ من الهجرة سار يعقوب بن الليث من فارس الى الاهواز فلما بلغ المعتمد سار بعساكره لمقابلة يعقوب وكان قائد جيشه الموفق ولما تقابل الجيشان تحاربا حربا شديدا وثبتت عساكر يعقوب وهزموا ميمنة الموفق وقتلوا جماعة من قوادها ثم تراجع المنهزمون وكشف أبو أحمد الموفق رأسه وقال أنا الغلام الهاشمى واشتد الحرب وحملوا حملة منكرة وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم فى حلقه ويديه واستمر الحرب الى قريب العصر وقد ظهر من أصحاب يعقوب كراهة القتال معه اذ رأوا الخليفة يقاتله فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب فى خاصة أصحابه حتى فارقوا ميدان الحرب وتبعهم أصحاب الموفق فغنموا ما فى معسكرهم وكان فيه من الدواب والبغال ماينوف عن عشرة آلاف ومن الاموال مايكل عن حمله ومن أجربة المسك أمر عظيم وسار يعقوب من الهزيمة الى خوزستان فنزل جنديسابور وراسله العلوى البصرى يحثه على

الرجوع الى بغداد و بعده المساعدة فقال الكاتبه اكتب اليه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر السورة وسير الكتاب اليه وكتب المعتمد الى ابن واصل بتولية فارس وكان قد سار اليها وجمع جماعة فغلب فسير اليه يعقوب عسكراً عظيماً تحت قيادة ابن عزيز بن السرى فغلب على فارس وطردمنها ابن واصل

وفي سنة ٢٦٥ من الهجرة الموافقة ٨٧٧ بعد الميلاد مات يعقوب بن الليث الصفار بجنديسابور من كور الاهواز وكانت علته القولنج فأمره الاطباء بالاحتقان بالدواء فلم يفعل واختار الموت وكان المعتمد قد أنفذ اليه رسولا وكتاباً يستميله ويترضاه ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض راقد في فراشه فجلس له وجعل عنده سيفاً ورغيفاً من الخبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدى الرسالة فقال له قل للخليفة انني عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت مني وان عوفيت فليس بيني وبينك الا هذا السيف حتى اخذ بثاري أو تكسرني وتعقرني وأعود الى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات وقام بالامر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأشهد بذلك وسيره اليه مع الخلع

وفي سنة ٢٧١ بعد الهجرة أدخل المعتمد اليه حاج خراسان وأعلمهم بانه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلده ولعنه بحضرتهم وأخبرهم أنه قد قلد خراسان محمد بن طاهر وأمر أيضاً بلعن عمرو على المنابر فلعن فسار صاعد بن مخلد الى فارس لحرب عمرو فاستخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خراسان فلم يغير السامانية عما وراء النهر وحصلت الواقعة بين عسكر الخليفة و بين عمرو بن الليث ودامت الحرب من أوّل النهار الى الظهر فانهزم عمرو وعساكره وكانوا ١٥٠٠٠ نفس بين فارس وراجل وغنموا من معسكر عمرو من الدواب والبقر والحمير الاثنين ألف رأس وماسوى ذلك خارج عن الحد

وفي سنة ٢٧٤ من الهجرة سار الموفق الى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار فبلغ الخبر الى عمرو فسير جيشه تحت قيادة العباس بن اسحاق وأرسل ابنه الى أرجان وأرسل أبا طلحة على مقدمته فاستأمن أبو طلحة الى الموفق وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصده الموفق وعاد الى كرمان ومنها الى سجستان على الصحراء ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان وسجستان من عمرو فعاد عنه وفي سنة ٢٨٧ من الهجرة أسر عمرو بن الليث الصفار وكان أرسل الى المعتضد برأس رافع بن هرثمة وطلب منه أن يوليه ماوراء النهر فوجه اليه الخلع واللواء الذلك وهو بنيسابور ووجهه لمحاربة اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ماوراء النهر محمد بن بشير وكان خليفته وحاجبه في رأس جيش فعبر اليهم اسماعيل جيحون وحاربهم فهزمهم وقتل محمد بن بشير في نحو ستة آلاف رجل وبلغ المنهزمون الى عمرو وهو بنيسابور وعاد اسماعيل الى بخارا فتجهز عمرو للاقاة اسماعيل وسار من نيسابور نحو بلخ فسار اسماعيل نحوه وعبر النهر الى الجانب الغربي وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ اسماعيل عليه الجهات لكثرة جمعه وصار عمرو كالمحاصر وندم على ما فعل ثم حصلت الواقعة وكانت نتيجتها هزيمة عمرو فولى هارباً ومر باجمة في طريقه فقيل له انها أقرب الطرق فدخل فيها فضلت دابته فتركه أصحابه وجاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيراً فسيره اسماعيل الى سمرقند ثم خيره اسماعيل بين مقامه عنده أو انفاذه الى المعتضد فاختار المقام عند المعتضد فوصل الى بغداد موثقاً في الحديد سنة ٢٨٨ من الهجرة فلما وصل أركب على جمل

وأدخل بغداد وحبس فيها وفي سنة ٢٨٩ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٠١ بعد الميلاد أمر الخليفة المعتضد بقتل عمرو بن الليث الصفار وقيل انه حالما أخذ أسيرا كان قاعدا في ميدان الواقعة وعليه الخفر اللازم من طرف اسماعيل فاحضر اليه أحد عساكره لقمة طعام خشنة سمك مصلوق في قدر صغيرة فجاء كلب على غاية من الجوع واللهث ووضع رأسه في القدر ولما لم يقدر أن يخرجها من القدر أخذها في رأسه بما فيها وجرى فضحك عمرو بن الليث ضحكا عاليا من فعل الكلب فقال له أحد الخفر الواقفين عليه أي شيء على الارض حث رجلا واقعا في موقعك هذا على الضحك فقال له عمرو أنظر في مثل هذا اليوم اشتكى أمين بيتي وتضرر من أن ٣٠٠ جمل ليست كافية لجهاز مطبخي والان هذا الكلب أخذ جميع جهاز المطبخ وجرى فأي شيء هذا حال الدنيا

وبموت عمرو زالت سعادة بيت الصفار ولو أن اثنين من هذا البيت كانا مستمرين في السلطنة الا أن سلطنتهم كانت مرتجة مضطربة وانقسمت مملكة فارس في مدة القرن العاشر من التاريخ المسيحي بين عائلتين هما عائلة الساماني وعائلة الديلمي فأما العائلة السامانية وكانت متسلطنة فيما وراء النهر وخراسان وبلخ وسيستان وأما عائلة الديلمي وان كانوا عادين أنفسهم عبيدا للخليفة الا أنهم كانوا سلاطين في أنفسهم ولهم شوكة كبيرة وقوة عظيمة في القسم الاعظم من العراق وفارس وكرمان وخوزستان ولارستان

مطلب العائلة السامانية

وكان أول العائلة السامانية نصر بن أحمد الساماني وذلك أن الخليفة المعتمد استعمل نصر بن أحمد سنة ٢٦١ من الهجرة على ما وراء النهر وكان جده سامان منسوبا الى بهرام جوبين ولما ولي المأمون خراسان واصطنع أولاد أسد بن سامان وهم نوح وأحمد ويحيى والياس قربهم المأمون ورفع درجاتهم واستعملهم ورعى حق سلفهم فلما رجع المأمون الى العراق استخلف على خراسان غسان بن عباد فولى غسان نوح بن أسد سنة ٢٠٤ من الهجرة سمرقند وأحمد بن أسد فرغانة ويحيى بن أسد الشاش وأشرونه والياس بن أسد هراة ثم توفي نوح بن أحمد فتولى عمله أخواه يحيى وأحمد ولما مات الياس بهراة تولى ابنه أبو اسحق محمد بن الياس عمله وأقام بهراة وكان لاحمد بن أسد سبعة بنين وهم نصر وأبو يوسف يعقوب وأبو زكريا يحيى وأبو الاشعث أسد واسماعيل واسحاق وأبو غانم حميد ولما توفي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند وما وراءها وكان اسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا فولاه نصر بخارا سنة ٢٦١ من الهجرة وكان سبب استعماله اسماعيل أنه لما استولى يعقوب بن الليث على خراسان أنفذ نصر جيشا الى شط جيحون ليأمن عبور يعقوب واستعمل اسماعيل على بخارا ولما تولى رافع بن هرثمة على خراسان تعاقد معه اسماعيل على التعاون والتعاضد فطلب منه اسماعيل أعمال خوارزم فولاه اياها ثم سعت السعاة بين نصر وأخيه اسماعيل فأفسدوا ما بينهما وصارا على شرف الحرب ثم اصطلحا ثم عادت السعاة فأفسدوا ما بينهما ثانية حتى تحاربا سنة ٢٧٥ من الهجرة وظفر اسماعيل بأخيه نصر فلما حمل اليه ترجل له اسماعيل وقبل يديه ورده من موضعه الى سمرقند وتصرف على النيابة عنه ببخارا هكذا ذكر ابن الاثير في الكامل

وفي سنة ٢٧٩ بعد الهجرة مات نصر بن أحمد الساماني وقام بما كان اليه من العمل بما وراء النهر أخوه اسماعيل بن أحمد وكان نصر ديناعاقلا له شعر حسن منه ما قاله في رافع بن هرثمة

أخوك فيك على خبر ومعرفة ❊ ان الذليل ذليل حيثما كانا

لولا زمان خؤن فى تصرفه * ودولة ظلمت ما كنت انسانا

وكان هرثمة بن رافع عامل خراسان وقد تقدم ذكر تغلب اسماعيل على خراسان وأسره عمرو بن الليث الصفار

وفى سنة ٢٩٥ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٠٧ بعد الميلاد توفى اسماعيل بن أحمد أمير خراسان وماوراء النهر بخارا بعد أن بلغ من العمر ستين سنة وولى بعده ابنه أبو نصر أحمد وأرسل اليه المكتفى عهده بالولاية وعقد لواءه بيده وكان اسماعيل عاقلا حسن السيرة فى رعيته حليما حكى عنه انه كان لأحمد مؤدب يؤدبه فربه الامير اسماعيل يوما والمؤدب لا يعلم به فسمعه وهو يسب ابنه ويقول له لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك فدخل اليه وقال له يا هذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا فهل ترى أن تعفينا من سبك وتخص المذنب بشتمك وذمك فارتاع المؤدب فخرج اسماعيل عنه وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه ولما ولى بعد أخيه كان يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم أولا فقيل له فى ذلك فقال يجب علينا اذا زادنا الله رفعة أن لا ننقص أخواننا بل نزيدهم رفعة وعلا وجاها ليزيدوا لنا اخلاصا وشكرا

ولما ولى بعده ابنه أبو نصر أحمد واستوثق أمره أراد الخروج الى الرى فأشار عليه ابراهيم بن زيدويه بالخروج الى سمرقند والقبض على عمه اسحق بن أحمد لئلا يخرج عليه ويشغله ففعل ذلك واستدعى عمه الى بخارا فحضر فاعتقله بها ثم عبر الى خراسان وتوجه الى نيسابور وفى سنة ٢٩٨ من الهجرة استولى أبو نصر أحمد بن اسماعيل السامانى على سجستان وكان بها صاحبها المعدل بن الليث بن الصفار فأخذه أسيرا وكان أخو المعدل محمد بن على بن الليث فى نواحى بست والرخج بعساكر ليحفظها فأرسل اليه أحمد بن اسماعيل جيشا فقهره وأخذه أسيرا ولما تغلب السامانية على سجستان بلغهم خبر مسير سبكرى فى الصحراء من فارس الى سجستان فسيروا اليه جيشا فلقوه هو وعسكره وقد أهلكهم التعب فأخذوه أسيرا واستولوا على عسكره وأرسل الامير أحمد سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى بغداد وأدخلا فيها مشهورين على فيلين وأعاد المقتدر رسل أحمد صاحب خراسان ومعهم الهدايا والخلع

ثم عصت سجستان على الامير أحمد وخالف من بها وذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلى كان خارجى المذهب وكان قد أقام ببخارا وهو من أهل سجستان وكان شيخا كبيرا فجاء يوما الى الحسين ابن على بن العارض أمير بخارا من طرف أحمد السامانى يطلب رزقه فقال له على ان الاصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطا يعبد الله فيه حتى يوافيه أجله فغاظه ذلك فانصرف الى سجستان والوالى عليها منصور بن اسحق فاستمال جماعة من الخوارج ودعا الى الصفار وبايع فى السر لعمرو بن يعقوب بن محمد ابن عمرو بن الليث وكان رئيسهم محمد بن العباس المعروف بابن الحفار وكان شديد الحيل والقوة فخرجوا وقبضوا على منصور بن اسحق أميرهم ورموه فى السجن وخطبوا لعمرو بن يعقوب وسلموا اليه سجستان فلما وصل الخبر الى الامير أحمد بن اسمعيل سير الجيوش تحت قيادة الحسين بن على مرة ثانية الى زرنج فى سنة ٣٠٠ من الهجرة فحصرها تسعة أشهر فصعد يوما محمد بن هرمز الصندلى الى السور وقال ما حاجتكم الى أذى شيخ لا يصلح الا للزوم رباط يذكرهم بما قال العارض ببخارا واتفق موت الصندلى فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار الى الحسين بن على وأطلقوا منصور بن اسحق ولما بلغ الامير أحمد فتح سجستان استعمل عليها سيمجور الدواتى وأمر الحسين بن على بالرجوع اليه فرجع

ومعه عمرو بن يعقوب وابن الحفار وغيرهما
وفى سنة ٣٠١ من الهجرة مات الامير أحمد مقتولا على سريره فى عسكره فحمل الى بخارا ودفن بها وطلب الذين قتلوه فقتلوا عن آخرهم وولى بعده نصر بن أحمد وكان عمره ثمان سنين وكانت ولاية أحمد ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما ولقب نصر بالسعيد وبايعه أصحاب أبيه ببخارا وتولى أمور دولته وتدبيرها أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى فأمضى الامور وضبط المملكة ومع هذا فان أصحاب الاطراف طمعوا فى البلاد فخرجوا من النواحى وممن خرج عن طاعته أهل سجستان وعم أبيه اسحق ابن أحمد بن أسد بسمرقند وخرج عليه الكثير وكان السعيد مظفرا منه وراعليهم وفى سنة ٣١٠ من الهجرة خرج الياس بن اسحق وكان خرج مع أبيه فى السابق وانهزم هو وأبوه فأما الياس فانه كان انهزم الى فرغانة وأقام بها الى أن خرج ثانيا وهى هذه المرة وجمع من الترك ثلاثين ألف عنان وقصد سمرقند مشاقا للسعيد نصر فسير اليه السعيد ألفين وخمسمائة مقاتل تحت قيادة محمد بن أسد فكمنوا خارج سمرقند يوم ورود الياس فلما وردها واشتغل هو ومن معه بالنزول خرج الكمين عليه من بين الشجر ووضع السيوف فيهم فانهزم الياس وأصحابه الى فرغانة وخرج مرة ثالثة ورابعة فانهزم وتوجه الى كاشغر فكاتبه محمد بن المظفر واستماله والطف به فأمن الياس اليه وحضر الى بخارا فأكرمه السعيد وصاهره وقام معه وفى سنة ٣١٤ من الهجرة استولى السامانية على الرى وأقام بها السعيد شهرين وولى عليها من طرفه سيمجور الدواتى وعاد منها وما زال مظفرا فى دولته منصورا على أعدائه حتى توفى سنة ٣٣١ من الهجرة بعد أن مرض ثلاثة عشر شهرا ولم يكن بقى من مشايخ دولتهم أحد فانهم كانوا قد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم ومات بعضهم وكان مرضه السل ولما مات دفن عند والده وكان حليما كريما عاقلا فمن حلمه أن بعض الخدم سرق جوهرا نفيسا وباعه على بعض التجار بثلاثة عشر ألف درهم فحضر التاجر عند السعيد وأعلمه أنه قد اشترى جوهرا نفيسا لا يصلح الا للسلطان وأحضر الجوهر عنده فحين راه عرفه انه كان له وقد سرق فسأله عن ثمنه ومن أين اشتراه فذكر له الخادم والثمن فأمر فأحضر ثمنه فى الحال وأربحه ألفى درهم زيادة ثم ان التاجر سأله فى دم الخادم فقال لا بد من تأديبه وأما دمه فهو لك فأحضره وأدبه ثم أنفذه الى التاجر وقال كنا قد وهبنالك دمه فقد أنفذناه اليك وله فوادر وحكايات ملوكية عجيبة

وتولى نوح بن نصر بعد أبيه خراسان وماوراء النهر وبايعه الناس وحلفوا له ولقب بالامير الحميد وفوّض أمره وتدبير مملكته الى أبى الفضل محمد بن أحمد الحاكم وفى سنة ٣٣٢ من الهجرة خالف عبد الله ابن اشكام على الامير نوح وتحصن بخوارزم فسار نوح من بخارا الى مرو وسير اليه جيشا تحت قيادة ابراهيم بن بارس فمات هذا القائد فى الطريق وكاتب ابن اشكام ملك الترك وراسله واحتمى به وكان لملك الترك ولد فى يد نوح محبوس ببخارا فراسل نوح أباه فى اطلاقه ليقبض على ابن اشكام فأجابه ملك الترك الى ذلك فلما علم ابن اشكام الحال عاد الى طاعة نوح وفارق خوارزم فأحسن اليه نوح وعفا عنه وأكرمه

ولما استقر الامير نوح فى ولايته بماوراء النهر وخراسان أمر أبا على بن محتاج وكان عاملا على نيسابور أن يسير فى عساكر خراسان الى الرى ويستنقذها من يد ركن الدولة بن بويه (وسنذكر بعد السامانية دولة بنى بويه) فسار فى جمع كثير فلقيه وشمكير بخراسان وهو مقصد الامير نوح فسيره اليه وكان نوح

حينئذ بمرو فلما قدم عليه أكرمه وأنزله وبالغ فى اكرامه والاحسان اليه وأما أبو على فانه سار نحو الرى فلما نزل ببسطام خالف عليه بعض من معه وعادوا عنه مع منصور بن قراتكين وهو من أكابر أصحاب نوح وخواصه وساروا الى جرجان فصدوا عنها فانصرفوا الى نيسابور وساق أبو على نحو الرى فخرج اليه ركن الدولة فانهزم أبو على وعاد الى نيسابور وغنموا بعض أثقاله

ولما عاد أبو على الى نيسابور راقبه وشمكير وقد سيره الامير نوح فى رأس جيش وأرسل الى أبى على يأمره بمساعدة وشمكير فوجه فيمن معه الى جرجان وبها الحسن بن الفيرزان فالتقوا واقتتلوا فانهزم الحسن وتغلب وشمكير على جرجان ثم سار أبو على من نيسابور الى مرو وبها الامير نوح فاجتمع به فأعاده الى نيسابور وأمره بقصد الرى وأمده بجيش كثير فعاد الى نيسابور وسار منها الى الرى واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل وأنفذ نوابه الى الاعمال ثم ان الامير نوحا سار من مرو الى نيسابور فأقام بها خمسين يوما فوضع أعداء أبى على جماعة من الغوغاء والاوباش فاجتمعوا واستغاثوا عليه وشكوا سوء سيرته وسيرة نوابه فاستعمل الامير نوح على نيسابور ابراهيم بن سيمجور وعاد عنها الى بخارا فاستوحش أبو على لذلك فانه كان يعتقد أن يحسن اليه بسبب فتح الرى فلما عزل شق ذلك عليه ووجه أخاه الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور وغيرهما واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد من تلك الناحية وأنفذوا اليه رهائنهم

وفى سنة ٣٣٤ من الهجرة خالف أبو على على الامير نوح وحرض الناس على القيام معه وكان بهمذان واتفق أبو على مع من انضم اليه من الجند على مكاتبة ابراهيم بن أحمد بن اسمعيل عم نوح واستقدامه اليهم ومبايعته وتمليكه البلاد وكان ابراهيم هذا بالموصل فى خدمة ناصر الدولة فسار اليهم فى تسعين فارسا ولما بلغ الخبر نوحا تجهز وسار من بخارا الى مرو وساق فى البلاد حتى أصلحها وعاد الى بخارا وولى جيوش خراسان منصور بن قراتكين وأقام أبو على بالصغانيان وبلغه أن الامير نوحا قد عزم على تسيير عسكر اليه فجمع أبو على الجيوش وخرج الى بلخ وأقام بها وأتاه رسول الامير نوح فى الصلح فأجاب اليه فأبى عليه جماعة ممن معه من قواد نوح الذين انتقلوا اليه وقالوا نحب أن تردنا الى منازلنا ثم صالح فخرج أبو على نحو بخارا فخرج عليه الامير نوح فى عساكره فانهزم عسكر أبى على وتفرقوا عنه ورجع الى الصغانيان ثم بلغه ان الامير نوحا قد أمر العساكر بالمسير اليه من بخارا وبلخ وغيرهما وسار أبو على فى جيشه الى ترمذ وعبر جيحون وسار الى بلخ فنازلها واستولى عليها وعلى طخارستان وجبى مال تلك النواحى وسار من بخارا عسكر جرار الى الصغانيان فأقاموا بنسف ومعهم الفضل بن محمد أخو أبى على وكان قد نفر من أخيه وسار الى الامير نوح فأكرمه وأغدق عليه فكتب جماعة من قواد العسكر الى الامير نوح بأن الفضل قد اتهموه بالميل الى أخيه فأمرهم بالقبض عليه فقبضوا عليه وسيروه الى بخارا ووقع بين عسكر أبى على وعساكر الامير نوح حروب كبيرة ودخل عسكر نوح الى الصغانيان وحرقوا قصور أبى على ومساكنه وآل أمر هذه الحروب أخيرا الى الصلح وأرسل أبو على ابنه أبا المظفر عبد الله رهينة الى الامير نوح واستقر الصلح بينهما فى سنة ٣٣٧ بعد الهجرة وزال الخلف من بينهما وفى أثناء هذا الخلاف رجع ركن الدولة الى الرى واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل وطرد منها الخراسانية ثم سار عساكر خراسان الى جرجان وتغلبوا عليها وكانوا تحت قيادة منصور بن قراتكين ووشمكير وكان بها الحسن بن الفيرزان فجلا منها وبقى بها وشمكير وفى سنة ٣٣٩ من الهجرة سار منصور بن

قراتكين من نيسابور الى الرى بأمر الامير نوح فوصل اليها واستولى عليها وفرق العساكر فى البلاد وأزالوا
عنها نواب ركن الدولة واستولوا على همذان وغيرها فبلغ الخبر ركن الدولة وهو بفارس فكتب الى أخيه
معز الدولة يأمره بانفاذ عسكر يدفع تلك العساكر عن النواحى المجاورة للعراق فسير سبكتكين
الحاجب فى عسكر ضخم من الاتراك والديلم والعرب فلما سار سبكتكين عن بغداد خلف أثقاله وسار
فى جريدة الى من بقى من الخراسانيين فكبسهم وهم غارّون فقتل فيهم وأسر مقدمهم واسمه بجكم
الخمارتكينى وأنفذه مع الاسرى الى معز الدولة فحبسه مدة فى بغداد ثم أطلقه ولما بلغ الخراسانية ذلك
اجتمعوا فى همذان فسار نحوهم سبكتكين ففارقوا همذان ولم يحاربوه ودخل سبكتكين همذان
وأقام بها حتى ورد عليه ركن الدولة وظفر ركن الدولة بالخراسانية ورد منصور بن قراتكين وعساكره
الى بلاده وفى سنة ٣٤٠ بعد الهجرة مات منصور بن قراتكين قائد الجيوش الخراسانية ولما مات
رجعت العساكر الخراسانية الى نيسابور وقال العراقيون انه أدمن الشرب عدة أيام بلياليها فمات فجأة
وقال الخراسانيون انه مرض ومات وحمل تابوته ودفن الى جانب والده فى مدينة اسبيجاب وأعيد أبو على
ابن محتاج الى قيادة الجيوش بخراسان وأمر بالعود الى نيسابور ولما حصل من الحروب بين ركن الدولة
ووشمكير فى جهات الرىّ مضايقة وكتب وشمكير الى الامير نوح يستمده كتب نوح الى أبى على بن
محتاج يأمره بالمسير فى جيوش خراسان الى الرىّ لمحاربة ركن الدولة فسار أبو على فى جيوش كثيرة
واجتمع معه وشمكير فسارا الى الرىّ وبلغ الخبر ركن الدولة فحارب الخراسانيين وأقام عليه أبو على
عدة شهور يحاربه فلم يظفر به وهلكت دواب الخراسانيين وأتاهم الشتاء وملوا فالتزم أبو على الى الصلح
فتراسلا فى ذلك وتصالحا وتقرر على ركن الدولة كل سنة مائتا ألف دينار وعاد أبو على الى خراسان
وكتب وشمكير الى الامير نوح ان أبا على لم يصدق فى الحرب وانه مال لركن الدولة فاغتاظ نوح من أبى على
ولما ترك أبو على ركن الدولة سار الى وشمكير وهزمه واستولى على طبرستان وكتب نوح الى أبى على بعزله
عن خراسان وكتب الى القواد يعرفهم أنه قد عزله عنهم واستعمل على الجيوش بعده أبا سعيد بكر بن مالك
الفرغانى فأرسل أبو على يعتذر وراسل جماعة من أعيان نيسابور يقيمون عذره ويسألون أن لا يعزل
عنهم فلم يجابوا فأظهر أبو على الخلاف وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح الى وشمكير والحسن بن
فيرزان يأمرهما بالصلح وأن يتساعدا على من يخالف الدولة فلما علم أبو على باتفاق الناس مع نوح كاتب
ركن الدولة فى المسير اليه لانه علم أنه لا يمكنه المقام بخراسان ولا يقدر على العود الى الصغانيان فاذن له
ركن الدولة بالقدوم اليه فسار أبو على الى الرى وأكرمه ركن الدولة وأقام له ولمن معه الضيافات وطلب
أبو على أن يكتب له عهدا من جهة الخليفة بولاية خراسان فأرسل ركن الدولة الى معز الدولة فسيرله
عهدا بما طلب وسيرله نجدة من عسكره فسار أبو على الى خراسان واستولى على نيسابور وخطب للطيع
بها وبما استولى عليه من خراسان

وفى سنة ٣٤٣ من الهجرة مات الامير نوح بن نصر السامانى وكان حسن السيرة كريم الاخلاق
ولما توفى ملك بعده ابنه عبد الملك وكان قد استعمل بكر بن مالك على جيوش خراسان فقام بكر بأمر عبد
الملك بن نوح وقرر أمره ولما استقر حاله وثبت ملكه أمر بكرا بالمسير الى خراسان وأمره باخراج أبى
على منها فسار فى العساكر نحو أبى على فتفرق عن أبى على أصحابه وعسكره ولم يبق معه الا القليل فاضطر
الى الهرب وسار نحو ركن الدولة فانزله معه فى الرى واستولى بكر على خراسان فأقام بنيسابور وتتبع

أصحاب أبي علي وفي سنة ٣٥٠ من الهجرة سقط الفرس تحت الامير عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فوقع الى الارض فمات من سقطته وولي بعده أخوه منصور بن نوح وفي سنة ٣٦١ من الهجرة تم الصلح بين الامير منصور بن نوح الساماني وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة على أن يحمل ركن الدولة وعضد الدولة اليه كل سنة ١٥٠٠٠٠ دينار وتزوج نوح بابنة عضد الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لم يحمله مثله وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وفي سنة ٣٦٦ من الهجرة مات الامير منصور وكان موته بخارا بعد أن تسلطن خمس عشرة سنة وولي الامر بعده ابنه أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولي ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور واستوزر أبا الحسين العتبي فقام في حفظ الدولة القيام المرضي وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع الا فيما يريد فعزله أبو الحسين العتبي عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش وسيره من بخارا الى نيسابور فاستقر بها ودبر خراسان ونظر في أمورها وأطاعه جندها ثم ان ابن سيمجور وضع جماعة من المماليك على قتل أبي الحسين العتبي فقتلوه فكتب نوح الى حسام الدولة يستدعيه الى بخارا ليدبر دولته ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسين فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين وقد حصل للامير نوح مضايقة شديدة من أمرائه فاستغاث بمساعدة سبكتكين فأرسل ابنه في رأس جيش لمساعدته وبواسطة هذه المساعدة تشتت حال العصاة ونال محمود مكافأة له حكومة خراسان فهذه كانت مبادي محمود الاكبر الغزنوي في فارس ومبادي مملكته التي امتدت في بضع سنين من بغداد الى كاشغر ومن جورجستان الى بنغاله بارض الهند الا أنه قبل الدخول في هذه الفتوحات نتمم ذكر الدولة السامانية ثم نتبعها بالعائلة الديلمية التي غرقت تحت أمواج بحور محمود الغزنوي

وفي سنة ٣٨٧ مات الامير نوح وبموته اختل ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفا زائدا وطمع فيهم أصحاب الاطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ولما مات قام بالملك بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح وبايعه الامراء والقواد وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون ثم بعد قليل صار القبض عليه وملك أخوه عبد الملك وكان هذا آخر سلاطين آل سامان وتغلب على ممالكهم محمود بن سبكتكين كما سنذكره في مدته فيما سيأتي بعد ذكر العائلة الديلمية

قد ذكرنا فيما سلف أن مملكة فارس بعد موت عمرو بن الليث الصفار انقسمت بين عائلتين وهما العائلة السامانية وتقدم ذكرها والعائلة الديلمية وكانوا في القسم الاعظم من العراق وفارس وكرمان وخوزستان ولورستان وهذه العائلة الديلمية هي عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد رجل صياد سمك اسمه أبو شجاع بويه من ديلم من أعمال مازندران نسبه الامير أبو نصر بن ماكولا رحمه الله الى سابور ذي الاكتاف ونسبه ابن مسكويه فقال انه من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس ونسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم بها

مطلب
(العائلة الديلمية)
دولة بني بويه

وكان ابتداء أمر هؤلاء على ما هو مذكور في الكامل لابن الاثير أن والدهم أبا شجاع بويه كان صياد سمك وكان متوسط الحال فماتت زوجته وخلفت له ثلاث بنين المتقدم ذكرهم فلما ماتت اشتد حزنه عليها فحكى شهريار بن رستم الديلمي قال كنت صديقا لابي شجاع بويه فدخلت اليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وربما مات أحدهم

فهددلك من الاحزان ما نسيك المرأة وسليته بجهدي وأخذته ففرحته وأدخلته ومعه أولاده الى منزلي ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما هم كذلك اذا اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه انه منجم ومعزم ومعبر للمنامات ويكتب الرقى والطلسمات فأحضره أبو شجاع وقال له رأيت في منامي كأني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم ولا أفسره الا بخلعة وفرس ومركب فقال أبو شجاع والله ما أملك الا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عريان قال المنجم فعشرة دنانير قال والله ما أملك دينارا فكيف بعشرة فأعطاه شيأ فقال المنجم اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع أما تستحي تسخر منا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال المنجم أخبرني بوقت ميلادهم فأخبره فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لاولاده اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ثم أمسكوا عنه ثم قال لهم اذكروا لي هذا اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم ثم خرج من بلاد الديلم جماعة ليملكوا البلاد منهم ماكان بن كالي وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويج بن زياد وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ماكان بن كالي ومن بعد أن تغلب ماكان على طبرستان وجرجان وعاد الى نيسابور مهزوما فلما رأى أولاد بويه ضعفه وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة نحن في جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق والاصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فاذا اصلح أمرك عدنا اليك فأذن لهما فسارا الى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهما فلما صاروا اليه قبلهم أحسن قبول وخلع على بني بويه وأكرمهم وقلد كل واحد من قواد ماكان الواصلين اليه ناحية من نواحي الجبل من جهات طبرستان وجرجان فأما علي بن بويه فانه قلده كرج وأخذ علي بن بويه في درجة الارتقاء والرفعة من بين القواد وكان سمحا حليما شجاعا فلما قلده مرداويج كرج وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الاعمال وكتب لهم العهود ساروا الى الري وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد وكان العميد يومئذ وزير مرداويج وكان مع عماد الدولة بغلة شهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مائتي دينار فعرضت على العميد فأخذها وأنفذ ثمنها فلما حمل الثمن الى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير ورد الباقي وجعل معه هدية جليلة ثم ان مرداويج ندم على ما فعل من تولية أولئك القواد البلاد فكتب الى أخيه وشمكير والى العميد يأمرهما بمنعهم من المسير الى أعمالهم وان كان بعضهم قد خرج يرد وكانت الكتب تصل الى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ الى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته الى عمله ويطوي المنازل فسار من وقته وكان ذلك وقت المغرب فلما أصبح العميد عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الري واستعاد التوقيعات التي معهم بالبلاد وأراد وشمكير أن ينفذ خلف عماد الدولة من يرده فقال العميد انه

لايرجع طوعا وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا فتركه وسار عماد الدولة الى كرج وأحسن الى الناس ولطف بعمال البلاد فكتبوا الى مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعا كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها فى استمالة الرجال والصلات والهبات فشاع ذكره فقصده الناس وأحبوه وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان فلما عاد الى الرى أطلق مالا لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسن اليهم حتى مالوا اليه حبوا طاعته وساروا معه وجبى مال كرج واستأمن عليه شيرزاد من قواد الديلم فقويت نفسه وازدادت شوكته فسار بقواده وعساكره الى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت فى عشرة آلاف مقاتل (عامل من طرف الخليفة) فأرسل اليه عماد الدولة يستأذنه فى الانحياز اليه والدخول فى طاعة الخليفة و يتوجه الى بغداد فلم يجبه ابن ياقوت وبرز ابن ياقوت عن أصفهان ثلاثة فراسخ فاستأمن لعماد الدولة من عسكر ابن ياقوت ستمائة نفس من الديلم لما بلغهم من كرمه وضعف قلب ابن ياقوت وقويت شوكة عماد الدولة ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم ابن ياقوت واستولى عماد الدولة على أصبهان وعظم فى عيون الناس لانه كان فى تسعمائة نفس وبلغ الخليفة فاستعظمه وبلغ خبر هذه الواقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واستولى ابن بويه على أرّجان وغيرها

وفى سنة ٣٢٢ من الهجرة استولى ابن بويه عماد الدولة على شيراز وهزم ابن ياقوت وأصحابه وكان أخوه معز الدولة أحمد بن بويه من أحسن الناس أثرا فى هذه الحروب وكان شابا لم تنبت لحيته وكان عمره تسع عشرة سنة وأحسن عماد الدولة الى الاسارى وأطلقهم وخيرهم بين اللحوق بابن ياقوت أو المقام عنده فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن اليهم ودخل شيراز ونادى فى الناس بالامان وطلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم فكاد ينحل أمره فقعد فى غرفة فى دار الامارة يفكر فى أمره فرأى حية خرجت من موضع فى سقف تلك الغرفة ودخلت فى ثقب فى السقف فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين ففتحوا الموضع فرأوا خلفه بابا فدخلوه الى غرفة أخرى فيها عشرة صناديق مملوءة بالاموال والجواهر قيمة خمسمائة ألف دينار فأنفقها وثبت ملكه وروى أنه أراد أن يفصل ثيابا فدلوه على خياط كان لابن ياقوت فأحضره وكان أصم وخاف من عماد الدولة فقال له لا تخف فانما أحضرناك لتفصل ثيابا فلم يسمع ما قال فحلف بالبراءة من دين الاسلام والطلاق أن الصناديق التى عنده لابن ياقوت ما فتحها ولا يعلم ما فيها فتعجب عماد الدولة من هذا الامر الغريب وأمر باحضارها فكانت ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ٣٠٠،٠٠٠ دينار ثم ظهر له من ودائع ابن ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو ابنى الليث الصفار جمل كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه ولما تمكن من شيراز وفارس كتب الى الخليفة الراضى بالله والى وزيره ابن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة ويطلب أقطاعا على ما بيده من البلاد وبذل ألف ألف درهم فأجيب الى ذلك وأنفذ له التقليد والخلع واللواء فخرج عماد الدولة لمقابلة الرسول وأخذ منه الخلع واللواء ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف ولما سمع مرداويج بما ناله ابن بويه الصياد اغتم وسار الى أصبهان فلما وصلها رد أخاه وشمكير الى الرى وأرسل عسكرا الى الاهواز ليستولى عليها ويسد الطريق على عماد الدولة بن بويه اذا قصده فلا يبقى له طريق الى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان وعسكره من ناحية الاهواز وقلد الخليفة ابن ياقوت الاهواز وصار أخو عماد الدولة وهو معز الدولة أبو الحسين يخالف ابن ياقوت ببغداد

ولما بلغ عماد الدولة استيلاء مرداويج على الاهواز كاتب نائب مرداويج يستميله و يطلب منه أن يتوسط بينه و بين مرداويج ففعل فأجابه مرداويج الى ذلك على أن يطيعه و يخطب له فاستقر الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة وبهذا قوى أمر ابن بويه

وفى سنة ٣٢٣ من الهجرة قتل الغلمان الاتراك مرداويج شر قتلة فى الحمام لانه كان يكرههم فتتبع الديلم الاتراك وفتكوا بهم وحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الرى فخرج من بها من أصحابه مع أخيه وشمكير فالتقوه على أربعة فراسخ مشاة حفاة وأما أصحابه الذين كانوا بالاهواز وأعمالها فانهم لما بلغهم الخبر كتموه وساروا نحو الرى فأطاعوا وشمكير واجتمعوا عليه وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عند مرداويج فنجا الى أخيه عماد الدولة بفارس وفى سنة ٣٢٤ من الهجرة سار معز الدولة بن بويه الى كرمان واستولى عليها وهو أبو الحسين أحمد بن بويه وسبب ذلك أن عماد الدولة بن بويه وأخاه ركن الدولة لما تملكا من بلاد فارس و بلاد الجبل وبقى أخوهما الاصغر أبو الحسين أحمد بغير ولاية يستبد بها رأيا أن يسيراه الى كرمان ففعلا ذلك وسار الى كرمان فى عسكر ضخم شجعان واستولى عليها واستبد بحكومتها حتى أنفذ اليه أخوه قائدا من قواده وأمره بالعود اليه الى فارس فعاد الى أخيه وأقام عنده باصطخر ثم أرسله مع أبى عبد الله البريدى لاجل التغلب على العراق فسار معز الدولة الى الاهواز مع البريدى بعد أن ترك ولديه أبا الحسن محمدا وأبا جعفر الفياض رهينة عند عماد الدولة وتغلب عليها

وفى سنة ٣٣١ من الهجرة استولى ركن الدولة بن بويه على الرى وطرد منها وشمكير بعد حرب انهزم فيه وسار الى طبرستان فقصده الحسن بن الفيرزان فانهزم وشمكير الى خراسان ثم ان الحسن بن الفيرزان راسل ركن الدولة و واصله فتزوج ركن الدولة بنتا للحسن فولدت له ولده فخر الدولة عليا

وفى سنة ٣٣٤ من الهجرة استولى معز الدولة على بغداد وخلع الخليفة المستكفى بالله الخلع على معز الدولة ولقبه بهذا الاسم ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم ونزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه فى دور الناس وأقام للمستكفى بالله كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته وكانت ربما تأخرت عنه فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت اليه تولاها أبو أحمد الشيرازى كاتبه واستمر معز الدولة أشبه بوزير للخليفة الا أنه فى الحقيقة هو المتغلب على الخلافة وأمرها والخليفة تحت يده وفى سنة ٣٣٦ من الهجرة اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن بن الفيرزان وقصدوا بلاد وشمكير وملك ركن الدولة طبرستان وجرجان واستأمن اليه من قواد وشمكير مائة وثلاثة عشر قائدا وهرب وشمكير الى خراسان مستجيرا ومستنجدا لاعادة بلاده وملك معز الدولة الموصل

وفى سنة ٣٣٨ من الهجرة مات عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه بمدينة شيراز بقرحة فى كلاه طالت به وتوالت عليه الاسقام والامراض فلما أحس بالموت أنفذ الى أخيه ركن الدولة يطلب منه أن ينفذ اليه ابنه عضد الدولة ليجعله ولى عهده و وارث مملكته بفارس لان عماد الدولة لم يكن له ولد فأنفذ ركن الدولة ولده عضد الدولة فوصل فى حياة عمه قبل موته بسنة فى جملة من ثقات ركن الدولة فخرج عماد الدولة الى لقائه فى جميع عسكره وأجلسه فى داره على السرير ووقف هو بين يديه وأمر الناس بالسلام على عضد الدولة وكان يوما مشهودا ومات عماد الدولة فاختلف أصحابه على عضد الدولة فكتب معز

الدولة الى وزيره الصيمرى بالمسير الى شيراز فوصل الى فارس ووصل ركن الدولة أيضا واتفقا على تقرير قاعدة عضد الدولة ولما وصل ركن الدولة الى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه باصطخر فمشى حافيا حاسرا ومعه العساكر على حاله ولزم القبر ثلاثة أيام حتى سأله القواد العود الى المدينة فرجع اليها وأقام تسعة أشهر وأرسل الى أخيه معز الدولة شيأ كثيرا من المال والسلاح وكان عماد الدولة فى حياته هو أمير الامراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمير الامراء وكان معز الدولة هو المستولى على العراق والخلافة وهو كالنائب عنهما وكان عماد الدولة كريما حليما عاقلا حسن السياسة للملك والرعية ومازال معز الدولة فى حروب ومدسلطة وقوة حتى مات فى سنة ٣٥٦ من الهجرة بعلة الذرب وكان بواسط وقد جهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين وكانت طالت المحاربات بينهما فابتدأ به الاسهال وقوى عليه فسار نحو بغداد وخلف أصحابه ووعدهم أنه يعود اليهم فلما وصل الى بغداد اشتد مرضه وصار لا يثبت فى معدته شئ فلما أحس بالموت عهد الى ابنه عز الدولة بختيار وأظهر التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد شيأ كثيرا على أصحابه وتوفى ودفن بباب التبن فى مقابر قريش فكانت امارته احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وكان حليما كريما عاقلا ولما مات معز الدولة وجلس ابنه عز الدولة فى الامارة مطر الناس ثلاثة أيام بلياليها مطرا مستمرا منع الناس من الحركة فأرسل الى القواد فأرضاهم فانجلت السماء وقد رضوا فسكنوا ولم يتحرك أحد وكتب عز الدولة الى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا وكانت احدى يدى معز الدولة مقطوعة فقيل انها قطعت بكرمان لما سار الى قتال من بها وقيل غير ذلك وهو الذى أحدث أمر السعاة وأعطاهم عليه الجرايات الكثيرة لانه أراد أن يصل خبره الى أخيه ركن الدولة سريعا فنشأ فى أيامه شخص اسمه فضل وآخر اسمه مرعوش وفاقا جميع السعاة وكان كل واحد منهما يسير فى اليوم نيفا وأربعين فرسخا وكان أحدهما ساعى أهل السنة والآخر ساعى الشيعة

ولما حضر معز الدولة الوفاة وصى ولده بختيار بطاعة عمه ركن الدولة واستشارته فى كل ما يفعله وبطاعة عضد الدولة ابن عمه لانه أكبر منه سنا وأقوم بالسياسة ووصاه بتقرير كاتبيه أبى الفضل العباس بن الحسين وأبى الفرج محمد بن العباس لكفايتهما وأمانتهما ووصاه بالديلم والاتراك وبالحاجب سبكتكين فخالف هذه الوصايا جميعها واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين وشرع فى ايحاش كاتبيه وسبكتكين فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره ونفى كبار الديلم عن مملكته طمعا فى اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم وعصى عليه أخوه حبشى بن معز الدولة فى البصرة فسير بختيار وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين اليه وأمره بأخذه كيف أمكن فوصل الوزير على حين غفلة من حبشى فظفر به وأخذه أسيرا وحبسه برامهرمز فأرسل عمه ركن الدولة وخلصه فسار الى عضد الدولة فأقطعه اقطاعا وافرا وأقام عنده الى أن مات فى آخر سنة ٣٦٩ من الهجرة وفى سنة ٣٥٧ من الهجرة تغلب عضد الدولة على كرمان وأخذها من أبى على بن الياس وفى سنة ٣٦٢ من الهجرة عزل الوزير أبو الفضل العباس ابن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار واستوزر محمد بن بقية وفى وزارته زاد الاختلاف بين الاتراك وبين بختيار فشرع ابن بقية فى اصلاح الحال مع بختيار وسبكتكين فاصطلح وكان على غش وركب سبكتكين الى بختيار ومعه الاتراك فاجتمع به ثم عاد الحال الى ما كان عليه من الفساد وذلك أن ديلميا اجتاز بدار سبكتكين وكان سكران فرمى الروشن بسهم فأثبته فيه وأحس

به سبكتكين فصاح بغلمانه فأخذوه وظن سبكتكين أنه قد وضع على قتله فقرره فلم يعترف وأنفذه الى بختيار وعرفه الحال فأمر به فقتل فقوى ظن سبكتكين انه كان وضعه عليه وانما قتله لئلا يفشى ذلك وتحرك الديلم لقتله وحملوا السلاح فأرضاهم بختيار فرجعوا ثم توجه بختيار نحو الموصل لاجل الاستيلاء عليها ثم عاد عنها الى بغداد من بعد أن سعى فى الغاية وكان سعيه على غير طائل

وفى سنة ٣٦٣ من الهجرة كانت مبادى الفتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز وكان بختيار بالاهواز فاجتهد فى اطفاء الفتنة فلم يمكنه فاستشار الديلم فيما يفعله وكان أذنا يتبع كل قائل فأشاروا عليه بقبض رؤساء الاتراك لتصفو له البلاد فأحضر بعضا من قواد الترك واعتقلهم وأطلق الديلم فى الاتراك فنهبوا أموالهم ودوابهم وقتل بينهم قتلى وهرب الاتراك واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين وأمر فنودى فى البصرة باباحة دم الاتراك

وكان بختيار قد واطأ والدته واخوته أنه اذا كتب اليهم بالقبض على الاتراك يظهرون أن بختيار قد مات ويجلسون للعزاء فاذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه فلما قبض بختيار على الاتراك كتب اليهم على أجنحة الطير يعرفهم ذلك فلما وقفوا على الكتب وقع الصراخ فى داره وأشاعوا موته ظنا منهم أن سبكتكين يحضر عندهم ساعة يبلغه الخبر فلما سمع الصراخ أرسل يسأل عن الخبر فأعلموه فأرسل يسأل عن الذى أخبرهم وكيف أتاهم الخبر فلم يجد ثقة يثق القلب به فارتاب بذلك ثم وصله رسل الاتراك بما جرى فعلم أن ذلك كان مكيدة عليه ودعاه الاتراك الى أن يتأمر عليهم فتوقف وأرسل الى أبى اسحق ابن معز الدولة يعلمه أن الحال قد انفسد بينه وبين أخيه فلا يرجى صلاحه وانه لا يرى العدول عن طاعة مواليه وان أساؤا اليه ويدعوه الى أن يعقد الامر له فعرض قوله على والدته فمنعته فلما رأى سبكتكين ذلك ركب فى الحال فى الاتراك وحاصر دار بختيار يومين ثم أحرقها ودخلها وأخذ أبا اسحق وأبا طاهر ابنى معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما فسألوه أن يمكنهم من الانحدار الى واسط ففعل وانحدروا وانحدر معهم المطيع لله الخليفة فأنفذ سبكتكين فأعاده ورده الى داره واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد ونزل الاتراك فى دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وظهرت أهل السنة على الشيعة

ولما بلغ ذلك بختيار فى جهة واسط كتب الى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة ينجدانه ويساعدانه على ما حل به من المصائب من جهة سبكتكين الحاجب التركى والاتراك فأرسلا له الجيوش مساعدة له وسار سبكتكين من بغداد بالاتراك ومعه الخليفة فتوفى سبكتكين فى الطريق وكذا الخليفة وانحل أمر الاتراك وعاد بختيار الى أملاكه

وفى سنة ٣٦٦ من الهجرة توفى ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة وجعل لولده فخر الدولة أبى الحسن على همذان وأعمال الجبل ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها وجعلهما فى هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة وخلع عضد الدولة على سائر الناس ذلك اليوم الاقبية والاكسية على زى الديلم وحياه القواد واخوته بالريحان على عادتهم مع ملوكهم وأوصى ركن الدولة أولاده بالاتفاق وترك الاختلاف وخلع عليهم ثم سار من أصبهان نحو الرى فدام مرضه الى أن توفى فأصيب به الدين والدنيا بجميعه الاستكمال جميع خلال الخير فيه وكان عمره قد زاد على سبعين سنة

وكانت امارته أربعاوأربعين سنة وكان حليما كريما واسع الكرم كثير البذل حسن السياسة لرعاياه وجنده رؤفا بهم عادلا في الحكم بينهم وكان بعيد الهمة عظيم الجد والسعادة متحرجا عن الظلم مانعا لاصحابه منه عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا الا فيما لابد منه وكان يحامى على أهل البيوتات وكان يجرى عليهم الارزاق ويصونهم عن التبذل وكان يقصد المساجد الجامعة في شهر الصيام للصلاة وينتصب لرد المظالم وكان فيه جميع الخصال المحمودة رحمه الله تعالى ولما مات معز الدولة وركن الدولة لم يستحصل عز الدولة بختيار على كافة ممالك عائلة بيته الا أنه ارتقى الى درجة وزير واستمر فيها نحوا من أربع وثلاثين سنة ولما مات صلى عليه الخليفة بنفسه وكانت أحواله صلحت في أواخر أمره وصار معتبر الاسم محمود المدة والعاقبة وكان عز الدولة أكبر ملوك الديلم وأجلهم الذين غرقوا تحت أمواج بحور محمود الغزنوى

ومن بعد أن تسلطن البيت الساماني نحو مائة سنة على ماوراء النهر وفارس مع العدل والانصاف والخير والذكر الجميل أخذ أخيرا في الاضمحلال والهبوط حتى صارت جميع ممالك هذا البيت عرضة للخطف والنهب والاستقلال وازداد ضعفه بواسطة كثرة المشاحنات التي توالت في الممالك حتى ان أبا اسحاق حاكم نصف اقليم التتار الخراساني الشاسع الاطراف نجحت أموره ورفع بيرق عصيانه وكان صاحب جيش غزنة لهذا البيت الساماني وخرج عن طاعة السامانية وصار ملكا مستقلا في نفسه ولما استقل أضاف الى مملكته الاراضى العالية لجبال كابل وقندهار وهذا الاقليم الكائن في ذيل جبال الهند مسكون بالامة الافغانية وهم جنس أرباب مهارة في الزراعة وأرباب مواش وأهل حرب مدوا سلطنة ملوكهم وأمرائهم على الممالك المجاورة لهم وانتخب أبو اسحاق غزنة عاصمة مملكته

مطلب
ابتداء دولة آل سبكتكين بغزنة

وفي سنة ٣٦٦ من الهجرة الموافقة ٩٧٧ من بعد الميلاد توفى أبو اسحاق ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم وكان سبكتكين من غلمانه ومقدما عنده وعليه مدار أمره قدم الى بخارا أيام الامير منصور بن نوح مع أبي اسحاق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الرأى والصرامة وعاد معه الى غزنة ولما مات أبو اسحاق اجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم ويجمع كلمتهم فاختلفوا ثم اتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروأته وكمال خلال الخير فيه فقدموه عليهم وولوه أمرهم فقرر قواعد مملكته الجديدة وصار مؤسسا في الحقيقة لعائلة ذات مجد وشوكة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء لاجرم بارك الله في بيته ودام ملكهم مدة طويلة جاوزت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان خالص النية حسن الطوية فيه اللطف واللين * روى أنه كان ذات يوم في أجمة يصطاد فيها فلمح ظبيا مع أمه في سهل فحمل على الظبي وقبض عليه وهربت أمه فربط الظبي من رجليه ووضعه على سرج حصانه وسار ثم نظر خلفه فرأى أم الظبي تابعة له على بعد وعينها مغرورقة بالدموع فذابت روحه من هذا المنظر العجيب ففك الظبي وقال له الحق باهلك فانقلب الظبي يجرى وعين سبكتكين تقطر دموعا من شدة الفرح فتولد من هذه الافكار المرضية أن رأى سبكتكين رؤيا في المنام في تلك الليلة أنه صار ملكا فأنه على صنيع مروأته هذه بمملكة موعودة له وكان يقول يجب على الانسان أن يزرع الاشياء التي يكتسب بها الاسم الطيب الذى يخلده الى الابد

وقد أغار سبكتكين مرتين على مولتان ولاهور في بلاد الهند وحصل له الظفر في كل من الحالتين

وهزم جيبال ملك لاهور شر هزيمة وأضاف اقليم بيشاور الطريف الى مملكته ومد سلطنته الى نهر السند ومازال سبكتكين مؤيدا منصورا حتى توفى سنة ٣٨٧ من الهجرة وكان مقامه بغزنة وقيل ببلخ وقد ابتنى بهادورا وساكن فمرض وطال مرضه ونزع الى هواء غزنة فسار عن بلخ اليها فمات فى الطريق فنقل الى غزنة ودفن فيها ولما حضرته الوفاة عهد الى ابنه اسماعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لاسماعيل وحلفوا له وأطلق لهم الاموال وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا فى الطلب حتى أفنى الخزائن التى خلفها أبوه

ولما توفى سبكتكين وبلغ الخبر الى ولده يمين الدولة محمود وهو بنيسابور جلس للعزاء ثم أرسل الى أخيه اسماعيل يعزيه بابيه ويعرفه ان أباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق وارسال ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود من نيسابور الى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنة وبلغ الخبر الى اسماعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمودا الى غزنة وكان الامراء الذين مع اسماعيل كاتبوا محمودا يستدعونه ووعدوه الميل اليه فجد فى المسير والتقى هو واسماعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسماعيل وصعد الى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بامان فلما نزل اليه أكرمه وأحسن اليه وأعلى منزلته وشركه فى ملكه وعاد الى بلخ واستقامت الممالك لمحمود وكانت مدة ملك اسماعيل سبعة أشهر وقيل ان محمودا لم يشرك اسماعيل فى الاحكام بل سجنه حتى مات فى السجن وخلف أباه سبكتكين أو سبكتاجى فى سنة ٣٨٧ هجرية الموافقة سنة ٩٩٧ بعد الميلاد ومد محمود ممالكه واتسعت سلطنته حتى صارت مشتملة على جميع آسيا من سواحل بحر الخزر الى نهر السند بما فيهما مملكة بخارا وما وراء النهر كما سيرد من أخباره على وجه الاختصار وهو أنه لما فرغ محمود من أمر أخيه وملك غزنة وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد ولى خراسان من طرف الامير منصور بن نوح السامانى فارسل محمود للامير منصور يذكره طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب خراسان فاعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست وهراة فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه الامير منصور ولما تيقن محمود المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها فدخلها محمود وملكها فلما سمع الامير منصور سار من بخارا نحو نيسابور فلما علم محمود سار عن نيسابور الى مرو الروز ونزل بالقرب منها ينتظر ما يكون ولما بلغه وهو فى هذا الموقع أن بكتوزون وفائق القائدين قبضا على ملكهما منصور بن نوح وسملا عينيه ولم يراقبا الله فيه أرسل الى فائق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع فى الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال وتغلب على خراسان وذلك انه سار نحو فائق وبكتوزون فلما سمعوا بمسيره ساروا اليه فالتقوا بمرو واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فى سنة ٣٨٩ من الهجرة فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما فأما فائق فانه لحق ببخارا وأما بكتوزون فانه قصد نيسابور وقصد أبا القاسم بن سيمجور بقهستان فرأى محمود أن يسير خلف بكتوزون وأبى القاسم ويمنعهما من الاجتماع والاحتشاد فسار الى طوس فهرب منه بكتوزون الى نواحى جرجان فارسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه وهو أرسلان الجاذب فى عسكر جرار فاتبعه حتى لحقه بجرجان وعاد فاستخلفه محمود

على طوس وسارهو الى هراة فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها فلكها فقصدها محمود فاجفل من بين يديه واجتاز بمرو فسار عنها بعد أن نهبها الى بخارا واستقر ملك محمود بخراسان فازال عنها اسم السامانية واستقل بملكها منفردا وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصرا وجعل نيسابور على ما كان يليه السيمجور للسامانية وسارهو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك واتفق أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته وفى هذه السنة انقرضت دولة السامانية وملك الترك ماوراء النهر ولما قرر محمود بن سبكتكين أحوال رعيته وقواعد مملكته على قدم الثبات وبث فيها العدل وجودة الاحكام وصار لا منازع له ولا مضارب واشتهر اسمه وعلا ذكره حتى ذكر مؤرخو الشرق عنه ان الذئب والخروف كانا يشربان من مجراة واحدة فى مدة سلطنته الا أن الاحوال الجارية التى لا تخلو عن خطف وسلب كانت لا تخلو عن الاثم وكان مشهورا باللين والدين وحسن السياسة فى رعيته وقد ذكر الفردوسى أن محمودا كان يميل فى مبادى أمره وأول حياته الى الشك والابهام فكان مترددا العقل والفكر فى حالتين مختلفتين الاولى هل توجد آخرة أم لا والثانية هل هو ابن سبكتكين أم لا وأما أمه فانه لا معارضة فيها فرأى ليلة فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فازال عنه هاتين الحالتين وكان فى قلق شديد منهما وقال له لا شك من وجود الآخرة ولا شك من انه ابن سبكتكين فاعترف هذا الملك الكبير بالدين وصار على اعتراف واقرار نقى من الديانة الاسلامية وغيرة وحمية تامة عليها حتى جلبت عليه هذه الغيرة الاسلامية كثرة الشوكة وزيادة الهمة وكثرة الاموال وزيادة السعادة وكان جامعا للاموال خازنا لها على بخل وشح لطخ اسمه فى آخر حياته ومن كثرة حرصه على جمع الاموال وزيادة شوقه على ذكر وتخليد اسمه شرع فى الحملة على البلاد الهندية وكان بلغه أن بها كنوزا وأموالا لا تحصى موجودة فى المزارات والمعابد المقدسة الهندية وكان قبل هذا فى تردد بال من غزوها حتى استعمل الوسائط والطرق التى انتهك بها حرمة هذه الهياكل وسلب خزائنها وكنوزها وحلى بها اسراية غزنة وكان ملوك الهند حاكمين فيها من مدة قرون وعصور ومكثت أربعمائة سنة الشوكة الاسلامية لا تجد مسلكا لهذه الاقاليم الشاسعة الاطراف والاكناف فانقلب هذا التوطيد واختل نظام أحوال الممالك الهندية عند ما صار تشييد مملكة قوية فى حدودها فقد ذكرنا فيما سبق ان سبكتكين أغار على مولتان ولاهور مرتين وفى كل منهما يحصل له الظفر وأضاف اقليم بشاور الظريف الى مملكته ومدها الى حدود نهر السند وأما محمود الذى أظهر فى حروبه وغزواته وتغلباته على بلاد فارس وماوراء النهر دلائل شجاعته الشخصية وعلو همته الحربية فانه جعل تلك المملكة الموجودة وراء ذلك النهر أى نهر السند ميدانا كبيرا لحركاته العسكرية وجعل علة توجهه اليها اخماد ثورات حصلت فى الملحقات القاصية من مملكته وتوطيد الارتباكات والقلاقل الحاصلة من هجوم قبائل التتار وقد أورد المؤرخون الى محمود بن سبكتكين اثنتى عشرة حملة حملها على البلاد الهندية وبعضهم ذكر له ست عشرة غزوة كان فى جميعها مظفرا وعاد الى غزنة مؤيدا منصورا محملا بأثقال غنائم البلاد الهندية فكانت غزوته الاولى مجرد عبوره نهر السند والثانية كانت ضد جيبال صاحب لاهور لانه كان خراجيا لابيه سبكتكين ثم قام يبرق عصيانه واستقل بنفسه ومملكة لاهور هذه عبارة عن جبال وصحار مشتملة على جهات جيدة الخصوبة وهى من عهد اسكندر الى هذا الوقت يعنى وقت محمود وطن أمة حربية ونفس المملكة حصن حصين ضد حملات الاعداء القريبة من

حدودها وجهز جيبال جيشا مهولا لمقابلة محمود فهزمه محمود وأسره مع خمسة عشر من كبار قواده ففدوا أنفسهم بكثير من الاموال والجواهر وأطلقهم محمود على أن جيبال تابع له ولما رأى جيبال المنحوس انه صار أسره مرتين راعى حقارة شرفه وعدم بخته وانحطاط رفعة قدره وفعل أفعال عوائد أهل بلاده البربرية وأعد لنفسه عمود الموت والحرق وقذف بنفسه فى لهيب النيران وجلس من بعده ابنه أنندبال على تخت أبيه واعترف بتبعة مملكته الى سلطان غزنة

وأما الثلاث غزوات التى أجراها محمود بعد ذلك فكانت بعلة جمع الخراج واخماد عصيان بعض الاحزاب وكانت الخامسة فى سنة ١٠٠٩ بعد الميلاد صار البدء فيها بهجوم حصل من ناحية أنندبال وذلك أن انندبال عقد محالفات ومعاهدات مع جميع الملوك الكبيرة الممدودة فى داخل البلاد الهندية مثل ملك دلهى وملوك كانوج وأوجين وجواليور وكالنجير وغيرهم وجمع أكبر جيش ما سمع بمثله فى هذا الاقليم من عدة قرون مضت وعبر نهر السند ودخل هذا الجيش الكثيف سهول بيشاور وكان فيها المسلمون فارتاع المسلمون من مقابلة جيش عرمرم كثيف مثل هذا فى ميدان مكشوف فحصن محمود عساكره بالمتاريس واستمر الجيشان فى مواجهة بعضهما أربعين يوما ومن بعد هذه المدة حصل البدء فى الواقعة من جهة أهل البلاد وذلك أن قبيلة اسمها قبيلة الجويكواريين وهى أمة وحشية قاطنة فى نواحى الجبال الموجودة فى شمال لاهور أمطرت مطرا من النبال والحراب على عساكر محمود فأثرت تأثيرا شديدا الا أن الجيش الاصلى ما كان له طاقة على اجراء هجوم أوكبس على أهل القوة والمنعة عساكر محمود المتحصنين فى متاريسهم وأهلك المسلمون منهم عددا كثيرا وفى أثناء الواقعة خاف الفيل الراكب عليه انندبال ملك لاهور من فرقعة كلة نارية وقعت أمامه فقفز وبرطع ورمى براكبه من فوقه فى ميدان الواقعة فظن عساكر انندبال فى هذا الوقت فى أنفسهم أن قائدهم تركهم وهرب فوقع فيهم الارتباك والفشل وابتدأ جميع هذا الجيش المهول فى الهرب من ميدان الحرب مع الخوف والفشل الاكبر وكانت هذه الواقعة مثل واقعة أردشير الاول ملك فارس مع الجريس الا أن محمود ابدل أن يقابل أمة حربية لها اقدام وشجاعة فى الحروب قابل نساء فى حركة محاجة حربية فسار محمود خلفهم بعساكره وقتل منهم نحوا من ٢٠٠٠٠ نفس وأخذ ما لا يحصى من الفيلة المحملة بنفائس الجواهر والاموال ولما رأى محمود من لا يصده فى تقدمه سار مباشرة على قلعة بيى أو بهجهور وهى قلعة شاهقة فى الجو لا يمكن الوصول اليها وكانت مخزنا عاما لجميع أموال الهياكل المقدسة الموجودة حولها ولما سار ملوك الهند الى الامام نحو محمود متيقنين حصول الظفر لهم بأسهل حالة أخذوا معهم كافة المحافظين الذين كانوا فى المدائن والقلاع لاجل تقوية عساكرهم وكثرة عددها وتركوا القسس يحفظون المزارات والهياكل فلما رأى القسس ما حل بهم من عساكر الاسلام فتحوا أبواب القلاع والهياكل للفاتح وخروا ساجدين على وجوههم فى الارض أمام الملك المنصور فأخذ محمود من القلاعة ما كان فيها من الذهب والفضة والاحجار الثمينة ما قدره فريشته بانه لا يوجد مثله ولا نظيره فى خزائن أى ملك من ملوك الارض الا أن القولونيل بريجس قدر قيمة هذه الغنيمة بغاية الدقة الى مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليره من النقود عدا فى ذلك أثمان الالماس والجواهر النفيسة وهذه المكاسب التى عادت جميعها على محمود فرق منها على عساكره وأحسن بقسم منها على فقراء غزنة وعلمائها وأصلح مساجدها

ومن هذه الحالة الشديدة كشف ملوك الهند الى محمود عاقبة مرض ضعفهم وعدم طاقتهم على الحروب

وعلى

وعلى مقدار الخزائن والكنوز والجواهر الموجودة في مملكتهم وهذه حالة تكسب لايلزم السير فيها مع التوانى ثم وردت الى محمود الاخبار بشأن مزار طنسار وهو محل مشحون بالذخائر والاموال مقدس عند الهنود وهذا المزار كائن بالقرب من ميدان الواقعة الكبرى المعروفة عند الهنود بواقعة المهابرات ولما مر محمود فى حال سيره من أراضى لاهور أرسل له اندبال يلتمس منه مع التلهف والخضوع أن الهنود صبروا ورضوا بما أخذه من قلعة بيمى من أموال المعابد والهياكل التى كانت بها والآن يرغب منه أن لا يقرب ما يختص مزار طنسار الجليل القدر عند الهنود ويتركه لهم فلم يقبل محمود ما التمسه منه اندبال مع الشدة والثبات وأعاد عليه جوابه بانه يتعين عليه أن يمحو أثر الاصنام من بلاد الهندستان ووصل محمود الى المحل المعهود قبل أن تمكن اندبال من أن يأتى اليه ولو بعساعدة قليلة من ملك دلهى واستحوذ من دون حصول أدنى مقاومة على جميع الكنوز التى كانت مجموعة فى مزار طنسار من عهد قرون وعصور مضت وكسر جميع الاصنام ورماها على قارعة الطريق ماعدا صنما ضخم الجثم اسمه بوجسوم حمله الى غزنة وكسره قطعا وتغلب هذا الفاتح على دلهى وعزم أن يضيف هذا الاقليم الظريف الى ممالكه الا أنه تفكر فى نفسه وتدبر فى أمره ورأى أنه تستحيل المواصلة مع الانتظام بين عاصمة دلهى وعاصمة غزنة بسبب صعوبة اقليم لاهور المسكون بامم أهل بسالة وشجاعة وكذا صعوبة عبور الاقليم ووجد أنه يجب خضوع اندبال قبل كل شئ فمن هذا اصرف محمود النظر عن وقوع العداوة ورأى أنه من الحزم عدم السعى فى استجداد حروب ومن ثم عزم على عدم التغلب على البلاد الهندية الا أنه صار ينقض من وقت الى آخر مثل انقضاض العقاب من عشه العالى فى وسط ثلوج الجبال ويخطف صيده ويطير الى جبال مملكته

وفى سنة من السنين صرف هذا الملك الجليل والسلطان النبيل فصل صيف فى التغلب على وادى كشمير الجميل وتولد من تغلبه عليه فتح طريق له الى داخل البلاد الهندية من دون أن يمر على أرض اندبال أو يتخابر معه فى شئ وفى سنة ١٠١٧ بعد الميلاد جمع جميع قواه وعساكره من أقاليم التتار وسار فى رأس ١٠٠٠٠٠ فارس و ٣٠٠٠٠ راجل فى طول منابع الانهر الكبيرة متوجها الى مدينة كانوج وكانت أجل وأعظم مدينة فى بلاد الهند ووصف مورخو الشرق مجد هذه المدينة وفخامتها وعظمها وشماخة أبراجها وذكروا أنه كان يوجد بها ٣٠٠٠٠ دكان يباع فيها التنبل (وهو ورق أخضر ينبت شجره فى أرض الهند وسيلان يستعمل مضغة عند أهل البلاد مع معجون الجير مثل مضغ الدخان والنطرون فى مصر) وفيها أيضا ٦٠٠٠٠ نفس آلاتية يضربون على آلات الموسيقى فمثل هذه المدينة التى أهلها كانوا منعكفين على الرفاهية ولذة العيشة ما كان عند أهلها استعداد لمقابلة كتائب صبت عليها من الافغانستان ولم يجد مليكها حيلة فى المدافعة عن المدينة وأهلها الا فى كونه سار وقدم طاعته الى الملك الفاتح فمن ثم صار معاملة كانوج وأهلها مع الرفق واللين وأقام بها محمود وعساكره ثلاثة أيام ومن بعد أن أخضع عدة جهات أخر وردت اليه الاخبار بوجود مدينة جليلة مشحونة بالجواهر والاموال وهى مدينة ماطرة أو ماطورة محل معبد كرشينة المقدس وتحتوى هذه المدينة على مزارات ومعابد ثروتها وغنيتها تزيد عن ثروة أى اقليم متمول فسار اليها محمود بعساكره ودخلها من بعد أن لاقى من أهلها مقاومة ضعيفة ووجد هياكلها أفخر هياكل لم ير مثلها قبل ملآنة بالاصنام الهائلة المصنوعة من الذهب الخالص وعيونها من الزمرد

الاحمر النقى وعينا كبيرهـذه الاصنام من الزمرد الازرق الخالص فلم يضع هـذا الفاتح أدنى لحظة من الزمن فى فك هـذه الاشياء النفيسة المقدسة عند الوثنيين وجمعها جميعها كل صنف على حدته من الذهب والجواهـر والاحجار الكريمة وحملها على قطـر طو يل من الجمال وأخضـع بعض المدائن بمحاربات شـديدة الا أنها كانت قليلة المكسب وعاد من طريق لاهور الى غزنة وكانت غنيمته هـذه زائدة بكثير عن غنيمة طنسار وصار تقـديرها الى نصف مليون من النقود بما فيها من الجواهر واللآلئ و يضاف الى هـذه الغنيمة ثمن ٥٣٠٠٠ أسـير صار تقدير قيمة كل رأس خمسـة شلنات وأما الاموال التى أخذتها قواد العساكر فى السر وكذا التى أخذتها العساكر فكانت تعادل قيمـة ما اكتسب الملك

و بواسطة ما أرسـل محمود من الغنائم والاسلاب الى غزنة صارت أحسـن موقع لمهاجرى رعاة الافغانية وشرع محمود يشـيد فى غزنة بواسطة الاموال والكنوز التى جلبها من كانوج وماطورة مبانى عمومية فاخرة ذات أبهة حتى يجعلها أحسن مـدينة وأجل عواصم الدنيا الموجودة فى مدته فابتنى فيها مسجدا رحبا من الصوان والرخام الغالى الثمن ونقشـه بأبدع النقوش وذهبه بأحسـن الصـناعات حتى فاق وساد فى أبهته وفخريته على جميع مبانى آسيا وسماه العروسة السماوية وقلد الامراء فى هـذا العمل العظيم مليكهم وشيدوا لانفسهم مبانى مفتخرة وعمارات جليـلة حتى فاقت غزنة فى الفخر والفخامة مدائن البـلاد الهندية وفى هـذه الاثناء وردت الاخبار الى محمود بأن انقياد ملك كانوج لطاعتـه ومعاهدته معه كانت عاقبتها مشؤمة على هـذا الملك وعلى مدينتـه وذلك أن نونده ملك كالنجهر اغتم واشـتد فى وجهـه الغضب من مفارقة ملك كانوج الاتحاد العام العائد على البـلاد الهنـدية بالنفع والفـائدة وتعاون بالملوك المجاورين له وأشـعل حربا مهولا على ملك كانوج كانت نتيجته هزيمة هـذا الملك وموته واسـتلام عاصمته وخرابها بعـد هلاك أهلها فتأهب ملك غزنة وسار مجدا فى سـيره عابرا المحـلات الصعبة الشامخة والواطيـة والسهلة والصعبة ومن بعد أن عبر نهر جمنة بالقوة والاقتـدار وجد نونده ملك كالنجهر محصنا نفسه فى متاريس بالقرب من مدينة كانوج ومن المحتمل انه كان منتظرا هجوم محمود عليه الا أنه من بعد مناوشات قليلة تقهقر الملك الهندى وترك المملكة عرضة لسلب ونهب الهاجمين ومع هذا فان مدينة كانوج ومملكتها لم يعد اليهما مجـدهما القديم مرة ثانيـة ومدينة لاهور وان كانت قريبة من الاراضى الغزنوية الا أنها استمرت مسـتقلة مدة ثلاثين سنة التى هى مدة سـلطنة محمود الغزنوى ومن بعـد موت اننديال سـعى محمود السـعى الثابت فى الحصول على استحواذ هـذه المملكة المهمة المعتبرة بأنها مفتاح الهند وجمع قوة كبيرة وسار نحو عاصمتها ولما كان مليكها الشاب لاطاقة له على مقابلة جيش عريض مثل جيش محمود الغزنوى ترك المدينـة ومملكته وهرب والتجأ فى اجمير و بهذا دخلت مملكة لاهور فى ضمن الاراضى الغزنوية

ومن بعد أن أجرى محمود غارات قليلة على البلاد الهندية شرع فى سنة ١٠٢٤ بعد الميلاد فى حملته الاخيرة المهولة على بلاد الهندسـتان وكان أدخل جيشه فى انتظام وترتيب جديد وبدل هيئته القديمة بهيئة أحسن منها وكان سبب ذلك أنه سمع بأنه يوجد فى اقليم الجوزرات من ممالك الهند وعلى ساحل البحر المحيط الهندى سومنات وهو مزار أعلى من جميع المزارات التى خربها وجردها وكان موقوفا على هـذا المزار ألفا قرية يرسل خراجها اليـه خـلاف الهدايا والنذور التى كانت ترد اليـه من الاقاليم

والاقطار المحيطة به وأما سومنات نفسه فكان مرعى عند الهنود بأنه القاضي العمومي للموت وكان يغسل تمثاله المصنوع من الذهب الخالص كل يوم بماء يجلب من نهر الكنج وهو على مسافة ألف ميل من قلعة سومنات وهو نهر مقدس عند الهنود يلقون فيه بعضا من رماد حريق ملوكهم في زجاج مغلاق وكذا من يموت من أعيانهم وأمرائهم معتقدين سوقهم الى جنات النعيم وبه من الخدم البراهمة ما ينوف عن ألفي نفس وخمسمائة من البنات المغنين الراقصات وثلاثمائة يضربون على آلات الموسيقى وثلاثمائة نفس من الحلاقين وقد بلغ السلطان محمود أن قسس سومنات يعتقدون أنهم في حفظ وحصن حصين من شوكته وحمله ويعتقدون أن الجرائم والذنوب التي حصلت من دلهي وكانوج كانت هي السبب الوحيد في دمار وخراب هذه المدائن وأما هم فانهم على طهارة ولا طاقة لهذا الملك المتشعبذ في تغلبه عليهم فلما سمع الملك بذلك اجتهد في حطم هؤلاء القسس وجمع عساكره وساقهم الى داخل مولتان وجمع ٢٠٠٠٠ جمل حمل عليها الذخائر والمؤن وعبر الصحراء الكبيرة الشاسعة فرأى أن أهل مدينة أجمير تركوا مدينتهم وقلعتهم الحصينة التي لا يمكن الوصول اليها وكذا نهر والى عاصمة الجوزيرات تركها أهلها ومن بعد أن عبر صحارى أخرى وصار على مرأى من سومنات رأى قلعة شامخة على بحيث جزيرة داخلة في البحر محيط جميعها بماء البحر ما عدا نقطة واحدة منها محفوظة باسوار قوية مرصوص على كرانكها وشرفاتها محافظون كثير والعدد فأرسل اليهم محمود رسولا قال لهم ان الههم سومنات هو الذي جلب المسلمين هذا الاجل أن يخربوا هذا البناء المهول الموجود فيه الآلهة بيلطهم وفوسهم ويسووا به الارض ثم تقدم المسلمون مع سرعة شديدة أذهلت عقول الهنود حتى أسرعوا الى آلهتهم وبكوا وأنوا واشتكوا أمام الآلهة ولما رأوا السلالم وضعت على الاسوار دافع الهنود مدافعة شديدة مع الغضب والحنق واستمر هذا الحرب طول النهار وفي آخر النهار لما كل الهاجمون وتعبوا انجبروا على التقهقر الى معسكرهم وفي صباح اليوم الثاني بكر المسلمون وشرع محمود في الهجوم وكان هذا الحرب في هذا اليوم أحسن من حرب أمس

وفي اليوم الثالث شاهد محمود جيشا كبيرا واردا على بعد متقدما في سيره لخلاص سومنات فعبى محمود عساكره للحرب واشتبك الحرب لان أهل هذه الجهة من البلاد الهندية أهل بسالة وشجاعة واقدام وصبر على الحروب فاشتدت الواقعة وعظم المصاب وظن هنود سومنات أنهم نالوا السعادة عندما رأوا قدوم هذا الجيش اليهم تحت قيادة بيرم ديو ودابيسالمه من رؤساء الهنود المشهورين في اقليم الجوزيرات وزادت الواقعة شدة على شدتها وعظم الخطب ورأى محمود أن هذه أول مرة في أرض الهند صار عرضة فيها للخطر والبلاء والكرب العظيم فذكر عساكره بالغيرة الاسلامية وخر ساجدا على الارض وتضرع الى الله سبحانه وتعالى لمساعدته في هذا الحرب المقدس ونادى بصوته في عساكره وقواده أن تقدموا واقتحموا القتال فاما النصر واما التتويج بتاج الشهادة ومن ثم اكتسب أخيرا نصرة كاملة وهزم الهنود شر هزيمة وهربوا من ميدان المعركة ولما رأى محافظو سومنات هزيمة الجيش الاعظم الذين كانوا معتمدين عليه في خلاص أنفسهم حصل فيهم الارتياع والارتباك والفشل وتركوا القلعة وفروا هاربين فدخل محمود القلعة وساروا به الى المعبد فوجده بناء رحبا قديما وفي داخله فسحة وايوان كبير جليل القدر محمول على ستة وخمسين عمودا مرصوص في جهاته تماثيل الآلهة الهندية وصورها مصنوعة من الذهب الخالص وأما سومنات نفسه فكان مثل

البرج ضخم الجسم أعلى من كافة الاصنام وأول ماوقع بصر محمود على هذا الصنم المهول ثارت فيه نار الغيرة الاسلامية والديانة المحمدية وقلع أنفه وأمر بفك جميع هذه الصور وتكسيرها ولما رأى البراهمة ماحل بآلهتهم من هذه المصيبة خروا على ركبهم ساجدين أمام محمود وقدموا له مبالغ جسيمة فداء على ترك الباقي فلم يقبل فعرض الامراء له بأن قبول الفداء من حزم الرأى فقال لهم أنا لا أكون بياع أصنام وأمر بكسر جميعها ووجد داخل الهيكل براميل مملأة بالاحجار الكريمة من أنواع الزمرذ والالماس وغيرهما مما تعسر تقدير قيمته ثم انشرح صدر محمود من اقليم الجوزيرات وتردد في نفسه هل يجعل هذا الاقليم المقر أو المركز الاصلي لحكومته أو يضيف مجده وثروته الى ممالكه فرأى من بعد تردد أن المسافة بين ممالكه وبين الجوزيرات بعيدة والوصول اليها صعب جدا فعزم على أن يوظف في هذه المملكة الجليلة سلطانا برهمي المولد يكون تحت سلطته ومن بعد سفره بقليل قام أهل الجوزيرات ودخلوا تحت طاعة أهل بيت ملوكهم القديمة وكانت هذه الحادثة في سنة ٤١٠ من الهجرة ولما رجع المنصور محمود متوجها الى غزنة تحمل أكدار الآلام والمصاعب في أثناء عبوره الصحارى والبرارى الواسعة وحصل له خوف شديد وارتباك مزيد من الجوت وهم قبيلة متوطنة في مولتان حاكمون على ملاحة نهر السند بواسطة قوارب حربية تحت أيديهم ولما عاد محمود الى غزنة شرع في السنة التالية في حملة على هذه الامة بغاية الحنق والغضب وأعد لها قوة من القوارب الصغيرة المحفوظة بسهام وحرب من الحديد وسار اليها ومن بعد أن حصل بينه وبينهم مبارزات ووقائع شديدة هزمهم شر هزيمة وقتل معظمهم وباع ما بقى منهم في أسواق ممالكه

مطلب وفاة محمود بن سبكتكين

ولما عاد الى غزنة من هذه الغزوة غزا عدة غزوات في خراسان وعند عوده منها الى غزنة في سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد أصابه مرض ومات بعد أن بلغ من العمر ثلاثا وستين سنة وكان مرضه سوء مزاج واسهالا وبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس لم يضع جنبه في مرضه على الارض بل كان يستند الى مخدته فأشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشيا فقال أتريدون أن أعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفى قاعدا ولما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وكان أصغر من مسعود وكان ببلخ فسار الى غزنة ووصلها بعد موت أبيه بأربعين يوما فاجتمعت العساكر على طاعته

وكان محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا حليما عدلا خاضعا في أحكامه فمما يدل على حلمه أن جاءت امرأة اليه تشكو لصوصا قتلوا ابنها في صحارى العراق ونهبوا مالها فقال لها ان هذه محلات قاصية بعيدة علينا لا يمكننا أن نمنع منها مثل هذه الاحوال فأجابته المرأة بغضب وحدة لاى شئ تتغلب على ممالك لا طاقة لك بحفظها ولا خبرة لك بنظامها وبماذا تجاوب عند الله يوم القيامة وصارت توبخه فقال لها انه على أسف وحزن شديد من موت ابنها وهذه الملامة لا يمكن حصولها للملك الا اذا كان حليما متواضعا ومما يدل على عدله أن واحدا من أهل غزنة عرض له أن سيدا كبيرا من حواشي الملك اغتصب منه امرأته ويأتى اليها ويخرجه من بيته ويحل محله غصبا فاشتد الغضب في وجه محمود وقال له بيني وبينك هذا وأول ما يدخل هذا المجرم بيتك أخبرني في الحال فجاء الرجل بعد ثلاث ليال وكان محمود في انتظاره وأخبره بدخول الرجل داره فأخذ محمود خنزرا من عساكره وسار مسرعا الى بيت الشخص وأمر باطفاء جميع النور وتقدم ومعه جمعيته وخنجره وقبض في الظلام على الجاني وخلع رأسه من بين كتفيه وأمر بتوليع النور فلما نظر الى أضحيته خر ساجدا لله

سبحانه وتعالى فسئل عن معنى اطفاء النور فقال خشية أن يكون الجانى من المقربين الى كاحد أولادى مثلا فأتركه فيضيع العدل وأمر بارسال عساكر ومحافظين فى الصحارى والطرقات لحفظ المارين فيها من اللصوص وقطاع الطرق

وكان عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب فى فنون العلوم وقصده العلماء من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم فكان من ضمن الذين وفدوا على ديوانه الفردوسى شاعر مملكة فارس وكان فى عصره مثل عميرالشاعر فى بلاد اليونان أو الجريس فطلب منه محمود أن يصنف له كتابا بالشعر فى سلاطين فارس فاتبع الفردوسى فى طريقة تصنيفه هذا الكتاب طريقة سلفه الدقيقى ولبث مدة قدرها ثلاثون سنة حتى أتم كتابه وكان محمود وعده أن يكافئه على كل بيت من الشعر بدرهم من الذهب فاستمر الفردوسى فى تصنيف كتابه حتى بلغ الى ٦٠٠٠٠ بيت من الشعر وسماه بالشاهنامه أى تاريخ الملوك وقدمه للملك وطلب مكافأته فأمر له محمود بمبلغ ٦٠٠٠٠ درهم من الفضة بدل ٦٠٠٠٠ من الذهب فثار الغضب فى وجه الفردوسى وخرج من ديوان الملك وتوجه الى مدينته وشرع فى تصنيف كتاب يقدح فيه على محمود وعلى خسة مولده من ابتداء أمره الى الحالة الموجود هو عليها فلما بلغ الملك سامحه فى ذمه وأمر بمكافأته بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ درهم من الذهب الا أن هذه المكافأة مضى وقتها لانه بمجرد وصول رسول الملك الى مدينة الفردوسى بأكياس الذهب ودخوله من أحد أبوابها كانت جنازة الفردوسى خارجة من باب آخر

وبموت محمود انحط مجد عائلته وانهزم وارثه مسعود من بعد مضى عشر سنوات بواسطة التركمان السلجوقية فى نواحى خراسان ومن بعد مضى مدة قليلة أخذ أسيرا بواسطة ثورة حصلت فى جيشه وقتله ابن أخيه محمود وكان سمل عينيه وفى مدة سلطنة مودود اغتصب السلجوقية جميع ممالك محمود الفارسية وطردوا منها العائلة الغزنوية

مطلب العائلة السلجوقية

وأصل هؤلاء السلجوقية من التركمان من ذرية سلجوق بن تقاق وكان تقاق هذا (ومعناه القوس) مستخدما تحت يد ملك الترك ولما كبر سلجوق فى بيت أبيه وظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم قربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى (ومعناه مقدم الجيش أو قائده) فدخل أعداء سلجوق حتى أفسدوا بينه وبين ملك الترك فلما رأى ذلك سلجوق هاجر بقومه من منحدرات كيجوق الى سهول بخارا وتوالدوا واستولدوا وقامت منهم عائلة قوية جلست على كرسى فارس لم يجلس نظيرها قبلها وكانت هذه العائلة استوطنت فى نواحى خراسان وكثر عددهم فى زمن سلطنة محمد بن سبكتكين حتى خاف هذا الملك منهم ومن كثرة عددهم فسأل ذات يوم النائب عنهم اسمعيل بن سلجوق وكان يحضر ديوان الملك كل يوم ويجلس أمام الملك متقلدا سيفه ورمحه وجعبته حسب العوائد الجارية عندهم وقال له محمد ما مقدار الذى يمكننى أن آخذه من قبيلتكم لمساعدتى فى وقت الاحتياج فأجابه اسمعيل لو أرسلت هذا الرمح الى قبيلتى ورمى آخر من تحت أقدام الملك للبى الدعوة ٥٠,٠٠٠ فارس خيال فقال له السلطان كل هذا قوتكم فأجابه أيضا لو أرسلت هذا ورمى آخر للبى الدعوة ١٠٠,٠٠٠ خيال فقال السلطان اذا كنت فى حالة ضيق جدا وأطلب مساعدتكم فما مقدار ما تساعدونى به فقال له لو أرسلت جعبتى هذه الى قبيلتى للبى الدعوة ٢٠٠,٠٠٠ خيال طائعين مختارين فارتاع محمد من ذلك وتيقن دمار مملكته من بعده فى المستقبل

مطلب سلطنة طغرولبك

وفى سنة ١٠٤٢ بعد الميلاد صار طغرول بك محمد بن سلجوق رئيس السلجوقية وجعل نفسه أستاذ خراسان واشتد ملكه ووطأنه وقلد نفسه فى هيئة سلطان أو ملك فى نيسابور وفى مدة أقل من عشرين سنة تغلب على فارس ودخل بغداد باذن من الخليفة وخطب له فى مساجدها من بعد الخليفة وزادت العلاقة والمحبة بين الخليفة وطغرول بك بواسطة زواج حصل وكان ذلك آخر زوال العائلة الديلمية من بغداد ودخل تحت طاعة طغرول بك جميع الجهات وتزوج الخليفة القائم بأمر الله ابنة داود أخى طغرول بك وكذا تزوج طغرول بك بنت الخليفة

مطلب وفاة طغرولبك

وفى سنة ٤٥٥ من الهجرة سار السلطان طغرول بك من بغداد الى بلاد الجبل فوصل الى الرى وكان مستصحبا معه أرسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فأخذها معه فمرض وتوفى وكان عمره سبعين سنة تقريبا حكى عنه أنه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأنى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيأ غير انى أشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فكررتها فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عمره بوجه التقريب فوجد سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وكان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا تقع فى يده مكاتبات من حواشيه بذمه والقدح فيه ولا يظهر غضبا ولا يظهرها لهم وكان يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البيض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأيديهم مطلقة فى ذلك ليلا ونهارا وكان كريما فمن كرمه أن أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوك فبذل فى نفسه أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه ذلك وحمله الى طغرول بك فأرسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى يخاطب طغرول بك فى فكاكه فلما سمع طغرول بك رسالته أرسل ملك الروم الى نصر الدولة بغير فداء وسير معه رجلا علويا فأرسل ملك الروم الى طغرول بك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب من الديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأنفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلاثمائة حمار مصرى وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون

مطلب سلطنة ألب ارسلان

ولما مات طغرول بك جلس من بعده ابنه الب ارسلان على كرسى أبيه (ومعنى الب ارسلان الاسد الكاسر) وقال بعض العلماء من الافرنج ان الب أرسلان حاز طبائع هذا الحيوان فى الشجاعة والبسالة وكان من أنجب الاولاد ومن دأبه العدل والكرم وكانت الفضائل من سجيته ومما يدل على ما كان عليه من الكرم والحلم والمروأة وعلو الهمة انه لما أسر رومانوس ديوجينيس وكان رومانوس أغار على بلاده وهدده مع الوقاحة بالدمار والخراب ولما أسره الب أرسلان أظهر عزة النفس وشرفها وأقامه من على الارض وضرب كفا على كف وقال لا يجب نقض شرف الامبراطور ولا حصول أدنى ضرر ولا ألم يخل بحيائه وصار يستقبح خسة الذين تركوا قائدا شجاعا مثل هذا فى وقت الخطر وعامله معاملة الملوك مدة ثمانية أيام ثم سأله أمام مجلس عقده من بعد مضى المدة وقال له ماذا كانت أيامك السعيدة لو وقعت أنا فى يدك وما كانت حالة أيامى عندك فأجابه رومانوس كنت أضربك ضربا سؤلما وأخرب بلادك ولا أقبل فيك فدية فقال له الب أرسلان وماذا تنتظر منى الآن بعد أن تبسم فى وجهه من معاملتى فيك فأجابه رومانوس ان كنت جزارا فاقتلنى وان كنت مغرورا معجبا بنفسك فتضعنى فى

عربتك

عربتك أجرها مثل رفيق وان كنت كريما حازم رأى فهبني حريتي واقبل فدائي فاتفقا على الفداء وفي المدة التي كان فيها رومانوس مأسورا عند الب أرسلان صار اغتصاب تخته ولما خلى سبيله صار لا طاقة له على دفع مبلغ الفداء وايفاء ما وعد به الب ارسلان ومع هذا فانه أرسل ما قدر عليه من النقود على قدر امكانه فاستعد الب أرسلان في غزوة لاجل أن يعيد سلطنة رومانوس اليه ومن بعد استعداده سمع بموته فتوقف عن حركة مسيره

ولقب الب أرسلان بعضد الدولة وكان صاحب خراسان في سلطنة أبيه ووزيره نظام الملك فدخل عميد الملك وزير طغرل بك على نظام الملك وزير الب أرسلان قاصدا خدمته وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف فسار أكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأرسله الى مرو الروز واعتقله فيها ومن بعد مضي سنة أرسل له غلامين فدخلا عليه وهو محبوس فقتلاه ولف في قميص دبيقي من ملابس الخليفة وحملت جثته الى كندر بلده ودفن عند أبيه وكان سبب اتصال عميد الملك بالسلطان طغرل بك أن السلطان لما ورد نيسابور وطلب رجلا يكتب له يكون فصيحا بالعربية فدل عليه وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه * لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديـ * ـه الى قسوة قلبه * صانه الله فما أكـ * ـثر اعجابي بعجبه

ومن شعره

ان كان بالناس ضيق من منافستي * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني * كل لكأس المنايا شارب حاسي

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرل بك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته

ثم ان الخليفة القائم بأمر الله لقب عضد الدولة الب أرسلان بضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما وشافه الرسل المرسولين من طرف ألب أرسلان بتقليده السلطنة وسلمت الخلع عشهد من الخلق وأرسل اليه من ديوان الخليفة النقيب طراد الزينبي فوصلوا اليه وهو بنقجوان من أعمال أذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة وفي سنة ٤٥٦ من الهجرة عاث الب أرسلان في بلاد الروم وفتح منها مدينة اني ومدينة الكرج وجهات أخرى وعاد من الروم الى أصبهان ومنها الى كرمان وكان بها أخوه قاورت ثم منها الى مرو وزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ما وراء النهر وزفت اليه وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة وفي سنة ٤٥٨ من الهجرة سار الب أرسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة أمراء دولته فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده وأركبه ومشى بين يديه بحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك وأقطع البلاد فأقطع مازندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان وخوارزم لاخيه أرسلان أرغو ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

قتل ألب أرسلان

وفى سنة ٤٦٥ من الهجرة قصد فى مباديها الب أرسلان ماوراء النهر فعقد على نهر جيحون جسرا من المراكب وعبر عليه فى نيف وعشرين يوما وكان عسكره يزيد على مائتى ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمى وحمل الى قرب سريره مع غلامين فأمر أن تضرب له أربعة أوتاد فى الارض وتشد أطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلى يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى وقال واأسفاه قد عرفت الآن من التجربة حقيقة الدروس والنصائح التى تلقيتها من محترم عاقل قال لا تحتقر بصغر عدوك وكن منه على حذر وكن خاضعا لله ولا تركن الى مهارتك وبسالتك ومكنتك فأنا نسيت نصيحته ومجالس علمه ثم قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتى من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت فى نفسى أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد على فعجزنى الله تعالى بأضعف خلقه أواه وأسفاه ماقوة المرء وشوكة الملوك عند معارضتهم قدرة الخالق سبحانه وتعالى وأنا أستغفر الله تعالى وأستقيله من ذلك الخاطر وتوفى ونقل الى مرو ودفن فيها بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة وشهورا وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى أن قتل تسع سنين وستة أشهر وأما يوسف فان أحد الفراشين ضربه بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك

نسب ألب أرسلان وصفته

وأما نسبه فهو الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه وكان يكثر الصدقة فيتصدق فى رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان فى دوانه أسماء خلق كثير من الفقراء فى جميع ممالكه عليهم الادرارات والصلات ولم يكن فى جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلى يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية فى نظام الملك وزيره وذكر ماله فى ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا فى الذى كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم وأشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية وبلغه أن بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم

سلطنة ملكشاه بن ألب أرسلان ١٠٧٢ بعد الميلاد

وجلس من بعده ابنه ملكشاه على كرسى أبيه وكان لما جرح السلطان الب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه هذا وكان معه وأمر أن يحلف له العسكر خلف جميعهم وكان المتولى للامر فى ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه ان يعطى أخاه قاورت بك بن داود أعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وأن يزوج بزوجته وأوصى أن يعطى ابنه ايازبن ألب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ماوراء النهر فعبر العسكر الذى قطع النهر فى نيف وعشرين يوما فى ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وعادوا الى خراسان

وقصدوا

وقصد وانيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه وأقام اياز أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه من نيسابور الى الري

وكان ملكشاه مثل أبيه نادرة عصره ووحيد دهره ذا شجاعة ومهارة وعلو همة واقدام على المصاعب وكذا وزيره وزير أبيه من قبله وهو نظام الملك كان على غاية من السياسة والتدبير وحسن العاقبة وكان السلطان من أكبر الفاتحين في الدرجة خضعت لسلطنته سوريا ومصر وجرجستان في الجهة الغربية وبخارا وسمرقند وخوارزم في الجهات الشرقية ودفع له الخراج القبائل المتبربرة الموجودة فيما وراء النهر أي نهر سيحون وكان الملوك والسلاطين والخانات من ابتداء سواحل البحر الابيض المتوسط الى السد الصيني يقدمون له طاعته وواجبات احترامه وخطب له على منابر جوامع بيت المقدس ومكة والمدينة وبغداد وأصفهان وبخارا وسمرقند وأورجنج والرها وكاشغر ولما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب ارسلان سار طالبا للري يريد الاستيلاء عليها وعلى الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فهزماه وهرب قاورت بك فجاء رجل من أهل السواد الى السلطان ملكشاه فأخبروه أن عمه قاورت بك في قرية من بعض القرى فأرسل من أخذه وأحضره فأمر بخنقه وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع ثم ان السلطان ملكشاه فوض الامور الى نظام الملك وزيره وذلك أن عسكره بسطوا أيديهم ومدوها الى أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان وبين له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا ما تراه موافقا وما فيه مصلحة فقال له نظام الملك لا يمكنني أن أفعل الا بأمرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها اليك كبيرها وصغيرها فأنت الوالد وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا منها أتابك فأظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما خلد له الذكر الجميل فمن ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فأنكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجابته

ثم سار ملكشاه الى الري وعرض عليه عساكره فأسقط منهم ٧٠٠٠ رجل لم يرض حالهم فمضوا الى أخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل ان نظام الملك قال للسلطان لما أمر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير العسكرية فاذا سقطوا لا نأمن أن يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضعاف ما لهم من الجاري الى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه وأظهروا العصيان ندم على مخالفة وزيره واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل نيسابور قبل أن يستولي تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فتحصن بها وكان تكش قد أسر جماعة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ في سنة ٤٧٣ من الهجرة

وفي سنة ٤٧٤ من الهجرة أرسل الخليفة المقتدي بأمر الله وزيره فخر الدولة الى السلطان ملكشاه يخطب ابنته لنفسه فسار الى أصبهان الى السلطان فأمر نظام الملك أن يمضي معه الى خاتون زوجة

السلطان فى المعنى فضيا اليها فخطباها منها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان جعل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها أرسلان خاتون التى كانت زوجة الخليفة القائم بأمر الله بما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه هذا المال فأجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيبت الى ذلك فأعطى السلطان يده وعاد الوزير الى بغداد

وفى سنة ٤٧٩ من الهجرة قدم السلطان ملكشاه بغداد بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام وعراق الجزيرة وكانت هذه أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها وأرسل نظام الملك الى الخليفة خدمات كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف الكرخى وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال ابن زكرويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * أرضت مضاجع من بها مدفون

فكأنك الغيث استهل بتربها * وكأنها بك روضة ومعين

فازت قداحك بالثواب وأنجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وكان السلطان ملكشاه مغرما بالصيد وكان حشمه الذين يصطادون معه ٤٧٠٠٠ فارس وتوجه مع نظام الملك الى الصيد فى البرية فزار المشهدين مشهد أمير المؤمنين على ومشهد الحسين رضى الله عنهما واصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وعاد الى بغداد

وفى محرم سنة ٤٨٠ من الهجرة نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثمانين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين أيدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيما كبير الذهب وسار بين يدى الجهاز الوزراء وكان السلطان قد خرج من بغداد متصيدا فأرسل الخليفة وزيره الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم مكان الا وقد أشعل فيه الشمعة والشمعتان وأكثر وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل الوديعة الى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لوليمة أمر بعملها وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى تركان خاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين ومن بعد ذلك عاد السلطان

سن

مقتل الوزير نظام الملك

من الصيد وفى الكامل لابن الاثير قال انه فى سنة ٤٨٥ من الهجرة أو سنة ١٠٩٢ بعد الميلاد قتل نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان فى أصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من أفطاره وخرج فى محفته الى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى من الباطنية فى صورة مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فأدركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمته فسكن عسكره وأصحابه ومكث وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب أرسلان قبل أن يتولى السلطنة مدة ما كان صاحب خراسان وكان قد كبر سنه وكان سبب قتله أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء فى دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة فى شئ فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على أن قبض عليه وأخرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فأرسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاسانى وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكى فى الملك ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى أن فعلوا كذا وكذا وأرسل معهم واحدا من خواصه وثقاته وقال له تعرفنى ما يقول فربما كتم هؤلاء شيأ فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت انى شريكك فى الملك فاعلم بانك ما نلت هذا الأمر الا بتدبيرى ورأيى أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم وهو ذلك الوقت يتمسك بى ويلزمنى ولا يخالفنى فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصى والدانى أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فى السعايات قولوا له عنى ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه ثم قال لهم قولوا للسلطان عنى مهما أردتم فقد أهمنى ما لحقنى من توبيخه وفت فى عضدى فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وأن يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى رسول السلطان السرى فأعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

وأما أخباره فانه كان عالما دينا جوادا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح وأمر ببناء المدارس فى سائر الامصار والبلاد وأجرى

عليها الرواتب العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول انى لست من أهل هذا الشان لما توليته ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشئ قبل الصلاة وأسقط المكوس والضرائب وكان يجل العلماء ويجلسهم فى صدر مجلسه وأخباره مشهورة ومحاسنه مأثورة قد ألفوا لها كتبا كثيرة وروايات خطيرة

موت ملكشاه وصفاته

وفى سنة ٤٨٥ من الهجرة أو سنة ١٠٩٢ من الميلاد سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد واستوزر من بعد نظام الملك تاج الملك وكان هو الذى سعى بنظام الملك وقد أمر السلطان ملكشاه بتفصيل خلع الوزارة له فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق أن السلطان خرج الى الصيد وعاد مريضا وأنشب الموت أظفاره فيه وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون موته وكتمته وسارت من بغداد والسلطان معها محمول فى محفة وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها ولم يسمع أحد من أقاليمه وممالكه بموته وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام أو سوريا ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الخراج وانقضت أيامه على آمن عام وسكون شامل وعدل مستمر ومن أفعاله أنه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأى شئ دعوت قال دعوت الله أن ينصرك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكى عنه أن سواديا لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك سواها فغلبنى عليه ثلاثة أنفار من الاتراك فأخذوه منى فقال له السلطان اقعد ثم أحضر فراشا وقال له قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمر باحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فأمر أن يجيئهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادى خذ هذا مملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك أو يحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لاضربن عنقك فأخذه السوادى فاشترى الغلام منه نفسه بثلاثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلاثمائة دينار فقال أرضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا السلامة وقيل انه مر فى ممالكه الواسعة اثنتى عشرة مرة وكان له فكرة سامية وقادة فى الحروب الداخلية واخمادها والغلبة على من يقوم بها واتفق فى عبوره نهر جيحون الى ماوراء النهر أن رئيس المعداوية الذين كانوا ينقلون العساكر من شاطئ الى اخر تشكى من تحويل صرف أجرته على ما يأتى من خراج أنطاكية فغضب السلطان وأخذه الزعل وسأل نظام الملك فى ذلك فقال نظام الملك المتصنع فى الكلام لست أقصد توقيف أجرته بل ذكرت له هذه الجهات القاصية ربما يأتينا النصر من عند الله حتى ان أنطاكية وجيحون يكونان تحت سلطنة واحدة فتبسم الملك لذلك وانصرف عن المعداوى الزعل ولم يمض الا القليل حتى ورد الخراج من سوريا واستوفى المعداوى حقه وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات وأسقط المكوس والمؤن من جميع

البلاد

البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التى فى المفاوز وحفر الانهار الخربة وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد بأصبهان وكان يتصدق بكثير من الاموال

ومن بعد موت السلطان ملكشاه استمرت المملكة الفارسية فى حروب داخلية وارتباكات وقلاقل بين أولاده مدة ثلاثين سنة وفى مدة سلطنته كان ظهر مذهب القرامطة القديم تحت قيادة شيخ الجبل حسن الصباح وهو ابن واحد من العرب من حمير ولقبوا بالباطنية أو الزنادقة أو الاسماعيلية فجاسوا خلال الديار وتغلبوا على بعض جهات من المملكة وأذاعوا الدين القرمطى أو دين الزندقة وغلبوا على أكثر مدائن بلاد العجم وصار بينهم وبين أولاد السلطان ملكشاه حروب استمرت المدة المتقدمة وكانت نتيجة هذه الحروب جلوس سنجر الولد الثالث من أولاد السلطان ملكشاه الاربعة وكان سنجر هذا وبركيارق ومحمد ومحمود الاربعة أولاد السلطان محمد ملكشاه وكان بركيارق أكبر أولاد السلطان وكان فى أصبهان ولما مات السلطان وأخفت زوجته تركان خاتون موته أرسلت فى الحال الى أصبهان بالقبض على بركيارق مخافة أن ينازع ولدها فى السلطنة فصار القبض عليه ولما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك فى أصبهان فأخذوه وثاروا فى البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق ابنة عم ملكشاه وقتل الوزير تاج الملك واستوزر بركيارق عز الملك بن نظام الملك وفى سنة ٤٨٧ من الهجرة خطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه فى بغداد وكان قدمها وأرسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحملت اليه الخلع والتواقيع وفى سنة ٤٩٠ من الهجرة ملك بركيارق خراسان وسلمها الى أخيه سنجر وجعل الامير قاج أتابك سنجر ورتب فى وزارته أبا الفتح على ابن الحسين الطغرائى وفى هذه السنة كان ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه وفى سنة ٤٩١ من الهجرة كانت الحروب بين سنجر ودولة شاه وهو من أبناء الملوك السلجوقية فهزم سنجر فى نواحى بلخ وعفا عنه من القتل وحبسه ثم سمل عينيه وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وفى سنة ٤٩٤ من الهجرة أمر سنجر بقتل جميع الزنادقة الباطنية بسبب ما فعلوه من الفظائع فى بلاده والخروج عن الدين وما ارتكبوه من الاثم والعدوان وكانوا استولوا على قلاع كثيرة فى بلاد مملكة فارس

وفى سنة ٤٩٨ من الهجرة مات السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصبهان بداء السل والبواسير فسار منها فى محفة طالبا بغداد فاشتد مرضه فى الطريق فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وجعل الامير اياز أتابكه وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم أنه قد جعل ابنه ولى عهده فى السلطنة وأمرهم بالطاعة له ولاتابكه ومساعدتهما على حفظ السلطنة وكان عمر بركيارق لما توفى خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع السلطنة عليه اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد وفى سنة ٥٠٨ من الهجرة تغلب سنجر على ما كان لبيت محمود بن سبكتكين فى نواحى غزنة وأعمالها من بعد وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وخطب له بنواحى غزنة وفى نفس المدينة وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يعد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دور الملوك عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقى مياه البساتين من الفضة فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما بلغ سنجر ما فعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس ومن جملة ما حصل لسنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفى ألف دينار وألف

مطلب سلطنة سنجر

وثلاثمائة قطعة من المصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما وقرر فيها بهرامشاه ورجع الى خراسان

وفى المدة التى بين سنة ٥٠٨ وسنة ٥٣٦ من الهجرة حصلت وقائع وحروب بين سنجر واخوته وأولاد اخوته و بينه وبين الباطنية كان جميعها النصر فيها لسنجر بن ملكشاه وفى سنة ٥٣٦ من الهجرة كان انهزام سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ماوراء النهر وسبب ذلك أن سنجر كان قتل ابنا لخوارزم شاه أتز بن محمد فبعث خوارزمشاه الى الخطا وهم بماوراء النهر يطمعهم فى البلاد ويزوج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة سنجر فساروا فى ٣٠٠٠٠٠ فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم ١٠٠٠٠٠ قتيل وأسرت زوجة السلطان سنجر واستمر سنجر منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزمشاه خراسان وجاس فيها وقتل أهل كل مدينة توقفوا فى تسليمها اليه مثل مرو ونيسابور وغيرهما وكان السلطان سنجر لم يزل مسعودا الى هذا الوقت لم تنهزم له راية ولما تمت عليه الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود ابن أخيه وأذن له فى التصرف فى الرى وما يجرى معها على قاعدة أبيه السلطان محمد وأمره أن يكون مقيما فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة فوصل عباس صاحب الرى الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعود خدمة عظيمة وسار الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر ثم بعد قليل عاد سنجر الى بلاده وصار له قوة كما سيذكر بعد

مطلب تغلب الغز

وفى سنة ٥٤٨ من الهجرة فى أولها انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا وكانوا كفارا أخرجوهم من البلاد التى تغلبوا عليها فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا وأقاموا بنواحى بلخ يرعون فى نواحيها ومراعيها وكان لهم أمراء منهم دينار و بختيار وطوطى وأرسلان وغيرهم فأراد الامير قماج ملتزم بلخ ابعادهم من بلاده فصانعوه بشئ بذلوه له فعاد عنهم فأقاموا على حالة حسنة لا يؤذون أحدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال من بلده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم فى رأس ١٠٠٠٠ فارس فجاء اليه أمراؤهم وسألوه أن يكف عنهم ويتركهم فى مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتى درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم فى الخروج من بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره وأكثروا القتل فى العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها سنجر فأعلمه بالحال فراسلهم سنجر يتهددهم وأمرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا له بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم فى مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد واجتمع معه ما ينوف عن ١٠٠٠٠٠ فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديد فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو أيضا وتبعهم الغز قتلا وأسرا وقتل قماج وأسر السلطان سنجر ومن معه من الامراء فأما الامراء فضربوا أعناقهم وأما السلطان سنجر فان أمراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك ولا نخرج عن طاعتك فقد علمنا أنك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فأنت السلطان ونحن العبيد فمضى على ذلك ثلاثة أشهر ودخلوا معه مرو وهى كرسى ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز أن تكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحنق له بختيار فلما رأى ذلك نزل عن

سرير الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله وفى هذه المدة غلب كل واحد من الغز على ناحية من خراسان يأكل من دخلها ولا رئيس لهم يجمعهم فهرب السلطان سنجر من أسر الغز من بعد أن لبث فى الأسر أربع سنوات فى ضيق حال هو وجماعة من الامراء الذين معه وساروا الى قلعة ترمذ واستظهروا بها على الغز وسار سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور فأقبل عليه الاتراك القارغلية من بعد موت أميرهم على بك وكان أشد شئ على سنجر وكذلك غيرهم من الامم من أقاصى البلاد ودانيها وعاد الى ملكه بمرو وفى سنة ٥٥٢ من الهجرة توفى السلطان سنجر أى فى سنة ١١٧٥ بعد الميلاد أصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع أخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولىّ عهده فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره وأطاعه السلاطين وخطب له على أكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا وحده مترقيا الى أن أسره الغز كما سبق ذكره ثم انه خلص بعد مدة وجمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه فأدركه أجله وكان مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد فى زمانه آمنة ولما مات دفن فى قبة بناها لنفسه سماها دار الآخرة وكان سنجر آخر ملوك البيت السلجوقى وأما طغرول الثالث الذى بموته انقرض الفرع السلجوقى الفارسى فقتله خوارزم شاه وكان اقتحم فى ميدان المحاربة وهو سكران الأن هذه القبيلة كانت انتشرت فى آسيا الصغرى ومنهم ملوك قونية المعروفون فى التاريخ الغربى لآسيا ومن بعد سقوط العائلة السلجوقية الى أن فتح مملكة فارس هلاكوخان حفيد جنكيزخان مدة تنيف عن نصف قرن تدمر القسم الاعظم من هذه المملكة بواسطة محاربات جرت بين ملوك صغيرة أطلق عليهم اسم الاتابكية وهذه اللفظة مركبة من كلمتين أتا ومعناها وصى أو مربى وبك ومعناها سيد أو أمير وكان هؤلاء شيدوا أنفسهم وأقاموا لهم سلطنات عندما رأوا أن المملكة آخذة فى الهبوط والظاهر أن هؤلاء هم الغز المتقدم ذكرهم وكانت مدتهم محزنة كئيبة وكانت حالة المملكة كل يوم فى حال وتغير أهوال من تسلطن الزعازع والعواصف وخراب البلاد وهلاك العباد وزاد ذلك وحلة على وحلة

خروج جنكيزخان

خروج جنكيزخان كصواعق انقضت على آسيا حتى غرق أراضيها بدماء أهلها ولا يمكن وصف ما أوقعه جنكيزخان من خراب مدائن فارس وتبعه السلطان محمد سلطان خوارزم وكان جنكيزخان هذا ابن خان صغيرا وكان فارق بلاده وسار الى نواحى تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقود والنقرة الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهى آخر ولاية خوارزم شاه وكان له نائب فيها فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر أرسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزم شاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم وكان شيأ كثيرا فلما وصل الى خوارزم شاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم ولما وصل الخبر الى جنكيزخان انقض فى رأس ٧٠٠٠٠٠ من عساكر المغول على البلاد مثل سحاب استدبرته الريح وكنسوا وادى الصغد الغنى الثروة وأخذوا وأحرقوا وهدم فى أثناء سيره مدائن بخارا وسمرقند وخوقند وأوترار ومرو وبلخ ومدائن أخرى كثيرة وخربوا خراسان ونهبوا مدائنها وذبحوا أهلها وهدموا نيسابور وسوّوا أبنيتها بالارض وسفكوا دماء أهلها وقد روى أن الحصان ما كان يمشى

فى شوارعها خطوة الا ويعثر من كثرة الرمم وصار تقدير الذين قتلوا فيها بما فيهم من أهالى البلاد والقرى المجاورين لها الذين التجؤا فى داخل أسوارها فبلغ عددهم نحوا من ١٧٤٧٠٠٠ نفس وأما عدد الذين قتلوا فى مرو وهراة وبغداد فقد ذكر مؤرخو الشرق أعدادا لا يمكن التصديق بها حتى صارت أقاليم فارس من ابتداء بحر الخزر الى الخليج الجنوبى ومن نهر تيجان الى نهر الدجلة متسلطن فيها الدمار والخراب وعاقب جنكيزخان المحلات التى تأخرت عن فتح أبوابها عند أول اعلان لهم بأشد العقاب والعذاب ومن قبل توقيف حركته هذه بالموت ومن بعد أن شبع بالدماء استيقظ من منام جنونه الذى تولد منه دمار هذه البلاد وقتل أهلها من العباد رغب فى اعادة ما أمر بتدميره الا أنه لم يجد وقتا يساعده على مرغوبه ووصى لاولاده بالملء الاراضى القفرة التى خربها فوقع من قسم هولاكو حفيده مملكة فارس وتمام خضوعها فسار حفيد رأس المغول فى رأس جيش قدره ١٢٠٠٠٠ فارس و ١٠٠٠ عائلة من الصينيين من أرباب الصنائع والمهندسين من قلعة الموت وأصلها قلعة الموت ومعناه تعليم العقاب وكان تغلب على هذه القلعة نحو القسطنطينية وكان معه نصر الدين الفلكى المشهور فلما قرب من بغداد باشارة نصر الدين فى عدم الغلبة على مدينة المؤمنين وهى الوطن الباهر لعائلة العباس فلم يلتفت هولاكو الى قوله ومحق الطيف الخيالى الذى كان باقيا فى هذه العائلة التى كانت صاحبة الشوكة والمجد والسعادة وأنزل عليها سيل الدمار وغرقت أطلال بغداد بدماء أهلها وسكانها وانتقلت مملكة الخلفاء الى أيدى أحد المتوحشين وتغلب على فارس وأقاليمها فى سنة ١٢٥٨ بعد الميلاد

مطلب هولاكو وابنه ومحمد خودابنده

ومع أن هولاكو ما كان معدودا من المتبربرين المتوحشين الذين كانت أيامهم مشحونة بالدمار والخراب والقتل والنهب الا أنه ما كان له طاقة على اغماد سيفه فى قمع المعارضين له وجعل هولاكو مركز مملكته ومقر سلطنته مراغة من أعمال أذربيجان ومن هذا الوقت صار تاريخ المملكة خاليا الحوادث والوقائع وتمتع هولاكو بسلطنته وبالآداب والعلوم وصرف أوقاته وساعات راحته فى محادثة الفلاسفة والعلماء وأما العالم نصر الدين وكان خلاصه من حبوس الاسماعيلية فانه حثه على بناء محل رصد للكواكب فابتنى هولاكو دار الرصد فى مدينة مراغة وصار له دراية تامة ومعلومية كاملة فى علم الفلك مع نصر الدين حتى حسبوا الجداول الفلكية المعروفة بجداول الخانى وهو لقب هولاكو حفيد جنكيزخان وصارت جداول نصر الدين وأولغ بك مرعية لحد الآن وبها أدرج أطوال وعروض لجهات لم يصل أرباب الرصد من أهل أوروبا الى تعيينها لحد الآن ومات هولاكو ودفن فى مدينة مراغة وجلس من بعده ابنه ابغاخان وكان مشهورا بالذكاء والعدل والعقل وكان كريما حليما رؤفا على رعيته ومازالت أحوال السلاطين جارية على حالة من الهدو والسكون وفى هذه المدة ظهر غازان خان فدون القوانين والشرائع المشهورة لحد الآن فى الشرق ومن بعده ابنه محمد خدابنده واشتهر هذا بأنه أول ملوك فارس وأشهر نفسه أنه من شيعة على رضى الله عنه وابتنى مدينة سلطانية ولم يزل قبره بها لحد الآن ومن ابتداء موته لحد فتوح تيمور كان تاريخ مملكة فارس لا يشتمل الا على ثورات وغاغات وجرائم وقبائح وقتل وارتباكات تولد منها دمار المملكة وخرابها

مطلب تيمورلنك

وفى سنة ١٣٩٣ بعد الميلاد ابتدأ الفاتح الكبير تيمور أو تيمورلنك فى مملكة فارس وأخضع المملكة مع السرعة لطاعته وكان ظهور تيمور من الاقاليم الصيطيانية (التتار) التى هى محل مسقط رأس الشجعان والفرسان وكان ينسب نفسه للفرع الذى منه جنكيزخان الا أن عمود نسبه منسوب الى

قره

قره شارناويانى وزير زغطاى خان بن جنكيزخان وتولد من شجاعته وشهامته فى مبدا شبابه كونه اشترك فى حروب الوقت حتى تقلد بالنسبة لشرف مولده وانه هوالامير الوارث على قبيلة الكيش وظيفة قائد ١٠٠٠٠ فارس من طرف الخان الاكبر وما كان عمره بلغ خمسا وعشرين سنة لحد هذا الوقت ولما ألزم خلفاء تيمور طغليق ملك كاشغر وتركستان فيما وراء النهر كافة الامراء بالحروب أو الانقياد لهم ظهرت شجاعة الفاتح فى المستقبل فى ميدان الحروب ومن ابتداء هذا الوقت عرض حياته لميدان مشروعات الاخطار والاهوال أو النصر والظفر واستمر فى حروبه حتى أخرج أعداءه من بلاده وديار قومه ولما بلغ عمره أربعا وثلاثين سنة دعى مخلص بلاده ومنقذ قومه الى أن صار هو الحاكم الاكبر والسلطان الاعظم فى مجلس عام عقد فى عاصمة زغطاى من كافة أهل المملكة الزغطانية ووضع بيديه على رأسه تاجه الذهب وتمنطق بالمنطقة الملوكية ونثر عليه الامراء والاعيان وحكام المملكة الذهب والجواهر وحيوه بتحية ملك الوقت وفاتح الدنيا فلم يقبل تيمور مع الادب وحزم الرأى والخضوع هذه الالقاب واكتفى بلقب أمير وصار معروفا لحد الآن فى الشرق بهذا اللقب ومن صبره وتيقظه وأخذه الاحترازات فى مدة الحروب صار على دراية تامة فى سوق الجيوش وتدبير الحركات الحربية والشجاعة وحزم الرأى والاقدام على مصاعب الامور وانتهاز الفرص فى الاعمال اللازمة لزيادة شوكته واحكام مملكته ونقل عنه أهل بلاده أن تيمور قال بنفسه فى مجلسه انى كنت ذات يوم أخفيت نفسى عن أعدائى فى خرابات بناء قديم وبينما أنا جالس بمفردى فى هذا المكان أدبر نفسى فيما يحصل لى من عدم المساعدة وقطع الامل من حالتى اذ حققت نظرى من نملة كانت حاملة حبة من الذرة أكبر منها صاعدة بها الى قمة حائط فوقعت الحبة منها فعادت وأخذتها وصعدت بها فوقعت منها فعادت اليها فعددت لها تسعا وستين مرة وفى المرة السبعين أخذت الحبة وتمكنت منها وصعدت بها الى أعلى الحائط فلما رأيت ذلك قويت نفسى ولم أنس مدة حياتى هذه التذكرة التى أرسلت الى من عند الله

وقال تيمور كنت معسكرا فى ضواحى بلخ مع قوة قليلة معى ومن بعد أن استمريت فى الخفر طول الليل محييا الليل بالقراءة والصلاة والفكر والاشتغال انقضى الليل ولاح الفجر فقمت وصليت ودعوت الله سبحانه وتعالى أن ينقذنى ويخلصنى من هذه العيشة التى أنا فيها من رحيل ونزول وسفر وأتعاب ومشاق ومن قبل أن أتم دعائى رأيت على بعد جماغفيرا من الناس مروا على صف واحد فى طول الجبل فركبت حصانى وسقت خلفهم لاعرف حالتهم ومن أى الجهات هم وكانوا سبعين فارسا فسألتهم وقلت لهم من أنتم أيها الفوارس ومن أى الجهات أنتم فقالوا الى نحن خدم الامير تيمور ونحن مجرون البحث عليه فما استدللنا عليه ولا وقفنا على مكانه فقلت لهم ماذا تقولون لودللتكم عليه وأوصلتكم اليه فركض واحد منهم حصانه بسرعة وذهب وأخبر القواد وقال لهم نحن وجدنا من يدلنا على الامير تيمور ويوصلنا اليه فدار القواد سروج خيلهم وأمروا أنى أحضر أمامهم وكانوا ثلاثة عساكر فكان القائد الاول منهم طغليق خوجه والثانى الامير سيف الدين والثالث طبوق بهادر وبمجرد ماوقع بصرهم على انشرحت صدورهم ونزلوا جميعا من فوق خيولهم وجثوا على ركبهم وقبلوا ركابى فى السرج فنزلت أنا أيضا من فوق حصانى وأخذتهم بالحضن والاعتناق ووضعت عمامتى على رأس طغليق خوجه ومنطقتى المرصعة بالجواهر فى وسط الامير سيف الدين ونزعت ملابسى وألبستها طبوق بهادر فبكوا جميعا وأنا بكيت معهم أيضا ولما حضر وقت الصلاة صلينا جماعة وجمعت قومى وعملت لهم وليمة عظيمة

وبواسطة ما حازه تيمورلنك من الخصال الحميدة التي جلبت اليه قلوب العساكر التركمانية الخشنة استحوذ على حقيقة نجاحه ومقصده ونواله ولما ازداد ثناء أهل بلاده عليه علت سطوته وازدادت شوكته وساق عساكره من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد حتى داس الملوك تحت رجليه وأباد جيوشهم وشتت شملهم وهدم المدائن وجعل السهول الخصبة صحارى قفرة وسار من شطوط نهر الارطيش الى أبواب مدينة موسكو وأخضع جميع بلاد التتار وتسلق جبال الهند وانقضت عساكر المغول من فوق رؤس هذه المناطق الارضية كانقضاض النسور على الاقاليم العظيمة الهندية وغرقوا أرضها بدماء أهلها وحرقوا الهياكل وكسروا الاصنام وغيروا حالة البلاد ولما أوقع تيمور بالبلاد الهندية المصائب والدمار عاد عنها راجعا مع السرعة تاركا خلفه أرضها الخربة وصحاريها المقفرة وكان تغلبه بعد الهند على فارس وأرمينية وسوريا وآسيا الصغرى وجرجستان والقوقاس من أشد الاحوال وأصعب الاهوال وكان السلطان بايزيد جالس على تخت أبيه عثمان وكان ملكا مستحوذا على أقاليم شاسعة فحصل بينه وبين هذا الجبار واقعة في نواحي أنقرة كانت نتيجتها هزيمة عساكر بايزيد وأسره تحت يد تيمور ورأى تيمور نفسه في الدنيا الغريبة من غير عدو ولا خصم حالما أسر عدوه بايزيد العثماني

وكانت مملكة فارس في هذا الوقت مقسومة الى ايالات صغيرة ليس لها طاقة على مقاومة تيمور وعساكر التتار فخضع غياث الدين سلطان خراسان من بعد أن صارت محاصرته في هراة وفتحت نيسابور وسبزوار أبوابها ونجت من مصابها وعذابها ونهب تيمور المدائن الاخرى التي حصل منها مقاومة له في تسليمها اياه ودمرها وقتل أهلها وفتح قلاع كلات الحصينة ومال سلطان مازوندران الى الطاعة والخضوع وأرغم تيمور خراسان وسيستان الى الطاعة والانقياد الا أن الاهالي لما وجدوا أول فرصة لهم قاموا في ثورة وخرجوا عن الطاعة فسار اليهم تيمور وعاملهم بكل فظاعة وشناعة وتولد من تيمور وعساكره التتارية خسارة البلاد وقتل العباد وصارت الرمم آكاما والرؤس أهراما وأرسل الملك والامراء والاعيان أسارى الى سمرقند وأسر من كان عاصيا عليه في مكران وتغلب على قندهار وكلات بالهجوم عنوة وأما الافغانية القاطنون في جبال سليمان فانهم من بعد أن أطاعوه وخضعوا له نقضوا طاعته وخرجوا عن سلطنته فتوجه اليهم ودمر بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم ونهب الرها ونجت مدينة سلطانية بنفسها بدفع خراج قدره له وخضعت مدينة سارى وعمول فنجت أهاليهما من عذاب تيمور وبطشه وأخضع العراق وهدم قلاعها وصارت أذربيجان ميدانا لسفك الدماء والنهب والسلب وذكر بعض المؤرخين أن تيمور وعساكره لما قربوا من مدينة بغداد لاجل التغلب عليها أرسلت بطاقة مع حمامة من القبة الابراملقية وهي محل مزار على مسافة سبعة وسبعين فرسخا من مدينة بغداد في الجهة الشمالية الغربية منها وكانت هذه البطاقة من طرف حاكم الجهة ينذر السلطان ومن معه بحصول الخطر والضرر فنقل السلطان أحمد الخاناني عائلته وسار الى الجهة الجنوبية من نهر الدجلة وكسر الجسر المصنوع من المراكب على الدجلة وأمر بتغريق المراكب ولما كشف تيمور حالة البطاقة أمر حاكم الجهة بارسال بطاقة أخرى للسلطان بأن ما حصلت الاشاعة عنه لاصحة له وتولد من هذه الحيلة اغفال السلطان عن المراقبة وان لم يغفل عنها عساكره وخفره فجد تيمور مسرعا في سيره وسار نحوا من ثمانين ميلا من دون أن يقف برهة لاخذ الراحة حتى وصل هو وعساكره الى شواطئ نهر الدجلة في صباح يوم ٥ سبتمبر سنة ١٣٩٣ بعد الميلاد وكان السلطان مستعدا راكبا على ظهر حصانه ناظرا الى جهة الشرق

فسمع

فسمع نعيق القرون وضرب الطبول ورأى كثرة عساكر لا يحصى عددها اسودّ منها السهل والوعر وتتابعت طوابير العساكر بعضها وراء بعض ودخلوا فى النهر السريع الجريان من دون وقوف كانهم فى حركة على الارض واقتحموا النهر من فوق المدينة ومن أسفل منها ومن كل منفذ وصار لا فرق بين المياه والارض الجافة واستترت المياه والارض بازدحام هذا الجيش الكثيف ووقف الاهالى ينظرون ويستغربون ويعضون على أصابعهم ويسأل بعضهم بعضا ما هذا العالم وما شأنه ويطلبون من الله العون والحماية من مثل هؤلاء الناس أهل الجراءة والاقدام ولما رأى السلطان هذه الحالة التى أفزعته هرب فى الحال وتبعه قسم عظيم من عسكر تيمور تحت قيادة شجعان ضباطهم وطاردوا السلطان طول النهار والليل وفى صباح اليوم التالى رأى الطاردون من عساكر تيمور أنفسهم على شواطئ نهر الفرات فعبره بعضهم بالقوارب وبعضهم بالعوم غير أن قوة الخيل ما كانت معادلة لجنة ركابها وتعب جميعها ما عدا خمسة وخمسين من أجود الخيول كان راكبا فوقها الامراء والقواد وأنفس من الشجعان أدركوا السلطان ومن معه فى مرج كربلاء المشهور فوقف لهم السلطان وعساكره وصاروا يضربون عليهم بالنشاب والحراب واستمروا معهم فى حرب وضرب حتى صار الضرب يدا بيد وقتل كثير من الطرفين ورجع التتار وهرب السلطان مع نفره ونجا بسلامة نفسه وترك ميدان الحرب وسفك الدماء الى التتار ولا لزوم فى هذا المختصر لتتبع مفصلات حكايات تيمور ولما أحس تيمور باشرافه على الموت فى سنة ١٤٠٥ بعد الميلاد وصى بمملكة زغطاى الى حفيده بير محمد بن جهانكير مرزه الابن الاكبر لتيمور فحصل بين هذا الامير وبين ابن عمه السلطان خليل بن ميرانشاه مرزه الابن الثالث لتيمور مشاحنات وحروب انتهت بموت بير محمد ووقع خليل أضحية فى حب وغرام الجميلة شاه الملك وكانت امرأة من أجمل النساء خصالا وجمالا وصرف عليها خليل الاموال والخزائن الكثيرة التى كان جمعها جده وكانت أعظم صديق له ومحبته فيه ولما مات ضربت نفسها بخنجر فماتت ودفنت معه فى قبر واحد فى الرها وذلك أن البارشاه مرزه أصغر أولاد تيمور وكان فى مدة حياة أبيه حاكم خراسان قتله وصار سلطانا وما كان لهذا السلطان غرام فى الفتوحات والحروب بل عكف نفسه على اصلاح ما دمرته وخربته حروب السلطنة الاولى فأعاد بناء هراة ومرو وصار ديوانه الجميل مركز الفلاسفة ومقر العلماء والشعراء وكانت حروبه المهمة مع عصاة التركمان فى آسيا الصغرى حتى أخضعهم لطاعته وقادهم لحكومة سلطنته

ومن بعد أن جلس أولغ بك بن شاه رخ وكان على دراية من العلم وعلى الخصوص العلوم الفلكية فكانت سلطنته مشهورة بجمعيات علماء الفلك الذين كان يدعوهم الى ديوانه من أقصى بلاده وحسب الجداول الفلكية المشهورة باسمه ولم تزل مرعية لحد الآن ثم خلع وقتل فى سنة ١٤٤٩ بعد الميلاد وخلفه ابنه عبد اللطيف وهذا قتله عسكره من بعد مضى ستة شهور من سلطنته وصارت مملكة فارس مرة أخرى عرضة للقلاقل والاختلالات الداخلية الحاصل وقوعها عندهم وشيخوخة وسقوط كل عائلة أو دولة وآلت النتيجة فى آخر الامر الى أن وقعت المملكة الفارسية فى أيدى ثلاثة ملوك كل منهم على حدة من الآخر فمنهم السلطان حسين مرزه من ذرية تيمور كان له ديوان مفتخر فى هراة وكان سلطانا على خراسان وقره يوسف ويلقب برئيس تركمان النعاج السود وكان مستحوذا على أذربيجان والعراق الفارسى وفارس وكرمان وأزون حسن الملقب برئيس تركمان النعاج البيض وكان مستحوذا على

أرمينية وعراق الجزيرة وقسم من آسيا الصغرى ولما صار له جميع فارس الغربية هجم على السلطان العثمانى محمد الثانى فانهزم شر هزيمة وانتهى مشروع مطامعه واكتفى أولاده أولاده أولاده وأولاد اخوته باراضيهم وممالكهم الا أن مدة سلطنتهم كانت قصيرة بواسطة قيام دولة جديدة أقوى منهم شوكة ولما خربت مملكة فارس الخراب الطويل من المظالم والجور الحاصل من الاجانب ومن الاختلالات الداخلية حصل لها أخيرا الظفر والنجاح والتوفيق بان صارت تحت شوكة وسلطنة واحد من أهلها

مطلب الدولة الصوفية

وذلك انه كان بمدينة أردبيل من أعمال أذربيجان ولى من أولياء الله اسمه الشيخ صفى الدين كان تقيا نقيا زاهدا من ذرية الامام موسى الكاظم الامام السابع فمن بعد موته جلس على سجادته ابنه صدر الدين فزاد اعتقاد الناس فيه حتى زاره الملوك والسلاطين فى خلوته ولما وصل تيمور الى هذه الجهات توجه أيضا لزيارته والتماس بركته فقال له الشيخ صدر الدين أولا استكفيت بما أعطيت أعطنى هؤلاء الاتراك الذين أخذتهم أسرى فما كان لتيمور جواب الا أن سمح خاطره بقبول طلب الشيخ وأمر بتسليمهم الى خدمه فكساهم الشيخ وفرق فيهم هدايا من بعض خيراته وأخلى سبيلهم فجعل القبائل الذين كان هؤلاء الاسرى ينسبون اليهم أنفسهم أتباع الشيخ وحماة داره وذكر فى زينة الطريق أن أسماء السبع قبائل الذين تميزوا فيما بعد بغطاء الرأس بعمامة أو ملبوس مخصوص واقبوا بلقب قزلباشية هم قبائل أوتاجلو والشاملو ونيكالو وبهارلو وذوالقدر وكجر والافشر واستمر أولادهم على ما كان عليه آباؤهم من الخضوع والخشوع والاحترام وصارت ذرارى أسرى تيمور معاضدين لعائلة الشيخ صفى الدين حتى أمكن لولد متعبد فى خلوة أن يجلس على أعظم التخوت الباهرة فى الدنيا

وكان السلطان حيدر النسل الخامس من ذرية الشيخ الصوفى ودمه مخلوط من دم صاحب الشوكة أزون حسن رئيس تركمان النعاج البيض هو أول من نال الدولة والشوكة الدنيوية الا انه مات فى مشروع كان أجراه على شيروان وقبره مشهور يزار الى الآن فى مدينة أردبيل وقتل يعقوب من ذرية أزون حسن السلطان على خليفة حيدر وفى سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد وقال آخرون فى سنة ١٥٠٤ من موت يعقوب ببضع سنين قام اسماعيل الابن الثالث لحيدر من بنت أزون حسن وساق أتباعه وعمره أربع عشرة سنة وهزم العدو المتغلب على مملكة بيته وهو السلطان شيروان ولازمته السعادة هو وعسكره فى واقعتين مع ملوك النعاج البيض حتى جعل نفسه سيد أذربيجان ثم فى حرب تالية تغلب على العراق وفى ظرف أربع سنوات من ابتداء خروجه الى ميدان الحروب خضعت الى سلطنته كامل مملكة فارس ولما كان اسماعيل ليس من أبناء أحد رؤساء القبائل حتى يكون عرضة لحروب ومشاحنات انتظامية تقع عليه من أى قبيلة وما كان تحت غرض عدوانى تولد من هذا أن صار موقرا محترما عند عموم القبائل والعشائر ولما دخل فى عقائد الشيعة وكان أهلها أقل شوكة وأقل اعتبارا فى المذهبين الكبيرين الاسلاميين اتحد الشيعة وصاروا جامعة واحدة وقويت فى التعصب شوكتهم الا أن اسماعيل تجنب تعصب أتباعه وجعل المحافظة على نفسه فى الاعتكاف والعبادة تحت ملازمة القبيلة السابعة القزلباشية وأعد أهل هذه القبيلة رجالهم وسيوفهم فى سبيل المدافعة عن مليكهم ودينهم ومن ثم سار ابن الشيخ الصوفى من غير مبالاة فى اجراء أعماله المنصورة واستمرت السعادة باسمه لولعسا كره وجيوشه مدة خمس عشرة سنة فخضعت له بغداد وتوابعها وطرد

الازابكة من خراسان وقتل أميرهم الفارس شاهبانى خان واعترفت بلخ بسلطنته ومابقى له الاعدو واحد مهول يلزمه المقابلة معه فى ميدان الحرب (وهو السلطان سليم العثمانى) وهذا السلطان عندما اشتعلت فى رأسه نار الغيرة سار من القسطنطينية بخصوص هشم وحطم الشوكة والدولة القائمة فى مملكة فارس فتقابل الجيشان على حدود أذربيجان ومع ما كان فيه اسماعيل من الاحتراز وتدبير الحركات العسكرية فانه انهزم ولو أن خصمه لم يتحصل منه على ما كان عازما عليه من نصرته نصرا حقيقيا على اسماعيل الا أن الهزيمة كانت من أصعب الامور على اسماعيل حتى انه ما رؤى بعدها يضحك أو يتبسم بالضحك

وبمجرد موت السلطان سليم عبر ابن حيدر نهر عراس وأدخل جورجستان فى طاعته ومن بعد ذلك بقليل مات سنة ١٥٢٣ من بعد الميلاد فى مدينة أردبيل تاركا لنفسه الذكر الجميل عند الفرس لانهم جعلوا أنه هو المخلص لبلادهم والمؤسس لعائلات ملوكهم الكبيرة الاسلامية ومعيد دينهم وهى العقائد الشيعية

وخلف طماسب أباه على كرسى السلطنة وكان عمره وقتئذ عشر سنوات ومكثت سلطنته مدة طويلة قدرها ثلاث وخمسون سنة وكانت على غاية من الفلاح والنجاح ولو أنها كانت مضطربة الاحوال فى مبادى أمرها بواسطة ما حصل من الثورات التعصبية من رؤساء القزلباشيه وكبرائهم والغارة على المملكة بالازابكة من الجهة الشرقية وبالعثمانيين من الجهة الغربية فانتصر طماسب على كل من هؤلاء المغيرين والثائرين ووطد مملكته وأثبت قواعد أساساتها واستقبل مع الاحترام والاجلال السلطان همايون سلطان الهند عندما التزم الهرب من قيام أشراف مملكته عليه وسنذكر همايون هذا فى تاريخ الممالك الهندية فى الجزء السابع من هذا التاريخ ان شاء الله تعالى وبمساعدة طماسب للسلطان همايون صار له قدرة على عود تخته اليه مرة ثانية وكذا قدم فى مدة سلطنته انطونى زنكنسن أقدم واحد انكليزى تجاسر ودخل مملكة فارس وزار ديوان طماسب أشبه بسفير من طرف الملكة اليزابث ملكة انكلتره الا أن تعصب هذا السلطان فى دينه ألزمه طرد هذا النصرانى من حضوره أمامه

وكانت أولاد السلطان طماسب وعائلته كثيرى العدد وكل واحد من أولاده سعى وكد فى تيسر الحصول على التاج ومن ثم كان لا يوجد فى مدة سلطنتهم الاملحوظات قليلة الاهمية فأما حيدر واسماعيل ومحمد أولاده فقد انقضى نحبهم وأما حمزه مرزه ابنه فانه قتل مذبوحا وفى آخر الامر ظهر طالب جديد للتخت معضد باثنين من أرباب الشوكة من رؤساء القزلباشية وهو عباس الاخ الاصغر لحمزه مرزه المقتول وكان عباس هذا فى مدة صغره موظف حاكم فى خراسان وأتابكه على خولى خان شاملو وفى هذه الاثناء حرضه الامراء بجهة خراسان بعد أن جعلوه ملكا عليهم فى سنة ١٥٨٢ بعد الميلاد وألزموه بحمل السلاح وقود الجيوش مخالفا لابيه حتى جلس على كرسى المملكة فى سنة ١٥٨٧ بعد الميلاد وسار نحو العراق محاربا لاخيه السلطان محمد فخضعت له قزبين وترك عساكر السلطان محمد سلطانهم وصار محمد هذا لا ذكر له فى التاريخ ومازالت تعديات الاجانب والارتباكات الداخلية متسلطنة فى المملكة فخرب الازابكية من جهة والعثمانيون من جهة أطراف المملكة ودمروها وارتبك الرؤساء الواقعون فى عداوات فيما بينهم ومشاحنات وحروب باسم مليكهم ولما رأى ذلك عباس أظهر نفسه

وخلع طاعته للامراء وفى ظرف ثلاث سنوات عكف فيها بنفسه على أشغاله حتى استحوذ على دولة لا منازع له فيها وكان ملكا شهما قوى الشوكة على أعدائه وصاحب الظفر والنجاح التام حتى حفظ مملكته من غارات الاتراك العثمانية وهزم جيشهم هزيمة فاصلة بقوة مقدارها ٦٠٠٠٠ فارس وكان جيش العثمانيين مؤلفا من ١٠٠٠٠٠ مقاتل ولم تعقب هذه النصرة فى مدة سلطنة عباس صد العثمانيين عن مملكة فارس فقط بل أضاف جميع أملاكهم الموجودة على بحر الخزر وأذربيجان وجورجستان وكوردستان وبغداد والموصل وديار بكر الى مملكته وألزم فى الجهة الشرقية الازابكة على الدخول فى طاعته والانقياد لسلطنته وخلصت خراسان من غاراتهم وتخريباتهم وفى مدة سلطنته عقدت علاقات تجارية مع انكلتره وصار طرد البورتكيز من مدينة هرمز وأباح عباس جميع المذاهب الديانية فى مملكته وكان محبا صادقا لبعض المسيحيين الذين جاؤا الى مملكته وكان يصرف مدخوله فى اصلاحات مملكته كبناء الخانات والقناطر وانشاء الطرق ومجارى المياه والاسواق والجوامع وشيد المكاتب والمدارس فى كل جهة من جهات مملكته وحلى أصبهان عاصمة مملكته بانواع الابنية الظريفة وزخرف مدينة مشهد بالابنية الجليلة ويظهر من أطلال وخرائب سرايات فرح اباد فى مازندران وسراية الاشرف فى استراباذ الموجودة آثارها الى الآن ما كان عليه عباس من ذوق الاشغال وعلو الجد وكان شديد الحزم فى ادارته العدلية وفى السنى الاخيرة من سلطنته عوقب بخفا أتت بالاكدار وشدة العذاب ووقع عنده الشبهة والارتياب فكان جبارا شديدا وظالما قاسيا على عائلته وقتل ابنه الاكبر فى تهمة اتهمه فيها بانه عاص عليه وسمل أعين الباقين من أولاده ومات فى سنة ١٦٢٨ بعد الميلاد ومن بعد موته ضعفت شوكة العائلة الصوفية بالكلية وفى ظرف نحو قرن لم يسجل فى تاريخ فارس اسم أحد من ملوك أهلها وفى سنة ١٧٢٢ بعد الميلاد أغار الافغانية على فارس وأخضعوا المملكة وتغلبوا على أصبهان وأقاموا فيها عائلة من عائلاتهم فكان أول ملك من الملوك الافغانية محمود غيلزى ابتدأت سلطنته بذبحة فظيعة عامة فى رجال أصبهان وانتهت بجنون وخبل حصل له وحكم الافغانية فارس سبع سنوات كانت جميعها مدة جور وظلم فاحش وفى سنة ١٧٣٠ بعد الميلاد قام نادر شاه رئيس القبيلة الافشارية وحمل السلاح ووجه قصده ورغبته لطرد الافغانية من كافة جهات فارس واحياء وراثة ابن الملك الاخير من العائلة الصوفية فأسرعت الامة أفواجا تحت بيرقه فهزم الافغانية فى عدة وقائع حربية ودمرهم وأباد عساكرهم ولم يبق منهم باقية واستدل نادر شاه على آخر ملك منهم وكان شارعا فى الهروب من مملكة فارس فضبطه وقتله ومن ثم انقشع الضباب القبيح الذى كان مخيما على فارس مدة سبع سنوات وقلب أقاليمها الخصبة الى صحار مجدبة ومدائنها الجميلة الى خربات وأطلال وأهدر فيها دماء ملايين من أهلها

وفى سنة ١٧٣٦ بعد الميلاد خلع نادر شاه الملك الذى كان أعاده الى تخته واستحوذ على السلطنة لنفسه فأخضع خراسان وتغلب على قندهار وأخضع أفغانستان وأغار على الهندستان وتغلب على مدينة دلهى الكبيرة ونهبها وكانت حدود فارس فى مدة سلطنته نهر جيحون والسند وبحر الخزر والقوقاز ونهر الدجلة وكان نادر شاه ظالما غشوما على رعيته وعلى الخصوص أهل بيته وارتاب من ابنه الاكبر فى تهمة اتهمه فيها فأمر بسمل عينيه فقال له ابنه أنت ما قلعت عينى بل قلعت عينى فارس فكان هذا نبأ حقا صحيحا عليه وذلك انه انقبض صدر نادر شاه من هذا القول وصار فى ضيق شديد حتى صار من ابتداء هذا

الوقت

الوقت منبعا للاحزان والاكدار ومركزا لمكابدة الاهوال والاخطار وصارت لاتفارقه هذه الاحوال ولا ينظر الى أشغال ولا أعمال حتى صار لا يحس بما هو فيه من السعادة الملوكية والنعم اللذيذة الالهية ومن أعماله الوحشية وأفعاله الشنيعة القسوية جفاه قومه ورعيته وبعد عنه حاشيته وخدمه وقطع الناس بأسهم منه وفى سنة ١٧٤٧ بعد الميلاد ذبحه رئيس خفره وأعقب موته مدة تزيد عن خمسين سنة مشحونة بالقلاقل والثورات والاختلالات المتسببة من سعى كثيرين من طلاب التاج الملوكى لانفسهم وفى نحو أواخر القرن الثامن عشر قام أغا محمد خان وضبط التخت وأعاد النظام فى المملكة وأسس العائلة المتسلطنة الآن فى مملكة فارس وكان رجلا وحشى الطبع للغاية فانه عامل أهله وعائلته بالعنف القاسى الشديد وكان ذكيا متبحرا فى التصانيف شديدا فى الحق طماعا شحيح النفس عدوا ألد للاختلاسات التى كانت تظهر فى حق مستخدميه وحكامه وكان يدافع عن حقوق عساكره فمن ثم نال من شفقته لهم حسن وثوقهم وصداقتهم له وفى السنى الاخيرة من سلطنته تغيرت أخلاقه وصارت تزداد مع توالى الزمن حتى صار فى حالة وحشية وقساوة رديئة وصار لا يجرأ أحد الى النظر اليه ولا الوقوف بين يديه واذا قرب منه أحد من خدمه حصل له الرعب والخوف وكانت تجمد دماؤهم فى أبدانهم عند ما يطلب أحدا منهم أو ينادى بصوته عليه وصار لا يقوم ولا يقعد الا اذا سب أو شتم أو أمر بعقاب أو عذاب وأخيرا قتله اثنان من خدمه فى سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد كان أصدر حكمه عليهما بالموت لانهما كدراه بزعيق حصل منهما

وخلفه فى سلطانه فتح على شاه ابن أخيه ومن بعد سلطنته اشتبك فى حرب مع روسيا حصل له منها مكابدات ومشاق من كثرة ما نال من مخالفات الدهر ومعاناة مصائبه وفى سنة ١٨٠٠ أرغم على تسليم جورجستان لقيصر الروسيا وفى سنة ١٨٠٣ اغتصب الروسيا منه منغريليا وتغلب الروسيا أيضا على الضاغستان وشروان وفى سنة ١٨٠٥ خضعت قره باغ مع رغبتها للروسيا وانتهى الحرب بواسطة مداخلة انكلتره وفى أقطوبر سنة ١٨١٣ حصل التوقيع على معاهدة جوليستان وفى وقت تحديد الحدود بين فارس وروسيا حصلت منازعات شديدة تولد منها حروب جديدة انفجرت فى سنة ١٨٢٦ بعد الميلاد وانتهت بمعاهدة عقدت فى تركمانشاه فى ٢١ فبراير سنة ١٨٢٨ بعد الميلاد ومن هذه المعاهدة فقدت فارس معظم أراضيها وتقدم الحد الروسى الى حد جبال عرارة والشط الايسر لنهر عراس وهو الحد الموجود الآن بين مملكة فارس وروسيا

ومن بعد موت فتح على خان خلفه محمد شاه فى سنة ١٨٣٥ بعد الميلاد فتسلطن الى سنة ١٨٤٨ وكانت سلطنته خالية من الحوادث والوقائع ومن بعد موته خلفه نصر الدين شاه وهو الشاه الحالى وكان عمره وقتئذ ثمان عشرة سنة وفى سنة ١٨٥٦ اشتبكت فارس فى حرب مع بريطانيا الكبرى ومن بعد جملة مظفرات حصلت للجيوش الانكليزية فى القسم الجنوبى من المملكة التزمت فارس على عقد صلح وصار التوقيع على المعاهدة فى باريس فى ٤ مارث سنة ١٨٥٧ بعد الميلاد وكانت شروط هذه المعاهدة على رغبة طلبات بريطانيا الكبرى وفى سنة ١٨٦٠ حصل وباء مهول وغلاء شديد كنس قسما عظيما من المملكة وفى سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ بعد الميلاد اشتد بالمملكة القحط والغلاء حتى قيل انه هلك فى ظرف مدة هذا القحط الاخير ٢٠٠٠٠٠ من أهل البلاد وفى صيف سنة ١٨٧٣ بعد الميلاد زار نصر الدين شاه بلاد أوروبا وتوجه الى ڤيانه وباريز ولوندره وحصل له فيها

الاكرام والالتفات الزائد ومن ابتداء هذا الوقت صار تاريخ فارس خاليا الحوادث والوقائع وفي سنة ١٨٨٩ زار الشاه أيضا بلاد أوروبا وتوجه منها زائرا مصر وأحسن فيها على بعض مستخدميها بنيشان الحكومة الفارسية والى يومنا هذا وهو ٤ سبتمبر سنة ١٨٩١ لم يحصل في مملكة فارس وقائع ولا حوادث

فصل وأما ديانة الجبرية أو المجوس الموجودين عليها الآن فانهم يؤمنون بالله واحد فقط ولا يشركون به شيأ وهو الذي خلق السموات والارض والملائكة والكواكب والشمس والقمر والنار والماء والعناصر الاربعة وكل من في السموات والارض وبه يؤمنون وله يسجدون وبه يستعينون ومن يؤمن بالله غيره فهو كافر يعذب في جهنم عذابا أليما ويعتقدون أن الاله ليس له وجه ولا شكل ولا صورة ولا لون ولا محل يحل فيه ولم يكن له كفوا أحد ولا يقدرون على وصفه ولا تدركه العقول ويعتقدون أن النبي الذي جاءهم بهذا الدين من عند الله هو زرداشت وهو نبي حق مرسل من عند الله وهو أصبهانطماني أنوشروان ويعتقدون أنهم متناسلون من جيومرث ومن جيومرث تشعبت الاعجام وقالوا ان جيومرث أول بني الانسان على حسب ديانتهم الا أن علماء الملة الآن والصينيين والهندوملا أخرى تجادلوا في هذا الامر وقالوا ان الانسان والارض كانا موجودين قبل وجود جيومرث

وأما العقائد التي جاء بها زرداشت التي أرسلها الله لهم على لسان نبيهم هذا فهم يعتقدون بان الله واحد وأن نبيه الاكرم زرداشت هو نبي حق ويؤمنون بالملائكة وان أوسطا (جبريل) كان يوحي اليه كل ما هو حق لا ريب فيه ويؤمنون بكرم الله سبحانه وتعالى ولا ينقضون أي أمر من أوامر مذهب مازديشنا ويجتنبون أعمال الشيطان ويعوّدون أنفسهم على فعل الخير وعمل الطيبات ويصلون خمسة أوقات في اليوم والليلة ويؤمنون بالحساب والقضاء في صباح رابع يوم بعد الموت ويرجون الجنة ويخشون النار وعذابها ويعتقدون الفناء والحشر ويعتقدون أن الله فعل ما أراد ويفعل ما يريد ويدعون بعد كل صلاة بما يقربهم الى الله سبحانه وتعالى

ويعتقدون أن الانسان اذا كسب سيئة أو خطيئة واعتقد أن أحدا من الناس ينجيه منها فالغاش والمغشوش يلعنان يوم راستا كهير يعني يوم القيامة يوم لا شفيع ولا مخلص الا الله وحده وان الانسان يجازى يوم القيامة بحسب أعماله وان الله هو الذي ينجيه فقط وهو الذي يعفو عنه وهو الغفور الرحيم واذا كفر الانسان عن ذنوبه وخطاياه وقبل الله سبحانه وتعالى توبته وعفا عنه بفضل منه ورحمة فهو ينجيه من دون واسطة أحد هذه هي العقائد الدينية عندهم الجاري تعليم أطفالهم عليها

الكتاب

﴿ الكتاب الثاني عشر ﴾

﴿ تاريخ قرطاجنة ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء تأسيس قرطاجنة الى الحروب مع رومة ﴾

تأسيس قرطاجنة بواسطة ديدو ـ موقع المدينة ـ عدم معرفة حقيقة تاريخها القديم ـ تقدم قرطاجنة على التدريج ـ امتداد أراضيها ـ امتداد سلطتها وحكومتها على القبائل الافريقية ـ عيوب الطريقة القرطاجنية ـ المستعمرات القرطاجنية ـ القوى البرية والبحرية للجمهورية ـ المدخولات ـ التجارة ـ صفة الجمهورية ـ طريقة الحكومة ـ الديانة ـ السعي في التغلب على سيسليا ـ حروب في أفريقه ـ تجديد السعي في التغلب على سيسليا ـ حروب مع صيراقوس أوسرقوسه ـ حملة السرقوسيين على مملكة قرطاجنة ـ تداخل رومة في الاعمال القرطاجنية

قد ذكرنا تاريخ هرب ديدو وحزب الاشراف من مدينة صور في كلامنا على تاريخ فينقيه وسار هؤلاء الفارون حتى نزلوا على الساحل الافريقي وكان مقاما عليه من قبل عدة مستعمرات فينقيه مثل أوطيقه وحضرميتوم وغيرهما وصار انتخاب موقع هذه المستعمرة الجديدة في رأس بحيث جزيرة ممتدة نحو الشرق الى خليج تونس على الخط الجاني العاشر للطول ومتصلة مع البر الاصلي ببرزخ أو رقبة عرضها نحو ثلاثة أميال ويشكل هذا الموقع مينتان طريتان يكتنفهما البر ويمكن حفظ الرقبة الضيقة بطريقة سهلة من أي هجوم يقع من البر الاصلي ورغب الوطنيون الذين يحبون المنافع التجارية في قبول تأجير هذه الارض للذين يريدون أن يشيدوا عليها لانفسهم مدينة واتفق الطرفان على دفع مبلغ مقرر يدفع سنويا قيمة ايجارها ومن ثم تأسست قرطاجنة في سنة ٨٦٩ قبل الميلاد

وكان تقدم هذه المستعمرة في مبادي أمرها بطيء الحركة جدا الى أن صار جليلا على التدريج ومن مدة قرنين كان تاريخ قرطاجنة غامضا لا حقيقة له وفي القرن التاسع والثامن والسابع قبل التاريخ المسيحي تغيرت حالة قرطاجنة بواسطة هذا التقدم التدريجي ومدت شوكتها على البر الاصيل ولما ابتدأ تاريخ قرطاجنة في الظهور في القرن السادس قبل الميلاد بزغت المدينة من الظلام التي كانت محجوبة تحته لهذا الوقت الى صورة مدينة قوية ظريفة يانعة لها شوكة سائدة معروفة على الساحل الشمالي الافريقي من ابتداء عمد هرقل (جبل طارق) الى أراضي صرنيه (طرابلس الغرب) ومن البحر الى بركة تريطون في الجهة الجنوبية

ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل ذكر الاحوال المتوالية التي جاءت عقب بعضها حتى تم بها هذا التقدم والشوكة الا أنه من الظاهر أنه من قديم الزمن من عهد تأسيس المدينة كان عزم القرطاجنيين ورغبتهم في تشييد مملكة في البحر والبر ومن ثم كانت مساعيهم الاولية التغلب على القبائل الرحالة النزالة المجاورين لهم على البر الاصيل واشغالهم بطرائق الزراعة ولما تم لهم ذلك انتشرت المستعمرات

والمساكن القرطاجنية بينهم مع الكثرة وتواصلوا مع بعضهم بالنسب والمصاهرات وازدادت الالفة بينهم وتولد منهم جنس مخلوط الدم فى طول الساحل نحو الجنوب والى الجنوب والغرب كان على غاية من الاستعداد والانقياد قلبا ولسانا للقرطاجنة واختار لسان وعوائد أهل المدينة وكذا كان يوجد خلف خط هذه المستعمرات الداخلة قبائل وطنية افريقية حثوا بعضهم على الزراعة ومع هذا كان معظمهم حالته العيشة الرحلوية حسب عوائدهم القديمة وكان لهذه القبائل عوائد وطبائع جارية عليها مثل عوائد وطبائع أهل بلاد الجزائر الآن وكانوا تحت خضوع اسمى فقط الا أنهم كانوا يرون خضوعهم لقرطاجنة أنه حقيقى ويعتقدون فى أنفسهم أنهم منسوبون لهذه المملكة وكانت أراضى قرطاجنة الاصلية معتبرة أنها ممتدة الى الجنوب لحد بحيرة تريطون والى الغرب لحد نهر توسقه الذى يفصل زوجيطانه من نوميديا وهذا الاقليم هو اقليم تونس الآن

ومع هذا كانت هذه الحدود غير كافية للقرطاجنيين وذلك أنهم بمجرد ما صار لهم قدرة شرعوا فى اقامة شوكتهم وسيادتهم على الاقاليم الموجودة فى الجهة الشرقية منهم والجهة الغربية أيضا ونالوا كما ذكرنا وطيد حكومتهم بين نهر توسقه وعمد هرقل وبين بركة تريطون وأراضى صيرنيه

وكان يوجد فى وقت تأسيس قرطاجنة عدة مستعمرات فينيقية موجودة فى طول ساحل الاقليم صارت جميعها فيما بعد أراضى قرطاجنية الا أنه كان من أصعب المشاكل وأشق الاشغال على هذه المدينة الجديدة اقامة سيادتها على تلك المدائن والمستعمرات لان هذه المدائن ما تنازلت مطلقا عن استقلاليتها لاحد وكان الواجب على قرطاجنة أن تراعيهم لانهم أصل الموقع الذى استحوذت عليه صور اصالح المدائن الفنيقية وأن تكون قرطاجنة هى الجامعة الاصلية لهم أو رئيسة الاتحاد وكانت قرطاجنة من مبادى أمرها أقوى من مدائن أوطيقة وحضرميتوم والمستعمرات الاخر الفنيقية ولما توطدت دولتها وعظمت شوكتها صار لا قدرة لواحدة من هذه المدن على مقاومتها أو اجراء الاعمال اللازمة لصد سياستها ولو أن ما وصلت اليه من الاعمال كان غاية الا أنها ما بلغت درجة النفوذ المطلق فى السلطنة عن كثير من الجهات الداخلة فى حدودها لكنها فازت بأن شيدت سلطتها على القسم الغربى من سيسيليا فى مبادى أيامها وشرعت بعد ذلك فى الالتفات الى سردينة وتغلبت عليها بعد حروب شديدة دموية قريبا من تمام القرن السادس قبل الميلاد وفى نحو هذا الوقت أو قبله احتلت جزائر باليريك وماجورقه ومينورقه وابيقاقه واستعمرتها بمستعمراتها ومن بعد مضى قليل أقامت مستعمرات فى كورسيكا واسبانيا وفى جزائر ماديره وكاديز ومالطه وغولوس وكذا تغلبت على سرسينه وفى آخر القرن السادس قبل الميلاد امتدت الشوكة القرطاجنية من صرطيس الكبرى الى جزائر الفورطونات ومن كورسيكا الى سفوح جبال الاطلس وأنشأت بين كل من هذه المستعمرات علاقات تجارية ومعاملات كانت الحكومة المحلية هى الكافلة لحفظها والمحاذرة عليها ومن ثم وردت اليها الاموال من كل جهة وحصلت لها السعادة والثروة

وكان لتغلبات قرطاجنة تأثير شديد تولد من استخدامها عساكر ورتبت لها الرواتب الكافية من العساكر الاجنبية وجندت قوة كبيرة نظامية من عساكرها الوطنية وجعلت هذه القوة أساس الجيش القرطاجنى الا أن عساكرها من الاغراب كانوا كثيرى العدد وكانوا من النوميديانيين والموريطانيين ومن أمم أخرى مستقلة فى افريقة وكذا من ابرلان اسبانيا ومن حول سلتس فى غلية ومن

ليغورين فى شمال ايطاليا وأما الزمن الحقيقى الذى استخدمت فيه هذه المملكة العساكر الاجرية الاغراب فانه غير معلوم ومن المحتمل أن حصول ذلك كان فى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد

ولقد أنشأت قرطاجنة أيضا أسطولا بحريا قويا وكان هذا الاسطول ضروريا لها بما أن جمهوريتها عهدت على نفسها من ابتداء أمرها حفظ تجارتها من اللصوص وقطاع الطريق الذين يسعون على ظهر مياه البحر الابيض المتوسط وكان ملاحو هذا الاسطول من العبيد أو عبيد امريين لهذا الخصوص من طرف الحكومة الا أن القواد كانوا من وطنى القرطاجنيين وكانت الحكومة على غاية من الالتفات الى الجيش البرى والاسطول البحرى بما أن عليه مدار حفظ شوكة الجمهورية والحكومة وكانوا يعطونهم لوازمهم من طرف الحكومة ولهم رواتب مقررة سنويا تؤخذ من أملاك المملكة وعلى الخصوص من محال استخراج المعادن التى كانت موجودة فى اسبانيا ومن بعض مستعمرات أخر ومن بعض الخراج الجارى دفعه سنويا من طرف المدن الخاضعة لقرطاجنة مثل أوطيقه وحضرميتوم وغيرهما ومن مستعمرات فنيقيه ومن القبائل الافريقية الرحالة ومن مستعمرات مثل سردينة وسيسيليا وبعضه من عوائد الجمارك المضروبة فى كل جهة من جهات المملكة القرطاجنية وكان خراج المملكة القرطاجنية يختلف مقداره بحسب احتياج المملكة فيبلغ أحيانا نصف مدخول المقرر عليهم دفع الخراج أو أقل منه

ومع أن قرطاجنة كان لها الطمع الزائد فى مد حدودها الا أن فتوحاتها كانت مقررة على قواعد أساسية سياسية عظيمة وذلك أنها لا تتغلب على أراض ليس فى طاقتها المحافظة عليها وبهذا الفكر النير حفظت داخليتها وحدودها ولو أن كافة قارة افريقية جعلت لها ميدانا واسعا لأداء مطامعها حتى فى اسبانيا لكنها لم تلتفت لمشروع فتوحات كبيرة حتى انجبرت على ذلك بالنسبة لضرورة حركات جيوشها فى الحروب مع الرومانيين ثم رأت هذه الامة التجارية البحرية من مباشرتها الاعمال أنه لا يوجد لها أسلم عاقبة ولا أنفع فائدة من استحواذها على جزائر وتأكد لها من الامثلة التاريخية أن الاراضى القارة الواسعة لا يمكن حفظها بالاسطول البحرى فقط حتى لو كانت جميع أبوابها مقفولة أو محصورة فانه يأتيها لوازمها الواسعة من نواحى الجزائر واستصوبت قرطاجنة هذا المشروع حتى فى مدة نجاحها وعلو شوكتها وحصرت أملاكها من بعد أراضيها الاصلية فى الاستحواذ والغلبة على الجزائر وكان لا يوجد لها عدو تخشاه واستمرت شوكتها فى البحر محافظة على ممالكها وكانت تحمل تجاراتها فى أى وقت تريده من دون مراعاة أدنى خطر يحصل فى العصر الذى ما كان ظهر فيه عدو بحرى ذو شوكة أعظم من شوكتها وكان الجزء الغربى من البحر الابيض المتوسط ملآن بجزائر كبيرة وصغيرة فصار هذا ميدانا مكشوفا واسعا لقرطاجنة ومعادلا فى كل من المواقع والمحصولات الخارجة منه لها ومن المعلوم أن تجارة قرطاجنة كانت فى سعة زائدة الا أن مقدار امتدادها كان غير محقق وقال رولنسن انه كان لا يوجد أدنى ريب فى سعة تجارة القرطاجنيين لانهم وصلوا فى تجاراتهم الى الجهات الآتية فكانت تجارتهم فى الجهة الشمالية فى كرنوال وجزائر شلى وفى جهة الشرق فنيقيه وفى الجهات الغربية مادير وجزائر كناريز وساحل غينا وفى الجهة الجنوبية فيزان وبهذه الوسائط التجارية كانت قرطاجنة تستحصل بسهولة على لوازمها واحتياج أهلها مثل العرقى أو النبيذ والزيت والتمر والملح والسمك والبلغيوم والذهب والقصدير والرصاص وسن الفيل أو العاج والاحجار الكريمة

والرقيق وكانت تستعوض بهذه المواد كل ما كان يخرج من مشغولاتها ومنسوجاتها والخردة والفخار وأنواع الزينة وطقومة الخيول والآلات والعدد وبواسطة هذه التجارة الواسعة أمكن لقرطاجنة أيضا الحصول على محصولات وتصديرات الامم القاطنة فى غربى أوروبا وغربى آسيا وداخل أفريقة وكان يحمل قسم من هذه التجارة فى البر وآخر يحمل فى البحر ولما كان تجار القرطاجنيين آمنين على تجاراتهم البحرية بواسطة مراكبهم التجارية وجهوا القوافل وأمروهم بالتجول فى داخل الصحراء الكبرى لجلب هذه القوافل الى قرطاجنة من الجهات الجنوبية والجهات الجنوبية الشرقية محصولات الاقاليم القاصية وكذا مصر وصرنيه العليا وواحات الصحراء وفيزان واتيوبية وبرنيو كل هؤلاء دخلوا فى معاملات تجارية وجعلوا قرطاجنة المركز العمومى لهم وأما تجارة قرطاجنة فى البحر فكانت جارية بالخصوص مع مدينة صور ومستعمراتها ومع الامم الغربية من البحر الابيض المتوسط وقبائل الساحل الافريقى من عمد هرقل الى خليج بنين ومع الامم المتوحشة القاصية الموجودة فى الجنوب الغربى من جبال الالب

وكانت حكومة قرطاجنة على الدوام جمهورية مشكلة من حزب الاشراف وكان النفوذ الاكبر محصورا فى أيدى جماعة من وطنى القرطاجنيين المقيمين فى المدينة أو فى ضواحيها وكانت قوانين الحكومة ونظاماتها جارية مع حسن الانقياد والطاعة للحكومة المحلية فى جميع أقاليم المملكة وكان الامتياز الاصلى الذى كانت تمتاز به كل طائفة عن أخرى فى الدرجات هو الزيادة فى الثروة والغنية وكان القرطاجنيون هم الموظفين فى الوظائف الا أنه لا راتب لاحد منهم فمن ثم ما كان يمكن توظيف الفقير فى مصلحة من المصالح وبهذا كان كامل الشوكة والسلطة فى أيدى الاغنياء بما أنهم مستحوذون على نقود وعندهم أوقات وأزمان يلازمون فيها على مباشرة الاعمال العمومية وتقرر عند القرطاجنيين عدم توظيف أى فقير ما فى مصلحة ما من المصالح

وكان الموظف فى رأس الحكومة اثنان من القضاة الذين كانوا فى مبادى أمرهم قواد جيوش الامة لا من الذين دخلوا فى المصالح المدنية ومعلوم أنهم ملكية صرف وليس لهم دراية بالعسكرية وكان القضاة ينتخبون بمعرفة الامة وأهل المدينة من عائلات منحصر فيها الشرف وعلو النسب ويراعى فيهم اللياقة لهذا المسند طول حياتهم ومن بعد القضاة مجلس مركب من مئات من الاعضاء يأخذ منه جميع حكام المملكة مثل مجلس الاعيان المركب من مائة عضو وهى جمعية من أصل المجالس الاكبر تدير جميع اجراآته وأوامره ومنه مجالس صغيرة مركبة من خمسة أعضاء منوطة بمباشرة أشغال الاقاليم المختلفة من المملكة ومن هذه المجالس الصغيرة كانت تتوظف أعضاء مجلس الاعيان وأما مجلس المائة أو المائة وأربعة بما فيهم من القاضيين واثنين من كبار القسس والقضاة وأرباب المحكمة العدلية فكان انتخابهم بمعرفة الامة هو أول مادة مرعية الاجراء فى النظامات الداخلية الا أنه وان كانت أعضاؤه منتخبة من الطوائف العالية لم يكن لهم سلطة نوعا فى صد المطامع الشخصية الحاصلة من حزب الاشراف فى زيادة الحقوق المدنية أو عدم صلاح حالة الجمعية المنعقدة من طرف الامة ومع هذا فكانت الامة على رضا من ذلك وكان القضاة ينتخبون تحت قواعد وحدود معلومة وحرية تامة وكان مجلس المائة تام الاعضاء على الدوام لا ينقص منه أحد وفى الاحوال التى يقع فيها خلاف بين القضاة وأرباب المجلس كان يجرى قطع الحكم فى هذا الخلاف باجراء طرق سياسية وأما مسائل الصلح والحرب والمعاهدات وما يماثل ذلك فكانت تعرض عليهم ولو لم تكن ضرورية وكان بت الحكم فيها بواسطة أغلبية

آراء أعضاء المجلس حسبما يجوزه نظام المملكة نظر الصالح أحوالها وبواسطة ما حصل من افتتاح المشروعات التجارية صارت لا تعرف عند القرطاجنيين فاقة الفقر وكذا من عهد ما شيدوا المستعمرات فى أنحاء الجهات ووزعوا فيها رعاياهم ووزعوا عليهم الاراضى الكافية لمعاشهم

وكانت ديانة القرطاجنيين فى الهيئة والشعائر والاجراآت مطابقة بالكلية للديانة الفنيقية ومن بعد أن تغلب الرومانيون عليهم أرغموهم بقطع هذه العوائد العاكفين فيها على هذه الديانة وعلى الخصوص تقريبهم النوع البشرى قربانا لالهههم بعل

وأول شئ من الطمع المذموم الذى فعلته قرطاجنة بعد أن صار لها قوة قوية هو سعيها فى الحصول على دولة برانية باستحواذها على جزيرة سيسيليا فسارت فى هذا المشروع واحتلت الركن الغربى من الجزيرة وكان يلزم القرطاجنيين من مبادى أمرهم أن يطردوا متوطنى الجريق من جزيرة سيسيليا أى صقلية حالما كان لهم قوة كافية يمكنهم بواسطتها فعل ذلك لكنهم تساهلوا ولم يحصل منهم أدنى سعى فى مثل هذا الموضوع لحد القرن الخامس قبل الميلاد ولما أغار أردشير ملك فارس على الجريس وأشغل جميع الجنس الهلينق بحروبه ظنت قرطاجنة أن وقتها جاء فى السعى على التغلب على المدائن الجريقية فى سيسيليا بما أن هذه المدائن لا عشم لها فى أن تأتيهم مسعدة من حكومتهم أو من أهل بلادهم فى مثل هذا الوقت فمن هذا جندت جيشا كثيفا تحت قيادة حملقار بن ماجو وأرسلته للتغلب على سيسيليا فهزم جيلو هذا الجيش فى نواحى الحيرة والتزمت قرطاجنة على أن تترك هذا المشروع واكتفت بعقد صلح قبيح فى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد

ومن بعد هذا وجهت قرطاجنة جيشها على قبائل ليبيا وأخضعتهم حتى صاروا من تبعتها وامتنعت عن دفع الخراج الذى كانت لحد هذا الوقت جارية دفعه من طرفها اعترافا بأن الارض المبنية عليها المدينة هى أرض أهل ليبيا وانتصر الجيش فى حروبه مع المدينة الجريقية الموجودة فى صرنيه وكان قواد هذه الغارات المظفرة حنبال وحاصدروبال وصافو حفدة ماجو وأولاد أخى حملكار ولما خشى القرطاجنيون من أن مظفرات هذه العائلة ربما يعود منهم الضرر على المملكة عقدوا مجلس المائة وألزموا كل قائد بالحضور أمام هذا المجلس وقت عوده مباشرة من حملته ليقص أمام المجلس أعمال اجرا آته

وفى سنة ٤٠٩ قبل الميلاد من بعد مضى سبعين سنة من خيبة القرطاجنيين فى حربهم الاولى فى سيسيليا رجعوا الى الحملة على هذه الجزيرة وطلبوا فى هذا الوقت مساعدة مدينة اجيسطه فى الحرب مع مدينة سيلنوس وجهزوا أسطولا كبيرا وجيشا كثيفا تحت قيادة حنبال حفيد حملكار وأرسل لهذه الحملة فانهزم الجريق فى عدة وقائع وخرب الجيش القرطاجنى مدينة سيلنوس والحيرة وعاد القرطاجنيون الى بلادهم متوجين بالنصر والظفر وتولد من هذه النصرات حث القرطاجنيين على أن يبذلوا كل ما فى طاقتهم فى التغلب على سيسيليا فامتدت حروبهم ذلك الوقت فى كل القرن الرابع قبل الميلاد المسيحى وفى سنة ٤٠٥ قبل الميلاد أغار حنبال وحملقو على سيسيليا بقوة قوية فتغلبوا على اجريجنتم وجيلا وقرينة فارتاع دونيشس ملك سراقوص لما رأى من تقدمات القرطاجنيين فعقد صلحا معهم ومن ثم وقفت حروبهم مدة ما من الزمن ولما صار لدونيشس قوة كافية لمقاومة القرطاجنيين نقض المعاهدة فى سنة ٣٩٧ قبل الميلاد وأسرع فى عدة حركات وخلص مدائنه التى

كانت فقدت منه وتغلب على مدينة مويطه وفى السنة التالية أرسلت الحكومة القرطاجنية حملقوا الى سيسيليا فاسترد مويطة وتغلب على مسينه وفى نفس هذه السنة أى ٣٩٦ قبل الميلاد اكتسب ماجو قائد الاسطول القرطاجنى نصرة عظيمة على السيسيليين على مسافة من كاتانة واتحد القوتان البرية والبحرية مع بعضهما فى حصار سراقوص وفى سنة ٣٩٥ قبل الميلاد وقع فى الجيش القرطاجنى وباء مفن فضعفت عزائم حملقو من هذه المصيبة ولما خاب من تغلبه على المدينة ترك جيشه وقتل نفسه بنفسه فاغار السراقوصيون وأهلكوا ما بقى من الجيش القرطاجنى ثم ان ماجو خلف حملقو الا أن الحرب حصل فيه توقيف وفى سنة ٣٩٢ قبل الميلاد صار عقد الصلح مع سراقوص وفى سنة ٣٨٣ وسنة ٣٦٨ قبل الميلاد اجتهد دونيشس فى طرد القرطاجنيين من الجزيرة الا انه كان يحصل له انهزام كل مرة فالتزم على عقد الصلح

وفى سنة ٣٤٦ قبل الميلاد جددت قرطاجنه الحرب عندما انتهزت الفرصة وقت حصول الارتباكات الداخلية فى سراقوص عقب موت دونيشس الاول واجتهدت فى مد شوكتها على عموم سيسيليا فانهزمت فى مساعيها وأرغمت على عقد صلح فى سنة ٣٤٠ قبل الميلاد

وفى سنة ٣١١ قبل الميلاد شرع أغاثو كليس ملك سراقوسه فى حرب على القرطاجنيين الموجودين فى سيسيليا فهزمه حملقار شر هزيمة فى نواحى الجبرة سنة ٣١٠ قبل الميلاد وحاصر القائد المنصور فى الحال مدينة سراقوص فاجتهد أغاثو كليس فى خلاص عاصمته بكونه نقل الحرب بغتة فى افريقه وذلك أنه أقلع الى تلك القارة فى جزء عظيم من جيشه تاركا مملكته فى خفارة وكفالة ولده ونزل بالقرب من قرطاجنه وهجم على أراضى مملكة الجمهورية فحصل له الظفر مدة ما من الزمن بواسطة ما حصل من الاختلاس بينه وبين القائد القرطاجنى بوميلكار الا انه أرغم أخيرا على سحب جيشه من افريقه وعوده الى سراقوص وكان ابنه انهزم فيها مرتين فانضرب الملك ضربة قوية فى حرب حصلت بعد عوده فالتزم على عقد صلح فى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد

وتكلفت هذه الحروب على قرطاجنة كثيرا من الانفس ونقودا جمة من دون ثمرة عادت عليها ومن ثم ضبطت الجمهورية أملاكها الاصلية فى سيسيليا وقدرها ثلث أملاك الجزيرة ولما لم يحصل من القرطاجنيين عقد شروط مع الجربسيين حصلت لهم الهزيمة وكانت هذه موعظة عظيمة لقرطاجنة عرفت منها أيضا أن أراضيها عرضة للغارة وان رعاياها فى افريقه يشتهون مساعدة المحاربين كما أنهم يبقون على صداقة معها

ومع ما رأت قرطاجنة من هذه المواعظ فانها ما زالت متمسكة على مرغوبها فى التغلب على سيسيليا ثم مات اغاثو كليس فى سنة ٢٨٩ قبل الميلاد ومن هذا الوقت أخذت الشوكة الهلينية فى سيسيليا فى الضعف فجددت قرطاجنه الحرب وتغلبت على أجريجنتم واحتلت القسم الجنوبى من الجزيرة وهددت سراقوص فدعا أهل سراقوص برهوس لمساعدتهم فاقلع هذا الملك فى الحال وخلص المدينة وأرغم القرطاجنيين بالقهقرة الى الجهة الجنوبية فى سنة ٢٧٩ قبل الميلاد وضايقهم أشد مضايقة ولما عاد الى ايطاليا فجأة تغيرت سعادة الحرب فانعقد صلح بشروط موافقة بين قرطاجنة وهيير وملك سراقوص ثم ظهرت دولة جديدة فى هذا الوقت وهى رومة فى الميدان ومن هذا الوقت صار تاريخ قرطاجنه ملحقا بتاريخ رومة ومتحدا معه فى الحركات والانقلابات ولهذا صرفنا النظر عنه هنا وسنذكره مع تاريخ رومة ان شاء الله تعالى

(الكتاب الثالث عشر)

﴿ تاريخ اليونان أو الجريس ﴾

(الباب الاول)

﴿ عصر الشجاعة ﴾

موقع الجريس الجغرافي – وصف المملكة أو الاراضي – أوصافها الطبيعية – أوصاف جبلية – حكم هذه على الجريس – التقسيمات السياسية الجريسية – الجزائر الجريسية – عدم معرفة التاريخ الجريسي القديم – السكان الاصلية – البلاسجي – عصر الشجاعة – الثلاثة الشجعان الكبار الذين كانوا موجودين في هذا العصر – المدائن – دخول حروف الهجاء أو الكتابة في الجريس – الحرب الطروجاني – استكشافات الحكيم صشليمان – النظام الاتحادي والسياسي الجريسي في دور الشجاعة – مهاجرة العشائر الجريسية – العود الهراقليدي – استيطان جزائر الارخبيل وسواحل اسيا الصغرى – ديانة الجريق – ايجاز القول في عقيدتهم – الاسرار الالوسيانية – كلام الكهانة أي وحي الاصنام – تقدم المواطن الجديدة الجريسية على التدريج – تقدم المدينة وأوصافها السياسية – محبة الجريق لدرجة الاستقلال – نتائجها – الارتباطات العامة للممالك الجريقية

الجريس أو كما كانوا يسمونها في الزمن القديم بالهلاس شاغلة للقسم الجنوبي من البحث جزيرة الشرقية من قارة أوروبا وطولها الاكبر من جبل أوليموس في الجهة الشمالية الى رأس تنرم في الجهة الجنوبية نحو ٢٥٠ ميلا وعرضها الاكبر من الشرق الى الغرب نحو ١٨٠ ميلا ومساحة سطحها نحو من ٣٥٠٠٠ ميل مسطح وتحد القارة الجريسية من جهة الشمال بسلسلة جبل قامبوني ومن جهة الشرق بالبحر الايجياني أو بحر الارخبيل ومن جهة الجنوب بالبحر الابيض المتوسط ومن جهة الغرب بالخليج اليوناني أو البحر الادرياطيق

وأعظم امتياز للهيآت الجغرافية الجريسية هو تعدد جبالها وعظم امتداد ساحلها المكسر بواسطة عدة أجوان عميقة وليس للبحر في طول هذا الساحل مد ولا جزر وهو مرصع بجزائر ساحلية جميلة خصبة الارض ومن ثم صارت المواصلة بين الجهات المختلفة من المملكة سهلة جدا بطريق المياه ومناخ الجريس متوسط الحالة وخصوبة الارض عجيبة وموافقة لاستيطان وتعيش أمة كبيرة ذات نشاط في الاشغال وكذا في الاعمال وبواسطة كثرة الجزائر الموجودة في البحر الابيض المتوسط تسهل الملاحة فيه وتشبه مواقع هذه الجزائر مراسي عديدة بين الجريس وساحل اسيا الصغرى أو الاناضول والبحر الاسود وأما بحيث جزيرة ايطاليا فهي على مسافة ثلاثين ميلا فقط من الساحل الغربي للجريس وتنقسم بحيث جزيرة الجريس الى ثلاثة أقسام أصلية بواسطة خلجانها الطويلة الداخلة في سواحلها وذلك أن خليجي امبراسيان وماليان يفصلان القسم الشمالي من الجريس الوسطى وتنفصل الجريس الوسطى من الجريس الجنوبية المسماة بلوبونيزة أو موره بخليج قورنثه وخليج صارونيك

ثم ان البحيث جزيرة متماوجة أو مجعدة جدا بسلاسل جبال تقسمها الى عدة كور ممتازة عن بعضها صالحة لان تكون مواطن ملل أو طوائف مستقلة عن بعضها وليست هذه الصفة الجبلية قاصرة على حفظ الاراضى من هجومات مظفرة تقع عليها من أمم أجنبية فقط بل وتجعلها صعبة على كل كورة جريسية تشتهى التغلب على الاخرى المجاورة لها ومن هذه الجبال تتولد صعوبة المواصلات الداخلية والمعابر الجبلية القليلة يمكن حفظها بشرذمة قليلة من الناس ضد تقدم جيش حاكم ويحدث من البحر سهولات عظيمة فيما يختص بالاحوال السلمية والمعاملات الودية ومن ثم جمع الجريق الصفتين المتضادتين الجبلية والبحرية المتولد من أحدهما شدة حب العتق والحرية ومن الاخرى شدة الجسارة الحربية

وكان أعظم محصولات الجريس القديمة القمح والشعير والنيل والنبيذ والزيت والانعام والاغنام وهذه موجودة فيها بكثرة ولها فى الجبال والتلال مراع وافرة وكلأ مباح شاسع وكانت الجبال فى الازمنة القديمة معمورة بالاورمانات الكثيفة الاشجار الا أنها الآن عارية عنها ومع أن سعة المملكة الجريسية قليلة الا أنها كانت مشتملة على أربع وعشرين مملكة كل منها مستقلة فى نفسها عن الاخرى فكانت الجريس الشمالية مشتملة على مملكتين أصليتين وهما تساليا وابروس وفى شمال هاتين المملكتين موقع مملكة مقدونيا وكان ملوك مقدونيا يزعمون أنهم من النسل الهلينقى الا أن مقدونيا ما كانت مرعية بأنها قسم من المملكة الجريسية الا من بعد مدة مضت عليها

وكانت الجريس الوسطى مشتملة على احدى عشرة مملكة هى أخرنانية وعطوليه ولوكريس الغربية وعنيانية ودوريس ومالس ولوكريس الشرقية وفوسيس وبيوطيه وأطيقه ومجاريس والوصف العمومى لهذه الكورة أو الاقليم هو كونه أقل خصوبة من باقى المملكة الجريسية وكانت أطيقة الشاغلة للرأس الشرقى من البحيث جزيرة هى المملكة الاصلية وكانت مدينتها الاصلية أثينة أجل من كافة المدائن الجريسية وأعظمها

وأما بلاد بونيزة أو موره أو الجريس الجنوبية فكانت مشتملة على احدى عشرة مملكة هى قورنثه وصكيون واخايه وعليس واركادية ومسينه ولاقونية وارغوليس وعبيدرويا وطريزينية وحرميونيس ومن تلك الممالك كانت مملكة لاقونية المسماة أحيانا باسم لاسيدمون أجل مملكة وكانت عاصمتها مدينة اسبرطه المشهورة

وخلاف القارة الجريسية كان داخلا فى الهلاس القديمة عدة جزائر واقعة بالقرب من الساحل وفى البحر الابيض المتوسط وكان أكبر هذه الجزائر الساحلية جزيرة عوبيه وهى على مسافة من الساحل الشرقى وطولها ١٠٠ ميل وجزيرة قورثيرة وهى على مسافة من الساحل الغربى وكانت أجل الجزائر وطولها أربعون ميلا وجزيرة كريد على مسافة من الساحل الجنوبى وطولها ١٥٠ ميلا ويوجد خلاف هذه الجزائر جزائر السكلاده وجزائر اسبوراده وهى واقعة جميعها فى بحر الارخبيل كرافئ بين الجريس وآسيا الصغرى ويطلق أيضا اسم الهلاس على المساكن والمواطن الجريقية الموجودة بالقرب من سواحل أوروبا وسواحل آسيا وبالجملة فان هذا الاسم يطلق على كافة الجهات التى وضع الجريقيون فيها أقدامهم وقطنوها

ثم

ثم ان التاريخ الجريسى القديم مشحون جميعه بالخرافات والخزعبلات حتى يكاد لا يعرف له حقيقة ويعتقد الجريق فى أنفسهم أنهم من ذرية هلان بن دوقاليون و بيرها ومن ثم يسمون أنفسهم باسم هلانيس ومملكتهم باسم هلاس وأما اسما جريس وجريق فهما غير معروفين عندهم مأخوذ أصلهما من الرومانيين فانهم كانوا يطلقون على البحيث جزيرة الشرقية من أوروبا باسم جريس وسكانها جريق ولم يكن للجريقيين فى الازمان القديمة معلومية بهجرة أجدادهم من اسيا بل يعتقدون أن أجدادهم كانوا قاطنين بالارض من أصل الخلقة البشرية وان كان لا يطلق عليهم اسم الهلانيس

والصحيح المحقق أن السكان الاصلية لهذه المملكة فرع من الجنس الكبير الهندى الاوروباوى وفى وقت أو فى عصر ما كانت جميع الفروع المتفرع هذا الجنس عنها قاطنة جميعها فى محل يجمعها فى الاصل أمة واحدة كانت هذه الامة متوطنة فى الصحن العالى من آسيا الوسطى رحل فى مدة قاصية جدا الجدود القديمة للجريق نحو الجهة الغربية ودخلوا أوروبا واستوطنوا البحيث جزيرة وكان متوطنا فى الجريس فى الزمن القديم جنس يعرف بالبلاسجى مقسوم الى عدة شعوب تعرف بالهلانيس وللجيس وكوكونيس وآخرين وكان هذا الجنس البلاسجى مستحوذا على درجة ما من المدنية وعشائره قاطنة فى مدائن محصنة بأسوار عاكفين على زراعة الارض وكانت ديانتهم مقصورة على عبادة يوف اله الجريق المتأخرين وكان معبد هذا الاله المشهور موجودا فى مدينة دودونه من اقليم ابروس وكانت الكهانة فى هذا المحل مرعية بانها أقدم كهانة فى الجريس ومن توالى الازمان والعصور ما صار طرد هذه الشعوب أو قرضتها الهلانيس ولما اهج الهلانيون باللهجة البلاسجية صار هذا اللسان لسان الجريس وتولد من عبادة يوف الدودونيانى عبادة يوف الاولمبيانى المعروف عند الجريقيين بأنه أقدم اله أيضا

وكانت تعرف هذه المدة بعصر الشجاعة أو دور الفروسية حتى صارت فى الازمان التالية مبحثا وموضوعا للشعراء وكان يعتقد فى هذه المدة بانهم جنس متوسط بين الآلهة والبشر وهم وان لم يعبدوا كانوا أعلى وأشرف من الامم التى جاءت بعدهم فى عظم النفس وصلابة القوة الطبيعية ونتائج هؤلاء الشجعان وحوادثهم مقصورة على خرافات وتنبية ومن الضرورى أن نذكر فى هذا المحل الثلاثة الفوارس الذين تصور الناس أنهم حازوا القوة والشجاعة الخارقة للعادة وهم هرقول أكبر شجاع ووطنى وطيسوس وكان الجريق يرون أنه أول ملك مهذب فى أطيقة وأنه المؤسس للحكومة النظامية ومينوس ملك كريد أول من شرع الشرائع ودون القوانين وتعتقد الجريق بانهم مداينون الامم الاجانب فى كونهم نشروا عليهم تمدنهم وهذا ممكن لاريب فيه لانه ماعدا ادخال استعمال الحروف الهجائية والكتابة كان التمدن الجريقى محصورا فى المحصولات الارضية والاعمال الشاقية التى كانت تعملها الامة الجريقية ومن اعتقادات قدماء الجريق أن أثينة صار تأسيسها واقامة شعائر ديانتها بواسطة صقروبس من أهل تنيس القديمة بمصر وأما متأخرو المؤرخين فانهم يجعلون صقروبس فارسا بلاسجيانيا وكذا يقولون ان أرغوس صار تأسيسها بواسطة دانوس من أهل مصر أيضا كان هرب على ماقيل مع بناته الخمسين الى الجريس لينجو من فضيحة ظلم عشاقهن وهذا القول خراف لاشك فيه و يقولون ان كادموس الفنيقى هو الذى أسس طيبة فى بيوطية وانه أول من أدخل الحروف الهجائية واستعمل الكتابة فى الجريس ورجح متأخرو المؤرخين هذا القول وساروا عليه وجعلوه حقيقى

الاصل ومهما كان يوجد شخص ككادموس الفنيقى وهو الذى بنى مدينة كادميا التى صارت فيما بعد قلعة طيبة فانه لا يمكن الآن الجزم بهذا القول اذ انه من المحقق أن الفنيقيين أقاموا مستعمرات فى الجزائر الجريقية فى مدة قديمة جدا ويوجد سبب يعتقد منه أنهم أيضا أنشؤا مستعمرات ومواطن على البر الاصيل وكذا من المحقق أن الحروف الجريقية مشتقة من الحروف الفنيقية وكلاهما فى الاسم والرسم واحد فثبت من هذا بداهة أنه كان يوجد معاملة قديمة بين الجريس وفنيقية

وأما المدة الخرافية للجريس فانها مقصورة على حكايات حرب السبعة على طيبة وايجونى وحصار تروى وكان حرب تروى أعظم مشروع فى عصر الفروسية وقد ذكره عمير الشاعر الوطنى الجريقى المشهور فى أشعاره وبجعانه فعلى حسب الحكاية الخرافية أن باريس بن بريام ملك تروى فى آسيا الصغرى لما نزل ضيفا عند منلوس ملك اسبرطة أكرم وفادته وأجل قراه فخان نزله وهرب مع زوجته الجميلة هلينه فعظم على ملوك الجريق ما حصل من هذه الوقاحة وقلة الادب وقدموا أنفسهم لمساعدة منلوس وجمعوا قواهم وعبروا بحر الارخبيل فى مراكب يبلغ عددها ١٢٠٠ سفينة وحاصروا تروى وكان قائد هذه الحملة أغاممنون ملك ميسينه وكان جميع شجعان الهلاس موجودين فى هذه الغزوة ولبث الحصار عشر سنوات متتالية كانت نتيجته التغلب على تروى وخرابها وذكر عمير فى روايته أن الآلهة اشتركوا فى هذا الحرب وحفظوا الجهات التى كان أخلاؤهم موجودين فيها وأما متأخرو المؤرخين فانهم يشكون حتى فى انه كان يوجد مدينة مثل مدينة تروى وما قيل من انه حصل فيها حرب يعدونه من باب الخرافات الا أنه فى السنى الاخيرة ظهر من بعض استكشافات عملت فى اثبات الحكم القطعى فى هذه المسئلة التى كانت جارية تحت المداولة والمجادلة وذلك أن العالم صشليمان عمل استكشافات عظيمة فى المحل المقول فيه ان أصله موضع مدينة تروى القديمة ولم يزل جاريا فى أنواع الحفر حتى كشف أساسات مدينة كان وجودها قبل التاريخ المسيحى بمدة تنوف عن ١٤٠٠ أو ١٥٠٠ سنة وكانت هذه الاطلال تحت سطح الارض بعمق يختلف من ٢٣ الى ٣٣ قدما وعليها دلالات احتراق شديد واستخرج العالم المذكور أشياء كثيرة من الاوانى الجارى استعمالها فى المنازل والمساكن وأسلحة وزينات كثيرة وغيرها واتضح وجود مدينة حقيقية قديمة على الوصف الذى وصفه بها عمير وثبت وجود المدينة القديمة التى ذكر أن أطلالها احرقت بالنار الا أنه لم يثبت لحد الآن أكانت هذه المدينة هى مدينة تروى القديمة أم غيرها من مدن آسيا الصغرى

ووصف عمير فى أشعاره وبجعانه حالة التألف والسياسة الجريسية فى مدة عصر الشجاعة وصناديدها وكانت المملكة مقسومة الى عدة ممالك مستقلة كل منها محكوم بملك من أهلها وكانت حكومة الملك فى الغالب مثل حكومة الاب وليست حكومة ملوكية وكان الملك مسؤلا عن اجراآته وأحكامه عند يوف الاله فقط لانه منسوب انه من ذرية الآلهة ويتلقى منهم أوامر سلطنته وكان الملك فى الحرب هو قائد الامة لا خلافه وكان هو أيضا فى السلم قاضيهم وقسيسهم ومدبر العدل بينهم ويقدم صلواتهم وقربانهم الى الآلهة وان كانت حكومته على حدود مقررة الا أن له على أمته سيادة وعزة شخصية وكان ذلك شرطا قانونيا عليهم وكان يظهر شجاعة وبسالة شخصية فى الحرب ومهارة وحذاقة فى المجلس وفصاحة وبلاغة فى المحاورات والمجادلات وكل من كان مستحوذا على هذه الصفات العالية كان حقه فى الحكم والسلطنة مقررا ثابتا والامة تنقاد له حتى فى أغراضه وشدة حدته وتبتدئ سلطنته فى

الضعف

الضعف والهبوط اذا ظهر عليه ضعف فى الجسم أو نقص فى العقل

وكانت جريق فى هذا العصر مقسومة الى ثلاث طوائف الامراء أو الوجوه والعوام الاحرار والارقاء العبيد فأما الامراء فكانوا مثل الملك ينسبون أنفسهم أنهم من نسل الآلهة وكانوا ذوى شوكة وثروة حائزين اقطاعات عريضة وعبيدا كثيرة وكانوا قواد الامة فى الحرب وذكر عمير فى قطع أوراقه التى تركها لنا ان هؤلاء الرؤساء كانوا هم الذين يجرون الحروب فى الحقيقة وكان العساكر المعتادة يقفون فى ميدان الحرب مثل متفرجين على هيئة الحرب فى مدة الاخطار المهولة الواقعة فى أى محاربة تحصل وأما الاحرار فكانوا حائزين أراضى لانفسهم يزرعونها بمعرفتهم وأما طائفة الفقراء الذين كانوا لا يملكون أرضا يزرعونها فكانوا يشتغلون فى أراضى الغير بالاجرة وكان المنبئ والشاعر والرسول أو الساعى من طائفة الاحرار الا أن فطانتهم وذكاءهم كان يجعلهم درجات فوق أمثالهم ويوطد احترامهم عند الامراء ومن هذه الطائفة أيضا طوائف النجارين والحدادين وكان هؤلاء حائزين درجة الاحترام بسبب ما هم عليه من معلومية شغل الآلات الا أن احترامهم كان قليلا وان كان لهم ذكر وشهرة وأما الارقاء فكانوا ملكا مطلقا للامراء فقط وما كانوا كثيرى العدد مثل الازمان التى جاءت بعد وما كانوا يعاملون بالقساوة ولا الرداءة والظاهر فى الحقيقة أنه كان يوجد ارتباط شفقة ورحمة كبيرة بين السيد والعبد فى أثناء هذا العصر

وحازت الارتباطات الاهلية أرقى درجات الكمال فى طريقة التألف الجريسى الاولى وكان حكم الآباء على غاية من الوقار والاحترام وما كان يحصل شئ اذا كان الاب يحصل منه زجر أو سفاهة وكان جميع أعضاء العائلة أو القبيلة الواحدة مرتبطة مع بعضها ارابطة قوية ومتحدين اتحادا كليا فى أخذ الثار أو البطش بمن يحصل منه أدنى ضرر أو أذى لابناء عشيرتهم وكان النساء فى أرقى درجة من المراتب ولهن الحرية التامة زيادة عن غيرهن فى التاريخ الجريسى وكان للزوجة والام أعلى درجات العز والنفوذ مع ما كانت عليه عوائدهم من شراء الازواج زوجاتهم وكان الكرم وقرى الضيف من مزاياهم ومن الواجبات الجليلة عند كافة الطوائف فكانوا يؤهلون بالغريب واذا طلب شيأ من المنزل يقدمونه له باسمه وان كان له شغل صار قضاؤه وان كان حضوره من أجل التجاء أو حماية يجاب نزله على غاية من الحفظ والصيانة وان تسبب من ذلك قلاقل وارتباكات وأما وقف الاله فكانوا يعاقبون كل انسان تكاسل عن عبادته أو لم يتوسل اليه بمطلوبه معاقبة لا رحمة فيها

وكانت عادات هذا العصر القديم وعوائده سهلة بسيطة وكان الشغال محترما وما كان ينظر للملوك بنظر أقل من العزة والشرف الواجب أداؤه اليهم وقد ذكر أن عوليس الملك كان يشجع رعاياه على الاشغال والاعمال بكونه بنى القاعة التى كانت معدة لنفسه بنفسه وأنشأ روسه فى البحر وتفاخر بمهارته وعقله فى كار الحراثة والحصاد وكان غذاء الامة وطعامها بسيطا جدا مقصورا على اللحم الخشن والضان والمعز والجبن والخبز وتارة الفواكه وكان الخمر مستعملا عندهم الا أنهم كانوا لا يعرفون السكر المفرط وكان الامراء والوجوه يتفاخرون فى أطعمتهم الفكيهة وكان نساء الملوك والوجوه وبناتهم يشتغلن بالحياكة والخياطة والتطريز وكن يجلبن المياه من الآبار أيضا ويساعدن الارقاء فى غسل الملابس فى الانهر

ومن جهة أخرى كان هذا العصر فى الفروسية عنيفا قاسيا فى الحرب وذلك أن الرئيس ذا القوة

ينهب جاره الضعيف فى القوة ويعامله باقبح المعاملات وكان اللصوص وقطاع الطريق فى حالة قبيحة وكان سفك الدماء عاما وما كانوا يرحمون العدو واذا وقع فى أيديهم وتكون أسلحة المغلوبين غنيمة للغالبين وكانوا يرمون رمم الاخصام عريانة للطيور والصيد وقد ذكر عمير بان أخيلوس قرب أحد عشر آدميا على قبر بطروقلوس

ولقد قيل ان جريق هذا العصر كانوا يسكنون فى مدائن حصينة محيطة باسوار قوية محلاة بالسرايات والهياكل وكانت مساكن الامراء مفتخرة مكلفة مزينة بالذهب والفضة والبرنز وكانت ملابس الامراء فى مدة الاحوال السلمية مكلفة وظريفة ويلبسون فى أثناء الحرب الدروع المفتخرة وكان الفنيقيون يجلبون لهم كل مالا يمكنهم الحصول عليه من أنفسهم ونسب المؤرخون الاطلال الضخمة لمدينة ميسينيه ومدينة طيرنس لهذا العصر ويستدل من أطلال وآثارها بين المدينتين قطعيا على متانة وقوة مدائن عصر الشجاعة ونخرها وكان فن النقش والرسم عندهم فى درجة عظيمة وكان فن الشعر مغروسا بينهم الا أنه لحد الآن مشكوك فى الكتابة هل كانت معلومة أولا

وقد انغلق عصر الشجاعة بحركة عمومية حصلت من قيام القبائل والعشائر نحو الجهة الجنوبية وهؤلاء العشائر هم المحصور فيهم أجداد تاريخ الاوقات والازمان الجريسية ومن الممكن أن حصول هذه الحركة كان من ضغط حصل على الامة الايليريانية التى كانت قاطنة فى الشمال الغربى للجريس فدخلت هذه الامة فى ابروس (نحو سنة ١٢٠٠ بعد الميلاد أو قريبا من هذا التاريخ بما أنه على وجه الظن) وتولد من ذلك حركة عمومية فى السكان الشمالية للجريس الوسطى وترك التساليون تسبر وطيه من أعمال ابروس وعبروا جبال بندوس وطردوا البيوطيانيين من مساكنهم من وادى بنوس الخصب واحتلوه ولقبوا هذا الاقليم باسم تساليا وأما من جهة البيوطيانيين فانهم أيضا عبروا جبال أتريس وعوطه وتغلبوا على صيفسوس وطردوا الكادميون والميناهيون منه وعرف هذا الاقليم باسم اقليم بيوطيه وأما الكادميون والميناهيون فانهم تشتتوا فى أطيقه ولاسيدمون والممالك المجاورة لهما وفى نحو هذا الوقت سار الدوريانيون من مواطنهم القديمة التى كانت موجودة فى الجهة الشمالية وتغلبوا على دريو بيس وهو واد ضيق كائن بين عوطه وبرناسوس يعرف باسم دوريس وهرب الدروبيانيون من طريق البحر وسكنوا فى عوبياوسينوس وبلوبونيزه أى موره

ولم تمض مدة طويلة حتى ظهرت حركة أخرى كانت أكبر من الحركة الاولى وذلك أن الدوريانيين رأوا أن الوادى الضيق الذى قطنوا فيه صغير جدا عليهم فعقدوا محالفة مع العوطوليانيين وعبر هؤلاء العشائر خليج قورنته من أضيق محل فيه بين رهيوم ورهيوم الصغيرة وأخذوا لهم مواطن فى بلوبونيزه أى موره ومن هذه المواطن تغلبوا بوجه التعاقب على عليس ومسينه ولاقونيا وأرغوليس وأما سكان أخايا القديمة فان قسما منهم خضع وقسم سار الى الجهة الشمالية وتغلب على الساحل الشمالى لموره والتجأ السكان الذين كانوا موجودين فيه من قبل فى أطيقة مؤقتا ودخلت عليس تحت يد العوطليانيين وأقام الدوريانيون ممالك لانفسهم فى الاراضى الاخر وعرف تغلب الدوريانيين على موره باسم العود الهراقليدى لان الدوريانيين زعموا أنهم استحوذوا مرة ثانية على أملاك جدهم الاكبر هراقوليس وكان صار طرده من البحيث جزيرة الجنوبية قبل ذلك بقرن

وتولد من هذه المهاجرات والتغلبات حركات فى الجريس وذلك أنهم لما رأوا أن ما استحوذوا عليه من

الارض القارة غير كاف لهم فى المسكن والمعاش سار بعض العشائر منهم الى جزائر البحر الابيض المتوسط والى سواحل آسيا الصغرى وكذا تولد من تغلب البيوطيانيين على سهل صنفسوس عمار جزيرة لسبوس ومبادى عمار المواطن القاصية الشمالية فى آسيا الصغرى بين هرموس وبوغاز الهلسبون أى الدردانيل وعبر اليونانيون الذين طردوا من الساحل الشمالى لموره من بعد أن أقاموا فى أطيقه مدة قليلة الى جزائر السكلاده ومنها الى خيوس وساموس وسواحل آسيا المقابلة لها مباشرة بين الهرموس ومندر ومن بعد أن طرد الدوريانيون الاخائيين من موره هاجر الاخائيون بعضهم سار الى ايطاليا تحت قيادة رؤساء من الدوريانيين وبعضهم سار الى جزائر كوس ورودس والى الساحل الجنوبى الغربى من آسيا الصغرى وكان للعوليانيين اثنتا عشرة مدينة مبنية فوق أرض جزائرهم وعلى سواحل آسيا وكانت ميطيله أو جزيرة اسبوس مرعية عندهم بانها عاصمتهم وكان لليونانيين أيضا اثنتا عشرة مدينة وتلك المدائن مستقلة عن بعضها الا أنها كانت فى ارتباط مستحكم فيما بينها بواسطة العبادة العامة وكان معبدهم الاصلى مخصوصا الى بوسيدون ومبنى على قطعة من الارض داخلة فى البحر اسمها اسيكالى وكان للدوريانيين ست مدائن وكان لتلك المدائن أيضا معبد مشترك وهو معبد اكسابولس الدريانى

ولما كان الجريق أهل ديانة كانت معرفة حقائقهم فى الديانة التى كانوا عليها واجبة وضرورية لاجل جودة فهم تاريخهم ومما نشرحه هنا نعرف هيئات وصور مذاهبهم فعلى مقتضى الخرافات الجريقية ان العالم كان فى الاصل همجيا وكان على غاية من الاضطراب والارتباك فانفصل منه السماء أو اورانوس والارض أو جيا وصارا آلهة معبودة مستقلة وخرج من هذين الجنس الاول من الآلهة المعروف باسم الاورانيديون يعنى أولاد السماء والارض ونسب لهذا النقس الطيطانيون الاشد قوة وبأسا وكان حاكم الجنس الثانى كرونوس فأنشب ظوس حربا عليه وانتصر ظوس على كرونوس وشيد دولته بعد حروب كبيرة مع الطيطانيين والجبابرة الذين كان حاصلا منهم الارتباك والقلاقل فى العالم وصار ظوس من ابتداء هذه النصرة الاله الاعظم ورأس جميع المذهب الديانى وملك الآلهة والعالم الانسانى وأبوهم وكرسيه موجود فوق رأس جبال أولمبوس فى تساليا وأولمبوس أيضا مسكن الآلهة الاخر ورؤس الجبل مغشاة على الدوام بالسحب وجعل الجريق فوق هذه السحب مسكن آلهتهم فى اقليم مستمر فيه ضوء الشمس عاليا جدا خاليا من عواصف وزعازع الدنيا السفلى وباب السحب واقف عليه خفر من الآلهة النساء أو المعبودات يؤدون ما يلزم من المواصلات بين الآلهة والارض وكل اله قاطن فى مسكن مخصوص له الا أنه ملزم بالتوجه اسرايتوف أوظوس وقت طلبه اليها وتعمل لهم فيها ضيافات الولائم من طعام الآلهة وشراب الرحيق ويتداولون فيما يختص باعمال السماء والارض ويسمعون الات الطرب والموسيقى وترغمات موسى وان ظوس قاسم ممالكه مع بوصيدون وأعطى له قيادة البحر وحكومته وعهد الى بلوطو حكم الدنيا السفلى ومسكن أرواح الموتى

وكان المجلس الاولمى الذى رئيسه الاكبر يوف مركبا من أحد عشر الها من الآلهة الكبرى هم بوصيدون اله البحر وأبولو اله الشمس ومحب الشعر والموسيقى والبلاغة وأرس اله الحرب وهفوصطس اله النار والفنون النافعة وهرمس رسول الآلهة ومحب التجارة والثروة وهيرا المعبودة الكبرى وإثينا ابنة ظوس الهة التمدن والعلوم والفنون وارطميس الهة القمر والصيد وافروديط الهة الجمال والعشق ودمطير الهة الحصاد والمحصولات الوافرة وهستيا الهة الحياة

ويوجد خلاف هذه الآلهة آلهة كثيرة أخرى بعضهم معادل تقريبا في القوة الى بلوطوا له الدنيا السفلى وهيليوس وهيقاط وديونيصوص ولاطو وديونى وبرصفون وصالى وطميس وعوس والوس ونيموصيس وغراصيس وموصيص ومورى أوالمجنت ويومنيد أوفوريس وأوشيادس والنيريدس والنمف والهوريس والهة أخرى صورتها مخفية مثل الطى وليطياواريس وثناطوس وهينوس وكراطوس وبياوالهة أخرى مهولة الشكل والهيئة متفرعة من الآلهة السابق ذكرها مثل هاييس وجرجون وجراياو بجاصوص وقربسور وأخيندة وشميره وصربيروس وغريون ولرنيان حيدرا ونيمين الاسد والسنطور والصيرين وأبوالهول والصيلا والقريديس وكل هذه الآلهة في الارض والبحر والعالم والدنيا الجهنمية ولهم صفات وخصال وطبائع وقوى مختلفة مشروحة في المطولات من الكتب الافرنكية يضيق علينا أن نذكرها هنا

فأما بوصيدون فجعلته الفطريط وطيطيس ونيريدس وطريطونس وأما اومنيد فانه تابع المجرمين بالعذاب الشديد وأما برصفونى فانه حاكم الهاديس مع بلوطو وأما صربروس فهو خفير الطريق الموصل الى أقاليم جهنم وأما مينوس واياكوس ورهادامنطوس فهم قضاة أرواح الموتى وأما بان وفونس فهما حاكما الغيطان والبرور وأما نفس فهو حاكم الجبال والمنابع والغدران وأما الدريادس والهمادريادس فهما حاكما الغابات والاورمانات وأما الموسس وغراسس فهما ملهما الشعر والجمال والفصاحة وأما أبوس الفجر فهو ساكن على شواطئ البحر المحيط في سراية أبوابها من ذهب يخرج الفجر كل يوم منها وقت الصباح ويخبر بقرب حضور أخيه الاكبر أبولو وهو الشمس وأما عولوس فهو حابس الرياح في مغارات وكهوف يرسلها وقت حاجتها وأما اريس فانه رسول الآلهة وقوس قزح جسر تعبر عليه الملائكة وقت أن ترسل الى أسفارها وأما ديونيطيس فهو رب الخمر والنبيذ وكانت تعمل شعائره مع الجنون وقلة العقل وأما نمصيس اله العدل فانه يعاقب المجرمين على جرائمهم

والعقيدة الكبرى الموجودة في الديانة الجريقية هي الانقياد والطاعة لحاكم الدنيا الموجود فيها على الدوام بفعل فعله النافذ بغير انقطاع على الافعال البشرية وهذه الطاعة متسلطنة على الافكار والكلام والاعمال وكان تقريب القربان في عصر الشجاعة بصفة شكر وثناء للآلهة أو لاجل اكتساب الجود والكرم الذي يتفضل به الآلهة عليهم ويعتقدون أنه لا يمكن لأى شخص مجرم أن ينجو من عذاب يومنيد واعتقدوا في المدة الاخيرة أن خاصية القربان تكفير السيئات واحتجاب غضب الآلهة ومحو أثر الخطيئة يكون بواسطة تقريب القربان

وكان من جملة الشعائر المقدسة الكبيرة عند الجريق الاسرار الالوسنيانية أو العلوسينانية وهي الاحتفالات التى كانت تعمل في علبس تعظيما الى دمطير وبرصفونى وكان الذين يجرون هذه الاحتفالات هم الملازمون لها من الاصل وكان من الكبائر العظيمة عندهم الكلام معهم من غير أن يكون له معرفة بهم من الاصل وكان الذين يخدمون هؤلاء يراعون أنهم مخلوقون تحت حماية مخصوصة من طرف الآلهة

وكانت تعرف مطالب الآلهة ومرغوبها بواسطة الكهانة والعرافة وكان أقدم الكهان كاهن طوس أويوف في مدينة دودونه من أعمال ايروس وكانوا يعتقدون أن الاله يتكلم في صرير أوراق

شجرة البلوط المقدس وتفسر أقواله أو تترجمه القسس أو القسيسات وكان ابولو رئيس متكلمى الالهة وله أربعة وعشرون كاهنا فى الجريس وفى المستعمرات الجريقية فى اسيا الصغرى وأجل هؤلاء الكهان شهرة كان قاطنا فى مدينة دلفى من أعمال مملكة فوسيس وكان لابولو هيكل أو معبد مخصوص فيه تمثاله مصنوعا من الذهب ونار موقدة على الاستمرار من حطب الوقود وكان يوجد خرق فى وسط أرضية المعبد خارجة منه أبخرة مخصوصة يعتقدون أنها نفس الاله ولاجل معرفة مقصد الاله وطلبه كانت القسيسة تقعد على هذا الخرق وتملأ نفسها بالابخرة وتستنشقها ومن ثم يعتقدون انه أوحى اليها ومتى قل صعود البخار تنطق بما أجاب به ابولو بسجعات مقفاة فتأخذ القسس الملازمون لها كلامها ويخلطوه أو يعموه بحيث لا تفهم معانيه ويلقوه على الناس وما كان يحصل مشاورة كاهن دلفى من الجريق فقط بل ومن الليديانيين والفريجانيين حتى الرومانيين

ومن ابتداء غلاق عصر الشجاعة الى حدمدة الاولمبيا الاول كانت الحوادث التاريخية للجريس مجهولة لم نعلم منها الابعض حوادث عمومية تختص بسير الحوادث فى هذه المدة الطويلة وأول حادثة توجه التفاتنا اليها هى نتيجة التأثير الذى حصل على المملكة من المهاجرات التى ذكرناها فيما سبق ثم بعدها مباشرة وقوف التمدنات المدنية فى الجريس وكان الاجناس الذين استحوذوا على الاراضى ذوى قوة وخشونة وعنف وافرزائد عن الامم الضعيفة المهذبة الذين كانوا طردوهم من أرضهم ومن بعد مدة من الزمن جذبتهم الخصال الطبيعية الى الاستحواذ على التهذيب والزراعة وأما السكان الجديدة الذين قطنوا الممالك الجريقية من بعدهم فانهم لم يكتفوا بتدمير نظامات الاعمال القديمة فقط بل ردوا بدلا منها أساسات أمة صعبة المراس والجراءة لها تحمل على مكابدة الاخطار والمشاق حتى خسفت فخر عصر الشجاعة وتولد من الحروب والحركات خصال وخواص شخصية عند كل انسان بالنسبة لتقدم عظمة نفسه وعلو شهامته وسلطنه ومن بين الكد والاهوال والاخطار التى اشترك فيها عموم السكان قام الفكر السياسى أيضا وأخذ له محلا فى البلاد وانتقلت أحوال الناس واستنبطوا الاعمال السياسية وخصوا فى كثير من الاشياء وازداد فرع الافكار السياسية مع سرعة عظيمة وكانت السلطنة الوراثية متتالية العمل والاجراء فى عصر الشجاعة فى كل جهة من الجهات الجريقية ماعدا ارروس فانها كانت على طريقة غير منتظمة فى الحكم وكان البعض من حكامها على طرائق غير موافقة للحرية والتهذيبات الشخصية واجتهد الناس فى توطيد نظامات جديدة غيروا بها الاحوال القديمة التى كانت متسلطنة عندهم حتى اكتسبت المدائن عزها وشرفها المخصوصين بها مع جلالة أهميتها واستوطن الفاتحون مدائن حصينة قوية وربطوا علاقات ودية مع بعضهم خشية من حصول ثورات تقع عليهم ومن ثم صار كل محل حصين مملكة مستقلة يحكم على بعض جهات من البلاد الموجودة حوله مباشرة

ويلزم أن نتذكر فى وقت ممارسة التاريخ الجريسى بان المادة الاساسية فى الطريقة السياسية الجريقية هى سيادة كل مدينة وكمال استقلالها وكان من الفرائض الواجبة على كل جريقى بذل طاعته لمدينة مسقط رأسه ومن هذا تأكدت محبة الوطن وظهرت الدرجة الحقيقية للاحساسات البشرية التى أظهرت تاريخ تلك الامم وكان من تمام هذا الاستقلال الاقرار والاعتراف بان كل واحد من أى مدينة ما يعد نفسه أجنبيا فى المدائن الاخر وكل مدينة من المدن كانت تدفع عن نفسها حركة المدائن

الاخرعنهامع الثبات والقوة وكان الغرض الاصلى من ذلك هو توجيه احساس كل مدنى الى ملته وقومه ومن ثم تولد عند الجريق الصعوبة الزائدة فى اتحادهم مع بعضهم فى أوقات حلول الاخطار العمومية عليهم وتوجيه جيوش الاعداء اليهم وصاروا فى حالة مستعدة مستمرة الدوام فى توجيه جيوشهم على بعضهم ومن تجزئهم بهذه الحالة تغلب عليهم ملوك المقدونيين بغاية السهولة وكان حكم مدينة على أخرى مبغوضا بالكلية عند الجريق فى مدة تاريخهم المعروف وأما من جهة حكم طيبة على المدائن البيوطيانية وحكم أثينة على رعاياها المخالفين لها فانه كان خضوعا مع الكراهة والبغضاء وعند انتهازهم أول فرصة تحصل عندهم ينكثون طاعتهم وخضوعهم وأما من قال من مطالعى التاريخ بان أراضى الجريس كانت مقسومة الى عدة من الايالات الصغيرة والممالك المستقلة مثل اطيقة واركاديا وبيوطية وفوسيس ولوكريس وما يماثل ذلك فقولهم هذا من دون تأمل وهو خطأ فاحش تولد منه عدم فهم التاريخ الجريقى بالكلية والذى عليه الحقيقة أن كل مدينة كانت مملكة مستقلة فى نفسها وبهذا كان كل من الاراضى الواقع عليها اسم اركاديا وبيوطيه وفوسيس ولوكريس مشتملة على مالك سياسية عديدة مستقلة عن بعضها الا أن اطيقه كانت فى الحقيقة مشكلة مملكة واحدة ومدائنها الاصلية معترفة بأن أثينة عاصمتها ومنبع شوكتها وذلك استثناء فى القاعدة العمومية ومع هذا كانت توجد روابط مرتبط بها الجريق مع بعضهم وهى رابطة الدم واللسان ورابطة الدين والمواسم وروابط العوائد والطبائع ويراعون أنفسهم بانهم من نسل وذرية هلين ويسمون الامم الاخرى من العالم باسم متبربرين وهمج فكانوا يطلقون هذا اللفظ على المصريين المتمدنين وعلى الصيطيانيين الخشنين

وتولد من اتحادهم فى الديانة واجتماعاتهم فى المواسم والاعياد تشكيل جمعيات ممن جاورهم من العشائر والمدائن الذين تعودوا على الاجتماع فى أوقات معلومة لاجل تقرب القربان لاله مخصوص عندهم فى معبد معلوم مشترك بينهم فى العبادة وتحت محافظة الجميع وكان الاكثر شهرة من هذه الجمعيات هو الجمعية الامفيقطيونيقية فكانت هذه الجمعية التى لا عبرة بها ولا معنى فى ذاتها جليلة عندهم بسبب انها معدة لخفارة معبد دلفى وهو أكبر المزارات الملية الجريسية وكانت مدة مباديها غير معلومة الا انه يظهر أنها كانت احدى الاساسات التى كانت تحيى عصر الشجاعة وكانت هذه الجمعية تلتئم فى السنة مرتين فى فصل الربيع فى معبد أبولو فى دلفى وفى فصل الخريف فى هيكل دمطير فى ترموبيلى وكانت أعضاء هذه الجمعية مركبة من مبعوثين مقدسين من طرف احدى عشرة قبيلة تشتمل على عدة ممالك مستقلة أو مدائن وكان نواب كل قبيلة أو عشيرة أو مدينة تنحصر فى رئيس اسمه هرممنون وتوابع معه يسمونه بيلاغورى وكانت الواجبات الاصلية المفروضة التى كانت تجريها هذه الجمعية هى منع التعدى والجور ضد أعضائها وتوطيد حقوق الآلهة وشرف المعابد والهياكل وما كانت هذه الجمعية مليئة يؤدون ما يجب عليهم فى حفظ وصيانة ما يعود منه المنفعة العامة على البلاد والعباد فى الاراضى الجريسية وأن تستعمل سلطتها فى المقاصد السياسية فقط عندما يمكنهم صد واخماد أى مملكة من الممالك توجه مطامعها على غيرها من الممالك الاخرى

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من التاريخ القديم الى الاولمبياد الاول ﴾

تقدم أرغوس ـ المستعمرات الدوريانية ـ قيام اسبرطة ـ الحرب مع مدينة اسيقلى ـ تاريخ

أثينة القديم ـ موت كودروس ـ ابطال السلطنة ـ انشاء قانون ارخونس ـ الارخونس السنوى ـ مبادى حقيقة تاريخ المدة فى التاريخ الاثينى ـ سرعة تقدم اسبرطة ـ قسمة الاهالى الى طوائف ـ الهلوطيون (العبيد) ـ شرائع ليكورغس ـ تهذيب وأهل اسبرطة ـ الرغبة فى نفى ليكورغس ـ عمير الشاعر ـ تأثيره على التاريخ الجريسى ـ نجاح ارغوس وفلاحها ـ الحرب الاول المسينى ـ احياء الالعاب الاولمبيقية ـ صفاتها ـ الاولمبياد الاول

أول مملكة بلغت الدرجة العظمى فى السياسة والحكومة الادارية بعد عصر الشجاعة مملكة أرغوس وثبت من الروايات والاحاديث انه خرج من ارغوس عشائر الدوريانيين لاجل التوطن والاقامة فى ايدروس وطرزين وفليوس وصكيون وقورنثه وعلى ماقيل ان الدوريانيين من ايدروس توطنوا فى ايجنة وليميرة وابيدروس واندروس ومغاره من أعمال قورنثه وكانت هذه المستعمرات تحت حماية مملكة ارغوس ومن بعد مضى عدة قرون صارت هى المملكة الرئيسة فى بولو بونيزه أى موره

وأما التاريخ القديم لمدينة اسبرطة فكان ابتداؤه حصول الكد والسعى من فاتحى الدوريانيين لمد سلطتهم ودولتهم فانهم وطنوا أنفسهم فى مبادى أمرهم الى حد القسم العلوى من الوادى المحصور بين سلاسل طايغوتس وبارنون وهو ناحية طولها نحو خمسة وعشرين ميلا وعرضها نحو عشرين ميلا وتغلب الاخائيون على الوادى السفلى وشيدوا عاصمتهم اميقلى على نهر عوروطاس وعلى مسافة ميلين من جنوب مدينة اسبرطة فاستمر الحرب بين اسبرطة واميقلى مدة ثلاثة قرون الا أنه لم يحصل من اسبرطة أدنى تقدم نحو الجهة الجنوبية وصدت الاستحكامات القوية لمدينة اميقلى شوكة الاسبرطيين وأضعفت مساعيهم بخصوص توسيع أراضيهم ثم التفتت اسبرطة بعد هذا لاخضاع اركاديا الا أن مساعيها كانت على غير طائل ثم تحولت على مسافة بعيدة وشنت غاراتها الحربية على مسينه وأرغوس الا أن حوادثها وحروبها كانت قليلة الاهمية بالكلية

وأما التاريخ القديم لاثينة فانه يبتدئ بالمدة الملوكية وذلك انه من نحو سنة ١٣٠٠ الى سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد كانت أطيقة محكومة بملوك مطلقة التصرف والاستبداد وكان آخر هذه الملوك كودروس وعلى ماروى أنه قاسى الشدائد والاهوال فى مقاومة غارة الدوريانيين وكانوا أغاروا على أطيقة من الدوريانيين الذين تغلبوا جديدا على مورة وفى أثناء هذه المدة انقسمت الامة الى أربعة عشائر طليوطين وهبوليطس وايجيكوريس وارغاديس وكل من هؤلاء انقسم الى قسمين الاول اخوان وأقارب والثانى طردلين ونوقرارين فأما القسم الاول فهو مقصور على القرابة وأما الآخر فقصور على الترتيبات الصناعية للمملكة فيما يختص بالضرائب والعوائد والخدمات العسكرية وطوائف هؤلاء التبعة على ثلاثة أصناف الوجوه والمزارعين وأرباب الصنائع فأما الصنف الاول فكان محصورا فيه كل مايختص بالشوكة السياسية وكانوا متمتعين بالحق الوحيد للتوظف فى المصالح العامة وكان مجلس الاعيان أو السنا مأخوذا من هذا الصنف ومقره على جبل مارث ومن المستحيل أن يكون للمزارعين وأرباب الصنائع دخل فى حصول الشقاق والخلاف فيما يختص بقسمة الاراضى أو الاملاك

وكان تاريخ الجريس فى مدة القرن الحادى عشر قبل التاريخ المسيحى غير مؤكد ولم تزل مدة

الحوادث التاريخية الحقيقية بعيدة المسافة بعدة قرون وانقضى هذا القرن فى توطين الدوريانيين أنفسهم فى الجهات التى تغلبوا عليها فى بلوبونيزه واستمرت اسبرطة فى حربها مع مدينة اميةلى بخصوص الاستحواذ على وادى عوروطاس وبواسطة الاخانيين استحوذت على القسم العلوى من الوادى المذكور وكانت ارغوس هى الدولة السائدة فى بلوبونيزه (موره) وانتشرت مستعمراتها فى الجهة الشمالية من الهيث جزيرة وكانت حكومة ارغوس ملوكية على سياق عصر الشجاعة وكان التاج فيها وراثيا فى بيت طمنيدى وهذا البيت منسوب الى طمينوس الابن الاكبر لارسطوماخوس أحد الهرقليديين والصحيح أن هذا القرن فى التاريخ شاهد تغيير هيئة الحكومة من الملوكية الى حكم الارخونيين مدة حياة كل منهم وعرفنا من الحوادث الخرافية المختصة بشأن هذا التغيير أن الدوريانيين أغاروا على أطيقة من بعد مدة قليلة من توطنهم فى بلوبونيزه وقال لهم الكاهن بانهم يمكنهم التغلب على هذه المملكة ان كانوا يحافظون على سلامة ملك أثينة ولما أخبر كودروس بهذا الخبر وكان هو فى هذا الوقت ملك أثينة صمم على كونه يجعل نفسه قربانا لنجاة بلاده من مثل هذه الغارة فدخل مستخفيا فى معسكر الدوريانيين وتنازع مع أحد العساكر الدوريانية حتى تولد منها قتله وبمجرد ما عرف الدوريانيون موت الملك تقهقروا من أطيقة الى بلادهم وكفى أهل أثينة شر الدوريانيين ومن ثم أبطل الاثينيون وظيفة ملك احتراما لذكر هذا الملك الذى مات من أجل بلادهم شهيدا واستبدلوها بوظيفة أرخن يحكم مدة حياته وكان حصول هذه الحادثة فى سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد وكان أول أرخن يجلس فى الحكم مدة حياته هو ميدون بن كودروس الملك وأعقبه اثنا عشر من ذرية كودروس وانحصر الشرف والسمو فى هذه العائلة ولما مات علقمون الارخن الثالث عشر وهو آخر الذين تملكوا الحكم مدة حياتهم حدد وجوه الاثينيين لفظة ارخن فى الوظيفة لمدة عشر سنوات وكان هذا فى نحو سنة ٧٥٢ قبل الميلاد ومازال السمو محصورا فى ذرية كودروس وميدون الا أنه فى سنة ٧١٤ قبل الميلاد صار فتح هذه الوظيفة لكافة الوجوه الموجودة فى المملكة وفى سنة ٦٨٣ قبل الميلاد صار ترتيب الارخن الذى يحكم لمدة سنة واحدة فقط وانقسمت واجبات الوظيفة الملوكية على تسعة أشخاص كل منهم لقب بلقب أرخن وكل أرخن كان يجعل اسم نفسه للسنة ومن هنا كان تغيير الحكومة على حسب الوقائع والحوادث الخرافية الجريقية من الملوكية الى الجمهورية وأما الشوكة السياسية أى الادارية للمملكة فكانت محصورة على الخصوص فى الوجوه وكان يصير انتخاب التسعة ارخن السنوية منهم ويكونون تحت المسؤلية لديهم فقط وأما الامة فما كان لها نصيب فى الاحكام والاجراآت الخاصة باموال المملكة

ويبتدئ التاريخ الحقيقى للاثينيين بتنصيب التسعة أرخن السنوية فى سنة ٦٨٣ قبل الميلاد وهذا هو أول مدة تاريخها الحقيقى وفى أثناء هذه المدة أخذت اسبرطة فى التقدم بسرعة فى الشوكة والجلالة وصارت الحكومة الاسبرطية ملوكية وكان يحكم المملكة ملكان على السوية وكانت السلطنة على مثال عصر الشجاعة وكانت أعمال الملكين مانعة بعضهما ومن ثم أخذت الشوكة الملوكية فى الضعف والاضمحلال حتى صارت فى وسط القرن التاسع لامعنى لها فى ذاتها ولا فى صفاتها وكانت الامة منقسمة الى ثلاث طوائف فأما الطائفة الاولى فهم الاسبرطيون وعددهم نحو ٩٠٠٠ نفس وهم سكان العاصمة وكانوا من ذرية الدوريانيين الذين تغلبوا على البلاد والاراضى وأمرائها

والشوكة الادارية محصورة فيهم على الخصوص وكانوا مالكين معظم الاراضى الزراعية عائشين فى اسبرطة على الاجارات التى يأخذونها من مزارعيهم وأما الطائفة الثانية فهم الاهالى الحرة القاطنون فى مدائن المملكة وقراها وكان هؤلاء تبعة فى المعنى الحقيقى وما كان لهم سلطة سياسية وكانوا مختلطين بالدم الدوريانى والاخائى منتشرين فى جميع أنحاء المملكة وجهاتها مالكين للاراضى العاطلة ومشتغلون بالبيع والشراء والتجارة والصنائع ويحاربون الجيوش الاسبرطية كعساكر ثقيلة الأثقال وتحت القوانين التى كان الاسبرطيون يتعاونونها من أجل الحروب خاصة وأما الطائفة الثالثة فهى طائفة الهلوطيين وهم الارقاء والعبيد من سكان المملكة وكانوا فى الاصل من الدم الاخائى الا انه من بعد الحروب المسينية ازداد عددهم من الاسارى الذين أخذوا فى الوقائع وامتزج الجنس بعضه فكانوا مستخدمين فى زراعة أراضى أسيادهم الاسبرطيين ويدفعون لهم أجرة مقدرة مقدارها نصف محصول الارض وكانت هذه الطائفة مهانة فى الاصل والجنس فكانوا قليلين جدا وكان لهم احساس تام من الشفقة حتى صاروا فى درجة متوسطة بين الارقاء والاسبرطيين ثم صار الهلوط المسينيون هم الطائفة الاكثر عددا فى المملكة ومن هذا الوقت نظر اليهم أسيادهم بعين الخوف والارتياب ولبسوا الهم ملابس مخصوصة وشرعوا فى انحطاطهم وضعفهم وصارت اسبرطة منبع الهيجان والثوران الحاصل من العبيد أى الهلوط فشرعت اسبرطة لاجل قمع هذه الطائفة العنيدة فى انتخاب عدد من شبانها على التدريج وسلحتهم من أجل هذا القمع بالخناجر والسكاكين وأرسلتهم فى مأموريات الدورية والطواف فى أنحاء البلاد ومعهم أوامر سرية من الحكومة بقتل الهلوط أينما تمكنوا منهم بالنظر لكثرة ما هو حاصل منهم من الاذى والخطر ومن جهة أخرى فان الهلوط لما أظهروا شجاعتهم فى حروب التزموا فيها على أن يكونوا عساكر خفيفة من طرف اسبرطة فمنحتهم الحكومة حرية أنفسهم ومن ثم تولدت طائفة ممتازة عرفت باسم المعتوقين حديثا

ومما حصل فى الحكومة الملوكية من الضعف والاضمحلال ارتاع الاسبرطيون حتى انهم صمموا على ضرورة تغيير فى طريقتهم الادارية السياسية وفى نحو سنة ٨٥٠ قبل الميلاد أعد ليكورغس قانون شرائع دبر به الحكومة المملكة وتهذيب التبعة وكان من أعضاء العائلة الملوكية الا انه ما كان من عمود الذين يجلسون على التخت وكان صرف عدة سنين فى سياحاته وأسفاره فى كريد ومصر والهند ونظر فى قوانين وشرائع هذه البلاد واجتمع فى مجالس أهلها واكتسب فوائد وعلوما من كل فن حتى دبر قانونه هذا لاسبرطة وكانت قوانينه عامة على كل فرع من فروع الادارة والائتلاف الدائمى لاهل اسبرطة وأجرى العمل على موجبها من بعد أن حصل فيها شدة المناقضات والمجادلات وعدم القبول حتى استحسنت أخيرا وسارت عليها أحكام اسبرطة ورعوها حق رعايتها

وكان المقصد الاصلى من قوانين ليكورغس بقاء سلطة المملكة فى أيدى الاسبرطيين وهذه الطائفة البالغ عددها ٩٠٠٠ نفس فقط تفضل حكومتها وادارتها بقوتها واجتهادها تحصل من سن قوانين تربطهم بعضهم رابطة واحدة بعقود قوية لا انفكاك لها ولا انصرام فيها وتجعلهم جسما واحدا وتهديهم الى درجات المعالى وتقودهم الى عوائد الشجاعة وتحمل المشاق والانقياد العسكرى وأن يكونوا على الدوام مستعدين لحفظ درجات مقدارهم كلما كسبوها بالسيف والرمح فقابل الاسبرطيون فى الابتداء هذه النظامات بوجوه مقطبة وصدود وضجر وتذمر لم يرسله فى عصر من العصور

وذكر ليكورغس فى القانون الذى سنه والنظامات التى شرعها أنه يلزم أن تكون الشوكة فى يد ملكين وحدد شوكة هذين الملكين وجعلهما فوق مجلس أعيان وأن يكون انتخابهما بطريق الاصوات وأغلبية الآراء واذا تساوت الآراء عملت قرعة بين المنتخبين فى مجلس الاعيان ومن مجلس مركب من ثلاثين عضوا منهم الملكان ويطلق على هذا المجلس اسم مجلس الشيوخ أو الاعيان وكل من أعضائه لا يكون عمرهم أقل من ستين سنة وانتخابهم لمدة حياتهم ولهم حق الاشتراك فى الادارة العمومية للملكة ويناقشون الاعمال والاجراآت التى يجب تقديمها لهم من مجلس الملة ويحضرونها ويبتون الحكم فيها وكذا يفصلون أحكام الجرائم المؤثر فعلها على التبعة ويقررون فيها أحكامهم بطريق العرف اذا لم يوجد قانون مدون فى شأنها ولمجلس الملة السلطة والنفوذ فى انتخاب مجلس الاعيان حسب القوانين وله قطع الحكم فى حالة السلم والحرب والظاهر أن هذه السلطات كانت مجرد اسم فقط لان هذا كان القصد منه المصادقة فقط على الاجراآت التى صار الحكم فيها بواسطة مجلس الاعيان وما وجد مناقشات أو مجادلات فى الاجراآت العمومية التى حصلت فى اسبرطة كما كان جاريا فى أثينة ثم توظف بعض من الحكام كل سنة اسمهم عفورس أى مفتشين من طرف المجلس العمومى فكانت وظائفهم المراقبة والمحافظة على السير على حسب قوانين وشرائع ليكورغس ويعاقبون كل من خالفها بأشد العقاب ومن توالى الزمن ومروره انحصر النفوذ السياسى فى أيدى هؤلاء المفتشين وصاروا هم الحكام فى المملكة فى الحقيقة وخضعت لطاعتهم جميع طوائف الاسبرطيين وانقادوا الاوامرهم وأحكامهم واستبدوا فى شوكتهم وصاروا مطلق التصرف فى الرعايا من غير مانع يمنعهم ومن ثم آلت نهاية الحكومة الاسبرطية الى حكومة أعيان صار فيها الملك ومجلس الشيوخ والامة رعايا وتبعة لخمسة عفورس أو مفتشين فى الاصل ليس لهم حدود معلومة فى أحكامهم وليسوا مسؤلين عن شئ لدى أحد

وفى حالة ما كانت هذه الحالة جارية فى المملكة كان العمل جاريا فى تهذيب على حسب قانون وشرائع ليكورغس وذلك أن كل مولود يولد فى اسبرطة يفحص عنه فى المجلس فان وجد ضعيفا أو مشوه الخلقة أمر بقتله على جبل طايغطوس ومتى بلغ عمر المولود سبع سنين أخذوه من حضانة أمه وكفالتها وشرعوا فى تربيته وتهذيبه تحت مناظرة مربين ومعلمين أو حكام موظفين من طرف الحكومة فكانوا يعلمون الطفل جميع تمرينات الالعاب الرياضية السريعة الحركة مثل الجباز لاجل تولد القوة والنشاط فى جسمه ويعلمونه جميع الحركات والتعليمات اللازمة للعسكرية الاسبرطية فى الميادين وكذا يعلمونه فن الصيد ويعودونه على تحمل الالام المتاعب والاخطار من دون أن يتأوه أو يتضجر وكان يفحص عن عزمه وثباته بواسطة ضرب وجيع فظيع بحضور عموم أهل المدينة فى جهة محراب أرطميس (أى ديانا) ومات كثير من الشبان تحت هذا الضرب الوجيع من دون حصول تأوه ولا تضجر وكان الولد يلبس فى الشتاء والصيف ملبوسا واحدا ويتحمل مكابد الجوع والعطش والحر والبرد ويأكل على المائدة العمومية ولا يسمح له فى الاكل الاعلى قدر ما يسد به رمق جوعه وينام مع أقرانه فى محلات النوم العمومية ومتى بلغ عمرا معلوما سمح له بغذاء ضرورى فان سرق زيادة عن ذلك وضبط حال سرقته عذب عذابا شديدا وكان تعليم الكتابة وفن الموسيقى داخلا فى تربية الطفل الا أنه كان يهذب فى هذه على حسب ذهنه الطبيعى وكان يتعلم علم الالحان بالضرب على العود والمغانى الا أن مغانيه وترنماته اما أن تكون مخصوصة بوقائع حربية أو بمدحات الهية وكانت الآداب والفلسفة

مهانة فى اسبرطة وكان الاسبرطيون يكبسون على أنفسهم حتى يتعودوا على الايجاز فى الكلام والاختصار فى الاقوال والالفاظ ومن ثم كانوا يكرهون كثرة الكلام

وبمجرد ما يبلغ الطفل مبالغ الرجال يتمتع قليلا بعتقه من التهذيبات والتعليمات الشاقة المضروبة عليه من طرف الحكومة ويأكل فى الموائد العمومية وينام فى محال النوم العمومية ومتى بلغ عمره ثلاثين سنة سمح له بالزواج وكل من بلغ هذا العمر ولم يتزوج يعاقبونه اذا استمر على غير زواج ومع هذا فما كان لهم حالة خاصة بمعيشتهم وكان الرجل الواحد يصرف معظم حياته فى العسكرية والالعاب الرياضية والصيد والذين عمرهم ستون سنة يزال عنهم جميع ما كان مربوطا عليهم من الاعمال الاسبرطية ويسمح لهم من هذا الوقت فى التمتع بما يعود عليهم من الراحة فى بيوتهم

وكان البنات يتعلمن أيضا تعليمات المصارعة العنيفة وكن مرعيات فى حالة أنهن قسم من المملكة ومن واجباتهن أن ينتجن أو يلدن أولادا أهل شدة وشهامة ومتى بلغ بنات الاسبرطيين عشرين سنة صار زواجهن والزوجة وان كانت متمتعة بائتلاف قليل مع زوجها الا انه كان يعاملها بأحسن المعاملات ويمنحها أعظم الحرية زيادة عن الممنوح بها أى زوجة فى الممالك الاخرى الجريسية وكانت المرأة تتهذب بما يعود منه الشرف والسمو لبلادها مدة حياتها وكانت الشهامة العظمى لنساء الاسبرطيين هى تهييج الرجال فى الحصول على أعمال الفروسية والشجاعة والاقدام على الاهوال والاخطار وكان الجبان يلاقى أرذل الاهانة والاحتقار من النساء ويكافأ الشجاع منهن بالمدح والثناء الزائد وكن يقلن لاولادهن حال توجههم الى القتال تعال اما مع جعبتك أو محمولا عليها وكان موت الزوج أو الابن فى الوقائع الحربية من أسباب الشكر والثناء للآلهة

ولقد أكد بعض المؤرخين أن ليكورغس قسم أراضى المملكة ووزعها على أهلها الا أن أغلب المؤلفين المعول عليهم شكوا فى هذا القول وكذا قالوا ان ليكورغس أبطل جميع نقود الذهب والفضة من اسبرطة واستبدلها بحديد ثقيل فى المعاملة لاجل حرمان أهل اسبرطة من حبهم جمع هذه النقود وتكاثرها عندهم حتى لا يكون لجامعيها نفوذ عظيم على الاسبرطيين وهذا محتمل الشك فيه أيضا لان النقود الفضية لم تضرب فى الجريس الى زمن فيدون صاحب ارغوس فى القرن الذى جاء عقب هذا وان ابتداء ضرب النقود الذهبية كان فى اسيا وما كانت معروفة فى الجريس الا نادرا حتى فى الحرب الاخير الذى حصل فى بلاد بونيزه ومنع ليكورغس حالة التلذذ والترفه فى المعيشة وسهل الاسلوب اللازم اجراؤه فى معيشة الانسان وكان لا يسمح للاغراب بالتوطن فى اسبرطة من دون رخصة من حكامها ولا يرخص لتبعة اسبرطة بالتجول فى الجهات الاجنبية من غير رخصة من الحكام أيضا

وأخير الما قبل أهل اسبرطة قوانين وشرائع ليكورغس عزم هذا المشرع على أن يجعل نفسه أضحية أو قربانا من أجل بلاده ورفاهيتها ولما استمسك من أهل اسبرطة والملكين بقسم أكيد وثيق على أن لا يبدلوا شيأ من قوانينه حتى يرجع اليهم وكذا توطد استتباب الراحة والسكون الى الابد فى اسبرطة توجه ليكورغس ابتداء الى دلفى فأوحى اليه صنم دلفى بواسطة الكاهن أنه حافظ أهل اسبرطة فى جميع أفعالهم وأعمالهم ووعده بالفوز والنجاح لاهلها ما داموا متمسكين بشرائعه وقوانينه ثم سافر الى جهات غير معلومة ومن بعدها لم يظهر له خبر ولا جلية أثر واستمر الاسبرطيون متمسكين بقسمهم

صادقين فى اجرا آتهم على قوانين وشرائع ليكورغس وظهرت نتائج هذه القوانين مع السرعة وصار الاسبرطيون على حالة حسنة من التهذيب والتعليم والتدريب فى فنون العسكرية فى وقت ما كانت فيه الممالك الجريسية ليس لهم خبرة ولا دراية بمعرفة النظامات العسكرية ولا التهذيبات المدنية ولا فى أى فرع من معارف القوانين والشرائع التى عليها مدار الاحكام وشوكة المملكة ومن ثم صار الاسبرطيون لا يغلبون فى الحروب والوقائع وتغلبت اسبرطة مع العجلة على الممالك المجاورة لها وجعلت لنفسها السيادة العظمى على بلوبونيزه وفى آخر القرن تغلبت على مدينة امبقلى وصار الاسبرطيون أسياد كافة وادى عوروطاس وخضع الاخانيون أو هربوا الى ايطاليا

واشتهر القرن التاسع قبل التاريخ المسيحى فى التاريخ الجريسى بانه عصر عميرا الشاعر وذكر فى مدة ظهوره تواريخ مختلفة الا أنه من المحتمل أن تاريخ ظهوره كان فى سنة ٨٥٠ قبل الميلاد ولا أقل من سبع مدائن كل منها زعم أنها مسقط رأسه ومحل مولده وأما متأخرو المؤرخين فانهم يعتبرون أنه من أهل أزميرمن أعمال آسيا الصغرى ومن ثم كان من جريقى آسيا وكانت أشعاره وقصائده الشعرية من أجود الاشعار الوطنية الجريسية فكانوا يغنون ويترغون بها فى المواسم والاعياد والمحافل العمومية والائتلافات المدنية فى كل مملكة من الممالك الجريسية ويقرؤنها عند الدفايات أى كوانين النار المجموع حولها العائلة الواحدة لاجل الدفاء والغناء وبواسطتها وصل الجنس الهلينقى الى أعلى درجات الاتحاد وصارت أشعار عميرا احدى العقد القوية فى الجامعة العمومية للاعضاء المختلفة للجنس الهلينقى

وأما ارغوس فانها استمرت المملكة الاصلية لبلوبونيزه مدة القرن الثامن قبل التاريخ المسيحى وفى نحو ٧٨٠ قبل الميلاد جلس فيدون أعظم ملوكها على التخت وكانت الحكومة الملوكية ضعفت شوكتها بالكلية فى السلطنات السابقة وآلت الحكومة فى الحقيقة الى حكومة جمهورية لا ملوكية وكان الملك صورة وكان فيدون رجلا شهما مقداما فى جميع أفعاله ذا بسالة فى أعماله واجرا آته وأعاد فى مدة سلطنته شوكة السلطنة ونفوذها وصارت ارغوس أقوى مما كانت عليه قبل فى بلوبونيزه وفى مدة سلطنته استوطن الارجيفيون جزائر كريد ورودس وكوس وكنيدوس وهليكارناسوس ومات فى نحو سنة ٧٤٤ قبل الميلاد وأخذت ارغوس فى ضعف شوكتها حالا واضمحلت حالة الحكومة حتى وصلت الى الحالة التى كان فيدون وجدها عليها وصار تاريخ مملكة ارغوس لا معنى له فى ذاته ولا فى صفاته

واستمرت اسبرطة مجرية حكومتها على حسب قوانين ليكورغس وشرائعه وكانت سلطة هذه القوانين جارية باحسن مما كانت عليه فى القرن السالف ومن ثم صارت اسبرطة مملكة كثيرة العمران وانتظمت ادارتها وهيئة أحكامها ومدت سلطنتها على كل لاقونيا ولما استحوذت على كامل النظامات العسكرية من بين الممالك الجريسية شرعت فى الحروب مع ما جاورها من الممالك فتغلبت على كامل وادى عوروطاس وأعقبه الحروب مع اركاديا وأرغوس وفى هذه الحروب اكتسبت اسبرطة بعض الفوائد والمنافع لنفسها وفقدت أرغوس جميع أراضيها التى كانت موجودة فى جنوب تينوريا ولما تقوت بهذه النصرة شرعت فى اجراء تعديات كثيرة على مملكة مسينة الملاصقة لها واحتجت تارة بأن مقصدها توسيع أراضيها وتارة بالظلم والجور الحاصل من فاتحى الدوريانيين فى مسينة على رعاياها الاخانيين وأعقب هذه المنازعات والتعديات الشروع فى الحرب المعروف باسم الحرب المسينى وكان

ذلك

ذلك فى سنة ٧٤٣ قبل الميلاد وما كان لاسبرطة فى هذا الحرب الا حليف واحد وهو قورنثة وانضم الى مسينة ارغوس واركاديا وصكيون واستمر الحرب بينهم تسع عشرة سنة وكان سبب امتداده طول المدافعة التى كانت جارية من مدينة أثومى فى شأن حماية نفسها وفى أثناء سير الحرب ضعفت شهامة أهل مسينة على التدريج وفى السنة العشرين من هذا الحرب أرغمتهم اسبرطة على اخلاء مدينة أثومى وكملت الغلبة على المملكة وهرب كثير من السكان الى أرغوليس واركاديا والذين بقوا آلت حالتهم الى أن صاروا جميعا تحت يد الاسبرطيين وهدمت أثومى وتساوت مبانيها بالارض وحكمت اسبرطة ممالكها التى تغلبت عليها بنفوذ شديد وحكم ثابت عنيد واستمر المسينيون تسعا وثلاثين سنة فى ضيق شديد وظلم عنيف مديد

واشتهر القرن الثامن قبل الميلاد فى التاريخ الجريسى بانه تاريخ الاولمبياد أو احياء الالعاب الاولمبيادية وكان مبادى وجودها وسن قوانين اجرا آتها فى الجريس فى عهد عصر الشجاعة وكانت تشهر هذه الالعاب فى الاراضى المقدسة فى عليس من أعمال أولمبيا على شواطئ نهر الفوس تعظيما ليوف الاولمبى وهرقوليس وكانت تركت قبل فى زوايا الاهمال فى أثناء التغيير والتبديل والغلبة التى كانت حصلت عقب عصر الشجاعة الى أن صار احياؤها فى سنة ٧٧٦ قبل الميلاد والذى أحياها أفيطوس ملك عليس وهذه هى الرواية وان كان بعض المؤرخين جعل تاريخ أفيطوس متقدما عن هذا التاريخ بقرن واحد ومن بعد مضى مدة قليلة ابتدأ الجريسيون فى حساب مدد وقائعهم وحوادثهم وانقلاباتهم من ابتداء هذه الالعاب فاعتبروا أن الالعاب التى حصلت فى سنة ٧٧٦ قبل الميلاد هى الالعاب الاولمبيادية الاولى واستمر اشتهار هذه الالعاب جاريا الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد وكانت تشهر فى آخر كل أربع سنوات والمسافة المحصورة بين كل شهرتين سموها أولمبياد ومازالت جارية حتى أبطلها الامبراطور طيودوسيوس وعهد عمل هذه المواسم الى العليانيين فانتخب هؤلاء جماعة من أنفسهم ليكونوا رؤساء على مثل هذه الملاهى كقضاة وحكام وأطلقوا عليهم اسم هيلانودينين وحدد والكل موسم فى الابتداء يوما واحدا فقط ثم امتدت هذه الالعاب بعد وكثر عددها حتى وصلت أيامها خمسة أيام وكان أصل هذه الالعاب مقصورا على السباق بالجرى بالارجل على مسافة فرسخ واحد وأربعين قصبة يعنى استارية الا أنه أضيف عليها ألعاب أخرى مختلفة تختص بالقوة والشجاعة والبسالة والاقدام مثل الضرب بالكم واللى والاعوجاج والعصر والضرب واللكم مع الالتواء والقفز والنط والجرى وضرب دبابيس من الحديد ورميها ورمى النشاب والمصارعة والمطاردة وكان يدخل فى هذه الالعاب أيضا سباق الخيل والعربات الا أنه ما كان مرخصا لاحد أن يلبس درعا أو شيأ من ملابس الحروب باى حالة كانت وفى مدة الشهر التى كانت تشهر فيه هذه الالعاب تنقطع أعمال الحروب واجرا آتها من جميع الجهات والممالك الجريسية ماعدا حالة ما اذا كان الحرب جاريا مع أمة أجنبية محاربة لمملكة ما من الممالك الجريسية وما كان يرخص للعساكر والجيوش بالدخول فى حدود عليس لان دخولهم كانوا يعدونه انتهاك حرمة ونجاسة وكانت المكافئات التى تعطى للمنصورين أو الذين اكتسبوا الالعاب أكاليل من الزيتون الجبلى وكان هذا من أجود الامتيازات الباهرة فى الجريس وكانوا يعتبرون الغالب و ينظرون اليه بانه أشجع انسان فى الجيش الهلنيقى فى هذه الالعاب الاولمبيادية ويقيمون له تمثاله فى الايكة المقدسة المخصوصة الى يوف فى نواحى أولمبيا وعند عوده الى بلده يقابل باعظم درجات الاحترام

والشرف ويدخل مدينته فى موكب جليل من شرم يعلن لدخوله فى سور المدينة بالقول على أن حفظ شرف المدينة منوط باولادها وليس باسوارها المصنوعة من الاحجار وتمدحه الشعراء فى قصائدهم وأشعارهم وله حق الجلوس فى الصدر فى كافة الجمعيات العمومية ويعافى فى العادة من دفع الضرائب والعوائد وأما فى أثينة فكانوا يكافؤن مكتسب الاكليل الاولمبى بجائزة مقدارها ٥٠٠ درهم وله الحق فى أن يكون له محل على مائدة النواب فى ميدان المدينة وأما فى اسبرطه فكان له الحق فى أن يحارب وهو بجانب الملك فى الوقائع الحربية وكانت الالعاب الاولمبادية مفروضة على كل شخص جريقى من دون امتياز فى الدرجة والغنية وكانوا يطردون الذين ليسوا من الجنس الجريسى من ميدان الالعاب مع الشدة والعنف وكانوا يأتون اليها أفواجا مزدحمين من كل فج عميق من كافة الممالك الجريسية لانه خلاف هذه الالعاب التى كانت مسنونة لمنافع معلومة أولنوادر غريبة كان التاجر يجد فرصة لمبيع تجارته وينشد الشعراء قصائدهم وأشعارهم فى هذه الميادين وتشرح الفلاسفة ما عندهم من العلوم والمعارف الفلسفية لكافة أهل الجريس وكان الاولمبياد الاول من سنة ٧٧٦ الى سنة ٧٧٢ قبل الميلاد ومن ابتداء هذا الوقت أرخ الجريس مدة حوادثهم التاريخية الى حد المدة الاخيرة من سلطنتهم واضمحلال دولتهم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من ابتداء الاولمبياد الاول الى الحرب الفارسى ﴾

الحرب المسينى الثانى ـ استنتاجات اريسطومينس ـ خراب المملكة المسينية ودمارها ـ وصف الحكومة الاثينية ـ صيرورة شوكة المملكة فى أيدى الاشراف ـ قانون دراكو ـ مساعى صولون فى القبض على الحكومة ـ انتهاك حرمة قداسة ميغاقليس ـ طرد القمبونيدى ـ تغلب اسبرطة على طجيا ـ وجود سيادتها فى بلوبونيزه ـ طابها حق التداخل فى أعمال الممالك الجريقية ـ الطاعون فى أثينة ـ تطهير ابيمينيدس ـ القلاقل والارتباكات السياسية فى أثينة ـ شرائع سولون وقوانينه ـ السبعة الحكماء فى الجريس ـ عدم قبول البعض من اصلاحات سولون الا أنها قبلت جميعها فى أثينة ـ وضعها تحت المداولة والمباحثة ـ منازعات الاحزاب الاثينية ـ موت سولون ـ صيرورة بزيسطراطوس الآمر الناهى ـ طرده من أثينة ـ عوده اليها ثانيا ـ المضاربة مع ميغاقليس ـ طرده مرة ثانية وعوده الى تخته ـ فضله وكرمه ـ صدور أمره بجمع أشعار عمير وقصائده ـ موته ـ الاثنان الطاغيان ـ سلطنة هيباس ـ طرده من أثينة ـ عود القمبونيدى ـ وجود كليسطنس فى السلطنة ـ تغييراته فى القانون الاثينى ـ كراهة الاشراف له ـ طرده وسرعة عوده ـ المنازعات بين أثينة واسبرطه ـ التغلب على عوبيا ـ مساعدة أثينة للجريق اليونانيين فى قيامهم وعصيانهم على فارس

قضى المسينيون التسع والثلاثين سنة التى جاءت عقب ختام الحرب المسينى الاول فى رق عنيف وظلم زاعق حريف وفى ختام هذه المدة قاموا فى ثورة على الاسبرطيين تحت قيادة واحد منهم اسمه اريسطومينس من اندانيا ومن ثم كان ابتداء الحرب المسينى الثانى فى سنة ٦٨٥ قبل الميلاد وجاء

الارجيفيون والاركاديون والاصيكيون والبيزاطونيون لاجل مساعدة المسينيين وما كان مع اسبرطة الاقورنثه حليفتها كما كانت معها فى الحرب الاول فكانت الواقعة الاولى التى وقعت قبل وصول المخالفين غير فاصلة الا أن ما استنتجه اريسطومينس من الاعمال أضعف قوة الاسبرطيين ووهنوا حتى استغاثوا بكاهن لهم ليكون قائدهم فى الحرب فأمرهم أن يبحثوا على قائد لهم من أثينة والمخشى الاثينيون من عدم طاعتهم أمر الكاهن تداركوا انجاز أمره وأرسلوا للاسبرطيين واحدا أعرج من معلمى المكاتب اسمه طيرطيوس لاجل قيادتهم فهيج باشعاره وترنماته احياء الشهامة العاجزة للاسبرطيين وقواهم على الاجتهاد مرة أخرى فى انتشاب حرب وفى واقعة وقعت دخل فيها المخالفون فى جهة كل من المحاربين بالقرب من قبر بوعار فى سهل صطنقليروس انهزم الاسبرطيون شر هزيمة وخسروا خسارات جسيمة واجبروا على الانسحاب الى بلادهم وحصل فى السنة الثالثة من الحرب وقعة أخرى شديدة انهزم فيها المسينيون بخيانة حصلت من اريسطوقراطيس ملك أرخومينوس من اركادى وتولد من هذه الهزيمة أن صار لا طاقة لاريسطومينس على الخروج الى ميدان الحرب مرة ثانية وسحب نفسه وتوجه الى قلعة ايرا فى الجبل ومنها استمر الحرب احدى عشرة سنة وكان الاسبرطيون معسكرين تحت ذيل الجبل فكان اريسطومينس يخرج أحيانا من معقله ويغير على لاقونيا ويخرب بلادها بالسيف والنار وكان مظفرا فى أعماله هذه وقرب ثلاث مرات الى يوف الاتومى قربانا اسمه هيكاطومفنسه وكان لا يقرب الا بمعرفة الفارس الذى ذبح بيده مائة من الاعداء ثم قبض عليه ذات يوم مع جملة من أصحابه وأرسل الى اسبرطة فرموه مع أصحابه فى جب عميق فمات جميع أصحابه بمجرد رميهم فى الجب وأما اريسطومينس فانه لما وقع فى الجب لم يحصل له ضرر ولا أذى فانتظر موته من الجوع وشدة الضنك اذ لم ير خلاصه لنفسه من ضيق ما هو فيه وفى اليوم الثالث رأى ثعلبا يتلمس بين رمم الموتى فى الجب فقبض على ذيل الثعلب وصار يروغ منه من أجل خلاص نفسه فدله الثعلب على منور مفتوح فى الجبل فخرج اريسطومينس منه ونجا بنفسه وعاد الى قلعة ايرا فاستغرب واندهش أصدقاؤه وأعداؤه من طريقة خلاصه هذه الا أنه مع ما كان فيه من الشجاعة والظفر فان الحرب آل أمر نصرته الى الاسبرطيين وهجموا على قلعة ايرا ذات ليلة من ثلم عملوه فى سورها وكان اريسطومينس فى هذا الوقت مجروحا جرحا بليغا وصار لا طاقة له على محافظة القلعة فانقطع أمل الاعداء منه بواسطة شجاعة أصحابه فأخذوه ونجوا به وبأنفسهم ومازال سائرا فى طريقه حتى التجأ فى اركاديا وصمم على الهجوم على اسبرطة فأفشى اريسطوقراطيس أمره هذا الى اسبرطة فرجمه أهل بلاده بالاحجار فى نظير افشائه هذا السر ومن أجل هذا سار اريسطومينس الى رودس وقضى أيام حياته فيها وترك كثير من المسينيين بلادهم وهربوا الى رهجيوم من أعمال ايطاليا والآخرون أخضعهم الاسبرطيون وجعلوهم عبيدا وأرقاء هلوط واختار سكان بعض المدائن موقع بيريوصى

وانتهى الحرب فى سنة ٦٦٨ قبل الميلاد ولغاية سنة ٣٦٩ قبل الميلاد اختفت مسينة من وجه التاريخ وصارت أراضيها فى أثناء هذه المدة قسما من لاقونيا وكان ذكر اريسطومينس عزيزا جدا عند أهل بلاده ونشرت خرافات الازمان الاخيرة انه فى الواقعة الكبيرة التى حصلت فى نواحى لوقطره وفيها انحطت الشوكة اللاسيدمونية شوهدت روحه منعشة لاهل بلاده وأوقع الدمار والخراب والتشتيت فى أعدائه

ثم جاء عقب الحرب المسيني حرب مع اركاديا لانها كانت حليفة مسينه ويظهر أن نتائج هذا الحرب كان تغلب اسبرطة على القسم الجنوبي من اركاديا وأما المساعي التي أجراها الاسبرطيون في التغلب على طجيا فكانت قليلة الفائدة جدا وكان موقع طجيا على غاية من الحصانة والمقاومة حتى قاومت فيه القوى الاسبرطية نحوا من ثلاثة قرون

وكان ابتداء التاريخ الحقيقي لاثينة في سنة ٦٨٣ قبل الميلاد وفي هذه السنة حصل تغيير في طريقة الارخونيين من عشر سنين الى سنة واحدة ومعنى الارخون الحاكم العمومي في كل شئ وازداد عددهم من واحد الى تسعة وعمل انتخابهم لمدة حياتهم وكان الاول منهم ملقبا بالارخن أي الوصي العمومي على حقوق أملاك الامة والارخن الثاني في هيئة ملك يحكم على الاحتفالات الدينية والثالث قائد الجيوش في الحرب والستة الباقون متشرعون يجرون الادارة العدلية وكان يوجد بالاضافة على الاراخنة مجلس اريوباغوس أو مجلس الشيوخ واسمه هذا مشتق من المحل الذي يجتمع فيه على جبل عال اتجاها كروبوليس ويقال له جبل اريس أو تل مارث وكان هذا المجلس مركبا من العوباطريديين أي الاشراف فقط وجميع الارخونيين من بعد تمام سني وظيفتهم يصيرون أعضاء في هذا المجلس وكان يطلق عليه في الاصل اسم سناتو أو مجلس ومن بعد مدة شكل سولون مجلسا آخر (سناتو) ولقب المجلس الاصلي أريوباغوس لاجل تمييزه عن المجلس الآخر

واستمرت شوكة المملكة جميعها في يد الاشراف وانت الحالة كما هي العادة في حكومة الاعيان الى استعمال التعدي والجور الفاحش على الامة واستحوذ الارخونيون على شوكة الاستبداد ومطلق التصرف حيث لا توجد قوانين مدونة تمنعهم ولا أمة تصدهم وتقنعهم وازدادوا في الاوامر والاجراآت التي يعود منها النفع عليهم بظلمهم البلاد وضررهم العباد وفي ظرف ست سنوات من تنصيب الارخونيين السنوية ازداد ضجر الاهالي وتذامروا فيما بينهم وكابدوا الآلام ونفروا كل النفور مما هو حاصل وطلبوا سن قوانين قاطعة وشرائع حاكمة تروع هؤلاء الاشراف ولا تجوزاهم الظلم والاسراف ولا يمكنهم أن يحيدوا عنها ولا يخالفوا قواعدها وأصولها ولا يقاوموها بأي حالة كانت وفي سنة ٦٢٤ قبل الميلاد صار تعيين دراقو لاجل سن قانون مدني فسن دراقو القانون وقدمه فكان في غاية من البساطة وحكم فيه بالموت على كل مجرم ومذنب وعلى كل اص وقاتل فمن هنا قالوا ان قوانين دراقو وشرائعه ما كتبت بالحبر بل كتبت بالدم وجعل حياة التبعة بأكملها في قانونه هذا تحت رحمة الاشراف فازداد نفور الامة وازداد الوحل وحلا وبل الهدو والاطمئنان وازداد النفور والهيجان وفي هذه الاثناء سعى واحد من الاشراف يسمى صيلون وانتهز الفرصة في مدة حصول هذه القلاقل وجعل نفسه طاغية أثينة في سنة ٦١٢ قبل الميلاد وكان من قبل حاز الاكليل الزيتوني في الالعاب الاولمبيقية وتزوج بابنة طغينس وكان هذا أيضا جعل نفسه طاغية ميغاره ثم تخابر صيلون في مقصده وعزمه مع كاهن دلفي فقال له اضبط أكروبولي في الموسم الاكبر ليوف فنسي صيلون أن ديا سيا كانت هي الموسم الاكبر ليوف في أثينة وفهم أن الكاهن عناه بالالعاب الاولمبيقية وبناء على فهمه ضبط أكروبوليس عند اشهار الالعاب في المرة التي جاءت بعد وكان معه جماعة كثيرة من الناس بعضهم من أحزابه وبعضهم عساكر كان جهزها له حموه ومع هذا فانه لم يجد مسعدا ولو كان معه كثير من الناس وأحاط به عساكر الحكومة في أكروبولي ولما رأى صيلون ذلك فر هاربا مع أخيه واشتد الجوع على أتباعه

وصار لا طاقة لهم على مقاومة هجوم عساكر الحكومة فالتجؤا الى معبد أثيني وهو معبد مينروه (الزهرة) ثم ان الارخن ميغاقليس أحد أعضاء العائلة القيمونيدية المشهورة وجدهم فى المعبد فخشى من أن موتهم فيه ينجس طهارة معبد المعبودة مينروه فألزمهم بالخروج منه والحضور عنده ووعدهم بسلامة حياتهم فأسرع أناس منهم اليه وتركوا المعبد وبمجرد خروجهم صفهم وقتلهم والذين هربوا منه التجؤا فى معبد عومينديس فذبحهم على أرض هذه البقعة

وتولد من وساخة هذه النصرة انتهاك الارخونيين حرمة المحلات الطاهرة فنشأ من ذلك قيام وقلاقل وارتباكات فى المملكة وصاروا يرون أن كافة العائلة القيمونيدية مدهونة بانتهاك الحرمات التى فعلها ميغاقليس وطلب أصدقاء الناس الذين قتلوا الانتقام وأخذ الثأر من هذه العائلة الملعونة وكان هؤلاء الاصدقاء على غاية من الثروة والنفوذ الزائد وصاروا متمسكين فى أمرهم ضد أعدائهم فى المدة التى كانت باقية من القرن وأخيرا صار نفيهم من أطيقه بقرار حصل الاقرار عليه من مجلس عقد لهذا الشأن مركب من ثلاثمائة عضو فى سنة ٥٩٧ بعد الميلاد

وانتهى الحرب بين اسبرطه واركاديا فى نحو سنة ٥٥٤ قبل الميلاد بواسطة خضوع طجيا الى اسبرطة وكان لا معنى لانتهاء حرب طالت مدته مثل هذا وفى نفس هذا الوقت صار اغتصاب طرباطيس من أرغوس وقام النفوذ الاسبرطى على ثلثى بلوبونيزه ولم تزل السياسة الاسبرطية مقصورة على الاعمال الداخلية اللاسيدءونيه مكدة على توسيع أراضيها وابتدأت فى كونها اتاخذ لها مجالا عريضا وفى سنة ٥٥٥ قبل الميلاد وصل الى اسبرطة رسول من طرف قروصوص ملك ليديا معترفا بان اسبرطة هى المملكة الرئيسة فى الجريس ويطلب محالفتها والاجتهاد فى مساعدته على هزيمة الفرس فقبل الاسبرطيون رسول قروصوص وما جاء به من طرف قروصوص وأعدوا حملة لمساعدته ومن قبل تسفيرهذه الحملة تغلب كيرش أو كيخسرو ملك فارس على ليديا وصار لا فائدة فى هذه الحملة وكانت هذه المحالفة مبادى سياسة اسبرطة فى الممالك البرانية وأعقب هذه الحملة حملات أخرى فيما وراء حدودها وفى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد أرسلت اسبرطة وقورنثة حملة متحدة من الاثنين الى ساحل آسيا لاجل خلع وعزل بوليقراط صاحب ساموس فكانت هذه الحملة على غير طائل ولقد أدى طمع اسبرطة بما نالته من هذه النصرة والمخاطرات أن طلبت فى سنة ٥١٠ قبل الميلاد أن يكون لها الحق فى التداخل فى أعمال الممالك الجريقية الموجودة فى ماوراء حدود بلوبونيزة أشبه بانها محافظة على حقوق العالم فتولد من مساعيها ضد أطيقة أن نظروا اليها بعين الوجل الشديد والكراهة والبغض العنيد مدة قرن ونصف تقريبا ولم يحصل من طرد القيمونيديين فى سنة ٥٩٧ قبل الميلاد سكون الارتياعات الخرافية التى تسلطنت فى أثينة من انتهاك الحرمات التى فعلها ميغاقليس وبينما كان الاهالى على وجل شديد وتردد من وقوع الخوف والمصائب اذ حصل طاعون فى المدينة ظنوه آفة سماوية أرسلت لعذابهم وعقابهم من أجل هذه الجريمة فخابروا فيها كاهن دلفى فأشار عليهم بان يدعوا النبى قريطان المشهور والحكيم ابيمانديس للحضور من أجل زيارة أثينة ويطهر وامدينتهم من النجاسات القذرة وانتهاك الحرمات وكان ابيمانديس له الدرجة العالية فى معرفة التأثيرات الطبيعية للصحة فزار أثينة وأقام بعض شعائر وقربانا واعتقد أهل أثينة من أعماله أنه سكن عنهم غضب الآلهة وانقطع الوباء وزال فقدم الاثينيون شكرا على خلاصهم من هذه الآفة وزنة من الذهب فلم يقبلها

ابيمانيدس منهم وما قبل منهم الا أن يعطوه فرعا من شجرة مقدسة من الزيتون مغروسة فى اكروبولى
وكان تاريخ هذا التطهير فى سنة ٥٩٦ قبل الميلاد
ثم ان الارخونيين استشعروا باخطار حقيقية مهددة للملكة فاستيقظوا لها وهى أن قربان أبيمانيدس وطهارته المدينة لم تفد فائدة فى ازالة الآفة أو الوباء من المدينة ولم يحصل منها تأثير على النفور الحاصل من الاهالى وتولد من هذا النفور أن انقسم أهل أثينة الى ثلاثة أحزاب هى أهل السواد ويتركب من أغنياء الاشراف وأهل الساحل وهم التجار وأهل الجبال ويدخل فيهم فقراء فلاحى أطيقه وازدادت هذه الشحناء الحاصلة بين الاهالى على القيام على بعضهم بكونه يوجد كثير من الحزب الثالث التزموا الضرورة احتياجاتهم أن يقترضوا نقودا من الاشراف باسعار مفرطة فى الارباح ولما صار لا طاقة لهم على سدادها الارباح صاروا أرقاء لهم ولما رأى الارخونيون هذه الحالة المفزعة طلبوا من سولون أزكى أعضائهم سن قانون شرائع لاثينة بدل قانون دراقو
وكان سولون أحد الاشراف الكبار فى المدينة الا أن سعادته كانت وهنت جدا فى مبادى حياته فاجبر على أن يشتغل بالتجارة لبرم ما فقد من سعادته فجال فى مشروعاته التجارية وزار على التوالى الاقاليم المشهورة من الدنيا الجديدة ومارس شرائعها وعوائدها وجالس أهلها ومن ثم صار أعدل شخص فى العقل والذكاء فى أثينة للشغل الذى عهد اليه وكان ينسب نفسه الى ذرية الفارس كودروس وكان ابن عم بيزسطراطوس الذى سيأتى الكلام عليه وكان له شهرة بالعلم والحكم الطبيعية حتى عد من ضمن السبعة رجال الحكماء فى الجريس وأما الستة الآخرون فكانوا برياندر صاحب قورنثه وقوليوبولص صاحب لندوس وبياس من برين وبطاقوس من ميتيلينة وطاليس صاحب ملطيس وشيلو من اسبرطة وفى نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد كان سولون حرض الاثينيين وحثهم على السعى والاجتهاد فى استرداد جزيرة سلميس وكان تغلب عليها المغريانيون وقادهم بنفسه الى المحاربة واسترد المدينة لجهة أثينة وفى سنة ٥٩٤ قبل الميلاد صار انتخابه أرخن وعهد اليه سن قوانين وشرائع جديدة مع الحرية وسلطة الشوكة المطلقة ورضى جميع الاحزاب باحالة سن هذه القوانين اليه
وكان المقصد الاصلى من قوانين سولون الغاء الحكومة الطاغية الظالمة المستبدة المشكلة من الاعيان واستبدالها بحكومة متوسطة يكون فيها لجميع أرباب الطوائف التبعة صوت ولو كان نفوذ الحكم باقيا فى يد الاشراف فلاجل اتمام مرغوب هذا قسم الامة الى أربعة طوائف على حسب مدخولهم السنوى فأما الطائفة الاولى فهى البانطاقوصيو ميدمنى وهم المستحوذون على مدخول ٥٠٠ اردب سنويا أى ميدمنى من الغلال وأما الطائفة الثانية فهم الهيبس أو القرسان وهم الذين مدخولهم سنويا ٣٠٠ ميدمنى من الغلال والثالثة الظوغيطى الذين مدخولهم ينوف عن ١٥٠ ميدمنى فى السنة من الغلال والرابعة الطيطس الذين مدخولهم لا يقل عن ١٥٠ ميدمنى وكان للطائفة الاخيرة حق الصوت فى الانتخاب الا أنه لا يوجد فى أحد منهم صلاحية لتوظيفه فى أى وظيفة من المصالح وكانت أعلى وظيفة هى وظيفة الارخينية ومقصورة فى أول طبقة من الامة أو الاكثر غنية فيهم ورتب سولون مجلس سناتو جديدا مركبا من ٤٠٠ عضو منهم ١٠٠ عضو من الاربع القبائل أو العشائر القديمة فى أثينة وكان انتخاب أعضاء هذا المجلس سنويا بواسطة أصوات الامة والواجبات الخاصة بهذا المجلس تحضير المواد النظامية واللوائح القانونية

وارسال

وارسال نتائجها الى مجلس العموم وكان هذا المجلس أى مجلس العموم مركبا من جميع أصناف طوائف التبعة وفيه الارخونات وأرباب مجلس السناتو أو الاعيان ويوقع الحكم على الارخونية عند فراغ سنة توظيفهم ويقرر أو يرفض جميع اللوائح وأوراق القوانين التى تقدم اليه من مجلس الاعيان أو السناتو ورتب محاكم شرعية محلية لاجل سماع القضايا الواجب استئنافها الواردة من محاكم أخرى وهذه الحالة هى التى أدخلت فى أثينة البحث فى القضايا بواسطة وكلاء دعاوى وأما مجلس اريوباغوس فكان باقيا على ما كان عليه الا أنه كان منوطا بالمراقبة العمومية على سير القوانين والعمل بمقتضاها وله السلطة القوية فى الجبر على السير بواسطتها ومنع المخالفة لها أو المعاقبة على من يخالفها ولما رتب سولون المملكة بهذه المثابة شرع فى معالجة الامراض الحاصلة عند الاهالى المتولدة من حالة الفقر العام ومداواة المصائب المتسلطنة فى أثينة بما أنه فى حكومة الاعيان زادت ثروة الغنى وانحطت حالة الفقير زيادة عن أصلها فأبطل سولون جميع صكوك الاوراق أو المعاقدات المكفول فيها الارض أو نفس المديون للدائن ومنع الاستقراضات فى المستقبل التى يدخل فيها نفس الشخص رهنا على دينه للدائن ومن ثم أعتق جميع المديونين من الرق وخلص الاراضى من المستحوذين عليها بأوراق دين وأزال الاثقال والاحمال التى كان الاهالى متضجرين منها وأبطل بالكلية وجود العادة القبيحة وهى حالة الرق من أجل الدين وبواسطة هذه الاصلاحات خلصت طوائف الفقراء مما كانوا فيه من المشاكل والمصاعب الا أنه لم يزل موجودا أشخاص تركوا وليس لهم طاقة على سداد ما عليهم من الديون فلمساعدة هؤلاء نزل قيمة سعر النقود الجارى المعاملة بها بحيث ان كل مديون أزال عنه قيمة ربع ما عليه من الديون وبالطبع تولد من هذه الاصلاحات خسائر جمة للاغنياء وخسر سولون نفسه خمس وزنات وقال هذا المشرع مع الذكاء والعقل ان وقوع الخسارة على الطائفة يلزم أن تكون قادرة على تحملها وقرر أيضا لاجل منع حالة الفقر أن كل والد أو أب يلزمه أن يعلم ابنه صنعة نافعة له ولو فى البيع والشراء يحفظ بها حياته وان لم يفعل صار الولد خالصا من جبره على مساعدة أبيه وفى وقت شيخوخته وكبر سنه

ورتب سولون أيضا مكافآت وعقابات على أمل انه يحرك العفة والشرف فى التبعة ومنعهم من فعل الجرائم والخبائث فأبطل القانون الدموى الذى كان سنه دراقو وكان من ضمن المكافآت التى قررها لاصدقاء التبعة أن تمنحهم تيجانا فى جمعيات العموم من طرف مجلس السناتو أو الامة فى دعوات عامة فى ميدان المدينة ومحلات الشرف فى محلات الملاعب والاحتفالات العمومية وتماثيل فى أغوره أو فى شوارع المدينة وقوى الاغراب على الاقامة فى أثينة الا أنهم يجبرون على أن يشتغلوا ببعض صنائع أو حرف نافعة وان مجلس اريوباغوس له الحق فى أن يعاقب المهمل والكسلان والعاكف على الموبقات والخلاعات بأشد العقاب وأما السارق فعقابه أن يلزم برد ضعف قيمة ما سرقه من الاشياء وحرم كلام الغيبة فى الناس أحياء وأمواتا وكان سولون من أعظم رجال السياسة الا أن قوانينه ونظاماته ولدت له العداوة عند طائفة الاشراف وتضجر الطوائف من كونه لم يمنحهم ما يكفيهم فقال لهم وأوجز فى قوله وزاد فى شهامته ان قوانينه ليست جيدة الانشاء ولكن الاحسن قبولها عند الامة وتولد من المقام العالى الذى احترمه كافة الاحزاب عدم حصول شغب وهياج برهة ما وأخيرا حصل له الضنك وسوء الحال من تشكيات وأسئلة فوثق من الاثينيين بقسم أكيد على أنهم يحترمون قوانينه لمدة عشر سنوات وسافر الى البلاد الاجنبية فى سنة ٥٧٠ قبل الميلاد

ولما عاد الى أثينة فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد رأى حالة المملكة تمزقت بواسطة ما تشتهى الاحزاب من أغراضهم وعاد أهل السواد تحت قيادة ليكورغس وأهل الساحل تحت قيادة ميغاقليس وأهل الجبل تحت قيادة بيزيسطراطوس ابن عم سولون الى عداوتهم القديمة وكان أحسن الثلاثة القواد بيزيسطراطوس لما كان فيه من جمال الصورة والفروسية والسخاوة والبلاغة ومع هذا فانه كان منشارا نظيفا مثل سولون وكان لا نظير له فى الطمع وجمع الاموال وصمم فى نفسه على أن يكون أستاذ أثينة ونجح فى هذه المادة لانه لما ظفر الجبليون على الحزبين الآخرين جعل هذه النصرة وسيلة فى أن جعل نفسه صاحب الامر والنهى المطلق أو كما سماه الجريق طاغية وقبض على زمام الشوكة العالية فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد ومن بعد هذه الحادثة بقليل مات سولون بعد أن جاهد وقاوم الفعل الذى صدر من قريبه وعلى حسب وصيته أحرقوه وذروا رماده حول جزيرة سلميس التى كان ردها الاثينة

ثم ان بيزيسطراطوس استمر فى ظرف الست سنوات الاول من بعد جلوسه على مراعاة شرائع سولون مع الصداقة والوفاء وفى سنة ٥٥٤ قبل الميلاد صار طرده من المدينة باتحاد الحزبين السوادى والسواحلى ومن بعد مضى بضع سنين تنازع الحزبان فطلب ميغافليس رئيس حزب الساحل بيزيسطراطوس ثانيا الى سلطنته ومحل شوكته على شرط أن بيزيسطراطوس يتزوج بابنة ميغاقليس فقبل بيزيسطراطوس هذا الشرط واستحوذ على تخته ثانيا فى سنة ٥٤٨ قبل الميلاد ثم تزوج ابنة ميغاقليس حسبما كان عليه من الاتفاق الا أنه لما كان لبيزيسطراطوس أولاد من زوجته الاولى وكان لا رغبة له فى امتزاج دمه بدم عائلة مرعية أنها ملعونة بسبب ما حصل من صيلون من انتهاك حرمة الاشياء المقدسة فما عاملها بأنها زوجة له ولما استشعر ميغاقليس لهذا الفعل جدد محالفته مع ليكورغس قائد حزب السواد وطرد بيزيسطراطوس ثانيا من أثينة سنة ٥٤٧ قبل الميلاد فقضى عشر سنوات منفيا من أثينة واشتغل فى هذه المدة بتجنيد عساكر وجمع نقود من الجهات المختلفة من الجريس وفى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد نزل فى مراثون بجيش جرار ولما انضم اليه أصدقاؤه زحف على أثينة وهزم أعداءه وجعل نفسه سيد المدينة مرة أخرى فتسلطن عشر سنوات أيضا سير فيها الادارة على حسب قوانين سولون مع العدل والانصاف ونسى الاهالى ضياع حريتهم بسبب معاملته اياهم بأحسن المعاملات وفتح دار كتبه وبساتينه الظريفة الموجودة على نهر الهيصوص ومنح الامة الدخول فيها وأمر بجمع أشعار عمير وقصائده وكانت موجودة لحد الآن مدشتة فى أوراق وان توضع فى قالب منظوم حتى يمكن للمغنين والمنشدين أن يغنوا بها وينشدوها فى العيد الاكبر والموسم الجامع وهذا العيد اثنا عشر يوما احتفالية لموسم أثينى مستحفظ أثينة وكانت سلطنته مطابقة بالتمام لقوانين وآراء سولون فكان أحسن الطغاة الذين حكموا فى الجريس الا أن طمعه كان عيبه الاكبر ومات فى سنة ٥٢٧ قبل الميلاد

ومن بعد موت بيزيسطراطوس خلفه ولداه هيپاس وهيپارخوس وكانا يعرفان بالطاغيتين فتسلطنا مدة أربع عشرة سنة فى أمن وطمأنينة سائرين فى أحكامهما على ما كان أبوهما جاريا عليه فى حكمه ولما نقصا ضرائب الارض من العشر الى واحد من اثنى عشر أخذت أثينة فى التقدم والفلاح بسرعة حتى ان أهاليها كانوا يعتبرون مدة سلطنتهما من أسعد المدد فى التاريخ الاثينى

وفى سلطنة ٥١٤ قبل الميلاد حصل تغيير فى هيئة السلطنة وذلك أن واحدا من أهل أثينة اسمه هرمودیوس وقعت بينه وبين هيباس الطاغية كراهة شديدة فشدد هيباس تشديدا زائدا على أخته فى العموم وقذفها بالسب فتساعد هرموديوس بصديق له عنده اسمه اريسطوغيطون ورتب ثورة لاجل قتل الطاغيتين فتولد من هذه الثورة قتل هيبارخوس وأما هيباس فانه نجا وسلم بتدبير عقله الحاضر الآن أحواله تغيرت من ابتداء هذا الوقت ونفرت طباعه من الناس وظن فى كل واحد أنه عدو له وقتل كثيرا من التبعة وأهل المدينة وضرب عوائد وضرائب باهظة على الرعية فنفرت طبيعة الاهالى منه وبغضوه وأحس هو فى نفسه بأن زلله وسقوطه لم يكن الاشيأ وقتيا فلاجل استعداده لمحل أمين يلتجئ اليه وقت نزول هذا الكرب شرع فى غرس ارتباطات الود والحب مع الفرس

ثم ان القميونيدى وكان على قيد الحياة فى النفى من عهد العود الثالث أى الاخير لبيزيسطراطوس أغار على أطيقة مؤملا فى ذلك طرد الطاغية الا أن هيباس هزمه وكسر جيشه ثم ان كليسينس رئيس العائلة استحصل على وصاية من كاهن دلفى يدعو بها الاسبرطيون للمساعدة فى خلاص أثينة من الطاغية وكان كليسينس هذا رشى الدلفيانيين بهدية نفيسة وهى انه بنى لهم معبدا مفتخرا فى مكان المعبد القديم الذى كان جميعه أحرق من نار شبت فيه ودمرته فكانت نتيجة هذه الوصية أن أغار الاسبرطيون على أطيقة الا أنها كانت على غير طائل ثم غزاها مرة ثانية وتغلب على أثينة ونفى هيباس مع جميع أقاربه مدة حياتهم سنة ٥١٠ قبل الميلاد

ولما صار كليسينس رئيس المملكة اتحد مع الحزب الاهلى وقسم الامة الى عشرة عشائر وقسم المملكة كورا وجعل فى كل كورة عاملا له ومجلسا من أهلها واستصوب جميع السكان الحرة الموجودين فى أطيقة الامتيازات المدنية التى أعطيت للتبعة وأولاد البلد وزاد مجلس السناتو الى ٥٠٠ عضو يعنى من كل عشيرة خمسون عضوا ولاجل الاحتراز والمحافظة من قوة عاصبة ربما يحصل وقوعها من آحاد الناس سن كليسينس قانون النفى وأمر أنه لا يمكن نفى مدنى أو واحد من التبعة الامن بعد محاكمته أو يدافع عن نفسه فان قرر مجلس السناتو بضرورة نفيه يكتب كل مدنى وكل واحد من التبعة اسم اللازم نفيه على شقفة أو محارة فان وجد هذا مكتوبا من ستة آلاف نفس ألزم الشخص بترك أثينة مدة عشرة أيام وكانت مدة النفى مقررة لحد عشر سنوات فآلت حسب هذه الاحوال الى خمس سنوات فقط

وتولد من اجراآت وأحكام كليسينس بغض الاشراف له وكراهتهم له وطلب رئيس الاشراف المسمى ايساغورس تداخل الاسبرطيين فى أشغال أثينة وأن يطردوا القميونيدى الذين أجلوه ونفى ايصاغورس سبعمائة عائلة من أثينة بمساعدة كليومنس ملك اسبرطة لاجل ابطال مجلس السناتو وشرع فى تغييرات تولد منها الثوران والهياج فقامت الامة بالسلاح وحصروا ايصاغورس والاسبرطيين فى القلعة فقبل ايصاغورس أن يسلم نفسه اليهم على شرط ان يترك البلاد فخرج منها مع الاسبرطيين خائفا يترقب وطلبوا كليسينس مرة ثانية وأعادوا قوانينه واجراآته فى أثينة

وفى غضون ذلك جمع كليومنس ملك اسبرطة جيشا كثيفا فى بلوبونيزه وعقد محالفة مع طيبة وأهل كالسيدونية سكان عوبيا عازما على اخضاع أثينة وارغامها الى الانقياد لطاعة ايصاغورس والاعتراف بأنه طاغيتها فارتاع الاثينيون من كثرة قوى أعدائهم وطلبوا المساعدة من فارس فاتفق الفرس على

مساعدتهم بشرط أن يكونوا خراجيين لهم فلم تقبل أثينة هذا الشرط مع شدة الغضب والحنق واستعدت لملاقاة الخطب الذى سيقع عليها بمفردها وفى أثناء ذلك دخل الجيش المتحد أطيقة وفى هذا الوقت كان كليومنس يخفى من محالفيه البلوبونيزيين المقصد الاصلى لهذه الحملة ولما استيقظوا منه رفضوا اشتراكهم وتداخلهم فى هزيمة الاثنيين وهشم حريتهم فانجبر بهذا ملك اسبرطة على أن يترك ما كان فى عزمه ونيته وعاد الى بلاده

ولما خلص الاثينيون من هذا الكرب العظيم زحفوا على أهل طيبة وبلادها وهزموهم وعبروا الى عوبيا وأوقعوا بالكالسيدونيين وأذاقوهم أشد العقاب واستحوذوا على جميع أملاك الجزيرة ووزعوا الاملاك العظيمة التى كانت للكالسيدونيين على ٤٠٠٠ نفس من تبعتهم سكنوا عوبيا تحت اسم أصحاب البخت أو النصيب

ثم ان اسبرطة اجتهدت وكدت فى ايقاد نار حرب آخر ضد أثينة وكانت هذه الحملة فى هذه الدفعة من أجل الزام أثينة فى قبولها هيپياس طاغية لها وعوده الى تخته كما كان فلم تقبل ممالك بلوپونيزه الاشتراك والسعى فى الدخول فى هذا المقصد فالتزمت اسبرطة على اطفاء نار مرغوبها وصار هيپياس مقطوع اليأس من مشروع الاسبرطيين وطاعنا فى السن ولما خابت اماله فى اسبرطة وآمال اسبرطة فى أثينة سار هيپياس الى الديوان الفارسى وأشغل نفسه بتحريض دارا وحثه على اعادته الى تخته مرة أخرى

ثم ان أثينة دخلت فى مشروع أعمال كبيرة وتعالت بظفراتها وعظيم شوكتها فى بلادها وخاطرت بنفسها فى مساعدة يونان الجريق على العصيان على مملكة فارس ومع هذا فما كانت مساعدتها لهم قلبية بل انسحبت من هذا التحالف بمجرد ما رأت أول مصيبة حصلت لهم وأما فى بلادها فكانت ادارتها وحكومتها على غاية من النجاح والفلاح ونشرت قوانين كليسنس على التبعة وأولاد البلد وجعلت لهم المنافع الشخصية والاعمال العمومية الوطنية حتى صاروا ثابتى النظام فى الحروب الشديدة التى أنشبتها عليهم فارس وكابدوا محنها ومشاقها فى القرن التالى

الباب الرابع

﴿الحروب الفارسية﴾

جعل الجريس عرضة لغضب فارس ـ حصول السعى والكد فى اتحاد الممالك الجريقية بشأن مدافعتهم العمومية ـ حملة مردونيوس ـ هزيمته وخيبة حملته ـ طلب دارا خضوع الممالك الجريقية ـ غارة داطيس على الجريس ـ تغلب الفرس على ارطريا ـ نزول الفرس فى مرثون ـ صيرورة ملشيادس قائد الجريق ـ واقعة مرثون ـ جلالة النصرة وسموها ـ اجتهاد داطيس فى الهجوم بغتة على أثينة ـ خيبة اماله ـ اقلاعه الى اسيا ـ نتائج أعمال ملشيادس ـ نفى اريسطيديس ـ شوكة تمستقل فى أثينة ـ الحرب مع اجينه ـ تبصر تمستقل فى العواقب ـ تحريضه الاثينيين على استعداد اسطول ـ وصف تمستقل ـ غارة أردشير على الجريق ـ واقعة ترموبيلى ـ دمار أثينة بواسطة أهاليها ـ احتلال الفرس فيها ـ حرقهم المدينة ـ واقعة سلميس ـ ظفر الجريق ونصرتهم ـ ترك أردشير السعى فى الغلبة على الجريس ـ عوده الى آسيا ـ تجديد مردونيوس

السعى فى الغلبة على الجريس ـ واقعة بلاطية ـ ابادة الجيش الفارسى ـ النصرة البحرية فى نواحى ميخالى ـ مظفرات أخرى للجريق

ثم تولد من مداخلة جريق أوروبا فى العصيان اليونانى فى آسيا غضب دارا ملك فارس عليهم وجعل هذه حجة قطعية على قواد الجريق بأن أرضهم هى المشروع الثانى من مشروعات الملك الاعظم والبطش بهم والانتقام منهم وقد علم الجريق صراحة بأن الفرس لا يكتفون بالغلبة على مملكتى أثينة وارطريا المبغوضتين عندهم بل وربما يبحثون على الطرق اللازمة فى جلب الجريس جميعها تحت سلطنتهم فمن ثم كان الخطب والكرب عاما على جميع الهلاس ومن هنا حصل السعى والكد فى جلب كافة الممالك الجريقية فى جامعة واحدة لاجل اجراء المدافعة العمومية عن بلادهم وأموالهم وأولادهم وكانت اسبرطة أقوى مملكة وأشد شوكة فى القوى العسكرية فجعلت لها القيادة العمومية ومع هذا فان هذا الاتحاد لم يتم أمره الى أن اشتعلت نيران الحرب وسنرى من سياق هذه الحكاية أن الميل الى الجامعة العمومية تحت قيادة مملكة واحدة استمر وجوده مدة طويلة بين الجريق حتى من بعد زوال الخطر الذى كان سببا فى حصوله ومن ابتداء هذا الوقت تظهر لنا درجة رابطة حقيقية فى الاعمال الجريسية لم تستحوذ عليها هذه المملكة من قبل فى التاريخ القديم لها

ولم ينس دارا وعده فى الانتقام والبطش بالجريق فانه فى سنة ٤٩٢ قبل الميلاد وجه زوج ابنته أى صهره مردونيوس قائدا سطول قوى وجيش الى الجريس وأمره بأن يجلب الى فارس الاثينيين والارطريانيين الذين تجاسروا على انتهاك حرمات الملك الاعظم فعبر مردونيوس بوغاز الهلسبون (الدردانيل) مع جيشه وسار من وسط تراسة فلاقى فى سيره مقاومات صعبة وحروبا شديدة من البريغيانيين وهم قبيلة من اقليم تراسة فهو وان كان قهرهم وقادهم الى الطاعة والانقياد الا أن قوة جيشه ضعفت وصار لا طاقة له على استمرار سيره نحو الجريس وأقام الزعازع والرياح على أسطوله فى البحر فى هذا الوقت وانصدمت سفائنه على صخور رأس جبل أثوس وانكسر منها عدد كثير وهلك نحو ٢٠٠٠٠ نفس من هذه العواصف وضعفت حالة مردونيوس بالكلية فعاد متقهقرا الى اسيا وتمت على حملته الخيبة وعدم النجاح

ومع ما حصل من هذه الخيبة فان دارا لم تحبط أعماله بل قويت عزائمه زيادة عن الاول فأرسل رسلا الى عموم الممالك الجريسية يطلب منهم التراب والماء اشارة الى خضوعهم له فارتاع معظم الممالك الجريسية من سطوة هذا الملك الكبير وأجابوا طلبه الا أن الرسل الذين صار ارسالهم الى أثينة رماهم الاثينيون فى جب عميق نظرا لما حصل عند أهل المدينة من الغضب والحنق وأما الاسبرطيون فانهم طرحوا الرسل الذين أرسلوا اليهم فى بئر وأمروهم أن يأخذوا منها التراب والماء

وفى سنة ٤٩٠ قبل الميلاد وجه دارا جيشا قويا واسطولا مؤلفا من ٦٠٠ سفينة حربية وكثيرا من سفائن النقل تحت قيادة داطيس من أهل ميديا لاجل التغلب على الجريس وخصوصا خراب أثينة وارطريا من جزيرة عوبيا ويسترق أهلها فاقلع داطيس باسطوله مباشرة وعبر بحر الارخبيل وأخضع فى طريقه جزائر السكلاده ووصل عوبيا وتغلب على ارطريا بعد أن حاصرها ستة أيام بواسطة خيانة حصلت من اثنين من حزب الاشراف ونهب المدينة وحرقها وساق أهلها فى السلاسل والاغلال الى

المراكب الفارسية ثم عبر داطيس عوريبوس ونزل فى مرثون من أطيقة قاصدا البطش بأثينة وأهلها فبذل الاثينيون جهدهم وجمعوا قوة تحت قيادة ملتياد وتمستقل وارسطيد وقواد أخر وكان ملتياد من بين هؤلاء أشجعهم وأفرسهم وكان فى مبادى أمره خدم دارا حالما كان دارا بن نسا فى خرسونس وأرسلوا ساعيا سريع الجرى الى اسبرطة يعلم أهلها بنزول الفرس فى مرثون فوعد الاسبرطيون مساعدتهم الا أن طبيعة حبهم النفس الذاتية أبطأت ورود المساعدة وأجلت الوعد الذى وعدوه وجمع الاثينيون قواهم وعساكرهم فوق العلالى والمرتفعات المطلة على سهل مرثون المعسكر فيه الجيش الفارسى العريض فانقسم قوادهم فى الرأى وقال بعضهم ان الاوفق حصول الحرب فى هذا الوقت ورجح آخرون الانتظار لحين ورود الامداد من اسبرطه حسبما وعدت به وأخيرا غلب عليهم رأى ملتياد فى الهجوم على العدو فى الحال ولاجل انتظام حركاتهم الحربية وأن لا يكون للجيش الا قائد واحد تنازل كل من القواد عن اليوم الذى يحكم الجيش فيه الى ملتياد وجعلوا قيادة الجيش وتدبير حركات الهجوم والحرب تحت امرة ملتياد واستقرت الرابطة بينهم ووافق فى هذا الوقت ورود ١٠٠٠ من العساكر الثقيلة وهم كافة فوارس سكان مدينة بلاطية الصغيرة من أعمال بيوطيا مشتركين فى عاقبة ماتؤول اليه حالة أصدقائهم الاثينيين شكرا لهم على مافعلوه من معروفهم السابق عليهم فعشم الاثينيون بالنصر والظفر ومع هذا فكانت المخاوف حائقة بهم وكان تعداد الجريق ١٠٠٠٠ نفس من العساكر الثقيلة وقليل من العساكر الخفيفة والرقيق وأما تعداد عساكر الفرس فكان ١١٠٠٠٠ نفس فى النهاية الصغرى فاما ملتياد فانه لم يبال بكثرة هذا الفرق الكبير وهجم مع الشدة والبسالة على الفرس وبددهم وطردهم الى مراكبهم بخسارة قدرها ٦٤٠٠ قتيل ولم يقتل من الجريق فى هذه الواقعة الا ١٩٢ نفس وقيل ان الطاغية هيپياس قتل فى هذه المعركة ودخل داطيس بمراكبه فى البحر وأقلع عازما على الهجوم على أثينة فجأة بكونه يلف من ثنية رأس سونيوم حال غياب مدافعيها عنها ولما عرف ملتياد من هيئة حركته وعزمه على الانقلاع الى أثينة جد فى السير بجيشه ليلا حتى وصل الى أثينة وقطع آمال داطيس مما كان ساعيا فيه فاقلع داطيس بالاسطول الفارسى الى آسيا ومعه أسرى ارطريا

وكانت واقعة مرثون من أعظم الوقائع التى لم يظفر الجيش الجريسى بنصرة مثلها فى السابق وكانت أول حاجز منيع وصد شديد لكل مايحصل من أى جهة من ناحية الفرس وعرف الجريق كيفية أحوالهم النظامية والوقائع الحربية وكيف يقاومون الجيوش الكثيفة من آسيا وجعلت هذه النصرة لهم وقتا كافيا يستعدون فيه من أجل اشتعال آخر حرب يخلصون به حرية بلادهم وشجعتهم على اجراء الجد والكد حال وقوع الخطر الاكبر عليهم

وبواسطة هذه النصرة صار التأهل بملتياد فى المدينة مع الاحتفال الزائد واستمر مدة ما جليل القدر سامى الدرجة محبوبا عند العموم وكان الفرس جلب معهم كتلة من الرخام الابيض يقيمونها علامة نصرهم فى ميدان مرثون حسبما طرأ فى عقلهم من الاول من أن الغلبة والنصر لهم فنقشها فيدياس على صورة نمسيس الجبار وأما الجعب والتروس البرنز وطقومة الزرخ التى استحوذ عليها الاثينيون من الفرس فانهم سبكوها جميعها تمثالا واحدا فخما على صورة اثينى برو ماخوس وأقاموا هذا التمثال فى

اكروبولى ليمكن مشاهدته من البحر على مسافة بعيدة خلف رأس سونيوم وأما ١٩٢ فارس الذين قتلوا فى ميدان الحرب من الجريق فانهم دفنوهم فى وسط الميدان وشيدوا عليهم قبة جسيمة

وأما ملثياد فكانت له السعادة الكبرى لو كان مات فى ميدان عزه ومجده لان الفعل الجميل الذى فعله لبلاده وأهل مملكته عاد عليه بالذم القبيح من أهل المدينة وآلت حالته الى أسوء الاحوال وأقبح الاعمال بما صدر منه من الاجراآت التى قذرت أعماله وتممت بالتكدير على حياته وذلك أنه طلب اسطولا مركبا من سبعين سفينة ومبلغا وافرا من النقود ووعد الاثينيين بان يضيف أملاكا عظيمة الى أملاكهم لكنه لم يصرح لهم بالمطلوب من الغزوة التى سيغزوها ولما كان الجميع واثقين باقواله معتمدين على أفعاله قبلوا طلباته من غير تردد فيها ولا اهمال فاستعمل غزوته هذه فى الانتقام والبطش بجزيرة باروس وكان على كراهة شديدة من أهلها العداوة قديمة بينهم فقاومت باروس أنواع هجومه عليها وأصيب بجرح بليغ وقت معاناته وكده فى التغلب على المدينة ولما ضعفت قوته رفع الحصار عن مدينة باروس ورجع عائدا الى أثينة غير محمود العاقبة فوبخه اجزنطيبوس قائد الاشراف ولعنه على قبيح أفعاله من كونه غش الامة ووضعه تحت المحاكمة ولما كان لا طاقة له على المشى أحضر أمام قضاته فى عربته وما كان له قدرة على أن يدافع عن نفسه الا حكاية حكاها عما فعله فى خدمته الامة الاثينية وهو وان كان يستحق الموت حسب القوانين الا أن الامة ما قبلت موت فاتح مرثون فحكموا عليه بغرامة مبلغ خمسين وزنة ومن المحتمل أن هذا المبلغ قيمة تكاليف الحملة على وجه التقريب ولما لم يكن له طاقة على دفع هذه الغرامة فى الحال دفعها عنه ابنه سيمون على وجه التقسيط ومات ملثياد بعد ذلك بقليل من شدة آلام جرحه

ومن بعد موت ملثياد صار اريسطيدس القائد المدنى فى أثينة وهو وان كان غير شريف المولد الا أنه كان عاكفا نفسه على أشغال منفعة الامة مع حزم الرأى وذكاء العقل وأكسبه كمال عفته وحسن معاملته اسم الرجل العادل وكان خصمه الاكبر تمستقل أحد مشاهير شجعان الجريق ونجح تمستقل أخيرا فى كونه أوقع النفى والطرد على أريسطيدس وهو مجرد حكم تعصبى فقط لان الاثينيين ما كان فى امكانهم توقيع أى عمل على اريسطيدس يتسبب منه توقيع مثل هذا العقاب عليه

ومن بعد نفى اريسطيدس صار تمستقل صاحب السيادة والشوكة فى أثينة من دون أن يكون له منازع ولا معارض وكان رجلا على غاية من المكنة والنباهة وذكاء العقل وكان يخفى فى نفسه رأيه فى أن يجعل أثينة على استعداد لمقابلة الخطب الاكبر المؤكد عنده وقوعه من أن مملكة فارس لا بد لها من حركة كبيرة على الجريس ومن منذ النصرة التى حصلت فى مرثون كان الحرب بين أثينة وايجينة وقفت حركته بالنسبة لما حصل من زيادة المشاحنات والحروب بين فارس وأثينة الا أن العداوة والبغضاء لم تزل موجودة بين هاتين المملكتين وتولد من هذا الحرب فى آخر الامر الثناء الزائد الذى به لا يمكن سقوط الجمهورية وكانت مملكة ايجينة فى هذا الوقت أقوى دولة بحرية فى الجريس وأما أثينة فكانت بعكسها لا اسطول عندها ولا قوة بحرية لها ولما عرف تمستقل أهمية وجود اسطول قوى وقت اقتراب الملاحة مع فارس صمم على أن يجعل الحرب الايجينى وسيلة الى استعداد أسطول لاثينة لانه لو عرض لهم مقصوده الحقيقى ربما يسخرون منه ويضحكون عليه لانه لا يوجد الا قليل من أهل بلاده يعرف مآرب فارس فمن ثم طلب من الاثينيين انشاء اسطول يفوق على أسطول ايجينة وان

بخصص لتكاليفه المدخولات الجارى جمعها من معادن الفضة فى لوريوم فأجيبت مشورته وصدرت الاوامر اللازمة فى انشاء اسطول مركب من ٢٠٠ سفينة حربية وكذلك أصدر المجلس أمرا بتشغيل عشرين سفينة جديدة كل سنة ومن ثم صار تمستوقل هذا الرجل السياسى فى العواقب حصل الظفر والنصر فى الواقعة الكبيرة التى حصلت فى نواحى سالميس واكتسبها الجريق ولما كانت استقامة تمستوقل معادلة لنباهته ومكنته صيرت اسمه أشهر الاسماء موازين الاسماء العالية الشرف من الهلاس وذلك أن ذكاءه فى تدبيراته الآراء التى أعدها الاعداء بلاده ومراوغته بحذاقة وفطنة حتى استحوذ على جريان الاشغال فى محورها اللازم له فى أصعب الاحوال وسرعة أشغاله بشهامة لاتكل ولا تتعب بحيث انه وضع بها تدبيراته وآراءه فى ميدان العمل جعلته أعظم رجال السياسة فى عصره

وكانت تبصرات تمستوقل وذكاؤه مشبوتا بواسطة الاجرا آت الكبيرة والاستعدادات المهولة الحاصلة من اردشير بشأن الغارة على الجريس ولما عرفت أسباب هذه التحضيرات فى الجريس شرعت أثينة واسبرطة واجتهدتا فى جمع جميع الممالك الجريقية فى جامعة واحدة من أجل المدافعة العمومية عن ممالكهم وكان أشهر هذه الاجتهادات والمساعى التى حصلت هو عقد مجلس من عموم الممالك الجريسية فى برزخ قورنثة دعاهم فيه أثينة واسبرطة وكان مقدار من هذه الممالك لم يقبل الدخول فى الجامعة العمومية خوفا من فارس ورجحوا ضياع حريتهم على سفك دمائهم فى الحروب المقبلة عليهم الا أن المجلس نجح فى مقصده الذى عقد من أجله وشرعوا فى أخذ الاحتياطات اللازمة بخصوص حمايات شديدة وعهدت القيادة العسكرية الى اسبرطة وقد ذكرنا استعدادات أردشير بن دارا وخليفته من أجل الغارة على الجريس فى كلامنا على تاريخ مملكة فارس فى الجزء الاول وفى فصل ربيع سنة ٤٨٠ قبل الميلاد دخل أردشير الجريس فى رأس جيش عريض تابعاله اسطوله المفتخر بالقرب منه فى البحر فى طول الساحل وسار من وسط تراسة ومقدونيا ودخل فى تساليا ولم يحصل من الجريق أدنى اهتمام فى ضبط تساليا والمحافظة عليها بل رتبوا قوة قليلة تحت قيادة ليونيداس ملك اسبرطة فى بوغاز ترموبيلى مفتاح الجريس الوسطى لاجل ضبطه لحين تيسر الحصول على جمع الجيش الاصلى ورتبوا فرقة قوية من أسطول الاتحاد فى بوغاز أرطميسيوم لاجل محافظة هذا البوغاز الضيق ومنع العدو من أن ينزل عساكره فى النهاية الجنوبية من البوغاز وكانت قوة ليونيداس محصورة فى ٧٠٠٠ نفس منها ٣٠٠ من الاسبرطيين و ٣٠٠٠ من عساكر ثقيلة من الممالك الاخرى من جهات بلوبونيزة و ٧٠٠ طسبيانيين و ٤٠٠ من طيبة كان ليونيداس أرغم أهل طيبة باستعدادهم وارسالهم و ١٠٠٠ من فوسية وشرذمة كبيرة من لوقريس عوبنطى وبمجرد وصول ليونيداس فى ترموبيلى عرف من أول وهلة أنه يوجد طريق يوصل الى رأس الجبل ومنه يمكن اللف والدوران حول الدرب أو البوغاز فرتب ليونيداس الفوسيانيين على رأس الجبل حسب رغبتهم لاجل المحافظة على هذا الطريق

وانتظر اردشير أربعة أيام تقهقر القوى الجريسية من البوغاز وما كان يظن جراءتهم على مقاومته فى هذا الدرب وفى اليوم الخامس أرسل فرقة من العساكر المدينية الثابتة من أجل الهجوم بغتة على الدرب فصدهم الجريق وطردوهم على أعقابهم فأرسل مرة ثانية القوى الثابتة لاجل الهجوم أيضا فكانت على غير طائل مثل الاولى وحصل له تلفيات مهولة من الجريق وبينما هو متفكر فى قطع آماله

من

من تغلبه على هـذا البوغاز اذ حضر اليه واحد ماليانى اسمه افيالطيس وأخبر ملك فارس بسكة سرية توصل الى أعلى الجبل فانتظر أردشير حتى دخل الليل وأرسل القوى الثابتة لاجل عبور الجبل من هذه الطريق بدلالة خائن بلاده ويلفون موقع الجريق و يهجمون عليهم من خلفهم حالما يجرى الهجوم من أمامهم فسار الواسائرين طول الليل حتى لاح فجر اليوم الثانى و وصلوا موقع الفوسيانيين و بدلا من أن الفوسيانيين يهجمون عليهم و يصدونهم و يحفظون الطريق تقهقروا الى رأس الجبل ولم يحصل من الفرس التفات اليهم بل ساروا ونزلوا فى الجهة الجنوبية من الجبل خلف الجريق

ولما تحقق ليونيداس من وقوع الخطر الذى حل به عقد مجلسا حربيا تقرر فيه من حيث ان البوغاز صار دورانه فيتقهقر الجيش أمام عسكر الفرس لئلا يقطعون خط رجعتهم و وجود حياة الجيش ضرورى لاجل المدافعة عن الجريس فى الاحوال القابلة فأمر ليونيداس بأن كل من رغب القهقرة فليرجع وأما هو فانه قال انه رجل اسبرطى وان قوانين بلاده تلزمه اما النصر واما الموت فى ميدان الواقعة وانه من ضروريات الاحوال بقاؤه فى هذا الموقع فكان هو فى الحقيقة الرجل الذى باع حياته كما أنبأ بذلك كاهن دلفى بأنه يلزم اما سقوط اسبرطة أو موت ملكها ولم تقبل الثلاثمائة نفس اسبرطى مفارقة ملكهم الفارس وكذا السبعمائة نفس طسبيانى صمموا على أن يقاسموا اخوانهم فيما تؤول اليه حالتهم وأرغم ليونيداس الاربعمائة نفس من طيبة على البقاء معه

ولما استشعر أردشير فى وقت الظهر بوصول القوى الثابتة خلف الدرب أمر بالهجوم عنوة على الدرب وكان ليونيداس حصن طريقه فى مبادى أمره بمتاريس قاطعة له الا أن الجريق خرجوا من خلف المتاريس وهجموا هجوما عنيفا على الفرس وأوقعوا فيهم خسارات جسيمة وكذا حصل فيهم مقتلة شديدة وكان سبب وجود هذا الكرب الاكبر على هذه الشرذمة القليلة الباسلة هو الخيانة الحاصلة من أهل البلاد وصار الفرس لا طاقة لهم على ملاحمتهم الا بالشدة فيهم والزامهم الحرب بالقوة جبرا عنهم ومادام الجريق حافظين محلاتهم فى داخل مواقعهم كان الفرس لا يغلبونهم وأخيرا تكسرت رماحهم وطوارقهم وصاروا لا يملكون فى أيديهم الا السيوف فقط فابتدأ الفرس فى التغلب على الموقع وقتل ليونيداس وزحف الفرس أربع مرات زحفا شديدا لاجل أخذ جثة ليونيداس فما قدروا لان الجريس كانوا يصدونهم كل مرة صدا عنيفا مع تلفيات وخسارات جسيمة ثم ظهرت القوى الثابتة الفارسية من النهاية الاخرى للمعبر فاستغاث بهم عساكر طيبة وقالوا لهم نحن مغصوبون على أنفسنا فى الحرب فأعتقوهم ونجوا بحياتهم وأما الذين فضلوا على قيد الحياة من الاسبرطيين ومن الطسبيانيين فان الفرس تغلبوا عليهم وقتلوهم ولم ينج منهم أحد الا واحد هرب الى اسبرطة وأخبر بالواقعة فقابلوه بالاهانة لانه لم يشارك اخوانه فى عاقبة أمرهم ولما أخذ الجريسيون راحتهم وحريتهم أقاموا تمثال أسد من الرخام فوق أعلى الدرب اجلالا لشأن ليونيداس وشيدوا أثرين عظيمين تذكارا لشجاعة أتباعه ونقشوا على الاثر الاول ان أربعة آلاف بلوبونيزى حاربوا فى هـذا المحل ثلاثين ألفا من أعدائهم وكان الثانى تذكارا بشأن الثلاثمائة اسبرطى ونقشوا عليه أيها المار من هنا اذهب الى اسبرطة وقل لاهلها اننا أطعنا قوانينها ورقدنا هنا

وفى غضون ذلك أجرى الاسطول الجريسى ما يجب عليه من الاشغال وحارب عدة وقائع كانت جميعها ناجحة لجهة الجريس وأظهر من الجسارة والبسالة ما أدهش به عقول الفرس وأما الاسطول الفارسى

فضعفت حالته نوعا وخسر الفرس أربعمائة سفينة من سفائنهم الحربية وانصدع عدد وافر من سفائن الحمولة المشحونة بالذخائر والاموال على الشاطئ فوق الصخور من عواصف شديدة وتلاقيح هائلة هبت عليها ثلاثة أيام وثلاث ليال حسوما وكذا هبت عواصف ثانية أتلفت من القوة الاصلية للاسطول الفارسى فرقة من السفن مقدارها ٢٠٠ سفينة كانت أرسلت من أجل الاحاطة بعوبية وقطع خط رجعة الاسطول الجريقى من نواحى ارطميصيوم وحصل للاسطول الجريقى بعض تلفيات فى نواحى بوغاز ترموبيلى فانجبر على القهقرة الى الجهة الجنوبية وتوجه فى الحال ورمى مخاطيفه فى ثنية رأس سنيوم فى خليج سلميس وأما الجيش الفارسى فانه تقدم فى الحال فى داخل الجريس الوسطى تابعا له اسطوله الا أنه مهما كان من شجاعة ثمستقل وثباته ظن أهل اسبرطة ضياع الجريس ورفضوا أن يرسلوا قوة برية لمساعدة أثينة وطلبوا جيشهم لمباشرة أشغال تحصين برزخ قورنثة بخصوص حماية بلادهم وشق كثيرا على ثمستقل الزام الاميرال الاسبرطى فى البقاء فى سلميس حتى يأخذ الاحتياطات اللازم اجراؤها من أجل سلامة الاثينيين ولما رأى ثمستقل أن أثينة لا يمكن المحافظة عليها من هجوم أردشير عليها بذل جهده فى نقل الاهالى قاصدا بذلك خلاصهم من الاسر وبما أنه كان لا رغبة للاثينيين فى ترك مدينتهم المحبوبة عندهم التزم ثمستقل فى عمل حيلة من أجل انتقالهم وذلك انه أرسل الشيوخ والكهول من الرجال وكذا النساء والولدان الى نواحى سلميس وايجينة وطربوزين وأما الذين فيهم قدرة وقوة فأرسلهم على ظهر سفن الاسطول ولما وصل الفرس أثينة وجدوها خاوية على عروشها وما وجدوا فيها الا بعض متعصبين فى الدين واثقين فى حمايتهم بأثينى والتجؤا فى قلعة المدينة فتغلب الفرس عليهم ووضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم وحرقوا أثينة وجعلوها آكاما وأطلالا وخرائب وفى هذا الوقت كان الاسطول الفارسى راميا مخاطيفه فى جون فاليروم

ثم وقع على الجريس مصاب جديد هو أن قواد الاسطول صمموا من غير مخابرة ثمستقل على السير من سلميس وأن يأخذوا موقعهم بالقرب من البرزخ لاجل اشتراكهم مع القوى البرية فى المدافعة عن الجهات البلوبونيزية فيتولد من هذه الحركة أن نساء وعائلات أثينة يكونون فى هذا المشروع عرضة لغارات العدو وتحت رحمة المحاربين ولما بلغ ذلك ثمستقل عارض هذا المشروع وبذل جهده فى منع القواد الجريقية من التوجه من سلميس من وجهين الاول تعرض العائلات الاثينية والثانى انه كان مضمرا فى نفسه انه من الواجب على الجريس أن تجرى واقعة فاصلة فى هذا البوغاز الضيق بحيث تكون منافع هذه الواقعة عائدة عليها ولما وجد أن القواد مازالوا مصممين على ما هم عليه عمل تدبيرا آخر فأرسل رسولا الى أردشير يقول له ان المجلس الجريقى انقسم الى حزبين ويحثه على الهجوم على أسطولهم فى الحال وهدد المخالفين بأقواله على البقاء فى سلميس الى أن يشرع ملك فارس فى اجراء ما عرضه عليه ومن هذا صدر رأى المخالفين الذى كان يتولد منه قتل الانفس وضياع الاموال والارواح لو فعلوا ما كانوا عازمين عليه ثم ان أردشير استحسن اشارة ثمستقل وحصر اسطول الجريق فى سلميس وجعل اسطوله فى البوغاز من جهة أطيقة وصار لا طاقة للاسطول الجريقى فى حركة الانتقال وكان عدد سفن الفرس وافرا جدا وكانت نسبتها الى سفن الجريس كنسبة ٣ : ١ الا انه بمجرد وصول أخبار حركة هذه السفن الى القواد الجريقية استعدوا للحرب وكانت هذه الاخبار أرسلت لهم بواسطة ارسطيدس وكان رجع من محل نفيه ليشترك مع أهل بلاده فى عاقبة أمرهم وفى صباح اليوم الثانى

استعد

استعد الاسطولان لمواجهة بعضهما للحرب وكانت نتيجة هذا الحرب نصرة الاسطول الجريسى على الاسطول الفارسى وذلك انه قام ريح فى صباح اليوم تولد منه انتفاخ ثقيل فى البوغاز ونجم عنه تقل فى تأخيره الحرب حتى وصل هـذا الانتفاخ الى أن جعل المراكب الكبيرة الفارسية على خطر وتهلكة فأمر بالهجوم فاسرعت المراكب الجريقية الخفيفة بما انه لم يحصل لها أذى من هذا الانتفاخ مهما كانت درجته واقتحمت على أعـدائها بسهولة ومكنت بروتها النحاس من أجنابها حتى خرقتها وغرقتها واصطدم الاثينيون بالفنيقيين والپلوپونيزيون باليونانيين محالفى الفرس واستمر الحرب طول النهار وعنـد قرب المساء انهزم الاسطول الفارسى وضعفت قوته فترك مضايق سلميس وأقلع فى البحر بعـد أن فقد منه مائتا سفينة وتغلب الجريق على مقدار وافر من السفن مع بحريتها وكان أردشير رتب فرقة من العساكر فى جزيرة پسيطاليا الصغيرة لمساعدة سفائن الفرس وتدمير السفن الجريقية وطردها على قدر امكانهم من ناحية الجزيرة ولما تمت الهزيمة على الاسطول الفارسى عبر اريسطيدس مع جماعة من الاثينيين الى الجزيرة ووضعوا السيف فى الفرس وخسر الجريق أربعين سفينة حربيـة فى هـذه الواقعة البحرية

ثم تولد من هزيمة الاسطول الفارسى ضعف قوة أردشير بالكلية وانتقل كما ذكرنا فى تاريخ فارس من شماخة عتوه الذى كان واتقابه الى قطع الامل بالكلية فترك مباشرة حرب الجريس وتقهقر الى الهلسيون وأرسل الاسطول فى هـذا الوقت الى اسيا وترك مردونيوس بقصد التغلب على الجريس فى السنة القابلة

وفى فصل ربيع سـنة ٤٧٩ قبـل الميلاد بذل مردونيوس جهده فى فصـل الاثينيين من الجامعة الجريسية ولما خاب فى سعيه أغار على أطيقة فالتجأ الاثينيون ثانيا الى سلميس وتركوا مدينتهم فاحتل الفرس المدينة وطلب الاثينيون مساعدة اسبرطة فتأخر الجواب عنهم عشرة أيام فأخذهـم الغضب والحنق وأرسلوا ارسالا الى اسبرطة المحتجبة بنفسها يقولون لاهلها ان لم يرسلوا المساعدة حالا لاهل بلادهم والا يكونوا ملزمين بعقد معاهـدة مع العدو ويتركوا اسبرطة لما يؤول اليه أمرها فاهتم حكام اسبرطة وحصـل فيهـم الغيرة والحماس وأرسلوا قوة مقدارها ٤٥٠٠٠ مقاتل منها ٥٠٠٠ نفس من أهل اسبرطة خاصة وعموم هـذه القوة تحت قيادة پوسانياس ولما رأى مردونيوس ذلك ترك أثينة فى الحال وتقهقر الى نواحى بيوطية واتخـذ له موقعا فيها بالقـرب من مدينة بيوطية ولما تقوى پوسانياس بالعساكر الاثينية وبقوى أخرى وردت اليه من الممالك الجريقية الاخرى أجرى مع مردونيوس واقعة فاصلة تحت أسوار مدينة پلاطية انهزم فيها الفرس ومحالفوهم من الجريس الشمالية وخسر الفرس خسارات مهولة وقتـل مردونيوس ولم ينج من جيشـه الكثير المهول الا نحو من ٤٠٠٠ نفس وتغلب الجريق على معسكره واستحوذوا على ما فيه من الذخائر والكنوز والمؤنات وجعل الجريق ميدان هذه الواقعة مقدسا وعهدوا بمحافظته الى البلاطيين بحيث يغزو كل من كان يعلن بانتهاك حرمة هذا الميدان المقدس

وفى نفس هـذا اليوم تتوجت الجيوش الجريقية بنصرة أخرى وذلك أن الاسطول الفارسى وقوة برية كبيرة كسرها الاسطول الجريقى فى جهة ميخالى فى يونانية من آسيا الصغرى

وبهذه الوقائع والمظفرات خلصت الجريس من الاخطار التى كانت واقعة عليها من الفرس وتولد من

نصرة سلميس ودمار جيش مردونيوس ضعف قوى أردشير وافتكر فى نفسه انه لا فائدة ولا فخر فى الاعمال الحربية الا الخسارة وضعف القوة فعكف نفسه على اللذات والراحة وكان يمكنه ردّما أصيب فيه وما حصل له من الخسائر لو بذل جهده فى الكد والسعى فى اجرا آته العسكرية الا انه تركها من أول وهلة ومن أول مصيبة حصلت له وتغيرت أحواله بالكلية من هاتين الحادثتين ومن هذا الوقت عزم على عدم معاداة اغريس وانمحقت شوكة هذا الملك الاعظم من البحر الابيض المتوسط قاطبة حتى صار فى مدة اثنتى عشرة سنة لا يمكن لاى سفينة من السفن الفارسية أن تخاطر بنفسها وتظهر على مياه هذا البحر وأخذ الحريق ثارهم من عدوهم فى نظير المضار التى كانت حلت بهم منه وأعدوا أسطولا مؤلفا من خمسين سفينة وأمروه بالتوجه والسفر لمساعدة كل مدينة جريقية فى أوروبا وفى آسيا وخلاصها من أيدى الفرس وكانت أثينة أعدت معظم هذه السفن الا أن قيادة هذا الاسطول كانت معهودة الى بوسانياس الاسبرطى فطرد بوسانياس الفرس من جزيرة قبرص وعبر الهلسبون وتغلب على بيزانطيوم وهى القسطنطينية الآن وجعلها مقرا لاقامته مدة عشر سنوات واستحوذ الاثينيون على صيصطوس من بعد حصار طويل وهى مستعمرة كانت أسست فى خرسونس من تراسة والذى أسسها ملتيادس عم الفارس مرتون

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ سلطنة أثينة وسيادتها ﴾

الفائدة الحقيقية لاثينة من الحرب الفارسى — تشييد المدينة ثانية على منوال عظيم وسياق عريض — تحصينها وتقويتها — غيرة اسبرطة وحسدها — هزيمة تمتقل الاسبرطيين — أهمية أثينة وشهرتها فى الاعمال الحريقية — عزل بوسانياس من قيادة الاسطول الجريقى — توظيف قائد أثينى — تشكيل اتحاد الديلوسى وتقرير رياسة أثينة — صيرورة صكيروس خراجية لاثينة — صيرورة أثينة المملكة الرئيسة فى اغريس — خيانة بوسانياس — موته — سقوط تمتقل وموته — موت أرسطيدس — سيمون — تغيير فى الاتحاد الديلوسى — نجاح سيمون وفوزه — عصيان الرقيق — طلب اسبرطة مساعدة أثينة — قبح أعمال الجيش الاثينى — سقوط سيمون — قيام حزب الاشراف فى أثينة — شوكة بيركلس — أشغاله ضد اسبرطة — استمرار الحرب مع فارس — مظفرات أثينة على قورنثة وايبيدروس وايجينة — انشاء الاسوار الطويلة فى أثينة — مساعى اسبرطة ضد أثينة — محبة سيمون الوطنية — طلبه العود الى وطنه — واقعة عينوفيطه — اذلال اسبرطة — مشاحنة بخصوص كاهن دلفى — تجديد الحرب مع اسبرطة — ضياع بيوطية من أثينة — وجود معظم الاثينيين مع بيركليس — تحلية المدينة وزخرفتها — بناء الميدان — نهوض السلطة العقلية لاثينة — نفور أعضاء الاتحاد الديلوسى — عصيان ساموس — حطم العصيان

الحرب الفارسى وان كان مصيبة عظمى فى الظاهر على أثينة الا انه جعلها فى آخر أمره منبع العظيم سعادتها وتولد من قتل الانفس التى طابت منهم قيام حب الوطن فى أثينة وأسبل على الاثينيين شعائر الاستحواذ على شوكة ما كانت تخطر لهم على بال من قبل وكان خلاص الامة الاثينية بواسطة تمتقل

بكونه أمرهم أن يتركوا مدينتهم وما تؤول اليه عاقبة أمرها ووثق فى خلاصهم بواسطة مراكبهم وبالنصرة العظيمة التى حصلت فى سلمس ونتائج الظفر على مملكة فارس ثبت لهذا الرجل الجليل السياسى أنه هو الرجل الحقيقى الذى يمكن التعويل عليه فى المستقبل وجلب الامة الاثينية الى حالة بها صارت أثينة ذات قوة قوية بحرية بعد أن كانت لا تملك لنفسها سفينة واحدة وخضعت لاعماله جميع طوائف الامة الاثينية

ولما عاد الاثينيون الى وطنهم من جهات منفاهم التى ألزموا بالتوجه اليها فى نواحى سلمس وايجينة وطروزين وجدوا مدينتهم كوما من الاطلال والخرائب والا ثار فأعدوا ملاجئ وقتية لعائلاتهم وشرعوا فى بناء مدينتهم مرة ثانية على منوال عريض وهيئة أظرف من الهيئة الاولى وأقروا رأيهم على تحصينها بسور فتولد من بناء هذا السور قلق كبير وكراهة عظيمة عند المتحالفين معها خشية من أن يحصل لها أدنى زيادة فى قوتها وعظمة فى شوكتها وتمارس الايجينيون مع الاسبرطيين فى توقيف هذا الشغل الا أن اسبرطة ما كان لها طاقة على الزام الاثينيين وجبرهم بالقوة والاقتدار على مثل هذه الاعمال لكنها بما أنها كانت على غيرة وحسد منها اجتهدت فى كونها تتمم بمكرها وخديعتها ما لا يمكنها أن تجريه بطريقة قهرية مفتوحة ورأت مناسبة أفعال هامع تمستقل فى كثرة حذاقته ومهارته فى المخابرات معها بشأن بناء الاسوار وجد زمن للاثينيين أمكنهم فيه تشغيل واتمام أسوارهم الطويلة حتى صار لا يمكن لاسبرطة بأى حالة كانت توقيف هذا الشغل من دون اعلان حرب جهرى وحفظ تمستقل مع البسالة والنباهة مشروع أهل بلده والتزمت اسبرطة بالتصديق على تمام بناء الاسوار من بعد أن عرفت أن لا حيلة لها فى نفسها ولما صارت أثينة فى حالة جيدة من المحافظة بأسوارها أحاط تمستقل بيروس ومونيخيا بأسوار قوية التحصين وأصلح المينة وعرضها حتى صارت محلا أمينا وملجأ رحبا للاسطول السامى المقدار الذى كان شرع فى انشائه من أجل حفظ أهل بلاده وتم اعادة بناء المدينة فى أوقات قليلة وأدخل أيضا تمستقل بعض تغييرات مهمة فى النظامات والقوانين بواسطتها ارتقى ضعفاء المدينة الى درجة الشرف فى المملكة وتقدمت أثينة تقدما زائدا عن الحالة الرديئة التى وجدها عليها الحرب الفارسى ودخلت فى الاعمال السياسية حتى صارت هى المملكة الرئيسة فى الجريس وجهزت ثلاثين سفينة للاسطول الذى أرسل لمساعدة المدائن الجريقية من أجل خلاص اخوانهم الموجودين فى آسيا من أيدى الفرس من بعد واقعة بلاطيه وميخالى وعهدت قيادة هذه الحملة الى بوسانياس كما تقدم ذكر هذا فتعالى بوسانياس وتفاخر بنفسه بما حصل له من الظفر فى بلاطيه ورأى فى منامه أنه صار رجلا جليل القدر سامى المنصب فرغب أن يجعل أهل بلاده قربانا لمطامعه وطموحه ودخل فى مخابرة سرية مع فارس وصار سيره وأعماله نحو أهل بلاده من أقبح الاشياء وتولد منه أن قواد الجريق ارتاعوا من أعماله وارتابوا فى أفعاله وأغراضه الحقيقية وطلبوا رجوعه وعوده الى بلاده ومن قبل حضور القائد الاسبرطى الجديد ارتاب يونان الجريق من اسبرطة وخطر ببالهم أنه اذا كانت السيادة البحرية فى يد الاثينيين فانهم يكونون فى أول درجة فى المحاربات البحرية وطلبوا اريستيدس وسيمون من أجل تقليد رياسة القيادة البحرية فى اسطول المتحالفين فنجح طلبهم على الفور ولما وصل دورسيس القائد الجديد الاسبرطى لم يتجاسر على المداخلة فى هذه التدبيرات

وما حصل من الاسطول هذا الفعل فقط بل حصل أيضا تعصب فى كامل النظامات الجريقية وقرروا

لاثينة الشوكة والسيادة فى الجريس وبواسطة ارشاد الحاذق اريسطيدس وكان مثل البرق فى احكام هذه المنفعة التى تقررت لاثينة صار تشكيل محالف أو جامعة دخل فيها الاثينيون واليونانيون وجزائر رودس وكوس ولسبوس وطندوس وملطوس وكافة المدائن الجريقية الموجودة فى بحيث جزيرة كالشيدونيه وبيزانطيوم (القسطنطينية) وربطوا أنفسهم فى عقدة واحدة على الاشتراك فى مساعدة بعضهم بعضا بما يلزم من المقاومة ضد ما يحصل من التعدّى من مملكة فارس عليهم وكان التحالف مشتملا على أن كامل ما يكون عند أثينة من القوة البحرية هو من أجل المحافظة من فارس وصار نظم وترتيب مواد مفصلات التحالف بواسطة اريسطيدس فأثبت القيادة لاثينة ورضى بذلك كافة أعضاء الاتحاد رضاء قلبيا وشكروا أريسطيدس على استقامته وخلوص نيته وحسن طويته وضربوا ضرائب على كل واحد من أعضاء الاتحاد سموها بالضرائب الفورية وعينوا حكاما لتقرير هذه الضرائب وتقسيطها وجبايتها وتقرر محل ماليتها ومحل التئام مجلس الاتحاد فى جزيرة ديلوس المقدسة ومن ثم عرف هذا الاتحاد باسم الاتحاد الديلوسى

ومن بعد تشكيل هذا التحالف بقليل رجع اريسطيدس الى أثينة وخلفه فى قيادة الاسطول سيمون وفى نحو سنة ٤٧٥ قبل الميلاد تغلب سيمون على مدينة عيون الموجودة على نهر صطريمون وفى نحو سنة ٤٧٠ قبل الميلاد طرد سكان جزيرة صكيروس من جزيرتهم لما أعلنوا بحريمة قطعهم طرق البحر وأسكن هذه الجزيرة بالاثينيين ومن ثم نالت أثينة موقعا بحريا جليلا وحازت الدرجة الاولى القاطعة فى الاعمال ودخل الاثينيون فى ميدان شاسع من الاشغال ثم ان اسبرطة استقبحت جدا تشكيل هذا الاتحاد الديلوسى مع تجرع الغصص من قلبها واعتبرته انه تعدّى على حقوق سلطتها وسيادتها الا أن خوفها من فارس فى كونها ربما تجتهد فى الغلبة على الجريس حثها وحرضها بأن تسمح للاثينيين فى سيرهم فيما شرعوا فيه مؤقتا ثم من بعد مدة قليلة ضاع أثر سيادة اسبرطة وشوكتها بواسطة قبيح سلوك قوادها وامسكها المهرة الجسورين من الاثينيين وأقامت الاعمال العظيمة التى شيدها تمستقل فى أثينة حتى جعلتها فى أرقى موقع فى الجريس وكذا تولد من نباهة اريسطيدس وعفته أن صار لاثينة طاقة على اكتساب هذا الموقع الجليل من دون أن يحصل نفور من محالفيها فى أى وقت من الاوقات حالما تكون صداقتهم ووداده لها ضروريا عندها وفى هذا الوقت صار نفوذ اريسطيدس وشوكته زيادة عن شوكة خصمه تمستقل فى أثينة وسبب ذلك ان تمستقل أشيع عليه بعدم وثاقة الاثينيين به لانه تناثر فى حقه أقوال أوجبت غضب الاثينيين عليه من كونه كان يقبل الرشوة والبرطيل فى فصله القضايا والدعاوى المتعلقة بالجزائر اليونانية وتصدّى له حزب الاشراف تحت قيادة سيمون بسبب ما كان يصدر عنه من الاوامر التى بها ازدادت سلطة العوام على مصاريفهم فمن هنا ضعفت شوكته وزادت اهانته ولما صار طلب بوسانياس من بيزانطيوم اتهم تمستقل فى ذنب الخيانة التى حصلت من بوسانياس الا أنه وجد بريئا فى التحقيقات التى حصلت ومع هذا اشتدّ عليه غضب حزب الاشراف حتى صار نفيه نفيا مكرما من أثينة فذهب الى أرغوس ساخطا من مثل هذه المعاملة ثم أعيد الى أشغاله ووظائفه العالية مع الاسف على ما حصل له ومن بعد مضى خمس سنوات لما ظهرت على بوسانياس الخيانة فى مخابرته مع ملك الفرس هرب بوسانياس المذكور الى معبد أثينى ودخل فى المحل المصنوع من النحاس والتجأ فيه ولما صار لا طاقة لاحد على اخراجه من هذا المعبد خوفا من الوقوع فى جريمة انتهاك الحرمة المقدسة سد

الحكام

الحكام مداخل المعبد وكشفوا سقفه وتركوه فيه يموت جوعا معرضا للحوادث الجوية ثم نقلوه من المعبد لما وجدوه صار على شرف الموت خيفة من أن رمته تنجس طهارة المعبد ومات فاتح بلاطية بهذه الحالة الشنيعة

ومن بعد موت بوسانياس وجد فى ضمن أوراقه أوراق استدل منها على ان تمستقل الذى كانت ظهرت براءته عند تهمته الاولى فى الخيانة له يد ورجل فى الدسيسة مع فارس فالتأم لذلك مجلس المحالفين فى اسبرطة وأمر بالقبض عليه فهرب ناجيا بنفسه حتى وصل الى الديوان الفارسى من بعد أن قاسى الاهوال وتحمل مكابد الاسفار وقبل فى الديوان بأجل ترحاب وعين لاقامته محل فى مدينة مغنيسيا وقطنها حتى مات فى سنة ٤٤٩ قبل الميلاد

وتولد من موت اريسطيدس فى سنة ٤٦٨ قبل الميلاد أن صار النفوذ الاكبر فى أثينة الى سيمون وقائد حزب الاشراف وكان سيمون كثير الثروة والاموال وكان يصرف نقوده مع الحرية التامة فى ظرافة وتحلية مدينته ويوزعها على مصروفات المملكة ثم ان جزيرة ناكسوس أكبر جزيرة فى جزائر السكلادة خافت من الاعمال الجارية بواسطة أثينة فى كونها مستعملة نقود الاتحاد الدبلوسى وسطوة نفوذه فى توسيع أعمالها وأشغالها فسحبت نفسها من الاتحاد فتوجه اليها سيمون فى رأس الاسطول الاتحادى وأخضعها وجعلها خراجية لاثينة وفى نحو عين هذا الوقت طلب جميع الممالك الصغيرة الداخلة فى الاتحاد الدبلوسى أن يدفعوا خراجا سنويا مقررا من النقود الى مالية الاتحاد بدل تجهيزهم ما يخصهم من المراكب اللازمة للاسطول فأجيبوا فى طلبهم هذا ومن ثم جردوا أنفسهم من مقاومتهم أثينة وهذه أوصلت درجة أسطولها الى أعظم نهاية فى المنعة والرصانة وفى نفس هذه السنة سار سيمون فى أسطول مؤلف من ٣٠٠ سفينة منها ٢٠٠ سفينة من السفن الاثينية وطرد جميع الفرس من عدة مدن فى كاريا وليسيا من جهات آسيا الصغرى وهزمهم فى البحر والبر عند فم نهر أوريمدون فى بمفيليا وفى حال رجوعه الى بلاده قابل ثمانين مركبا كانت آتية لتقوية الاسطول الفارسى وكان لا معلومية لتلك المراكب بهزيمة الاسطول الفارسى فأبادها سيمون جميعها وتولد من هذه كسر شوكة المملكة الفارسية بالكلية وطرد الفرس من البحر الابيض المتوسط ومن سواحل آسيا الصغرى وعدوا ذلك من أعظم المكاسب التى تحصل عليها الحريق ولو أن سيمون كان الخصم السياسى الى تمستقل لكنه سار فى سياسته الداخلية والخارجية على منهاج هذا الرجل السياسى مع شدة العزم ثم ان الاثينيين شرعوا فى غرس خط من المستعمرات فى نواحى تراسة فعارضهم فى ذلك أهل جزيرة طاسوس وكان لهم أملاك كثيرة جليلة القدر فى نواحى تراسة فمن ثم انتشب حرب بين أثينة وأهل جزيرة طاسوس وفى نحو سنة ٤٦٣ قبل الميلاد خضعت طاسوس وصارت خراجية لاثينة ومنها استحوذت أثينة أيضا على الاسطول الطاسوسى وعلى كل ما كانت تملكه هذه المملكة من الاملاك فى تراسة

ولما اشتد الكرب على الطاسوسيين وصاروا على آخر درجة من جهد أعمالهم طلبوا من اسبرطة مساعدتها لهم فمع أن اسبرطة كانت فى مخالفة مع أثينة الا أنها لم تتردد فى الاستعداد للهجوم والغارة على أثينة فأتاها الصد الذى منعها من توجيه أغراضها وذلك انه حصل زلزلة مهولة هدمت مدينة اسبرطة وهلك من سكانها نحو من ٢٠٠٠٠ نفس فى سنة ٤٦٤ قبل الميلاد فانتهز العبيد أو الرقيق الفرصة فى أثناء المصائب التى حلت بأسيادهم وقاموا فى ثورة وانضم اليهم المسينيون

وحصنوا أنفسهم فى جبل إثومى فى مسينة وكبسوا على الاسبرطيين بشدة وقوة حتى ألزموهم طلب المساعدة من محالفيهم وكان من ضمن المحالفين لاسبرطة أثينة التى كان الاسبرطيون مضمرين على خرابها وقت نزول المصائب عليهم وما كانت هذه الزلزلة الحادثة من جملة حوادث عديدة ومصائب شديدة حلت باسبرطة حتى أضعفت قوتها ونزعت منها شوكتها

فأجاب سيمون وحزب الاشراف طلب مساعدة الاسبرطيين وبذلوا جهدهم فى ذلك وكان نفوذ هذا القائد سيمون على وشك الزوال لان غزوته على الطاسوسيين تسبب منها عدم اعتماد أهل بلاده عليه اذ أنه لم يحصل لهم شئ لا فتح ولا تغلب على تراسة أو مقدونيا ومن المحقق أن بيركليس اتهمه فى كونه أخذ رشوة من ملك مقدونيا وتركه فى حالة سلم مطمئنا فى مملكته ومع هذا فان سيمون نجح فى مساعدته اسبرطة وساق لمساعدتها قوة قدرها ٤٠٠٠ نفس من العساكر الثقيلة ولما عرف الاسبرطيون الغش من جهة محالفيهم ارتابوا فى وثوقهم واعتمادهم بالاثينيين فانتهزوا أول فرصة وطردوهم من عندهم وقالوا انه لا لزوم لهم عندنا فى الخدمة وكانت حجتهم فى ذلك أن الاثينيين الذين أظهروا مهارتهم فى أنواع الحصارات لم يحصل منهم أدنى نجاح فى التغلب على إثومى القاطن فيه رقيق العصاة وفى نفس هذا الوقت أبقى الاسبرطيون العساكر الذين جهزها لهم محالفوهم الأخر وعاد سيمون الى بلده متوجا بتاج الخيبة وعدم النجاح تحت سحب الاهانة واللعن الذى انحط على أهل بلاده من الحالة التى استحوذ عليها فى خدمته اسبرطة فمن ثم صار انحطاط نفوذه وصار على شرف الزوال ومن هذا الوقت نهض حزب الاشراف الى شوكة عالية تحت قيادة بيركليس وكان بيركليس شريف المولد وعمود نسب أمه من برنسان صكيون وعائلة القميونيدى وأما أبوه اجزنطيوس فكان متصلا مع بيزيسطراطوس وكان يشابهه على ما قيل فى الذات والصفات وكان بيركليس رزين العقل كثير الصمت جيد الطبع شريف الاخلاق حسن الطلعة منعزلا ومعتكفا على أفعاله وأعماله بعيدا عن الجمعيات والمجالس وما ظهر الا فى العموم فقط بسبب ما شوهد فيه من الذكاء والنباهة ورأى الناس فيه ذكاء فى العقل وفصاحة فى المنطق الا أنه كان فى القيادة العسكرية أقل من تمستقل وسيمون وكانت ادراكاته العقلية حادة جدا وتهذب مع الدقة والاعتناء ولازم مجالس الفلسفة وواظب على ممارستها مع أنكساغوراس وبروتاغوراس وظينو والفلاسفة الاخر وكان أستاذ الفصاحة والبلاغة وتبحر فيها وقالوا انه كان أول واحد من الاثينيين استحسنت مخاطباته واكتسب الانشاء فى الكتابة والتحريرات فانتهز بيركليس الفرصة بسرعة من نجاح سيمون فى نواحى إثومى وضرب حزب الاشراف ضربة حط بها قدره وأزال عنه مجده وسعده وكانت هذه ضربة قاطعة له وغير بعض تغييرات مهمة فى قانون النظامات العمومية أضعف بها نفوس الاشراف ونفوذهم وزاد فى سلطة العوام وكانت نتيجة المداولات والمناقشات أن حكم على سيمون بالنفى والطرد من أثينة لمدة عشر سنوات نفيا مكرما بصوت الامة

ومن ثم انفرد بيركليس فى أثينة من دون منازع ولا معارض وكانت سياسته مقصورة على محافظة السيادة فى البر والبحر لاثينة وبهذا صار متقدما فى السياسة عن سياسة تمستقل وأحكم موقع أثينة السياسى وجعل هو قائد الحروب ضد مملكة فارس الا أنه جعل هذا مادة ثانوية ووجه التفاتات أثينة ومساعيها الاصلية الى اكتساب سلطة ونفوذ فى الجريس الوسطى والجريس الشمالية وأن يكون لها السيادة البرية على اسبرطة ولاجل اتمامه هذا المشروع العائد منه المنفعة على أثينة غرس

ارتباطات

ارتباطات ودية ومحالفات حبية مع بعض الممالك البلوبونيزية وكانوا فى نفور ومخالفة مع اسبرطة واحتج فى مشروعه هذا أيضا بالمعاملة القبيحة والاهانة الفظيعة التى حصلت لاثينة من اللاسيديمونيين فى طردهم عساكرها وحث أهل بلاده على فسخ محالفة اسبرطة وأما أرغوس فانها لما تمكنت من وقوع الارتباك فى اسبرطة تغلبت على مصينة وطيرنس وبعض من المدائن المجاورة لها وعقدت أثينة معاهدة مع هذه المملكة التى تقوت بهذه الحالة ومن بعد مضى قليل عقدت محالفة أيضا مع مغارة وبواسطة معاهدة مغارة استحوذت أثينة على حكم المعابر والدروب التى يتيسر منها للجيش البلوبونيزى الدخول فى الجريس الوسطى وكذا صار لها الحكم على خليج قريصين فتولد من هذه الاحوال عند اسبرطة البغض الشديد والعداوة الكبرى لاثينة ولاجل تقوية مغارة وصلها الاثينيون مع مينتها بخطى استحكامات متوازيين ورتبوا فيهما عساكر محافظين من عساكرهم

وفى غضون ذلك كانت المحاربات والمجادلات مستمرة مع فارس وكان اسطول الاتحاد الديلوسى محافظا فى سواحل آسيا وفى نحو سنة ٤٦٠ قبل الميلاد تولد من عصيان اناروس فى مصر انتهاز الفرصة للجريق فى ضعف شوكة فارس فى تلك الجهة بمساعدة عصيان احد أقاليمها المهمة جدا عندها وأرسل الجريق المساعدة لمصر وكانت نتيجة ذلك ما ذكرناه سابقا فى تاريخ مصر فى الجزء الاول

ثم خاف كل من قورنته وايبدروس وايجينه من ازدياد شوكة الاثينيين وعلى الخصوص من انقياد الاتحاد الى مقاصد أثينة فعزموا على توقيف ما هو مرعى عندهم أنه من المضار والاخطار فى الطمع فيهم فانهزم هؤلاء المتعاهدون فى واقعة بحرية حصلت بالقرب من ايجينه وخسر الايجينيون جزأ عظيما من اسطولهم وانهزم القورنتيون فى البر شر هزيمة وكانت هذه الهزيمة فاصلة فى الحرب وتقوت أثينة بهذه النصرات التى حصلت لها وأما اسبرطة فانها لم تزل مشغولة فى حصار إثومى ومحاربتها مع الرقيق وان كان شوقها وبغية نوالها أن تشاهد بعينها انكسار خصيمتها الا أنها انجبرت على البقاء فى مركزها تنتظر ما هو حاصل من المنازعات والمضاربات

ولما رأى بيركليس القلاقل والارتباكات المنهملة على بلاده أمر بانشاء الاسوار الطويلة فوصل بها أثينة الى مينتيها بيروس وفاليروم وكان طول السور من أثينة الى فاليروم أربعة أميال ومن فاليروم الى بيروس أربعة أميال ونصف وكانت هذه الاشغال المهولة تعد من عجائب الوقت ومما حصل عند الاثينيين الشماخة العالية

ثم ان اسبرطة صممت على أن تضرب أثينة ضربة قوية وتوقفها عند حدها مهما كان حاصل عندها من أشغال حرب الرقيق فاحتجت فى ذلك بمساعدة الدوريانيين وكان الفوسيانيون أغاروا على أراضيهم وبلادهم وأرسلت قوة مقدارها ١٥٠٠ نفس اسبرطى من عساكرها الثقيلة و ١٠٠٠٠ من عساكر محالفيها الى جهة دوريسه فتقهقر الفوسيانيون وابتدأ الجيش الاسبرطى فى اجراء الحركات الحقيقية من أصل هذه الحملة وهى تدمير شوكة الاثينيين فى بيوطيه وأما نفس اسبرطة فانها أجمعت على عقاب طيبة فى نظير محالفتها مع فارس فى واقعة بلاطية ثم ان الجيش الاسبرطى شرع فى فساد ما عزمت عليه اسبرطة بكونه أعاد بناء أسوار طيبة ثانيا وأخضع لقيادتها مدائن بيوطيه ودعا حزب الاشراف فى أثينة الاسبرطيين للحملة على أطيقة وتوقيف شغل بناء الاسوار الطويلة بما أنهم أجهدوا أنفسهم فى ابطاله ولم يمكنهم تدمير الحكم الديمقراطى فقبل الاسبرطيون هذه الدعوة وأخذوا لهم موقعا

فى طنغره على حدود أطيقة فارتابت الحكومة الاثينية من هذا المقصد وأسرعت فى جمع قوة من العساكر على قدر امكانها وما أمكن توفيره من حصار ايجينه وكان لم يزل هذا الحصار آخذا فى التقدم وسارت هذه القوة على الاسبرطيين فى سنة ٤٥٧ قبل الميلاد وانتشب بين العسكرين واقعة دموية وترك التساليانيون فى حرارة حرب اللاسيديميين فتولد لاسبرطة من هذا الترك حصول النصر ومع هذا فان ما حصل عندهم من الخسائر والتلفيات منعهم من الغارة على أطيقة وتقهقروا الى نواحى بلوبونيزه

وقبل الوقعة كان سيمون حصل عنه الارتياب الشديد من تداخل حزبه فى دسيسة خيانية لاثينة فاسرع الى معسكر الاثينيين من دار منفاه وخضع لهم بكل جمية وغيرة فى أن يسمحوا له فى المحاربة مع أعداء بلاده فلم يقبلوا منه هذا الطلب فخرج من المعسكر الا أنه كفل شرذمة كبيرة من أعز أحبابه وأصدقائه الخاضعين لاوامره وكانوا موجودين فى المعسكر يبذلون ما فى طاقتهم فى خلاص أنفسهم من عار تهمة الخيانة التى نسبت اليهم فحملوا بانفسهم مع البسالة والشجاعة فى الواقعة حتى أزالوا جميع الشبهات التى كانت راكبة فوق ظهورهم وظهر قائدهم وبمجرد عود الجيش الى أثينة أصدر بيركليس أمرا نافيا لامر نفى سيمون

وفى السنة التالية أى فى سنة ٤٥٦ قبل الميلاد سار الاثينيون الى داخل بيوطيه وهزموا البيوطيين فى نواحى عينوفيطه وخربوا جميع ما فعله الاسبرطيون وردوا شوكتهم كما كانت ورتبوا حكومة ديمقراطية ومن بعد مضى قليل صار اضافة فوسيس ولوكريس الى ما تغلب عليه الاثينيون وفى سنة ٤٥٥ قبل الميلاد خضعت ايجينة وصارت حليفة خراجية وتم بناء الاسوار الطويلة ثم أقلع اسطول أثينى وسار حول بلوبونيزه وحرق مين اللاسيديمونيين فى بطونى وعطيوم وفى هذه السنة خلت إثومى من الرقيق والمسينيين فصار يوطن هؤلاء بمعرفة الاميرال الاثينى فى نوباقطوس وهى مدينة فى لوكريان أوظالى بالقرب من فم خليج قورنثة وبواسطة هذه الحملة التزمت أيضا جزيرتا طاسينطوس وسيفالونيا بوصل محالفتهم مع الاثينيين فمن ثم صارت أثينة صاحبة السلطة السامية فى الجريس الوسطى والجريس الشمالية وفى البحر الابيض المتوسط

ثم انه لم يحصل من جهة اسبرطة أدنى كدّ ولا سعى فى مقاومة تقدم أثينة الا انه فى سنة ٤٥٢ قبل الميلاد عقدت هدنة مع أثينة لمدة خمس سنوات وفى نفس هذه السنة أقلع سيمون بالاسطول الى جزيرة قبرص لاجل التغلب على هذه الجزيرة من أيدى الفرس فحاصر سطيوم ثم ارسل قسما من أسطوله الى مصر لاجل مساعدة عصيان الملك أميرطوس وكان لم يزل محجورا عليه فى نواحى مستنقعات الدلتا ومات سيمون من بعد البدء فى الحصار بقليل وعهدت قيادة الاسطول الى اناكسيقراطس وهذا المار أى قلة المؤنة والذخائر عنده رفع الحصار عن سطيوم وأقلع بالاسطول الى سلميس وفى نواحى هذه الجزيرة هزم اسطول الفنيقيين والسلسيانيين وأباده وكان هذا الاسطول موجودا تحت خدمة مملكة فارس ثم أعقب هذه النصرة عقد الصلح مع فارس كما ذكرنا فى تاريخ هذه المملكة

ثم قامت القلاقل والارتباكات مرة أخرى بين أثينة واسبرطة وذلك أن سكان دلفى الذين أصلهم من الدوريانيين أثبتوا حقهم فى تدبير أعمال مدينتهم المقدسة من دون تداخل الفوسيانيين الموجودين على أرضهم بناء مدينتهم فتداخلت اسبرطه فى أمرهم وطردت الفوسيانيين من المدينة وأعادت للدلفيين امتيازاتهم الاولية وأعلنت دلفى نفسها انها فى حالة الاستقلال وكافأت الاسبرطيين من أجل

مساعدتهم

مساعدتهم لها بمحوهم الحق السابق فى استشارة الوحى الدلفى وأقاموا فى وسط المدينة ذئبا من النحاس ونقشوا عليه هذا الامر وهو أن الامتياز فى تيسر الحصول على أول تلبية من الوحى هو من أكبر القيمات حيث ان سلطته على أهل الديانة من الجريق أقوى سلطة وأعظم شوكة وكانت أثينة متمتعة بهذا الامتياز من قبل فارغبت التنازل عنه ثم ترك الاسبرطيون دلفى رغم أنفهم حالما سار بيركليس اليها وأعاد الهيكل الى الفوسيانيين ونقش على الذئب النحاس أمرا يثبت لاثينة حق امتيازها القديم ولما تحقق كثير من منفى بيوطيه أن اسبرطة استقبحت هذا الفعل ودخلت فى أمرهم وكانوا طردوا منها من أجل نزعهم السيادة الاثينية مرة ثانية من بلادهم وضبطوا أورخومينوس وخيرونيه وعدة مدائن غير مهمة فى بيوطيه فقامت حرارة الحرب فى رؤس الاثينيين الا أن بيركليس نصح أهل بلاده فى أن يكونوا فى حالة هدو وسكون فى هذا الوقت لان الفصل غير موافق للاعمال العسكرية لكن استعد ألف نفس من شبان الاثينيين تحت قيادة طولميديس وساروا الى بيوطيا محتقرين شوكة أعدائهم وما رعوا ما قاله بيركليس فتغلبوا على خيرونيه وحفظوها بالاثينيين وبمجرد ما ترك هذا الجيش القليل المحل هجم عليه البيوطيون وقطعوه اربا وقتل طولميديس نفسه وأسر البيوطيون ما بقى من الاثينيين فالتزمت أثينة من أجل المحافظة على الاسرى وعودهم اليها برجوع المنفيين واخلاء بيوطية ورضيت باعادة حكومة الاعيان ثانيا من بعد أن كانت ألغتها وتسبب من خفة عقل الاثينيين وطيشهم ضياع سيادتهم فى بيوطيه وصارت بيوطيه تعد أثينة من ضمن ألد الاعداء اليها ما عدا بلاطيه وأمافوسيه ولوكريس فانهما ضاعا من أثينة أيضا وكذا عصى عليها عيوبيا ومغارا وفى هذا الوقت كان تمام نهاية هدنة الخمس سنوات بين أثينة واسبرطة فاستعد الاسبرطيون لاجل الاخذ بثار الاهانة التى حصلت لهم فى دلفى وكان بيركليس سار فى حملة لاجل اخضاع عيوبيا ثم عاد على الاثر حال تقدم الاسبرطيين وكانوا ساروا الى ضواحى علوسيس وهددوا أثينة فقيل ان بيركليس أنقذ العاصمة من الاسبرطيين بكونه رشى بليسطونيا كس ملك اسبرطة وكلينذريديس وصيه ونائبه وكذا بخصوص انجلائهم عن المملكة وعاد بيركليس الى غزوته فى عيوبيا وأرغم الجزيرة الى الطاعة والانقياد ومع هذا فان الاثينيين لم يكتسبوا أدنى فائدة من النجاح ولما خافوا من الاخطار المهددة لهم عقدوا فى سنة ٤٤٥ قبل الميلاد هدنة لمدة ثلاثين سنة مع اسبرطة وبواسطة هذه الهدنة تنازلوا عن جميع ما استحوذوا عليه فى بلوبونيزه ورضوا بأن مغارا تكون حليفة لاسبرطة وصار بيركليس الذى كان غير معتمد عند أهل بلاده بخصوص ما حصل من اجراآته فى نتائج الحرب على غاية من الوثوق والاعتماد زيادة عن الاول عند أهل بلاده

ووصلت أثينة فى مدة بيركليس الى أعلى درجات مجدها وشوكتها وأعظم مدة كانت فى تاريخها هى المدة التى مضت بين نصرة عينوفيطه فى سنة ٤٥٦ قبل الميلاد وبين الهزيمة التى حصلت فى خيرونيا سنة ٤٤٧ قبل الميلاد ومن بعد مضى هدنة الثلاثين سنة شرع بيركليس فى اجراء سياسة جعل بها أثينة أشهر مدينة وأعظمها فى الممالك الجريسية وحصلت مشاغبات وارتباكات فاز الها وأخمدها وعده حزب الاشراف بأنه أحد الرجال المشهورين الذين لا تخدش أوامرهم واكتسب الثقة العظيمة مع طوائف أرباب التجارة فكان يدافع عنهم ويقويهم على الاعمال التجارية وبواسطة سيره العادل مع جميع الطوائف فيما يختص بالفوائد العائدة منه النفع عليهم صار لهم الثقة العظيمة به وقواهم على حالة معيشتهم بنشره بينهم الاشغال والحرف والصنائع ثم شرع فى أن يجعل أثينة أشهر مدينة وأجلها فى

الدنيا وأن تكون مركزا الفنون والصنائع ومنبعا عذبا تسيل منه جميع النظامات العالية الشرف على جميع الامم الاخر فتساعد على ذلك بالاشغال الغريبة والفيض العميم من تبعته ورعايا مملكته وبكثرة المدخولات حسبما يطلب وفى ظرف المدة القليلة التى مضت بين هدنة الثلاثين سنة ومبادى الحرب البلو بونيزى صارت أثينة أعجوبة الدنيا القديمة وعجيبة العصور المتوسطة فكانت المدينة مزينة ومحلاة بانواع الابنية العمومية الظريفة وبنى البارثينون المفتخر أو هيكل أثينى على أكرو بوليس على مقتضى تصميمات ورسم اقطينوس وقاليقراطيس وكان فيدياس ناظرا على بنائه وتشييده وحلاه باعظم النقوش الجميلة مع تمثال أثينى المصنوع من العاج وعلوه سبعة وأربعون قدما وكذا صار بناء الاوديوم وهو تياتر وأو محل الملاعب الموسيقية فى الجهة الجنوبية الشرقية من ذيل اكروبولى وشرع فى اعادة بناء ارخطيوم أو المعبد القديم لاثينى بولياس الا انه تولد من حصول الحرب البلو بونيزى توقيف الشغل فى هذا المعبد وتحلت أكرو بوليس بمدخل بهج فى الجهة الغربية سموه برو بيليا وكانت المدينة ظريفة منبعا للصنائع والحرف وبنى سور ثالث موازى للاسوار الطويلة بين أثينة وبيروس ومن ثم صارت المواصلة مع المينة على غاية من المحافظة وكانت بيروس نفسها جميلة منتظمة فانشأ فيها رصيفا وترسانة للتعمير

ولاجل مدوتوسيع نفوذ أثينة وسيادتها وعلو شوكتها شرعت فى انشاء مستعمرات فى خرصونس من أعمال تراسة وفى ناكسوس واندروس حتى على سواحل البحر الاسود وفى لمنوس وامبروس وصكيروس وفى الجهة الشمالية من عيوبيا غرست فيها أيضا مستعمرات

وأقامت أثينة فى مدة بيركليس مملكتها الحقيقية بحيث ان الاختلافات والمصائب التى وقعت عليها لم تحرم أثينة من مملكتها أبدا ومازالت هذه المملكة تقاسى المصاعب والمتاعب حتى استراحت فى الايام الحاضرة من بعد أن خرجت من الاستعباد التركى وملكت حرية نفسها وكذا انتشرت فيها الآداب الخالية من العوارض القديمة على منوال عظيم وكانت هذه المدة مزينة باسم اصقيلوس الاب الحقيقى للروايات الهلينية والاحاديث الجريقية وصوفوكليس وأوريبيديس أكبر خلفائه وأريسطوفانيس مخترع الروايات التشخيصية فى أثينة وألف صديديس وكسنفون تاريخا فى حقيقة مجدها ورمى سيقراطيس أساس الفلسفة الجريسية الدقيقة الغامضة التأليف وكذا الاشغال المفتخرة التى اخترعها فيدياس والنقوش الجميلة التى لم تزل لحد الآن أنموذجا فى الصنائع والاشغال منسوبة لهذه المدة واخترع ظوكسيس وبراسيوس فن النقش بالبوية وأوصلاها الى أعلى درجات الظرافة وكانت الاشغال الاختراعية فى هذه المدة من أغرب ما يكون من البساطة ومن مدة طويلة كانت أعضاء الاتحاد الديلوسى ينظرون الى الاحوال الجارية عند أثينة بعين النفور وعدم القبول والخوف واستمرت هذه المملكة فى استعمالها شوكة الاتحاد ونفوذه فى تقدم منافعها الخاصة بها وجعلت جميع أعضاء الاتحاد خراجية لها ماعدا جزيرة خيوس وساموس ولسبوس وكان مدخول الاتحاد ٦٠٠ وزنة سنويا وهذا يزيد عن نصف المدخول الكلى لاثينة وكان الاثينيون يثبتون فى استعمالهم هذه المبالغ على أنه متى كانت أثينة قوية الشوكة كما هو مطلوب الاتحاد فيكون لها استعداد حاضر كاف فى الخروج الى ميدان الحروب للمدافعة عن الاتحاد فى أى وقت وكانت مالية الاتحاد الديلوسى صار نقلها من ديلوس الى أثينة واعتقد أعضاء الاتحاد بانهم يدفعون خراجا فقط

لاسيادهم

لاسيادهم وان بيركليس بوفرسنويا من هذا الخراج مقدارا احتياطيا لاجل لزوم استعماله فيما يتعلق باحتياجات الاتحاد فوصل هذا المبلغ الى ٦٠٠٠ وزنة أو ٧٠٠٠٠٠٠ دولر الى حد اشتعال الحرب البلوبونيزى

ولما اشتبكت ساموس فى منازعة مع الميليسيانيين حول الميليسيانيون فصل مادتهم بواسطة عقد مجلس عرفى فى أثينة وكانت ساموس أكبر وأعظم أعضاء الاتحاد لحد هذا الوقت فلم تقبل ساموس الفصل بواسطة المجلس العرفى فعزمت أثينة على ارغامها وقبولها ذلك بالقوة الجبرية وأرسلت حملة مؤلفة من أربعين سفينة تحت قيادة بيركليس على هذه الجزيرة فأرغمها على الانقياد والطاعة ورتب فى الجزيرة حكومة ديمقراطية بدل هيئة حكومة الاعيان التى كانت موجودة فيها من قديم الزمان ولما سار بيركليس من الجزيرة طرد أهل ساموس هيئة الحكومة التى رتبها بيركليس وأعادوا هيئة حكومتهم الاصلية ولما انضموا الى بيزانطيوم عصوا وجاهروا على أثينة فى سنة ٤٤٠ قبل الميلاد فأخمد هذا العصيان من بعد حرب استمرت تسعة أشهر وبطش بيركليس بساموس وبيزانطيوم وأوقع عليهم العقاب الشديد وتولد من نصرة أثينة زيادة درجة العداوة التى كان يتطير بها اليها كثير من الممالك الجريقية وكان من الواضح انه على أى حالة ولو صغيرة جدا ربما يقوم عليها حزب أو جمع أقوى شوكة تكون اسبرطة هى القائدة له

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ الحرب البلوبونيزى أو المورى ﴾

عصيان قورصيره على قورنثه ـ مساعدة أثينة قورصيره ـ طلبات اسبرطة ـ استعداد أثينة للحرب ـ مبادى الحرب البلوبونيزى ـ حرب العشر سنوات ـ اغارة الاسبرطيين على أطيقه ـ الازدحام فى أثينة ـ حزم بيركليس وفطانته ـ الهجوم عليه ـ كليون الدباغ ـ الطاعون فى أثينة ـ سقوط بيركليس ـ موته ـ حداد الاثينيين عليه ـ خراب بلاطيه ـ ثورة مطلينه ـ أوامر كليون بالحكم على موت الاهالى ـ ابطال الامر ـ تقدم الحرب ـ نصرة الاسطول الاثينى فى بيلوس ـ ميل اسبرطة للصلح ـ منع كليون الفصل فى الحكم ـ البخت الطيب للدباغ ـ هزيمة الاسبرطيين فى سفاكطريا ـ مصائب أثينة ـ مخابرات فى الصلح ـ موت كليون وبراسيداس ـ صلح نسياس ـ الشبيادس ـ خضوع أرغوس لاسبرطة ـ الحملة السيسليانيه ـ حصار سراقوسه ـ خسارات الجيش الاثينى والاسطول ـ وقوع الرعب فى أثينة ـ الحرب الدسليانى ـ خيانة الشبيادس ـ فوز الاثينيين على أخصامهم ـ وثوق ساموس ـ نجاح أثينة فى الشرق بحث الشبيادس فى عوده الى أثينة ـ مساعدته أهل بلاده ـ اجتهادات أثينة القوية ـ سياسة الفرس نحو الجريق ـ واقعة صينوصمه ـ عود الشبيادس الى أثينة ـ اعطاء فارس مساعدة قوية لاسبرطة ـ ليصندر ـ سقوط الشبيادس ـ واقعة أرغينوسى ـ واقعة اغوسبوطماى ـ انحطاط سيادة أثينة ودمارها ـ تسليم أثينة للاسبرطيين ـ الثلاثون طاغية ـ تسلطن الفزع ـ قتل الشبيادس ـ رجوع الاعمال ضد الثلاثين ـ رجوع المنفيين تحت طراسيبولوس ـ سقوط الثلاثين ـ عود القانون والنظام فى أثينة

ولما انكشفت حقيقة الاحوال للقواد الاثينية أو الرؤساء انفجرت منازعة بين قورثه ومستعمراتها قورصيرة فى سنة ٤٣٥ قبل الميلاد فدخلت فيها أثينة معضدة للقورصيريين ومن ثم حصل عقد المشاكل على التورفانعقد مجلس فى اسبرطة مؤلف من عموم نواب الممالك البولوبونيزيه واستقر رأى هذا المجلس على اشعال حرب على أثينة تحت قيادة اسبرطة فى سنة ٤٣١ قبل الميلاد فطلبت اسبرطة بصفة كونها مدافعة عن الاتحاد الدوريانى من أثينة بعض طلبات أو منح من ضمنها نفى بيركليس من أثينة ثم تنازل أثينة عن قيادتها الاتحاد الديلويى فلم تسمح أثينة بتنفيذ هذه الطلبات ورفضتها بالكلية فمع أن أثينة ما كانت عازمة على اجراء حرب الا أنها استعدت للاقاته

وأسرعت المبارزات وانتشبت الحروب بواسطة عمل هجوم خيانى حصل من الطيبين على مدينة بلاطية الصغيرة وكانت على صداقتها مع أثينة فانهزم هذا الهجوم وأسر أهل بلاطية الطيبين وبخيانة مثل هذه الخيانة التى حصلت فى الهجوم ذبح البلاطيون أسراهم وجلبوا على أنفسهم انتقام وبطش أعداء أثينة

ثم ان جميع الجهات شرعوا فى الاستعدادات الحربية مع الشدة والعزم ودخل مع اسبرطة فى هذه المادة جميع الممالك البلوبونيزية مع مغارة وبيوطية وفوسيس وأو بنطيان لوكريس وامبراثيا ولوكاديا وأنقطوريا ماعدا أخايا وأرغوس وكانت جيوشهم قوية على غاية من الاستعداد الأن أسطولهم كان أقل من أسطول أثينة ومع هذا فكان للمخالفين أمل فى أن يكون لهم طاقة على تطقيم أسطول مؤلف من ٥٠٠ سفينة حربية ويتقوون بمساعدة الاسطول الفنيقى بواسطة محالفة تعقد مع فارس وكان محالفوا أثينة الموجودون على البر الاصيل تساليا وأكرنانيا ومدائن نوبافطوس وبلاطية ويضاف الى هذه ممالكها الخراجية على ساحل تراسة وساحل آسيا الصغرى وجزائر السكلادة وكذا الجزائر الصغيرة المحالفة لها مثل خيوس ولسبوس وقورصيرة وظاكنطوس وفى المدة الاخيرة دخلت معها سفالونيا وجمع الاسبرطيون وماوالاهم من المحالفين جيشا يختلف مقداره فى العدد من ٦٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ نفس فى برزخ قورنثه وعهدت قيادة هذا الجيش الى ارشيدامنوس ملك اسبرطة فزحف على أطيقة فى نحو منتصف يونيه من سنة ٤٣١ قبل الميلاد

وامتد الحرب البلوبونيزى الذى ابتدأ بهذه الحالة سبعا وعشرين سنة وانقسم الى ثلاث مدد ممتازة فالاولى حرب العشر سنوات والثانية حملة سيسيليا والثالثة الحرب الدسليانى وتولد من هذه الحروب أيام منحوسة وأوقات منعوسة على الممالك الجريسية ماطرأت فى البحث جزيرة أبدا قبل ذلك

فأما المدة الاولى وهى مدة حرب العشر سنوات فان الحرب انتشب فيها من سنة ٤٣١ الى سنة ٤٢١ قبل الميلاد وذلك أنه بمجرد اغارة البلوبونيزيين على أطيقة هرب سكان المدائن المفتوحة والقرى المكشوفة الغير محمية والتجؤا فى داخل أسوار أثينة وازدحمت المدينة وغصت بسكانها وامتلأت محلات الاسواق والميادين العمومية والخلال الكائنة بين الاسوار الطويلة بالاخصاص والخيام وصار لا يوجد موضع من الارض يضع الانسان فيه قدمه من ازدحام أهل السواد والارياف فى سكناهم الوقتية حتى ان الناس سكنوا فى محلات بجوار الاسوار الطويلة

وفى غضون ذلك زحف الجيش البلوبونيزى على أخرنية بعد أن خرب سهل تراسية وعسكر فوق أرض عالية على مرأى من أثينة وعلى مسافة سبعة أميال منها وحصل منه الدمار والخراب فى كل جهة

من

من جهات المملكة وكانت أفعالهم هذه على مشاهدة من أعين الجيش الاثيني وكان فى داخل أسوار المدينة فصارت عساكره تزعق بصوت عال دعونا نخرج اليهم وأما بيركليس فما كان فى رغبته أن يخاطر على الخروج فى الميدان الى الحرب مع قوة قليلة مثل قوته بل كان مقصده ورغبته خروج العدو من أطيقة بواسطة اجرائه هجوما على بلوبونيزه فسار فى هذا التدبير مع الثبات وحزم الرأى وأجرى هجومات متواصلة أثبتت له شجاعته وحب وطنه واشتهر بين قواد تلك الهجومات على السياسى الاكبر كليون وكان كليون هذا زنديقا من أرباب الغارات وكان دباغا ومن المفسدين فى الارض فأراد أن يعمل عملا جليلا يشتهر به فى عصره فدخل فى الحروب وأطلق عليه اسم أبو الغارات وأسرع بيركليس فى جمع أسطول مؤلف من ١٠٠ سفينة من السفن الاثينية وخمسين سفينة من سفن قورصيرة وأرسل هذا الاسطول لاجل تخريب سواحل بلوبونيزه وأرسل أسطولا صغيرا مؤلفا من ٣٠ سفينة لاجل الهجوم على فوسيس ولوكريس فكانت هذه الغزوات على غاية من الظفر حتى التزم البلوبونيزيون على ترك أطيقة من بعد حروب غير قاطعة امتدت ثلاثة أسابيع لانهم انجبروا على حفظ بلادهم وحمايتها

وفى فصل ربيع سنة ٤٣٠ قبل الميلاد أغار البلوبونيزيون على أطيقة مرة أخرى تحت قيادة أرشيدامنوس وفى هذا الوقت انفجر الطاعون فى أثينة وتسبب منه موت مفزع فى الاهالى المزدحمة على بعضهم افقام جميع الطوائف مخالفين على بيركليس ورفضوا أعماله واجراآته لانه كان أصلا لحصول الغم والاكدار التى حاقت بهم مع أن عزمه فى الحقيقة وحزمه على حفظهم ونجاة أنفسهم ومع هذا فان بيركليس سار فى مشروعه مع الثبات من دون صدولا منع ولا تزعزع لانه كان متحققا أن أثينة لاطاقة لها على أعدائها فى البروان المخاطرة من غير تدبير فى انتشاب واقعة ربما يحصل منها عاقبة خطرة على بلاده فلاجل خلاص أطيقة جهز غزوة بحرية أخرى وقادها بنفسه لاجل خراب سواحل بلوبونيزه ولما رجع الى أثينة وجد المخالفين له ازدادوا قوة وتجاسروا فى مدة غيابه حتى أرسلوا رسلا الى اسبرطة فى طلب الصلح فطرد الاسبرطيون الرسل مع الاهانة والذل من دون أن يسمعوا منهم شيأ وهذه الحالة كانت على بيركليس من أشد الاحوال فطلب السياسى الاكبر فى الحال التئام مجلس عام وتجمع فى تحريض وحث أهل بلده على الحرب الا أنه لم يتيسر له الحصول على أن يزيل ما زرع فى قلوبهم من عدم الثقة به حتى اتهمه كليون أبو الغارات مجاهرة أمام المجلس باختلاس أموال المالية وسرقتها فأمل أعداء بيركليس بأن اثبات هذه التهمة عليه موجب لخلعه وعزله من الوظيفة العمومية ومن ثم صار محاكمته أمام الجمهور بشأن هذه التهمة وحكم عليه بدفع غرامة كبيرة ثم ظهر من الدلائل لعموم الناس أنهم كانوا قادوا أنفسهم الى ظلم وجور بغير عدل وانصاف على عظيم قوادهم فأقاموا أعماله كما كانت وانتخب فى الانتخاب العام والظاهر أنه نال مرة ثانية ثقة أهل بلاده ومحبتهم له ومع هذا فان مثل هذا العدل جاء فى وقت متأخر وهو آخر حياته

ومات فى الطاعون كثير من أصدقائه وأحبائه الذين كان يثق بهم ويثقون به من أرباب السياسة وأهل المعارف وماتت أخته وولدان له شرعيان وفى أثناء احتفالات جنازة ولده الاصغر ذهب عزم بيركليس وثباته وسكب عبراته على خدوده أمام الامة وصار بيته القديم خاليا من وارث يرثه وان ابنه الباقى على قيد الحياة وهو ابن اسباسيا ابن غير شرعى ثم ان الاثينيين جعلوا هذا الابن شرعيا تكفيرا لما حصل منهم

من الظلم والجور الذى عاملوا به أباه وسموه بيركايس ومن بعد مضى سنة اضطجع القائد الاكبر على فراش موته ولما تذكر أصدقاؤه حسن مساعيه ومشروعاته وقت نعيهم عليه حسرة على فراقه أدار وجهه اليهم وقال لهم كل ما تثنون به على جزء من السعادة العظيمة وكنت أنا مشتركا فى جميع الوقائع العمومية مع قواد أخر فبأى شىء أرا أفتخر بنفسى فى شىء لم تتذكره أهل أثينة فى حقى حتى ولا الحزن على أو قال بيركايس ان كثيرا من القواد حصل لهم النجاح وان المدح الذى أطلبه هو أنى لا أمر أحدا من الاثينيين بلبس الحداد على ومات فى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد هذا الرجل العظيم الجرسى السياسى المدبر ولبس عليه الحداد كامل الامة ونعوه وقت موته وكان يوم موته حزنا عاما فى أثينة عند جميع طوائف أهلها

وفى أثناء ذلك كان الحرب جاريا مجراه وفى الحرب الثانى سنة ٤٣٠ قبل الميلاد حزب البلوبونيزيون جميع جهات أطيقة حتى نهبوا معادن الفضة الموجودة فى لوريوم وخربا سطوا لهم مغاصات اللؤلؤ ومحلات صيد الاسماك وخربت جزيرة ظاكينطوس وأما النجاح الوحيد الذى حصل للاثينيين فهو تغلبهم على بوطيديه وهذه سلمت من بعد حصار استمر سنتين وكانت محتلة بمستعمرة أثينية مؤلفة من ألف شخص

وفى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد سار الاسبرطيون الى بلاطية ووضعوا حصارهم عليها فاجتهد البلاطيون فى رجوعهم عنها واذكروهم بالقسم الجليل الذى حلفه النائب الاسبرطى بوسانياس من بعد النصرة الكبيرة التى كانت حصلت فى بلاطية بان هذه المدينة الصغيرة يلزم أن تكون مقدسة الى الابد ولا يحصل فيها محاربات فأجاب الاسبرطيون بانهم يحترمون هذا القسم لو تركت بلاطية محالفة أثينة فافتكر أهل المدينة أنهم الآن صاروا عرضة للانتقام والبطش بهم من هؤلاء المعاهدين فى نظير ذبحهم الاسرى من الطيبيين فلم يقبل البلاطيون ترك محالفتهم أثينة فتغلبوا على مدينتهم بعد أن دافع البلاطيون عنها مدافعة قوية وبذلوا جهدهم فيها مدة امتدت نحو سنتين وقتل الاسبرطيون كل من كان فيها من السكان ودمروا المدينة بالكلية وأعطوا أراضيها الاهل طيبة وفى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد هزم أسطول أثينى مؤلف من عشرين سفينة أسطولا اسبرطيا مؤلفا من سبع وأربعين سفينة ونال هذا الاسطول نصرة ثانية على أسطول اسبرطى تألف جديدا وكان مركبا من سبع وسبعين سفينة وهاتان الواقعتان حصلتا فى خليج قورنثه

وفى السنة الرابعة من الحرب عصت مطلينه عاصمة جزيرة لسبوس على أثينة وطلبت من اسبرطة حمايتها لها فصار قبولها فى الاتحاد البلوبونيزى وأرسل أسطول اسبرطى لمساعدة عصيان هذه المدينة فى فصل ربيع سنة ٤٢٧ قبل الميلاد الا أن الاثينيين استردوا المدينة قبل وصول الاسطول الاسبرطى اليها وكان الاثينيون حاصروا مدينة مطلينه بمجرد عصيانها من دون اهمال وان معظم الاهالى الذين رجحوا حكم الاثينيين على حكم هيئة الاعيان عندهم قاموا فى ثورة وأرغموا حاكم المدينة على التسليم والانقياد للاسطول الاثينى واحتل الاثينيون المدينة وآلت عاقبة أمرها الى ما تختاره أثينة فى أمرها وأهلها وبواسطة ما كان لكليون من النفوذ والسلطة فى المجلس أصدر المجلس أمرا بقتل رجال مطلينه واسترقاق النساء والاولاد وخيفة من رد هذا الحكم البربرى الفظيع أمر كليون بتسفير سفينة حربية فى الحال الى لسبوس بأوامر المجلس ثم تفكر الاثينيون ليلا وفى صباح اليوم الثانى

طلبوا انعقاد المجلس ثانيا فنبه لهم بانعقاده من طرف القائد العمومى ولما كان انعقاده بهذه الحالة مخالفا لمواد القانون المدنى ألغى فى المجلس الامر الذى صدر منه فى اليوم السابق بشأن أهل مطلينة وصدر أمر خلافه بابطاله وتعين لذلك مركب حربى سريع الجرى على ظهر الماء وصار تجهيزه بحرية من أقوى وأجود البحرية وأمروا قائده فى الحال بالسفر والاسعاف بتوصيل الامر الى حاكم لسبوس قبل أن يقضى تنفيذ الامر الذى أرسل اليه أمس وأن تبذل البحرية جهدهم ووعدوهم بالمكافأة وحسن الالتفات اليهم لو وصلوا فى الوقت الى لسبوس بالامر القاضى بالغاء أمر قتل رجال أهل مطلينة فانجذبت قوى البحرية الى المجاديف فكانوا يناموون عليها ويأكلون ويشربون وهم يشتغلون على مجاديفهم ومن السعادة أنه كان الطقس صحوا جدا فوصلوا لسبوس فى الوقت الذى كان فيه القائد الاثينى مستعدا لتنفيذ حكم ما فى الامر الاول وعوقبت المدينة بهدم أسوارها وتسليم أسطولها الى الاثينيين وقتل رؤساء هيئة حكومة الاعيان التى كانت بها

ثم ان قورنثه عزمت على الاستحواذ على جزيرة قورصيره وخروجها من معاهدة أثينة على شرط أن تسلم للقورصيريين أسراهم الذين كانت قورنثه أسرتهم فى سنة ٤٣٢ قبل الميلاد ولما وصلت هذه الاخبار الى قورصيرة تولد منها حرب داخلى كانت نتيجته هلاك ودمار هيئة حكومة أعيان قورصيرة

وكانت سنة ٤٢٦ قبل الميلاد خالية من الوقائع والحوادث الحربية الا أن كثرة الحرائق المتسببة من حصول النيران وكذا الغرق الذى حصل من طوفان المياه فى جميع جهات الممالك الجريسية زعزع هذه المملكة من جميع نواحيها الشاسعة وزار الطاعون مرة ثانية أثينة وفى السنة التالية حصلت واقعة فى أطيقة من الاسبرطيين تحت قيادة ملكهم أغيس الا أن الاسبرطيين انسحبوا من أطيقة على وجه السرعة خائفين من نجاح الاثينيين فى انشائهم موقعا بحريا فى جهة بيلوس على ساحل مسينة ومنه يجتهدون ويسعون فى تهييج ثورة الرقيق من الاهالى وسار الجيش الاسبرطى فى الحال على بيلوس وكان صار التغلب عليها بفرقة صغيرة من الاثينيين تحت قيادة ديوسطنس وهجم الجيش الاسبرطى مرتين على بيلوس وجرى صده من القوة الصغيرة ثم امتنع الجيش من اجراء هجوم ثالث لما رأى سرعة وصول الاسطول الاثينى وفى اليوم الثالث هجم الاميرال الاثينى على الاسبرطيين فى مينة بيلوس وأوقع عليهم هزيمة شديدة فخسر البلوبونيزيون كثيرا من مراكبهم ولم ينج منها الا ما كان قريبا من البر ثم ان الاسطول الاثينى حاصر جزيرة سفاكطريا وكان زهرة الجيش الاسبرطى معسكرا فيها فحصل الخطب الجسيم والفزع الكبير المهدد لهؤلاء العساكر وكان أكثرهم من أهل مدينة اسبرطة من أولاد الامراء والوجوه حتى وصل اليهم حكام اسبرطة وجاؤا الى بيلوس واختبروا الموقع بأنفسهم ورأوا أنه لا يوجد أسلم عاقبة فى خلاص هؤلاء العساكر من عقد صلح فحرروا فى بيلوس هدنة وسفروا بها سفيرا الى أثينة من أجل طلب الصلح

فتعالى الاثينيون عند ما رأوا اسبرطة مع كبريائها مائلة الى الصلح وتعشم العقلاء من أهل مدينة أثينة فى فصل هذه المادة من الحرب بطريقة سلمية الا أن النتيجة كانت بغير ما أملوا وذلك أن كليون أبا الغارات والشقاق حث أهل بلده وحرضهم على اجراء الصلح على حسب الشروط التى ما كانت قبلتها اسبرطة فى الابتداء وهى فى حالة عظمتها وشماختها فمن ثم تجددت المشاحنات والمبارزات ثانية ولما خاف ديوسطنس من فصل الشتاء الذى قرب حلوله ربما يلزمه رفع الحصار عن جزيرة سفاكطريا

ويتولد من ذلك نجاة الاسبرطيين وخلاصهم الى البر الاصيل عزم على اجراء هجوم فى الحال لكنه لاحظ أن قوته ضعيفة جدا عن اجراء هجوم مثل هذا فأرسل الى أثينة بتوضيح رأيه وطلب منها مددا يساعده على الهجوم فضعف ثبات وعزم المجلس من هذا التقرير ولعنوا كليون لانه كان سببا فى ضياع الفرصة من عقد صلح شريف فأجاب أبو الغارات كليون بان رسل ديموسطنس لم ينقلوا حوادث الواقعة بالصدق وصرف النظر عن جهة الامداد وشرع بذم القواد ويقدح فى حقهم ويقول انهم ليسوا كفؤا لمثل هذه الاشغال ولو كان هو القائد الاكبر لامكنه أخذ الجزيرة والتغلب عليها فى الوقت فسأله خصمه السياسى نسياس مع الاستهزاء والازدراء وقال له لماذا لم تتوجه حينئذ فضحك المجلس مع القهقهة من تفاخر كليون وعجبه فتأثر الدباغ من كلام نسياس وأقواله وقرر المجلس أن كليون يلزم أن يأخذ قيادة پيلوس ويظهر فخر كبريائه ومن بعد أن حاول كليون بغير طائل فى خلاص نفسه من توجهه الى هذا الشرف المضر بحالته اتفق على أن يشرع فى هذا الشغل فسار ولم يأخذ معه من التقويات الاثينية أحدا بل أخذ معه قوة قليلة من الخطر به ووعد أهل أثينة فى وقت سفره بأنه يأخذ الجزيرة فى ظرف عشرين يوما وأنه فى ظرف هذه المدة اما ان يبيد القوة الاسبرطية أو يجلبها مغلولة فى السلاسل والاغلال الى أثينة ولما وصل پيلوس كان ديموسطنس أعد فيها جميع استعدادات الهجوم وكان منتظرا ورود الامداد من طرف أثينة فاستلم كليون قيادة الاسطول وعلى حسب ماله من السعادة الازلية نجح فى هجومه الذى أجراه وتغلب على جزيرة سفاكطريا وأسر جميع محافظيها الذين بقوا على قيد الحياة وصار تحصين مينة پيلوس تحصينا قويا وحفظت بعساكر من المسينيين وجعلت أساسا للحركات الحربية القابلة ضد اسبرطه وسافر كليون وديموسطنس الى أثينة مع الاسرى وكان ذهابه وايابه عشرين يوما ولما نال كليون احدى المظفرات الجليلة فى الحروب صار له نفوذ زائد فى المملكة وكان ذلك من سعادته الكبرى ومن حزم رأى ديموسطنس وتولد من التغلب على أسرى الاسبرطيين أن صار للاثينيين طاقة على صد حركات أعدائهم مع الثبات ومنعهم من الغارة على أراضيهم وهددوهم بقتل الاسرى ان فعلوا أدنى حركة مغايرة لاثينة ولما رأى الاسبرطيون عدم فائدة فيما كانوا ساعين فيه كرروا تجديد عقد الصلح فأعرض الاثينيون عن كل طلبات اسبرطه وأعاروهم أذنا صماء

وفى السنة الثامنة من الحرب أى فى سنة ٤٢٤ قبل الميلاد فتح للاثينيين باب القوة والنشاط ومن ثم اتجهت نحوهم نتائج المظفرات وذلك أنه فى مبادى القسم الاول من السنة تحسن نجاح أحوالهم بواسطة التغلب على جزيرة سيطيرة بواسطة نسياس ورتب محافظين من الاثينيين فى عاصمتيها الاصليتين ومن بعد هذا خرب ساحل لاقونيا وتغلب على مدينة طيرياو كان متوطنا فيها الايجيناطيون بمعرفة الاسبرطيين من بعد ضياع جزيرتهم وقتل الاثينيون جميع من كان موجودا على قيد الحياة من أهل ايجينه بطرائق بربرية وحشية

ثم ان الاثينيين تعالوا وتعاظموا بما حصل لهم من هذه المظفرات وشرعوا فى استرداد عموم الاراضى التى كانت تحت أيديهم قبل هدنة الثلاثين سنة فنالوا بعض نصرات فى نواحى مغارة لكنهم هزموا هزيمة شديدة فى بيوطية وفى نحو هذا الوقت صار التغلب على بعض التبعة التراسيانية والبعض دخل فى الاتحاد البلوپونيزى بواسطة القائد براسيداس الاسبرطى وأخضع هذا القائد أيضا غالب الجهة

الشرقية

الشرقية من بحيث جزيرة كالشيدونه ثم حصل الضعف الموجع لاثينة واشتاق الاسبرطيون لخلاص أهلهم الذين كانوا أسروا في سفا كطريا بمعرفة الاثينيين ورغب كل من الفريقين في الصلح فعقدوا هدنة لمدة سنة في سنة ٤٢٣ قبل الميلاد وشرعوا في مخابرات من أجل عقد صلح دائمي فتأخر هذا المشروع بضع أيام بسبب ما حصل من عصيان مدينة صكيوني وكان أهلها مالوا الى جهة براسيداس وبما أن مواد الهدنة تمنع حصول التغيير في أي شئ من اجراات الاعمال طلب الاثينيون استرداد المدينة فلم يقبل براسيداس هذا الطلب وبواسطة تحريض كليون صار تسفير جملة تحت قيادته لاسترداد مدينة صكيوني وقتل أهلها فتغلب كليون على مدينتي طوروني وغالبصوص وزحف على امفيوليس فوجد براسيداس شاداعليه طرائق مسالكه وتقدمانه فانتشبت بينهما واقعة شديدة انهزم فيها الاثينيون وقتل كليون وأراح الله منه بلده من أعماله الفاسدة وجرح براسيداس جرحا بليغا هلك منه

ويولد من بعد موت كليون و براسيداس زوال جميع المصاعب والعوائق الاصلية من أجل حصول الصلح فعقد صلح عام في فصل ربيع سنة ٤٢١ قبل الميلاد بين اسبرطة وأثينة يتضمن هذا العقد سلما مدة خمسين سنة وعرف هذا الصلح بمعاهدة نسياس ثم ان البعض من محالفي اسبرطة تضرروا وأذاعوا بان اسبرطة مجرية صرف مكاسبها فيما يعود منه النفع على خاصة نفسها وسحبوا أنفسهم من الاتحاد البلوبونيزي وشكلوا اتحادا جديدا تحت قيادة ارغوس فعقدت أثينة في الحال معاهدة مع أرغوس وعليس ومنطينة لمدة مائة سنة وكان هذا في سنة ٤٢٠ قبل الميلاد وكان توصيل الاثينيين الى هذه الدرجة بمساعي الثيبادس وكان في الابتداء صديق اسبرطة الا أنه تغير حاله حتى صار العدو الالد لهذه المملكة نظير ما حصل له منها من الخسة والازدراء في عدم تقدم سيره وكان كامل الاوصاف في القيادة العسكرية والشجاعة والاقدام من بين القواد الحربسية الا أنه كان زنيما فاسد الطبع فظا غليظا وبمجرد موت كليون صار هو قائد ورئيس الحزب الوطني ليس محبة في الامة بل واسطة لمطامعه البعيدة ثم نشأ من المنازعات التي حصلت بين اسبرطة وأرغوس أن كانت نتائجها اشعال حرب نال فيه أغيس ملك اسبرطة نصرة جليلة في منطينة سنة ٤١٨ قبل الميلاد فقوت هذه النصرة حزب الاعيان وهم هيئة الحكومة في أرغوس فأبطل هذا الحزب الحكومة ونكث معاهدة أثينة وعقد معاهدة مع اسبرطة ثم فاز الاهالي أخيرا بطرد هذا الحزب واخراجه من أرغوس وطلبوا مساعدتهم من أثينة فسافر من أثينة أسطول وجيش لمساعدتهم تحت قيادة الثيبادس ولم يحصل من هذه الحملة نتيجة قاطعة واستمر الصلح بين أثينة واسبرطة مرعيا في الاسم لا في الجسم وكل هذا جار في مدة تخريب محافظي بيلوس لاقونيا وارسال الاسبرطيين بمثل ذلك سفنا مخصوصة تغير في البحر على التجارة الاثينية وتسلبها

وأما المدة الثانية وهي الحملة السيسيليانية فكانت من سنة ٤١٥ الى سنة ٤١٣ قبل الميلاد وذلك أنه في نحو سنة ٤١٦ قبل الميلاد نشأ من منازعات المستعمرات الجريقية في سيسيليا احياء الحرب الاكبر بين الجنس اليوناني والجنس الدورياني واشتبكت مدينتا أغسطه وسلنوس في محاربة بينهما فاستغاثت مدينة أغسطه بأثينة في مساعدتها على سلنوس فنحتها طلبها ولما غش الاغسطانيون الاثينيين في عدم اعطائهم حقهم من المصاريف الحربية بما أنهم قادرون على دفعها وفصلوا الامر في عدم الدفع سافر اسطول أثيني الى أغسطه تحت قيادة نسياس والثيبادس ولماخوس في

سنة ٤١٥ قبل الميلاد وكان الثيبادس لعن مجاهرة من أجل انتهاكه الحرمات فسافر متوجعا من هذا اللعن والذم الذى تعلق برقبته وبمجرد الوصول الى ساحل سيسيليا عرف القواد الاثينيون الخديعة التى غش بها الاغسطانيون أهل بلادهم وتحيروا فيما يجب اجراؤه فقال كل واحد منهم رأيا ومع هذا فانهم استحسنوا ماقاله الثيبادس من الرأى وهو أنهم يعقدون محالفات جديدة بين المدائن الجريقية الموجودة فى سيسيليا وبمساعدة هذه المدائن يصير الهجوم على كل من مدينتى سيلنوس وسراقوسة وكان هذا آخر رأى صار الاتفاق عليه بين الثلاثة القواد ثم سارت الى ساحل سيسيليا وتغلبوا على كتنه وجعلوها أس العمليات الحربية اللازم اجراؤها على سراقوسة ثم سار طلب الثيبادس الى أثينة لاجل المجاوبة عما فعله من انتهاك الحرمات فبدل أن يتوجه الى أثينة هرب ناجيا بنفسه الى ايطاليا ومنها الى اسبرطة وأفشى سر تصميمات أهل بلاده ولما كانت أعمال نسياس الحربية لاثمرة فيها وعلى غير نجاح توجه لقضاء فصل الشتاء فى ناكسوس وأما أهل سراقوسة فانهم صرفوا فصل الشتاء فى تقوية استحكامات مدينتهم

وفى فصل ربيع سنة ٤١٤ قبل الميلاد شرع الاثينيون فى حصار سراقوسة الا أنه لاح لهم بعض احتياطات يلزمهم أخذها وذلك أنه يلزم لاجل التغلب على المدينة اجراء أعمال خطرت على بال نسياس فشرع فى اجراء الاشغال التى خطرت على باله بشدة وحزم رأى ومن تردداته فى فعل هذا وعدم فعل هذا وجد أهل سراقوسة زمنا فى وصول المساعدة لهم من الاتحاد البلوپونيزى ووصل غيلپوس الاميرال الاسبرطى وكان قائدا ذا شجاعة وحمية فى أعماله فلما وصل سيسيليا جمع جيشا من المدائن الدوريانية الموجودة فى الجزيرة وزحف بنفسه على سراقوسة مع هذه القوة وبواسطة حركاته القوية جدد القوة والثبات عند السراقوسيين ورجعت اليهم سعادة الحرب فانكسرت احاطة الاثينيين وفى نحو هذا الوقت وصل الى غيلپوس امداد وهو عمارة بحرية مؤلفة من ثلاثين سفينة من سفن البلوپونيزيين ودخلت المدائن السيسليانية وكانت لحد الآن باقية على الحيادة مع سراقوسة فانجبر نسياس على ترك السعى فى احاطة سراقوسة واحتل بعد ذلك بحيث جزيرة پلمريوم وأنشأ فيها محطة بحرية ولما صارت أعماله على غاية من عدم الفوز والنجاح كتب الى أثينة فى ارسال امداد وتقوية وطلب عوده وكانت جميع الاحوال مرتبكة فى أثينة وكان الاسبرطيون أغاروا على أطيقة فى فصل ربيع السنة المذكورة أى سنة ٤١٣ قبل الميلاد وشيدوا معسكرا قويا فى ديسيليه على ظهر جبل پارنس وعلى نحو أربعة عشر ميلا من العاصمة مطل على السهل الاثينى وعجزت المؤنات وضعفت حالة المدخول جدا ومع هذا فان الاثينيين لم يقبلوا عود نسياس وأرسلوا له امدادا مؤلفا من خمس وسبعين سفينة تحت قيادة ديموسطنس وعوريمدون فوصل هذا الاسطول فى وقت فيه يصير خلاص نسياس من الموقع الصعب الموجود فى المينة الكبرى الذى طرده اليه غيلپوس ولما وجد ديموسطنس انه لايمكنه تيسر الحصول على عود الاحوال تحت قاعدة مناسبة للاجراآت الحربية أشار على نسياس بكونه يترك السعى فى التغلب على سراقوسة ويعود معه الى المملكة لاجل طرد الاسبرطيين من أطيقة فلم يرغب نسياس العود الى الجريس بحالة تخزى حصل له من الخيبة وعدم النجاح ورضى بالقهقرة الى كتنه وهو موقع أقل خطرا من الاول الا أنه أبطأ فى حركته هذه حتى بلغ السراقوسيين خبرها فهجموا عليه فى الحال فانهزم الاسطول الاثينى وأما الجيش فانه صد الهجوم الذى وقع عليه فاجتهد

السراقوسيون فى قطع خط رجعة الاثينيين بان غلقوا عليهم فم المينة الكبرى بمراكب صفوها على حذاء واحدمر تبطة فى بعضها بعرض الفم فاجتهد الاثينيون فى كسر هذا السد والخروج منه فانهزموا شر هزيمة وحصل لهم تلفيات جسيمة مقدارها نصف أسطولهم وضعفت قوة البحرية وعزائمها ولم يقبلوا تجديد الهجوم مرة ثانية وكان جيش الاثينيين لم يزل قويا ومقداره ٤٠٠٠٠ نفس مقاتل فعزم هذا الجيش على ترك الاسطول والقهقرة من طريق البر الى احدى المدائن المحبة لاثينة ومنها يمكنهم أخذ مراكب للعود الى أثينة فابطأ نسياس عن هذا العزم الى أن مضى الوقت الموافق لهذه الحركة وفى أثناء سعيه فى خلاص الجيش انكسر وتشتت حاله وانجبر على التسليم وأسر الاثنان نسياس وديموسطنس وحكم عليهما بالموت الا أن غيليوس والقائد هرموقراطيس السراقوسى اجتهدا فى خلاصهما من القتل مجاهرة وأن يكون موتهما بالسم باهانتهما فى مدة حياتهما وأما الاسرى الاخر فانهم من بعد أن ذاقوا أشد العذاب والعقاب صار بيعهم مثل الرقيق على السراقوسيين

وأما المدة الثالثة فهى الحرب الدسليانى واضمحلال أثينة من سنة ٤١٣ الى سنة ٤٠٤ قبل الميلاد وذلك أنه لما وصلت الاخبار المكدرة بشأن ماحصل فى عاقبة الحملة السيسليانية انتشر فيها الحزن الشديد والرعب الزائد وعلى ماقيل ان الذى نشر هذه الاخبار رجل من الاغراب فى حانوت رجل حلاق فى بيروس فانزعج الناس من هذه الحكاية وصار وابين مصدق ومكذب حتى وضعوا الرجل الناقل لها تحت العذاب بكونه كذابا وناشرا أخبار الكذب ثم ثبتت أخيرا بواسطة وصول الفارين والهاربين من ميدان الواقعة أو ميدان المصيبة ورأت أثينة نفسها أنها فى بلية ومصيبة ما ألمت بها أبدا ولبس أهل المدينة الحداد والحزن على ماحل بهم من هلاك أولادهم وأقاربهم وأصدقائهم واختلطت هذه المصائب والاحزان بالرعب العمومى من أجل خلاص المملكة وسلامتها وكان تعسكر الاسبرطيين فى ديسيليا منبع المخاوف المستمرة فى أثينة ومأوى حصين لعساكرهم يغيرون منه ويجرون مايجب عليهم من واجبات وظائفهم من الاعمال العسكرية ويضاف الى شدة الموقع وحصانته ابتداء محالفو أثينة فى تركها والتحول عنها وكان الثيبادس مشتغلا بتهييج الثورات فى خيوس واسبوس وعوبية لمساعدة اسبرطة وقت طلبها ودخلت اسبرطة فى معاهدة محالفة مع الذل والاهانة مع مملكة فارس التى هى العدو الالد للحرية الجريسية لاجل حطم أثينة وعود السلطة الفارسية على جميع الممالك التى كانت سلطتها جارية عليها فى سابق الامر بما فى ذلك جزائر بحر الارخبيل وتساليا وبيوطية وتولد من صرف الذهب الفارسى الجارى صرفه من غير مبالاة من طرف فارس فى خصوص فوائدها أن صار لاسبرطة طاقة كافية على انشاء أسطول أعظم من أسطول أثينة وتقوى الاسطول البلوبونيزى تقوية عظيمة بواسطة ماأضيف اليه من المراكب الحربية القوية من نواحى سيسيليا

ثم ان الاثينيين بذلوا جهدهم ووجهوا أفكارهم أولا لترميم خسائرهم وكشف ماحل بهم من الخوف والرعب فأدخلوا الاقتصاد الكبير فى الخدمات العمومية وعزموا على انشاء أسطول جديد وأن يكون انشاؤه بسرعة من دون توان وطلبوا المحافظين الذين كانوا وضعوهم أخيرا على ساحل لاقونيا وحصنوا رأس سينيوم لاجل المحافظة على طريق المواصلة مع عوبيا وهى الجزيرة التى يجلب منها الاثينيون القسم الاعظم من مؤناتهم ولم يبق من عموم تبعة أثينة على صداقتها وودادها الاجزيرة

ساموس فقط ولما علم الساميون بحصول العصيان فى خيوس قاموا على هيئة حكومة أعيانهم وقتلوا جماعة كثيرة من هذا الحزب ونفوا الباقى وأقاموا حكومة ديمقراطية فأعلنت أثينة بأن ساموس حليفة لها مستقلة فى نفسها والمبلغ الاحتياطى وكان مقداره ألف وزنة الذى كان بيركليس وضعه على حدة لضرورة ما يلزم فى الحروب القابلة كان لحد الآن باقيا من دون أن أحدا يلمسه وكان هذا المبلغ موضوعا تحت قانون حكم الموت على كل من يتسبب فى أن يصرف منه شيأ أو يتجاسر على أخذ شئ منه الا فى حالة ما اذا حصلت نائبة عظمى أو طامة كبرى حلت على عموم المملكة ففى هذه الحالة يجب التصرف فيه أو الصرف منه فمن ثم ألغيت أحكام المحافظة عليه وأخذ هذا المبلغ وصرف فى انشاء الاسطول وتطقيمه ولما تم انشاؤه أقلع على الفور الى خيوس محاربا لها

وانتقل الحرب فى هذه الحالة الى النهاية الشرقية من البحر الابيض المتوسط والى آسيا الصغرى وان الشغل الذى ركب على عاتق أثينة ما كان لانهزام الجمع الذى تجمع عليها فقط بل لاخضاع أقاليمها التى ثارت عليها الى طاعتها ففى الحرب الاول الذى أشعلته أثينة يظهر أنها شفت غلتها مما كان حصل لها من الخسائر والتلفيات فى سيسيليا وأعادت لسبوس وكلازومنيه وهزمت الخيونيانيين وخربت بلادهم وأرضهم وصارت ساموس قاعدة الاسطول الاثينى وأس الحركات العسكرية فى أثناء المدة التى كانت باقية من الحرب ثم حصلت واقعة بالقرب من ملطية فى آسيا الصغرى انهزم فيها نفس الاسبرطيين وتشتت شمل عسكرهم وحصل من أثينة اللين الغريب المدهش الذى فاقت به مما حصل لها من المصائب بشجاعتها وصبرها ومحبة أهلها للوطن حتى انهم لم يتركوها فى وقت شدتها للاعداء انما كل هذا جعلها على قدم ثابت حتى صار لها طاقة على اشعال حرب لاريب فيه مرة أخرى تستحق عليه الذكر وجميل الاحترام فى العصور المتوالية

وكان الكثير من هذه المظفرات منسوبا الى مهارة الثيبادس وكان تقوى فى مرغوبه حتى استحوذ مرة ثانية على محله الذى كان ضاع منه فى أثينة فعرض نفسه لشغل فصل فارس من محالفة اسبرطة وأبطله بمهارته وفاز فى اغراء واغواء المرزبان طيسافرنيس بقوله انه لا فائدة لفارس من كونها ترخص فى الغلبة على أثينة أو على اسبرطة فى مثل هذا الحرب بل تكون سياسة فارس الحقة هى كونها تترك الاثنين لبعضهما الى ان يضعف بعضهما بعضا ثم ضبط ممالك الاثنين وقت حصول الضعف عندهما فى مقاومة فارس عند حربها معهما فلما تحقق المرزبان من هذه المشورة التى أشار بها الثيبادس عليه نكث فى الحال محالفته مع اسبرطة وكانت اسبرطة محتاجة لمساعدته فى هذا الوقت حتى يكون لها طاقة على غلاق الحرب وكذا نجح بواسطة عدم صبر القواد الاسبرطية وقلقهم برشوات عظيمة قدمها اليهم سرا وابتدأت اسبرطة فى أن ينصب عليها أنواع الخزى والكسوف فى دخولها فى محالفة مع العدو القديم لممالك الجريسية ثم اجتهد الثيبادس فى توسيع الخرق الذى انفتح بين فارس واسبرطة ونجح فى خداع القواد الاثينيين الموجودين فى ساموس باعتقاد أن تدبيره وسياسته مع طيسافرنيس فيه الكفاية الوافية فى جلبه الى معاهدة مع أثينة وانه يمكنه اتمام هذا الشغل على شرط أن يسمح له بالعود الى أثينة والى مسنده الاول وشرط أن يصير الغاء الجمهورية ويقام محلها حكومة أعيان بما أن الاثنين يبغضانها وانها مشيرة للاهالى ولما اعتقد القواد والرؤساء أن نجاحهم فى الحرب متوقف على مساعدة فارس قبل الاثينيون مع الكراهة والاشمئزاز هذه الشروط الصعبة وألغوا الحكومة

الديمقراطية وشكلوا مجلسا مركبا من ٤٠٠ نفس خصوصا من الذين يعول عليهم فى ضبط ادارات الاعمال فى المملكة ثم بعد قليل ظهر أن الثيبادس خدع أهل بلاده فابطلوا مجلس الاربعمائة نفس وأعادوا الجمهورية على ما كانت عليه وأعقب هذا الانقلاب سرعة انحراف جزيرة عوبيه نحو الاسبرطيين سنة ٤١١ قبل الميلاد فاجبر الاثينيون على بذل ما فى طاقتهم من القوة وحزم الرأى فى بقاء وجود حياة جنسهم ولقد كسحتهم وأضعفتهم خسائرهم فى مدة الحرب حتى أرغموا على اجراء المدافعة عن أنفسهم فى وقت الحرب لكن السياسة الفارسية فى شأن مساعدتهم المحتاجين اليها حرمتهم من اجتناء أى فائدة تعود على منافعهم ونجاحهم

ولما وجد منداروس القائد الاسبرطى فى اسيا الصغرى أن لاخير فى السياسة الفارسية عند الاسبرطيين والاثينيين ترك ملطية مغاضبا بالهامع الكراهة والزعل وأقلع الى الهلسبونت مؤملا انه يجد فى المرزبان الآخر زيادة همة ونشاط فى معاضدته فتبعه أسطول أثينى مؤلف من قوة قليلة تحت قيادة ثراسيولوس فهزمه فى المضيق الكائن بين سسطوس وابيدوس فعزم الاميرال الاسبرطى على اللحوق باسطول الاتحاد فى عوبيه فضاعت مراكبه من عواصف شديدة نزلت عليها فى نواحى جبل أثوس فنجا منداروس بنفسه وحصل للاسطول الاثينى فائدة تغلبه على كيظيكوس وكانت عصت على أثينة فى السابق ومن بعد مضى شهر أو شهرين حصلت وقعة عظيمة بين الاسطولين الاثينى والبلوبونيزى فى نواحى كينوصيما على مسافة من أبيدوس كانت نتيجة الحرب فيها انصر الاسطول الاثينى وفى وقت حصول الثيبادس اليه فى شدة حرارة الحرب باسطول مؤلف من ثمانى عشرة سفينة من ساموس فى سنة ٤١٠ قبل الميلاد وكان سبب وصول الثيبادس أن هذا الاثينى المحتال لما ضيع اعتماد صداقة الفرس فيه لم يكتف ملك الفرس بالتدبيرات التى عرضها طيسافرنيس فقط بل أمره أن يبذل جهده فى مساعدة اسبرطة بالقوة الفعالة فكان أول الاعمال التى أجراها المرزبان هو كونه قبض على الثيبادس وسجنه فى سرديس فهرب من بعد مضى شهر ناجيا بنفسه وما زال حتى وصل كلاظومينية وصمم على المخاطرة فى كل شئ وبذل الجهد فى عوده الى أثينة فجمع قوة من السفن قدرها ثمانية عشر مركبا فى ساموس والتحق بالاسطول الاثينى فى الوقت الذى انتصر فيه الاسطول المذكور ثم ان منداروس مع الاسطول الاسبرطى معضدا بالجيش الفارسى تحت قيادة فرنابطوس شرع فى حصار كيظيكوس فعزم الاثينيون على خلاصها فاشتعلت نار حرب مزعجة طردفيها الاسطول البلوبونيزى نحو الشاطئ فاجتهد الفرس فى حماية السفن فسقط عليهم الثيبادس فى رأس رجاله وبدد شمل الفرس وقت ما كان الاثينيون غائرين على الاسطول المطرود جهة الشاطئ وقتلوا منداروس وتغلبوا على جميع الاسطول البلوبونيزى ماعدا السفن السراقوسية فانه صار حرقها مع بحريتها وقوادها وفى هذه النصرة الكبيرة ما وجد أحد جاد بنفسه من أجل أهل بلاده زيادة عن الثيبادس وبما حصل للاثينيين من هذا الظفر صاروا أسياد البرونطس وتجارة البحر الاسود مرة أخرى وجمعوا كثيرا من الغلال والحبوب من جهات البحر الاسود وأرسلوها الى أثينة فعمت الناس حتى الاسبرطيين المقطوع الأمل منهم فى ديسيليا وكانوا يؤملون وقوع القحط فى المدينة وتسليم نفسها اليهم

وفى سنة ٤٠٩ قبل الميلاد نال الاثينيون نصرة عظيمة أيضا وذلك أنهم تغلبوا على كالشيدون رغما عما حصل من اجتهاد فرنابطوس فى خلاصه اياها وكذا أخذ الثيبادس صلمبريا وفى سنة ٤٠٨ قبل الميلاد سلمت بيزانطيوم نفسها للثيبادس

ويولد من الخدمات الجليلة التى أجراها السيادس لاثينة تكفير عن سيا ته فيما مضى من قبيح سلوكه وأفعاله وفى سنة ٤٠٧ قبل الميلاد دعى الى العود الى أثينة فاحتفل به كامل الامة احتفالا عظيما وأبطل مجلس السنا توالاحكام التى كان سبق صدورها فى حقه وأسقط ما كان عليه من اللعن والطرد ولما رؤى انه هو القائد الفريد الذى وجدت فيه الكفاءة على أن يعيد الى أثينة شوكتها ومجدها جعل قائدا عاما بنفوذ ليس تحت حد ولا حصر وصار قائدا على قوة قدرها ١٠٠ سفينة حربية و ١٥٠٠ من العساكر الثقيلة و ٥٠٠ من الفرسان ثم ان السيادس من خفة عقله اعتقد فى نفسه انه نال محبة أهل بلده ثانيا ووثوقهم به ونظر نظر الاعمى الى الشغل الذى سيجرى الاثينيون محاكمته عليه محاكمة جديدة وان له كثيرين من الاعداء ذوى شوكة فى أثينة فى ريب كبير منه

وفى غضون ذلك تحولت ادارة أعمال الاشغال الفارسية الى أياد قوية الشوكة وهو أن كيرش الاصغر ابن دارا الثانى الملك المتسلطن فى فارس تعين مرزبانا على الاقاليم الفارسية فى اسيا الصغرى وكان على فطنة وذكاء وطمع لانهاية له فأول مشروع جعله واسطة لمشروعاته البعيدة أن عزم على مساعدة اسبرطة مساعدة ودية فى حطم أثينة وحشمها وفى هذا الوقت عهدت قيادة الاسطول الاسبرطى الى ليصندر أحد مهرة الرجال المشهورين فى اسبرطة وعقد هذان الذاتان علامات الصدق والوداد والاحترام بين بعضهما واتفقا على المعاضدة بالقوة وحزم الرأى بالاشتراك وصفاء القلب واللسان وكان وصول كيرش فى سرديس فى فصل ربيع سنة ٤٠٧ قبل الميلاد وفى سبتمبر من نفس هذه السنة أقلع السيادس بالاسطول من أثينة الى اندروس وكانت محفوظة بقوة لاسيديمونية ولما رأى السيادس شدة المقاومة زيادة عما كان يعهده ويؤمله ترك كانون مع عشرين سفينة مستمرا فى حصاره هذا وأقلع مع باقى الاسطول الى ساموس وفيها علم من أول وهلة أن فارس صارت العدو المبين لاثينة ولما قل ما عنده من النقود اجتهد فى أن يجمع نقودا يوزعها على أهل كيمى وهى تبعة صادقة لاثينة ولما رفض أهلها هذا الطلب أوقع بهم وخرب مدينتهم فاشتكى سكانها وتضرروا من أفعاله الى أثينة وبينما كان السيادس مكدا فى هذا العمل انهزم أسطوله الذى كان تركه تحت الرئيس انطيوقوس وكانت هزيمته من طرف البلوبونيزيين على مسافة من نوطيوم وضاع منه خمس عشرة سفينة وقتل انطيوقوس وكانت حالة السيادس فى سيره فى أعماله على الساحل فى غاية الفجور والانهماك على الموبقات وابتدأت عساكره فى أن يظهروا علامات النفور الاكبر من جهته ومع كونه قائد القوة جسيمة فانه قضى مدة ثلاث شهور فى البطالة والرخاء والانهماك على اللذات وظهر للاثينيين من أحوال السيادس انه لم يغير طبعه ولا فائدة ولا ضرر فى مخاصمته ومن بعد مضى بضع سنين أحيا خصاله وصفاته القديمة فأجمع الاثينيون على عزله من قيادته واستبداله بعشرة قواد تحت رياسة كانون وفى نحو هذا الوقت انتقلت قيادة الاسطول الاسبرطى الى عهدة قاليقراطيداس وهذا المانخشى من عواقب اجتهادات ليصندر فى انه ربما يعود لقيادة الاسطول ثانيا أظهر شهامة نفسه وحب ارتباطه بمحالفة الفرس حتى ان كيرش من بعدما كان ندم على معاضدته ليصندر تحول بكليته لمساعدته بمبالغ جمة من النقود ومن قبل حصول هذا الشغل من كيرش أظهر قاليقراطيدس مهارته وأثبتها بهجومه على الاسطول الاثينى فى مينة مطلينه وكسره وضيع منه ثلاثين سفينة وسلمت الاربعون الاخرى بكونها تحولت الى الساحل تحت حماية أسوار المدينة ومن ثم أحاط الاميرال الاسبرطى مينة مطلينة بحرا وبرا ولما صار موقع

كانون معلوما فى أثينة أخذت الاحتياطات العظيمة والاستعدادات الجسيمة فى مساعدته ورتب الاثينيون اسطولا موافقا للعمل والحركة وسفروه الى ساموس فانضم فيها مع أسطول المحالفين وزادت قوته الى أن بلغ ١٥٠ سفينة شراعية ثم شرعوا فى خلاص مطلينه و بمجرد اقتراب الاسطول الاثينى وفصل قاليقراطيداس خمسين سفينة ورتبها فى استمرار الحصار والاحاطة بالمينة وزحف بما بقى من قوته لمقابلة اسطول العدو وتقابل الاسطولان المتحاربان مع بعضهما على مسافة من جزيرة ارغنوسيا بالقرب من الرأس الشمالى الشرقى لجزيرة لسبوس وحصل بينهما واقعة شديدة كان مشكوكا فى نتيجة أمرها فى الابتداء الى أن سقط قاليقراطيداس فى البحر وغرق ولما صار الاسبرطيون لا قائد لهم بسوسهم انكسروا كسرة قبيحة وضيعوا سبعا وسبعين سفينة وهربت عمارتهم الموجودة فى مطلينه فى الحال وصار لكانون طاقة على ترك المينة واللحوق باصحابه وأقلع الاسطول الاتحادى الاثينى الى ساموس.

وفى مبادى سنة ٤٠٥ قبل الميلاد صار تعيين ليصندر مرة ثانية لقيادة الاسطول الاسبرطى ولما رأى ليصندر ضعف قوة هذا الاسطول عن الاسطول الاثينى تجنب الدخول فى أى مشروع من مشروعات الحرب وراوغ أسطول العدو وعبر بحر الارخبيل الى ساحل أطيقة وتقابل مع أغيس وكانت نتيجة مقابلتهما تقسير الاسطول الاسبرطى الى الهلسبون بما أن أخصامهم تركوه من غير محافظة فأقلع ليصندر باسطوله الى الدردانيل واتخذ له موقعا حصينا فى أبيدوس

وفى هذا الوقت خرب الاثينيون جزيرة خيوس ثم انسحبوا منها عند وصول أخبار ليصندر بتوجهه الى الهلسبون وحصاره لمصاقوس فارسلوا أسطولهم على الفور الى الهلسبون الا أن وصوله اليه من أجل خلاص لمصاقوس كان متأخرا جدا فاتخذوا لهم موقعا فى أغوسبوطامى أونهر غوط من الجهة الشمالية من الهلسبون عازمين على جلب الاسطول الاسبرطى الى ميدان الحرب وكان الاسبرطيون مدخرين المؤن والذخائر وفى موقع قوى وكان تأخرهم عن الحرب نجاحا لهم وأما من جهة الاثينيين وكانوا فى موقع ردىء عبارة عن شاطئ رملى بعيد من سطوس وكانوا يجلبون منها مؤناتهم وليس عندهم من يجلبها اليهم فكان البحرية مجبورين على الخروج من السفن الى الشاطئ لاجل الحصول على مأكولاتهم ووصل النظام فى الاسطول الى الفشل ووقوع الرعب ولما رأى الثيبادس ما الاثينيون عليه من الخطر الذى سيحل بهم وكان من منذ طرده من الخدمة مقيما فى قلعته فى الضاحية ورأى ان أهل بلاده لو بقوا فى هذا الموقع الخطر لضر بحالتهم توجه اليهم ونصح قوادهم على الحركة والانتقال الى نواحى سطوس لانها أشد حفظا على أنفسهم من هذا الموقع الخطر فقابلوا نصيحته بالسب واللعن ويحتمل أن هذه الحالة كانت مبنية على الارتكاب والاختلاس وان بعض قواد الاثينيين كان قدم اليهم كبرش الرشوات العظيمة على أن يجعلوا أعمالهم على الحالة التى وجدوا عليها فاستيقظ ليصندر لحصول عدم النظام فى الاسطول وخلوه من عساكره وتوجههم لاحتياجات مأكولاتهم وجد فى الحصول على الفائدة العائدة بالنفع اليه من وقوعهم فيما هم فيه من الخطا وفى اليوم الخامس من بعد وصول الاسطول الاثينى انتهز ليصندر الفرصة وقت ماسنحت له حال غياب البحرية الاثينيين من أسطولهم وكانوا توجهوا الى الساحل وانتشروا فى الجهات فعبر البوغاز بكامل قوته وهجم على سفن الاثينيين فوجد كامل الاسطول الاثينى ماعدا ثمانى أو عشر

سفائن حربية خاليا من الرجال وليس فيه من يحافظ عليه فقبض عليه قبضا باليد من غير طعن ولا صد وساق كامل المراكب ماعدا الثمانية أو العشرة ومن ضمنهم سفينة الاميرال كانون فانها نجت بنفسها ولما خاف كانون من عوده الى أثينة فر الى جزيرة قبرص وأما الاسبرطيون فانهم ضبطوا الاسطول الاثيني وأربعة آلاف أو خمسة آلاف أسير من الاثينيين وقتلوا الاسرى شر قتلة جزاء على فعل الاثينيين من قتل أسرى الاسبرطيين وكان نصر الاسبرطيين في اغوسبوطامى طامة الموت الكبرى على المملكة الاثينية ووقعت جميع الممالك الاثينية في أيدى المنصورين فألغوا الحكومات الديمقراطيه وحل محلها حكومات الاعيان وكانت هيئة كل حكومة مركبة من عشرة أنفس من أهل المدينة الواحدة تحت رياسة حاكم اسبرطى

وقد وصلت أخبار هذه المصيبة الحاطمة الى أثينة ليلا فقام أهل المدينة مرعوبين فزعين من نومهم من هذه الاخبار المفزعة ولم يحصل لاحد منهم نوم في تلك الليلة وصار موقع المدينة على غاية من اليأس ووقعت كافة الجهات التى كان الاثينيون يجلبون منها مؤناتهم في أيدى الاسبرطيين وصارت المدينة سهلة التسليم بحصول القحط فيها ولو لم يهجم عدوها عليها فانعقد المجلس العام في صباح اليوم الثانى واتفقوا على العفو عن جميع أرباب الجرائم الا ما كانت جريمته شديدة ويفرجوا عن جميع المسجونين في الحبوس حتى يكون لهم طاقة على الاشتراك في المدافعة العمومية وخاص المديونون والمذنبون بهذه الحالة واجتمعت الامة داخل المدينة وحلفوا ايمانا مؤكدة بين بعضهم في العفو والسماح عن بعضهم ومع أن النتيجة كانت عامة بالطبع على الجميع فما أذعن أحد لما تقرر بينهم

وكان حصول واقعة أغوسبوطامى في سبتمبر سنة ٤٠٥ قبل الميلاد الا أن ليصندر وكان صرف الزمن المتخلل في هذه المدة في اخضاع الملحقات الاثينية ورتب لها هيئة حكومات أعيان منهم ما ظهر على المياه الاثينية لحد شهر نوفمبر عند ما وصل اجينه باسطول مقداره ١٥٠ سفينة شراعية وشرع في خراب سلميس والاحاطة ببيروس وفي هذا الوقت زحف الجيش البلوبونيزى في داخل أطيقة وعسكر في الاورمانات الاكدمية عند أبواب أثينة وصار سقوط المدينة مسئلة وقتية فقط لان الجوع والقحط ظهر عليها من داخل أسوارها الا أن أنفة الاثينيين وكبرياءهم ألزمهم عدم التسليم ثم بعد هذا عرضوا أنفسهم للتسليم على شرط بقاء الاسوار الطويلة ومينة بيروس فرفض حكام الاسبرطيين هذه الشروط وأصروا على هدم هذه الاسوار ولو بطول مسافة عشرة استاديات لأقل ثم ان رئيس حزب الاعيان عارض في قبول الشروط الاسبرطية فقام الغضب والحنق في وجوه أهل المدينة وحبسوه وأوقعوا بحزبه وصلبوا كثيرا من أهل هذا الحزب وأخيرا عرض طيرامنيس وكان في السابق واحدا من الاربعمائة نفس وكان يدعى أن له قبولا واحتراما ونفوذا عند ليصندر اثبات سعيه الحقيقى نحو أثينة فأخذ من ليصندر مهلة ثلاثة شهور وكانت هذه الثلاثة شهور من أشد الحالات والمكابد والآلام المهولة على أهل بلده وأخيرا عاد الى أثينة بالجواب يقول لاهلها ان الحكام الاسبرطيين لهم السلطة والقدرة على عقد الصلح ولما عاد طيرامنيس الى المدينة ازدادت مصائب القحط زيادة عظيمة فأرسلوه ثانية في عقد صلح على أحسن شروط يمكنه الاستحصال عليها بشأن خلاص بلده فانعقد لذلك مجلس المحالفين في اسبرطة من أجل فصل الحكم في عاقبة أثينة وما يؤول اليه أمرها فكان من رأى الطيبيين والقورنثيين

ضرورة

ضرورة هدم المدينة والغاء اسمها وبيع أهلها فظهر من الاسبرطيين فى هذا الوقت من الجود والكرم ما بيضوا به صحف تواريخهم وقالوا مع ما كانوا عليه من عزة النفس التى كانوا مغرورين بها انهم لا يمكنهم الرضاء مطلقا بدمار مدينة ورق أهلها وقد أدوا خدمات سامية للجريس وكان قولهم ذلك آخر رأى صدر منهم ومن المحتمل فى حقيقة هذا الرأى أنهم كانوا يرغبون توطيد ملحقة نافعة لهم فى أثينة وأخيرا دوّنوا الشروط التى حصل الاتفاق عليها وهى أن يصير هدم الاسوار الطويلة وكذا أسوار بيروس وتنزل الاثينيون عن جميع أملاكهم البرانية ويقيموا فى حدود أراضيهم الاصلية ويسلموا كامل ما بقى من أسطولهم ويردوا جميع منفييهم ويكونوا حلفاء اسبرطة وبالنسبة لما كان حاصلا عند الاثينيين من الجوع والقحط قبلوا هذه الشروط مع الشوق والرغبة وفى نحو منتصف شهر مارث سنة ٤٠٤ قبل الميلاد احتل ليصندر بيروس ودخل الجيش الاسبرطى أثينة وشرع ليصندر فى تنفيذ شروط المعاهدة واستلم كافة المراكب أو السفن الاثينية ماعدا اثنتى عشرة منها ودمر استحكامات بيروس والارصفة والترسانات والسفن التى كان جاريا الشغل فيها والاسوار الطويلة وكانت هذه الاشغال والاعمال جارية مع الافراح والسرور عند البلوبونيزيين وجعلوا لها أيام مواسم عندهم ولا حاجة فى توضيح ما كان من سبهم ولعنهم للمتغلبين عليهم

وبهذه الحالة كان سقوط المملكة الاثينية من بعد مضى سبع وعشرين سنة من مبدا الحرب البلوبونيزى ومن بعد مضى ثلاث وسبعين سنة من تشكيل الاتحاد الديلوسى وصار الاسبرطيون باتحادهم مع فارس فى درجة من السمو والشوكة فى الجريس وألغيت الحكومات الحرة من كامل الجهات وحل محلها حكومات الاعيان وجعلت أثينة تحت قانون اسبرطى عظيم مقوّ لحكومة مؤقتة مركبة من خمسة قواد اسبرطيين تحت رياسة ليصندر ثم عهد ليصندر هذه الحكومات الى هيئة حكومة مركبة من ثلاثين يعرفون فى التاريخ باسم الثلاثين طاغية تحت رياسة قريطياس وكان صار نفيه من أثينة بصوت الامة وترخص له العود من نص شروط معاهدة التسليم فبذل شوكته فى الانتقام من أعدائه وأمر بقتل عظماء أشراف أهل المدينة وشرع فى سلطة مرعبة مهيجة للثورات فى أثينة ثم ان حزبا من متوسطى الناس تحت قيادة طيرامينس عزم على توقيف هذه الاشغال الشنيعة والاجراآت القطيعة وقرر انتخاب ٣٠٠٠ من أهل المدينة يكونون كفؤا لما يطلب منهم من الاعمال فصار انتخابهم من أصدقاء وحلفاء الثلاثين طاغية وكان المقصود من هذه الطريقة هو استثناء هؤلاء الثلاثة الاف من الافعال الغير الشرعية الجارية بمعرفة الثلاثين طاغية وأما ما بقى من عموم الاثينيين فانهم صاروا خارجين عن حدود القانون فيمكن موتهم أو نفيهم حسب مرغوب الثلاثين طاغية وعملوا قائمة يكتب فيها المشبوهون من أهل المدينة والذين يعزمون على ثوران الفتن المتولد منها القتل فصار لكل واحد من المنسوبين للحزب الحاكم طاقة على أن يضع اسم عدوه فى هذه القائمة وأخذت حالة القتل حدها حتى ان أول ضربة من ضربات القتل كانت فى الاغنياء وأهل الثروة ومن ثم ضيع الظلم والجور صفة الادارة والسياسة وحصل السعى فى توطيد السلب والنهب ولما صار تحريض وحث طيرامينس على نهب رجل من الاجانب سامى القدر قاطن فى المدينة صاحب أموال وثروة ولم يقبل ذلك على نفسه مع الغضب والحدة أذاع قريطياس فى حقه بأنه العدو الالد للعموم وأمر بجره من فوق الدكة فى بيت مجلس السناتو فطهر نفسه وشرب كأس حمامه ومن ثم خلص قريطياس منه ومن جميع الموانع التى كانت أمامه وغرق حزبه فى بحر جورهم القاسى

وكان الشياذس من ضمن ذبائح اسبرطة وفيما سبق كان ترخص له من طرف فارس بالانعزال فى فريجيا من بعد حصول واقعة اغوسپوطامى فأرسلت أوامر من اسبرطة بقتله فأحاط الفرس بيته وحرقوه وقتل بحراب الهاجمين ونشابهم لما اشمأز من مقابلة وجوههم

ثم تولد فى غضون ذلك من شدة الجور الحاصل من الثلاثين طاغية تجديد حوادث قوية فى الجريس ضدهم وضد ليصندر الذين هم آلته وذلك أن القورنثيين رأوا أن الثلاثين طاغية هم آلات لارتقاء مطامع الاسبرطيين الذين زرعوا أنفسهم بان يكونوا ملوكا فى الجريس لا أحرارا فقط وكذا عاد الجم الغفير من منفيى الاثينيين وكانوا هربوا الى بيوطية فكان عودهم تحت قيادة طيراسپولوس مصحوبين بناس من تبعة الطيبيين فضبط هؤلاء قلعة فيلى من الحدود وسار اليهم الثلاثون فى رأس محافظى الاسبرطيين والثلاثة آلاف فهزموهم وعرف الثلاثون أن سقوطهم صار قريبا فى اليد فأمسكوا اسلميس وعلقوسيس ملجأ لهم وطردوا منهما سكانهما ورتبوا فيهما محافظين من أتباعهم ثم ان قريطياس جمع مجلسا من الثلاثة آلاف ومحافظى الاسبرطيين وألزمهم بصدور أمر بقتل الموجودين فى الجبروس فقتلوهم فى الحال وسار طيراسپولوس الى پيروس وهزم الثلاثين وأتباعهم وضبط الجبل الذى كان منشأ عليه قلعة المينة فى ابتداء الامر وقتل قريطياس فى الملحمة وألغى الحزب المتوسط الذى كان رئيسه طيرامنيس فى الابتداء وكذا ألغيت حكومة الثلاثين من بعد أن تسلطنوا ثمانية شهور واستبدلت بحكومة أعيان جديدة تعرف بحكومة العشرة ثم طلب كل من الاثنين وهما الثلاثون والعشرة مساعدة اسبرطة فدخل جيش جديد اسبرطى تحت قيادة ليصندر فى أثينة وقت ما حصر أسطولهم فى پيروس أسطولا تحت قيادة أخى ليصندر ومع ذلك فانه فى هذه الحالة لما علم الاسبرطيون أحوال ليصندر وسيره من جهة أثينة عزلوه من القيادة وقلدوها بوسانياس الملك الجديد فى اسبرطة ومن بعد بعض ملاحم انهزم فيها الاسبرطيون فى الابتداء بواسطة طيراسپولوس حصل لهم الظفر وعاد الصلح على شرط أن المنفيين فى پيروس يعودون الى أثينة وحصل عفو عام عن جميع الاثينيين ما عدا الثلاثين والعشرة والاحد عشر وكان آخرهم الجلادين المتقلدين الاوامر الفظيعة من طرف الثلاثين وعاد حكم الارخونيين والقضاة ومجلس الشيوخ المؤلف من خمسمائة نفس وأعيدت قوانين وشرائع دراقوا وسولون من مراجعتها واستعدادها وتصحيحها ومراجعتها تحت مجلس من الامة ثم بعد ذلك سار طيراسپولوس وحزبه الى المدينة فقابلهم أهلها وتوجوهم بورق الزيتون المقدس لكونهم كانوا سببا فى خلاص أثينة مما كانت فيه من الكرب العظيم والعذاب الاليم

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ سيادة الاسبرطيين والطيبيين وسلطتهم ﴾

حفظ رد الشغل والنفوذ فى أثينة ـ صدور الحكم على سقراطيس بالموت ـ صفته ـ الحرب بين اسبرطة وفارس ـ اغسيلوس ـ اسبرطة وطيبة عند الحرب ـ الاتحاد على اسبرطة ـ توطيد كانون مساعدة فارس لأثينة ـ عود بناء الاسوار الطويلة ـ صلح انطالسيداس ـ صيرورة الحكم المطلق لفارس فى الاعمال الجريسية ـ سيادة اسبرطة فى الجريس ـ ضبط اسبرطة كادمية ـ

استرداد الطيبيين كادميه ـ ابامنونداس ـ واقعة لوكتره ـ خطر اسبرطة ـ نهوض طيبة الى الشوكة ـ اضمحلال سيادة اسبرطة ـ جاسون ـ موته ـ الاتحاد الاركادى ـ عود بناء منطينه ـ استردادا بامنونداس مملكة المسينيين ثانيا ـ ظفره فى بلوبونيزه ـ واقعة صغيرة ـ معاضدة فارس للسلطة الطيبية ـ فسخ قداسة الالعاب الاولمبيقية بواسطة الاركاديين ـ نتائج هذه الحادثة ـ واقعة منطينة ـ موت ابامنونداس ـ توجه اغسيلاوس الى مصر ـ مقابلته فيها ـ انتقامه وموته ـ حروب أثينة وفيريا ـ الحرب الاشتراكى أو حرب الاحزاب ـ الحرب المقدس ـ نهاية السيادة الطيبية

تولد من نصرة طيراسيبولوس وحزبه عود قوانين أثينة وعوائدها القديمة اليها وصارت الافراح والابتهاجات التى تولدت من ذلك عظيمة جدا حتى عاد رد الفعل فى المدينة ثانيا الا أن الذى كدر على الامة وأشغل بالهم وغير خاطرهم ما حصل من توقيع الحكم بالموت على الفيلسوف سقراطيس أحد الرجال الحكماء الطاهرين فى بلاد الجريس وقبل ذلك بعشرين سنة كان اريسطوفنس فى أثناء تشخيصه روايات السحب اتهم بان يكون عدوا للديانة ومفسدا للشبان الجريسية الا أن هذا السب والقذف ما حصل فى وقتها ثم ظهر عليه اللعن والسب ووقع عليه السخط بانه غير معتقد فى الآلهة المعبودة فى المملكة وانه يعلم ديانة جديدة أفسد بها شبان أثينة فصدر عليه حكم الموت باتفاق ستة أنفس الا أن نفخة كلامه وكبرياءه فى المجاوبة للاعنين له والقائمين عليه أوصل حكم الموت عليه باتفاق ثمانين نفسا وكان السر الحقيقى فى تولد هذه العداوة التى صارت معاملته بها أنه كان مبغوضا مكروها عند كثيرين من الاثينيين لانه نشر أقوالا فى أكاذيبهم ومن طرق المجادلات التى كان يبديها لهم ألزمهم على كونهم توعدوه فى أشغالهم ولما كان المركب المقدس مقلعا الى ديلوس فى وقت توقيع الحكم عليه نزل فيها وسار الى ديلوس ومن ثم صار من عدم الامكان تنفيذ حكم الموت عليه فى حال غيابه وانتظروا حضوره وصرف سقراطيس الثلاثين يوما مدة غيابه فى حبس وفى كرم محادثات عقلية وحكم زكية مع أحبابه وشرح ما مضى من حياته من غير أسف ووضح الصحيح فى أزلية الروح حتى أتاه القدر المقدور وشرب كأس حنظل الموت وكان شربه له مع معزة عظيمة وخرجت روحه مع الراحة والسكون وكان آخر كلامه أنه ذكر لاصديقه قريطو رغبته فى أنه يقدم له ديكا الى اسكولابيوس خاصا به لان ذلك عادة عند الذين يشفون من آلام الامراض الخطرة وكان من كلامه على الموت ان الموت لم يكن الا الدخول فى حياة حسنة جديدة ثم ان عقبه ألفوا ما كان عليه من العدل تذكارا له وذكر صديقه وتلميذه اكسنوفون ما كان عليه سقراطيس من الصفات الحسنة والاخلاق الطيبة المرضية فقال فيه أما من جهتى له فانى على غاية من الحزن والكآبة لانه كان على ما أصفه بهذه الصفات وذلك انه كان رجلا ورعا تقيا لانه ما كان يشرع فى شئ من دون مشورة الآلهة وعدلا حقا لانه ما حصل منه أدنى ضرر ولا أذى لانسان مهما كانت درجته بل كان الخادم الاكبر للذين يشتركون معه عفيف النفس جدا حتى انه ما كان يفضل الملاهى واللذات على الفضيلة والشرف وكان شديد الاحساس حتى انه ما كان يخطئ فى تمييز الطيب من الردئ من دون أن يتساعد برأى آخر بل كان يفصل بينهما بالعدل والكمال وكان فيه قابلية كبيرة للتبحر فى المواد والاعمال واستخراج بواطنها وكان حاذقا

ماهرا فى فرزه صفات الآخرين وكان مقنعا للذين هم فى ضلالهم سائرون ويدلهم على طرائق الفضائل وعلى كل ما يكون فيه الشرف والخير وكان وحيد عصره وسعيد دهره ما كان فى عصره من يناظره ولا يماثله مثيل

وفى سنة ٣٩٨ قبل الميلاد مات أغيس ملك اسبرطة وخلفه من بعده أخوه اغسيلوس أشجع واحد فى القواد اللاسيديمونية وأفرسهم ووجد ميدانا موافقا لاجراء حركات شوكته واظهار سطوته وقوته وتولد من مساعدة الاسبرطيين لكيرش الغيظ الشديد الموجع لفارس فلما عاد طيسافرنيس خليفة كيرش من فارس الى الساحل جلب معه أوامر بالتضييق على المدائن الجريقية الموجودة فى آسيا الصغرى والموجودة فى ذلك الوقت تحت حماية اسبرطة فعزم الاسبرطيون على أن يلطموا أول لطمة مع فارس مهما كانت نتيجة فائدتها فاستمروا فى محاربة امتدت ست سنوات من سنة ٣٩٩ الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد فى آسيا الصغرى وكان قوادهم على الدوام فى اختلاف عام بينهم الا أنه لما صار ارسال اغسيلوس الى آسيا الصغرى لاجل مباشرة الحرب وتدبيره من بعد أن تولى السلطنة مباشرة ظهر فى الوقت تغيير بين ومن ابتداء هذا الوقت تعددت نصرات الاسبرطيين وظهر من حقائق الاعمال ودقائق الاشغال أن فارس على شرف ضياع أقاليمها الموجودة فى آسيا الصغرى وكان الجيش الاسبرطى مركبا من عشرة آلاف فارس الذين ذكرنا نتائج أعمالهم فى كلامنا على تاريخ فارس وكانوا عادوا من غزوتهم التى كانوا فيها تحت قيادة كيرش الاصغر

وكانت فارس تدبرت أمورها وساست أعمالها مع حزم الرأى والتبصر فى العواقب من عهد أيام أردشير فدخلت فى تحالف ضد اسبرطة مع الممالك الجريقية الثانوية وهى أثينة وطيبة وقورنثة فى سنة ٣٩٥ قبل الميلاد وكانت طيبة مشغولة فى حرب مع اسبرطة وهزمت الجيش اللاسيديمونى تحت قيادة ليصندر فى نواحى هاليارطوس وفى هذه الواقعة قتل ليصندر وأما بوسانياس وكان قد جاء الخلاصه متأخرا فانه هرب والتجأ فى هيكل أثينى فى طيجيا خائفا من العود الى اسبرطة من بعد خيبته هذه فاستخلف ابنه على التخت بدلا منه وهو اغسيبوليس وفى هذه الحالة رأى اغسيلوس توقيف تغلباته فى آسيا الصغرى فعاد الى اسبرطة وفى نحو هذا الوقت تقوى الاتحاد ضد اسبرطة بواسطة انضمام عوبية وا كارنانيه ولوكريس الغربية وامبراقية ولوكاديا وكالسيديس فى تراسة على التوالى

وفى فصل ربيع سنة ٣٩٤ قبل الميلاد صار عقد مجلس من المتحالفين فى قورنثة تقرر فيه السير على اسبرطة حالا الا أنه صار توقيف هذه الحركة بواسطة سرعة زحف الاسبرطيين وهزم المتحالفين بالقرب من قورنثة ومن بعد قليل وقعت وقعة ثانية تحت قيادة اغسيلوس وكانت عهدت اليه قيادة الاسبرطيين فانهزم المتحالفون فيها أيضا وحصلت هذه النصرات فى نفس هذه السنة بواسطة مظفرات كانون وذلك أنه جاء من دار نفيه من جزيرة قبرص وجهزت له فارس أسطولا فهزم الاميرال بساندر الاسبرطى على مسافة من بحيث جزيرة كنيدوس من أعمال كاريه فى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد وخلص كامل جريق آسيا من تبعيتها الاسبرطة وبهذا ضاعت المملكة الساحلية الاسبرطية بسرعة أزيد من السرعة التى كانت تغلبت فيها عليها ثم ان فارس أشركت أميرالا من قوادها مع كانون فى قيادة الاسطول وكان هذا القائد فرنابازوس تقابل مع قواد المحالفين فى قورنثة وحقق لهم معاضدته القلبية فعلى حسب طلب كانون استعمل بحرية الاسطول فى تحصين بيروس وأعاد بناء الاسوار الطويلة فى أثينة

ومنح مبلغاوافرامن النقود من أجل هذه الاشغال النافعة وأثنى الاثينيون على كانون وعفوا عنه مما حصل منه من مصيبة اغوسبوطامى وقابلوه مع التبجيل والاحترام اشارة الى عوده الى وطنه

وفى هذه الحالة أجرى الحرب فى داخل أراضى قورنثة بما أنها كانت أصل الكدر والغم فكانت اسبرطة على غاية من الظفر والنصر فى هذه الحروب حتى ان طيبة قطعت الامل من كسرها وهزيمتها وسعت فى أن تعقد معها صلحا على حدتها وأرسلت رسلها فعامل اغسيلوس رسل الطيبيين بالذل والاهانة الا أن آمالهم عادت اليهم لما سمعوا بخبر أن شرذمة من الاثينيين تحت قيادة عفقراطيس انتصروا على فرقة اسبرطية وتوقف فى الحال السعى والكد فى عمل الصلح ثم حصل للاثينيين نصرات أخرى حتى تسببت اسبرطة فى تجديد المساعى التى كانت أجرتها فيما سبق بخصوص تحريض أوحض مملكة فارس على عقد صلح عمومى بين الممالك الجريقية ونجحت مساعيها فى هذا الوقت نجاحا تاما عند ملك فارس فعقد هذا الملك الاكبر شروط المعاهدة المعروفة بصلح انطالسيداس ومن ابتداء هذه المعاهدة تمكن أردشير بن زرادشت من أعماله فى الممالك الجريقية حتى انه أوقف طلب الغلال والحبوب اللازمة للاثينيين من نواحى البحر الاسود وأرغم الاسطول الفارسى مدينة أثينة على عقد الصلح وصادق الممالك الاخر عليه فى الحال فى سنة ٣٨٧ قبل الميلاد وبواسطة شروط هذه المعاهدة المهينة صار تسليم جميع المدائن الجريقية الموجودة فى آسيا لمملكة فارس وصارت هى الحاكم المتصرف الفيصل فى الاعمال الجريسية الاوروباوية

وتولد من نتائج هذه المعاهدة انفصال قورنثة من أرغوس وضياع طيبة قيادتها الاتحاد البيوطيانى وبما أن الاسبرطيين كانوا هم السبب فى ضعف طيبة أعادوا انشاء المدينة الصغيرة بلاطية وأعادوا اليها على قدر امكانهم سكانها القديمة ثانيا وساعدت أثينة بالطمع محبوبتها القديمة ورجوع البلاطيين الذين كانت صداقتهم لاثينة سببا فى مصيبتهم وخراب مدينتهم وصارت بعيدة عنها ثم ان اسبرطة بحجة انها ناظرة الى تقوية شروط المعاهدة مدت سلطتها ونفوذها على كامل الجهات وصار من البديهى للجريق أن مرغوبها وجل مقصدها جعل كامل البحيث جزيرة خاضعة لها وفى سنة ٣٨٢ قبل الميلاد وقت استتباب الصلح ضبطت قوة اسبرطة كادمية وهى قلعة طيبة ورفضت الحكومة الاسبرطية تسليمها كل ماحصل من طيبة من اقامة الحجج عليها فتولد من هذا الفعل كون المملكتين صارتا على شروط محبة اسمية فقط وبهذا نجحت اسبرطة بقباحتها ووقاحتها فى كونها جعلت طيبة العدو الالدلها

ولما لم تجد المملكة اللاسيدعونية ذات الطمع المهيج للممالك ميدانا صالحا لها فى البحيث جزيرة تمد سلطتها فيه وسيادتها عليه وجهت نفسها ضد الاتحاد القوى الموجود على الحد الشمالى للجريس وهذا الاتحاد مركب بعضه من المدائن الجريقية وبعضه من المدائن المقدونية تحت حكم أولنطوس فاستمر الحرب الاولينطيانى أربع سنوات من سنة ٣٨٢ الى سنة ٣٧٩ قبل الميلاد وكانت نتائجه الظفر لاسبرطة ومن ثم فازت فى زوال عدوها الالد مقدونيا وصارت هى المملكة الوحيدة التى أمكنها أن تشكل سدا حاجزا بين الجريس وفاتحى المقدونيين وفى هذه الحالة صارت شوكة اسبرطة فى أعلى درجات المجد والطنطنة وصار لها سيادة فى البحر والبر قوية مثل ما كانت عليه أثينة ونالت سموها بمساعيها ضد الحريات الجريسية ورغبت فى المحافظة على هذه السيادة بالحالة الجارية أعمالها عليها

الا أن عدم قبولها عند عموم الجريس المتولد من سوء ادارتها و بطش حكومتها ورذالة حكامها زاد فى خلوص مودة اتحادها مع ألد الاعداء الحربية الجريسية وهم الفرس والمقدونيون والسراقوسيون ومن العجب وسعد السعود أنها لم تضبط شوكتها مدة طويلة وصار يوم عقابها على شرف الوقوع واستمرت طيبة مدة ثلاث سنوات تحت أيدى الحزب الاسبرطى وقلعتها مشحونة بمحافظى اللاسيديمونيين فتشكلت طيبة ثورة علمت بواسطتها الطريقة اللازمة فى خلاصها من يد اسبرطة وكانت هذه الثورة بواسطة بلوبيداس وآخرين من منفيي الطيبيين الموجودين فى أثينة ونجحت بهذه الحالة فى أعمالها وتغلب منفيو الطيبيين على الحزب الاسبرطى فى طيبة وقتلوا رؤساءه وأعادوا الحزب الوطنى المدينة كما كانت على قديم أصلها وفى نفس هذا الوقت وصل ابامنونداس وكان أكبر أشراف طيبة فى طيبة واشترك مع أهل بلاده فى الحرب وحصروا محافظى الاسبرطيين فى القلعة حتى سلموا على شرط أن سمحوا لهم بالخروج الى بلادهم بشرف الحرب فاستعد الاسبرطيون فى الوقت لعقاب طيبة وتولد من أعمال رذيلة كانت أجرتها اسبرطة فى انتهاك حرمة أثينة كون الاثينيين دخلوا فى معاهدة مع طيبة وأخذت أثينة محلها فى رياسة الاتحاد ضد اسبرطة فى سنة ٣٧٨ قبل الميلاد وفى الحرب الذى حصل عدمت اسبرطة نجاحها وشوكتها بالكلية وصار لا طاقة لها على مقاومة الاسطول الاثينى وكان هزم أسطولها عدة هزيمات شديدة وأما الطيبيون فانهم تحت قيادة رئيسهم الاكبر ابامنونداس من بعد أن تحملوا عدة أهوال ومصائب فى مبادى أمرهم نجحوا فى تحرير بلادهم وعتقها من الاسبرطيين ثم حصل لاثينة الغيرة والحسد من نجاح طيبة فسعت سعيا كان على غير طائل فى عقد صلح على حدتها مع اسبرطة وفى سنة ٣٧١ قبل الميلاد انعقد مجلس عام من الممالك الجريقية فى اسبرطة واستقرت الحالة فيه على عقد صلح عمومى وأخرجت اسبرطة من هذا الصلح طيبة لان الكراهة الشديدة التى وقعت بين هاتين المملكتين لا تجوز الاصلاح بينهما وعرفت هذه المعاهدة بصلح كالياس وصار الحرب مشتركا بين اسبرطة وطيبة فقط وصارت طيبة مرعية عند الباقى من الجريس بانها على شرف الدمار والخراب الذى لا بد منه لها ومما رأت طيبة من نتائج الحرب صارت لا تصدق فى ان ابامنونداس فيه قابلية لما يلزمها من احتياجاتها فكان لها أعظم قائد وأجل واحد فى حسن الطباع والخصال ولم تلد الجريس مثله وعضده فى أعماله وأشغاله محبته لوطنه و بلاده زيادة عما كان يتصوره هو فى نفسه وأسرع الاسبرطيون فى الغارة على بيوطيه تحت قيادة قليومبروطوس وكان هجومهم من ناحية فوسى فتغلبوا على مدينة قروصيس الموجودة على خليج قريصو وعلى ثمانى عشرة مركبا من السفن الحربية الطيبية واستمروا فى زحفهم على داخل بيوطيه فانهزموا شر هزيمة فاصلة بواسطة الجيش الطيبى تحت رياسة ابامنونداس فى واقعة كبيرة مهولة حصلت فى لوكتره وخسر الاسبرطيون خسارات جسيمة وانحصروا فى معسكرهم وكانوا حصنوه وما حصل قبل مثل هذه المصيبة الكبرى لاسبرطة فانها كانت عليها من أصعب الامور وأشدها من عهد واقعة ترموبيلى

ثم وصلت أخبار واقعة لوكتره فى اسبرطة بوجوه احتمالات مختلفة فأمرت الحكومة بمنع العويل ولبس الحداد والنوح وبذل الاسبرطيون كل ما فى طاقتهم ووسعهم فى خلاص الجيش المهزوم من موقعه الخطر الموجود فيه وسافر كامل الباقى من القوة العسكرية الموجودة فى المملكة من طريق البحر من قورنثه الى قورصيس ومن قبل امكان وصول هذه القوة الى بيوطية طلب الطيبيون مساعدة

جاسون طاغيــة فيريا فى تساليا فنجحهم طلبهــم بمساعدته اياهــم وبواسـطة ما أشار به جاسون رخصوا للاسبرطيين المحصورين فى لوكتره بان يخلوا البلاد فسافرت هذه القوة الى قروصيس ومنها الى ميغاريد وقابلوا الجيش المسافر لخلاصهم وقت سيرهم وعادت كامل القوة الاسبرطية فى الحال الى بلادهم وكانت عاقبــة لوكتره مشؤومة منحوسة على الســيادة الاسبرطية حتى سقطت فى الحال وكانت هزيمة الجيش الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الاسبرطيين وهذه ما حصلت لاسبرطة قبل فانها دمرت سيادتها حتى على المــدائن البلوبونيزية وضاع منها ملحقاتها الموجودة فى شمال الخليج القورنثى وصار تقســيم هذه الملحقات بين الطيبيين وجاسون ومن مــدة أربع وثلاثين سـنة من عهــد نصرتها فى اغوسبوطامى كانت هى الــسائدة فى الجريس والفيصلة فى الاعمال الجريسية فالتزمت بقبولها لخسارة شوكتها وأخذت لها موقعا ثانويا من ضمن الممالك الثانوية الجريسية وفى السنة التالية أى سنة ٣٧٠ قبل الميلاد حصل للجريس مصيبة أخرى وهى المذابح التى أجراها الطماع جاسون فأسرع فى أن يظهر عزمه كى يجعل نفســه سيدا البحيث جزيرة فكان موته خلاصا لكامل الممالك الجريقية من هذا الكرب العظيم

ويولد من حــسد أثينة لطيبه أن دعت اليها جميع الممالك لعقد تحالف جديد على نص شروط الصلح الذى كان حصــل فى انطالسيــداس فالتحق بالاتحاد معظم الممالك البلوبونيزية أى ممالك موره وكان يعرف هــذا الاتحاد باسم الاتحاد الاركادى وتقــرر فى هذا الاتحاد استقلال كل عضو من الاعضاء الداخلة فيــه فلم تقبل عليس هــذا القرار وتعللت بانها ربما تفقد سيادتها على المــدائن الطرفيليانية ومن ثم صارت الممالك البلوبونيزية مستقلة من اسبرطة حتى الممالك التى لم يحصل منها أدنى مشاحنة فى سلطتها من عدة قرون مضت

ثم ان المنطينيين انتهزوا الفرصة فى هذا الوقت للاخذ بثارهم مما حصل لهم من ضرر الحروب والخسارات التى كانت اسبرطة سببا فيها فأعادوا بناء مدينتهم ودعوا ابامنونداس لمساعدتهم وفى نحو غلاق سنة ٣٧٠ قبل الميــلاد دخــل ابامنونداس اركاديا فى جيش من متطوعى ارجيقة وعيليا ينوف عن ٧٠٠٠٠ مقاتل وزحف على نفس اسبرطة فقابله اغسيلوس وصدّه فى زحفه وتقدمه فاكتفى ابامنونداس بخراب وادى عوروطاس وعاد الى اركاديا وعكف على شغل تشييد الاتحاد الاركادى على قواعد ثابتة الاساس ولاجل تجنب الغيرة والحسد أشار على أعضاء الاتحاد الاركادى ببناء مدينة جديدة سماها ميغالوبوليس وجعلها عاصمة الاتحاد وأسكنها من أربعين مدينة من مدن الاتحاد

وكمل ابامنونداس ذل اســبرطة واهانتها بكونه أعاد المملكة المسينية فأعيد بناء مدينة مسينة ووضعت قلعتها على رأس جبــل اتومى وكان مطمعا للحروب الاصلية الاولى والثانية من الحروب المسينية ثم ان المسينيين الذين هــم ذرية المسينيين الذين صار نفيهم من منذ ثلاثة قرون مضت بواسطة اسبرطة عادوا ثانيا بدعوة من ابامنونداس وعادت الاراضى المسينية على نحو ما كانت موجودة عليه فى الزمن الاول فتولد من الاهانة الكبرى التى حصلت لاســبرطة كونها دخلت فى معاهدة مع أثينة ولما كانت أثينة خائفــة من تقدم شوكة طيبة وسيادتها دخلت أيضا فى مساعــدة عدوتها القديمة وعسكروا جيوشهم بالاتحاد فى معابر ودروب جبــل برزخ قورنثه لاجل صد الطيبيين عن وصولهم الى الجريس الجنوبية الا أن ابامنونداس هزم فرقة اســبرطية واغتصب منها حذاءها وشكل مواصلة مع مواصليه ومحالفيه

فى بلوبونيزه وفى هذا الوقت تركت صكيون مخالفة اسبرطة والتحقت بالاتحاد الطيبى واجتهدت طيبة فى التغلب على قورنثه الا أنها صدت عن هجومها وفى نحو هذا الوقت وصل اسطول حامل نحو امن ٢٠٠٠ نفس من مستأجرى الغلية واسبانيا وكان الذى أرسله دونيسيوس صاحب سراقوسة لاجل مساعدة أثينة واسبرطة فى سنة ٣٦٩ قبل الميلاد وفى سنة ٣٦٨ قبل الميلاد شرع الاركاديون فى التغلب على الاراضى المسينية التى كانت باقية تحت أيدى اسبرطة فانهزموا فى واقعة تعرف بالواقعة الصغيرة أى غير السافكة للدماء وسموها بهذا الاسم لان الاسبرطيين نالوا النصر فيها من دون أن يفقد منهم شخص واحد ونظرت طيبة لهزيمة مخالفيها بعين الفرح والسرور لانهم عرفوا أن تبعتهم لها هى من أجل حمايتهم لخصر واساعيهم فى هذه السنة فى ترتيب اتحاد مؤلف من مدائن تساليا ودخلوا فى معاهدة مع مقدونيا وكان من ضمن الرهائن التى أرسلها ملك مقدونيا أمنطاس الثانى الى طيبة ابنه فيليب وهو شاب عمره خمس عشرة سنة كان يظهر عليه علامات أن يكون سيد الجريس فاستمر متوطنا فى طيبة بضع سنين

ثم ان طيبة دخلت فى سنة ٣٦٧ وسنة ٣٦٦ قبل الميلاد فى مخابرة مع ملك فارس وكان المعروف من عهد صلح أنطالسيداس أن الحاكم المطلق فى عواقب ما تؤل اليه الجريس هو ملك فارس فبحثت فى الحصول على مصادقة أردشير بن زرادشت على سيادتها وسلطتها وقرر أيضا ملك فارس استقلالية مسينة وامقيبوليس وأمر الاثينيين باعداد أسطولهم كما كان ودخلت عليس فى سلطنة المدائن الطرفليانية وشق كثيرا على أهل طيبة قبول ملك الفرس معروضات هذا الممالك فلما وصل بلوبيداس فى تساليا لاجل توطيد تقويتها وضعه اسكندر صاحب فيريا فى السجن وهزم القوة الطيبية التى أرسلوها لخلاص بلوبيداس فسار أبامنونداس وخلص بلوبيداس الا انه لم يحصل منه أدنى أذى خشية من عدم خلاص صديقه من يد اسكندر وفى سنة ٣٦٣ قبل الميلاد غزا الطيبيون تساليا مرة أخرى تحت قيادة بلوبيداس فهزم اسكندر شر هزيمة الا انه قتل فى وقت النصر فرأى أهل بلاده بأن فقده لاشئ من بعد كسبهم الظفر وتغلبوا على جميع ممالك اسكندر ما عدا مدينة فيريا ودخل كامل الجريس الشمالية تحت أحكام طيبة

ومن سوء ما حصل من هذه الاجراآت والاشغال تقسيم بلوبونيزه وارسال الاركاديين ومخالفيهم جيشا الى عليس فى زمن اشهار الالعاب الاولمبيقية فضبطوا الايكة المقدسة وطردوا العليانيين من عملهم موسم الالعاب وسلموها للبيساطانيين فهجم العليانيون والاخائيانيون على المحاربين فى منتصف الالعاب الاولمبيقية ووقعت واقعتهم فى البقعة المقدسة فصد الاركاديون الهجوم ونهبوا معبد أولمبيه وسلبوا خزائنه وما كان فيه من الكنوز والذخائر فغضب المجلس المنطينيانى من سوء هذا الفعل وأعلن بانتهاك حرمة الارض المقدسة ولم يقبل الاشتراك ولا المداخلة فى الغنائم والمسلوبات المقدسة فنشر المحالفون الآخر اعلانا بأن المنطينيانيين خانوا الاتحاد الاركادى وكانت نتيجة هذا الشغل الغاء الاتحاد وابطال مفعوله وعقد صلح مع عليس وصارت منطينة حليفة لاسبرطة وأما طجيا وباقى الاتحاد فانهم استمروا على صداقة طيبة وانتشب الحرب بين الحزبين وطلب أصدقاء طيبة دخولهم فى مساعدتهم وطلب المنطينيانيون مساعدة اسبرطة اياهم

وفى فصل صيف سنة ٣٦٢ قبل الميلاد غزا أبامنونداس بلوبونيزه وانضم اليه فى طجيا محالفوه وقت

ماسار أغسيلوس بالجيش الاسبرطى لمساعدة منطينه وما أمكن اغسيلوس فى حركته هذه أن يرد عاصمة منطينة وجعل أباميونداس قريبا منها زيادة عن قرب نفسه منها فانتهز القائد الطيبى فرصة وقوع خصمه فى الخطا وسار مسرعا الى اسبرطة ولما بلغ اغسيلوس خبر هذه الحركة بذل جهده فى السير حتى وصل اسبرطة فى وقت هجوم أباميونداس عليها مع الجيش الطيبى فكانت الواقعة فى شوارع العاصمة وأرغم أغسيلوس أباميونداس وعسكره على الانجلاء من المدينة والانسحاب عنها وسار الطيبيون مسرعين فى سيرهم على الغارة على منطينة وكان أهلها فى حالة استتباب مشتغلين فى حصاد مزروعاتهم فكان ولابد من سقوط منطينة فى أيدى أباميونداس والجيش الطيبى الا انه تصادف وصول فرقة من خيالة أثينة وهذه الفرقة وان كانت على غاية من تعب السفر وشدة الجوع الا أنها قابلت هجوم الطيبيين وصدوهم عن المدينة حتى وصل الجيش الاسبرطى بعد قليل فانجبر أباميونداس على العود الى طيبا وفى هذا اليوم التحم الجيشان على سهل من الارض مرتفع عن سطح البحر بقدر ٢٠٠٠ قدم بين طيبا ومنطينة وفى هذه الواقعة الدموية التى حصلت انهزم المنطينيون والاسبرطيون وسارت بنصرة الطيبيين الركبان الا أن أباميونداس انجرح جرحا قاتلا فى مدة النصر ولما خاص أهل بلاده من خسائرهم تكبدوا الام موته وصرف أباميونداس آخر أقواله وتنهداته فى المشورة على أهل بلاده فى عقد صلح ومرت السيادة الطيبية بموت فارسها الاعظم كأن لم تغن بالامس ولما لم تجد طيبة أحدا يقوم مقامه عادت فى الحال حالتها الى القهقرة حتى وصلت موقعها العادى وعلى حسب مشورة اباميونداس عقدت طيبة صلحا بشرط ترك الاشياء على ما كانت موجودة عليه فى وقت الحرب فرفضت اسبرطة التوقيع على هذه المعاهدة لانها كانت غير معضدة من طرف محالفيها فما حصل من عدم توقيعها ضرر ولا أذى

ثم ان أغسيلوس ملك اسبرطة وقد بلغ من العمر ثمانين سنة الا أنه سافر الى مصر فى رأس ١٠٠٠ من العساكر الثقيلة لاجل مساعدة طاقوس فرعون مصر وقت عصيانه على مملكة فارس فاستغرب المصريون عند ما رأوا رجلا قصيرا أعرج طاعنا جدا فى السن وشاهدوا فى ذاته أنه أقبح ملك فأهانوه واستهزؤا به ولم يقبلوا أن يكون قائد جيشهم فبطش بهم وانتقم لنفسه منهم بواسطة مساعدة عصيان نقطانب وتغلب على التخت المصرى لنفسه ثم رد هذا الملك المنصور هذه الخدمة بمقدار ٢٥٠ وزنة من الذهب وعاد اغسيلوس الى اسبرطة ومات فى طريق عوده الى وطنه فصبروا جثته بالشمع وحملوها الى اسبرطة ودفن مع الاحتفال الزائد وعلى ما قيل انه كان أكمل رجل مدنى اسبرطى وعلى كل حال فكان رجل اسبرطة وشجاعها

واستمر صلح سنة ٣٦٢ قبل الميلاد بغير نقض ولا ابرام فى القارة الجريسية مدة ست سنوات وفى هذه المدة حصل بين أثينة واسكندر صاحب فيريا حروب فى البحر ووقائع خلف الحدود الاصلية للجريس وكذا بين أثينة وامفيبوليس من جهة وبين مقدونيا وملوك تراسة من جهة أخرى وفى سنة ٣٥٨ قبل الميلاد خضعت عوبية وأمفيبوليس وخرصونة ثانيا الى أثينة وصارت أثينة مرة أخرى مملكة ذات شوكة عظيمة فى الجريس وتوشحت هذه السنة بعلو نقطة مجدها فى المرة الثانية وكذا بمبادى اضمحلالها وفى هذه السنة ابتدأ ما يعرف بالحرب الاشتراكى وذلك أن رودس وخوس وخيوس وبيزانطيوم عصوا على أثينة وانضم اليهم سصطوس والمدائن الاخرى الهلسبونية التى كانت موجودة

تحت طاعة أثينة وأرسلت كاريا امداد اللثائرين وعجز الحرب الخزينة الاثينية مع ماحصل منه من عدم الفائدة وخلت النقود اللازم دفعها أو صرفها من أجل مرتبات البحرية الموجودين فى الاسطول الاثينى لحفظ القواد الاثينية البحرية والاسطول تحت مساعدة فرنابازوس حال عصيانه على مملكة فارس فاستعد الملك الاكبر للدخول فى الحرب على أثينة فالتزمت جمهورية أثينة على اطفاء شره وغضبه ورضيت باستقلال الاربع ممالك العاصية عليها وعقدوا من أجل ذلك صلحا وبينما كانت أثينة مشغولة بما يعود منه النفع عليها أسرع فيليب صاحب مقدونيا وضبط ملحقاتها الموجودة على خليج تراسة وجعل نفسه سيدا على كامل الكورة الموجودة بين نهر نسطوس وبنتوس ووطد له رجلا فى الجريس

وفى سنة ٣٥٧ قبل الميلاد ثار فى أثناء غلبة الحرب الاشتراكى حرب آخر فى الجريس اسمه الحرب المقدس وذلك أنه تولد من كراهة طيبة للفوسيين حملهم على المحاربة لاجل حفظ وجود حياتهم فالتزم الفوسيون على ضبط خزائن هيكل دلفى وحزموا رأيهم فى الصرف منه بجندوا جيشا كثيفا من العساكر الاجرية حتى اشتروا معاهدة أثينة أو حيادتها واخايا واسبرطة فى مثل هذه الاوقات المشكلة فمع أن الفوسيين انهزموا فى مبادى أعمالهم الا أنه صار لهم طاقة فيما بعد تحت قيادة أونومارخوس على التغلب على سوكريس ودوريس وعلى محاربة بيوطية والتغلب على أورخنوس فى سنة ٣٥٣ قبل الميلاد

الباب الثامن

(السيادة المقدونية)

وصف مقدونيا ـ أصل الامة المقدونية ـ تأسيس السلطنة المقدونية ـ صيرورتها خراجية لفارس ـ عود استقلاليتها ـ تاريخ مقدونيا القديم ـ فيليب الثانى ـ تغلبه على الالبريانيين ـ تدبيراته فى اخضاع الجريس ـ اجراآته الشديدة فى مملكته ـ تعديه على الاملاك الاثينية ـ تداخله فى الاعمال الجريسية ـ طلب طيبة مساعدة فيليب ـ جعل نفسه سيد الجريس ـ ديموسطنس ـ تكذيبه ـ تدمير فيليب الاتحاد الاولنطيانى ـ الحرب الثانى المقدس ـ واقعة خيرونية ـ سيادة فيليب فى الجريس ـ حض الممالك الجريقية على اعلان الحرب ضد فارس ـ ذل اسبرطة وهوانها ـ موت فيليب ـ صيرورة اسكندر الاكبر ملك مقدونيا ـ مبادى تربيته وتهذيبه ـ أعمال اسكندر الشديدة ـ تعينه قائد الغزوة الفارسية ـ حروبه مع القبائل المتبربرة ـ عصيان طيبه ـ تغلب الاسكندر على المدينة ودمارها ـ عبور اسكندر الهلسبون أو الدردانيل ومبادى الحرب الفارسى ـ واقعة غرانيقوس ـ فتح آسيا الصغرى ـ قطع الاسكندر العقدة الغوردياتية ـ واقعة عصوص ـ فتح سوريا وفنيقيه ومصر وتأسيس الاسكندرية ـ واقعة اربل ـ سقوط المملكة الفارسية ـ موت دارا ـ تغلب الاسكندر على بابل والسوس ـ فتوحات الاسكندر فى الشرق ـ زيادة الافراط الذى حصل من الفاتح ـ قتل قواده ـ دفع الاسكندر فتوحاته الى الهند ـ انتصاره على بوروس ملك الهند ـ وصوله الى الحيفاسيس أو الغور ـ عدم قبول عساكره التقدم الى قدام ـ

عوده الى السوس ـ سيره الصعب ـ اشتراك الاسكندر فى المشاق مع رجاله ـ ديوان الاسكندر فى الشرق ـ زوجاته ـ تصميماته ـ صحة ادعائه السودد والعظمة ـ استعداده لفتح بلاد العرب ـ العلة الاخيرة لاسكندر وموته

أخذ الحرب ميدانا واسعا وجلب على الجريس عواقب مستجدة محسوسة تولدت من المنازعات التى حصلت فيها وما كانت هذه الحروب أعظم من الحرب الآخر المقدونى الذى حصل فى الجريس من مملكة مقدونيا وكانت هذه المملكة من عدة قرون مضت باذلة همتها ومكدة فى سعيها فى تقوية نفسها وحفظ دولتها وشوكتها على الحدود الجريسية ولها الرغبة التامة من قديم الزمان فى مد سلطتها وسلطنتها على المملكة الجريسية

ومقدونيا هذه واقعة خلف الحدود الاصلية للجريس وفى شمال تساليا مباشرة وتختلف حدودها باختلاف الازمان الا أن ما سنذكره هنا يمكن أن يؤخذ منه الوصف الحقيقى لحدودها وذلك أنها مفصولة من الجهة الشمالية من موسيا بواسطة الجبال المسماة أوربلوس وأصكوميوس ومن جهة الشرق من تراسة بنهر استريمون ومن جهة الجنوب من تساليا بسلسلة جبال كامبونى ومن جهة الغرب من السيريا باستمرار السلسلة الكبيرة لجبال بندوس المعروفة هنا باسم اسكردوس وبرنوس وتشمل مقدونيا الاصلية على مساحة قدرها ٦٠٠٠ ميل مسطح وهى خصبة الارض على العموم ومختلفة الوصف بالكلية فان سلاسل الجبال الشامخة المغطاة بالثلج فى مدة القسم الاكبر من السنة تقطع المملكة فى جميع جهاتها وتحصر بينها كثيرا من حياض ممتازة عن بعضها بحيث تجعل لهذه المملكة وصفا خاصا بها وبعض من هذه الحياض فى وسطه بركة معدة لتلقى مياه السيول وأخرى من السيول تجرى على صورة أنها لا فرق بين بعضها فى الامتياز نحو الجهة الشرقية وتصب فى بحر الارخبيل وفى كلتا الحالتين فالحياض ذات الامتداد الواسع يظهر منها للرائى أنها سهول متوالية خلف بعضها والجهات الاكثر علوا من غيرها مشحونة فى معظم نواحيها باورمانات كثيرة الاخشاب الموافقة للصناعة وبكثير من الجداول والغدران والخيران والحلوق والشلالات ويتغير هذا الوصف فى بعض جهات باراض خلية بصفة واحدة يسير المسافر فيها أميالا على أراض مكشوفة متعاقبة وأراض صلبة حجرية خالية عن النبات لا هيئة لها ولا هندام

ومن المحتمل ان أصل المقدونيين من الجنس الايريانى القديم وأنهم مميزون عن الخلق أو الامم بكونهم من الامم المتبربرة أو أمة من النسل الهلانيقى وأما نفس ملوك المقدونيين فانهم يدعون أن أصلهم من الدم النقى الهلالى وينسبون سلالتهم الى طمنوس صاحب أرغوس

والتاريخ القديم لمقدونيا مجهول جدا ومظلم بالكلية الا أن الصحيح المعول عليه أن أصل مؤسس الحكومة المقدونية هو برديكاس الاول فى نحو سنة ٧٠٠ قبل الميلاد الا أنه لا حقيقة لشئ من تاريخها الحد سلطنة امنطاس الاول وكان معاصرا لبطسطراطيديا فى أثينة ولدارا الاول صاحب فارس وانه فى سنة ٥٠٧ قبل الميلاد خضع الى دارا الاول وان مردونيوس فى غارته الاولى على الجريس فى سنة ٤٩٢ قبل الميلاد أخضع مقدونيا وجعلها اقليما من المملكة الفارسية وكان ملوكها الوطنيون يحكمونها بصفة ملوك خراجية لملك فارس ومن بعد هزيمة أردشير فى الجريس صارت

مستقلة فى نفسها مرة أخرى وابتدأت فى مد أراضيها على التدريج فى طول الساحل الشمالى لبحر الارخبيل زاحفة مع الثبات والشدة نحو الجهة الشرقية ثم توقف زحفها وسيرها بسد حصل من خصمين قويين عنها فى تلك الجهة وهما المملكة التراسية وصاحبها سيطالسيس والاثينيون وكانوا عمروا بحيث جزيرة كالثيدونيه بالمدائن الجريقية وان أرخيلوس الاول وكانت سلطنته من سنة ٤١٣ الى سنة ٣٩٩ قبل الميلاد وضع الاصلاحات فى مملكته وأنشأ طرقا وقلاعا ومعاقل فى طول الحدود والثغور لاجل حفظ المملكة من غارات الامم المتبربرة وجعل مدينة بلا عاصمته واجتهد فى نشر الآداب والصنائع بين قومه ورعيته وكان محبا الهاومات مقتولا فى سنة ٣٩٩ قبل الميلاد وكان الملك الاكبر الذى جلس من بعده برديكاس الثالث فجلس على التخت فى سنة ٣٦٤ قبل الميلاد ومن بعد مضى خمس سنوات قتل فى واقعة حربية وترك ولدا طفلا اسمه امنطاس فناب أخوه فيليب عن ابن أخيه ولبس التاج فى سنة ٣٥٩ قبل الميلاد

وكان فيليب الثانى ابن امنطاس الثانى وأخو برديكاس عمره ثلاث وعشرون سنة وعندما وصلت اليه النيابة كانت مدة صعبة الاشكال كثيرة الارتباك فى تاريخ بلاده وذلك أنه حصل منازعة فى التخت من أربعة مدعين وتغلب الاليريانيون على الاقاليم الغربية من مملكته وكانت الاقاليم الشرقية على خطر من تغلب تراسة وبيونيا عليها وقرر فيليب فى الابتداء خلافة ابن أخيه واسترد تراسة وأثينة وسار نحو الاليريانيين واختار فى أعماله العسكرية وسوقه الجيوش قوانين أباميونداس وكان فى أثناء اقامته فى طيبة فبارزهم وهزمهم فى عدة وقعات شديدة وكسر كامل قوتهم ودمر شوكتهم ثم عزل ابن أخيه عن السلطنة وكسر مساعى الذين كانوا يدعون التاج لانفسهم والى حد هذا الوقت كان مقرا بالمودة القلبية للاثينيين ولما خلص من الكرب الذى كان واقعا عليه من نواحى الاليريانيين شرع فى التعدى على الاملاك الاثينية الموجودة فى الشرق حسبما ذكرنا وذلك أنه لما انتهز الفرصة فى أثناء الحرب الاشتراكى وكان الاثينيون مشغولين فيه هجم على حين غفلة منهم وتغلب على أمفى بوليس ثم تغلب على كامل الاقليم الساحلى الموجود بين نهر ستريمون ونهر نسطوس واستحوذ على معادن الذهب الجليلة الموجودة فى تراسة فكان يكتسب منها مدخولا سنويا قيمته ١٠٠٠ وزنة فنظم جيشه على القواعد والاصول التى كان مارسها فى طيبة وأدخل فى جيشه النظام الشديد حتى جعله لا يقهر ومن ثم صار له طاقة على تنفيذ أغراضه بعلو شوكته على أى قوة فى الجريس وآسيا ولما صار سيدا على الاملاك الاثينية الموجودة على بحر الارخبيل وضع تصميماته القلبية موضع العمل بالفعل وكان مصمما عليها من قبل وذلك أنه يجعل نفسه السيد الاعظم للجريس وجعل علة أغراضه فى هذا العمل المشاحنات الجارية بين طاغيتى تساليا وألوادى صاحب لاريسا فطلب طاغيتا تساليا وهما خليفتا اسكندر صاحب فيريا مساعدة فيليب فأسرع وسمح لهم بما طلبوه ودخل تساليا فى رأس جيشه وسار على فيريا وكانت محصورة لنحو فيرون طاغية تلك المدينة وطلب فيرون المساعدة من أونومارخوس فأرسل له جيش المساعدة فهزم فيليب هذا الجيش ثم ان أونومارخوس ساق جيشا آخر تحت قيادة نفسه على تساليا فهزمه فيليب فى واقعتين دمويتين وأرغمه على الانسحاب من تساليا ثم عاد فيليب على بيوطيه وتغلب على خيرونيه وأغار مرة ثانية على تساليا فسار أونومارخوس لمقابلته فهزمه فيليب وقتله وأصبح فيليب ملك تساليا فى سنة ٣٥٢ قبل الميلاد وسار نحو الجهة الجنوبية حتى وصل بوغاز

ثرمو بيلى ولما وجده فى حالة جيدة من الحصانة والرصانة بواسطة قوة من العساكر الاثينية ارتد على أعقابه ومن ثم جعل نفسه ملك ثراسة وخرصون وفى أثناء ذلك كان الحرب المقدس جاريا على ما كان عليه حتى فنيت كنوز معبد دلفى وظهر على الفوسيانيين علامات الضعف وفى السنة الثانية عشرة من الحرب أى سنة ٣٤٦ قبل الميلاد دعت طيبة من دون أن تتبصر فى عواقب الامور فيليب لاجل حطم وهشم الفوسيانيين فمن عهد هذه الدعوة مكث مدة طويلة متقلدا اجابة الاله الدلفى وأسرع الملك المقدونى فى اجابة الدعوة التى يتيسر له منها الحصول على فوائد أغراضه الشارع فيها ولما وطد حيادة أثينة سار من بوغاز ثرموبيلى من دون أن يحصل له أدنى مقاومة وفى ظرف حرب قصيرة أخضع فوسيا وقهرها وسلمها الى المجلس الانفيقطيونيقى بدل ما كانوا عليه من السلطنة وصار فيليب سيد الجريس فى الحقيقة وكانت أثينة وحدها قادرة على مقاومته الا أنه لم يوجد فى الاثينيين قائد له طاقة على مقارنته وزيادة على هذا ظهر حزب مقدونى فى مدينة أثينة نفسها وكان الخطيب الاكبر ديموسطنس يتوقع من مدة طويلة الخطر الذى يحصل من الحروب الجريسية فلما شرع فيليب فى اجراء مقاصده المرسومة بالطمع فى قلبه ظهرت جليا نتائج ما كان يتوقعه الخطيب ويذكر فى خطبه وقوعها ومن ثم اجتهد ديموسطنس وحض أهل بلاده وأجهد نفسه فى قيامهم لملاقاة هذا الخطر وجعلهم فى درجة قوية لمقاومة أهل مقدونيا وكانت خطاباته وطعنه فى فيليب مرعية بانها من أعظم البلاغات فى الحض والحث وأعظم شوكة فى الاعلان على الجور والظلم فيما لا يملكه الانسان ولما هجم فيليب على الاتحاد الاولنطيانى وكان اخر حاجز مانع بينه وبين الجريس أجهد ديموسطنس نفسه مع غاية الشرف على حث أثينة بشأن اغاثة أولنطوس فعزموا على استعداد غزوة لخلاصها الا أن وقتها كان انقضى نحبه وتغلب فيليب على أولنطوس باختلاس اثنين من رؤساء المدينة فى سنة ٣٤٧ قبل الميلاد وهدمها فيليب الى الارض وباع أهلها فى سوق الرقيق ومن حيث انه تغلب على جميع المدائن الاخر الكالسيدونية قبل محاصرته أولنطوس فمن ثم صار سيدا على كامل الاتحاد ومن حذاقة فيليب ومهارته فى حصول ثورة فى أثينة بذل جهده فى تقوية الحزب المقدونى الموجود فيها وفى جميع جهات الجريس الصالحة له وفاز فى عقد صلح مع أثينة بما انه كان لازما لتدبيراته فى الوقت الحالى وقبل دعوة الطيبيين لحطم الفوسيين كما ذكرنا ولما تم الحرب المقدس صارت أثينة وحدها فيها الكفاية لمقاومة زحف المقدونيين الا أن مقدونيا أصبحت المملكة القائدة فى الجريس وصار الاثينيون فى حالة خطرة مع حالتهم الموجودين عليها ومن ثم ثبتت حكم ونصائح ديموسطنس بواسطة نتائج الحرب فازداد نفوذه جدا بين أهل بلاده

وتولد من تعديات فيليب وجوره فى نواحى بوغاز البوسفور اشتعال الحرب بين أثينة ومقدونيا فى سنة ٣٤٠ قبل الميلاد وفى السنة التالية ابتدأ الحرب المعروف بالحرب الثانى المقدس وسنحت الفرصة لفيليب فى أن يضع مقاصده التى كان مصمما عليها من زمن طويل فى جعل نفسه سيد الجريس ولما صار اعن لوكريان امفيسية بسبب انتهاكهم حرمات الاشياء المقدسة عاقبهم المجلس الانفيقطيونيقى بكونه قرر عليهم غرامة يدفعونها فلم يقبلوا هذا الحكم ورفضوه ومن ثم تلقب فيليب صاحب مقدونيا بقائد قواهم بأمر الانفيقطيونيين وأصدروا له الاوامر بالسير ضد أمفيسية ولما دخل فى قلب الجريس فبدل أن يسير على أمفيسية ضبط علاطية وهى أكبر مدينة فى القسم الشرقى وظهر جليا

أن مقصده الحقيقى كان ضد بيوطية وأطيقة فتشكل هاتان المملكتان لاتحاد المقاومته وشق كثيرا على الاثينيين حض طيبة على عمل الاجراآت الاحتياطية اللازمة لحالة فاصلة بينها وبين مقدونيا وفى ٧ أغسطس قبل الميلاد هزم فيليب جيوش هذا الاتحاد الطيبية والاثينية فى نواحى خيرونية مهما كان من اجتهادهم فى مقاومته وصار هو صاحب الشوكة فى الجريس واعترف جميع الممالك الجريسية بسلطنته وأقرت عليها

وكانت سياسة فيليب وتدبيره هو اشتغال الجريقيين بمشروعات جليلة بالنسبة لما هو حاصل فى احساساتهم كى بواسطة هذه المشروعات يمتنعوا من الفكر فى ضياع حريتهم فكان يتفكر طويلا ويتبصر تبصرا جليلا فى تأديب مملكة فارس من أجل ما حصل منها من المصائب والآفات التى أوقعتها على أهل مقدونيا وعلى الجريس وعزم أن يضع مشروعه هذا موضع العمل بالفعل فطلب التئام مجلس من كافة الممالك الجريقية فى قورنثه ورفضت اسبرطة وحدها أن يكون لها حظ أو اشتراك فى هذا المجلس وكانت نتيجة هذا المجلس هو اعلان الحرب على فارس وعهد المجلس الى فيليب القيادة الكبرى للحرب وطلب من كل مملكة أن تجهز بعض فرق من العساكر والمراكب اللازمة لذلك

ومن قبل سفر فيليب فى هذا الحرب عزم على عقاب اسبرطة من أجل مبارزتها له بالعداوة فدخل بلوبونيزه فى رأس جيش كثيف وسار منحدرا الى الساحل الشرقى وعاد من الجهة الغربية فما قابل فيها أدنى مقاومة بالكلية لان سيره فى الحقيقة كان سير ملوك فى تقدماته واجراآته تخضع له الممالك الغربية الجريسية الموجودة فى شمال البرزخ ورتب محافظة مقدونيا فى امبراسيا ولما صارت سلطنة فيليب فى الجريس لانزاع فيها عاد الى مقدونيا يستعد للغزوة الفارسية وفى سنة ٣٣٦ قبل الميلاد قتل مذبوحا والذى قتله شاب اسمه بوسانياس ادعى أنه حصل له ضرر جسيم وعذاب أليم من تحت يده

ومن بعد موت فيليب خلفه ابنه اسكندر الثالث الملقب بالاكبر وكان مولده فى سنة ٣٥٦ قبل الميلاد وكان عمره عشرين سنة وقت ما جلس على تخت المملكة وكانت تربيته وتهذيبه على غاية من الاعتناء بواسطة أجود الاساتذة وأحسن المعلمين فعلمه ليونيداس أحد أقارب أمه وهذبه على العوائد الاسبرطية فى تحمل الآلام والمشاق والاقدام والتجلد وكذا شيد ليسيماخوس شهرة مطامع هذا البرنس بواسطة تعليمه محبة الشجاعة والبراعة العميرية والمفاخرة بها وغرس فى عقله اعتقاد الحكايات والروايات فى دم الفارس الاكبر اخيليس حتى صار ذلك جاريا فى عروقه وشرايينه ولما بلغ عمره ثلاث عشرة سنة عهدت قيادة تعليمه الى الفيلسوف ارسطاطاليس فالتزم تهذيبه وتربيته عدة من السنين وبهذا تلقى الفاتح الاكبر الذى فتح الدنيا تعليماته التى أجراها على المملكة الشاسعة وكان اسكندر محبا على الدوام للفيلسوف الاكبر ارسطاطاليس ومنها كتسب التدابير الواسعة والسياسات الشاسعة حتى ارتقى بها فوق كل فارس وفاتح وفاق كل مدبر وغارس وحازخصلة جعلت له طاقة على التبسم والضحك فى الشدائد والمحن وورث من أبيه غزارة الطمع ومن أمه شراسة الخلق والميل الى الجبروت والشدة ولما بلغ عمره ست عشرة سنة جعل نائب مقدونيا فى مدة غياب أبيه ولما بلغ ثمان عشرة قاد أحد أجنحة الجيش المقدونى فى واقعة خيرونية وكان على يده حصول السعد والنصر فى ذلك اليوم

وجلس على تخت مملكة أبيه فى وسط المصاعب والاخطار واستعد معظم الممالك الجريقية القوية الشوكة فى رج وهز الناف المقدونى مراعين أن الملك الشاب فى غاية من الضعف عن استمرار سيادة شديدة وتدابير غير مفيدة عاجز عن سير الاعمال التى كانت جارية بمعرفة أبيه وحقيقة فان طيبة قامت بشهامة قوية وقوة حربية وهددت مقدونيه بمجاهرة العصيان وكان اسكندر ممادلا لها فى عصيانها فهشم عصيانها وشهامتها وأمن نفسه أولا من جيرانه التساليين بعضهم بالميل والانعطاف وبعضهم بقوة السلاح وطلب التئام المجلس الانفيقطيونيقى فى ترموبيلى وأرغمه بان يعهد اليه القيادة التى كان عهدها لابيه من قبل ثم سار متوجها الى طيبة ومنعها من الثورة والعصيان وأما الممالك الاخر الجريقية فانهم أقنعوا نفوسهم فى مجلس عقدوه فى قورنثه وعرفوا بعين اليقين عين السخط من رجل رأوا أنهم أساؤا فى عدم توظيفه قيادة أبيه بخصوص الحرب الفارسى واستمرت اسبرطة بمفردها على الحيادة وكانت لم تزل متعلقة بحبال السلطة والشوكة التى كانت نالتها مرة الأن اسكندر لم ينظر اليها بعين العداوة الموجبة لعقابها من أجل انقيادها وطاعتها له وصرف ما بقى فى اخضاع التراسيين والطربالين وغيطيه والقبائل الدانوبية الموجودة فى الجهة الشرقية وكذا الالبريانيين والطولانطيين الموجودين فى الجهة الغربية واستحوذ اسكندر فى هذه الغزوات على غنائم كثيرة وأرغم هؤلاء الامم الذين كانوا على عزم الغارة على مقدونيا وأخذ ما كانوا عليه من الارتباكات التى كان حاصلا منها القلقلة للبلاد والعباد .

وبينما كان مشغولا فى هذه الحروب اذ حصلت اشاعة بموته وعم نشرها فى الجهات الجريسية فقامت طيبة فى الحال فى عصيانها وثوراتها واستعدت أثينة لمساعدتها ومن قبل تحققهم من موت اسكندر ظهر لهم على حين غفلة فى بيوطية وزحف على طيبة وأرسل لرؤساء الثائرين فى التسليم فأجابوه باللعن والشتم فمن ثم هجم على طيبة وتغلب عليها وخربها بالكلية ماعدا بيتا واحدا من بيوتها وهو بيت بندار الشاعر وأبقى كدميه على ما كانت عليه وحفظها بعساكر مقدونية وذبح الجم الغفير من أهل المدينة عند فتحها وباع من بقى على قيد الحياة فى أسواق الرقيق

ومن هذا الوقت صار لا يوجد أمام اسكندر شئ يخشاه من جهة الممالك الجريسية وضغط على الممالك الهلانيقية بيد ثابتة وقوة قوية حتى صار لا يتخيل لهم الاجتهاد ولا السعى فى حصول ثورات ولا وقوع ارتباكات ومن بعد أن وطد الممالك الجريقية صار له طاقة فى نفسه على أن يستعد لفتح الممالك الفارسية فعين انطيباطير نائبا عنه فى مقدونيا والجريس وعبر بوغاز الهلسبون أى الدردانيل فى فصل ربيع سنة ٣٣٤ قبل الميلاد بجيش مقداره ٣٠٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٥٠٠٠ فارس خيال كان فيه من العساكر المقدونية ١٢٠٠٠ مقاتل من المشاة ولما عبر بجيشه البوغاز فمن قبل تقدمه وزحفه أسرع بنفسه فى التوجه الى سهل ترواده وشاهد المبانى والآثار التى كانت اتخذت تذكارا لحبيبه الفارس عيلوس فارس واقعة ترواده ثم التحق بجيشه وكان بالقرب من أبيدوس وأما الفرس فانهم أعدوا جيشا تحت قيادة ممنون الرودسى وهو قائد قوى الجنان مقدام فى الحروب فاتخذ لنفسه ولجيشه موقعا بالقرب من زيلا لاجل منازعة اسكندر وصده عن تقدمه فى الممالك الفارسية وكان موقع الفرس على نهر غرانيقوس فعبر اسكندر النهر بالقوة والاقتدار كما سبق فى مفصلات هذه الواقعة فى تاريخ فارس وأوقع بالجيش الفارسى وشتت شمله وأسر

٢٠٠٠ نفس من مستأجرى الجريق ومن بعد تمام الواقعة زار المجروحين وأصدر أمرا بان يصير اعفاء عائلات العساكر الذين قتلوا فى الوقعة من دفع العوائد والضرائب المضروبة عليهم وسلمت له سرديس وافسوس ومغنيسيا وطرابلس عند قرب المنصورين منها وكذا سلمت له ملطية من بعد حصار قليل قاومته فيه ثم وقفت حركات اسكندر مدة من الزمن بواسطة مهارة ممنون وبسالته الا أنه مع ما أجراه هذا القائد الفارسى فقد نجح اسكندر وفاز فى أن جعل نفسه سيدا على قسم عظيم من اسيا الصغرى فى المدة الباقية من السنة ثم رأى له عدم الرغبة فى تحرك جيشه بعيدا عن بحر الارخبيل مادام ممنون موجودا على قيد الحياة ولما مات هذا القائد فى فصل ربيع سنة ٣٣٣ قبل الميلاد زال العائق القوى والصد المتين عن مظفرات اسكندر وجعل المملكة الفارسية تحت رحمته وعفوه

وقضى اسكندر فصل الشتاء فى مدينة غورديوم وهى العاصمة القديمة لمملكة فريجيا وكان محفوظا فى قلعة هذه المدينة من الازمان القديمة عربة كان دخل فيها ميداس بن غورديوم أحد قدماء الملوك الفريجية هذه المدينة مع والديه وصار ملكا فيها بارشاد من الوحى أو الكاهن وكان قد أنبأ من القديم نبأ أن الذى يحل أو يفك عقدة العواء الرابطة ناف العربة بالقطب هو الذى يلزم أن يكون سيدا اسيا فتوجه اسكندر الى داخل القلعة اجتهد فى فك هذه العقدة فسحب سيفه وقطع العقدة الغوردیانية فاشتد على المدينة فى تلك الليلة زوابع وعواصف شديدة ورعد وبرق ففسر أهل الخرافات هذه بانها آفة نزلت من السماء أنبأت بان الفاتح توفر فيه النبأ وفى ربيع سنة ٣٣٣ قبل الميلاد سار اسكندر زاحفا نحو الجهة الشرقية فخضعت له بفلاغونيا ولم يلق كيدا من قبادوسيه ثم عبر سلسلة جبال طوروس ودخل فى سهل سيليسيا وفى هذا الوقت وقف سير حركته من حمى خطرة أصابته تسببت من استحمامه بالماء البارد فلبث فى طرسوس حتى شفى وفصل بدمينيو أكبر قواده بقسم من الجيش لاجل ضبط دروب سوريا والمحافظة عليها حتى يمر منها جيشه وأما هو فانه من بعد أن سار من طرسوس وصل فى اليوم الثانى الى انكياله وهى مدينة مدفون فيها سردنابال أحد ملوك الاشوريين وعلى ما قيل ان سردنابال هو الذى بنى طرسوس وانكياله وفى قول آخر ان الذى بنى طرسوس هو سنجاريب كما ذكرنا فى تاريخ المملكة الاشورية فى الجزء الاول وموجود فى انكياله قبر سردنابال وعليه مكتوب هذه الكتابة أيها المار من هنا كل واشرب وتمتع وما بعد التمتع والراحة شىء وسار من انكياله حتى وصل مدينة صولى وفيها قرب اسكندر القربان الى عسكولابيوس شكرا على ما حصل له من الشفاء ومازال مجدا فى سيره حتى وصل الى جهة اسمها كستباله فوردت اليه الاخبار فى هذه الجهة بان دارا ملك فارس زحف لمقابلته فى رأس ٦٠٠٠٠٠ نفس مقاتل وكان اسكندر مازال فى سيره مستندا على ساحل البحر وقيل ان هذه الاخبار وردت اليه وهو فى مالوس وان دارا معسكر بجيشه هذا فى سوخوس من أراضى أشوريا على مسافة يومين من سيليسيا فعلى حسب هذه الاخبار عقد اسكندر مجلسا حربيا فقرر فيه جميع قواده وضباطه بان يسوقهم بمعرفته على عدوهم فسار فى اليوم الثانى لمقابلة الفرس وكان برمينيو تغلب على مدينة عصوص الصغيرة ومن بعد أن استحوذ على دروب سوريا ترك فيها ما يكفيها من العساكر اللازمة لمحافظتها وترك الملك المرضى فى مدينة عصوص وسار بجميع جيشه من الدروب وعسكر بالقرب من مدينة ميريندروس بسبب رداءة الطقس وفى أثناء ذلك كان دارا فى سهول أشوريا ذات الاراضى السهلة الشاسعة فأشار عليه قواد الجريس الموجودين فى خدمته وهم القوة القوية من جيشه

ونصحوه بانتظاره مجىء العدو وهذا ولا ينتقل من هذه الميادين المكشوفة من جميع جهاتها لانها مفيدة وصالحة لحركات الخيالة وفيها اتساع كاف لاشتمال هذا الجيش العرمرم والحلة والادوات التابعة له لخصه حواشيه وأرباب دولته على عدم قبوله ما أشار به الجريقيون لانهم على كل حال أعداء لهم وأقنعوا الملك بان اسكندر متى شاهده ورأى كثرة عساكره هرب أمامه وفشل جيشه وأخذ قبضا باليد وما زالوا به حتى انه أرسل جميع كنوزه وخزائنه وجواهره وما كان عنده من الذخائر الى دمشق فى خفارة ٣٠٠٠٠ نفس محملة على ٧٠٠٠ حيوان وسار هو بكامل جيشه نحو سيليسيا وكانت الملكة زوجته وأمه وابنتاه وابنه الطفل الصغير تابعين حركة الجيش على حسب عادة الفرس الا أنهن كن بالمعسكر فى وقت الوقائع ولما تقدم قليلا فى سيليسيا من المشرق الى المغرب انعطف فى سيره نحو مدينة عصوص غير عالم بان اسكندر من خلفها لانه كان على يقين من نفسه هو وخواص دولته ان اسكندر هرب أمامه وتقهقر مع الفشل الى سوريا ولما دخل دارا مدينة عصوص أمر بقتل ما كان فيها من المرضى الذين كان اسكندر تركهم فيها وكان قتلهم بحالة شنيعة وأبقى قليلا من العساكر طردهم من عصوص بعد أن أراهم هيئة معسكره وعساكره حتى اذا وصلوا الى اسكندر يعلمونه بحالة دارا وما هو فيه من كثرة الجنود والعساكر الذين لا طاقة له على مقابلتهم فسار هؤلاء العساكر وأخبروا اسكندر بما رأوا وعاينوا وبقرب دارا منه وما صدق حتى شاهد هو بنفسه وأعد نفسه للحرب ولما خشى الاسكندر من أن الفرس ربما يهجمون معسكره بالنسبة لما هم عليه من كثرة العدد حصنه بالخنادق والشرمبولات أى خوازيق من الخشب مرصوصة فى جانب بعضها ومغروسة غرسا متينا فى الارض ولما أخذت عساكره راحة السفر والشغل أمرهم بالاستعداد فى الغفرة الثالثة من الليل لحركة السفر نحو العدو وتوجه هو الى رأس جبل وقرب القربان للآلهة على حسب عوائد بلاده فى مشاعل من النور وبمجرد اعطاء الاشارة منه كان جيشه مستعدا للسير والحرب فجد فى سيره الى محطة كان عينها لوقوف الجيش فوصلها فى الفجر ثم جاءت اليه الجواسيس بان دارا على أقل من أربعة أميال منه فعبى جيشه فى هيئة الحرب ووقع الخوف الشديد فى قلوب أهل السواد فأسرعوا وأخبروا دارا بوصول العدو وكان لا يصدق ولا يتصور بان اسكندر يتجاسر على أن يظهر أمامه فتولد من هذه الاخبار وقوع الارتباك الكلى والذهول الشديد فى عسكره حتى انهم أسرعوا مع الفشل وعدم النظام فى لبس أسلحتهم وكان الميدان الذى حصلت فيه الواقعة بالقرب من عصوص محفوفا بالجبال من جهة وبالبحر من أخرى وكان يلزم أن يكون السهل الواقع بين ذلك كبيرا واسعا حتى تتمكن العسكران من التعسكر فيه وقد ذكرنا أن جيش دارا كثير العدد وكان يشق هذا الميدان نهر بنروس من الجبل الى البحر ويقسمه الى قسمين متساويين تقريبا وأما الجبل فانه مشكل دخلة مثل الخليج ونهايته خط منحن يحد قسما من السهم

فأما الاسكندر فانه عبى جيشه على هذا الوجه وهو أنه رتب فى نهاية الجناح الايمن وكان بالقرب من الجبل عساكر الارجيراسبدين وهم نوع من عساكر المشاة لهم جعب من الفضة ذوو جراءة وشجاعة تحت قيادة القائد نكامور ثم فرقة تحت قيادة كونوس ويليها فرقة برديكاس وهى نهاية قلب الجيش ورتب فى الجناح الايسر فرقة امنطاس ويليها فرقة بطلميوس وآخر هذا الجناح فرقة ملغر وبهذا كان تشكيل الفرق المقدونية وكانوا على ست فرق ممتازة كل فرقة تحت قيادة قائد ماهر

مطلب واقعة عصوص

وكان اسكندر هو القائد الاكبر ومدبر حركة الحرب ورتب الخيالة فى الجناحين فالمقدونيون والتساليون فى الجناح الايمن والبلوبونيزيون ومحالفوهم فى الجناح الايسر وكان القائد كراطوس قائد مشاة الجناح الايسر وبرمينيو قائد الكل مشاة وفرسانا وأحال الاسكندر على نفسه قيادة الجناح الايمن وأمر برمينيو بان يكون منحازا الى جهة البحر على قدر امكانه كيلا تتمكن الفرس من الدوران خلفه وأمر نبكامور بعكس ذلك وهو أن يكون على مسافة كافية من الجبل حتى يحفظ نفسه من السهام المرمية عليه من نواحى أعلى الجبل الصادرة من عند العدو ومد الارجبانيين بامداد جديد وصل اليه من الجريس ليمنعوا عساكر دارا الموجودين فوق الجبال من القرب فى أثناء الحرب وأما دارا فانه عبى جيشه على هذا الوجه وذلك أنه لما بلغه أن الاسكندر زاحف عليه على تعبية من جيشه أمر ٣٠٠٠٠ فارس من الخيالة و ٢٠٠٠٠ من النبالة بعبور نهر بنروس حتى لا يتمكن الاسكندر من عبور النهر الى جهته الاخرى بسهولة ورتب فى القلب ٣٠٠٠٠ من الجريق الموجودين فى خدمته وكانوا هم زهرة جيشه وقوته وما كانوا أقل شجاعة من القوى المقدونية و ٣٠٠٠٠ كاردانيانى فى الجناح الايمن ومثلهم فى الجناح الايسر وما كان الميدان قابلا للزيادة بعد هذا وكامل هؤلاء العساكر كانوا من العساكر الثقيلة وما بقى من عساكر المشاة رتبهم خلف هؤلاء على حسب أممهم المختلفة ورتب دارا على الجبال من جهة الجناح الايسر لاسكندر ٢٠٠٠٠ نفس ومثلهم خلف جيش اسكندر ومن بعد أن عبى دارا جيشه أمر خيالته بعبور النهر أيضا وسير القسم الاعظم منهم نحو البحر ضد برمينيو لان حربهم فى هذا الميدان ليس فيه فائدة تعود عليهم وأرسل الباقى من خيالته نحو الجهة اليسرى من الجبل وقوى القلب والاجنحة وحشد عساكره وجنوده حتى ضاق بهم الفضاء جدا وأما دارا فانه جعل نفسه فى القلب كما هى عادة ملوك الفرس

ولما عبى كل منهما جيشه زحف اسكندر بجيشه مع غاية المهل لتتمكن عساكره من أخذ راحتها وشم نفسها من دون أن يحصل لاحد منهم تعب وأما دارا فانه مازال مستمرا مع جيشه فى الناحية الاخرى من النهر بقصد أن لا تضيع منه المواقع النافعة التى رتبها ولما صار الجيشان على مرأى من بعضهم ما مشى اسكندر راكبا على حصانه فى طول طوابير عساكره ونادى باسماء ضباط معروفة من المقدونيين وغيرهم وحرض العساكر على اظهار شجاعتهم ومهارتهم وذكر كل أمة باعمالها الجليلة ومزاياها الجميلة فقال للمقدونيين ان الظفر والنصر الذى نلتموه فى أوروبا لا ينكر فضله وكذا النصر الذى حصل لكم أخيرا فى واقعة غرانيقوس والمدائن الكثيرة والاقاليم الواسعة وما فيها من الجبال والانهر والسهل والصعب التى أخضعتموها فانها مقيدة لكم فى صحائف التواريخ وان نصرة واحدة تنتصرون فيها بتولدمنها أن تكونوا أسيادا المملكة الفارسية بل أسياد الدنيا قاطبة وتكون لكم غنائم الشرق كلها مكافأة لكم على شجاعتكم وبذل قوتكم واظهار جراءتكم وذكر الجريق بما حصل لهم من المصائب والآلام والاكدار وخراب الديار التى كانت حلت عليهم من الفرس وذكرهم بالوقائع المشهورة التى نالوا فيها الشهرة والنصر فى مرتون وترموبيلى وسلميس وبلاطيه وما لهم من المجد والفخر على أعدائهم وذكر لكل أمة ما يليق لها من مجدها ومازال سائرا بخطوة المهل لراحة العساكر ووقف عدة مرات حال سيره ولما وصل الى مواقع مرمى النشاب أمر جناحه الايمن

باقتحام النهر وعبوره من قبل حصول أدنى حركة من العدو فعبروا النهر والتحم القتال بين الجيشين حتى أشرف الفرس على الهزيمة فلما رأى دارا مبادى هزيمة الخيالة فر هاربا من ميدان الواقعة وكان راكبا فى عربته لابسا الكسوة الملوكية ولما رأى العربة لا تسعفه فى الهرب نزل منها وركب جوادا وساق رامحا فى هربه وكان الفرس على محاربة شديدة قوية مع المقدونيين الا أنهم لما شاهدوا هرب ملكهم تشتت شملهم وتبدد أمرهم وكانت هزيمة الخيالة تماما لهزيمة الجيش الكثيف وكابدت خيل الفرس فى وقت رجعتها مصائب الاهوال بما عليها من ثقل ركابها من الزرد والاسلحة وحل بعساكر هذا الجيش الهول الاكبر فى الدروب والبوغازات من هزيمتهم وأهلك بعضهم بعضا فى الزحام وخسر الفرس خسائر جمة وهلك الجريق الذين كانوا فى خدمة الفرس ولم يبق منهم الا ٨٠٠٠ نفس تقهقروا مع ضباطهم الى الجبال نحو طرابلس من سوريا ونزلوا فى مراكب وساروا الى بلادهم وأما الفرس فمنهم من هرب الى الجبال ومن هرب الى الاورمانات ومن سلك الطريق السلطانى وسار الى فارس وسار الاسكندر معقبا دارا وعساكره معقبين للفرس حتى دخل الليل ولما رأى الاسكندر أن لا فائدة فى تعقب هذا الملك الفار رجع بعساكره الى معسكره واستحوذ على كامل معسكر الفرس وما كان فيه من الذخائر والكنوز والمهمات والادوات

وأما سيسيغامبى أم دارا والملكة زوجته وأخته وابنتاه وولده الطفل فكن باقيات فى المعسكر مع بعض من ستات الفرس لان الباقى من النساء كن حملن الى دمشق مع كنوز الملك وأمتعته وكانت على الاقل ٣٠٠٠ وزنة من الذهب عبارة عن ٤٤٠٠٠٠ استرلينه وجدت فى معسكر دارا وأما جميع الامتعة والخزن التى كانت سارت الى دمشق فانها وقعت أخيرا فى يد برمينيو عندما تغلب على دمشق فعلى ما قيل ان الفرس خسرت فى هذه الواقعة ١٠٠٠٠٠ من المشاة و ١٠٠٠٠ من الخيالة وأما خسارات اسكندر فكانت خفيفة قالوا انها كانت ١٥٠ فارسا و ٣٠٠ من المشاة وهذا غير معقول وهذه حالة الواقعة المشهورة التى حصلت فى عصوص فى السنة الرابعة من سلطنة اسكندر وكنا وعدنا فى الجزء الاول بذكر مفصلاتها هنا

ومن بعد تمام الواقعة أولم الاسكندر لقواده ورؤساء دولته وضباطه وليمة حافلة حضر فيها بنفسه ولما أخذ مجلسه من المائدة سمع فى الخيام المجاورة له ضجة وغوغاء كبيرة مع أنين وبكاء وزفير فارتعبت الجمعية حتى العساكر الذين كانوا خلف خيمة الملك مرتبين فى الخفر أسرعوا فى حمل سلاحهم ظنوا أنها ثورة قامت عليهم ثم ظهر أن هذه الضجة من أم دارا وزوجته والستات الاخر المأسورين وكن يظنن ان الملك دارا مات فكن يبعنه حسب عادة الفرس وقالوا ان الاسكندر لما أخبر بحقيقة هذه الضجة سكب دموعه على خدوده أسفا على ما كان من دارا فى حق هؤلاء المأسورات فأنساه ذلك كل ما كابده من الاتعاب والمصاعب وأرسل ليوناطوس أحد كبراء دولته لاجل تثبيت قلوبهن واطمئنانهن على حياة دارا ولا يبعنه فأخذ ليوناطوس بعض العساكر معه وتوجه الى الخيمة الموجود فيها الستات وأرسل لهن رسالة بانه جاء باسم الملك لزيارتهن فلما رأى الطواشى الموجود على باب الخيمة شرذمة متسلحة اتين الى الخيمة تصور أن ستاته انتهى أجلهن وأسرع اليهن صائحا اقربت ساعة الموت وجاء العسكر لقتلكن فانكمد النساء فى نفوسهن وصار لا طاقة لاحد منهن على التلفظ باى كلمة فانتظر ليوناطوس مدة طويلة فلم يظهر له أحد بجواب من الخيمة فترك عسكره على باب الخيمة ودخل فيها فازداد رعبهن

لما رأين انساناً دخل عليهن من دون واسطة ولا خبر فأسرعن فى الانكباب على أقدامه وصرن يمرغن وجوههن عليها ويقلن قبل أن تقضى علينا وتقتلنا رخص بدفن دارا حسب عادة بلادنا ومن بعد اجراء هذا الواجب فى حق الملك اقتلونا كما تشاؤا فقال لهن ايوناطوس ان دارا على قيد الحياة وانه لاضرر عليكن ولا أذى وستكون معاملتكن معاملة الملوك مادمتن على قيد الحياة فلما سمعت سيسيغامبى ذلك ردت اليها روحها وقالت له أعطنى يدك وقومنى من الارض ثم تركهن ايوناطوس وتوجه الى الاسكندر وأخبره بذلك

وفى اليوم الثانى من بعد أن عاد الاسكندر المجروحين وزارهم أمر بجمع المقتولين فى ميدان المعركة ودفنهم من بعد أن عبى عساكره فى هيئة الحرب احتفالا بدفنهم وتشريفا لقدرهم وعامل قتلى الفرس كما عامل قتلى عساكره ورخص لام دارا فى أنها تجرى أعمال الدفن وطرق الاحتفال بالموتى حسب عادة بلادها وتشكر الاسكندر لعموم الجيش وقواده وضباطه وأثنى على مساعيهم وشجاعتهم وأظهر لعمومهم ميله وانعطافه ومحبته القلبية لهم حتى مزج دمه بدمهم ومن بعد أن أدى جميع واجباته أرسل رسولا الى الملكة يعلمها بقدومه لزيارتها ثم صرف جميع ما كان معه من حواشيه ودخل الخيمة ومعه صفسطيون نديمه وكان على اطلاع زائد من أسرار اسكندر وكانا فى سن واحد تقريبا الا أن صفسطيون كان طويل القامة عن اسكندر فحسبته الملكة فى الابتداء أنه هو الملك فقدمت اليه احتراماتهن وكان الطواشية على معلومية من اسكندر فأخبروا سيسيغامبى أم دارا فسجدت أمامه واسترحمته بالعفو والسماح وقالت له انها مارأته قط قبل هذا فرفعها الملك عن الارض وقال لها يا والدتى العزيزة أنت لست على خطا فانه هو أيضا اسكندر وهل يا والدتى يفتكر اسكندر فى نفسه أن يجرى هذه الاعمال بحالة دوامية كلا ها أنا اليوم مستحق قليلا من العظم والسمو الا أن الايام لها انقلابات وللسعادة أحوال عند ضياع العقل وخسران النفس فانتشطت سيسيغامبى من التفات اسكندر ومروأته وأثنت عليه الثناء الجميل وقالت له أيها الملك الاعظم والسيد الافخم يكل لسانى وتعجز أقوالى عن شكرى وثنائى عليك ولا يمكننى أن أجاوب حلمك وجود امتنانك وعظيم همتك ورقة قلبك وانعطافك كيف تقول يا أمى وكيف تشرفنى بلقب الملك مع انى أعترف بنفسى أنى أسيرتك ورقيقتك أما أنا فانى أعرف ما كنت عليه من قبل وأعرف الآن ما أنا فيه أنا أعرف ما كنت فيه من السعادة والعظمة والسيادة والآن أزن كل ذلك بما أنا فيه من التعاسة فيكون لك الفخر الاكبر والمجد الازهر بما أنك مطلق التصرف فينا ان تعاملنا باحسانك وما جبلت عليه من علو الهمة وسمو المروأة فوطد الملك راحتهن وأوصى عليهن بمعاملتهن معاملة الملوك وأخذ ابن دارا على يديه وتعلق الولد به وحن اليه فالتفت الى صفسطيون وقال له فى هذا الولد شبه لدارا وتركهن وسار الى حال سبيله

وكانت واقعة عصوص فى نوفمبر سنة ٣٣٣ قبل الميلاد وأخذت نجابة اسكندر بالعقول مما أجراه من أعماله وتدبيراته ومباشرته الحرب فى هذه الواقعة المشهورة ولما تحقق أنه يلزم مدة طويلة من الزمن لمملكة فارس حتى تشفى مما حل بها من هذه الضربة التى أصابتها وأنزلت عليها المصائب الكبرى ويكون لها طاقة على العود الى ميدان الحرب مرة أخرى ترك دارا هاربا بنفسه وسار الى الجهة الجنوبية لاجل التغلب على ساحل البحر الابيض المتوسط وعلى مصر وقصده بذلك توطيد الامن

والمحافظة على مقدونيا والجريس فاخضع جميع المدن الفنيقية ماعدا صور فانها قاومته سبعة أشهر وكانت معضدة فى نجاحها بواسطة موقعها الداخل فى البحر فجمع اسكندر جميع أنقاض مدينة صور القديمة وردم بها طريقا عريضا واصلا من البر الاصلى الى أسوار المدينة وهجم عليها عنوة وهدمها فى يوليه سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وقتل من الصوريين ٨٠٠٠ نفس بالسيف وباع من أهلها ٣٠٠٠٠ نفس فى أسواق الرقيق وكذا قاومته مدينة غزة وسلمت اليه من بعد حصار استمر عليها شهرين وكذا سلمت أورشليم كما ذكرنا ذلك سابقا فى الجزء الاول واستمر مجدا فى سيره الى الجهة القبلية حتى دخل مصر وقابله فيها أهلها بالرحب والابتهال والوقار وكان المصريون على كراهة شديدة من الفرس من عهد أيام قبيز أوكى لهراسب فأهلوا بالجريقيين كأنهم خلصوهم من عبودية الفرس ونال اسكندر صداقتهم له وجذب محبتهم اليه بواسطة الاحترامات التى أجراها فى شأن دياناتهم وكانت الاحكام والادارات متباينة فيها بالكلية بواسطة قيام الثورات وأنواع الارتباكات والدمار والخراب الذى كومه عليهم الفرس وأسس مدينة الاسكندرية فى محلها الموجودة هى عليه الآن وانتخب موقعها مع الذكاء والفطنة انتخاب أعظم رجل سياسى فكان هذا الموقع صالحا للتجارة فى مصر ولا ريب أن صارت هذه المدينة الجديدة مقرا صالحا للبطالموسية فى الازمان التى جاءت بعد الا أنه من العجب أن هذه المدينة التى ابتناها وبذل جهده فى تشييدها وعمارها ما خاب نظره فى كونها صارت عاصمة كبيرة وجعلها اسكندر عاصمة الديار المصرية وبهذا أوصل هذه المملكة القديمة الى ارتباطات وعلاقات مع عالم الدنيا الاوروباوية

ومن ثم دخل كامل الاقاليم الساحلية الفارسية فى قبضة اسكندر وتم له بذلك رياسة البحر الابيض المتوسط ثم عاد الى عزمه الاول وتقدم الى الجهة الشرقية مرة أخرى لاجل اتمام فتح المملكة الفارسية فسار من وسط أرض سمارية وسوريا وعبر نهر الفرات من نواحى طابصاكوس فى أواخر أغسطس سنة ٣٣١ قبل الميلاد ثم من بعد أن تغلب على الممالك السورية ودخل برمينيو دمشق وأخذ منها كامل ما فيها من خزائن دارا التى كان أرسلها اليها ووجد فيها ٣٢٩ جارية من جوار لهن دراية تامة بضرب الآلات الموسيقية والمغانى وكتب برمينيو بذلك الى الاسكندر فامره بالمحافظة عليهن ولما وصل الاسكندر الى محل اسمه مرطوس ورد اليه كتاب من دارا يقول فيه من الملك دارا الى الاسكندر ويأمره فيه بان يطلب أى مبلغ من النقود على قدر ما يفتكره فى نفسه فداء عن أمه وزوجته وأولاده وأما المنازعة فى المملكة فانه يفتكر أن هذا حكم ينفصل فى واقعة واحدة الا أنه ينصحه أن الاصوب والاحسن له أن يقنع بملك أجداده ولا يغير على الممالك الاخر وأن يصير الاثنان من الان فصاعدا على صداقة تامة وارتباط أكيد ومحالفة ثابتة وانه مستعد لليمين والقسم على ذلك ومنتظر يمين الاسكندر فتولد من هذا الجواب المكتوب بالعظمة والكبرياء وعلو الانفة زيادة غضب الاسكندر فكتب له الاسكندر من اسكندر الملك الى دارا ان دارا القديم الذى أنت تقلدت اسمه خرب فى الازمان القديمة الجريقيين الذين كانوا قاطنين على سواحل الهلسبون وكذا اليونانيون مستعمراتنا القديمة وعبر البحر فى رأس جيش كثيف وأشعل الحرب فى قلب مقدونيا والجريس ومن بعده جاء أردشير بجنود لا حصر لها من الفرس والمتبربرين ودخل فى بلادنا قاصدا بذلك اخضاعنا واذلالنا فخرب فى سيره البلاد ودمر العباد ولما انهزم فى واقعة بحرية ترك فى الجريس

وهو متقهقر منهزما من دونيوس فنهب مدائننا وأقفر سهولنا وأراضينا ومن ذا الذى لم يسمع بأن فيليب أبى كان أصل ذبحه بدسيسة منك لاحزابك حتى تكافئهم على ذلك وهذه شيمة الفرس وعوائد ملوكها فانهم عندما يشرعون فى حروب جورية و يجمعون لها جيوشهم فى الميادين يقررون جوائز ومكافئات لمن يأتيهم برؤس أعدائهم حتى انك أنت تفكرت أنك فى رأس جيشك العريض الواسع ووعدت بألف وزنة من الذهب (٢٠٠،٠٠٠ استرلينه) لمن يقتلنى فأنا الآن أدافع عن نفسى فقط ولست بمعتد عليك فأنت الذى اعتديت على نفسك وانى محفوظ بالآلهة ومساعد باسعافهم كما انى أخضعت قسما عظيما من آسيا وهزمتك يادارا فى أكبر واقعة سافكة حصلت بيننا ومع هذا لم تسمح نفسى بأى طلب مما طلبت لانك غير صادق فى أقوالك وأفعالك فان كان لك رغبة فى الحضور أمامى بصفونية وخلاص طوية فانى أعطيك قولا بانى أعيد عليك أمك وزوجتك وأولادك من غير فداء واعلم انى أعرف كيف أغلب وأقهر وأرغم المغلوب فان كنت تخشى تسليم نفسك لى فانى أحقق لك بشرفى وذمتى انه لا يصل لك منى أدنى ضرر ولا أذى واعلم من الآن فصاعدا أنك ان كتبت لى مرة أخرى فلا تكتب باسم الملك فقط بل اكتب لى ملكك وسيدك ثم أرسل اسكندر هذا الجواب وسار الى فينقية وكان هذا الجواب قبل التغلب على مدينة صور ولما كان اسكندر مشغولا بحصار صور ورد عليه مكتوب ثان من دارا القبه فيه بلقب ملك وقدم له ١٠٠٠٠ وزنة من الذهب (٢٠٠٠٠٠٠ استرلينه) فداء الستات الماسورات ووعده بزواج ابنته سطاطيره وبجميع الممالك التى افتتحها لحد نهر الفرات وأخفى دارا عن اسكندر أفول سعده وزوال ملكه ومجده وذكر له ماهو عليه من العظمة والابهة وكثرة الجنود والعساكر الموجودة تحت يده وان اسكندر لا يظن فى نفسه أنه يكون على الدوام محشودا بين صخور الجبال ودروبها بل لابد من جمعهم فى سهل مكشوف ويحصل له الخزى والعار عندما يظهر أمامه فى قلة رجاله وهدده بالكلام وكثرة الاقوال فلما قرأ اسكندر هذا المكتوب عقد مجلسا حربيا فكان أول من أعطى رأيه فى هذا المجلس برمنيو فقال من رأيى قبول هذه التقدمة وانى موافق عليها والصادق عليها اسكندر فقال اسكندر وأيكن هذا لى ومازال سائرا فى جوابه يقول انى لا حاجة لى بالفلوس المقدمة من دارا وانه لا يجوز لدارا أن يحسن علينا بشئ استحوذنا عليه من مدة أو يكون له نصيب فى شئ ضاع منه بالكلية وان هذا الشخص الذى لا يعرف أينا أعلى من الآخر سوف يعرف ذلك فى واقعة أخرى وكيف يهدد رجلا عبر البحار بالانهار فأى محل يكون صالحا الان يقابلنى فيه فانه يجدنى أمامه ولما ورد هذا الجواب على دارا وقرأه قطع الامل واليأس من مسالمة تحصل واستعد للحرب مرة ثانية ومن بعد أن عبر دارا الفرات سار من وسط اقاليم ميزوبوتاميه الخصب على يمينه نهر الدجلة وعلى شماله جبال كوردستان وأرسل أمامه الجواسيس يكشفون أخبار العدو فوردت اليه الاخبار بأن دارا سائر نحوه فى قوته فعبى عساكره فى الحال وجعل نفسه فى رأسهم ثم ظهر أنهم فرقة مقدارها ١٠٠٠ خيال كانت أرسلت للكشف وعادت مسرعة الى الجيش الفارسى ومن بعد هذا وردت الاخبار لاسكندر بان دارا على مسافة ١٥٠ استادية من موقعه الموجود فيه وكان اسكندر ضبط من قبل مكاتيب واردة من دارا لبعض الجريق يحضهم على قتل اسكندر ويمنيهم ويعدهم الوعد الجميل فاراد اسكندر أن يقرأها على الجريق والمقدونيين فمنعه من ذلك برمنيو وقال

له أخف هذه المكاتيب ولا تظهرها حتى لا توقع فى قلوب العساكر الرعب والارتباك ولا تشغل خواطرهم بمثل هذا الآن فامتثل اسكندر ما قاله القائد برمينيو وأمر الجيش بالسير الى قدام ثم ان داراوان كان أرسل مكتوبين من قبل واجتهد بلا طائل فى عقد صلح بينه وبين الاسكندر وبذل مجهوده فى خلاص عائلته لكنه أرسل مرة ثالثة عشرة من كبار أقاربه يقدمون للاسكندر شروط صلح جديد ذى فائدة عن الاول ويقدمون له جزيل الشكر على ما أولاه من الرفق والرحمة بعائلته وأولاده وكان دارا تنازل للاسكندر فى الاول عن كافة الاقاليم لحد نهر الهاليس فأضاف اليها فى هذا الوقت كافة الاراضى الواقعة بين الهلسبون (الدردانيل) ونهر الفرات يعنى كامل الاراضى التى تغلب عليها الاسكندر فى الحالة الراهنة فأجاب الاسكندر قولوا لملككم ان الشكر والثناء بين شخصين بينهما حرب يعد من زيادة الافراط وأما من خصوص الحالة التى أنا ناظر فيها بعين الشفقة والرحمة نحو عائلته فذلك من أجل خاطرى لا من أجل خاطره وهى محمدة لى وليست محبة فيه وانى لا أفعل القبيح مع الذى شاء بخته ولا أوجه غضبى الاعلى من يبارزنى وانى لا أضر بالاسرى وعلى الخصوص النساء والاطفال فان كان دارا صادقا فى طلب الصلح فأنا أخفض نفسى الى ما يجب على فعله لكن من حيث انه لم يزل مستمرا فى تحرير جواباته ومستعينا بصرف نقوده على قيام عساكرى فى خديعتى والوقوع بى وبأصحابى فقد عزمت على أن أسوق عسكرى وراءه بكل قوة وشدة ليس بصفة عدو فقط بل بصفة رجل سماوى قاتل فهل يليق به أن يسلم لى ما امتلكته واستحوذت عليه فان كان لا يرضى أن يكون أقل منى درجة ويدعى أن يساوينى أو يعادلنى فانه يستحيل ان أسمع له قولا قولوا له فكما أن الدنيا لا يكون فيها شمسان كذلك لا يلزم أن يكون فيها ملكان قولوا له يختار له حالة من اثنتين اما أن يسلم لى نفسه اليوم أو يحاربنى ويبارزنى غدا ولا يفتخر بنفسه بما سطره فى الجوابات المرسلة من طرفه فرجع الرسل من عند الاسكندر وأخبروا دارا بالاستعداد للحرب وكان دارا معسكرا بالقرب من قرية اسمها كوى جلا أى قرية الجمل على نهر بملوس فى سهل على مسافة كبيرة من مدينة اربلا فأمر بنظافة هذا السهل وأعده ميدانا للحرب كى تجد عربات الحرب والخيالة محلا للجال فى أثناء الواقعة وأشغل جميع دروب سيليسيا بأشغال محافظتها ونشر الاهرامات الفارغة المعدة لجرح خيول عدوه فى وقت اشتعال الحرب فى ميدان الواقعة

وأما الاسكندر فانه مكث أربعة أيام فى المحل الذى كان موجودا فيه لاجل راحة جيشه وأحاط معسكره بخنادق ونشر مبولات لانه عزم على ترك الحلة والعساكر الذين لا طاقة لهم بالحرب فى هذا المعسكر ويسير بمن بقى من الجيش لملاقاة عدوه حتى لا يكون معه زيادة عما يحمله كل عسكرى لنفسه من مهماته ولما تم له ذلك سار بجيشه فى الساعة التاسعة من المساء حتى يبارز دارا فى الفجر ولما بلغ دارا هذه الاخبار عبى عساكره فى هيئة الحرب وكذا كان سير الاسكندر على تعبية من جيشه لان العسكرين كانا من بعضهما على مسافة فرسخين أو ثلاثة ولما وصل الاسكندر الى الجبل الذى يمكنه أن يكشف منه جيش العدو أوقف جيشه وجمع قواده من المقدونيين والاغراب واستشارهم فى مبارزة العدو حالا أو يركز المعسكر فى هيئة التعبية فى هذا المحل فاستقر رأيهم على اقامة المعسكر فى هذا المحل حتى يتحقق واجيدا من هيئة ميدان الحرب والحالة الداخل فيها العدو فعسكر الجيش على

الحالة التى كان سائرا بها فى هيئة التعبية وفى أثناء هذه المدة سار اسكندر فى رأس مشاته الخفيفة وعساكره الملوكية وطاف بالميدان اللازم وقوع المحاربة فيه ولما عاد جمع قواده مرة ثانية وقال لهم انه لا يوجد سبب لكلامى بما أن شجاعتهم ونشاطهم وبسالتهم كافية فى زيادة علو مجدهم وانما قصده أن يقولوا للعساكر ان حربهم ليس من أجل فنيقيه أو مصر بل من أجل كامل آسيا اللازم الاستحواذ عليها والتغلب على أرضها وبلادها وانهم من بعد أن قطعوا أقاليم وتركوا خلفهم كثيرا من الانهر والجبال الصعبة لا يمكنهم أن يوطدوا ويحفظوا خط عودهم ثانيا الا باكتساب النصر الكامل ومن بعد ما قال لهم ذلك وذكرهم بما فات من مجدهم وعلو قدرهم أمرهم باتخاذ الراحة وقيل ان برمينيو أشار عليه بالهجوم على العدو ليلا وقصده بذلك سهولة انهزام العدو اذا حصل الهجوم عليه بغتة فى ظلام الليل فاجابه اسكندر باعلى صوته انه لا يجوز ولا يليق لاسكندر أن يسرق نصرة من النصرات فى ظلام الليل وانما حربه وغلبته يكون فى ضوء النهار لا ظلام الليل ولما انتهت أشغال الاسكندر وترتيباته مع قواده فى النصف الاول من الليل ذهب لفراشه من أجل راحة بدنه المدة الباقية ولما رقد على فراشه تحول عليه فكر الواقعة والترتيبات وأحوال الحرب حتى انه تأخر فى نومه من اشتغال فكره ثم ثقل عليه النوم فنام نوما ثقيلا بخلاف عادته ولما اجتمع قواده فى الفجر على باب خيمته ليأخذوا الاوامر منه حصل لهم الاستغراب من كونهم وجدوه لم يستيقظ من النوم فصاروا يسألون العساكر عن أسباب عدم ايقاظه من النوم لحد هذا الوقت وأخيرا أيقظه برمينيو وتعجب لما رآه فى نوم عميق وذلك خلاف عادته ولما أيقظه قال له كيف هذا النوم العميق أمام عدو ستلقاه اليوم فقال له اسكندر كيف لا ننام ونستريح وقد جاء لنا العدو وسلما نفسه الينا ثم قام على الفور ولبس سلاحه وركب جواده وساق فى طول الصفوف وثبت جنان العساكر وقوى حركاتهم وكان يوجد فرق كبير بين العسكرين من جهة كثرة العدد الا أن النصر متوقف على الشجاعة والثبات والتدبير فى الحروب فكان جيش دارا مركبا بالاقل من ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٤٠,٠٠٠ فارس خيال ورتب كل من دارا واسكندر جيوشهما على حذاءين واحترز كل من الآخر وصدرت أوامر الاثنين بحركة الهجوم والتحم القتال وكانت نتيجة هذه الواقعة الدموية هزيمة الجيوش الفارسية مع ان اسكندر ما كان عنده من العساكر سوى ٤٠,٠٠٠ من المشاة و ٨٠٠٠ من الخيالة وهرب دارا وترك معسكره غنيمة لعدوه ونجا بنفسه مع قليل من عساكره وكانت أمه وأولاده تابعين لجيش اسكندر فى حركته وكان حصول هذه الواقعة بعد واقعة عصوص بسنتين فى قرية كوى جلا من سهل أشوريا ولكن بما انها قرية صغيرة لا شهرة لها سميت هذه الواقعة المشهورة بواقعة اربلا أقرب مدينة الى ميدان الحرب

وكان أول اعتناء أجراه الاسكندر من بعد اكتسابه هذه النصرة تقريب قربانات لها قيمة الى الآلهة شكرا وثناء لهم ثم بعد هذا كافأ الذين ظهرت شجاعتهم وميزوا أنفسهم فى الحرب بالانعام عليهم بانعامات وافرة جليلة وأعطى كلا منهم مساكن ومنازل ووظائف وحكومات وأثنى كثيرا على الجريق ومنحهم جزيل العطاء لانهم شديدوا رياسته وأقاموا دولته على الفرس ورفع عنهم المظالم العديدة والقوانين الشديدة التى كانت على أعناقهم فى الجريس وأعاد مدائنهم ومنحها الحرية والامتيازات وكتب من أجل أهل بلاطية بعود بناء مدينتهم وكافأهم على ما أظهروه من

غيرتهم

غيرتهم وشرح قلوب قواده وعساكره بما كافأهم به من جزيل شكره عليهم وانعامات وافرة وصلت لديهم

وأما دارا فانه من بعد هزيمته أخذ فى طريقه مع قليل من حواشيه حتى وصل فى نصف الليل الى مدينة اربل وسار منها هاربا الى ميديا ومن بعد بضع أيام سلمت اربل نفسها الى الاسكندر فوجد فيها شيأ كثيرا يختص بدارا وعساكره من ملابس ثمينة ومواد نفيسة و ٤٠٠٠ وزنة من الذهب (٨٠٠٫٠٠٠ استرلينه) وكافة مهمات الجيش وكان دارا ترك كل ذلك فيها وتوجه بجيشه لميدان المحاربة الذى انتخبه لنفسه

وقيل ان هجوم اسكندر على الجيش الفارسى فى هذه الواقعة كان فى مبادى شهر سبتمبر من سنة ٣٣١ قبل الميلاد فى موقعه الذى انتخبه وأوقع على الفرس هزيمة حاطمة هاشمة حتى صار لا طاقة لهم على مقاومة الحرب وهرب دارا من ميدان الواقعة قبل انفصالها فاسرع جيشه فى الهرب على منواله وتعقب اسكندر الفارين مع الشدة حتى غرق منهم الجم الغفير وقت عبورهم نهر ليكوص وكان فاض على ميدان الواقعة ومن بعد أن استراح اسكندر مع جيشه بضع ساعات اندفع الجيش نحو مدينة اربل وكان دارا هرب منها فأخذ اسكندر كامل المهمات والذخائر والنقود الملوكية التى كانت موجودة فيها ولما رأى اسكندر أنه لا فائدة فى تعقب الملك الفار فى أى جهة توجه اليها سار مع جيشه الى بابل فخرجت الامة الكلدانية لمقابلته وفى مقدمتهم قسسهم ونوابهم وحاكم القلعة ودخل المدينة فى موكب حافل ومر جيشه من شوارع المدينة وكانت معطرة بروائح الازهار والابخرة فى أوان من الفضة وكان القسس يترنمون بغانيهم وكانت خزائن ملوك فارس محفوظة فى هذه المدينة فأمر اسكندر باعادة الهيا كل الكلدانية التى كان خربها أردشير فيما سبق وقربوا قربانهم الى بلوز وعهدت ادارة المدينة الى ماظوس وهو حاكم من الفرس والمحافظة وجمع الخراج الى حكام من الجريق والمقدونيين وفى تلك المدينة التى هى مرسح الرفاهية والخلاعة الشرقية غرق أشداء فاتحى الشمال مدة قليلة فى الراحة والانهماك فى اللذات ولما رتب اسكندر حكومة بابل ووضع فيها محافظين من جيشه تركها فى شهر نوفمبر من السنة المذكورة وسار متوجها بجيشه الى السوس فوصلها فى عشرين يوما وكانت السوس سلمت نفسها الفرقة من الجيش الفاتح كان اسكندر أرسلها لفتحها مباشرة من بعد واقعة اربل وكان من ضمن الآثار النفيسة الموجودة فى خزائن السوس تماثيل النحاس المخصوصة بكل من هرموديوس وارسطوعيطون وكان أردشير أخذ هذين التمثالين دلالة على نصرته فى أثينة قبل ذلك بمائة وخمسين سنة فاهداهما اسكندر الى الاثينيين وكان ذهب السوس وفضتها أكثر وفرا مما كان موجودا فى بابل واستلم اسكندر الخزينة الفارسية وكان يوجد بها نحو من ٥٠٠٠٠ وزنة عبارة عن ١٠٠٠٠٠٠٠ استرلينه و ٩٠٠٠ من سبائك الذهب أى ١٨٠٠٠٠٠ استرلينه والوزنة الواحدة هنا ٢٠٠ استرلينه

وحضر الى الاسكندر فى السوس امداد مقداره ١٥٠٠٠ نفس مجموع من مقدونيا وتراسة وبلوبونيزه وبلغه أخبار ثورة اسبرطة على أنطيباطير نائبه فى الجريس فأرسل اليه مبالغ وافرة ليستعين بها على اطفاء الارتباكات واخماد الفتن وكان يوم دخول اسكندر فى مدينة السوس يوما عظيما خصوصا من أجل عود أم دارا وأولادها ودخولها فى سراى أجدادهم وكانت أقدم مقر للعائلة الملوكية الفارسية وكانت

المدينة العتيقة للمملكة الفارسية عاصمة برسبوليس يقال انها اصطخر فسار اسكندر من السوس قاصدا هذه المدينة وعبر الجبال الاوكسيانية وكانت دروب هذه الجبال مخفورة بعساكر ذوى قوة وشجاعة لهم رواتب سنوية على المملكة الفارسية ثم عبر المرتفعات العالية المتراكمة عليها الثلوج مستمرة الى أن وصل الدرب الصعب المسمى أبواب فارس حتى دخل بجيشه مدينة برسبوليس وكانت كثيرة الاموال والذخائر زيادة عن بابل والسوس وبلغ ماكان موجودا فى خزينتها ١٢٠٠٠٠ وزنة أى ٢٤٠٠٠٠٠٠ استرلينه ومن بعد أن أخذ اسكندر من أموالها وأمتعتها ما يكفيه أمر عساكره بنهبها فاوقعوا بالسكان الذين كانوا باقين فيها وأخذوا منها ما استجوعته بخلهم وطمعهم ثم أعاد اسكندر النظام فيها من بعد أن قتل عساكره الجم الغفير من أهلها وكان يوجد فى الجهة الجنوبية من برسبوليس مدينة قديمة يقال ان البانى لها كان كيرش أوكيخسرو الاكبر مؤسس السلطنة الفارسية وان قبره موجود فيها فزار اسكندر قبر كيرش مع الوقار والاحترام وأمر ان حصل به خلل أو أذى بصير تعميره من الآن فصاعدا

وأما دارا فانه من بعد هربه من اربل توجه الى همذان وهى العاصمة القديمة لمملكة ميديا عازما على القهقرة أمام اسكندر الى أبعد جهة فى نواحى نهر جيحون ومن بعد أن أقام اسكندر بضع شهور فى برسبوليس لاجل راحة عساكره سار الى همذان ومن بعد أن وزع بعضا من عساكره الى بلادهم سافر منها خلف دارا الى أن وصل باب الابواب فى نواحى الخزر فى سلسلة جبال البورز وهى جبال غيلان وعبر من درب باب الابواب الى الصحراء فوجد دارا وضعه مرازبته فى الاغلال وقاموا عليه وكان اسكندر على غاية من السرعة خلفه وأثخنوه بالجراح حتى أغرقوه فى دمه وتركوه مرميا فى عربته فوجده قتيلا فيها فلما رآه على هذه الحالة انزعج وقلع برنسه وغطى جثة عدوه به وأرسله ليدفن مع أجداده فى برسبوليس مع الاحتفال الزائد الملوكى وكان دارا آخر عود الثلاثة عشر ملكا الذين كان أولهم كيرش الاكبر أوكيخسرو وحكموا فارس زيادة عن مائتى سنة ثم ان اسكندر لبث فى حيكاطومفيلوس من فارطية القديمة وسبب القسم الاعظم من قواه الجريقية وقال للمقدونيين ان الذين يختارون ترك ملكهم فى وسط مظفراته فلهم الحرية والعود الى بلادهم فعزم جميعهم على متابعته فى أى جهة يسوقهم اليها وبقوته هذه الخاضعة له تغلب على صرقانية وهى جهات مازوندران الآن على سواحل بحر الخزر وسار متجولا فى الاقليم الجبلى الموجود بين سهول خراسان والخزر الجنوبى وأخضع قطاع الطريق واللصوص الموجودين فى الغابات والاورمانات الماردبانية واحتفل بمظفراته وعمل له موكبا جليلا فى مدينة زادريارته عاصمة فارطية

ثم ان موت دارا أوعز الى اسكندر أن يعلن بانه خليفة ذلك الملك وبهذه الفكرة التى تولدت فى مخه شرع فيما كان فيه ملوك فارس من الطبائع والعوائد والاحكام واختار لنفسه عوائد الامم الشرقية من الاستبداد فى الاحكام وغيرها فهيج الوساوس والغيرة فى قلوب الجريقيين والمقدونيين وكان القائد الذى قتل دارا هو بصوص مرزبان بقطريانه وهى بلخ الآن وكان قريبا من العائلة الملوكية ومن بعد أن قتل أستاذه لقب نفسه باسم أردشير بن زرادشت ملك آسيا وجند جندا من البلخيين وكان منتظرا مساعدة القبائل الصيطيانية الموجودين فى حدود المملكة الحاكم عليها لاجل طرد هذا العدو المهول فجد اسكندر فى السير الى تلك الناحية ولما عبر جبال الثلج الهندية المسماة كوه الهند

ودخل فى وادى جيحون تضجر من شدة صعوبة الصقيع وشدة برد الاقليم واحتياج المؤنات اللازمة لعساكره فأخذ راحته وشتى فصل الشتا فى مدينة زارياسبه سنة ٣٢٩ قبل الميلاد فى الاراضى العالية من بلخ ولما عرف بصوص بان اسكندر زاحف فى حركاته عليه عبر من نهر جيحون وحرق المراكب التى عدت بعسكره فنقل اسكندر عساكره فوق رواميس عملت على النهر من جلود خيامهم وحشيت بالقش والحشيش الناشف وأرسل اسكندر بطليموس قدامه فقبض على بصوص وجاء به الى اسكندر فأمر بتوقيفه عريان على قارعة الطريق معلقا فى رقبته حجر ومر الجيش على هذا الاسير وهو واقف بالحالة التى أمر بها اسكندر ولما وصل الاسكندر اليه أوقف عربته وعنف بصوص ووبخه من أجل ما حصل منه من الخيانة وخسة الاصل التى عملها فى دارا وأمر أن يجلد بالسياط ويوضع تحت العذاب والعقاب ومن بعد خضوع بلخ والصغد أمر بقطع أذن بصوص وأنفه ثم صار تمزيقه عضوا عضوا فى نواحى همذان أمام الميديين والفرس

وفى مدة هذا الحرب أظهر اسكندر بعض نتائج من التغييرات التى اتخذها فى سيره نحو رعاياه المقدونيين من بعد جلوسه على تخت آسيا ومن قبل تركه مصر كان ارتاب من صداقة فيلوطاس بن برمينيو وهو الباقى له على قيد الحياة من ثلاثة أولاد كانوا له وكان فيلوطاس قائد الحرس الملوكى فجهر فيلوطاس مع الكبرياء والعظمة ووضح مع عدم الاحتراز مالابيه وله من المآثر الجيلة وانه لم يكن هو ولا أبوه على رأى التغييرات التى أظهرها اسكندر فى سير أحواله واجراآت أعماله فى الشرق واتفق أنه فى هذه الاثناء كاف نخاموس وهو شاب قبيح السلوك ديمنوس من ضباط المقدونيين بتشكيل دسيسة على حياة الملك فقال أخو نخاموس لفيلوطاس ما يحصل من الخطر والاذى على حياة الملك فتأخر عن عرضه هذه الحكاية على الملك حتى مضى بعض أيام ثم وصل الخبر الى الاسكندر من واسطة أخرى غير فيلوطاس ولما سأل اسكندر فيلوطاس عن سبب السكوت على هذه الحالة حتى بلغ الملك خبرها من غيره مع أنه عارف بحقيقتها من قبل دافع عن نفسه بتقصيره وعجزه ومع ان اسكندر كان مستعدا للعفو عنه لو عرض عليه الحال الا أنه من سكاته وعدم غرضه أمر اسكندر بالقبض عليه ومحاكمته على خيانته أمام ضباط المقدونيين وحضر الملك الى المجلس وكان هو خصمه وشرح كل ريبة وخيانة مكنونة فى قلب فيلوطاس وحركاته وأثبت للمجلس أن حياته منه فى خطر ولما أعطى اسكندر للمجلس براهين خيانة فيلوطاس تركه يدافع عن نفسه فأثبت على نفسه فى المجلس الخيانة بسكوته الذى أقر به قبل وأظهر انه ما كان داخلا مع ديمنوس فى هذه الخيانة وفى هذا اليوم وضع تحت العذاب فأقر واعترف بانه هو وأباه برمينيو داخلان فى جريمة الخيانة وفى اليوم الثالث قرئ هذا الاعتراف فى المحكمة الجنائية العسكرية فصدر حكم المحكمة بقتل فيلوطاس فى الميدان وأرسلوا رسولا معتمدا يقطع صحراء همذان ومعه أمر بقتل برمينيو وبينما كان القائد الطاعن فى السن برمينيو يقرأ مكتوبا من ابنه اذ قطع رأسه الرسول وأخذها وسار الى أستاذه ورتب اسكندر فى الوظيفة التى خلت بموت فيلوطاس حفسطيون الصادق العزيز لاسكندر وكليطوس بن درو بيداس وكان نجى حياة اسكندر فى واقعة غرانيقوس وتولد من عقاب فيلوطاس عقاب آخرين من حاشية اسكندر واتسعت فتوحات اسكندر وامتدت حتى وصلت نهر سيحون فعبر هذا النهر وأسس مدينة جديدة سماها باسمه فى الحد الشمالى لمملكته من اسيا ولما شرب المياه الغير الموافقة للصحة الموجودة فى الصحارى الشمالية من نهر سيحون أصيب بمرض شديد والتزم عبور

النهر ثانيا ورجع الى الجهة الغربية من نهر جيحون وقضى فصل الشتاء فى زارياسبه وأجرى حركاته العسكرية على الصيطيانيين فحصل له خسارات جمة والتزم بان يقفل عليهم الدروب بالسور أو السد المشهور المذكور فى القرآن الشريف فى أقصى الجهات الشمالية الشرقية من نواحى جوشتبه من الجهة الشرقية لبحر الخزر ويبتدئ من شاطئ بحر الخزر فى شمال نهر غوركان ويمتد الى جهة الشرق قاطعا السهول والاراضى العالية بين ٥٤° و ٥٧° من الطول الشمالى وبين ٣٧° و ٣٨° من العرض الشرقى وبناه بالطوب والمونة وحصنه بالابراج ولم تزل آثاره موجودة لحد الآن فى نواحى جوشتبه مرتفعة عن الارض بمقدار يختلف من قدم الى ثلاثة أقدام فى الاراضى الواطية وأما فى الاراضى العالية فهو طريق مرور للمسافرين ومشهور هذا السور عند مسلمى أهل تلك البلاد بسد اسكندر ويأخذون منه الطوب اللازم لبناء مساكنهم وهو الآن فى وسط أراضى بلاد المسلمين من بلاد تركستان الموجودة فى شرق بحر الخزر وفى غرب نهر جيحون ودمر اسكندر أقاليم الصغد الخصبة انتقاما من أهلها بما حصل منهم وعاملهم بأسوء الاعمال ولما تغلب على قلعة فى أراضى الصغد يقال لها صغد الحجر تزوج روكشنه الجميلة بنت أوكسيارطيس ملك بلخ

وفى بلدة مركنده استعفى ارطاباطوس وكان طاعنا فى السن ومن أصحاب دارا وكان اسكندر قلده مرزبانية بلخ فعين بدله فى هذه الوظيفة كليطوس وكان مشاركا لفسطيون فى وظيفة الحرس وكان أخا لانيسى مرضعة اسكندر ورفيقه من زمن الشبوبية وفى مساء اليوم قبل اليوم الذى سيتوجه فيه لمأموريته الجديدة عملت مأدبة حافلة حضرها شعراء الجريس وسفاسطتهم وهؤلاء بسبب كثرة تملقاتهم ومدحهم للاسكندر صار لهم المقام العالى والرحب الواسع فى ديوان اسكندر الشرقى واتفق أن المدح والثناء الذى كومه هؤلاء على اسكندر آكاما عالية وقبابا جسيمة كوم الغيظ والحنق الشديد فى قلب كليطوس حتى انه فى أثناء المأدبة لما امتلأ مخه من الشراب والسكر هاجت نفسه وصار يذم فى هذا المدح مع شدة العنف ومما هو حاصل له من شدة الحدة أسرع فى سب الملك ولعنه ونخم فى مشروعات فيليب وذكر اسكندر بواقعة غرانيقوس ورفع يده وقال هذه اليد يا اسكندر هى التى كانت سببا فى نجاة حياتك ذلك اليوم فثبت الملك أصدقاؤه مما حصل له من الغضب خشية بطشه بكليطوس وأسرع كليطوس فى الخروج من قاعة المأدبة فقام الاسكندر فى الحال وقبض على حربة فى يد واحد من الخفر وقابل كليطوس عائدا الى السراى فخرق بها جسمه وقتله الا أنه من بعد قتله ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وتندم على ما فعل وتراكمت عليه الغموم والاكدار واشتدت عليه زوابع الاحزان وصار يلوم نفسه ومن ابتداء هذا الوقت صار لا يمكن صرف هذه الاحزان عنه لا بواسطة كذب المنجمين ولا أقوال المتملقين من عساكره وقواده ولا بالسفسطائيين من الفلاسفة الذين كانوا يعلمونه ويذكرونه بالنظر فى أشغاله مع العدل وأخيرا تدارك خلاص نفسه من هذه الاحزان بكونه شرع فى سرعته المعتادة الى نحو الثغور الغربية لممالكه ومن بعد حروب شديدة أخضع الذين كانوا ثاروا عليه من البلخيين جميعا الطاعة سنة ٣٢٨ قبل الميلاد وتولد من اخضاعه برابرة آسيا الشمالية توطيد استحواذه على المملكة الفارسية وصار تحت قيادته كثير من الجيوش من أشداء المحاربين وبها أمكنه تنفيذ أغراضه فى مشروعات فتحه البلاد الهندية فترك امنطاس مع قوة قوية مرزبانا نائبا عنه فى بلخ وعبر سلسلة جبال الكوه الهندية التى هى سور الهند الشمالية بجيش مؤلف من ١٢٠٠٠٠ مقاتل

مطلب
محاربات اسكندر فى الممالك الهندية

من المشاة و ١٥٠٠٠ فارس واتبع فى سيره مسالك القوافل الكائنة بين فارس والهند فوصل الكفن فى سنة ٣٢٧ قبل الميلاد وهو نهر مشكل من مياه قابول مع مياه پنج شير أو بنجشير وهذا النهر جار من الشمال الغربى وفى هذا المحل أرسل قسما من جيشه الى نواحى نهر السند لاجل نصب جسر عليه لمرور الجيش وسار هو بالباقى نحو الجهة الشرقية فاخضع القبائل الحربية التى كانت موجودة فى الجبال وكذا المدائن التى يتولد منها توقيف حركة سيره نحو الهند ومازال مجدا فى سيره فاجتاز الجرو وبه المدائن والسهول والاوعار حتى وصل نهر السند ونزل فيه فى مراكب جلبها له أهل البلاد والتحق بالقسم الذى كان أرسله من جيشه الى نواحى السند وقرب قربانات جليلة وعزم على الاقامة بضع شهور فى طاكسيله وهى مدينة من أعظم مدن بنجاب أى مدينة مملكة الخمسة أنهار التى مياهها تصب فى نهر السند وفى مبادى دخول اسكندر فى هذه المملكة عقد معه ملك طاكسيله محالفة على ملك آخر هندى عدوه اسمه پوروس ولما علم اسكندر بأحوال المملكة وخضع له عدة رؤساء فى بنجاب من ضمنهم واحد من أقرباء پوروس اسمه أيضا پوروس سار اسكندر نحو الهيداسب الواقع فى أقصى الجهة الغربية من الخمسة الانهار وهو ما بين طاكسيله ومملكة عدو حليفه وكان پوروس أخذ جميع المراكب من نهر السند وأدخلها فى بلاده وأما اسكندر فكان مصحوبا بملك طاكسيله ومعه ١٠٠٠٠ من عساكر الهنود ولما انتفخ النهر من أمطار الصيف صار عرضه نحو ميل وكان على شاطئه الآخر پوروس جامع جيشه ومعه ٣٠٠ أو ٤٠٠ من الفيلة لاجل منازعة اسكندر وصده من تعدية النهر ونزوله فى البر الشرقى فمن بعد أن بذل اسكندر مجهوده فى عمل الحيل التى كانت على غير طائل فى تعديته النهر غش عدوه أخيرا فى حركاته وذلك أنه فى أثناء شدة سقوط الامطار وكثرة الرعد والبرق وشدة الرياح عبر اسكندر النهر فى مركب مع بطليموس وبرديكاس وليسيماخوس وسلقوس ومعهم الخيالة وفرقة من الجيش فبذل الهنود أنفسهم فى الحرب وثبتوا مع قطع اليأس حتى ان الفيلة من كثرة ما أصابها من رمى النشاب والحراب ازدحمت على بعضها فى مسافة ضيقة ورمت ركابها وارتدت على أعقابها فداست العساكر المشاة تحت أقدامها وتوحش أمرها وهرب الهنود من شاطئ النهر ولما خلا الشاطئ من الغدو عدت الفرق الاخرى وانضموا الى بعضهم واقتفوا أثر الفارين وتولد من ذلك هزيمة جيش پوروس فاسروا من جيش پوروس ٩٠٠٠ أسيرو ٨٠ فيلا وقتل ١٢٠٠٠ نفس وكان من ضمن المقتولين كثير من أكبر قواد ورؤساء پوروس وأولاده وأما الملك پوروس فانه لما رأى هزيمة جيشه دور فيله وأراد الهرب فأخذ أسيرا فى ميدان الواقعة وجلب أمام اسكندر فسأله اسكندر فى أى شئ ترغب أن نعاملك به فأجابه پوروس بصفة ملك فسأله اسكندر ثانيا ألم يكن لك طلب آخر فأجابه حاشا كل طلب داخل فى لفظة ملك فاستغرب اسكندر من علو هذا الجواب المقنع وأعاد پوروس الى تخته وتبدلت العداوة بمحبة صادقة وصديق تابع له وزاد له فى أراضيه وممالكه بان أضاف له الاودية الخصبة المجاورة له من الجهة الشمالية ولاجل اشهار هذه النصرة أسس اسكندر بالقرب من ميدان الواقعة مدينة سماها نيخيا وأخرى جهة النهر فى المحل الذى عبر منه سماها بوسفاله على اسم حصانه وكان مات فى هذه الواقعة

وكان نهر شناب النهر الثانى فى العرض بعد نهر الهيداسب فى مملكة بنجاب ومن ورائه قفر من الاراضى فعبره اسكندر وأرسل حفسطيون خلف پوروس قريب ملك طاكسيله وكان هرب خلف هذا النهر

وأما هو فانه تقدم الى أعلى هذا النهر مع خيالته على الكاطيانيين وكانوا تجمعوا فى نواحى سنغالة بالقرب من لاهور الآن لاجل توقيف حركة سيره وتقدمه ومن بعد أن هجم على المدينة عنوة قتل ١٧٠٠٠ نفس وأسر ٧٠٠٠ نفس وانتقم من المدينة فى جراحات عدة من ضباطه و ١٢٠٠ من رجاله بكونه هدم المدينة ودمرها ووزع أراضيها على القبائل والعشائر المجاورة لها جزاء ومكافأة على قبولهم محافظين من عساكره فى مدائنهم وكان حد أواخر هذه الحملة الهندية هو الشاطئ الغربى لنهر الحيفاسيس أو نهر الغور الآن وفيه يصب نهر الستوطليج والبيه وهو أقصى الجهة الشرقية للخمسة أنهار التى يتشكل من مياهها نهر السند

ولما كانت عساكره تعبت مما نالها من المشاق والمصاعب التى لاقتها فى أسفارها وحروبها رفضوا التقدم خطوة واحدة الى قدام وراء هذا النهر ولما رأى اسكندر أنه لا يمكنه قهر عساكره على استمرارهم فى السير سلم لهم فى ذلك وشيد اثنى عشر مذبحا ضخمة بالصورة المقدونية علامة على النصر والظفر وندر بهذه المذابح للآلهة واحتفل عندها بعوا كب الالعاب وتقريب القربان وأضاف كامل ما فتحه الى ممالك بوروس فصار بوروس ملك سبعة أمم وألفى مدينة ولما عاد اسكندر الى الجهة الغربية وجد أسطولا كان أمر باستعداده فى بنجاو بوسفاله مستعد اله وهذا الاسطول جمع بعضه أهل البلاد وبعضه صار انشاؤه بواسطة أصحاب اسكندر من الارخبيليين من أخشاب الصناعة الموجودة فى الاورمانات القريبة من رأس النهر وهو مؤلف من ٢٠٠٠ سفينة وأمر اسكندر بسير ثلاث فرق من جيشه يمشون فى طول شواطئ النهر حتى يقابلهم فى نقطة أعدها لهم ونزل مع الباقى من قواه فى مراكب الاسطول فانحدر به فى النهر ولبث سبعة أشهر فى سيره فى هذا النهر ونزل فى أثنائها فى عدة مواقع مع جيشه لاجل الغارة على القبائل ولاجل ترميم وتصليح مراكبه وانشاء مراكب جديدة وأحيانا لاجل مقابلة مبعوثين وسفراء من طرف ملوك الهند يقدمون طاعتهم وعقد محالفتهم

وأعظم واقعة شديدة حصلت له كانت من الميليانيين فطردهم من الاراضى المكشوفة وأخذ مدائنهم ثم تقهقروا الى معاقلهم الحصينة الموجودة فى الجبال فزحف اسكندر عليهم وحاصر مدينة من مدائنهم الحصينة وكان اسكندر نفسه أول من تسلق على سور تلك المدينة ولبث فوقه بضع دقائق بمفرده عرضة لسهام الاعداء من قبل أن يتمكن أحد من أتباعه من تسلق السور والحضور لمساعدته ومن كثرة ازدحام عساكره على السلالم كسروها فقفز اسكندر على حين غفلة فى وسط المهجومين وانعطف على ثلاثة فقتل رئيسهم وواحدا منهم وحمى نفسه بنفسه حتى خلصه ثلاثة من شجعان ضباطه وقتل واحد منهم وأما اسكندر فانه لما سقط فى وسط المهجومين أصابه سهم فى جهة بزه الايمن ودخل سنان الرمح فى زرخه وخرق جسمه وسال الدم فقام الضابطان الموجودان على قيد الحياة عليه حتى جاء المقدونيون بعد تسلقهم الاسوار واغتصابهم الابواب وهجموا عنوة وخلصوا ملكهم وقتلوا جميع النساء والرجال والاطفال الذين كانوا بالمدينة ونهبوا ما فيها ولما وصل الاسكندر خيمته أمر برديكاس أن يشق الجرح بسيفه ويخرج منه سنان الرمح فنزل منه دم كثير حتى ظنوا موته وما كان عند المقدونيين أدنى فكر من حياته حتى شفى من جرحه وخرج اليهم

وأنشأ أسطولا فى المدينة الكبيرة من الصغد وأسس فيها ترسانة ومن هذه المدينة سار نحو الجهة الجنوبية حتى وصل أراضى موسيكانوس العظيمة فبنى فيها قلاعا وحصونا ورتب فيها محافظين وفى

غربي هذه الاراضي استحوذ الاسكندر على خزائن وفيلة من سمبوس وهو من أكبر الرؤساء وكان هرب من مدينة مما لكه بمجرد وصول الفاتح اليها وبينما كان اسكندر مشغولا بانواع الهجوم عنوة على مدائن أوكسيكانوس وضبط مدائن أخر قامت عليه مملكة موسيكانوس فى ثورة تولدت من البراهمانيين وكانت حصلت لهم شدة الغيرة والحمية واشتعلت فى قلوبهم نيران الغضب من كون اسكندر وضع قدمه النجس ونجس أراضيهم المقدسة عندهم من الابد فشنق اسكندر كلا من الملك والبراهمانيين وتغلب على كافة الاراضى التى يسقيها نهر السند حتى سلم له أخيرا رئيس باتاله طوعا وكانت سلطنته ممتدة على الاراضى الجارى فيها عدة فروع من نهر السند تصب فى البحر فانشأ فى مدينة باتاله قلعة قوية وأمر حفسطيون بانشاء مينة بحرية ولما أخذت هذه الاشغال فى التقدم نزل الاسكندر فى الفرع الغربى من نهر السند ومن بعد أهوال وأخطار وصل الى البحر ومن بعد أن قرب قربانا الاله البحر الاوقيانوس رجع من النهر عينه الى باتاله ثم نزل فى الفرع الشرقى من نهر السند وعاد الى باتاله أيضا وأرسل نيرخوس مع الاسطول الى الخليج الفارسى وسار هو بجيشه من طريق البر الى برسبوليس والسوس وكانت طريق سيره من وسط بلوجستان أو غيدروسيا وكرمانيا وكان سيره شديدا عنيفا لم يقع له نظيره قبل وفى أثناء عبوره من صحراء غيدروسيا هلك من عسكره زيادة عن هلك منهم فى كامل غزوته وشارك الاسكندر عساكره ورجاله فى التعب والصعوبة والخسران الذى حصل لهم وسار معهم على أقدامه وكابد كل ما تحملوه من المصاعب والاخطار ومع ما حصل له من الاتعاب والخسائر قد وصل مدينة برسبوليس بالجم الغفير من جيشه وقوة كافية ليكون له طاقة على حفظ فتوحاته ويمكنه بها فتح فتوحات جديدة وكان وصوله الى برسبوليس فى مبادى فصل الشتاء من سنة ٣٢٦ قبل الميلاد وفى السنة التالية عاد اسكندر الى السوس ورخص فيها لجيشه بالراحة عدة شهور وعكف نفسه على ترتيب مملكته وتنظيمها

وقد ذكرنا قبل أنه تزوج روكشنه بنت ملك بلخ ثم تزوج عليها اسطاطيره البنت الكبرى لدارا الثالث أولابن دارا مؤملا انه بهذا الزواج يربط علاقات رعاياه الشرقية معه وزوج أخت ادريطيس لحفسطيون ووعد بزواج نحو المائة نفس من ضباطه بنساء من الشرقيين من أصحاب البيوتات وفى هذا الوقت تزوج نحو العشرة آلاف من عساكره بنساء من اسيا وأنعم الملك عليهم بالهدايا النفيسة وصرح بدخول ٣٠٠٠٠ نفس من الفرس فى الجيش وتدريبهم على حسب النظامات العسكرية المقدونية ووظف كثيرا من مرازبة الفرس حكاما فى الاقاليم وصار ديوان اسكندر مشكلا من رجال من الاوروباويين ومن الآسيويين على تعادل واحد ومالت طبائع وعادات الملك شيأ فشيأ لعادات ملوك الشرق فى الاحكام المطلقة الاستبدادية ومن ثم تولدت من هذه التغييرات العداوة فى قلوب المقدونيين المتدربين على الحروب حتى آل بهم الامر أخيرا الى الثورات جهارا حالما صدرت من الملك أوامر بطرد بعض المقدونيين المجروحين والذين لا طاقة لهم على الاشغال فأسرع اسكندر وقبض على ثلاثة عشر من رؤساء الثورة وقتلهم ولما رأى ذلك الآخرون تضرعوا اليه بتوسلات كبيرة وأذعنوا بتبعيتهم له وانقيادهم اليه فسامحهم وعفا عنهم وأرسل عشرة آلاف من المتدربين فى الحروب الى بلادهم من طريق البحر

وما كان الاسكندر فاتحا مثل الفاتحين وما كان لقبه بالاكبر من شأن فتوحاته فقط بل كان من نواياه

تأسيس مملكة شاسعة مشتملة على معالم الدنيا المعروفة فى وقتها وما كانت رغبته ادخال هذه الممالك تحت سلطنته وحكومته فقط بل كان مقصده اصلاحها ونشر العدل فيها والانصاف فأمر أن تكون أنهار الممالك والاقاليم التى فتحها خالية من الاخطار والعوارض وقوى المشروعات التجارية وشجع قوة اجتهاد الشرقيين فى أشغالهم وترك فى كل جهة توجه اليها قوم من وسطها اللسان الجريقى وبعضا من العلوم والآداب الجريقية والمحصولات الارضية من دون أثمان وبواسطة النشر العمومى للغة الجريقية انضمت أمم الدنيا القديمة الى بعضها واتحدت اتحادا وديا قلبيا بعضها وصار اللسان الجريقى لسان التجارة كما أنه لسان الديوان الشرقى ومن بعد قليل صار ترجمة الكتب المقدسة العبرانية الى اللسان الجريقى وأمكن الحصول عليها فى كامل الدنيا القديمة ثم بعد ذلك عزم اسكندر على مد فتوحاته فى داخل بلاد العرب ومن بعد خضوع تلك المملكة يشرع فى فتح قرطاجنه ثم ايطاليا ثم أوروبا وان تكون بابل عاصمته وكرسى سلطنته فأمر بان تنشأ فيها مينة بحيث تنتقل هيئة هذه المدينة الداخلة فى الاراضى الى هيئة مينة أصلية للشرق

وفى فصل ربيع سنة ٣٢٤ قبل الميلاد توجه من همذان الى بابل وكانت الاستعدادات اللازمة لغزو بلاد العرب جارية مع تقدم الحركة فيها وفى ظرف استعدادها أشغل اسكندر نفسه بتصليح مجرى الفرات ووزع تصميماته وآراءه على اصلاحاته وحالما كان مشغولا بداخل الاراضى المسبخة العفنة الغير الموافقة للصحة فى نواحى المستنقعات الكلدانية أصيب بحمى ظهرت عليه من بعد عوده الى بابل وفى وسط استعداداته الاخيرة لبلاد العرب وفى أثناء المأدبة التى عملت وقت سفره لتلك الجهة وفى أثناء حالة الشرب شرب الملك كثيرا من الشراب ولما فرغ من شرب آخر كاس أصابته الحمى فتجلد لها بعض أيام وأخيرا التزم فراشه وزاد عليه المرض وظهر للكل اقتراب أجله وصار فى حال نومه على فراش موته لا طاقة له على التلفظ باى كلمة فاستأذن ضباطه وقواده المحبون له فى الدخول عليه فما قدر أن يمد يده لهم بل كان ناظرا اليهم مع الصمت وهم سكارى من شدة الانين والنحيب وانصبت عليهم الاحزان ومات فى ٢٨ يونيه سنة ٣٢٣ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر اثنتين وثلاثين سنة فى السنة الثالثة عشرة من سلطنته

﴿ الباب التاسع ﴾

﴿ من موت الاسكندر الاكبر الى الفتح الرومانى ﴾

النتائج التى حصلت من موت الاسكندر ـ تدبير قواده ـ صيرورة فيليب ارهيديوس ملكا ـ تقسيم ممالك الاسكندر ـ ولادة ابن الاسكندر ـ منازعات خلفاء الاسكندر ـ حروبهم ـ واقعة ابسوس ـ التقسيم الاخير فى ممالك الاسكندر ـ هيئة الاحوال فى الجريس ـ اخر تغلب المقدونيين على أثينة ـ فيليب الرابع ملك مقدونيا ـ صيرورة ديمتريوس ملك مقدونيا والجريس ـ توجهه الى الحرب مع سوريا ـ ضياعه مقدونيا ـ صيرورة مقدونيا خاضعة لرئاسة ـ صيرورة سلقوس ملك مملكة الاسكندر ـ بطليموس ثيرونوس ملك مقدونيا ـ سلطنته الشديدة ـ كثرة ورود أهل الغلية فى الجريس ـ صيرورة انطيغونوس غوناطوس ملك مقدونيا ـ الحروب مع برهوس موت برهوس ـ صيرورة انطيغونوس ملك الجريس ـ الاتحاد الاخائى ـ عتق البلوبونيزيين من

مقدونيا حسب نص الاتحاد ـ استخلاف ديمتريوس الثانى بواسطة فيليب الخامس ـ خيبة مساعيه فى احياء شوكة اسبرطة ـ اجراء فيليب الحرب على العطوليانيين ـ محالفته مع قرطاجنه ـ هجومه على الممالك الرومانية ـ هزيمته وارغامه على عقد الصلح ـ تجديده الحرب ثانيا ـ هزيمته وارغامه على القهقرة الى مقدونيا ـ الاتحاد الاخايانى والعطوليانى ـ صيرورة العطوليانيين رعية لرومة ـ هوان فيليب ـ موته ـ صيرورة برصيوص ملك مقدونيا ـ اعلان رومة بالحرب على مقدونيا ـ هزيمة برصيوص وأخذه أسيرا ـ فتح الرومانيين الجريس

هدد موت الاسكندر على حين غفلة مملكته الشاسعة بالتمزيق اذ أنه لم يعين خليفته بنفسه من بعده وفى يوم موته انعقد مجلس من قواده لاجل فصل الحكم والاقرار على الطريق الموافق للسير فيه على محور الاستقامة وكان الاسكندر أعطى خاتمه الى برديكاس وهو على فراش موته فكان لهذا القائد رياسة المجلس فى المحاورات والمجادلات التى حصلت فيه وكانت روكشنه زوجة اسكندر حاملا منه وقت موته فاتفق كامل المجلس على أنها ان ولدت ولدا فهو الوارث لتخت أبيه وتاجه ومن بعد أن حصلت محاورات شديدة فى المجلس حصل الاتفاق على اصلاح وترتيب حسبما هوات وذلك أنه يجب أن يكون فيليب ارهيديوس أخو اسكندر الاكبر لأبيه ملكا حافظا الطفل روكشنه حقوق السلطنة فان كان المولود ذكرا ضمت اليه السلطنة وكان فيليب هذا شابا ضعيف العقل والادراك وأن تقسم حكومة مقدونيا والجريس بين انطباطير وكراطيروس وان بطليموس المشهور بكونه متصلا بالعائلة الملوكية يتولى حكم مصر وماجاورها من الممالك ويتولى انطجنوس فريجيا الاصلية وليشيا وبفيليا ويتولى ليوناطوس هلسبونطين فريجيا وأن يكون أومينوس مرزبانا فى بفلاغونيا وقبدوسيا وان كان هذان الاقليمان لم يزالا تحت الخضوع وتعهد برآسة الى ليصيماخوس وتعهد الى برديكاس قيادة الحرس السوارى وهذه الوظيفة كانت معهودة من قبل الى حفسطيون قبل موته وقدمات قبل الاسكندر فى بابل ومن ثم صار برديكاس وصى فيليب وصاحب حرسه وكان فيليب ملكا بالاسم فقط ولما تم نظم هذه المواد والاتفاق عليها أجريت شعائر الاحتفال بجثة الاسكندر وأرسلت الى سوريا ومنها نقلت الى الاسكندرية فى مصر وفيها وضع فى قبر مفتخر شيده له بطليموس الاول وقبره هو المعروف الآن فى الاسكندرية باسم النبى دانيال ولما كملت شهور حمل روكشنه وضعت ولدا ذكرا سموه الاسكندر على اسم أبيه وأعلنوا بملوكيته فى المملكة وكان برديكاس هو الحاكم الحقيقى فى المملكة فحفظهما مع غاية الاتحاد والصداقة التامة لعائلة الاسكندر مدة سنتين وتعين أربعة نواب أوصياء فى المملكة اثنان فى آسيا واثنان فى أوروبا ثم ان برديكاس قتل شريكه الموجود معه فى اسيا وصار هو الحاكم المفرد فيها وأما انطباطير وكراطيروس فكانا فى حكومة واحدة فى غرب الهلسبون ومع هذا فكان من الواضح والبين أن هؤلاء الرؤساء المختلفون الذين صار تعيينهم فى الاقاليم لاجل البحث على الطرق التى يؤل منها ضبط الممالك التى تعينوا فيها لانفسهم ولم يمض على ذلك مدة طويلة حتى فازوا بما كان فى نواياهم من الاغراض والمشروع ولما رأى برديكاس أنه يستحيل عليه حفظ المملكة وتاجها لولد الاسكندر عزم على ضبط التاج لنفسه فصده عن ذلك انطجنوس وبطليموس وكانا أكبر حكام الاقاليم وأجلهم وكان قصد أنطجنوس من صده برديكاس التغلب على شئ بأخذه لنفسه وأما بطليموس فكان

قصده جعل مملكته مستقلة وقتل برديكاس مذبوحا بثورة قامت عليه في عساكره مدة حربه مع بطليموس وهلك كراطيروس في واقعة مع أومنيس حصلت بينهما في نواحي قبدوسيا ومن ثم صار انطباطير منفردا في النيابة وأسكت الشابة عيورديس زوجة الملك الهزؤ فيليب ارهيدوس فطلب فيليب أن يكون له نصيب في الحكومة وتسبب في اعمال قسمة جديدة في الممالك سنة ٣٢٠ قبل الميلاد وصار انطجنوس غير معتمد أو غير صادق في الحرب على أومنيس وأقام نفسه أستاذا على القسم الاعظم من آسيا الصغرى تحت علة تعضيده ومساعدته الحكومة

وفي سنة ٣١٩ قبل الميلاد مات انطباطير في مقدونيا وبدل أن يترك النيابة لابنه كاسندر جعل صديقه بولسبرخون خليفة من بعده فانضم كاسندر في الحال الى انطجنوس وكان مشتغلا بالحرب على أومنيس فصار أومنيس و بولسبرخون هما الشخصان المنفردان في الطرق اللازمة لحفظ كامل المملكة وكانت هذه رغبتهما وأما كاسندر وانطجنوس وبطليموس فكانت عين رغبتهم دمارها وخرابها وقلبها لاجل توسيع ماتحت أيديهم من الممالك والاقاليم وهزم انطجنوس أسطولا ملوكيا بالقرب من بيزانطيوم وطرد أومنيس خلف نهر الدجلة فالتحق به كثير من مرازبة الشرق ومع ما كان فيه أومنيس من كثرة القوة قد انهزم وقبض عساكره عليه وسلموه الى انطجنوس فقتله في سنة ٣١٦ قبل الميلاد وفي نفس هذه السنة أمرت أولمبياس أم الاسكندر الاكبر بقتل فيليب ارهيدوس وزوجته ولم تمض مدة حتى وقعت هي نفسها في خرابيش كاسندر من بعد أن صار ملك مقدونيا والجريس وقتلت ووطد كاسندر نفسه وقواها بتزوجه تسالونيقه أخت اسكندر من أبيه وبني على اسمها تشريفا لها مدينة تسالونيقه أو مدينة سلانيك الآن

وصار من الجلي الواضح أن انطجنوس لم يكن في شيء من البحث سوى سلطنته على الشرق بأجمعه وبسببه في هذا المعرض طرد سلقوس من بابل فهرب سلقوس الى مصر ملتجئا الى بطليموس فتشكل جمع جديد على انطجنوس مركب من بطليموس وسلقوس وكاسندر وليسيماخوس واشتعل الحرب بينهم مدة أربع سنوات حتى عجز جميع الاحزاب وعقدوا صلحا في سنة ٣١١ قبل الميلاد تقرر فيه حرية المدائن الجريقية وأحكام كاسندر في أوروبا حتى يبلغ الاسكندر بن الاسكندر الاكبر العمر الموافق وكان عمره حين ذاك ست عشرة سنة و يستمر بطليموس في مصر وليسيماخوس في تراسة ولم تمض مدة من بعد تمام هذه المحالفة حتى أمر كاسندر بقتل روكشنه وابنها اسكندر في السر والخفية

وكان سلقوس أعاد لنفسه بابل فجعل نفسه أيضا أستاذ ميديا والسوس وفارس الا انه ما كان داخلا في شروط الصلح واتحد سلقوس مع محالفيه ورعيته حتى صار عنده قوة كافية لضبط فتوحاته ثم ان بطليموس فسخ شروط الصلح في سنة ٣١٠ قبل الميلاد من أجل تضرره من انطجنوس حيث لم يعط المدائن الجريقية حريتها حسب نص شروط الصلح وكذا تضرر انطجنوس من كاسندر حيث لم يزل مرتقبا محافظيه في المدائن الاوروباوية الجريقية ومن ثم تولد الحرب بينهم فحاز بطليموس أجل نصرة وأعظم شهرة في الابتداء في نواحي سيليسيا الا أن ديمتريوس بن انطجنوس صده صدا كبيرا فحول أعماله العسكرية الى الجهة المقابلة من بحر الارخبيل واستحوذ على صكيون وقورنثه ورغب في توطيد نفسه بزواجه كليوبطره أخت اسكندر وهي آخر الموجودين على قيد الحياة من البيت الملوكي المقدوني الا أن كاسندر حرمه من هذا الزواج بكونه أمر بقتل كليوبطره في سنة ٣٠٨ قبل الميلاد ثم وصل

ديمتريوس

ديمتريوس باسطول كبير لمساعدة أثينة ومامكث فيها ازمنا طويلا حتى دعى فى سنة ٣٠٦ قبل الميلاد لحصار قبرص وكان بطلميوس تغلب عليها فأسرع بطلميوس لخلاص الجزيرة ومعه ١٤٠ سفينة حربية و ١٠٠٠٠ عسكرى وجرت واقعة بحرية بينهما مهولة على مسافة من سلميس وكانت هذه الواقعة احدى الوقائع المشهورة فى تاريخ العالم انهزم فيها بطلميوس شرهزيمة وخسر كامل أسطوله الاثمانية من السفن و ١٧٠٠٠ عسكرى برية وبحرية فراعى انطيغنوس أن هذه النصرة من أجل المظفرات حتى انه لقب نفسه بلقب ملك وتبعه على ذلك كل من بطلميوس وكاسندر وليسيماخوس وسلفوس

ثم ان ديمتريوس شرع فى حصار جزيرة رودس وباشر هذا الحصار مع النباهة والشدة الا أنه من بعد أن مرت عليه سنة من اجتهاده على غير طائل فى التغلب على المدينة التزم على رفع الحصار والقهقرة ولم تتداخل رودس بعدها فيما بقى من الحرب وفى غضون هذه السنة ظفر كاسندر فى مساعيه بجلب الجريس تحت سلطنته فأخذ قورنثه وفى أثناء محاصرته أثينة وصل ديمتريوس الى اوريبوس لمساعدة أثينة فأسرع كاسندر ورفع الحصار عنها وسار قاصدا ديمتريوس فهزمه ديمتريوس فى واقعة بالقرب من ترموبيلى ودخل ديمتريوس أثينة فقابلوه فيها مع الفرح والاجلال ولبث ديمتريوس فى الجريس سنتين أو ثلاثة وفى أثناء هذه المدة صار لا طاقة لكاسندر على اجراء حركة من حركاته ثم دعى ديمتريوس فى فصل ربيع سنة ٣٠١ قبل الميلاد لمساعدة أبيه وكانت هددته القوى المتحدة من جهة ليسيماخوس وسلقوس فحصلت واقعة شديدة فاصلة لهذه الحروب فى نواحى ابصوص من أعمال فريجيا وتشتت فيها عساكر انطيغنوس وقتل هو فى ميدان المعركة ومابقى من آثار جيشه وصل تحت قيادة ابنه ديمتريوس الى أفسوس وأقلع من مينتها الى قبرص ثم طلب من بعد هذه التوجه الى أثينة فرفض الاثينيون قبوله عندهم وقسم المتغلبون فى ابصوص اسيا بينهم فخص بطلميوس فلسطين وفنيقيا وقسم من سوريا الجنوبية ورخص له بان يضع محافظيه فى هذه الاقاليم ويمسكها وأما ليسيماخوس فانه خصه القسم الاعظم من اسيا الصغرى مضافا الى مملكة تراسة وأخذ سلقوس جميع آسيا الغربية من ساحل سوريا الى الفرات وكانت غير داخلة فى قسم ليسيماخوس ولا فى قسم بطلميوس وأما كاسندر فانه لم يحصل له تكدير فى مقدونيا بل استمر حاكما على هذه المملكة حتى وافاه الموت

وكانت الجريس لم تزل فى هذه المدة باقية فى حوزة الحكومة المقدونية وبعد موت الاسكندر دعى معظم الممالك على مقدونيا تحت رياسة أثينة فاجتهد انطباطير النائب فى اخماد هذه الثورة الا أنه انهزم وانحصر فى مدينة لاميا من أعمال تساليا فوجه أفكاره الى سياسة أخرى وهى كسر هذا الاتحاد الجريقى بحيث يعامل كل عضو من أعضائه على حدته وخص كل منهم بشروط لينة موافقة ما عدا الرؤساء وعاقب أثينة أشد العقاب ونفى من أهلها اثنى عشر ألفا الى جهات تراسة والبريا وايطاليا وافريقه ومابقى من أهلها انقاد مع الرغبة الى الحكومة المقدونية وقطعت رأس ديموسطنس مع قواد آخر من حزبه ولم يترك لاثينة أثرا من الاستقلال وكان ذلك فى سنة ٣٢١ قبل الميلاد

ومات كاسندر فى سنة ٢٩٨ قبل الميلاد من بعد واقعة ابصوص بثلاث سنوات فخلفه ابنه الاكبر فيليب الرابع ومات هذا فى السنة المذكورة فقسمت تسالونيقه زوجة كاسندر مملكة مقدونيا بين الباقيين على قيد الحياة من أولادها وهما انطباطير واسكندر فاشتاق انطباطير وتلهف على كونه

بحكم المملكة بتمامها فقتل أمه ودعا جماءه ليسيماخوس ملك تراسة الى مقدونيا لمساعدته فى تغلبه على كامل المملكة وأما أخوه اسكندر فانه طلب مساعدة ديمتريوس وكان ملك أثينة والقسم الاعظم من الجريس وكذا مساعدة برهوس ملك ابروس فقتل المخالفون الاخوين وصار ديمتريوس ملك مقدونيا والجريس فى سنة ٢٩٤ قبل الميلاد وكان اسكندر تنازل عن عدة من الاقاليم الغربية الى برهوس فشرع ديمتريوس فى ارجاعها فهزمه برهوس ثم ان ديمتريوس غزا آسيا فى رأس جيش كثيف فى نحو سنة ٢٨٨ قبل الميلاد قاصدا بذلك استرداد ممالك أبيه انطيغنوس وبمجرد وصول خبر هذه الغزوة الى مسامع سلقوس وليسيماخوس حرضا برهوس على الهجوم على مقدونيا من الجهة الغربية وليسيماخوس يهجم عليها من جهة تراسة فتولد من اتحاد هذا الهجوم الزام ديمتريوس على التنازل عن الحكومة المقدونية فى سنة ٢٨٧ قبل الميلاد ومن بعد مضى مدة أسر فى غزوة فى آسيا كان أجراها ضد سلقوس فاستمر فى الاسر حتى وافاه الموت من بعد مضى ثلاث سنوات فتنازع كل من برهوس وليسيماخوس فى قسمة مقدونيا بينهما فطرده ليسيماخوس منها الى بلاده وصارت مقدونيا قسما من المملكة التراسية ومن بعد مضى خمس سنوات قام الاشراف فى ثورة على ليسيماخوس وقدموا تاج المملكة الى سلقوس فهزم سلقوس ليسيماخوس وقتله فى واقعة حصلت بينهما فى نواحى كوروبيديوم واستحوذ على كامل مملكته ومن ثم صار سلقوس حاكما على جميع مملكة اسكندر الواسعة ماعدا مصر ومن بعد مضى بضع أسابيع ذبحه بطليموس ثيرونوس الابن المحروم من وراثة بطليموس الاول وكان التجأ فى ديوانه وضبط بطليموس ثيرونوس التاج المقدونى فكانت سلطنته القصيرة من أخبث الخبائث وأكبر الجرائم وذلك أنه تزوج باخته وكانت غير شقيقته المسماة أرسينوى أرملة ليسيماخوس وقتل أولادها أمام عينيها ثم نفاها الى صاموطراس فهربت منها الى مصر وتزوجت بأخيها بطليموس الثانى ثم انخمدت سلطنة بطليموس ثيرونوس على حين غفلة بغارة سقطت عليها فجأة من الغلية وكان ظهورهم فى داخل مقدونيا فى سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وقتل ثيرونوس وقت اجتهاده فى مقاومتهم وخربوا مملكته فى طولها والعرض ودخل الغليون فى السنة التالية فى تساليا بالقوة عنوة وعبروا فى داخل الجريس الوسطى فقاومهم الجريقيون مع الثبات والشدة وصدوا غاراتهم ومنعوهم التغلب على دلفى وهم ساعون فى أخذها فانقسموا الى مناسر سلابة نهابة وتولد مما حصل لهم من المصائب والخسارات فيما أجروه من الغارات دمار القسم الاعظم منهم والذين بقوا على قيد الحياة سكن بعضهم فى اقليم الدانوب وأسس بعضهم مملكة فى تراسة وانتقل آخرون الى آسيا واقبوا الارض التى سكنوها باسم غلطه ثم آل أمر مقدونيا الى حالة فوضوية فى الاحكام من بعد موت بطليموس ثيرونوس وتنازع فى التاج عدة مطالبين ومدعين فيه وفى سنة ٢٧٨ قبل الميلاد دخل انطيغنوس غوناطوس ابن ديمتريوس وكان مستحوذا على مملكة الجريس الجنوبية والوسطى فى مقدونيا فى رأس جيش من مستأجرى الغلية وجعل نفسه ملكا عليها ثم ان انطيخوس سوطير ملك سوريا بذل جهده فى طرده منها ولما لم يمكنه اعترف له بملك مقدونيا وزوجه بأخته وما كان خضوع المقدونيين والجريقيين عن رغبة منهم الى انطيغنوس فانه بمجرد اغارة برهوس على مقدونيا فى سنة ٢٧٣ قبل الميلاد سمع الجيش المقدونى فى نفسه بالهزيمة مرتين الملك بروت فهرب انطيغنوس وصار برهوس أقوى فاتح وأعظم حاكم فى عصره واجتهد فى ربط وثبات فتوحاته من دون أن يسعى فى فتوحات غيرها وطد

مملكته

ممالكه الواسعة الذى صار أستاذا عليها فى الحالة الراهنة ومن بعد هذا بقليل داخله الطمع المزعزع للراحة حتى ساقه الى العزم على فتح الجريس الجنوبية فصدّ فى هجومه على اسبرطة وقتل فى ليلة هجوم كان أجراه على ارغوس وكان قتله من حجر سقط على رأسه رمته عليه امرأة ارجيفية من فوق سطح بيتها سنة ٢٧١ قبل الميلاد

فرجع انطجنوس واستلم تخته فى مقدونيا وحكم اثنين وثلاثين سنة وزيادة وجعل نفسه ملكا على كامل بلوبونيزه تقريبا ورتب فى أحكامها طغاة نائبين عنه فى مدائنها المختلفة وحاصر أثينة بمساعدته باسطول مصرى وجيش اسبرطى فقاومته ست سنوات ثم اضمحلت حالة الاثينيين جدا حتى أخذت مدينتهم فى نحو سنة ٢٦٢ قبل الميلاد وفى أثناء حصار أثينة التزم انطجنوس على العود الى مقدونيا لمقابلة غارة اسكندر بن برهوس وكان نال عدة ظفرات حتى اعترف له بكونه ملك مقدونيا ثم ان ديمتريوس بن انطجنوس طرد اسكندر على أعقابه الى ابيروس الا انه ما صار فيه طاقة على أخذ مملكة ابيروس منه والتزم على ارجاعها الا أن اسكندر قوى نفسه وحفظ مملكته فى المستقبل وفى سنة ٢٤٢ قبل الميلاد تغلب انطجنوس على قورنثه وصار ملكا على عموم الجريس ما عدا اسبرطة

وفى هذه الحالة قامت شوكة جديدة فى الجريس وهى الاتحاد الاخايانى أو اتحاد مدائن اخايا وكان انعدم هذا الاتحاد مع تلك المدائن بسبب ما وقع عليهما من الكبس الذى حصل لها من خلفاء اسكندر الاكبر فاستحيا هذا الاتحاد فى سنة ٢٥١ قبل الميلاد بواسطة أرطوس صاحب صكيون وذلك انه ضبط مدينته الاصلية وأضافها الى الاتحاد وفى سنة ٢٥٤ قبل الميلاد صار انتخاب أرطوس المذكور قائد الاتحاد وفى سنة ٢٤٣ قبل الميلاد تغلب على قورنثه وأخذها من المقدونيين وأضافها الى الاتحاد وكان المقصد من هذا الاتحاد عتق الجريس من الحكم المقدونى وعودة استقلالية ممالكها وبواسطة مساعيه واجتهاده تيسر الحصول على هذا الاتحاد بسرعة فضم جميع ممالك بلوبونيزه ما عدا اسبرطة وعليس وبعضا من المدائن الاركادية ولما طعن انطجنوس فى السن وصار لا طاقة له على الغارة بالهجوم على الاتحاد الاخايانى حض العيطوليانيين فى مقابلة هذا الفعل على الغارة والهجوم على الاتحاد ومات فى سنة ٢٣٩ قبل الميلاد وخلفه ابنه ديمتريوس الثانى

وعقد ديمتريوس محالفة مع ابروس فتولد منها ابتعاد العيطوليانيين عنه بسبب عداوتهم لهذه المملكة وضموا قواهم الى قوى الاتحاد الاخايانى على مقدونيا ومع ان ديمتريوس نجح فى طرد الجريق المتحالفين من تساليا ومن بيوطية الا أنه ضيع بلوبونيزه ولما شرع العيطوليانيون فى تعديات عديدة على أكرنانية دخلت رومة فى الاعمال الجريسية وكان ذلك مبادى دخولها فارغمت العيطوليانيين على خلوص نيتهم لاكرنانية واحترام أحوالها وفى سنة ٢٢٨ قبل الميلاد تيسر الحصول للرومانيين على وضع رجلهم فى الجريس بكونهم تغلبوا على جزيرة قورصيره وابلونيا وابيدامنوس ومات ديمتريوس الثانى فى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد تاركا تاجه لابنه فيليب الخامس وكان طفلا عمره ثمان سنوات فتولى النيابة عن المملكة عنه انطجنوس دوسون شخص من أقارب هذا الملك الصغير

وفى ذلك كانت اسبرطة مستمرة على استقلالها الا أنها فقدت شوكتها وعظمتها الاولى فاجتهد اغيس الرابع وكان جلس على التخت فى سنة ٢٤٤ قبل الميلاد فى أن يعيد لبلاده ومملكته شوكتها ومجدها القديم بواسطة احياء وتجديد شرائع ليكورغس الا أنه فقد حياته فى هذا المشروع فشرع كليومنس

خليفته فى نشر قوانين وشرائع ليكورغه من بعد مضى بضع سنين ومن ثم شدت اسبرطة حيلها وصار لها طاقة على ايقاع هزيمة أخرى على قوى الاتحاد الاخايانى وتفصل منه المدائن الكبيرة الاخايانية من جهات بلوبونيزه وتجعلها حليفة لها فسعى أرطوس قائد الاتحاد سعيا كبيرا حتى دعا لمساعدته انطجنوس دوسون نائب مقدونيا ومن ثم استعمل شوكة الاتحاد الذى كان شكله فى استرداد حرية الجريس لاجل كمال استرقاقها وصارت اسبرطة لاطاقة لها على الرياسة ضد هذا الجمع وفى سنة ٢٢١ قبل الميلاد انهزم كليومنس فى واقعة حصلت فى صلاسيا وانجبر على الهرب الى مصر عند بطليموس الرابع وصار من الجلى الواضح الآن حصول الخيبة فى السعى فى احياء شوكة اسبرطة وأن تكون الجريس هدية عظيمة اما لمقدونيا واما لرومه

وفى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد مات النائب انطجنوس وبلغ عمر الشاب فيليب الخامس الى سبع عشرة سنة فتقلد زمام حكومته وسلطنته ومع ما أجراه النائب انطجنوس من عظيم التدبير والاحتراس السياسى وجعله لمقدونيا مزايا جليلة حاد فيليب عن الطريق التى كان سائرا فيها نائبه وابتدأ فى سلطنته بحرب على العيطوليانيين وكانوا يظنون أن جلوس مثل هذا الشاب على التخت يجعل لهم طاقة وقدرة من أجل تقدم منافعهم على مصاريف أعدائهم وأغاروا على مسينه فتوجه أرطوس لمساعدة مسينه مع الجيش الاخايانى فانهزم وتبدد شمله وتوسل الاخايانيون بمساعدة فيليب فاسرع فى مجاوبتهم وهزم العيطوليانيين فى عدة وقائع انتشبت بينهم وحصل له مظفرات كثيرة فى الجريس حتى تيسر له الحصول على اخضاع تلك الممالكة لطاعته الا أنه من بعد مضى عدة من السنين مكللا بنصره ونجاحه عقد بغتة صلحا مع العيطوليانيين فى سنة ٢١٧ قبل الميلاد ووجه عزمه الى جهة أخرى فوصل فى تدبيره وفكره الى أكبر تصميم صمم عليه وهو طرد الرومانيين من الساحل الشرقى من البحر الادرياطيقى والتغلب على ايطاليا وظهر له أيضا من النصرة التى حصلت لحنبال قائد قرطاجنه على الرومانيين فى نواحى بحيرة طراسيمنى نزول شوكة الجمهورية الى أسفل نقطة من الحضيض وانه لو اشترك مع القرطاجنيين لأمكنه توطيد ما عزم عليه من التصميمات والآراء وعلى هذا ابتدأ فى سنة ٢١٦ قبل الميلاد فى المخابرة مع حنبال فى شأن ما هو عازم عليه فقبض الرومانيون على رسله فى الطريق لكنه فى السنة التالية تمت المخابرة بينهما على خير وعقدت مخالفة بين قرطاجنه ومقدونيا وفى سنة ٢١٤ قبل الميلاد ابتدأ فيليب فى مشروعه الطويل وهو اشتباكه فى الحرب مع رومة بكونه وضع الحصار على ابلونيا أعظم مينة بحرية رومانية فى البرقوم وتغلب على أوريكوم ومع هذا ظهر له ان ما خطر بباله من ضعف قوة رومة كان على غير حساب وصار خلاص ابلونيا من حصارها بواسطة فالبروس ليونوس فهجم على المعسكر المقدونى والزم فيليب بحرق السفن التى كانت موجودة عنده وضرب فيليب ضربة قوية أسرع منها فى القهقرة وحالما كان فيليب متعلقا بمشروعه ضد رومة قام عليه الجريق ونابذوه بالعداوة بما حصل لهم من استبداد أحكامه وقباحة معاملته لهم فتجاسر ارطوس على نصحه له فأمر فيليب بسمه ومات فى سنة ٢١٣ قبل الميلاد

وفى سنة ٢١١ قبل الميلاد لما زالت النوازل والمصائب عن الرومانيين فى نواحى ايطاليا عقدوا معاهدة مع العيطوليانيين والعلينيين والاسبرطيين والاليريانيين وكذا مع عطالوس ملك برجاموس وأشعلوا نار الحرب فى ممالك فيليب وضيقوا عليه حتى صار لا طاقة له أن يرسل الى حنبال من أجل

مساعدته فالتزم أن يطلب مساعدة من نفس قرطاجنة وتغلب الرومانيون على ظاكيوطوس ونصوص وعناديه وانطيصرا فى لوكريس وجزيرة ايجينه وأعادوا كل ذلك الى العيطوليانيين ومرت السنتان الاوليان من الحرب فى مظفرات مختلفة وفى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد وضع فيلوعين القائد الاخايانى عدة تنظيمات قوية بين الاخايانيين ووعدهم باحياء المجد القديم الذى كان عليه الجريس من قبل فجعل لهم طاقة وقدرة على اكتسابهم النصرة الجليلة التى حصلت فى أمنطينه فى سنة ٢٠٧ قبل الميلاد على اللاسيديمونيين محالفى رومة وتولد من هذه النصرة أن صار فيليب فى موقع ألزمه على كتابة شروط معاهدة مع العيطوليانيين وعقد صلح جامعهم على حدته فعزم الرومانيون أن يبذلوا جهدهم ونفوذهم وقوتهم فى دمار قرطاجنه ورضوا بعقد معاهدة سلمية مع مقدونيا ملائمة الشروط بين الطرفين فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد واستقبل الجريق فيلوعين مع الترحاب والاجلال كأنه هو المخلص لبلادهم مما كان حاصلا فيها من الآفات والبليات

ثم ان طمع فيليب وطيش عقله لم يسمح له فى انتهاز الفرصة فى وقت المهلة التى حصلت عنده فى أثناء هذه المعاهدة وذلك أنه بدل أن يوطد ويقرر قواعد شوكته فى مقدونيا والجريس ويستعد لآخر حرب مع رومة ابتدأ فى اجراء مشروعات عظيمة أوقعته فى الخراب والدمار وذلك أنه عقد محالفة فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد مع انطيخوس ملك سوريا بشأن تقسيم الممالك المصرية مؤملا فى ذلك استحصاله على تراسة وقسم من اسيا الصغرى فاوقعه هذا المشروع فى حرب مع رودس وبرجاموس سنة ٢٠٣ قبل الميلاد ودخلا فى أمر مصر لاجل المحافظة على أنفسهم واتخذا ذلك الدخول وسيلة لهما وفى سنة ٢٠١ قبل الميلاد انهزم الاسطول المقدونى اشاعة بواسطة أسطول المحالفين على مسافة من خيوس ثم جاء عقب ذلك أن فيليب اكتسب النصرة على لادى وجعل نفسه ملكا على طاسوس وساموس وخيوس فى كاريه وعدة جهات فى يونان آسيا ومن ثم حصل له النجاح الكلى فى الحرب وكان نجاحه هذا أكبر من معاداته كسبه العداوة الشديدة لدولتين بحريتين وكراهة العيطوليانيين له وعدم خلوص طويتهم من جهته وتولد من أعماله الشديدة هذه تجديد الحرب عليه مع رومة وكانت برجاموس محالفة لرومة ودخلت فى المعاهدة المدنية للصلح وفى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد أنذرت رومة فيليب بتركه محالفتها الا أن فيليب لم يكترث بهذا الانذار ولا بالى به وفى نفس هذه السنة لما خلصت رومة من الحرب القرطاجنى الثانى وصارت خالصة لمقدونيا صار اعلانها بالحرب

وفى مدة اعلان الحرب من رومة على مقدونيا كان فيليب مشتغلا بحصار أثينة وعند وصول أسطول رومانى من أجل خلاص أثينة التزم فيليب على الانسحاب الا انه قبل انسحابه شرع بنفسه فى تخريب البساتين والمبانى التى كانت موجودة فى ضواحى المدينة بما فيها الليسيوم وقبور شجعان أطيقة وعاد على الفور مبتهجا وبانيا نفسه بما أجراه من الفظائع والقبائح فتجزأت الجريس فمن بعض الممالك من ساعد رومة وعاضدها ومنهم من عاضد مقدونيا ومنهم من بقى على الحيادة وتولد مما حصل من ذلك عدم اكتساب فائدة فاصلة بين المتحاربين لكن فى سنة ١٩٨ قبل الميلاد نجح القنصل كنةطيوس فلامننوس فى تحريض الاتحاد الاخايانى على اللحاق بمعاهدة رومة والانضمام اليها وكان العيطوليانيين دخلوا فيها من قبل وفى نفس هذا الوقت أذاع فلامننوس انه حمى الممالك الجريقية المستقلة المفصولة عن بعضها فانضم اليه تقريبا كل مملكة جريسية وفى سنة ١٩٧ قبل الميلاد

انهزم الجيش المقدونى هزيمة فاصلة فى صنوصفالى بالقرب من صكوطاسا من تساليا وانحطت شوكة فيليب انحطاطا كليا وصارت مملكته مهددة من جهة البر بواسطة الجيش المتحد من الرومانيين والبريانيين والدردانيين ومن جهة البحر باساطيل رومة وبرجاموس ورودس فالتزم على الدخول فى الصلح وفى سنة ١٩٦ قبل الميلاد عقد معاهدة تنازل فيها عن جميع أملاكه فى الجريس وسحب محافظيه من المدائن الجريقية وسلم أسطوله الى الرومانيين ودفع غرامة حربية الى رومة قدرها ألف وزنة أى ٢٠٠٠٠٠ استرلينه ثم ان فلامنتوس وعدوعدا جميلا بعود الحرية الجريسية فما جاءت سنة ١٩٤ قبل الميلاد حتى ان كامل الجيوش الرومانية انسحبت من الجيث جزيرة

وفرض الرومانيون فى الاحكام النهائية للاعمال الجريسية للممالك الصغيرة حدودا أزيد مما كانت مستحوذة عليها فى الاصل وتركت الاتحاد الاخايانى والاتحاد العيطوليانى لصد بعضهما بعضا ورضى معظم الممالك بالاصلاحات الجديدة الضامنة للاستقلال والحرية كل منها على حدته ومع ذلك لم يكتف العيطوليانيون بذلك بل اجتهدوا فى عطف مقدونيا واسبرطة وسوريا لاجل مساعدتهم على فصل الحالة الاخيرة فخاطر انطيخوس ملك سوريا بعفرده مجيبا الطلبهم ودخل الجريس فى رأس جيش قليل من أجل الشغل الذى شرع فى انجازه فهزمه الرومانيون فى ترموبيلى فى سنة ١٩١ قبل الميلاد فترك العيطوليانيون فى الحرب لامساعد ولامعاضد لهم وفى السنة التالية هزموا شرهزيمة فى واقعة حصلت فى مغنسيا وأرغموا على الانقياد لرومة من غير شروط فحرمتهم رومة من أراضيهم وجعلتهم رعية حليفة لها

ثم تولد من ذل واهانة العيطوليانيين جسامة الاتحاد الاخايانى وكان معضدا فى الشوكة والاجلال من طرف رومة وظهر عليه التقدم بارشاد الشهم البطل فيلوبمين صاحب السير المستقيم وفى سنة ١٩٢ قبل الميلاد التحقت اسبرطة بالاتحاد وفى السنة التالية التحق به علبط ومسينة اللتان كانتا على انفراد منه وهما آخر الممالك البلوبونيزية ودخل فى أثناء هذا كامل بلوبونيزه ومغارة ونواح أخر من وراء الحدود الجنوبية الجريسية

وأما فيليب فانه استمر فى الصلح من عهد هزيمته فى صنوصفالى ماعدا مساعدة رومة على أنطيخوس ملك سوريا وعطوليا ولما نظرت رومة له فى هذه المسئلة سمحت له أن يمد مملكته على قسم من ثراسة وقسم من تساليا ومع هذا فان الرومانيين لما وجدوا أنه لاحاجة لمساعدته أمروه بتسليم كافة أملاكه ماعدا مقدونيا الاصلية وفى المخابرات التى جاءت عقب ذلك وكانت جارية بواسطة ديمتريوس الابن الثانى لفيليب بما أنه كان مقيما نزيلا فى رومة من مدة طويلة حصل الرضا من مجلس السناتو على الطلبات التى كان أبوه طلبها منفعة لذاته وراعى المجلس فى ذلك صداقة نزيلهم البرنس الشاب فتولد من ذلك كراهة برصوص الابن الاكبر لفيليب لاخيه وأكمن له الخيانة والغدر فزور عليه مكاتيب اتهمه فيها بسوء مداخلاته فى رومة ضدأبيه حتى ان فيليب أمر فى الحال بقتل ديمتريوس ولما انكشفت له الحقائق من كراهة أخيه له أراد اعادة أمره الا أنه قضى الامر فيه فحاق بفيليب الاسف ونزلت عليه آفات الاكدار والمصائب فى سرعة أمره بقتل ابنه ومازال فى أكداره وأحزانه حتى وافاه حمامه ومات من بعد مضى سنتين أى فى سنة ١٧٩ قبل الميلاد وكذلك مات فيلوبمين رئيس الاتحاد الاخايانى وكان حصل القبض عليه سنة ١٨٣ قبل الميلاد عند سعيه فى اخماد ثورة المسينيين على حكومة

الاتحاد وقتله الذين أسروه

وكان من عزم فيليب أن يوصى بالتاج لواحد من أقاربه البعيدين عنه فى القرابة اسمه انطجنوس عقابا لبرصوص بما تسبب فيه من قتل أخيه الا أن انطجنوس كان غائبا من الديوان وقت موت فيليب فجلس برصوص على التخت من دون معارضة ولا مقابلة من عدو ما وانقضت السنون الاخيرة فى تهيئة الاستعدادات اللازمة لتجديد الحرب مع رومة وكان فيليب رأى أن الحرب لابد منه فاستمر برصوص فى هذه التجهيزات مع النباهة والشدة واشتغلت محلات استخراج المعادن مع الربح والفائدة وامتلأت الخزينة بالنقود وصلحت خسارات الاهالى بواسطة مجلوبات المستعمرات من تراسة وازداد الجيش وتقررت فيه قواعد الانتظام وعملت معاهدات مع الاليريانيين والغليين والجرمانيين وكان الامل من مساعدتهم تمتع مملكة مقدونيا بالغلبة على رومة واستمرت اجراآت هذه الاعمال والتحضيرات مدة ثمان سنوات وصار فى امكان برصوص أن يجلب كافة الجريق تحت بيرقه لان غالب الامة فى الهلاس يرجحون سيادة مقدونيا على سيادة رومة الا أنه تردد فى ذلك واتبع طريق حب الذات وسار فى مجارى طرق الشح حتى انه فقد الفرصة التى كانت قريبة من يده وفى سنة ١٧٢ قبل الميلاد كان أومينس ملك برجاموس قدح فى حق برصوص وعابه أمام مجلس السناتو الرومانى لعداوة كانت بينهما وعند عوده الى بلاده قتل بالقرب من دلفى فتأكد عند الرومانيين أن برصوص هو المدان بقتله فاعلنوا الحرب عليه

وفى سنة ١٧١ قبل الميلاد نزل الرومانيون فى ابروس ومن بعد مضى بضع شهور من نزولهم نجحوا فى ادخال الممالك الجريقية وانضمامهم نحوهم وأبطلوا الاتحاد البيوطى وكان على صداقة لمقدونيا وتغلبوا على تساليا واخايا وهشموا كل جهة مائلة لبرصوص وأما نفس برصوص فانه ألزم بقبول هدنة فى مدة هذه الشهور ولما استعد الرومانيون فيها تقدموا فى داخل تساليا فقابلهم برصوص وهزمهم الا أنه لم يجتهد فى تعقبهم لاتمام نصرته وفى سنة ١٦٨ قبل الميلاد دولى اميليوس بولوس قيادة الجيش فهزم برصوص هزيمة فاصلة بالقرب من بيدنه فهرب الى جزيرة ساموتراس المقدسة وأخيرا التزم على تسليم نفسه الى عمارة رومانية فأخذوه الى رومة ماشيا على أقدامه فى موكب احتفال بولوس ثم رموه فى سجن فشفع فيه بولوس من كرمه فنجحوا له أن يصرف الباقى من حياته فى أسر خفيف فى نواحى البا وكانت نصرة بيدنه ختام الحياة مقدونيا وانقسمت المملكة الى أربعة ايالات خاضعة لرومة ومنعت هذه الايالات من أن يكون بين بعضها علاقات ومعاملات وكافأ الرومانيون المقدونيين فى نظير ضياع حريتهم بأن يدفعوا لرومة خراجا نصف الخراج الذى كانوا يدفعونه لملوكهم فى السابق

وكانت النتيجة الاخرى من الحرب هى تقرير سلطة الرومانيين على أربعة أخماس الجريس وأبطلت جميع الاتحادات ماعدا الاتحاد الاخايانى ومع هذا فان رومة فهمت حقيقة لزومه فلاجل أن لايكون لها عدو فى الجريس قررت أن اخايا يلزم أن تدخل فى طاعتها من غير شروط تطلبها طوعا أوكرها وفى سنة ١٦٧ قبل الميلاد طلبت الجمهورية من الاتحاد محاكمة ألف نفس من أكابر مدائنه أوقعت عليهم التهمة فى مساعدتهم برصوص خفية فما كان للمجلس الاخايانى طاقة على رفض هذا الطلب فأرسل جميع المسجونين الى ايطاليا وحبسهم فى مدائن اتروسكانه ومن ثم صار الحزب الرومانى هو الحاكم فى اخايا واستمر المأسورون فى الحبوس سبع عشرة سنة من دون أن يسمعوا خبرا عن تحريض

أصدقائهم فى خلاصهم ولما وصل عددهم الى ثلاثمائة من كثرة ما نزل بهم من البلاء والموت خلص الموجودون على قيد الحياة على حين غفلة وعادوا الى بلادهم فغضبت رومة غضبا مهولا لما علمت بعودهم على نية الانتقام منها الا انها لم تهتم بشأن ذلك وكان يوجد من ضمن الاحياء ثلاثة فى غاية الحقد والبغض لرومة وبواسطة هؤلاء الثلاثة وصل المجلس الاخايانى الى درجة من الشوكة والنفوذ فتسبب من كراهة هؤلاء كراهة الجمهورية أيضا وتولد من ذلك اشتعال الحرب فاعلن الجمهورية الحرب فى سنة ١٤٦ قبل الميلاد وفى بضع سنين تغلبت رومة على الجريس الجنوبية وأضافتها الى ممالكها والله أعلم

﴿ الباب العاشر ﴾

﴿ من الفتح الرومانى الى الوقت الحالى ﴾

المملكة الجريسية الاخيرة ـ الجريس تحت الحكم الرومانى ـ المصائب والآفات مدة الحروب الداخلية ـ المساعى فى عود حرية الجريس ـ حسن معاملتها بالامبراطورات ـ غارات الغوطيين ـ نهب أثينة ـ انتشار الديانة المسيحية فى الجريس ـ تقرير النصرانية بواسطة قسطنطين ـ تشييد القسطنطينية ـ الجريس تحت حكم المملكة الشرقية ـ الايالات اللاتينية الجريسية ـ المملكة الفنيزيانية ـ تغلب الترك العثمانية على القسطنطينية ـ الحروب بين الترك العثمانية والفنيزيانيين بخصوص الاملاك الجريسية ـ مصائب الجريق ونكباتهم ـ دمار البارثنون ـ الجريس تحت الحكم العثمانى ـ أجود طريقة فى الحكم ـ كيفية المحافظة على الامة الجريقية ـ عدم التغلب على سكان الجبال ـ ثورات الجريق ـ ثورة سنة ١٨٢١ بعد الميلاد ـ قيام الجريق ـ نجاحهم ومظفراتهم الابتدائية ـ ترتيب حكومة ثوريه ـ اعلان استقلال الجريس ـ مذبحة صكيو ـ طرد الاسطول التركى بواسطة ميوليص ـ حصار مصولنغى ـ ماركو بوظاريس ـ موت اللورد بيرون ـ تغلب ابراهيم باشا على كريد ـ اغارة ابراهيم باشا على بلوبونيزه أى موره ـ سقوط مصولنغى ـ تخريب ابراهيم باشا موره ـ تداخل الدول الاوروباوية ـ واقعة نفرينو ـ انجلاء ابراهيم باشا عن موره ـ معاهدة أدرنه ـ صيرورة الجريس حرة مرة أخرى ـ انتخاب أوطو ملكا ـ منح نظامات وقوانين ـ ثورة سنة ١٨٦٢ ـ طرد أوطو ـ صيرورة جورج الدانيمارقى ملكا ـ ملحقات تاريخية

استمرت الجريس فى حوزة الاملاك الرومانية مدة تنيف عن أربع قرون أى من سنة ١٤٦ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٤ بعد الميلاد المسيحى ولبثت فى الابتداء متمتعة بنوع حرية مدنية لان كل مدينة جليلة كان يحكمها واحد من أهلها وكان الرومانيون يؤدون ما يجب عليهم من الاحترامات عن طيب نفس الى رعاياهم المتغلبين عليهم اكراما لنباهتهم وعلو مقدارهم فى الحضارة والتمدن وما هم عليه من الآداب والمعارف وكان أجل واحد من الرومانيين من يفتخر بمعرفة اللسان الجريقى والآداب الجريقية ونظروا للجريس بعين الوقار والحب وجعلوها أم معارفهم وآدابهم وتمدناتهم حتى ان الامبراطورات فى الازمان الاخيرة كانوا يفتخرون بكونهم من أولاد أثينة فتولد من هذا فى آخر الامر الغيرة والحسد فى قلوب

الامة الرومانية حتى ان اصطلاح لفظة غروقولوس التى كانت مرعية فى الابتداء بانها علامة امتياز وشرف صارت علامة نقص واهانة

ومن قرب الجريس الى ايطاليا جعلها ميدانا لكثير من الحروب بين اختلاف الفاتحين من الاحزاب المختلفة وبين الرومانيين وأمم أخرى فنشأ من ذلك كثرة نزول المصائب وتوالى مواسم الاهوال والآفات على المملكة الجريسية فى كثير من هذه الحروب وانضم الجريق الى الاغراب أعداء رومة تحت أمل لاطائل تحته وهو عتقهم من الناف الرومانى كى يعودوا الى استقلاليتهم وفى مبادى القسم الاول من القرن الاول قبل الميلاد اشتبك متريداطس ملك بونطوس فى حرب مع الرومانيين وطردهم من آسيا الصغرى وأغار على ايالاتهم الاوروباوية وعقد محالفة مع الجريق وأرسل عدة جيوش الى داخل الجريس فانضم اليها الاثينيون والاسبرطيون والطيبيون والاخايانيون واستمر المتحالفون هؤلاء فى نجاح وظفر مدة ما وفى ظرف مدة قليلة صارت الجريس حرة فى نفسها مرة أخرى وفى سنة ٨٧ بعد الميلاد رجع عليها المد وردالرومانيون جميع المدائن الجريقية وشدوا الحصار على أثينة وفى السنة التالية ألزمها الجوع والقحط على التسليم الى الرومانيين فوطد الرومانيون نصراتهم بعذاب أجروها لافرق فيها بين كبير وصغير وغنى وحقير فى أثينة وطيبة ومدائن أخرى وباعوا كثيرا من الجريق المغلوبين فى أسواق الرقيق ونهبوا هيا كل دلفى وأولمبيا وابيدوروس وسلبوها من خزائنها وكنوزها وجردوا المملكة من كافة أشغالها العظيمة الغنية الاختراعية وأرسلوها الى رومة

وكذا تولد من حروب القيصر مع بومبى اشتباك الجريس ووقوعها فى ارتباكات وقلاقل جديدة فكان الاثينيون والبيوطيون والبلوبونيزيون فى جهة بومبى وكان الاخارنانيون والايطوليانيون وقسم من أهل ابروس فى جهة القيصر وكذا تولد من الواقعة الكبيرة الدموية التى حصلت فى نواحى فرساليا من أعمال تساليا فى سنة ٤٨ بعد الميلاد أن صار القيصر سيدا على كامل الجريس فأوقع بأسه وجوره على المغاريانيين وحدهم وعامل باقى الجريس بالرفق واللين وأما أثينة فانه راعاها بالنظر لمجدها القديم وشرفها العظيم فنالت منه جزيل الاحترام وأمر ببناء مدينة قورنثه ثانيا وكانت دمرت فى الفتح الرومانى الاولى وكان ذلك فى سنة ٤٦ بعد الميلاد

وبمجرد ما قتل القيصر اشتعل حرب جديد داخلى فى الجريس وكان هذا الحرب فى هذا الوقت بين انطونى وأوكطافيان من جهة وبروطوس وكاسيوس من أخرى وانضم الاثينيون الى حزب بروطوس وكاسيوس واللاسيديمونيون اشتركوا مع حزب انطونى وأوكطافيان ونشأ من الوقائع التى حصلت فى فلبى فى سنة ٤٢ بعد الميلاد أن صار أنطونى وأوكطافيان سيدا الدنيا الرومانية وتقاسماها بينهما فوقعت الجريس من نصيب أنطونى فجعل أثينة دار حكومته وسلطنته وكان تربى وتهذب فيها من قبل وعامل الجريق بأحسن المعاملات وأجلها حتى ظهر على بلادهم أنها أصبحت على شرف المجد القديم ولما اشتعل الحرب الداخلى بين أنطونى وأوكطافيان عضد كامل الجريس أنطونى وسندوه وأخيرا انهزم أنطونى وتدمر حاله فى واقعة حصلت فى اكطيوم سنة ٣١ بعد الميلاد الا أن أوكطافيان عامل الجريس وأهلها بأعظم شفقة وأجل مرحمة وأمر بعود بناء مدينة بطره وتشييد مدينة نقوبوليس فى الميدان الذى نال فيه نصرته الكبيرة

وعلى العموم فان الجريس تمتعت بالراحة التامة والتوفيق والنجاح الكامل تحت أحكام الامبراطورات

الرومانية وترخص لكثير من مدائنها وعلى الخصوص مدينة أثينة ببقاء حكامها من أهلها ومع ان قالبحوله ونيروأخذا كثيرا من أجل صنائعها وذخائرها وجلاها الى رومة الا أن آخرين مثل طراجان وهادريان لم يحصل منهم أدنى خدش فى علامات محبتهم لاثينة وحلى هادريان هذه المدينة وزخرفها بأظرف الاشغال وكان كثيرا مايزورها حتى لقب نفسه بلقب ارخن ابونيموس اثينة ومع هذا فان صفات الجريق وطبائعهم كانت آخذة فى الانحطاط على الدوام تحت الحكم الرومانى وتولد من العوائد الخشنة وألعاب المصارعات التى كان الفاتحون يجرونها فساد آداب الامة الجريقية وأخرجتهم عما كانوا فيه من الفنون والآداب ولما غرقت المملكة فى عميق بحار الفساد حل بالجريس كثير من المصائب والآفات واشتد الجزع وقل الامن وتسلطن الهول وكذا تولد من زيادة احتياجات الرومانيين وعوزاتهم سلب ونهب المدائن المتمولة عند سنوح الفرصة لهم فى هذه الاحوال ومن كثرة ايقاد الحروب الدموية قل تعداد الاهالى والسكان وصار كثير من أقاليم المملكة خاليا من السكان والعمران

وازدادت الاحوال وحلا على وحلها بكون الغوطيين الذين ابتدؤا فى غاراتهم على الممالك الرومانية هددوا الجريس بالاغارة عليها فى سنة ٢٥٣ بعد الميلاد فاحتل الجريق بوغاز ترموبيلى وأصلحوا استحكامات أثينة وأسوارها وجعلوا برزخ قورنثه على غاية من الحصانة والرصانة وتولد من نصرات الرومانيين على الغوطيين فى تراسة خلاص الجريس من غارات هؤلاء المتبربرين فى هذه المرة الا أنه فى سنة ٢٦٢ بعد الميلاد نزل الغوطيون فى المملكة من طريق البحر وتغلبوا على قورنثه وارغوس وكثير من المدائن الموجودة على البر الاصيل وعلى الجزائر وخربوها وأما أثينة فانها سقطت من بعد مقاومات شديدة وغرقت مساكنها وأرضها من دماء أهلها وسكانها ودمروا المبانى والهياكل والآثار واشتركت الكتب الموجودة فى دارها وخزائنها فى هذه المصائب والبلايا العظمى وكان اعتقاد الغوطيين أن عدم ممارسة الآداب والعلوم يضعف قوة الجريق ويورث بينهم الانوثة وبذلك يسهل عليهم التغلب على الجريس وفى هذه الحالة المهولة جمع ديكسيبوس المؤرخ وكان أحد قواد الاثينيين مابقى من قوى عسكره وهجم على الغوطيين وهزمهم فتقهقروا الى البريقوم فبدد الامبراطور جالينوس شملهم وفرقهم وهزمهم شر هزيمة وفى مدة سلطنة الامبراطور كاوديوس أغار الغوطيون مرة أخرى غارة فظيعة على تراسة ومقدونيا وتساليا وأقاليم أخرى جريقية الا أن كلوديوس هزمهم أيضا فى هذه الوقائع وانتهت هذه الحالة من بعد أن لبثت قرنين والغوطيون عازمون على التغلب على الجريس ومن بعد هذه الحوادث أصيبت المملكة بالضنك والعناء الشديد فتسبب من ذلك زيادة الضعف وعم الاضمحلال

وبينما كانت الجريس مشغولة فى أثناء هذه الحوادث والمشاكل بتغيير فى أصل حكومتها اذ انتشرت الديانة المسيحية بين أهلها وعمت سيادتها وشوكتها جميع جهات المملكة وأطرافها وذلك أنه فى نحو منتصف القرن الاول من ميلاد المسيح عبر الرسول بولص البحر فى نواحى آسيا الصغرى الى مقدونيا وشرع فى خطابة انجيل المسيح عليه السلام فيما بين الجريق وأدخل الكثير منهم فى ديانة الانجيل خصوصا فى نواحى تسالونيقه وشيد فيها كنيسة ثم لما لاقى من الجور والظلم الذى وقع عليه توجه منها الى أثينة وجدد فيها مساعيه وخطب بالانجيل فى حضور مجمع من أهل المدينة على جبل مارس ولما وجد مساعيه على غير نجاح تام فى أثينة قام منها الى قورنثه وشيد فيها كنيسة ومن ابتداء هذا

الوقت

الوقت انتشرت الديانة المسيحية بوجه العجلة فى الجهات الاخرى من الجريس ومع ما حصل من الجور والتعدى الذى وقع من الحكومة الرومانيـة فى صد أعمال الرسول بولص وتقدماته رغما عما أجرته الديانة الوثنيـة من الرقى والتعاويذ التى كانت محيطة بالديانة القديمة فان الديانة المسيحيـة انتشرت مع الثبات على وجه التدريج حتى أثرت على عقول وطبائع عموم الامة الجريقية وعاداتها

ولما صار قسطنطين امبراطور رومة جعل الديانة المسيحية ديانة المملكة وكان عمله التالى لذلك هو جعل عاصمة فى المدينة الجديدة التى أمر بابتنائها على جدران بيزانطيوم القديمة وسماها القسطنطينية أى مدينة قسطنطين وذلك أنه رأى أن حزب القسم الغربى من المملكة الرومانية لابد منه فشرع فى تشييد مملكة قوية يحتمل دوامها فى ممالك الجريقية وجعل عاصمتها المدينة الجديدة التى سماها باسمه وكان تشييد العاصمة الجديدة فى الاراضى الجريقية القديمة سببا حقيقيا لاستحياء استقلالية الجريس وكانت الجريس معضدة قلبا ولسانا للامبراطورات فى القسطنطينية وسنشرح تاريخ هذه المملكة الجريقية فى محل آخر غير هذا الا أنه يلزمنا الآن أن نذكر هنا ما يلزمنا ذكره من الوقائع والحوادث الخاصة بنفس الجريس فنقول

ان الجريس استمرت لحد القرن الحادى عشر قسما لانزاع فيه من المملكة البزانطيه وفى سنة ١٠٨٠ بعد الميلاد أغار روبرت غيسكارد وهو برنس نورمانى من ايطاليا السفلى وهجم على ابروس وتساليا واجتهد فى التغلب عليهما فطرده علكسيس قومننوس على أعقابه وفى سنة ١١٤٦ بعد الميلاد ضبط روبرت الثانى صاحب سيسيليا جزيرة قورصيره ونهب قورنثه وبعض مدائن أخرى جريقية ومن بعد قليل أعيدت قورصيره بواسطة العساكر الامبراطورية وفى سنة ١٢٠٤ بعد الميلاد هجم الفينيزيانيون باتحادهم مع أهل الصليب من الفرنساوية وتغلبوا على القسطنطينية وقسموا الجريس بين بعضهم وصار الماركيز مونفراط ملك سلانيك (تسالونيقة) واخاى وموره (بلوبونيزه) وصارت بلوبونيزه امارة تحت حكومة غيلاوى دوشمبات وغيوفروا فيلاهردوين وانتظمت جزائر بحر الارخبيل فى صورة دوقيات أى امارات صغيرة وجعلت ناكصوص عاصمتها وصارت أثينة دوقة أى امارة أيضا واستمرت على هذه الحالة من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٤٥٦ بعد الميلاد ثم ان الجريق استردوا القسطنطينية من الفنيزيانيين سنة ١٢٦١ بعد الميلاد الا أن الايالات الاخرى البرانية لبثت عدة قرون وتغلب الفنيزيانيون على قسم عظيم من موره وبعض أقسام وجهات أخرى من الجريس وكذا على جزيرة كريد وجزائر أخرى حتى صار تغلب الترك على المملكة الشرقية الجريقية

وفى سنة ١٤٥٣ تغلب الترك العثمانية فى زمن سلطنة السلطان أبى الفتح محمد خان على القسطنطينية وكانوا اسلبوا من الامبراطورات الجريقية كامل مملكتهم وخلصوا على انقراض المملكة الشرقيـة وانقضت الثلاثة قرون التى جاءت بعد فى حروب بين الترك العثمانية والفنيزيانيين من شأن الغلبة على الجريس ولما وقعت الجريس الشمالية فى أيدى الترك العثمانية ظفروا بعد ذلك بالغلبة على جزيرة عوبية وأطيقة فوقعت أثينـة فى أيدى المسلمين فحولوا البارثنون الى مسجد جامع ثم وجه السلطان مساعيه وعزمه نحو بلوبونيزه (موره) وهى القسم الاكبر الذى كان تحت يد الفنيزيانيين ووقعت الجريس فى شر أعمالها وحل باهلها المصائب والآفات وتكدرت عليهم عيشتهم بين الدولتين المتحاربتين لانهم لو التجأوا مع الفنيزيانيين أوقع بهم العثمانيون وأذاقوهم أشد العذاب ولو ساعدوا الترك نكلهم

الفنيزيانيون باشد النكال على قدر امكانهم الا أن ميل الجريق الى الفنيزيانيين كان أقرب لانهم على ديانة واحدة وهى الديانة المسيحية فضلا عن أنهم مؤملون منهم اعطاءهم حريتهم واستقلاليتهم وكانت احدى نتائج هذه الحروب نقل معامل تشغيل الحرير الى فنيزه وجنوه وكانت أزهرت فى أثينة وقورنثه من عهد جوسطانيان وفى سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد أى فى مدة سلطنة سليم خان الاول تغلب الترك على جزيرة رودس من بعد حرب مقطوع اليأس ومن بعد ذلك بقليل أخضعوا ما بقى من الايالات الفنيزيانية الموجودة فى پلوپونيزه وفى سنة ١٥٧١ بعد الميلاد فى مدة سلطنة سليم خان الثانى وقعت جزيرة قبرص فى يد السلطان ولم تمض مدة من بعد ذلك حتى انهزم كامل الاسطول التركى وكان مؤلفا من ٢٠٠ سفينة وتبدد حاله على مسافة من نوپاقطوس بواسطة الاساطيل المتحدة من طرف الفنيزيانيين والبابا رومه والامبراطور وكانت هذه الاساطيل تحت قيادة الدون يوحنا صاحب أوستريا وكان كامل خدمة الاسطول الفنيزيانى من الجريق وفى سنة ١٦٧٠ بعد الميلاد فى زمن سلطنة محمد خان الرابع طرد العثمانيون الفنيزيانيين من جزيرة كريد من بعد حروب استمرت ثلاثين سنة وفى سنة ١٦٨٥ أى فى مدة سلطنة محمد خان الرابع استرد الفنيزيانيون كامل موره وكانوا تحت قيادة الشهير موروسينى متساعدين بالجريق وفى السنة التالية تغلبوا على أثينة وفى أثناء حصارها استعمل الترك محل البارثنون مخزنا للبارود فسقط فيه قنبلة من جهة الفنيزيانيين فالتهب المخزن وفرقعت أبنيته وتفتت بناؤه الظريف وفى سنة ١٦٩٩ بعد الميلاد اجبر الفنيزيانيون على ترك كامل ما تغلبوا عليه ماعدا پلوپونيزه وفى ١٧١٥ بعد الميلاد اغتصب السلطان أحمد الثالث هذا البعث جزيرة منهم أيضا وصارت الترك العثمانية فى هذه الحالة أسياد جميع الممالك الجريقية ماعدا الجزائر اليونانية

ثم ان الترك رتبوا الاراضى الجريقية وقسموها الى ايالات واستحسنوا طريقة عظيمة تختص بحكومة هذه الايالات وأهلها من الجريق وقرر السلطان بان بطريقية القسطنطينية التى هى رأس الديانة الجريقية تكون رأس الامة الجريقية وأن يكون لها سلطة الحكم المدنى الداخلى والحكم الرومانى الكنائسى فى الجريق ورتب فى كل ايالة أوقسم أسقفا له الحكم المدنى والكنائسى على الجريق وتقرر له القضاء والفصل فى جميع الدعاوى والقضايا الخصوصية وأحيلت على عهدته مباشرة المكاتب والمدارس المعدة لتوطيد ووقاية اللسان الجريقى والحكم على الكنائس المخصوصة بالمحافظة على ديانة الامة وعوائدها وأن تكون البطريقية مسؤلة فى أعمالها لدى السلطان ومن تحت يدها من الاساقفة الموجودين فى الايالات مسؤلون لديها فى أعمالهم وأحكامهم وتقرر للقسس الواطية الدرجة وظائف مدنية حسب نص هذه الاصلاحات وهم تابعون لاسقف الايالة الواحدة فى أعمالهم يأخذون منه الاوامر اللازمة لهم فيما يختص باحوال الادارة والحكومة ومن المعلوم أن هذه الطريقة كانت ممنوحة للجريق فقط ورتب فى كل ايالة نائبا عن السلطان وحكاما أخر ملكية الا أن الجريق ما كان منهم أحد داخلا فى هذه الوظائف الا القليل ومن ثم صار على حسب هذه الطريقة التى ترتب اجراؤها على الجريق كان اذا حصل بينهم مشاكل أو مشاحنات فما كانوا يتوجهون الى دواوين المحاكم القضائية العدلية التركية بل كانوا يرفعون ماهم واقعون فيه من المشاكل والمخاصمات أمام المحاكم الكنائسية ويقبلون فصل الحكم فيها بمعرفتها وكان الاساقفة يجمعون الخراج والعوائد المضروبة على الامة الجريقية الجريسية ويدفعونها للادارة التركية ويدافعون أو يحافظون على عدم دخول

احد

أحد من الامة فى الوظائف العسكرية باعطاء الباشوات حكام الايالات الرشاوى والبراطيل وكانوا يسوّون مدخول كل طائفة من الطوائف الجريقية ويباشرون ما يلزم منها من المصاريف الضرورية فكانت هذه الطريقة هى التى لابد منها فى حفظ حياة الامة الجريقية من الظلم الواقع من الترك وحفظ الجريق أنفسهم وعرفوا أنه لامداخلة لهم فى الاشتراك مع المتغلبين عليهم وحفظت الكنيسة للخاضعين لها والمرتبطين بأوامرها حقوق حياة شهامة وطنهم وحفظت لهم المكاتب والمدارس لسانهم وآدابهم القديمة وكانت العقدة العظيمة فى ذلك هى اتحاد الامة الهلانيقية مع بعضهم فكانوا يصلون يوميا فى كنائسهم ويبتهلون بالتضرع والدعاء الى الله أن يبعد عنهم الترك وينقذهم من تحت أحكامهم ويعيد لهم حرية الجريس بلادهم وما قبل أحد منهم الدخول فى الدين الاسلامى وما حصل تناكح أو زواج أبدا بين الجنسين وكانت كراهتهما لبعضهما غزيرة ومتعادلة بين الجنسين

ثم بعد ذلك ظهر سبب آخر لاحياء شهامة الامة الجريقية وهو انتشاب الحرب على الترك من سكان الجبال الموجودة فى نواحى ابروس وتساليا واكرنانيا وعيطوليا واركادية ومينة أولاقونيه وكان هؤلاء الجبليون الاشداء ما خضعوا أبدا للحكومة التركية وانضم اليهم من عهد فتوح الترك بلادهم كثير ممن لم يقبل الطاعة والخضوع للمسلمين فأسرع هؤلاء من جبالهم وحملوا على الترك بحروبات شديدة تسبب لهم منها خسارات جسيمة فسار الجريق على منوالهم الا أنهم حافظوا على أنفسهم حتى يأتيهم اليوم الموعود لخلاصهم من أيدى الترك أعدائهم

ثم تحرك الجريق فى النصف الاخير من القرن الثامن عشر مع العزم الثابت مؤملين سرعة عود استقلالهم وكان السلاطين العثمانية أصدروا أوامر من بعد فتح الجريس بمدة باستخدام الجريق فى بعض المصالح فكانوا دخلوا بكثرة فى المصالح الخارجية وديوان الخارجية وفى دواوين مالية أقاليم المملكة وكثرت بيوت التجارة وصار لها السلطة على مباشرة تجارة الشرق ولها فروع فى المدائن المختلفة من نواحى أوروبا وكان للجريق فى الخدامات التركية فرص كبيرة فى مساعدة أهل بلادهم وعمل الطرق اللازمة فيما يعود منها النفع عليهم وكذا استحثت آمال الجريق بزيادة انحطاط وضعف المملكة التركية وكان كامل الامة على تيقظ فى كل ناحية من سنوح أول فرصة تحصل لهم فى القيام على أعدائهم

وفى سنة ١٧٦٩ بعد الميلاد فى مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الثالث عندما اشتبكت الترك فى حرب مع الروسيا قام الجريق فى ثورة العصيان فى نواحى موره ولاقونيه ووصل اليهم وعد من الروسيا بحضهم وحثهم ومساعدتهم الا أنه ظهر لهم بعد ذلك خداع مواعيد روسيا وغشها وأخمدت الدولة التركية الثورة مع العنف والشدة

وفى سنة ١٧٨٧ بعد الميلاد فى مدة سلطنة سليم خان الثالث انفجرت ثورة جديدة فى جهات من الجريس وعلى الخصوص فى النواحى الجبلية وكان الجريق من ابتداء أمرهم ومن مدة قرون مضت أنشؤا أسطولا صغيرا تحت قيادة لمبروس كانسونيس فأوقع هذا الاسطول الصغير تلفيات جسيمة فى المراكب التركية ثم خمدت هذه الثورة ثم ان صاليوطس ابروس باشروا الحرب الى حد سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد الا أنهم طردوا من جبلهم الذى كانوا موطدين فيه أنفسهم فهربوا والتجؤا الى الجزائر

اليونانية وفى أثناء هذه المدة قريبا جدا من القرن الحالى وهو القرن التاسع عشر استمرت أمراء رجال الجريس مكدين على استعداد الامة لعزم عود حريتهم وتشجعت المدارس فى تهذيب أولادها ومارسوا تواريخ أجدادهم وقرؤها وتجمعت مجالس سرية كانت غاية رغبتهم عتق البلاد والعباد من رق الترك وكان تشكيل هذه المجالس والجمعيات فى جهات مختلفة من الجريس فكان ريغاس فيريوس ومن بعده كوراى من كبار المؤرخين يدسان للجريق ما يذكرهم بشهرة أجدادهم ويتفاخرون عليهم بهم وفى سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد توجه ريغاس الى ايطاليا مجتهدا فى حث نابليون بونابارت على التداخل فى الاعمال الجريقية فضبطه الاوستريانيون فى تريسته وسلمه للترك فقطعوا رأسه فى بلغراد وكان آخر أقواله سأخذ الجريس بثارقتلى هذه عاجلا

وأخيرا جاء الوقت الذى كانت تنتظره الجريس من مدة طويلة وذلك انه فى سنة ١٨٢١ بعد الميلاد فى مدة سلطنة السلطان محمود خان الثانى لما صح عند المجالس السرية والرؤساء الجريقية مجىء الوقت وصار لاحاجة لتوطيد الحكم التركى أعطوا اشارة الثورة وعلاماتها فانتشرت فى جميع أنحاء الجريس حتى وصلت هذه الحركة الى اقليمى البغدان والافلاق (أى ملدافيه ولاخيه) فأسرع الترك بحركات شديدة فى حطم هذه الثورات وأصبحت المدائن الجريقية ميدانا للمذابح فظيعة ووقع الكشف على دسيسة من الجريق الذين كانوا قاطنين فى القسطنطينية على شرف ضبط المدينة وقتل السلطان وكانت هذه الدسيسة معضدة للثورة فقبض على البطريك فى يوم أحد الفصح من سنة ١٨٢١ وصلب على باب سرايته ثم رميت رمته فى البحر وذبح كثير من الاساقفة والقسس ومائة من رؤساء جريق القسطنطينية وضبطت أملاكهم لجهة الحكومة التركية

وأما الثورة فى نفس الجريق الاصلية فكانت على غاية من النجاح وفى ٦ ابريل سنة ١٨٢١ اجتمع كبار رجال موره فى دير القديس لوره فى اركاديه وعاهدوا أنفسهم وحلفوا بالايمان بين بعضهم على تحرير بلادهم من أحكام الترك أو الموت فى هذا الكد والسعى وقام جميع أهل موره بالسلاح وظفروا فى هزيمة قوة تركية كانت مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس من العساكر التركية كانت أرسلت لاخماد الثورة وتغلب الوطنيون على عدة أماكن من الجهات الكبيرة الا أن القوى التركية أوقعت المصائب الكبرى والبلايا العظمى على البلاد والعباد وخربتها بالنار والسيف وفى ٥ و ٦ سبتمبر التحق كامل قارة الجريس بالثورة وفى يوم ٦ من الشهر أقلع أسطول قوى من القسطنطينية لاجل اخضاع الجزائر الجريقية فجمع الوطنيون لمقابلة هذه القوة أسطولا صغيرا خصوصا من حيدرة وسبطيا وبصاره وقرب سكان هذه الجزائر القربانات وتداركوا هذه المراكب وطقموها ومع هذا كانت أقل عددا بكثير من المراكب التركية وتقابل السفن الجريقية مع السفن التركية على مسافة من جزيرة لسبوس فى يوم ٨ يونيه فرمت المراكب الجريقية نارا مع غاية الجسارة على السفن التركية فاحرقت فرقاطة تركية بها ٦٠٠ نفر بحرى فقطع الاسطول التركى نيرانه فى الحال وأقلع الى الهلسبون أو الدردانيل فتولد من هذا قيام آمال الجريق بواسطة ما حصل لهم من الظفر والنجاح فى البر والبحر وعزموا جميعا على اجراء الفصل الاخير بين الترك وبين بلادهم وفى مبادى سنة ١٨٢٢ بعد الميلاد عقد الجريق مجلسا أهليا فى ابيدوروس فنشر هذا المجلس اعلانا فيه من بعد ذكر المصائب والاهوال التى حصلت لهم من الترك الاغاثة بانصاف وانعطاف وعدل وميل الممالك المسيحية نحوهم

ثم

ثم أعلن باستقلال الامة الجريقية من الدولة التركية وكان المشروع الثانى لهذا المجلس تنظيم وترتيب حكومة مؤقتة ومن هذا الوقت أخذت أعمال المملكة واجراآتها فى النجاح وباشرت الامة أحوال نفسها مع الشهامة والسير فى الاعمال التى يعود منها النفع والظفر على البلاد وبذلت تركية جل مجهودها ومافى طاقتها فى حطم هذه الثورة وأرسلت ٤٠٠٠٠ من عساكرها تحت قيادة درامه على الى بلوبونيزه أى موره لاجل خلاص قلعة نوبليا وكانت محصورة بالجريق فانهزموا بقوة من الجريق مقدارها ١٠٠٠٠ نفس وطردوا من موره وكانت هذه احدى المظفرات الكبرى التى ماحصلت أبدا للجيش الهلانيق

وفى شهر ابريل سنة ١٨٢٢ أنزل الاسطول التركى عساكره على جزيرة خيو أى صكيو فخربوا الجزيرة الظريفة وقتلوا ألوفا من أهلها من غير رحمة وأرسلوا كثيرا منهم الى أسواق الرقيق فى نواحى اسيا ومصر وعاملوا الرجال والنساء والاولاد والطاعنين فى السن والعجائز معاملة لافرق فيها واستمرت الجزيرة عدة أيام مرتع الجرائم والآثام من ذبح وحرق وسلب ونهب ولم يحصل لهؤلاء السكان الذين لامساعد لهم ولامعين مصائب وبلايا مهولة انصبت عليهم قبل ذلك مثل هذه المرة ولما انتشرت أخبار مذابح جزيرة صكيو أقلع الاسطول الجريقى مع الجراءة لمقابلة الترك وكان هذا الاسطول تحت قيادة اندرياس ميوليس أكبر شجعان البحرية فى الجريس الاخيرة وكان رجلا مثل الحديد لايتبسم ولايبكى وكان معروف القدر عند الخاص والعام فصدّ ميوليس هذا الاسطول التركى ومنعه من السير الى الجزائر الاخرى الجريقية وبهذا خلص الجزائر مما اتاه صكيو وفى ليلة ٦ يونيه سنة ١٨٢٢ بعد الميلاد نجح ضابط شاب جريقى اسمه قسطنطين كناريس مع مركب صغيرة طقمها ثلاثة وثلاثون بحريا فى كونه وضع نارا فى فرقاطة تركية ففرقعت الفرقاطة بجميع بحريتها على مسافة من جزيرة صكيو وكانت هذه سفينة الاميرال فهلك الاميرال ومعه ٢٠٠٠ نفر بحرى من الترك فوقع الرعب لباقى المراكب الاخر التركية وتركوا ماكانوا ساعين فيه من خلاص نوبليا وأقلعوا مع العجلة الى جهة الدردانيل وفى مدة سير الاسطول نزل عليه عاصف شديد على مسافة من طندوس وفى مدة هذا العاصف فاز الجريق بابادة فرقاطة تركية فيها ١٦٠٠ نفس وتولد من هذا عود الترك الى القسطنطينية ولما ترك الترك نوبليا سلمت الى الجريق فى ١٢ ديسمبر من السنة المذكورة

وبينما كانت هذه الوقائع جارية فى جهات أخرى من الجريس احتل اسكندرماڤر وكورداطوس مصولنغى الموجودة على رأس خليج باطراس وذلك أنه لما عرف أهمية هذا الموقع صمم على ضبطه والاقامة به مضادا للاجرا اات التركية ومباشرا المحافظة ومقاومة كرتانية وعيطوليا وساعيا فى مساعدة الصوليوطيين وكانوا عادوا الى جبالهم فى ابروس من دار نفيهم من الجزائر اليونانية ومع هذا كان على غير نجاح من أمره والتزم على الانسحاب الى داخل استحكامات مصولنغى وانطرد الصوليوطيون من ابروس والتجؤا الى جزيرة سفالونيا ثم بعد قليل أقلعوا منها الى مصولنغى وانضموا الى الشرذمة القليلة الموجودة فيها تحت قيادة ماڤر وكورداطوس فوجه الترك كل اجتهادهم على هذا المحل وكان ضعيف التحصين وبه من المحافظين قوة قليلة وفى ٦ ينايرسنة ١٨٢٣ اجتهد الترك فى التغلب على المدينة عنوة فصدوا مع تلفيات جسيمة وطردوا من موقعهم الذى كانوا فيه

وفى مبادى سنة ١٨٢٣ أرسل جيش تركى قوى على مصولنغى فشدد الحصار على هذه المدينة وضايقها حتى أشرفت على السقوط والتسليم لولا أن تداركها الشجاع ماركو بوظاريس رئيس الصوليوطيين وكان معه قوة قليلة من أهل بلاده فهجم ليلا على الموقع التركى ونال نصرة عظيمة على أعدائه اشتراها بحياته وفى آخر السنة اجتهد الترك على غير طائل فى الغلبة على مصولنغى فتولد مما حصل من شجاعة الجريق ميل كافة أهل أوروبا اليهم وأسرع كثير من أهل الرغبة والخير الى الجريس لاجل مساعدة الوطنيين فكان من ضمن الذين توجهوا اليها الشاعر الانكليزى لورد بيرون ورتب جيشا من الصوليوطيين على مصاريف نفسه وسار نحو مصولنغى فمنعه موته الذى حصل على الفور من بعد وصوله مصولنغى من الاشتراك فى أى واقعة فى الحرب

ولما خاب سعى السلطان محمود الثانى من أعماله فى خضوع الجريق وحطم ثورتهم طلب مساعدة من محمد على باشا صاحب مصر وكان فى هذه المدة على الاريكة المصرية وكان كما ذكرنا فى تاريخ مصر حاكما بارعا نحريرا معضدا بابنه هبة الله ابراهيم فأحسن السلطان الى محمد على بجزيرة كريد الداخلة فى تعضيد أمر الجريق وأمره باحتلالها وهشم ما فيها من العصاة فحصل ذلك فى أواخر سنة ١٨٢٣ بعد الميلاد بواسطة القوة المصرية تحت قيادة الشهم ابراهيم باشا ثم ان السلطان عين ابراهيم باشا والى موره أى بلوبونيزه مع أوامر أرسلت اليه بفتح تلك البحث جزيرة

فابتدأ ابراهيم باشا باجراء أعماله على حسب نص الاوامر السلطانية التى صدرت اليه فى فصل صيف سنة ١٨٢٤ ووجه سعيه الاولى على عدة جزائر جريقيه كانت على غاية من الشوق الاكبر فى أمر وطنى الجريق ورغما عما حصل من المقاومات الشديدة من الجريق نالت القوى المصرية نصرات عديدة وتغلبوا على كاسوس و بساره وفتحوا جزائر أخرى وذبحوا سكانها وباعوا كثيرا منهم فى أسواق الرقيق ولما اشتدت بالجريق المصائب والاهوال أبرزوا أسطولهم فنالوا عدة ظفرات على الاسطول التركى وأخيرا طردوه نحو الدردانيل

وفى سنة ١٨٢٥ دخل ابراهيم باشا موره فى رأس جيش كبير من المصريين على غاية من جودة النظام وفيه كثير من الضباط الاوروباوية فحاصر بيلوس وفى ٨ من شهر مايه تغلب على جزيرة سفاكطريا وقتل كافة محافظيها بالسيف الا أنه ما أمكنه أن يمنع الاسطول الجريقى من الهرب وكان مؤلفا من ثمان مراكب فقطع هذا الاسطول مواصلة ابراهيم باشا من الاسطول المصرى وكان مؤلفا من اثنتين وخمسين سفينة حربية و بعد ذا بقليل وقعت بيلوس فى يد ابراهيم باشا فأخرب هذا الفاتح مسينة بالنار والسيف وأخضع ابراهيم باشا القسم الاعظم من موره وصار يتغلب على كل جهة توجه اليها ويذيق أهلها الوبال والنكال فنشأ من ذلك امتلاء قلوب كافة أهل أوروبا بالغضب والحنق من الافعال الوحشية الجارية فى بلوبونيزه بمعرفة ابراهيم باشا وفى مبادى سنة ١٨٢٦ انضم الى القوى التركية تجاه مصولنغى وبذل الترك جميع جهدهم فى التغلب على هذا المحل وامتد الحصار نحوا من ستة أشهر وكان المحافظون الموجودون فيه مع قلة عددهم ضابطين محلهم مع الشجاعة والمهارة الا أنه لما حضر ابراهيم باشا ابتدأ فيهم العناء الشديد مما حل بهم من الامراض والجوع وعجزت الحكومة الوطنية الموجودة فى نوبليا عن اسعافهم بأى طريقة تخلصهم بها وخابت مساعى العمارة البحرية الجريقية التى هى تحت قيادة ميوليس فى توصيل الذخائر والمؤنات اليهم من أجل وجود الاسطولين التركى والمصرى ولما قطع محافظو

مصولنغى اليأس من أنفسهم عزموا على الخروج منها وأن يخرقوا لانفسهم طريقا من وسط الجيش التركى وصمموا على اجراء هذه الحركة فى ليلة ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ فرد الترك والمصريون الجريق على أعقابهم ودخلوا معهم المدينة ولما رأى الجريق ما حل بهم من الخسائر وضعوا النار فى مخازن بارودهم وفى المخازن الموجودة فى استحكاماتهم وطوابيهم فأهلكوا كثيرا من الترك والمصريين مما حصل من فرقعة هذه المخازن وصار ابراهيم باشا فى صباح يوم ٢٣ ابريل سيد مصولنغى وتغلب على أكوام من الخراب والرماد الاسود اشتراه من أهله بأثمان غالية القيمة وأعقب هذه النصرة فى مبادى سنة ١٨٢٧ استيلاء الجيوش التركية على أثينة وكانت تحت قيادة رشيد باشا وأوقع الترك والمصريون بالجريق وأنزلوا بهم أشد الاهوال والمصائب وخربوا البلاد وأهلكوا العباد ورغب ابراهيم باشا فى تدمير واهلاك وطنى موره عن آخرهم وعزم على اسكان واستعمار هذه الاراضى بالمصريين والعرب

ونتج فى هذا الوقت مما أجرته الجيوش التركية والمصرية من هذه الاعمال الفظيعة الشديدة القساوة قيام الغيظ وشدة الحنق عند عموم أهل أوروبا وسكانها واكتسب الجريق بشجاعتهم ميل كافة الدنيا اليهم وكان الدول الاوروباوية فى الابتداء نظروا أن الجريق كانوا عاصين على ملكهم الشرعى حتى ان الدولة الاوستريانية كانت متوجهة بكل رغبتها مع الترك وكذا لم تقبل روسيا أى طلب من الجريق فى شأن مساعدتهم وأمرتهم بالاوامر البارده فى شأن عود طاعتهم الى سلطانهم الا أنه من سعد الجريس أن مات اسكندر الاول قيصر الروسيا فى أول ديسمبر من سنة ١٨٢٥ وخلفه القيصر نيقولا فسار فى سياسة مخالفة لسياسة أبيه وعزم على مساعدة الجريق بالقوة الفعالة وفى نفس هذا الوقت مالت الامة الانكليزية والفرنساوية نحو الجريق وألزموا حكوماتهم على السير فيما سارت فيه روسيا فقررت بريطانيا الكبرى بأن الجريق أمة محاربة وعقدوا اتفاقا وقعوا عليه فى لوندرة فى ٦ يوليه من سنة ١٨٢٧ من نواب انكلترا وفرانسا وروسيا واتفقوا فى هذا القرار على طلب منحة من تركية باعطاء هدنة للجريق وان لم يقبل السلطان يقرروا استقلالية الجريس ويلزموا السلطان بتوقيف الحرب وأعطوا السلطان مهلة فى ذلك مدة شهر لاعطاء الجواب وأرسلوا أسطولا متحدا مؤلفا من سفن انكليزية وفرنساوية وروسية الى البحر الابيض المتوسط بأوامر تختص بابطال الفظائع والاعمال الوحشية الجارية من ابراهيم باشا فى نواحى موره والجريس ولما عرض القرار على السلطان رفضه ولم يقبل اعطاء هدنة للجريق واستمر الحرب على ما كان جاريا وفى ٢٠ اقطوبر سنة ١٨٢٧ دخل أسطول المتعاهدين تحت قيادة الاميرال الانكليزى كودرنجتون فى مينة نفرينو (پيلوس القديمة) وكانت مشغولة بالاسطولين التركى والمصرى وكان أسطول المتعاهدين مركبا من ١٠ سفائن حربية من الدرجة الاولى و ١٠ فرقاطات وكثير من الاباريق وأما الاسطول التركى والمصرى فكان مؤلفا من خمس مراكب حربية من الدرجة الاولى و ١٩ فرقاطة وعدد كبير من الاباريق وكانت رغبة المتعاهدين الزام ابراهيم باشا بالكف عن الكراهة العدوانية الحاصلة عنده للجريق وبمجرد دخول أسطول المتعاهدين فى مينة نفرينو أطلق عليه الاسطول التركى والمصرى النيران فى الحال فالتحم معهم القتال وانتشب بينهم واقعة دموية مهولة لبثت مدة طويلة من النهار كانت نتيجتها خراب الاسطول السلطانى ودماره وكانت هذه النصرة الكبيرة هى الفاصلة فى الحقيقة لمسئلة الحرب ولما تجرد ابراهيم باشا من أسطوله

رضى بالانجلاء عن موره وانسحابه الى مصر مع القسم الاعظم من جيشه وتكلفت مصر فى هذا الحرب ٢٠٠٠٠٠٠٠ فرنك و ٣٠٠٠٠ نفس

ثم نزلت فرقة من العساكر الفرنساوية مقدارها ١٤٠٠٠ نفس فى الجريس تحت قيادة المارشال ميسون وأسرعت فى زوال الترك من الجريس واكتسب الجريق فى هذا الوقت عدة نصرات على الترك فى البر والبحر وفى غضون ذلك شرعت روسيا فى حربها مع تركية وضيقت عليها ضيقا شديدا حتى ان السلطان محمود الثانى التزم بتقرير شروط المعاهدة والتصديق عليها وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٩ صار التوقيع على معاهدة أدرنه وكانت هذه المعاهدة متضمنة فضلا عما فيها من عدة منح للروسيا الاقرار باستقلال الجريس فدخل فى هذه المملكة الجديدة كامل قارة الجريس الموجودة فى جنوب خط مرسوم من خليج أرطه الى خليج ڤولو وصارت البانيا وتساليا من ضمن المملكة التركية وأما جزائر عوبية وجزائر أسبورادس الشمالية وجزائر السكلاده فانها دخلت فى الحدود الجديدة للجريس وبقيت الجزائر اليونانية تحت يد حكومة بريطانيا الكبرى وأما جزيرة كريد والجزائر البعيدة على ساحل ثراسة وآسيا الصغرى فانها استمرت باقية فى حوزة الدولة التركية

وفى مبادى سنة ١٨٢٨ صار نقل مركز الحكومة الاهلية الجريقية الى جزيرة ايجينة وصار انتخاب الكونت كابوديستريا وهو رجل سياسى جريقى مشهور بعقله وكماله وكان فى الخدمة الروسية رئيسا للحكومة الوقتية الجريقية فكانت أعماله غير مرضية عند الامة ودخل بين الجريق النزاع والشقاق وانقسموا أحزابا حتى صارت حالة استقلالية البلاد صعبة جدا الى أن رأوا أن الاصلاح الذى يستمر بقاؤه فى المملكة هو الذى تتفق عليه الدول الذين هم سبب فى حصول الحرية الجريسية ومن ثم حصل الكد والسعى فى تمام هذا المشروع وصاروا يغيرون ويبدلون حتى ظفروا أخيرا بترتيب موافق للجريس على صورة مملكة وفى فصل ربيع سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد صار انتخاب البرنس أوطو ابن ملك باڤارية وكان أول صادق غيور على استقلال الجريس ملكا عليهم وحصل التصديق على هذا الانتخاب من المجلس الاهلى الجريقى فى ٨ أغسطس سنة ١٨٣٢ من بعد الميلاد

وكان عمر الملك أوطو ثمان عشرة سنة ووصل نوبليا فى ٦ فبراير سنة ١٨٣٣ وفى سنة ١٨٣٥ انتقل مركز الحكومة الى أثينة ومن بعد أن بلغ الملك السن الزائد صارت الحكومة فى هذا الوقت تحت يده بواسطة وزراء مسؤلين لديه معضدين بمجلس أهلى وكانت المعاهدة التى قامت بواسطتها المملكة الجريسية وصارت دولة من الدول غير متضمنة ترتيب قانون أو نظام لاجل سير أحوال المملكة وكان الجريق منتظرين مع وثوقهم عمل قانون يجرون ادارتهم وأحكامهم وأشغالهم على نص بنوده وكانت حكومة أوطو مستبدة فى حد ذاتها على العموم فنفرت الامة من أحكامه وصارت أوامره غير مرعية عندهم وأخذ النفور فى الزيادة الى أن انفجرت فى ليلة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٣ ثورة وأحاط الجند والامة بالسراى الملوكية فى أثينة وطلبوا قانونا شاملا لنظام المملكة فتردد الملك برهة من الزمن وأخيرا سلم لهم فى ذلك وأمر بعقد مجلس من الامة أحال عليه تدوين قانون المملكة ولما تم نظام هذا القانون صدق الملك عليه فى ٦ مارث سنة ١٨٤٤

وكان تاريخ العشر سنوات التى جاءت عقب استصواب القانون الجريقى مشحونا بالقلاقل والارتباكات المستمرة وحصل للوطنيين النافرين المخالفين لاحكام الملك حدة غيظ شديدة وأخذ هذا

الغيظ فى الزيادة بالدسائس البرانية وكثر التغيير والانقلاب فى الوزارة وزاد الثوران والهياج من أسباب كبيرة وقعت فى المملكة واجبر الحزب الوطنى على أن يكون فى منازعات مع الاعضاء الاجنبية لما انهم تغلبوا على الاعمال التى صارت فيها الجريس وصار لهم طاقة على نفوذ أحكامهم القوية على المملكة الجريسية وفى أثناء حصول هذه المشاحنات وقع أهل البلاد فى أشد العناء والضرر وحاقت بهم البلايا والآفات

وفى سنة ۱۸٤۷ تباعدت الجريس عن وقوع حرب آخر مع تركية كانت تركية هددتها به نظير ماحصل منها من قلة الادب والوقاحة فى حق سفيرها فى أثينة وفى سنة ۱۸٤۸ حصل عند الجريق الغضب وشدة الحنق مع انكلترة وكانت طلبت من الجريس قيمة التلفيات التى خسرتها تبعتها البريطانيون واستمرت هذه المسئلة من دون قطع حكم فيها عدة سنوات ثم صارت صعبة الحل وفى سنة ۱۸۵۰ رسا أسطول بريطانى على مسافة من بيروس وحاصر أثينة وضبط عدة مراكب جريقية ولما صارت الجريس أمام بريطانيا فى الحرب وجها لوجه أذعنت بأداء مطاليبها وانفصلت المسئلة بهذا الوجه وفى سنة ۱۸۵۲ خاب موسم العنب فى الجريس فتكبد الاهالى عناء وشدة وفى سنة ۱۸۵۳ وقعت زلزلة شديدة هدمت كثيرا من الاملاك ذات قيم كبيرة فى جهات مختلفة من المملكة وأضيفت هذه الى المصائب العامة ووقعت المملكة فى ارتباكات وقلاقل شديدة وانتشرت اللصوص وقطاع الطريق فى موره والجريس الوسطى وصار لا أمان على الاملاك والارواح وضعفت الحكومة ضعفا كليا عن تداركها لازالة هذا الضرر

ولما اشتعل حرب القرم بين روسيا وتركية فى عهد السلطان عبد المجيد خان كانت الرغبة الكبرى للجريس مساعاها واجتهادها فى الانضمام الى الروسيا لاجل مساعدتها الا أن فرانسا وانكلترة هددا ها وأرغماها أن تلزم نفسها وتعرف حدها وتحافظ جيدا على الحيادة وأرسلت عمارة انكليزية وفرنساوية فى بيروس لملاحظة هذا الامر وما تحركت هذه العمارة الا سنة ۱۸۵۷ بعد غلاق الحرب بسنتين وبعد أن أقامت الحكومة الجريقية حجتها عدة مرار

وفى غضون ذلك أخذت المعارضات الحاصلة للملك أوطو والعائلة الملوكية فى الزيادة من سنة الى سنة وفى ديسمبر سنة ۱۸٦۱ اجتهد دوسيوس رجل من طلبة العلم فى قتل الملكة ومع ماحصل من سوء تدبيره فى أن يكون قتيله امرأة فقد دافعت الاهالى عنه مجاهرة وفى ۲۲ اقطوبر سنة ۱۸٦۲ التهبت فى أثينة ثورة وبواسطة نفور الجيش وميله للامة نجحت هذه الثورة

وفى اليوم الثانى تشكلت حكومة وقتية بمعرفة زعماء الثورة وأعلن هذا المجلس بخلع الملك أوطو وانعقد المجلس الاهلى وكان الملك فى هذا الوقت غائبا فى الفرجة على مينات نواحى موره فأخذ أخبار خلعه عند عوده الى بيروس فلم يحصل منه أدنى سعى فى النزول على البر وعقد مجلسا مع الوزراء الاجنبيين الموجودين فى أثينة وهو على ظهر السفينة وعلى حسب ماقدمه له الوزراء من النصائح أعلن بهذا القرار فى يوم ۲٤ من الشهر المذكور وترك الجريس وتوجه لحال سبيله ومع هذا فانه ماتنازل نزولا رسميا وسافر فى الحال الى جرمانيا على فرقاطة انكليزية وفى أول ديسمبر صدر قرار من الحكومة الوقتية بانتخاب ملك جديد فسعت انكلترة فى أثناء الانتخاب بانتخاب ملك يكون موافقا لاغراضها ويحول الى الجريس سلطنتها على الجزائر اليونانية فالتأم المجلس الاهلى فى أثينة فى يوم ۲۲ ديسمبر سنة ۱۸٦۲

وفى ١٦ فبراير من سنة ١٨٦٣ تقرر خلع العائلة الباڤاريانية وفى ٣٠ مارث انتخب البرنس جورج ابن ملك دانيمارقه ملكا على الجريس وصدق على هذا الانتخاب الدول المعظمة فى يوم ١٦ يوليه ووصل الملك جورج أثينة فى شهر اقطوبر سنة ١٨٦٣ وفى ١٣ من الشهر المذكور أخذ عليه اليمين والعهد بمعاضدة قانون النظام وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٦٣ حصل التوقيع على محالفة بين انكلترة والجريس بواسطتها صارت الجزائر اليونانية قسما من المملكة الجريقية ومن ثم استوفى الأمل الذى كان أهل هذه الجزائر ينتظرونه من مدة طويلة جدا

وفى سنة ١٨٦٦ عصت جزيرة كريد على الدولة التركية وتداخل الجريق مجاهرة فى الميل مع الثائرين ومع ما أجرته الحكومة من الاحتياطات فانهم أعدوا لهم مساعدات عظيمة وأخذ الترك هذه الثورة وخرج الكثير من جزيرة كريد نحو من ٣٠٬٠٠٠ نفس معظمهم نساء وأولاد فقطنوا فى الجريس فتولد من المساعدات التى أجرتها الجريق مع ثائرى كريد وكذا مما أعانوا به المنسحبين من كريد وقوع المملكة فى حرب مع الترك ومع ذلك حصل البعد عن هذا الخطر المضر بالبلاد والعباد ولم تزل كريد لحد الآن فى ارتباك وثورات وقلاقل وعصيان على الدولة العلية ومع ما منحتها الترك من راحة أهلها وبلادها فان دسائس الجريق مؤثرة على عقولهم ولم يسكنوا ويهدؤا حتى ينقرضوا أو يستقلوا

وفى سنة ١٨٧٠ ساح أربعة أشخاص من الانكليز فى المملكة الجريسية وتوجهوا لمشاهدة ميدان واقعة مرثون فضبطهم فرقة من الجريق وقتلوهم من بعد أن يئسوا من المخابرة معهم فى فداء أنفسهم فأقامت انكلترة الحجة على الجريس بسبب أن القتل حصل داخل أرضها وشددت بريطانيا الكبرى فى هذه المسئلة وهددت الجريس باعلان الحرب ثم انفصلت هذه المسئلة بأن دفعت الحكومة الجريقية مبلغ ١٠٬٠٠٠ استرلينه لعائلة كل واحد من المقتولين بطريق المخابرات

ولما انتشب الحرب بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ فى عهد السلطان عبد الحميد خان السلطان الحالى نهضت الجريق للانضمام الى روسيا فى أمل تحرير جميع الممالك الجريقية من الحكم الاسلامى الا أن حكومتها أذعنت لانذار بريطانيا اليها وبقيت مستمرة على الحيادة وفى سنة ١٨٨١ طلب الجريس من الدولة التركية قطعة أرض من البانيا مقدارها ٥١٧٠ ميلا مسطحا فاستولت عليها وصارت مساحة المملكة الجريسية ٢٥٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها نحو من ٢٠٠٠٠٠٠ نفس وبعد ذلك اجتهدت الجريس فى أخذ مقدونيا وتساليا وما جاورها من الاراضى والبلاد الجريقية القديمة الا انه لم يحصل من الدولة التركية اقرار على ذلك فاستعدت الجريس للحرب ضد الترك وجندت جنودها على حدودها من جهة تركية فقابلتها الجيوش التركية وهزموهم فى أول ملحمة وشتتوا شملهم ولزمت الجريس حدها وعرفت قيمة نفسها وقعدت فى أدبها لحد يومنا هذا وهو أول نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

﴿ الكتاب الرابع عشر ﴾

﴿ تاريخ المملكة الجريقية فى سوريا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء قيام المملكة الى الفتح الرومانى ﴾

تقسيم مملكة اسكندر ـ وقوع سوريا فى حصة سلقوس ـ تشييد أو قيام المملكة ـ نجاحها

الاولى

الاولى ـ تأسيس انطاكيه ـ سلطنة انطيخوس الاول ـ حروبه ـ انطيخوس الثانى ـ خلفاؤه ـ سلطنة انطيخوس الاكبر ـ الحرب مع مصر ـ مصائب انطيخوس ـ غارته على فارطية ـ حروبه مع رومة ـ هزيمته ـ انطيخوس الرابع ـ جبر اليهود على الثورة والعصيان ـ ضعف سلطنة انطيخوس الخامس ـ ديمتريوس الاول ـ صيرورته فى حروب مع رومة ـ اسكندر بلاس ديمتريوس الثانى ـ أسره بواسطة الفارطيين ـ عبوديته ـ سلطنة انطيخوس السابع ـ ضعف المملكة السوريانية ـ حروب داخلية ـ صيرورة سوريا رعية لارمينية ـ تغلب بومبى عليها ـ صيرورتها ايالة رومانية

قد ذكرنا فيما سبق تقسيم مملكة اسكندر الاكبر من بعد موته بين قواده وذكرنا تشييد المملكة المصرية تحت سلطنة بطليموس لاغوس وسعادة كل من مقدونيا والجريس تحت أحكام خلفاء اسكندر ونذكر الآن قيام المملكة الجريقية السوريانية بواسطة سلقوس

وهذه المملكة مؤرخة من ابتداء ٣١٢ قبل الميلاد وقد ذكرنا ان سلقوس انتهز فرصة الصد الذى حصل لانطيخوس من انتصار بطليموس لاغوس على ديمتريوس بالقرب من غزة وأعاد سلقوس استحواذه على بابل ومد سلطنته على كامل أقاليم مملكة اسكندر الكائنة بين الفرات ونهر السند من جهة وبين نهر سيحون والبحر المحيط الهندى من جهة أخرى وأنشب حربا على أحد الملوك الهندية وكانت مملكة هذا الملك واقعة على رأس مياه نهر الكنج وأرغمه على عقد معاهدة نال فيها سلقوس فوائد تجارية جليلة و ٥٠٠ فيل أضافها الى جيشه ومن بعد نصرة انطيخوس فى سلميس تلقب سلقوس باللقب الملوكى ومن بعد واقعة ابسوس فى سنة ٣٠١ قبل الميلاد أخذ سلقوس قبدوسيا وقسما من فريجيا وسوريا العليا والشط الايمن من وسط نهر الفرات من نصيبه فى تقسيم الاراضى بين الفاتحين

وصرف سلقوس السنين الباقية من القرن فى ترتيب وتنظيم كافة ممالكه حتى صارت مملكته أجل الممالك التى تشكلت من رفع ممالك اسكندر وأظهر فى هذا الشغل جودة قريحته وذكاء عقله وأخطأ فى كونه لم يداوم على بقاء بابل عاصمة مملكته لانه بها كان يمكن اسوريا ضبط الشرق وحرمان المملكة الفارطية من القيام بالعصيان وقسم سلقوس مملكته الى اثنين وسبعين ايالة جميعها كانت تحت القانون الجريقى وحكام من مقدونيا وجند جيشا ثابتا من العساكر الوطنية وجعل قواده وضباطه من المقدونيين والجريقيين وابتنى مدائن جديدة فى كل ايالة وسمى ستة عشر من هذه المدائن باسم انطاكيا على اسم أبيه وخمسة باسم لادسيا على اسم أمه وسبعة باسم سلوسيا باسم نفسه وعدة مدائن باسم زوجتيه أباميا واستراطونيس فأما انطاكيا الموجودة على نهر أورونطيس وكانت احدى هذه المدائن فانها صارت عاصمة المملكة وصرف سلقوس الباقى من عمره فى بنائها وزخرفتها وابتنى سلوسيا وجعلها مينة لها وصارت أنطاكيا أكبر وأشهر مدن الشرق واستمرت على موقعها ودامت على مركزها نحو ألف سنة

وفى سنة ٢٩٣ قبل الميلاد قسم سلقوس مملكته مع ابنه انطيخوس فأعطاه كامل الاقاليم الواقعة فى شرق نهر الفرات وفى سنة ٢٨٧ قبل الميلاد أغار ديمتريوس وكان تغلب على مقدونيا ثم ضيعها على

الاقاليم الآسياوية التابعة الى ليسيماخوس مؤملا تشييد مملكة جديدة لنفسه بواسطة سيفه ولما لم يكتسب أدنى فائدة من هذه الجهة عبر الى سيليسيا وأغار على الاملاك السورية فهزمه سلقوس وأسره عند المدة الباقية من حياته وفى سنة ٢٨١ قبل الميلاد قتل ليسيماخوس ابنه باغراء من زوجته أرصينوى المصرية وأخيها بطلميوس شيرونوس فهربت أرملة هذا البرنس المقتول الى ديوان سلقوس فأخذ بنصرها وأغار على ممالك ليسيماخوس فانهزم ليسيماخوس وقتل فى واقعة كروبيديون وصار سلقوس سيدا على كامل مملكة اسكندر الاكبر وأسرع فى الغلبة على عاصمة ليسيماخوس فقتل فى يوم جلى أى ان بطلميوس شيرونوس قتله جهرة وكان ملك مقدونيا وقت ذاك

وجلس انطيخوس الاول الملقب سوطير على كرسى مملكة سوريا بمجرد موت أبيه سلقوس وكانت مملكته مقصورة فى آسيا ومن بعد جلوسه بقليل اشتبك فى حرب مع الملوك الوطنية فى بثينيا وفى أثناء هذا الحرب خسر الاقليمين اللذين عرفا فيما بعد باقليمى غلاطيا وبرجاموس ثم شرع بعد فى حروب مع مصر فكان هذا الحرب لا طائل تحته وكان معضدا فيه بصهره ماغاص زوج ابنته وكان ملك صرنى وهى الآن طرابلس الغرب وعاصيا على مصر مع انه كان تحت سلطنتها وانهزم انطيخوس فى واقعة مع الغلبين بالقرب من أفسوس وقتل فى سنة ٢٦١ قبل الميلاد

ثم استخلف من بعده انطيخوس الثانى وتلقب باللقب الكفرى أى انه لقب نفسه بلقب طيوس ومعناه الله من بعد موت أبيه وكان ملكا ضعيفا فاجرا قبيح السلوك فانه ترك أشغال حكومة مملكته لازواجه وندمائه فأسرعت سوريا فى الضعف والاضمحلال تحت حكمه وكان كل من مملكتى بقطريا (بلخ) وفارطية تشيدا فى نحو سنة ٢٥٥ قبل الميلاد فتغلبا على معظم أراضى مملكة سوريا وكسرا شوكتها ولما اشتبك فى حرب مع مصر قفل هذا الحرب بطلاق زوجته وتزوج برنيس بنت ملك مصر ولما مات ملك مصر بعد انطيخوس وحصلت الغيرة لزوجته الاولى ليودسيا قتلته مع برنيس وابنهما الطفل الصغير فى سنة ٢٤٦ قبل الميلاد

وخلف سلقوس الثانى ابن ليودسيا أباه على كرسى المملكة وفى السنة التالية خسر نحو كامل ممالكه من غارة أغارها عليه بطلميوس الثالث وكان سبب غارته هذه هو الانتقام لاخته برنيس والاخذ بثارها نظير ما حصل من قتلها وساق بطلميوس جيوشه المظفرة حتى وصل نهر السند الا أنه رجع مسرعا على أعقابه الى بلاده من ثورة حصلت فيها فخسر جميع ما كان استحوذ عليه وفاز سلقوس بتشييد سلطنته ثانيا من ابتداء نهر السند الى بحر الارخبيل ومن بعد مضى قليل ابتدأ انطيخوس هيراكس وهو الاخ الاصغر لسلقوس فى ثورة مهولة وفى نفس هذا الوقت اكتسب الفارطيون مظفرات جليلة فى نواحى الحد الشرقى من المملكة وهزموا سلقوس فى واقعة كبيرة فى سنة ٢٣٧ قبل الميلاد ثم استمر الحرب الداخلى الى سنة ٢٢٩ قبل الميلاد حتى انهزم أنطيخوس وهرب هائما على وجهه مدة حياته وقتل سلقوس فى سنة ٢٢٦ قبل الميلاد من وقعة وقعها من فوق حصانه

ثم جلس سلقوس الثالث على التخت وشرع فى السنة الثالثة من سلطنته فى حملة على برجاموس فقتل فيها بواسطة ثورة قامت عليه من عسكره فى سنة ٢٢٣ قبل الميلاد فجلس من بعده على تخت المملكة انطيخوس الثالث الملقب بالاكبر ابن ابن سلقوس مؤسس هذه العائلة وكانت سلطنته حاوية لجميع المدة المشحونة بوقائع وحوادث تاريخ سوريا وابتدأ فيها باخماد ثورة مولوا أمهر القواد السورية وكان

جعل نفسه سيد الناحية الشرقية من نهر الفرات وهزم كل جيش صار ارساله لصده وانجاده وفى مدة غياب انطيخوس فى انجاد هذه الثورة تقلد أحد أقاربه أخيوس لقب الملك وصورته وكان انطيخوس أعلن الحرب على مصر واشتاق الى توجيه حربه عليها فاكتفى بتعنيف هذا العاصى وسار الى فلسطين وفينقيه وتغلب عليهما وكانت فلسطين انفصلت من مصر بسبب ماحصل من بطلميوس الرابع من انتهاك حرمة معبد اليهود فخضعت لملك سوريا على رغبة منها ثم سار انطيخوس نحو الجهة الجنوبية والتقى مع الجيش المصرى فى نواحى رافيه (العريش الآن) على الحد الشرقى من الصحراء فانهزم فى سنة ٢١٧ قبل الميلاد وخسر كامل ماتغلب عليه ماعدا سيلوسيا مينة انطاكية ثم عقد صلحا مع مصر وعاد الى اخيوس وبمساعدة عطالوس ملك برجاموس هزمه وحصره فى سرديس وفى سنة ٢١٤ قبل الميلاد تيسر له الحصول على القبض على نفس اخيوس بالخديعة وانتهى أمر العصيان ثم توجه انطيخوس الى القسم الشرقى من مملكته لملاقاة ارصاسيس الثالث ملك فارطيه (أحد ملوك الطوائف) وكان هدد ميديا وأرعب جانبها فسار على وجه السرعة نحو همذان عابرا من صحراء هيكاطومبيلوس ودخل همذان وضبطها فى سنة ٢١٣ قبل الميلاد ومنها عبر الجبال ودخل فى أرض حركانيا (مازوندران الآن) وفيها أشعل واقعة مع الفارطيين حصل الشك فى نتيجتها هل كان انطيخوس رضى بعقد صلح وأقر على استقلالية فارطيه وحركانية مملكة تحت سلطنة ارصاسيس أولا ثم بعدها دخل فى حرب مع بقطريا (بلخ) الا أنه من بعد أن نال بعض مظفرات عقد صلحا مع ملك باقطريا عوثيديموس وتركه مستحوذا على بقطريا والصغد وعقد عقد الزواج بين ابنة ملك بقطريا وديمتريوس ابن انطيخوس ثم ان انطيخوس عبر سلسلة كوه الهند ودخل فى الأراضى الافغانية وجدد المعاهدة القديمة بين سوريا والمملكة الهندية من تلك الجهات وعاد الى بلاده من وسط أرغوسيا (بلوجستان) ودرنغيانه وكرمانيا وقضى فصل الشتاء فى اقليم كرمانيا وفى السنة التالية شرع فى غزوة بحرية فى الخليج الفارسى على عرب الشاطئ الغربى من الخليج المذكور وهم لصوص مياه الخليج وأنزل بهم وأذاقهم أشد العذاب ثم عاد الى بلاده فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد

ثم ان انطيخوس عاد لما كان عليه من الغارة على مصر وتقوى على شغله بأن هذه المملكة صارت فى هذا الوقت تحت أحكام الولد الصغير بطلميوس الخامس وتحت نيابة عاجزة عن ادارة أحكامها فظفر بكونه أعاد لنفسه سوريا السفلى وفينقيه وفلسطين بنصرة انتصرها فى نواحى بانياس سنة ١٩٨ قبل الميلاد ووعد انطيخوس باقليم سوريا السفلى وفلسطين مهرا لابنته كليوبطره وكان زوجها الى بطلميوس الخامس الا أنه لم يوف بهذا الوعد لا هو ولا من جاء بعده من خلفائه ثم أخضع آسيا الصغرى وتغلب على خرسونه من أعمال تراسة وفى سنة ١٩٦ قبل الميلاد طلب الرومانيون من سوريا تسليم جميع الاراضى التى أخذتها من مصر ومقدونيا وكان الرومانيون هزموا فيليب صاحب مقدونيا واستولوا على حماية مصر فلم يقبل انطيخوس اجابة هذا الطلب وتساعد بحنيبال القائد الاكبر القرطاجنى وكان هرب والتجأ الى ديوانه واستعد للحرب وفى سنة ١٩٢ قبل الميلاد أغار على الجريس الا أنه من بعد أن نال بعض المظفرات هزمه الرومانيون هزيمة فاصلة فى ترموبيلى فانجبر على الانسحاب الى بلاده وأعقب الرومانيون نصرتهم بحملتين بحريتين اغتصبوا بهما كامل الساحل الغربى لآسيا الصغرى من سوريا وعبر الجيش الرومانى بوغاز الدردانيل تحت قيادة كل من الاثنين صكيبيوس وعجز أنطيخوس

بالكلية فى الواقعة الكبرى التى حصلت فى مغنيسيا من أعمال ليديا حتى انه التزم على عقد صلح أرغم فيه على التنازل عن كامل آسيا الصغرى ماعدا اسيليسيا واتفق على دفع غرامة حربية مقدارها ١٢٠٠٠ وزنة أى ١٤٤٠٠٠٠ دولر أى ٢٤٠٠٠٠ استرلينه والاراضى التى سلمها انطيخوس أعطاها الرومانيون الى برجاموس ومن ثم صار لها قوة كافية لصد أعمال سوريا وأعقب هذه الخسائر وقوع ثورة فى أرمينية وكانت هذه المملكة تجتهد فى تشييد استقلاليتها وسلب أنطيخوس هيا كل اسياوه ومعابدها من جميع كنوزها وخزائنها فى أثناء قمع هذه الثورة وجمع النقود اللازم دفعها فى الغرامة التى ضربها عليه الرومانيون فتولد من ذلك ثورة فى علماى قتل فيها فى سنة ١٨٧ قبل الميلاد وخلف سلقوس الرابع الملقب فيلو باطير أباه على تخت المملكة فتسلطن احدى عشرة سنة كانت مدتها خالية الوقائع والحوادث وقتله خزنداره هليودوروس وقبض على التخت من بعد قتله فى سنة ١٧٦ قبل الميلاد الا أن انطيخوس الرابع ابيفانيس خلعه على الفور بمساعدة برجاموس له وكان انطيخوس هذا هو الابن الثانى لانطيخوس الاكبر وورث قسما عظيما من مهارة أبيه وشجاعته وبما أنه كان قام أربع عشرة سنة فى رومه نزيلا فيها فادخل كثيرا من العوائد الرومانية فى مملكته وأنشب حربا على أرمينية وحصل له الغضب الشديد لما طلبت مصر استلام سوريا السفلى وفلسطين التى كان أبوه وعدبهما مهرا لزوجة بطليموس الخامس وأغار على مصر ولما صار على شرف التغلب عليها أرغمه الرومانيون على الانسحاب منها فاغار على اليهود وأخذ مدينتهم المقدسة بالهجوم عليها عنوة ونهب المعبد وأفسد حاله ونجسه ومن بعد مضى قليل عزم على أن يقيم عبادة باهواه (الله) فتولد من هذا وقوع الجريس فى الحرب المقيبانى الاستقلالى وانهزم جيشه عدة مرات بواسطة يهودا مقابيوس فسار انطيخوس لمعاقبة يهود انفسهم اوفى مدة سيره وقف فى الطريق لاجل سلب معبد علماى فاصيب بجنون حاد كان سببا فى موته سنة ١٦٤ قبل الميلاد

وخلف انطيخوس الخامس عوباطير ابن ابيفانيس أباه وكان عمره اثنتى عشرة سنة فانتقلت المملكة الى أيدى اصياص الوصى عليه والنائب فى المملكة عنه فتوجه النائب والملك الشاب الى يهودا لمباشرة الحرب فارغمهما يهودا مقابيوس على حصر نفسه فى مدينة أورشليم ثم ظهر فيليب فى انطاكيا بالمرسوم الملوكى وكان اقامة أبيفانيس وصيا على ولده من بعد موته وقبض على الحكومة فأمر اصياص الملك فى الحال بعقد الصلح والعود الى انطاكيا وهزم اصياص فيليب وقبض عليه وقتله ثم ان اصياص رأى فى نفسه انه لم يفعل شيأ يعود منه النفع على المملكة لانه لم يشرع فى طريقة من الطرق اللازمة لمقاومة الفارطيين وكانوا فى هذا الوقت تغلبوا على الاقاليم الشرقية ولا أجرى الاحتياطات اللازمة فى صد الرومانيين وكانوا قوواشروط معاهدتهم مع انطيخوس الاكبر باعمال شديدة خارقة للعادة فمن ثم صار الخطر المهدد للمملكة شديدا جدا فانتهى هذا الخطر الشديد بوصول ديمتريوس وكان هرب من رومة من بعد أن لبث فيها عدة سنين نزيلا بها وضبط التخت وقتل انطيخوس واصياص معا

وابتدأت سلطنة ديمتريوس الاول فى سنة ١٦٢ قبل الميلاد فابتدأ فى سلطنته بالعزم والكد على فتح يهوذا فقابله يهودا مقابيوس بصد شديد ومن بعد موت هذا القائد الشجاع وصل ديمتريوس الى ماوصل اليه من النصر والظفر فخرمه الرومانيون منه وعقدوا محالفة مع يهوذا ومنعوه من أن يحصل منه أدنى ارتباك أوشغب فى هذا الاقاليم وأعلنوا باستقلالية مملكة على حدتها ثم ان ديمتريوس بعد هذا شرع فى

عزل اريارطيس ملك قبدوسيا وأنعم بالتاج على عوروفرنيس ابن أبيه فخض الملوك المجاورون له اسكندر بلاس بن ابيفانيس من الزنى على طلب التاج لنفسه واتحدوا سوية وانضم الرومانيون الى هذا الاتحاد فى مساعدته فغرقت فى عميق بحار أهوالها ومصائبها حتى ان كل واحد من مدعى التاج سار فى طريق الجور والتعدى على اليهود وفى سنة ١٥١ قبل الميلاد قتل ديمتريوس واستحوذ خصمه على التاج وتسلطن اسكندر بلاس خمس سنوات كانت فيها مظفراته موجهة على الخصوص نحو مصر وتزوج كليوبطره بنت ملك مصر الا أنه تحقق من أعماله بانه ما كان يوافق لان يكون ملكا بالكلية لانه ترك سلطنته الى رجل نديمه دنىء الاصل أقبح واحد فى عصره اسمه أمونيوس واعتكف هو على الخلاعة والفسق والفجور والملاهى وعامل صهره أى جاد بافعال الخيانة والرذالة حتى ان بطليموس فيلوباطر نكث معاضدته له وأخذ منه ابنته كليوبطره وزوجها ديمتريوس نكاطور بن ديمتريوس الاول فتقوى هذا بكراهة السوريين لاسكندر وادعى لنفسه التاج وبمساعدة بطليموس هزم المدعى خصمه فقتله قواده من بعد مضى مدة قليلة وصار ديمتريوس الثانى ملكا فى سنة ١٤٦ قبل الميلاد فكان فى حكمه ظالما غشوما حتى نفرت منه رعيته وبعدوا عنه ولما نهض أهل أنطاكيا فى العصيان عليه أمر الحرس المرتب عليه من اليهود بنهب المدينة جهارا ثم ظهر مدع آخر بواسطة ديودوطوس صاحب اپاميا وكان هذا المدعى اسمه انطيخوس السادس ابن اسكندر بلاس وكان طفلا عمره سنتان ومن بعد مضى ثلاث سنوات أو أربعة لقب ديودوطوس هذا الطفل باسم طريفون وأعان له بالملك فى سنة ١٤٣ قبل الميلاد وفى أثناء ذلك كبس الفارطيون على المملكة كبسا شديدا فعهد ديمتريوس أشغال المملكة وحكومتها الى زوجته كليوبطره وسار هو الى الفارطيين فنال فى مبادى حربه مظفرات الا انه فى سنة ١٤٠ قبل الميلاد هزمه ارصاسيس السادس ملك فارطية وأخذه أسيرا واستمر عنده فى الاسر مكرما نحو عشر سنوات وزوجه بزوجة من برنسيسات فارطية فكانت هى الزوجة الثانية له ولما رأت كليوبطره أن لا طاقة لها على حفظ موقعها من دون مساعدة أحد دعت لمساعدتها أخا زوجها انطيخوس صيديطيس فضم جيشه الى جيشها ومن بعد محاربة استمرت سنتين مع طريفون هزمه وقتله فى سنة ١٣٧ قبل الميلاد ثم ان هذا الشجاع صيديطيس جعل نفسه الملك الوحيد فى سوريا وتلقب باسم انطيخوس السابع وتزوج كليوبطره امرأة أخيه وهذه رأت فى نفسها أنها صارت خالصة من زوجها بواسطة أسره عند الفارطيين وكذا بواسطة زواجه برنسيسة منهم وأغار انطيخوس على يهوذا وجعلها تحت الحكم السورى مرة أخرى من سنة ١٣٥ الى سنة ١٣٣ قبل الميلاد ثم شرع فى حملة على فارطية بعزم خلاص أخيه منهم فنال فى مبادى حربه نصرات جليلة على الفارطيين لكنه انهزم مع خسارة جيشه وقتله

ومن قبل موت أنطيخوس السابع بقليل كان ملك فارطية أفرج عن ديمتريوس وأرسله الى انطاكيا لاجل طلب تاجه مؤملا أن يرغم انطيخوس ويعزله ويحافظ على مملكته فاستلم ديمتريوس حكومته وتسبب من موت أخيه أن صار لا منازع له ومع هذا فانه من بعد مدة قليلة ظهر له خصم آخر وذلك أن بطليموس فسكون صاحب مصر أقام شخصا اسمه اسكندر زابيناس طالبا التاج السورى وادعى انه ابن اسكندر بلاس انتقاما لنفسه من ديمتريوس بما حصل منه من معاضدة كليوبطره فحصل بين الخصمين واقعة مهولة بالقرب من دمشق فانهزم ديمتريوس وهرب الى زوجته الاولى كليوبطره فى مدينة

بطليموسية (عكا) فلم تقبله عندها فاجتهد فى أن يلقى نفسه من أعلى سور فضبط وقتل فى سنة ١٢٦ قبل الميلاد وكانت كليوبطره قتلت ابنها الاكبر سلقوس لانه كان تقلد لبس التاج من دون رضا منها فأجلست ابنها الثانى انطيخوس غريبوس على التخت مع نفسها بحكم ان سوية وفى هذا الوقت تسلطن ظابيناس فى جهات من سوريا واستمر فى السلطنة مدة سبع سنوات وأخيرا حصل منه منازعة مع مربيه الملك المصرى فتركه بطليموس فسكون لانطيخوس سنة ١٢٤ قبل الميلاد وفى سنة ١٢٢ قبل الميلاد قبض عليه انطيخوس وألزمه بشرب السم القاتل وفى السنة التالية وجد انطيخوس أمه مشغولة بدسيسة عليه فقتلها وأراح نفسه منها وانفرد بالملك على حدته فاعقب هذه مدة سلمية استمرت ثمانى سنوات وكانت سوريا فى حالة محزنة مكدرة من عدم راحتها وضعفت حالتها من دوام النزاع والشقاق فيها وخسرت بهذا الاقاليم الشرقية وصارت فى حد نفسها مملكة صغيرة لاشوكة لها فى فساد مستمر وصارت أموال المملكة فى أيدى بعض سفهاء الاشراف وتراكم الفقر على الامة حتى صارت على شفا جرف من الانقراض

وفى سنة ١١٤ قبل الميلاد انفجرت ثورة تحت رياسة انطيخوس ثطنثوس بن كليوبطره من زوجها الثالث صيد يطيس فتولد من ذلك حرب دموى استمر ثلاث سنوات انجبر فيه الملك على قسمة أراضيه مع أخيه من أمه ثم اشتبك الحرب ثانيا فى سنة ١٠٥ قبل الميلاد واستمر طول القرن الى حد سنة ٩٦ قبل الميلاد فتولد منه أشد العناء والضرر والخسائر المهولة للمملكة وفى أثناء هذه المدة لاقت سوريا أعظم المصائب من سلب ونهب الاعراب الموجودين فى الجهة الشرقية منها والخراب والدمار من المصريين الموجودين فى حدودها الجنوبية واستقلت سيليسيا وصور وصيدا وسيلوسيا وفى سنة ٩٦ قبل الميلاد قتل هيراقليون انطيخوس وكان هيراقليون هذا أحد حكام ديوان انطيخوس واجتهد فى حفظ التخت لنفسه الا انه خاب أمله وانقطع سعيه

وخلف سلقوس أباه واستمر الحرب مع ثطنثوس فانهزم فى واقعة كبيرة وقتل المدعى نفسه بنفسه كى ينجو من شر الاسر الا أن ابنه انطيخوس عوزيبس حل محله فى حربه وتقلد اللقب الملوكى وطرد سلقوس الى نواحى سيليسيا فاجتهد سلقوس فى جمع نقود من أهل موبسيوسيطه بالرغم عنهم فقاموا عليه وأحرقوه بالحياة ثم جلس فيليب الابن الثانى لانطيخوس الثامن على التخت واستمر بضع سنين منشب الحرب مع عوزيبس مساعدا باخويه ديمتريوس وأنطيخوس ديونيسوس فانهزم عوزيبس وهرب الى فارطية ومن بعد هذا صار فيليب واخوته لا طاقة لهم على توزيع المملكة وتقسيمها بينهم فاشعلوا حروبا على بعضهم فخنق أهل سوريا من هذه المشاحنات والحروب التى تولد منها قتل النفوس ودمار الاقاليم ودعوا طغرانيس ملك أرمينية ليكون لهم ملكا فقبل دعواهم ومن سنة ٨٣ الى سنة ٦٩ قبل الميلاد صارت سورية فى أمن واطمئنان وفى نحو غلاق هذه المدة صار طغرانيس عرضة لانتقام الرومانيين من أجل مساعدته صهره متريداطيس ملك بونطوس فأرغموه على التنازل عن سوريا وانتقل التاج الى انطيخوس الثالث عشر آسياطيخوس فتسلطن ثلاث سنوات وفى سنة ٦٥ قبل الميلاد عزل بومبى الاكبر آسياطيخوس وأخضع سوريا ورتبها ايالة رومانية والله أعلم بغيبه وأحكم

﴿ جدول ملوك العائلة السلوسيانية فى سوريه وتواريخ سلطنتهم ﴾

سنة قبل الميلاد		سنة قبل الميلاد	
٣١٢	سلقوس الاول نكاطور	١٦٥	انطيخوس الخامس انباطير
٢٨١	انطيخوس سوطير	١٦٢	ديمتريوس الاول
٢٦٢	انطيخوس الثانى طيوس	١٤٠	انطيخوس صيديطيس
٢٤٧	سلقوس كاللسنيوس	١٣١	ديمتريوس الثانى
٢٢٧	سلقوس الثانى ثيرونوس	١٢٢	انطيخوس غريقوس
٢٢٤	انطيخوس الثالث الاكبر	٩٧	انطيخوس سيزيثنوس
١٨٧	سلقوس الرابع فيلوباطير (محب أبيه)	٩٠	انطيخوس سوسبيس
١٧٦	انطيخوس ابيفانيس (رفيع المقام)	٥٧	سلقوس سبروساكطيس

﴿ الكتاب الخامس عشر ﴾

﴿ تاريخ الممالك الصغيرة الجريقية فى آسيا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ تاريخ برجاموس وبسنيا وبفلاجونيا وبونطوس وقبدوثيا وارمينيه وبقطريا ﴾

قيام مملكة برجاموس ـ عومنيس الاول ـ سلطنة عطالوس الاول ـ تقلده لقب ملك ـ معاهدته مع رومه ـ عومنيس الثانى ـ مكافأة الرومانيين له ـ فخر المعقولات فى برجاموس ومجدها ـ سلطنة عطالوس الثالث ـ وصايته بمملكته للامة الرومانية ـ صيرورة برجاموس اقليما رومانيا ـ تقدم مملكة بسنيا ـ بروسياس الاول ـ حروبه ـ موت حنبال ـ سلطنة نقوميديس الثانى ـ نقوميديس الثالث ووصايته بالمملكة لرومة من بعد موته ـ قيام مملكة بفلاجونيا وسقوطها ـ تقدم مملكة بونطوس ـ متريداطيس الثالث ـ فتوحاته ـ تغلبه على سينوب ـ متريداطيس الرابع ـ مساعدته رومة فى حروباتها ـ متريداطيس الملك الاكبر ـ فتوحاته ـ حروبه مع رومة ـ هزيمته وموته ـ صيرورة بونطوس ايالة رومانية ـ تاريخ مملكة قبدوثيا ـ قيام الممالك الارمينية وسقوطها ـ تاسيس مملكة بقطريا الجريقية ـ تاريخها ـ انقراضها تحت أرجل فارطيه

كان يوجد خلاف الممالك التى ذكرناها فيما سبق عدة ممالك صغيرة أقيمت على رقع من مملكة اسكندر الاكبر من الضرورى ذكر الاهم منها على وجه الاختصار فلنذكرها هنا على سبيل العلم بها فنقول

أوّلا ـ مملكة برجاموس ـ كانت مدينة برجاموس الكائنة على نهر كيكوس من أعمال ميسيا مرعية من قديم الزمان بانها احدى الحصون أو المعاقل الكبيرة فى اسيا الصغرى وكان ليسيماخوس ملك ثراسة جعلها مستودع خزائن مملكته وعهدها تحت محافظة الطواشى فيلطيروس ولما مات ليسيماخوس فى واقعة كوروبيديون ضبط فيلطيروس هذه المدينة تحت اسم سلطنة ليسيماخوس ثم

بمساعدة ما كان فيها من خزائن وكنوز ليصيماخوس نجح فى تشييد استقلالية المدينة لنفسه وتسلطن
فيها عشرين سنة أى من سنة ٢٨٣ الى سنة ٢٦٣ قبل الميلاد ومن بعد موته خلفه عومنيس الاول
ابن أخيه على تخت المدينة ومن بعد جلوسه بقليل أغار عليه انطيخوس الاول ملك سوريا فهزمه
عومنيس فى واقعة شديدة دموية بالقرب من مدينة سرديس وبهذه النصرة زاد فى أراضى مملكته زيادة
كبيرة ثم مات فى سنة ٢٤١ قبل الميلاد من كثرة اعتكافه على الشرب بعد أن تسلطن اثنتين وعشرين
سنة واستخلف من بعد عومنيس عمه عطالوس الاول ومن قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة كان الغاليون وهم
قوم قطنوا فى شمال نواحى فريجيا أوغلاطيا كما ذكرنا سابقا يشنون غارات السلب والنهب على البلاد
المجاورة الى برجاموس ففى نحو سنة ٢٣٩ قبل الميلاد شنوا غارة على برجاموس فالتقى معهم عطالوس
وأوقع فيهم وهزمهم شر هزيمة وبواسطة نصرته على الغاليين لقب عطالوس نفسه بلقب ملك ومن قبله لم
يتجاسر أحد من أسلافه على تلقيب نفسه بهذا اللقب ثم من بعد مضى عشر سنوات اجبر على المدافعة
عن مملكته من اغارة السوريين وكانوا تحت قيادة انطيخوس هيراكس أخى سلقوس الثانى وهذا البرنس
الطماع أداه طمعه الى أن يجعل نفسه ملك آسيا الصغرى فهزمه عطالوس وطرده منها ونجح عطالوس
أيضا فى مد وتوسعة أراضيه حتى أدخل لحد سنة ٢٢٦ قبل الميلاد جميع الممالك الموجودة فى
غرب نهر الهاليس وفى شمال جبل طوروس فى مملكته الا أن سلقوس ثيرونوس وانطيخوس
الاكبر أخذا منه هذه الفتوحات وفى سنة ٢٢١ قبل الميلاد صار ملكا على بلاده فقط التى كانت موجودة
من قبل فى برجاموس فاستخدم فى ديوانه قوما من الغاليين وتولد مما أجروه من حزم الرأى والتدبير عود
عيولس فى سنة ٢١٨ قبل الميلاد وفى سنة ٢١٦ قبل الميلاد عقد محالفة مع أنطيخوس الاكبر فرد عليه
ملك سوريا نظير هذه المحالفة أجود جهات الاراضى التى كان أخذها منه وفى سنة ٢١١ قبل الميلاد صار
عطالوس حليف الرومانيين والعيطوليانيين فى الحرب التى كانت قائمة من طرفهم على فيليب الخامس
صاحب مقدونيا وأدى عطالوس خدمات جليلة لحالفيه أكسبته صداقة عظيمة ومحبة جليلة عند
رومة ومن بعد صلح سنة ٢٠٤ قبل الميلاد هجم فيليب على عطالوس وخرب ممالكه واجتهد فى طرد
أسطوله من بحر الارخبيل فعقد ملك البرجامونيين معاهدة مع رودس وفى سنة ٢٠١ قبل الميلاد
أوقع المحالفون هزيمة مهولة على أسطول فيليب على مسافة من جزيرة خيوس وفى سنة ١٩٩ قبل
الميلاد ابتدأ الحرب الثانى بين رومة وفيليب صاحب مقدونيا ثم ان عطالوس وان كان بلغ من العمر
سبعين سنة الا انه دخل مع الشوق والتلهف مع الرومانيين وأدى لهم مساعدات جليلة باسطوله وتولد
من كده وسعيه نحو منافعهم موته فى سنة ١٩٧ قبل الميلاد

وجلس عومنيس الثانى أكبر أولاد عطالوس الاربعة على تخت أبيه وورث منه أيضا الشهامة والادارة
والسياسة وأدى عومنيس هذا للرومانيين مساعدات جليلة فى حروبهم مع فيليب صاحب مقدونيا
وانطيخوس الاكبر صاحب سوريا وبرصوص خليفة فيليب حتى انه من واقعة مغنيسيا سنة ١٩٠
قبل الميلاد صار مكافأته بزيادة أراضى مملكته زيادة عريضة على شاطئ الدردانيل أى الهلسبون فجعلت
هذه الاضافات برجاموس احدى الممالك الكبيرة فى الشرق وصارت المملكة البرجامونية مشتملة فى
هذه الحالة على ميسيا وليديا وفريجيا وليقونيا وبمفيليا وجهات من كاريه وليسيا فى آسيا وخرسونه فى
تراسة مع عاصمتها ليصيماخوسيا والاقسام المجاورة لها من تراسة وفى سنة ١٨٣ قبل الميلاد اشتعل

حرب بين برجاموس وبسنيانالت فيه برجاموس فريجيا الهلسبونطيه وفى سنة ١٨٣ قبل الميلاد ابتدأ حرب مع بونطوس استمر لحد سنة ١٧٩ قبل الميلاد وفى سنة ١٦٨ قبل الميلاد دخلت برجاموس فى حرب مع الغيلبين وما كان مقصد عومنيس من هذه الحروب التغلب على شئ بل المحافظة والابقاء على الاراضى الموجودة تحت يده

وصارت مدينة برجاموس فى مدة سلطنة عومنيس الثانى احدى المدائن الزاهرة فى الدنيا القديمة وكان أبوه من المخلصين الصادقين فى نشر الآداب والمعارف والحرف والصنائع الا أن عومنيس فاق أباه فى المساعدات التى ساعدها بها وحلى المدينة بمبان مفتخرة غريبة تشهد آثارها التى لم تزل موجودة الى الآن لها بعلو المجد والرونق وشجع على صنعة النقش والحفر وشيد عومنيس دار الكتب البرجامونية الكبيرة فى مدينة برجاموس وما كان يفوق عنها فى المجد والسودد الا دار الكتب التى فى مدينة الاسكندرية بمصر وهرع الى ديوانه كثير من علماء الرجال وفتح مدارس اللغة والتفسير فى المدينة لكنها كانت أقل درجة من مدارس الاسكندرية ودخل رق الكتابة وهو مادة تستعمل للكتابة مشغولة من الحلفاء والبردى المصرى وكان دخوله فى برجاموس فى مدة سلطنة عومنيس

ومات عومنيس فى سنة ١٥٩ قبل الميلاد وترك ولدا له اسمه عطالوس فى سن الطفولية صغيرا جدا على السلطنة فتقلد عطالوس الثانى زمام السلطنة وكان أخا عومنيس ولبس التاج ولقب نفسه فيلادلفوس وتسلطن احدى وعشرين سنة وصرف زيادة عن نصف هذه المدة فى حماية مملكته وحفظها من غارة بروسياس الثانى صاحب بسنيا واشتغل بخلاص نفسه من هذا الجار الشديد السوء بمعاضدته ثورة نقوميديس بن بروسياس على أبيه وساعده فى جلوسه على تخته فتولد من ذلك وقوع الصلح بين برجاموس وبسنيا وكان فيلادلفوس شديد الرغبة فى العمارات محبا لها فاشتغل فى سنى استتباب راحة مملكته ببناء مدائن وأضاف الى كتبخانته أبنية فاخرة وكان من ضمن ما بناه من المدائن مدينة عيومنية فى فريجيا وفيلادلفيا فى ليديا وعطاليا فى عفيليا ومات فى سنة ١٣٨ قبل الميلاد

وخلف عطالوس الثالث ابن عومنيس الثانى عمه فيلادلفوس وتلقب بلقب فيلوماطير أى محب أمه فكانت مدة سلطنته خمس سنوات حاوية للزعازع والخوف والثورات وأمر بقتل كل من كان على صداقة أبيه وعمه مع عائلاتهم وقتل كل حاكم أو رئيس مصلحة فى المملكة ثم قتل أمه وكثيرا من أقاربه فانقبض قلبه مما أجراه من جرائمه فترك حكومة مملكته وعكف على صنعة النقش والحفر وشغل الجنائن والبساتين ومات فى سنة ١٣٣ قبل الميلاد وترك برغبته مملكته موصيا بها للامة الرومانية فقبلت رومة هذه الوصية من دون ريب فقام اريسطونيقوس ابن زنى من عومنيس الثانى وطلب المملكة لنفسه بما أنه هو الوارث الاصلى لها فنال فى مبادى أمره مظفرات جليلة على الرومانيين وفى سنة ١٣١ قبل الميلاد هزم ليصينيوس قراصوص القائد الرومانى وأسره وكانت رومة أرسلته لاجل احتلال المملكة عنوة وفى السنة التالية هزمه بربينه وأخذه أسيرا وصارت مملكة برجاموس اقليما رومانيا والله يؤتى ملكه من يشاء وهو القوى العزيز

ثانيا ــ مملكة بسنيا ــ كانت بسنيا فى مدة حياة المملكة الفارسية احدى ممالكها الخراجية وكانت محكومة بملوك من أهلها فعادت لها الاستقلالية مع الشدة والثبات من بعد واقعة اربل وقاومت مع الفوز مساعى قواد الاسكندر الاكبر فى الغلبة عليها ولما مات الملك الذى كانت هذه المقاومات جارية

بمعرفته فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد ترك لابنه ظبوطيس مملكة بائنة مزهرة مستقلة بنفسها فتسلطن ظبوطيس ثمانيا وأربعين سنة من سنة ٣٢٦ الى سنة ٢٧٨ قبل الميلاد وحفظ مملكته جيدا من غارات ليسيماخوس وانطيخوس سوطير ومن بعد موته اشتعل حرب داخلى بين ولديه نقوميديس وظبوطيس وبمساعدة الغيليين هزم الاكبر أخاه الاصغر وجلس على التخت ولقب نفسه نقوميديس الاول وأسس مدينة نيقوميديا على خليج اسطاقوس وكان له زوجتان خلف من الاولى ولدا واحدا اسمه ظيلاس ومن الثانية ثلاثة أولاد وأراد أن يترك ممالكه لهم فدعا ظيلاس الغيليين لمساعدته وهزم اخوته من بعد موت أبيه وجلس على تخت المملكة وتسلطن عشرين سنة

ثم ان بروسياس الاول ويلقب بروسياس الاعرج خلف أباه ظيلاس فى نحو سنة ٢٢٨ قبل الميلاد واستمرت سلطنته الى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد يعنى مدة خمس وأربعين سنة فكان الثمان سنوات الاول منها خالية الحوادث والوقائع ومابقى من سنى سلطنته تقضى فى حروب مستمرة مهمة جدا وفى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد ساعد رودس فى حربهم مع بيزانطيوم وفى سنة ٢١٦ قبل الميلاد انتصر على الغيليين ثم عقد محالفة مع فيليب الخامس صاحب مقدونيا فى حربه مع رومة وفى سنة ٢٠٨ قبل الميلاد أغار على أراضى برجاموس وأرغم عطالوس الاول الى العود لحفظ مملكته فتولد من الافعال التى فعلها بروسياس عداوته لرومة وازداد غضبها عليه فى سنة ١٨٧ قبل الميلاد عندما التجأ اليه القائد المشهور القرطاجنى حنبال وقبله فى ديوانه وبمساعدة حنبال هجم بروسياس على عومنيس صاحب برجاموس فهزمه الا أنه لم يكتسب شيأ من نصرته هذه لان رومة تداخلت فى أعماله وألزمته على أن يعوض لعومنيس خسائره وأن يتنازل له عن كامل فريجيا الهلسبونطيه وطلب الرومانيون أيضا من ملك بسنيا أن يسلم لهم حنبال وهددوه بالحرب ان امتنع من تسليمه فوهن بروسياس جدا من هذا الطلب وصار لا طاقة له على صده وقبل منه بالقبض على نزيله ولما رأى حنبال عدم امكان نجاة نفسه سم نفسه وخيب طلب أعدائه وعند موته شرح كراهته وبغضه لرومة وضعف بروسياس وعجزه ثم ان ملك بسنيا وجه جيشه على هيراقليه بونطية فمع كونه نال بعض مظفرات فى حروبه الا أنه جرح جرحا أقعد فخذه حتى لقب بالاعرج ومات بعد هذا بقليل فى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد

وخلف بروسياس الثانى أباه وتسلطن الى حد سنة ١٤٩ قبل الميلاد وكان أقبح وأحقر الملوك البسنيانية ونزلت عليه المصائب والشدائد من كل جهة وتزوج أخت برصوص صاحب مقدونيا فعجز عن مساعدته له فى حربه الاخير مع الرومانيين ولما سقط برصوص خضع خضوعا مهينا للرومانيين فرخصوا له فى بقائه فى مملكته وفى سنة ١٥٦ قبل الميلاد توجه لحرب مع عطالوس الثانى صاحب برجاموس وبمجرد ما صار على شرف التغلب على ممالك عطالوس تداخل الرومانيون بينهما وألزموه بعقد صلح واسترجاع ماتغلب عليه وأن يدفع الى عطالوس غرامة حربية قدرها ٥٠٠ وزنة أى ١٠٠٠٠٠ ليرة استرلينيه ولما وجد ابنه نيقوميديس محبوبا عند الامة ومعتبرا عند أهلها زيادة عن نفسه أرسله الى رومة مع أوامر سرية لحواشيه وخدمه بقتله فلما كشف البرنس ما كان يخفيه من قتله ترك رومة برضا من مجلس السناتو وعاد الى بلاده وقام بيرق عصيانه وبمساعدة عطالوس الثانى صاحب برجاموس هزم أباه نيقوميديس وأسره وقتله

وجلس نيقوميديس الثانى الملقب أبيفانيس أو الشهير على التخت فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد واجتهد

ان

أن يكون على حالة عظيمة مرضية مع رومة فادى لها مساعدات جليلة فى حربها مع اديسطونيقوس صاحب برجاموس ومع هذا فما كان على صداقة دائمة مع رومة وفى سنة ١٠٢ قبل الميلاد عقد محالفة مع متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس فتغلبا على بفلاجونيا واستحوذا على قسم منها ولما طلب الرومانيون منه عود القسم الى وارثه الشرعى ادعى الطاعة الا أنه بحيله وخدائعه وطده لاحد أولاده وفى سنة ٩٦ قبل الميلاد اجتهد متريداطيس فى الحاق قبدوثيا بممالكه فهربت لودسيا أرملة الملك السابق الى ديوان نيقوميديس فتزوجها ودخل فى أمر أشغالها وأمرها بالاقامة فى قبدوسيا ملكة عليها فبعد مدة قليلة طردهما منها متريداطيس ثم بعد قليل اجتهد نيقوميديس فى عود قبدوثيا بحيله وخدائعه الا أن الرومانيين مادخلت عليهم هذه الخدائع وأخذوا منه كلا من قبدوثيا و بفلاجونيا وفى سنة ٩١ قبل الميلاد مات نيقوميديس بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة وخلف نيقوميديس الثالث أباه الا أنه صار اخراجه مباشرة من المملكة بواسطة ثورة قامت عليه تحت رياسة أخيه سوقراطيس وبمساعدة متريداطيس صاحب بونطوس وفى سنة ٩٠ قبل الميلاد أرغمت رومة سوقراطيس على نزوله عن التخت وجلوس نيقوميديس على التخت مرة أخرى فشرع فى عقاب بونطوس بالغارة على أراضيها فخرج متريداطيس الى ميدان الحرب بجيش عرمرم وهزم نيقوميديس على نهر الامنيوس فى سنة ٨٨ قبل الميلاد وطرده هو والرومانيين حماته من آسيا فتولد من ذلك الحرب المتريداطيقى الاول فكانت نتيجته هزيمة بونطوس وعود نيقوميديس الى تخته فى سنة ٨٤ قبل الميلاد فاستمر مستمتعا مدة عشر سنوات فى سلطنة مستتبة الراحة ومات فى سنة ٧٤ قبل الميلاد وحيث لم يكن له عقب يرثه أوصى بمملكته للرومانيين فكانت هذه الوصية سببا فى اشتباك الجهورية الرومانية فى حرب مع متريداطيس وهو الحرب الثالث المتريداطيقى

﴿الثالثة مملكة بفلاجونيا﴾ مدة تاريخ قيام المملكة البفلاجونية غير معلوم الا أنه من بعد تشييد المملكة الفارسية كانت بفلاجونيا تابعة اسما المملكة فارس لكنها لم تخضع لها أبدا ولقد وجدنا فى سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أن هذه المملكة ماكان عندها أدنى اهتمام ولا التفات الى أوامر الملك الاعظم ملك فارس وفى نحو هذه السنة رخص ملك بفلاجونيا الى العشرة الاف نفس بمرورهم من وسط أراضيه من دون أن يحصل لهم من أحد أدنى معارضة فى منع سيرهم وفى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد دخل عوطيس أو كوطيس ملك المملكة فى معاهدة مع اغيسيلوس ملك اسبرطة ضد مملكة فارس وفى نحو سنة ٣٦٥ قبل الميلاد ملك آخر اسمه طيس أوطيوس قهره المرزبان الفارسى داطاميس وأدخله فى طاعته ولما سقطت المملكة الفارسية ماصارت المملكة البفلاجونية قسما من ممالك اسكندر الاكبر الا فى الاسم فقط ومن بعد قليل تغلب عليها متريداطيس صاحب بونطوس وأضافها الى مملكته فاستمرت قسما منها عدة من السنين أما الوقت الذى عادت فيه الى استقلالية نفسها فانه غير محقق الا انه يحتمل انه فى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد كانت محكومة بملوك من أهلها واشتغلت بالحروب من أجل مداومتها على حريتها من مساعى مملكة بونطوس من جهة ومن مساعى بثنيا من جهة أخرى وفى سنة ١٠٢ قبل الميلاد مات بلنس آخر ملوك أهلها من دون عقب يرثه فضبط المملكة كل من متريداطيس صاحب بونطوس ونيقوميديس الثانى صاحب بثنيا بالمشاركة مع بعضهما سوية ثم ان متريداطيس أخرج البثنيانيين منها وأضاف بفلاجونيا الى ممالكه والله أعلم وبغيبه أحكم

﴿الرابعة مملكة بونطوس﴾ تشكلت مملكة بونطوس من مرزبانة قبدوقيا وكان دارا الاول ملك فارس أقطعها على عوناطيس أحد القواد الذين ساعدوه على التغلب على سمرديس الكذاب وكان عوناطيس من ذرية الملوك القديمة الاريانية فى قبدوقيا وجعل دارا هذه المرزبانة وراثية فى عقبه وفى سنة ٣٦٣ قبل الميلاد قام عريوبارزانيس بن متريداطيس فى ثورة ناجحة نال فيها الظفر على فارس وجعل نفسه أميرا القطعة الواقعة من قبدوقيا على ساحل البحر الاسود وشكل أراضيه على هيئة مملكة أطلق عليها الجريق اسم بونطوس وصارت معروفة بهذا الاسم وأما قبدوقيا الداخلة فانها بقيت قسما من فارس ثم مات عريوبارزانيس فى سنة ٣٣٧ قبل الميلاد وخلفه ابنه متريداطيس الاول ولما تغلب اسكندر الاكبر على مملكة فارس صارت بونطوس ايالة مقدونية سنة ٣٢٢ قبل الميلاد وفى سنة ٣١٨ خلع متريداطيس طاعة المقدونيين وشيد استقلالية مملكته ومات فى سنة ٣٠٢ قبل الميلاد مذبوحا بأمر من انطيغنوس ووقعت بونطوس كما ذكرنا سابقا فى حصة انطيغنوس مع فريجيا وليسيا وعقيليا وقت تقسيم ممالك اسكندر

ولما مات متريداطيس خلفه ابنه متريداطيس الثانى وجلس على تخت بونطوس وتسلطن ستا وثلاثين سنة وأضاف الى مملكته أراضى كثيرة على نفقة قبدوقيا وبفلاجونيا ثم خلفه ابنه عريوبارزانيس الثانى فى سنة ٢٦٦ قبل الميلاد وكانت مدة سلطنته خالية من الوقائع والحوادث ومات فى سنة ٢٤٥ قبل الميلاد فانتقل التاج لابنه متريداطيس الثالث وكان أكثر شوكة وشهامة من كامل متقدمى ملوك بونطوس وكان صغير السن حالما وصل الى التخت وبمجرد ما بلغ سن الرجال تزوج أخت سلنقوس الثانى ملك سوريا وأخذ معها ايالة فريجيا مهر الها وفى سنة ٢٢٢ قبل الميلاد زوج بنته لودسيا بانطيخوس الاكبر ملك سوريا وزوج بنتا أخرى اسمها لودسيا أيضا الى أخيوس عم ملك سوريا الا أنه لم يحصل من هذا الزواج أدنى تأثير فى نفوذ اجراآته السياسية وأشعل حربا على سوريا كأنه لم يكن مرتبطا معها بتلك العقد والمعتقد أنه مات فى سنة ١٩٠ قبل الميلاد وخلف فرناسيس أباه على تخت بونطوس وفى نحو سنة ١٨٣ قبل الميلاد تغلب على مدينة سينوب على شاطئ البحر الاسود وجعلها عاصمة مملكته وفى سنة ١٨١ دخل فى حرب مع عومنيس الثانى ملك برجاموس رغما عما اجتهد فيه الرومانيون من اجتناب الحرب فنال بعض مظفرات فى مبادى حربه لكنه انجبر أخيرا على عقد صلح وتنازل عن كل ما تغلب عليه ما عدا مدينة سينوب ومات فى سنة ١٦٠ قبل الميلاد وخلفه ابنه متريداطيس الرابع الملقب عورغيطيس فامتدت سلطنته نحوا من أربعين سنة أى من سنة ١٦٠ قبل الميلاد الى سنة ١٢٠ وحارب مع عوطالوس الثانى ملك برجاموس وكان حليفا له على بروسياس الثانى صاحب بثنيا سنة ١٥٤ قبل الميلاد ودخل فى الحرب الثانى القرطاجنى من سنة ١٥٠ الى سنة ١٤٦ قبل الميلاد حليفا للرومانيين على قرطاجنة وساعد الرومانيين أيضا على طرد اريسطونيقوس من برجاموس ولما انتهى الحرب كافأته رومة بأن منحته فريجيا الكبرى وقتله حواشيه وخدمه فى سنة ١٢٠ قبل الميلاد وكانوا على نفور منه

وخلف متريداطيس الخامس الملقب بالاكبر أباه على التخت وكان أمهر الملوك البونطية وأحد عظماء ملوك آسيا وكان صغير السن وقت استخلافه فصارت مباشرة أعمال المملكة مدة ثمانى سنوات بمعرفة الاوصياء عليه فقضى هذه المدة فى تلقى العلوم مع النباهة والذكاء وعلى ما قيل انه كان يتكلم

بخمسة وعشرين لسانا وصار مستمرا على السفر المتعب فى طلب الصيد لاجل تدربه على المصاعب والمتاعب وكانت جهات صيده فى الاراضى الصعبة من نواحى مملكته وكابد أتعاب الجوع والعطش والكدر ولما رأى له عدم الثقة من نوابه وأوصيائه ابتدأ من مبادى أيامه فى تعوّد نفسه على تعاطى نوع الترياق المضاد للاشياء السمية حتى يدفع عن نفسه السميات المزيلة لحياته ولما بلغ عمره عشرين سنة تقلد زمام حكومته من بعد أن حاز بحية فى الشوكة والشهامة وصار عاقلا يحوز الكثير من المعارف وتولد من اكتسابه معرفة اللغات أن صار له طاقة على أداء الاشغال مع كل ايالة من ممالكه بلغتها ولهجتها الخاصة بها

وبمجرد جلوس متريداطيس على التخت رأى من البين أن موقع مملكته يكون بعد قليل علامة لمساعى الرومانيين ومشروعاتهم فلاجل مقاومتهم ومقابلتهم بمظفرات ناجحة ومشروعات فائقة يلزمه توسيع ممالكه وزيادة قوتها ورصانتها فى وجه الرومانيين وبهذا الفكر والتبصر ابتدأ فى سنة ١١٢ بشروع حزم رأيه فيه واجتهد فى عمل فتوحات فى نواحى الشرق من ممالكه وهى جهة خالصة من تداخل رومة فيها وفى مدة السبع سنوات التى أعقبت سنة جلوسه أضاف الى مملكته أرمينية الصغرى وقسم الكولشى وكامل الساحل الشرقى من البحر الاسود وبحيث جزيرة السمريين المعروفة اليوم باسم بحيث جزيرة القرم والاقليم الموجود فى الجهة الغربية من تلك البحيث جزيرة الى أن وصل الى نهر الدانستر وقوى نفسه بعقد معاهدات ومحالفات مع القبائل الهمج القاطنة على نهر الدانوب ومع ملك أرمينية وقبدوقيا وبثينيا واجتهد فى أن يضع ابنه على تخت قبدوقيا فى سنة ٩٣ قبل الميلاد وسوقراطيس على تخت بثينيا فى سنة ٩٠ قبل الميلاد لكنه لم ينجح فى كل من هذين السعيين فان الرومانيين حكموا عليه بابطالهما ورأى متريداطيس أن الاسلم له الطاعة وحسن الانقياد لانه ما كان على استعداد للحرب مع رومة

وفى سنة ٨٩ قبل الميلاد تقوى نيقوميديس بالرومانيين وأنشب حربا على بونطوس فبرز متريداطيس فى الحال الى ميدان الحرب بجيش كثيف وفى السنة التالية تغلب على قبدوقيا وأضافها الى مملكته وفى السنة التالية غزا بثينيا وهزم نيقوميديس على نهر امنيوس وطرده هو ومحالفيه الرومانيين من بثينيا وأسرع متريداطيس فى التغلب على غلاطيا وفريجيا والاقليم الرومانى فى آسيا وجعل نفسه أميرا على كامل آسيا الصغرى ما عدا قليلا من مدائن ليسيا وبونيا وقضى فصل الشتاء فى برجاموس وفيها تيسر له الحصول على الحالة القاضية عليه بهلاك نفسه وذلك أنه تفاخر وتعاظم بمظفراته ونصراته وأمر بذبح جميع الرومانيين والايطاليانيين الموجودين فى آسيا فقتل منهم نحوا من ثمانية آلاف نفس فمن ابتداء هذا الوقت أخذ طالع سعد متريداطيس فى النحس والانحطاط وفى سنة ٨٧ قبل الميلاد أرسل جيشين تحت قيادة قواد ماهرين من عنده لطرد الرومانيين من الجريس فهزم سولا هذه القوى فى واقعة كبيرة حصلت فى خيرونيا فأرسل جيشا ثانيا الى الجريس فانهزم أيضا شر هزيمة وفى أثناء ذلك أشهر الرومانيون حربا فى آسيا ومن بعد أن حصل لهم عدة مظفرات هزموا الجيش الاصلى فى البونطيق فى نواحى بثينيا سنة ٨٥ قبل الميلاد فاجبر متريداطيس على أن يفتش على محل أمين يأوى اليه ولما رأى أن ما نزل عليه من البلايا والمصائب ثقيل جدا بحيث لا يمكنه أن يشفى منه بسرعة عقد مع رومة صلحا بشروط مهينة تنازل فيه عن كافة ما فتحه وسلم للرومانيين أسطوله وكان مقداره سبعين

سفينة حربية ودفع غرامة قيمتها ٢٠٠٠ وزنة أى ٤٠٠٠٠٠ استرلينه وعاد كل من ملكى قبدونيا وبسنيا الى تختيهما وعادت السلطة الرومانية ثانيا على اقليم آسيا

ويؤخذ مما حل بمتريداطيس من هذه المصائب عود اجتهاد الممالك الشرقية التى تغلب عليها الى الاستقلال فجهز الملك جيشا كثيفا وأسطولا لاجل فتحها مرة أخرى فانجبر على أن يستعمل ما جهزه من القوى فى ملاقاة حرب آخر وذلك أن مورينه القائد الرومانى فى آسيا قام على حين غفلة من دون حصول أدنى غضب أو زعل وأغار على بونطوس فى سنة ٨٣ قبل الميلاد فشكا متريداطيس فى الابتداء لمجلس سناتو رومه فأمر المجلس القائد بالحيادة عن بونطوس والبعد عنها فلم يقبل مورينة طاعة أمر المجلس فسار متريداطيس عليه وهزم مورينة شر هزيمة على شواطئ نهر الحاليس فهرب مورينة وأرسل المجلس نائبا عنه للمخابرة فى شأن الصلح مع ملك بونطوس سنة ٨٢ قبل الميلاد فأعقب هذا سبع سنوات صلح مع رومة صار فيها لمتريداطيس طاقة على اخضاع كامل ممالكه التى كانت خرجت عن طاعته ووطد مملكته مرة ثانية على قواعد ثابتة محكمة ولما تم له ذلك بذل مجهوده وما فى طاقته فى مباشرة عمل الاستعدادات اللازمة لآخر حرب مع رومة وكان معظم رجال جيشه من رجال الامم البربرية القاطنة على نهر الدانوب والبحر الاسود وكان كثير العدد وكان تحت قواعد نظامية وتطقيم جيد مثل الطريقة الجارية عند رومة وزاد فى قوة الاسطول حتى وصل عدده الى ٤٠٠ سفينة شراعية وكان كل من رومة وبونطوس ينتظران حصول حرب نهائى فى آسيا الصغرى بخصوص السيادة والسلطنة فى هذه الناحية وان هذا الحرب لابد منه وكل من الاثنين فى فرح زائد من حصول هذا اليوم المقطرن حتى انفجر هذا اليوم المشؤم مع السرعة من دون قصد وذلك انه فى سنة ٧٤ قبل الميلاد لما مات نيقوميدس من غير عقب برثه تنازل عن مملكته بسنيا الى الرومانيين فقبلوا مع الشوق هذه الوصية الاان متريداطيس تبصر فى عواقب الامور ورأى انه لو سمح للرومانيين بالحلول فى مملكة بسنيا ربما يقع جميع حدوده الغربية تحت رحمتهم فأسرع فى ارسال قواه فى بسنيا واحتل تلك المملكة فهذا الفعل وان كان من أجل الحماية النفسية والمحافظة الذاتية الا انه عد أنه اعلان حرب على رومة فأسرعت الجمهورية فى قبول هذا الاعلان ومن ثم حصل الشروع فى الحرب فى سنة ٧٤ قبل الميلاد واستمر جاريا تسع سنوات فهزم متريداطيس فى السنة الاولى من الحرب قطه القائد الرومانى فى البر والبحر ثم حاصر كاشيدون وسيطقوس ثم انجبر على ترك هذا المشروع وفى سنة ٧٣ قبل الميلاد انهزم جيش متريداطيس هزيمة قبيحة بواسطة لوقولوس وكذا انهزم اسطوله على مسافة من طندوس ودمرته عواصف الرياح وفى هذه السنة تغلب متريداطيس على هيراقلية بونطيقه وعاد الى عاصمته فجند فيها جيشا جديدا واتخذ له موقعا فى كابيره فهجم الرومانيون عليه فيه وشتتوا شمله وعساكره فهرب متريداطيس ناجيا بنفسه بكل مشقة وصعوبة الى صهره زوج بنته طغرانيس ملك أرمينية سنة ٧٢ قبل الميلاد فطلب الرومانيون من طغرانيس أن يسلم لهم متريداطيس ولما لم يقبل هذا الطلب أعلنت رومة بعداوته له وتحول الحرب على مملكته سنة ٧٠ قبل الميلاد واستمر الحرب فى أرمينية ثلاث سنوات وباتحاد طغرانيس مع متريداطيس هزما لوقولوس مرتين فى سنتى ٦٩ و ٦٨ قبل الميلاد وعاد متريداطيس الى مملكته مع جيش جديد وفى ظرف بضع شهور أوقع هزيمتين على الرومانيين ثم حصلت ثورة فى جيش لوقولوس أضعفت عزمه وأوهنت قواه فأعاد متريداطيس وطغرانيس بونطوس

وقبدونيا وفى سنة ٦٦ قبل الميلاد صار استبدال لوقولوس بالقائد بومبى الاكبر فرأى هذا القائد الجديد ان الحرب بهذه المثابة فى اتحاد قوة هذين الملكين يمتد الى مالانهاية فصمم على أن يشغل طغرانيس بمملكته حتى يدمر أمر مترىداطيس فعقد معاهدة ودية وتحالفا مع فرعاطيس ملك فارطيه أحد ملوك الطوائف بفارس وحصل الاتفاق بينهما على أن فرعاطيس يهجم على أرمينية فحصل ذلك فى نفس هذه السنة فالتزم طغرانيس على المحافظة على مملكته وأسرع بومبى فى التقدم نحو مترىداطيس وهزمه مع خسارة جيشه وألزمه الهرب من بونطوس عابرا البحر الاسود الى بحيث جزيرة القرم والى هذه الجهة ما أمكن للرومانيين السعى والاجتهاد وراءه وصارت بونطوس فى سنة ٦٥ قبل الميلاد جميعها فى أيدى الرومانيين ثم ان مترىداطيس استعد لتجديد الحرب مع رومة من الساحل الاوروباوى من البحر الاسود مؤملا أنه يجمع فى طريقه تحت بيرقه كافة القبائل البربرية الدانوبية ويسير على ايطاليا من تلك الجهة ومع ما كان عليه من كبر السن فانه دخل مع الهمة والشجاعة فى هذا المشروع الذى لاح له الا أن ضباطه نظروا اليه بعين الهوان وتشكلت منهم دسيسة تحت رياسة ابنه فلما رأى الملك الكهل أن كل من كان معتمدا عليهم فى أشغاله تركوه وبعدوا عنه قطع اليأس والأمل مما كان ناويه وكامنه فى ضميره وأمر واحدا من حرسه بقتله فى سنة ٦٣ قبل الميلاد وصارت بونطوس اقليما رومانيا واستمرت محكومة ببرنسات من سلسلة ملوكها القديمة الى حد زمن نيرو وكان جلوس هؤلاء الامراء على تختها تابعة فى الحكم والادارة لرومة

﴿الخامسة مملكة قبدونيا﴾ قد ذكرنا فيما سبق أن القسم الشمالى من قبدونيا صار مملكة بونطوس المستقلة واستمر القسم الجنوبى منها على صداقة مع مملكة فارس الى سقوط هذه المملكة الفارسية وفى سنة ٣٣١ قبل الميلاد من بعد واقعة اربل تقلد اريارطيس المرزبان زمام حكومة الايالة وجعلها ملوكية مستقلة فتغلب عليه برديكاس فى سنة ٣٢١ قبل الميلاد من بعد موت اسكندر الاكبر وأسره وصلبه ثم أضاف برديكاس ما فتحه الى عومنيس صاحب برجاموس ولما مات هذا الملك قامت قبدونيا تحت قيادة اريارطيس الثانى بن أخى اريارطيس الاول وعادت استقلاليتها ومات فى نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وترك تاجه لابنه عريامنيس وخلف هذا من بعد موته ابنه اريارطيس الثالث وكانت مدة سلطنتهما مظلمة لا حقيقة لحوادثها ووقائعها ثم مات هذا الملك الاخير فى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد فانتقل تاجه الى ابنه اريارطيس الرابع وكان طفلا صغيرا ولما بلغ هذا الملك مبلغ الرشد تزوج انطيخيس ابنة عمه انطيخوس الاكبر سنة ١٩٢ قبل الميلاد فساعده انطيخوس فى حربه مع رومة وحارب حليفا له فى الواقعة الكبرى التى حصلت فى نواحى مغنسيا وفيها سقطت شوكة المملكة السورية سنة ١٩٠ قبل الميلاد فتولد من هذا أن صار ملك قبدونيا عرضة لغضب الرومانيين فاطفأ غضب الجمهورية الرومانية باشغال أجراها نافعة لرومة ونال من جهتها عين الاكرام واستمر فى علاقات ودية معها المدة التى كانت باقية من سلطنته ومات فى سنة ١٦٢ قبل الميلاد فخلف اريارطيس الخامس أباه وتسلطن احدى وثلاثين سنة وكان مشهورا بالملك الصالح العاقل أى الذى لا عيب فيه وكان من طلاب علم الفلسفة وجعل قبدونيا محط رحال علماء الرجال ولم تكتب عنه مظالم ولا خيانة وكان جاذبا اليه محبة رعيته وقومه واحترمه الاقارب والاجانب ويظهر من تواريخ الثلاثة القرون التى مضت من اسكندر الاكبر أن هذا الملك لا يماثله ملك من الملوك وسار سيرة خالية

من الذم والقدح والعيوب واستمر صديقا مخالفا لرومة مما أصابه منها من السعى والكد فى حقه ولما شرع الرومانيون فى طرد اريسطونيقوس من برجاموس برزلماء اعدتهم وقتل فى خدمتهم سنة ١٣١ قبل الميلاد

وترك اريارطيس الخامس عند موته ستة أولاد جميعهم كانوا قاصرى السن فصارت أرملته لودسيا وصية على أولادها ونائبة عنهم فى المملكة ولاجل حفظ شوكة المملكة فى يديها سمت خمسة من أولادها بعد أن بلغ كل منهم رشده فحل بالامة جميعها الغضب مما حصل من الملكة أم الاولاد وقاموا عليها وذبحوها وأجلسوا ابنها الاصغر على التخت باسم اريارطيس السادس فكانت سلطنة هذا الملك بغير معنى ولا ذوق وتزوج باخت متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس ثم ان متريداطيس أغرى عليه جواسيس من طرفه فقتلوه سنة ٩٦ قبل الميلاد وضبط فى الحال قبدوقيا فهربت لودسيا أرملة هذا الملك المقتول الى ديوان نيقوميديس الثانى ملك بتنيا فتزوجها وأقامها ملكة قبدوقيا فطردها متريداطيس من المملكة ثانيا فتولد من ذلك انتشاب حرب مكث عدة سنوات وفى مدته أجلس الملك البونطيقى ملكين وأجلس القبدوقيون واحدا من عندهم وانقرضت فى مدة هذا الحرب السلسلة الملوكية القبدوقيه وصار كل من بونطوس وبتنيا يدعى التاج لنفسه فرخص الرومانيون للقبدوقيين فصل مادتهم بانتخابهم ملكا من أنفسهم فانتخبوا لهم ملكا وجلس أريوبارزانيس على التخت فى سنة ٩٣ قبل الميلاد فطرده مباشرة طغرانيس صاحب أرمينية من مملكته ثم تقلد زمام السلطنة ثانيا بمعرفة الرومانيين سنة ٩٢ فتسلطن بغير نزاع ولا كدر الى سنة ٨٨ قبل الميلاد حتى عزله متريداطيس وضبط قبدوقيا فى مدة حربه الاول ثم أعيد الى تخته بواسطة معاهدة عقدت بين بونطوس ورومة فطرده أيضا متريداطيس وطغرانيس سنة ٨٧ قبل الميلاد فاعاده بومبى فى سنة ٦٦ وفى نحو سنة ٦٤ قبل الميلاد تنازل عن تخته لابنه فجلس ابنه على التخت ولقب نفسه اريوبارزانيس الثانى واتجه فى جهة بومبى على حرب القيصر فسامحه القيصر من بعد واقعة فارساليا وسمح له فى زيادة أراضيه ثم اتجه فى الحرب الداخلى التالى مع أنطونى وأوقطافيان فأمر كاسيوس بقتله فى سنة ٤٢ قبل الميلاد وتولد من واقعة فلبى أن أعطى انطونى تاج قبدوقيا الى اريارطيس التاسع والصحيح أنه كان ابن الملك السابق فرجع فى الحال الى معاداة انطونى فقتله فى سنة ٣٦ قبل الميلاد وأعطى تخته الى ارشيلاوس أحد عبيده فحكم هذا الملك المملكة الى حد سنة ١٥ قبل الميلاد ولما غضب الامبراطور طبرياس منه طلبه فى رومة فمات فيها سنة ١٧ بعد الميلاد ومن ثم تحولت قبدوقيا الى ايالة رومانية والله يؤتى ملكه من يشاء

(السادسة مملكة أرمينية الكبرى) كانت أرمينية من ابتداء واقعة ابسوس سنة ٣٠١ قبل الميلاد الى واقعة مغنيسيا سنة ١٩٠ قبل الميلاد ايالة من المملكة السورية ومن بعد هزيمة انطيخوس الاكبر انفصلت من سوريا وانقسمت الى مملكتين ارمينية الكبرى وأرمينية الصغرى فأما أرمينية الصغرى فكانت واقعة فى غرب الفرات وكان أول ملوك أرمينية الكبرى أرطاكزياس وكان أحد قواد انطيخوس وقاد عصاة مملكته وأسس مدينة ارطاكزاطه عاصمة لمملكته وتسلطن فيها الى نحو سنة ١٦٥ قبل الميلاد حتى هزمه انطيخوس ابيفانيس وأعاد أرمينية الى المملكة السورية فامتد هذا الالحاق الى مدة مجهولة وفى سنة ١٠٠ قبل الميلاد ظهرت أرمينية مرة أخرى فى سلطنة مستقلة تحت حكم عورطوديسطيس وهذا خلفه طغرانيس الاول فى سنة ٩٦ قبل الميلاد فكان

أجل ملوك الارمن وأعظمهم
وتنازل ظغرانيس فى مبادى سلطنته عن قسم من مملكته الى فارطيه لكنه من نحو سنة ٩٠ الى سنة ٨٧ قبل الميلاد اكتسب نصرة جليلة على الفارطيين وأعاد أراضيه التى كان تنازل عنها وأضاف الى مملكته اقليمى عطر و باطينى وغوردياتة وهما ميزوبوتاميه العليا ثم بعد ذلك تغلب على الايالات السورية وفتح كامل المملكة بما فيها ايالة سيليسيا وفى ظرف الاربعة والعشرين سنة التى جاءت بعد أى من سنة ٨٣ الى سنة ٦٩ قبل الميلاد امتدت ممالكه من حدود بفيليا الى سواحل بحر الخزروفى فى أثناء هذه المدة مدينة طغرانوصرطه وجعلها عاصمة مملكته وخرب قبدوثياونقل منها نحو ٣٠٠٠٠٠ بيت من أهلها فى سنة ٧٥ قبل الميلاد فتولد من هذا الفعل أن جلب على نفسه غضب رومة ومن بعد مضى قليل عضد متريداطيس حماه وآواه عنده وكان صار طرده من مملكته كما ذكرنا فطلب الرومانيون من طغرانيس أن يسلم لهم ملك بونطوس ولما لم يقبل الطلب أغاروا على أرمينية وفى سنة ٦٩ قبل الميلاد انهزم طغرانيس وخسر عاصمته وفى السنة التالية اصطحب طغرانيس مع متريداطيس وتقهقرا الى مرتفعات أراضى أرمينية فاتبعهما الرومانيون وأوقعوا بهما هزيمة مهولة فى نواحى ارطاكزاطه وتسبب من النفور والثورة التى حصلت فى الجيوش الرومانية توقيف مظفراتهم كما سبق ذكره عنه حتى صار لطغرانيس ومتريداطيس طاقة فى العود الى ممالكهما فى سنة ٦٧ قبل الميلاد ثم تقلد بومبى زمام قيادة الجيوش الرومانية وحض فارطية على الهجوم والغارة على أرمينية فتولد من غارة الفارطيين الزام طغرانيس بأن يترك حماه الى ما تؤول اليه عاقبة أمره لاجل خلاص مملكته ولما تغلب بومبى على مملكة بونطوس ساق جيشه على أرمينية فصار طغرانيس لاطاقة له على الرومانيين والفارطيين فخضع وسلم كل ما تغلب عليه واستمر فى مملكة أرمينية الاصلية حتى وافاه أجله ومات فى سنة ٥٥ قبل الميلاد وخلف ارطافسديس الاول أباه وساعد قراصوس فى غارته على الفارطيين فى سنة ٥٤ قبل الميلاد ومن ثم نال التفات رومة اليه ثم أغضب أنطونى منه مدة سنين فأسره فى سنة ٣٤ قبل الميلاد وفى سنة ٣٠ أمرت كليوبطره بقتله وبمجرد القبض على هذا الملك بواسطة أنطونى قدم الارمن التاج لابنه أرطاكزياس الثانى فتولد من ذلك غضب الرومانيين عليهم واستمرت حالة المملكة فى ارتباك وقلاقل الى حد سلطنة الامبراطور طراجان وصارت الملوك الارمينية ألعوبة فى أيدى رومة وفى سنة ١١٤ بعد الميلاد حول الامبراطور طراجان مملكة أرمينية الى ايالة رومية والله أعلم

السابعة — مملكة أرمينية الصغرى — انفصلت أرمينية الصغرى من مملكة سوريا فى نفس الوقت الذى نكثت فيه أرمينية الكبرى طاعتها المملكة سورية وصار ظاريادراس القائد الذى نجح فى ثورته ملكا على ايالته واستمرت أرمينية الصغرى محكومة بذريته امملكة مستقلة الى حد سلطنة متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس فتغلب عليها وألحقها بمملكته وبمجرد سقوط مملكة بونطوس صارت ايالة رومانية وصار تاريخها خاليا من الحوادث والوقائع وأما الذين خلفوا ظاريادراس فأسماؤهم غير معلومة

الثامنة — مملكة بقطريا — ومن بعد موت اسكندر الاكبر صارت بقطريا (بلخ الآن) قسما من المملكة السورية وفى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد نكث ديوطوس المرزبان طاعته لسورية وأسس مملكة بقطريا وكان أهل هذه المملكة جميعا من الاصل الجريقى فلهذا كانت فى خلاف كبير مع مملكة فارطية ولا يعلم

من تاريخ سلطنة ديوطوس الاقليل والصحيح انه ساعد سلقوس كالينكوس فى اغارته الاولى على فارطية ونال عند عوده من هذه الخدمة الاقرار باستقلالية بقطريا ومات فى سنة ٢٣٧ قبل الميلاد وخلفه ابنه ديوطوس الثانى فخالف سياسة أبيه وتعاهد مع فارطية على سوريا وساعد فارطية فى عود استقلاليتها والظاهر انه خلع بواسطة ثورة قامت عليه تحت قيادة عوطيدنوس من أهل مغنسيا وضبط التخت وصار الملك الثالث لبقطريا ثم التزم حماية مملكته من غارات أنطيخوس الاكبر صاحب سوريا ثم انهزم فى واقعة حصلت على نهر عريوس وانجرح انطيخوس فى هذه الواقعة فعقد صلحا مع عوطيديوس وتركه آمنا فى مملكته سنة ٢٠٦ قبل الميلاد ثم ان ديمتريوس بن عوطيدنيوس مد فتوحاته على الافغانستان والهند فى مدة حياة أبيه وخلف أباه على التخت فى نحو سنة ٢٠٠ قبل الميلاد واستمر فى حروبه فى جهة الشرق ولما كان مشتغلا بهذه الحروب دهمت المملكة بثورة عاص اسمه عوقراديطيس ومن بعد حروب استمرت معه بضع سنين قسمت المملكة بينهما سوية فتسلطن ديمتريوس فى الناحية الجنوبية منها وعوقراديطيس فى الناحية الشمالية الجبلية والظاهر أن ديمتريوس مات فى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد فتسلطن عوقراديطيس على كافة المملكة وساق فى فتوحاته حتى دخل فى بنجاب الا أنه خسر من الجهة الاخرى بعضا من أراضيه من اغارات فارطية عليها ثم قتله ابنه بعد عوده من الحرب الهندى سنة ١٦٠ قبل الميلاد وجلس هليوقليس قاتل أبيه على التخت ولم يعلم من أحوال سلطنته الاقليل ثم أخذت مملكة بقطريا فى الضعف فى مدة سلطنته وكبس عليها قبائل الصيطيانيين الموجودين فى الجهة الشمالية منها كبسا شديدا والفارطيون من الجهة الغربية الجنوبية وتغلبوا عليها قسما بعد قسم ثم ان الجريق البقطريانيين استغاثوا بمساعدة اخوانهم فى سوريا فسار ديمتريوس نقاطور لمساعدتهم فهزمه الفارطيون وأسروه وانتهت سلطنة هليوقليس فى نحو سنة ١٥٠ قبل الميلاد قبل هذه الغزوة بثمان سنوات ومن هذا الوقت لا توجد تسجيلات لتاريخ مملكة بقطريا واستولت عليها فارطية وقبائل الصيطيانيين والله أعلم

﴿ الكتاب السادس عشر ﴾

﴿ تاريخ رومة ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ التاريخ القديم والمدة الملوكية ﴾

موقع ايطاليا ـ أوصاف المملكة ـ الالب ـ الابنين ـ ايطاليا الشمالية والجنوبية ـ الانهر ـ الخصوبة والاقبال القديم للمملكة ـ التقسيمات القديمة السياسية لايطاليا ـ أصل السكان ـ عمار الايطاليانيين ـ العطروسكانيون ـ الرومانيون ـ تاريخ رومة الخرافى ـ حكاية روملوس ورموس ـ تأسيس رومة ـ اغتصاب النساء الصابنيات ـ الحرب مع اللاطنيين ـ الصابنيون ـ عود الصلح بواسطة النساء ـ ترجمة روملوس ـ نومة بومبليوس ـ شرائعه ـ نهاية المدة الخرافية ـ الحكاية الصحيحة لتأسيس رومة ـ صيرورة طوليوس هوسطيليوس ملكا ـ قوانينه ـ فتوح البه الطويلة ـ انكوس مرطيوس ـ حروب مع اللاطينيين ـ أصل العوام أو البلبيين ـ سرعة

تقدم رومة ـ زيادة طاركينيوس بريسكوس الاراضى الرومانية واصلاح المدينة ـ تغييراته التى أجراها فى النظام ـ ديانة الرومانيين ـ آلهتهم ـ المواسم الديانية ـ الكتب السحرية ـ المدارس المقدسة ـ القسس ـ صيرورة سرفيوس طوليوس ملكا ـ شرائعه وقوانينه ـ النظامات العسكرية ـ تأسيس قبائل جديدة ـ أسوار رومة ـ صيرورة طاركنيوس سوبربوس ملكا ـ صرفه النظر عن القانون السرفيانى ـ ظلمه وجبروته ـ نهب وفظائع لوكريطيه سكسطوس طاركين ـ ثورة الرومانيين وعصيانهم ـ طرد الطاركينيين ـ ابطال الملوكية واقامة الجمهورية

بحيث جزيرة ايطاليا هى أصغر الثلاث بحيث جزائر الجنوبية الموجودة فى أوروبا وكائنة فى الوسط منهم ونهاية طولها الاعظم من جبال الالب فى جهتها الشمالية الى رأس سبارتيفنتو فى جهتها الجنوبية ٧٢٠ ميل وعرضها الاعظم من جبل سنت برنارد الصغير الى المرتفعات والجبال الشمالية من تريسته ٣٣٠ ميل فتكون مساحتها الكلية نحو من ٩٠٠٠٠ ميل مسطح على فرض أن العرض المتوسط للبحيث جزيرة هو ١٠٠ ميل فقط ومحدودة من الجهة الشمالية بجبال الالب ومن الجهة الشرقية بالبحر الادرياطيقى ومن الجهة الجنوبية بالبحر الابيض المتوسط ومن الجهة الغربية بالبحر الابيض المتوسط وجبال الالب وصورة البحيث جزيرة غير منتظمة ومتجهة فى العموم نحو الجهة الجنوبية الشرقية وهى فى الغالب على شكل جزمة فالقطعة الاصلية منها تشكل الساق والقسم الجنوبى يشكل القدم ومع هذه الصورة المخصوصة بها يمتد خطها الساحلى امتدادا كبيرا ثم ان ايطاليا أقل عددا من الجريس فى خلجانها وميناتها وجزائرها الساحلية والقدماء من سكان ايطاليا وان كانوا على وفرة كبيرة من الاهل والعمران وكانوا أمة أرباب خبرة فى البحر الا أنهم ما بلغوا الدرجة التى بلغتها سكان الجريس فى البحر

وتنحصر جبال ايطاليا فى سلسلتين أصليتين عظيمتين وهما سلسلة جبال الالب وسلسلة جبال الابنين فأما سلسلة جبال الالب فانها تصنع حاجزا مرتفعا فى طول كامل الجهة الشمالية وقسم من الجهة الغربية من حدود ايطاليا وتقفلها من الباقى من أوروبا وأخفض نقطة من هذه السلسلة مرتفعة عن سطح البحر الملح بقدر ٤٠٠٠ قدم ومن فوق هذه النقطة يصل ارتفاع السلسلة فى بعض جهات الى نحو ١٥٠٠٠ قدم ويمكن عبورها من عشرة أو اثنى عشر دربا صعبة المسالك جدا وكانت فى الزمن القديم غير ممكنة العبور ومن ثم صنع أهل جبال الالب سدا أو حاجزا لا يمكن عبوره أو الارتقاء اليه معدا لحفظ ايطاليا من الامم الهمج الموجودين فى الجهة الشمالية منها وفى الجهة الغربية لها وجاء لا لايطاليا حريتها فيما يلزم لها من أعمالها وأشغالها العائد منها النفع عليها وأما سلسلة جبال الابنين فانها تنفصل من الالب بالقرب من الجبل الابيض وتسير نحو الجهة الجنوبية الشرقية ثم تنعطف الى الجهة الجنوبية حتى تصل الى آخر نهاية البحيث جزيرة وهذه السلسلة مقصورة على سلسلة واحدة فى ايطاليا الشمالية ثم يخرج منها فرعان أو ظهران يتجهان الى اليمين والى الشمال منها وأما فى ايطاليا الوسطى فانها كثيرة الفروع ويخرج منها عدة فروع كبيرة وصغيرة تختلف فى العلو والاتجاه وتشكل سطحا مختلف المنظر والهيئة البهجة لمنظر ايطاليا

الخاص بها

وتنقسم البحيث جزيرة بالطبع الى ايطاليا الشمالية وايطاليا الجنوبية فأما ايطاليا الشمالية فانها مقصورة فى السهل الاعظم لنهر البو والجبال القافلة له وأما ايطاليا الجنوبية فهى مقصورة فى البحيث جزيرة الاصلية وخلاف هذا فان ايطاليا الجنوبية مفصولة بخط صناعى مرسوم من فم نهر طفرنوس الى فم نهر صلاروس والكورة المحصورة بين هذا الخط وايطاليا الشمالية تسمى باسم ايطاليا الوسطى وايطاليا الجنوبية مقصور اسمها فى القسم الاسفل النهائى من البحيث جزيرة وايطاليا الشمالية أو اقليم نهر البو فانه جميعه سهل وما كان معلوما انه قسم من ايطاليا الا مدة وجود المملكة وتشتمل ايطاليا على عدة أنهار أشهرها نهر البو وكان يسمى قديما بنهر البادوس ونهر أريجة وكان اسمه نهر اطيس أو اطغيس فى الازمان القديمة ونهر البو أكثر عرضا من نهر أريجة

وأرض ايطاليا جيدة الخصوبة والاقبال وكانت فى قديم الزمان تغل محصولات وافرة على من كان له اعتناء بفلاحتها واصلاحها ومناخها مختلف الطقس معتدل الهواء وطقس وادى نهر البو معتدل الهواء ويشابه طقس وسط فرانسا وتتكون الثلوج فى مدة فصل الشتاء فى بحيرات ومناقع فنيزيا وأما الطقس فى ايطاليا الجنوبية فهو شديد الحرارة ويسقط الثلج والقار فوق سفوح الجبال وينضج الزيتون والبرتقان والليمون فى الهواء المكشوف الصحو وتنبت نباتات المنطقة الحارة فى الطرف الجنوبى من ايطاليا مع غاية الجودة وعلى العموم فان مملكة ايطاليا معتدلة فى الهواء الصحى ماعدا نواحى الاقاليم المستجمة ذات الرشح والمياه الراكدة وجهها صاف رائق يمتاز فيه لون كل شئ ولمعانه وهيئة صفائه وجلائه وتلك حالة مجهولة فى الممالك الشمالية من أوروبا ومنحة طريقة تختص بها أهل ايطاليا والمملكة غنية فى المعادن ويقل بها بعض أصنافها ماعدا الحديد والرصاص ورخامها من أجود الرخام وأحسنه وهو مشهور فى بقاع الارض وأجوده خاصية رخام كرارة الجميل الشكل الظريف اللون وهو جار استخراجه من جبال الابنين

وأخذت ايطاليا الشمالية لها حصة من التاريخ الرومانى لحد تشكيل المملكة وكانت تشتمل قديما على ثلاث ممالك ليغوريا وفنيزيا وغلية الجنوبية أى الكائنة فى جنوب سلسلة جبال الالب وأما ايطاليا الوسطى فكانت تشتمل على ست ممالك أصلية عطروريا ولاطيوم وكبانيا وهذه واقعة فى الجهة الغربية من جبل ابنين وأومبريا وبصنوم ومملكة الصابنيون وهى واقعة فى طول الساحل الادرياطيقى من البحيث جزيرة وتشتمل أيضا ايطاليا الجنوبية على أربعة ممالك وهى لوكانية وبروطوم فى الجهة الغربية وابوليه وكالبريا فى الجهة الشرقية وثلاث جزائر كبيرة على مسافة من الساحل الايطالى فى البحر الابيض المتوسط وهى سيسيليا أو صقلية وسردينة وقورسيقه وهى جليلة فى محصولات أراضيها وقواها الحربية

وكانت ايطاليا فى الازمان القديمة محتلة بخمسة أجناس أصلية وهى الليغوريانيون والفنيزيانيون والعطروسكانيون والايطاليانيون الاصليون والابغيانيون وكان الليغوريانيون والفنيزيانيون أضعف وأرذل الاجناس القاطنة فى الاراضى الموجودة فى شمال جبال الابنين وما كان لهم شوكة فى تاريخ ايطاليا العام ولا سمعة وأما الابغيانيون فكانوا أقدم الثلاثة أجناس الاخر القاطنة فى ايطاليا والظاهر أن أصلهم من الجريق كما دلنا على ذلك لغتهم وعبادتهم للآلهة الجريقية والحالة التى كان عليها

الهلانيون فى الايام الاخيرة وكان هذا الجنس انتشر على الطرف الجنوبى من ايطاليا وأما الايطاليانيون الاصليون فالظاهر أنهم هم الذين قطنوا البحيث جزيرة من بعدهم ويعتقدون أنهم جاؤا اليها من الجهة الشمالية وأنهم ضايقوا مع الشدة السكان النصف حريق الذين كانوا فى ايطاليا الجنوبية وهذا الجنس محصور فى أربعة أجناس أصلية هى الاومبريانيون والصابنيون والعوسكانيون واللاتنيون فأما الثلاثة الاجناس الاول فكانوا متقاربين لبعضهم وأما اللاتنيون فكانوا جنسا ممتازا عنهم وشكل اللاتنيون اتحادا مركبا من ثلاثين مدينة وعرفت مملكتهم باسم اللاتيوم

وكان العطروسكانيون أو الطوسكانيون أقوى أمة فى الجهة الشمالية فكانوا مختلفى الجنس بالكلية عن جميع السكان الاخر من البحيث جزيرة ومع هذا فان متأخرى المؤرخين بحثوا عن أصلهم فما تيسر لهم الحصول على معرفته واعتبر المؤلفون المعوّل على أقوالهم فى التاريخ أنهم من الجنس البلاسجى وهو جنس انتشر على الجريس وايطاليا فى الازمان الخالية والعصور البالية وأطلق هؤلاء الامم على أنفسهم اسم رأس أوراسينه وآخرون أطلق عليهم اسم عطروسكانيين فمن ثم كانت بلادهم يطلق عليها اسم عطروريا وكانوا مختلفى الصورة الطبيعية جدا عن ظرافة وحسن صورة الايطاليانيين فكانوا سمر الالوان ضخام الاجسام قصيرى القامة طوال الايدى عريضى الاكتاف وكانوا مشهورين بظلام ديانتهم وما كانت عليه من الغرائب وكان لهم اعتقاد فى الفال وتدبير عقد الاعداد السرية ولهم شعائر وعوائد دقيقة وكانوا جنسا ذا مال وثروة ورفاهية وحصل لهم تقدم عظيم فى الحرف والصنائع مثل صب البرنز وتشغيله وشغل المواد الخزفية والاوانى وسلاسل الذهب وغير ذلك من أنواع الزينة والحلى ومع أن هذه مسئلة لم يزل كان البحث جاريا فيها فالظاهر أن هذه الاشغال كان اختراعها من حسن جودة وذكاء عقل هؤلاء الوطنيين أو أنهم أخذوا هذه الصنائع من الجريس ويظهر من أسوار مدائنهم الضخمة أنهم كانوا على درجة عالية من فن العمارات وكانوا هم أقدم سكان ايطاليا الذين اشتغلوا بمشروعات البحر وكانوا هم الجنس الاخير الايطاليانى الذين شوهد عليهم دلالات وعلامات محبة هذه المشروعات الخطيرة وينسب الرومانيون أنفسهم الى الفرع اللاتينى من الجنس الايطاليانى واعتمدوا اعتمادا كبيرا فى الازمان المتأخرة على رواية أنهم متناسلون من عشيرة كانت هربت من تروادة تحت رياسة انياس حال سقوط هذه المدينة وخرابها وأيا ما كان من حصول هجرة وقعت لهم فان هذا الاحاجة به هنا لانه من المحقق أن ذلك ما أخل بتأثير اعتكاف الامة الرومانية على العوائد الوثنية وان لسانهم ورواياتهم القديمة تثبت من دون ريب أن الرومانيين هم من الجنس النقى اللاتينى

وأما التاريخ الخرافى الذى ذكر فى حق تأسيس رومة فذلك انه كان يوجد من ذرية عسكانيوس بن انياس وخليفته من بعده شخص اسمه بروكاس وكان هذا املاك البه الطويلة ومن بعد موته ترك ممالكه الى ولديه نوميطور وعموليوس فضبط عموليوس المملكة وأمر بذبح ابن نوميطور من بعد موت أبيه وكان لابو حدله ولد خلافه الا بنت فأرغمها عمها بالطهارة وزوجها مارث فخلفت منه توأمين روموليوس وريموس ولما وضعت ولديها أمر عمها برميها وولديها فى نهر الطيبر وبينما كان الولدان مرميين فى مياه البحر تحت ذيل جبل بلاطين وجدتهما ذئبة فأخذتهما الى مغارتها وصارت ترضعهما حتى اشتدا ورآهما رجل حطاب فكان يأتى اليهما بالغذاء الى أن كشف أمرهما رجل من رعاة الملك اسمه فوسطولوس فأخذهما ورباهما مع أولاده فوق جبل بلاطين فأسس عليه الولد الاكبر وهو روموليوس

مدينة وقت ما بلغ رشده وسماها باسمه ولما وجد رومولوس ضعف قومه وعجزهم جعل مدينته مأوى الحشرات من أرباب الجرائم والفارين من الطوائف بأسباب سياسية وأتوا اليه أفواجا فأحوجتهم هذه الحالة الى الزواج واقتناء الزوجات حتى يكونوا على مكنة من التوطن فى المدينة وعدم تركها ويكونوا أولادها ومن تبعتها الا أن الامم المجاورين لهم ما كانوا على رغبة من زواج بناتهم لهم فاشتغل رومولوس بحيلة أجراها فى الزواج وذلك أنه أقام عيدا كبيرا وليمة حافلة دعا اليها اللاتنيين والصابنيين للفرجة والضيافة وفى أثناء هذا العيد انقض الرومانيون فى وسط هذا الزحام وقبض كل رجل منهم على صبية فحملها وهرب بها فأعقب هذه الحالة حرب انهزم فيه اللاتنيون ثلاث مرار فدخل طيطوس طاطيوس ملك الصابنيين بنفسه فى الحرب وبواسطة خديعة طاربية بنت الرئيس الاكبر لقلعة كابيطولين استحوذ الصابنيون على هذه القلعة ثم ان الرومانيين استمالوا طاربية بواسطة أساور من ذهب واتفقت معهم أن تفتح لهم أبواب القلعة لو أعطوها هذه الاشياء اللماعة الموجودة فى أذرعهم ولما توجهوا الى القلعة رموا عليها درقاتهم اللماعة التى كانوا لابسينها على أذرعهم واقتحموها وقتلوها فاجتهد الصابنيون فى الغلبة على المدينة الا انهم بينما كانوا على شرف التغلب عليها وكانوا مزدحمين على باب من أبوابها اذ انفجر نهر من الماء شديد التيار من هيكل جانوس فأغرقهم جميعا وبهذا خلصت المدينة من شرهم فتذكارا لهذه الواقعة استمر الرومانيون على فتح باب هيكل جانوس مدة الحرب حتى ان الاله يكون له طاقة على الخروج الى الخلاء من أجل مساعدة أمة رومولوس مثل ما حصل فى اليوم السابق ومن بعد مضى مدة هاجت واقعة أخرى الا انه توقف اجراؤها بواسطة النساء الصابنيات اللاتى كان الرومانيون أخذوهن سابقا فربطن العلائق بينهم بكونهن رمين أنفسهن بين آبائهن واخوانهن وأزواجهن وتوسلن اليهم فى قطع ما بينهم من العداوة والحروب فكانت نتيجة هذه الواقعة عقد سلم واستتباب راحة بينهم واتحد الامتان مع بعضهما وتسلطن رومولوس على الرومانيين الموجودين على جبل بلاطين وطيطوس طاطيوس على الصابنيين الموجودين على جبل كابيطولين وجبل كرنبال ومن بعد موت طاطيوس تسلطن رومولوس على كامل الامة المنضمة مع بعضها ومن بعد سلطنة امتدت ثلاثين سنة عرض ذات يوم جيوشه على نفسه فى ميدان مارث فأظلم الجو على حين غفلة وهاجت الزوابع والعواصف فكنست الارض ولما هدأت هذه الرياح لم يجدوا لرومولوس أثرا ولا حلية خبر فنعاه قومه نعى الميت وحزنوا عليه الا انه ظهر فى هيئة جليلة لواحد منهم وأخبره بأنه رفع ليقيم مع مارث أبيه فى السماء وأن الرومانيين سيصيرون يوما من الايام أسياد الدنيا وملوكها وانه هو نفسه الحارس الحافظ لهم باسم كيرينوس

وذكر أن بروكاس ملك البه ترك ولدين عند موته ووصى بمملكته الى نوميطور ابنه الاكبر وبكنوزه بما فيها من الاموال القديمة التى سلمت من نهب مدينة تروادة الى أموليوس فصار للاصغر طاقة بواسطة ما عنده من الاموال على أن يرشى شرذمة من المعاضدين فى خلع أخيه فخلعه وقتل الابن الاصغر أخاه نوميطور وأما ابنته وكان اسمها ايليا أورهيا سلفيا فانه جعلها عذراء للآلهة أى متطهرة فبينما كانت ذاهبة للغسل من ينبوع ماء لاجل خدمة المعبد افتضها الاله مارث فحملت منه ووضعت توأمين فأمر أموليوس بقتلها ورمى الطفلين فى نهر أنيو فحمل ماء النهر الولدين الى مياه نهر الطيبر وما زالا حتى رسيا تحت ذيل جبل بلاطين تحت شجرة تين فأرضعتهما ذئبة وغذاهما رجل حطاب حتى

أخذتهما عكالونطيا زوجة فوسطولوس أحد رعاة الملك وربتهما حتى صار التوأمان بين أولادها الاثنى عشر مشهورين بالشجاعة وانحياز ذوى أحزاب عدوانية فكان اسم حزب أتباع رومولوس كنكطيلى وأتباع ريموس فابى ولما شبا وكبرا اشتبك ريموس فى مشاحنة مع راعى نوميطور الخلوع فأخذه وجله اليه بصفة قاطع طريق ولما جلب البرنس الشاب أمام جده انشرح من سرعة جودة أجوبته له حتى تردد فى مونه ولما سمع رومولوس من الرعيان الاختيارية أصل سرولادته جمع أقرانه وتوجه لخلاص ريموس وانضم اليه بعض من قدماء المتقربين لجده وخلعوا أموليوس وأعادوا نوميطور الى التخت فمن محبتهما للبقعة التى حفظت حياتهما بالقدرة الالهية حض الشابان جدهما على الترخيص لهما ببناء مدينة على شواطئ نهر الطيبر فسمح لهما بكل كراهة وحصل بين الاخوين غضب بسبب أن رومولوس صمم على رأيه فى تسمية المدينة باسم رومة وأن يكون بناؤها على جبل بلاطين وطلب ريموس تسميتها ريموريا وأن تبنى على جبل افنطين وأخيرا صمم على حل هذه المسئلة بواسطة الفال وكانوا على اعتقاد كبير منه وكان الفال الاول عند ريموس ستة من النسورة وأما رومولوس فكان عنده اثناعشر فهاجت مشاحنة أخرى الا أن حزب رومولوس غلب وصار رمى أساس المدينة على جبل بلاطين باحتفالات عظيمة من جميع التوسكانيين ولما ظهرت الاسوار على الارض قليلا طلع ريموس فوقها وصار يلعن ويسب فقتله امار ومولوس أو واحد من أتباعه وعلى حسب ماذكر فاروان صار تأسيس رومة فى ٢١ ابريل فى اليوم المقدس لبعلة الهة الرعيان وفى السنة الثالثة من الاولمبياد السادس أى من بعد خراب تروادة بنحو ٤٣١ سنة أعنى فى سنة ٧٥٣ قبل الميلاد وبنيت على هيئة شكل مربع وكانت مشتملة فى الاصل على نحو ١٠٠٠ عشة حقيرة فكانت هذه الحالة مبدأ مدينة صارت فيما بعد عاصمة الدنيا عموما

ثم من بعد مضى سنة من ترجمة رمولوس انتخبت الامة نومه بومپليوس وهو رجل صابينى مشهور عندهم بالنباهة والفضل وجعلوه ملكا عليهم وكان تاريخ جلوسه على كرسى السلطنة حسبما وردت به الاساطير التاريخية فى سنة ٧١٥ قبل الميلاد فأقام ديانة الرومانيين على أقوى أساس وجعل لها عوائد مشهورة صارت بواسطتها معروفة وكان يحبو باعتدا العذراء أغيريا فكان يأخذ منها ما كانت توحيه اليه فى مدة اجتماعه معها فى أيكتها المقدسة بواسطة ينبوع ماء يخرج من صخرة فى الايكة وذكر هذه النصائح والالهامات فى شرائعه وقوانينه وعود قومه على عوائد الكد فى الشغل وعوائد السلم واستتباب الراحة واجتهد فى أن غرس فى قلوبهم الحق والعدل والانصاف وكانت مدة سلطنته ذات أمن وفوز ونجاح وما فتح فى مدتها باب هيكل جانوس لان الرومانيين ما كان لهم عدو يحاربونه ومات بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة ودفن تحت جبل جانيكولوم فى الجهة المقابلة من نهر الطيبر ودفنت كتب شرائعه المقدسة ووصاياه فى قبر آخر على حدته بالقرب منه

وخلفه طولوس هوسطيليوس وبجلوس هذا على الكرسى انتهت المدة الحقيقية للحوادث التاريخية الخرافية حسبما قيل وما وردت به التسجيلات التاريخية

ولنشرح الآن ما حصل من الاعمال وما وقع من الحوادث فى تاريخ رومة الرمى حقيقة وصحته عند مة أخرى المؤرخين فنقول وعلى الله حسن العاقبة والقبول

انه على حسب ما وردت به الحوادث التاريخية صار تأسيس رومة فى سنة ٧٥٣ قبل ميلاد المسيح

عليه السلام وان متأخرى المؤرخين مع كبيرهم الحكيم مومعصن يقولون ان الصحيح المعوّل عليه ان الرومانيين واللوسيريين والطيطيين أجناس وشعوب قطنوا سوية فى هذا الاقليم وكان لهم معقل مشترك على الجبال الرومانية فكانوا يفلحون أراضيهم ويزرعونها بواسطة القرى المحيطة بهم ثم تحوّل هذا المعقل الى أن صار مدينة أخذت فى النموّ والتقدم شيأ فشيأ على التدريج ثم قال مومعصن ان تأسيس مدينة بالحالة التى ذكرت فى الرواية السابقة هو من غير شك خارج عن الحد والموضوع وان رومة ما صار بناؤها فى يوم واحد وأيا ما كان من صحة قضية تأسيس رومة أو عدمه فالمحقق المعوّل عليه ان حكاية رومولوس والذين خلفوه مباشرة منسوب جميعه الى الحشويين أرباب الخرافات والخزعبلات وانما أهل التاريخ ما وصلنا الى المدة الحقيقية الا من ابتداء سلطنة طولوس هوسطيلوس وقد يوجد سبب قوى يستدل منه على انه كان انسانا فى الحقيقة وان الوقائع الكبيرة والحوادث الشهيرة التى حصلت فى مدة سلطنته هى أعمال حقيقية لا خرافية وكان جلوسه على التخت فى سنة ٦٧٢ قبل الميلاد حسبما وردت به الحوادث التاريخية وتغلب هذا على البه الطويلة وخرب مدينتها ونقل سكانها الى رومة وأسكنهم جبل كولى وتولد من هذا الفتح زيادة الاراضى الرومانية ضعف ما كانت عليه أو ثلاثة أمثالها وصارت رومة المدينة الاصلية للاتيوم والحافظة للاتحاد اللاتينى وكان لها السلطة الممتازة على هذا التحالف والاتحاد فكان الجيش الاتحادى محكوما على التعاقب بقائد رومانى تارة وبقائد لاتينى أخرى وكل ما كان يفتحه الجيش يقسم بوجه المساواة بين رومة والاتحاد اللاتينى فكان يعطى لرومة نصيب مساو للنصيب الذى يعطى للاتحاد عموما

وفى مدة سلطنة طولوس حصل بعض تغييرات فى النظام الرومانى ولاجل معرفة هذه التغييرات يلزمنا أن نفحص أولا عن النظام الابتدائى الذى كانت رومة سائرة تحته فى المدة القديمة التى قضتها الى حد هذه السلطنة وهو أن الحكومة كانت ملوكية وكان رأس المملكة ملكا مطلقا عليه اسم راكس أى حاكم أو مدبر كان يباشر كثيرا من الاعمال وان لم يكن له شوكة مطلقة على أهل المدينة وكانت الملوكية انتخابية فمن ثم كان يعقب موت الملك الواحد فترة من الزمن تباشر أعمال الحكومة فيها بواسطة مجلس أعيان أو سناتو كانت أعضاؤه مؤلفة من عشرة من أعيان المملكة وكان يطلق عليه أيضا اسم المجلس العالى أو الاول وهو منوط باجراء الاحكام الملوكية فكان كل واحد منهم يترأس لمدة خمسة أيام وكان مجلس السناتو ينتخب الملك ثم تصدق الامة على هذا الانتخاب وكان من بعد الملك فى الدرجة الباطريسى أى وارثى الشرف والسيادة وهم الذين حازوا درجة سيادتهم وشرفهم من سلسلة شرف أجدادهم وهؤلاء العائلات الشريفة وبيوت السيادة كانوا فى الاصل مائة بيت فحصلت فيهم الزيادة حتى وصلوا الى مائتى بيت بسبب انضمام الصابنيين اليهم وكان كل بيت أو شعب ينوب عنه رئيسه أى كبير البيت ويكون هذا النائب على حسب فضل موقعه اما عضوا فى مجلس السناتو واما جليس الملك وكان أفراد البيت الواحد يلقبون بلقب اسم العشيرة وجميعهم مشتركون فى روابط مقدسة واحدة معلومة ولكل منهم حقوق فى الملكية معلومة فى العموم وكان كافة الذكور أرباب السن الكامل من طائفة الاشراف لهم الحق فى الحضور فى مجلس العموم فكانوا منقسمين فى هذا المجلس الى عشرة كوريات وكل كورية مؤلفة من أعضا من عشرة بيوت ولكل كورية رئيس اسمه كوريو ورئيس العشرة هو الحاكم الرئيس على المجلس ويطلق عليه اسم الكوريو الاكبر فما كان يمكن حصول أدنى تغيير فى قانون

النظام

النظام من دون رضا كل من مجلس السناتو والمجلس الاهلي أو مجلس السادة وكان لمجلس السناتو الحق في كل من رفض أو تنفيذ الاوامر العمومية وعلى مجلس السادة التصديق على اجرائها وكان من شأن مجلس السادة تقرير الصلح أو قواعد الحرب وكان يوجد غير ذلك ديوان استئناف لبت واثبات ما يتقرر من الملك أو من قاض وكان يوجد من بعد الاشراف مجموع الامة وهذا المجموع كان مقسوما الى طائفتين وهما التبعة والارقاء فأما التبعة فهم التابعون لبيوت الاشراف ويلقبون باسم عشيرة عميدهم وهم وان كانوا أحرارا في أنفسهم الا أنه ما كان لهم دخل في الادارة السياسية بل كانوا يزرعون في العادة أراضي أسيادهم التابعين لهم أو يتعاملون في تجارات تحت نظر وحماية كبرائهم ويتبعون كبيرهم في الحروب وكانت تتوزع عليهم فديته أو فدية أولاده وقت أسرهم في الحروب ويساعدونه في صرف المصاريف اللازمة لاقامة أي شكوى يمكن أن يقع فيها أو في مصاريف خدمة في أي مصلحة من المصالح التي يعود منها النفع على المملكة كما انه كان يجب على كبير القوم المدافعة والمحافظة على منافع تبعته في المحاكم المحلية اذا لزم ذلك وكان ارتباط كبير القوم مع تبعته متسلسلا من الاب الى الابن وكانوا يرون أن من أعظم الفخر والاعتبار أن يكون للبيت الواحد من بيوت السادة كثير من التبعة وأما الارقاء فكان لهم موقع مثل موقع أهل البلاد الا أنهم ما كانوا كثيري العدد في العصور القديمة

وتولد من ضم طولوس الالبانيين الى رعيته زيادة طائفة الاشراف بانضمام أشراف الالبانيين اليهم فصار عدد العشائر ثلاثة وبيوت السادة ثلاثمائة وعدد الكوريات ثلاثين واستمر مجلس السناتو على عدده الاولي لانه لم يترخص لاشراف الالبانيين أن يكون لهم الامتياز في أن يحلوا فيه وزادت مدرسة العذارى الطاهرين الى ستة من بعد أن كانت أربعة لان رومة صارت في هذه الحالة بلدا لالبانيين الا أنه ما حصل تغيير في النظامات الدينية والعقائد المذهبية

وجلس من بعد طولوس هوسطيلوس انكوس مرطيوس فجلس على التخت في سنة ٦٤٠ قبل الميلاد حسبما وردت به حوادث التاريخ وعلى ما قيل انه كان واحدا من الصابنيين أو الطيطيين وهيج حربا على المدائن اللاتينية وتغلب على عدة منها ونقل سكانها الى رومة فمن ثم زادت شوكتها وحلا لها زيادة كبيرة وصار معظم الذين استوطنوا جديدا تبعة لبيوت السادة الا أن طوائف الاغنياء منهم والذين لا تبعة لهم لاحد ما قبلوا الدخول في هذا الموضوع وكثر عدد هؤلاء حتى لزم الحال لان يخصص لهم مواقع ومنازل معروفة في المملكة فصار ترتيبهم بمعرفة انكوس مرطيوس على حسب قول متأخري الرومانيين الى طائفة حرة ممتازة تابعة لحماية الملك ومحافظته وأطلق عليهم اسم البلبيون أو العوام فكانوا محصورين في عدة طوائف الاولى حربيون في المسكن سواء كانوا لاجئين سياسة أو عساكر أجرية أو تجار والثانية المجبورون على السكن وهم الذين غلبوا على أمرهم من الامم وصار نقلهم الى رومة ماعدا الذين صار قبولهم في طائفة السادة أو الذين صاروا تبعة لمنازل السادة الثالثة التبعة الذين عدموا أسيادهم من تجريد شرفهم وكانوا في الاصل تبعة لهم الرابعة كفأة الزواج وهم أولاد السادة الذين تزوجوا بنساء لسن كفؤا لهم وكان زواجهم بهن غير معدود شرعيا وكذا الذين ما أمكنهم البقاء على درجة آبائهم وما كانوا عليه من حالتهم ومن ثم أخذت رومة في درجة التقدم بسرعة حتى صار لها من الضروري أن تعترف اعترافا رسميا لهذه الطائفة بحرية النفس في هذه المدة القديمة وأسكنهم أنكوس فوق جبل افنطين ومنحهم جهة مخصوصة من المدينة وقرر لهم قوانين ثابتة حيث كان

لايمكن تركهم من دون حكومة ونظام
وأخذت رومة فى مدة سلطنة أنكوس فى التمدن والحضارة وزيادة الشوكة بسرعة كبيرة وامتدت الاراضى الرومانية الى حد البحر وابتنوا مينة أوسطيه وشيدوا أشغال الملح فى ضواحيها وأنشؤا جسرا من الخوازيق أوقنطرة ثابتة على الطيبر وصار تحصين جبل جانيكولوم بالاستحكامات القوية والاسوار المنيعة وحفروا فى الاراضى حول السبعة جبال ترعة وسموها خندق كبريطيوم وابتنوا أول سجن ولما مات انكوس خلفه طاركنيوس بريسكوس فكان جلوسه على التخت حسبما وردت به أخبار الحوادث التاريخية فى سنة ٦١٦ قبل الميلاد وامتدت سلطنته الى سنة ٥٧٨ قبل الميلاد وكان طاركينيوس عطروسكانى الاصل الا أنه كان قاطنا فى رومة من مدة طويلة فطرد الصابنيين وكانوا عبروا سن نهرانيو وأزعجوا رومة نفسها ثم هجم على المدائن اللاتينية وتغلب عليها أجمع ماعدا مدينة نومنطون وفى آخر أيام سلطنته أغار على أراضى عطروسكانة ونال منهم فوائد جليلة وبواسطة هذه الفتوحات أضاف الجم الغفير من الناس الى رومة وأراضى شاسعة الى أراضيها وأصلح أيضا اصلاحات عظيمة فى المدينة وبنى المجرة الكبيرة المسماة كاوكه مكسيمة وحجز فيضان نهر الطيبر من سيلانه على أرض المدينة بواسطة رصيف ضخم بناه فى طول الشاطئ الايسر من النهر ووصل المجرة والرصيف بالوادى المستنقع الموجود بين جبلى بلاطين وكابيطولين وأقام طاركين فى هذا المحل الفورم وهو الساحة العمومية فى رومة ودوّر دائره بالبواكى والعمد والدكاكين وعمر بين جبلى بلاطية وافنطين ميدان ملعب الخيول المعروف بالسرك الاكبر لاجل انشراح الامة وترويحها وشرع فى تشييد هيكل المشترى (جوبتير) على جبل كابيطولين الا أن شغله لم يتم فى مدة سلطنته بل تممه ابنه من بعده
وأما التغييرات النظامية المهمة المنسوبة الى طاركين فهى أولا زيادة أعضاء مجلس السنا ومن ٢٠٠ نفس الى ٣٠٠ نفس بان أضاف اليه نواب بيوت السادة الذين كانوا معتبرين فى طائفة الاشراف الالبانيين وقت انتقالهم الى رومة ثانيا ضاعف عدد بيوت الاشراف وكان عدد هذه البيوت انحط حتى وصل الى ١٥٠ بيت وشكل طاركين من وجوه أشراف الامم التى تغلب عليها ثلاثة أصناف شعوب مركبة من خمسين بيتا ألحق كلا منهم باسماء قدماء الرامنيين والطيطيين واللوسيريين الأنهم فى درجة منحطة عن درجة سادة المدينة
ثم انه من قبل الانتقال الى شرح حوادث ووقائع القرن التالى وجدنا أن الاصوب الوقوف هنا لحظة حتى نشرح العقائد الرومانية لان العلم بها ضرورى لمطالعى التواريخ الرومانية وذلك أن الرومانيين استمروا من ١٧٠ سنة من ابتداء تأسيس المدينة وما كان عندهم صور تماثيل مخصوصة بآلهتهم وأفسدت الديانة الوثنية ما كانوا عليه بعدما كانوا محافظين على عقائد مرعية عندهم بالنسبة لمصالح سكناهم ولهم عقائد ومذاهب نقية فى أنفسهم وكان أكبر الآلهة عند الرومانيين المشترى (جوبتير) والمريخ وهو مارث فكان جوبتير هو الاله الاعظم ومارث الاله المخصوص بهذه الامة فى وقت حربها يعنى أنه اله الحرب وعبدوا كيرينوس تحت اسم رومولوس وكان مضاعف مارث فكان مارث الذى هو أول شهر من شهور السنة الرومانية مقدسا عندهم وسموه بهذا الاسم اجلالا لاسم الاله مارث وكان موسم الحرب الاكبر فى قسم عظيم من هذا الشهر ويدخل هذا الموسم بيوم سباق الخيل فى ٢٧ من شهر فبراير وكانت أيامه المشهورة تعرف باسم تطريق الدرقات أو التروس فى ١٤ مارث وفى يوم الرقص

والنط بالسلاح فى الجمعيات والمجالس فى يوم ١٩ مارث وتطهير الابواق والطبول وتقديسها فى يوم ٢٥ مارث وفى مدة الايام الاول من الموسم يمشى اثنا عشر قسيسا مخصوصين بالاله مارث ومنتخبين من العائلات الشريفة يطلق عليهم اسم صاليون أو النطاطين من وسط الشوارع ويترنمون بالمغانى ويرقصون وينطون ويضربون على تروس فى أيديهم مصنوعة من البرنز فكانت الحروب تبتدئ بهذا الموسم ويعقب غلاق الحرب فى فصل الخريف موسم ثان تعظيما لمارث اسمه موسم تقديس الجيوش فى يوم ١٩ أقطوبر وكان لكيرنيوس أيضا موسم مخصوص به يجرى اشهاره فى ١٧ فبراير باحتفالات وشعائر عين المتقدمة

وكانت أيام تمام الهلال مقدسة لجوبتير وخلاف هذه المواسم كانت مواسم العنب وأيام أخرى مختلفة وكانت المواسم التالية للمواسم المتقدمة فى الاهمية هى المواسم المخصوصة بالغلال والعنب وبيان المدد المختلفة من السنة الزراعية وكان أول هذه المواسم يعقد فى ١٥ ابريل عندما يصير تقريب القربان الى طيلوس وهى الارض الناتج منها الغذاء ويعقد الثانى فى ١٩ منه وكان يقرب فيه القربان الى صيريص الهة النبت والنمو وفى ٢١ يقرب القربان الى باليس حافظة المواشى والاغنام وفى ٢٣ منه الى جوبتير حافظ النبيذ والخوابى أو الدنان الموجود فيها النبيذ من السنة الماضية وتفتح الخوابى أول مرة فى هذا اليوم وفى ٢٥ منه يتوسلون ويستغيثون الى رست العدو المبين لمواسم الحصاد وفى شهر مايه تشهر الاثنا عشر قسيسا الملقبون بلقب أرفال اخوان ثلاثة أيام عيدا الى ديا ديا يقدمون فيها الشكر والثناء على بقاء دوام خصوبة الارض والنظر بعين الصلاح والفلاح الى عموم الارض الرومانية وفى شهر اغسطس يعمل موسم الحصاد وفى شهر أقطوبر عيد العنب تشريفا الى جوبتير وكان يوجد فى شهر ديسمبر موسمان للشكر أول شكر منهما من أجل امتلاء أشوان الغلال ومخازن الحبوب والثانى موسم التقاوى والبزر فى ١٧ منه ويعمل عيد ثالث فى هذا الشهر احتراما لصغر زمن اليوم فى السنة وفيه تنزل الشمس فى ٢١ ديسمبر وكان انتهاء هذه الاحتفالات والاعياد السنوية بعمل عيد صغير اسمه لوبرقاليه أو عيد الذئب تجرى فى مدته بعض من طوائف القسس نحو المدينة متمنطقين بجلود التيوس ويضربون المتفرجين باسواط معقودة وبواسطة طرمنالياقريضة عندهم تعظيمه لطرمنوس اله الحدود أو الاشارات الارضية

وكان أكبر الهة الرومانيين عموما وأجلها خصوصا جانوس ذات الوجهين أى ديان اله الشمس هذا معظم عندهم من الابتداء فكان كل صباح تتقدس له البوابات والابواب وكافة المواسم والاعياد وشهر يناير الذى هو فى الاصل الشهر الحادى عشر من السنة الرومانية وكان معبودا قبل كل اله ومع ان شهر يناير كان يتلوا الشهر الاخير الا أنه كان مخصوصا لجانوس بسبب أن أشغال المزارعين فى ايطاليا الجنوبية كانت تبتدئ فى هذا الشهر وكانت تقرب له القربان فى اثنى عشر مذبحا وتقام شعار الاستغاثات والصلوات عند افتتاح كل يوم وكان أول يوم من شهر مارث أى أول يوم من السنة الجديدة الرومانية مقدسا لجانوس بالخصوص ويعتقدون أنه فى هذا اليوم تحصل بركة جديدة وخيرات عظيمة تبقى طول السنة وتحافظ فيه الامة على أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم وينظفون قلوبهم لاصدقائهم ويطهرونها بمنح هدايا وأعمال خيرية ويبتدؤن فى العادة بالاشغال والاعمال الخيرية ويسيرون على موجبها مدة السنة وكان هيكل جانوس مبنيا فى ذيل جبل قابيطولين بين المدائن القديمة الرومانية والمدائن الصابينية

وكانت الجيوش تسير من المدينة وتمشى فى الخلاء حتى تمر من أبواب الهيكل ثم تعود منها راجعة الى المدينة وتستمر هذه الابواب مفتوحة مادام الحرب موجودا كما ذكرنا سابقا

وأما ركان أوفولكان وهو اله النار وأفران تطريق الحديد فكان هذا الها آخر من ضمن الآلهة الكبيرة الرومانية وكان له عيدان أحدهما عيد تقديس الابواق وشد الطبول وآخر فى شهر اغسطس يسمى ولكانيا وأما فسطا الهة الكوانين وما يختص بمستوقدات البيوت فكانت أقل درجة ممن ذكر الا أنها كانت عزيزة عند الامة الرومانية لانهم كانوا يرون أنها منبع سعادتهم وفلاحهم الداخلى أى المنزلى فكان كل كانون أو وجاق مصنوع من الحجر فى أى بيت من بيوت الامة الرومانية يعد مزارا لها وكل أكلة تعد قربانا لها وفى كل دهليز أو مدخل بيت كان يوجد معبد أو صومعة تختص باللاريس يقدم فيها أبو العائلة أو رئيس العائلة خشوعه وخضوعه عند عوده من شغله الى البيت قبل أن يشتغل بأى شغل من الاشغال الواجبة عليه وكانوا يرون أن هؤلاء اللاريس هم أرواح أهل الخير والاحسان وعلى الخصوص أنهم أرواح أجدادهم أى أجداد العائلة وكان يوجد فى كل مدينة حفظتها من الآلهة أو لاريس عمومية تعبد فى هيكل واحد أو فى صوامع متعددة منشأة على وجه العموم فى تقاطع الشوارع مع بعضها ولا يظهرون اسماءها بل هى مخفية فى قلوبهم لان الرومانيين كانوا يعتقدون أنه لا يجب التفوه ولا الاباحة باسماء الآلهة الحافظة للمدينة خشية من عدو يعرفها فينادى الاله باسمه و يغويه على قبول مالا يكون موافقا من خصائصه وأما المسافرون وعابروا السبيل فكان لهم آلهة يعبدونها غير هذه ومن بعد أن تداخل الرومانيون مع الجريس وعاشروا الجريق ابتدؤا فى مخابرة كاهن دلفى مع الاستمرار وكانوا يعتبرون أنباءه وأقواله وما كان ينطق به مع الاجلال والاحترام وما كان عند الرومانيين الا كاهن واحد اسمه فاونوس كان جليلا عندهم وكان هيكله على جبل افنطين وكان يوجد أيضا كثير من الكهنة فى مملكة لاطيوم الا أنهم ما كانوا يعطون جوابا مقنعا شافيا وكانوا يؤكدون مقاصد الآلهة بواسطة الفال

وأما الكتب المقدسة الصيبلينية فكانت أجل المستحوذات النفيسة الثمينة عند الامة الرومانية فكانوا يعتقدون أنه صار مشتراها بمعرفة واحد من الطاركينيين من امرأة صاحبة سر خفى جاءت بها الى رومة وطلبت فيها ثمنا فائق الحد وكانت تسع كتب فى الابتداء فلم يقبل الملك مشتراها بهذه الاثمان الباهظة فاخذتها الصيبلة وتوجهت لحال سبيلها فاخفت منها ثلاث مجلدات وعادت بالستة الباقية الى الملك وطلبت فى ثمنها ما كانت طلبته فى التسعة فلم يقبل أيضا طاركين مشتراها منها فتوجهت وأخفت ثلاثة ورجعت بالثلاثة الباقية وطلبت الثمن الذى كانت طلبته فى التسعة كتب فقامت حمية الغضب فى رأس الملك واشتراها بما طلبت المرأة الصيبلينية فوجدها مشتملة على انباآت غيبية جليلة تختص برومة فى الازمان المستقبلة فوضعها تحت كفالة احدى المدارس المقدسة فى صندوق من الحجر تحت هيكل جو بتير قابيطولينوس فكانت تراجع بأمر من مجلس السناتو فقط فى الاوقات التى يحصل فيها الهياج والفتن الكبيرة وكانت المدارس المقدسة تشمل قسما جليلا من المذهب الرومانى وكان عددها ثلاثة وهى مدرسة الفال وكان أهلها موطنين باثبات مطالب الآلهة بواسطة طائرات الطيور والنظر فى أمعاء ومصارين الذبائح ثم مدرسة القناطر وكان أربابها هم المهندسين الرومانيين وموطنين بعمل حساب نتيجة الشهور السنوية ومباشرة كل موسم واحتفال وعيد دينى ومباشرة

الاعمال

الاعمال الواجب اجراؤها فى الايام المخصصة لها ويشعرون الامة بابتداء طلوع الهلال وتمامه وتتخابر معهم جميع الطوائف بشأن الاعمال اللازمة لها فى الايام الواجب اجراؤها فيها ويحافظون على كتب الحوادث والوقائع والتسجيلات السنوية وما يحصل فى المملكة من الوقائع والحوادث والاشغال فمن ثم كانوا هم مؤرخى المملكة ثم مدرسة السفراء أو المبعوثين وهم المنوطون بحفظ المعاهدات والاتحادات التى تعقد مع الامم المجاورة ولهم المكالمة على حسب رأى المملكة فى ربط معاهدات شرعية حقة وفى الاحوال التى يطلب فيها الرضا أو الحرب وكانوا هم المهندسين فى موقع واحد فى الاحوال الداخلية الديانية والقوانين الشرعية وكانوا منوطين أيضا بسن القوانين والشرائع ولو لم يباشروا اجراءها وتنفيذ أعمالها

وكانوا يطلقون على قسس كل آلهة مخصوصة اسم جمرة أو شرارة لانهم يحملون عناء نار تقريب القربان وكان أجل هؤلاء القسس وأكبرهم احتراما شرارة ديالس أو قسس جوبتير ومن بعدهم فى الدرجة قسس مارث وكيرينوس وكان القسس بواسطة الزهد والقناعة يتوصلون الى العيشة الطيبة المرضية التى تحفظ له شرفه ومجده فكانت هذه هى الهيئات الاصلية للديانة الرومانية وفى حالتها عند الملة وفى مبادى المداخلة مع الجريقيين زحفت التصورات الجريقية والخرافات اليونانية حتى غشت على عقول الرومانيين وغطت على أفكارهم وما كانوا عليه من اعتقاداتهم حتى صار كثير من آلهة الهلاس آلهة أصلية فى رومة

وانتهت سلطنة طاركين الاول فى سنة ٥٧٨ قبل الميلاد بقتله بواسطة مستأجرين من طرف أولاد أنكوس مرطيوس مؤملين حفظ التاج وتوطيده لانفسهم فكانت مساعيهم وقتل الرجل على غير طائل لهم واستخلف من بعد طاركين زوج ابنته أو صهره صرفيوس طوليوس وكان قائدا عطروسكانيا فضبط التخت مع الجسارة والشجاعة ولما نال صرفيوس بعض مظفرات جليلة على العطروسكانيين عزم على تغيير كثير من مواد القانون الراديكالى وكان كامل شوكة المملكة والسلطنة لحد هذا فى أيدى الاشراف وما كان للملك فيهما من شئ وعزم صرفيوس على أن ينشر الحرية على كافة الاحرار من التبعة ولما تم ترتيب نظام الجيوش جعله قاعدة أساسية لتنظيماته وشكل مجلسا جديدا وسماه المجلس الثانوى وقسم عموم الامة الرومانية الى طوائف على حسب درجتهم فى الثروة والغنية وقسم هذه الطوائف الى طوائف ثانوية حسب قيمة ما عند كل انسان من الاملاك وكل طائفة ثانوية مهما كان عدد نفوسها انما كان لها الاصوت واحد فى مجلس الامة فتولد من هذا زيادة نفوذ وشوكة لاهل الغنية والثروة الا أنه لو حصل اختلاف فيما بينهم وقعت طوائف الفقراء فى موقع الذل والمشاحنات وكل انسان من الرعية ملزم بأداء الخدمة فى الجيش على حسب ما عنده من الاملاك والعقار ومركزه فى الخدمة العسكرية على حسب درجته فى المعيشة التبعية أى بالنسبة لثروته ورتب صرفيوس الطوائف العالية فى الخدامة العسكرية فى صفوف الخيالة وقسمهم الى ثمان عشرة أورطة فالستة الاول منها من كل من العشائر الثلاثة الاصلية أى أورطتان من كل عشيرة فكانوا هم السادة أو الاشراف والاثنتا عشرة أورطة الباقية من الاغنياء وعوام الناس أهل الشجاعة والنجابة وكانت جميع العساكر الرومانية يحاربون مشاة ما عدا الخيالة وقسم مجموع الامة الى خمس فرق فكانت الفرقة الاولى مركبة من ثمانين وجعلهم من الذين لهم القدرة على تطقيم أنفسهم بطقومة حربية تامة من النحاس وجعل لهم الحذاء

الاول وقت المحاربة وتعبية العساكر ورتب أربعين بلكا من بلوكات هذه الفرقة من شبان الرجال من
عمر سبع عشرة سنة الى خمس وأربعين سنة وكانوا زهرة المشاة الرومانية وأما الاربعون بلوكا الباقية
فكانوا من رجال عمر الواحد منهم ينوف عن ست وأربعين سنة وكان هؤلاء معدين للمحافظة فى المدائن
والمعاقل وكانت الفرقة الثانية مقصورة على عشرين بلوكا وبمثل هذه الصورة رتب الفرق الباقية بلوكات
مثل الفرقة الثانية ماعدا الفرقة الخامسة فكان عدد البلوكات فيها اثنين وكانت الفرقة الثانية
تحارب مباشرة خلف الفرقة الاولى وكانوا لا يلبسون دروعا و يحملون تروسا من الخشب بدل النحاس
وما كان للفرقة الثالثة خود من نحاس ولا تروس للفرقة الرابعة وكانت الفرقة الخامسة عساكر مشاة
خفيفة وما كانت مشكلة قسما من الجيش وكان سلاح هذه الفرقة المقاليع والحراب وكان يطلب
من عموم هذه الفرق تطقيم أنفسهم فى وقت الحرب ومن بعد هذه الفرق الخمس أفقر رجال الامة وكانوا
يدعون فى الاحوال الكبيرة اللازم وجودهم فيها فكانوا يتسلحون على مصاريف الحكومة الرومانية
وكان محل اجتماع هذه الفرق والبلوكات وقت الطلب خارج أسوار المدينة فى ميدان مارث

وكانت الشعوب الرومانية لحد سلطنة صرفيوس هم شعوب طائفة السادة وهم الرامنيون والطيطيون
واللوسيريون وقسم صرفيوس المدينة الى أربعة شعوب والمملكة الى ستة وعشرين كورة أو اقليما
وجعل لكل شعب أملاكا خاصة به من دون مراعاة لدرجة الشرف والسيادة وكان محل اجتماع
الشعوب فى الفورم أى عند سراى الميدان على أن العشائر الريفية وأهل السواد ما كانوا على انشراح
خاطر من هذه الامتيازات لحد الازمان الاخيرة ورخص لكل شعب بان يكون لاهله حق الاجتماع
وحكومة نفسه بنفسه فكان كل شعب يعين من عنده حكاما ومفتشين وقضاة وما اكتفى صرفيوس
بهذه الترتيبات التى أعطى فيها العوام حق حكومة أنفسهم بل أناطهم بتعديل قيمة الضرائب
والعوائد المضروبة على الاراضى والعقارات وتجمع بواسطة مفتشين وتدفع بمعرفتهم الى خزينة
المملكة وأعطى محتاجى العوام قطعة من الارض العمومية المشاعة الموجودة فى ناحية عطروسكانه
من نهر الطيبر وكان استحوذ عليها فى حروبه الاولية وأعطاها لهم بطريق التملك من دون معارضة فتولد
من هذا الفعل الغضب الاكبر والحنق الشديد الزائد عند طائفة الاشراف وكانوا مغتصبين هذه
الاراضى فى السابق من المملكة كلا ومرعى لمواشيهم وأغنامهم فكانوا على غير رضا من تسليمها
ووسع صرفيوس أيضا حدود مدينة رومة وكانت رومة الاصلية موضوعة على جبل بلاطين فاستترت
جبال اسكلين وكوليان وافنطين بالمساكن والمبانى وكانت فى رستاق المدينة وضواحيها وكان الصابنيون
محتلين جبال قابيطولين وكرينال وفمينال فضرب صرفيوس هذه المبانى والعمارات مع ميدان واسع
خلفها بسور من استحكامات جديدة واستمر سور المدينة من دون أن يحصل فيه تغيير مدة تنيف
عن ثمانية قرون الى مدة سلطنة أورليان

ولما تم صرفيوس جميع اصلاحاته ونظاماته عزم على توطيد استمرارها دائما أبدا بكونه يتنازل عن شوكة
الملوكية فامر باجتماع الطوائف حتى ينتخبوا بحرية أصواتهم نائبين كبيرين يديران الحكومة
ويسوسانها وأن يكون انتخاب هذين الرئيسين لمدة سنة واحدة وعند انقضاء مدتهما ينتخبون آخرين
خلافهما بالطريقة بعينها الا أن انتقال الحالة من الحكومة الملوكية الى الحكومة الشورية الاهلية
ما كان سهلا بل حصل فيه سفك دماء وفقد أنفس فمن قبل أن يضع الملك رأيه فى موضع عمله اشتد

الغضب في وجه طائفة الاشراف على صرفيوس بسبب تغيير عوائدهم القديمة وثاروا وهاجوا تحت قيادة طاركين ابن الملك السابق وقتلوا صرفيوس في ديوان مجلس السناتو وأجلسوا طاركين على تخت المملكة وكان تاريخ وقوع هذه الحادثة في سنة ٥٤٣ قبل الميلاد

وكان لوسيوس طاركينوس صوبربوس اخر ملوك رومة فابتدأ في سلطنته بابطال عموم النظام الصرفياني وأعاد القوانين التي كانت جارية في مدة الملوك القديمة ومع انه ألقى مقاليد تاجه الى طائفة الاشراف الا انه ضيق عليهم في الجملة بواسطة الطوائف الاخر من الامة وأرغم فقراء الطوائف بالشغل في الاشغال العمومية التي كان أبوه شرع فيها بنفسه وجرد بعض التبعة من أملاكهم من دون أن يتخابر مع مجلس السناتو وفرقها على كافة الطوائف ملكية وعسكرية فكانت هذه حالة خارجة عن حد القانون وعمر عدة مجار وبلاليع في المدينة وتمم بناء هيكل جوبيتر على جبل قابيطولين وبنى مقاعد من الحجر في الملعب الاكبر للخيول وعقد معاهدة ودية وتجارية مع قرطاجنه وأضاف مواد عظيمة الى النظام والقانون الا ان ظلمه وجوره كان يأخذ في الزيادة سنة بعد سنة ولما ارتاب من الاشراف اتهم كثيرا منهم في شبهات وحاكمهم عليها بنفسه وحكم على بعضهم بالموت وبعضهم بالنفي من دون مراعاة حقوق مجلس الاستئناف وأخيرا آلت أحواله وأموره الى الاشكال والارتباك بفضيحة حصلت من ابنه صكطوس مع امرأة من الاشراف اسمها لوقريطيه فاستغاثت أهل لوقريطيه بالامة في أخذ ثارها فهاجت ثورة عامة تسبب منها ابطال الملوكية والغاؤها بالكلية وهرب طاركين من المدينة ونفي هو وجميع أقاربه من الممالك الرومانية في سنة ٥٠٨ قبل الميلاد وشك بعض متأخرى المؤرخين في انتساب الظلم والجور الى طاركين الذي ذكره مؤرخو الرومانيين في حقه الا أن ممن قال وهو الصحيح ان الرومانيين بعد هذا تعاهدوا وتحالفوا لانفسهم ولذراريهم بانهم لا يقبلون من الآن فصاعدا اسم ملك وصار هذا الاسم مبغوضا ملعونا في رومة أبد الدهر حتى ان يوليوس قيصر في القرون الاخيرة لم يتجاسر أن يلقب نفسه بلقب ملك مع انه عرض عليه هذا الاسم ثلاث مرار وكذا أوغسطس لما تشكل المملكة انجبر على الحيادة عن هذا اللقب الذي كانت تسمى به الملوك خشية من استحياء اسم الملك ثانيا ومع هذا فكان الملك من الاصل منوطا بوظيفة تقريب القربان فاستمر هذا الاسم في هذه الوظيفة لا غير ومن بعد أن كان اسم ملك في الدولة الرومانية أول درجاتها ومناصبها صار أوطأ وأدنى درجة من درجة أي نائب من نواب المملكة

وهذا جدول الملوك الذين تسلطنوا في رومة ومدة سلطنة كل واحد منهم

سنة	ملوك رومه
٣٧	رومولوس
١	فترة من بعد رومولوس
٤٣	نومه بومبيليوس
٣٢	طوليوس هوسطيليوس
٢٤	انكوس مرسيوس
٣٨	طاركينوس البكري
٤٤	صرفيوس طوليوس
٢٥	طاركينوس صوبربوس
٣٤٤	

ثلاثمائة وأربع وأربعون سنة

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من تشييد الجمهورية الى الحرب مع الفى أو القنطيانيين ﴾

القناصل الاولية ـ مبادى دخول النظامات الشورية ـ ضياع رومة نفوذها بواسطة تشييد الجمهورية ـ الحروب مع اللاتنيين والعطروسكانيين ـ غدر الاشراف ـ تعديهم على عوام الامة ـ سجن المديونين ـ انفصال العوام ـ توطنهم فى جبل صاسير اى الجبل المقدس ـ الاذعان لهم ـ عودهم الى رومة ـ صيرورة صوبوريوس كاسيوس قنصلا ـ القانون الاول لتقسيم الاراضى ـ ابطاله بواسطة الاشراف ـ اخراج العوام من القنصلية ـ أخذ العوام ثارهم ـ الحزب الفابى ـ قتل غنوثيوس ـ انتخاب فوليرو بوبليليوس قنصلا ـ القانون البوبليليانى ـ الحروب مع العوسكانيين والعطروسكانيين ـ حرب العوام من أجل حقوقهم ـ سنسناطوس ـ صيرورته مطلق التصرف وهزيمته العيقليانيين ـ النواب الاول ـ قوانين الاثنى عشر طرابيزه ـ ابيوس كاوديوس ـ قبضه على فيرجينيا فينة رومانية ـ ذبحها بواسطة أبيها ـ ثورة الرومانيين ـ سقوط ابيوس كليوديوس ـ انفصال العوام ثانية ـ ابطال النواب ـ عود العوام الى رومة ـ اجرا آت اصلاحية ـ هزيمة الصابنيين ـ عمل الامة موكب القناصل رغما عن عناد مجلس السناتو ـ عود سياسة الاشراف من بعد مدة قصيرة ـ انفصال ثالث للعوام ـ الانقياد لهم ـ عودهم ـ توظيف حكام ومفتشين عسكرية ـ تسجيل النفوس

ومن بعد أن صار طرد الطاركينيين من رومة شرع قواد الثورة وزعماؤها فى رمى أساس الجمهورية الرومانية وانهم ما أعادوا قوانين صرفيوس فقط بل أضافوا اليها اضافات عظيمة وانتخبوا قنصلين لوسيوس بروطوس وكان رأس الثورة وطارقينيوس قولاطينوس زوج لوقريطية بحرية أصوات الطوائف على نص قوانين صرفيوس فكان قولاطينوس نائب طائفة الاشراف وبروطوس نائب طائفة العوام وصار اعادة مجلس السناتو وكان صار ابطاله بواسطة طاركين مع عدد بلغ ٣٠٠ نفس من بعد أن أضافوا اليه نحو من ١٦٤ عضو المدة حياتهم صار انتخابهم من أغنياء فرقة الخيالة وكان الكثير منهم من العوام وكان طاركين ألغى ما لمجلس الاستئناف من الحقوق فصار احياؤها وعمت جميع الاحرار من الامة فتولد من هذه التنظيمات نقص فى شوكة المساواة والمعادلة بين الطوائف المختلفة فى المملكة وكان الاشراف على غير رضا عنها وكانت كراهتهم لطاركين وخوفهم منه ألزمهم وأحوجهم الى الملاءمة مع العوام والميل معهم لاجل توطيد مساعدة شوكتهم وقت الثورة عليه ومن ثم حصل منهم الانقياد الكلى للعوام بحيث يمكنهم أن يدعوهم عند ما تسنح لهم الفرصة فى القيام على طاركين وتسبب من النتيجة التى حصلت لرومة من انتقال الحالة من الملوكية الى الجمهورية أو الشورية ضياع شهرتها وسطوتها فى اللاطيوم وشغلت الاعمال الداخلية فى رومة أفكار كافة أهلها مدة طويلة ولم تجعل لهم وقتا يتداركون فيه توطيد سيادتهم وتقوية شوكتهم ومن ثم سقطت رومة من أعلى الاوج الى أسفل الحضيض بين مواقع أمم ايطاليا الوسطى ونكث اللاتنيون تبعتهم لرومة وهاج العطروسكانيون حربا عليها ومن المحتمل أن لارس بورصينه ملك عطروسكانيه أخضع رومة فى وقتها الى سلطته وطاعته عدة من السنين ومع أن الرومانيين رموا أناف العطروسكانيين وراء ظهورهم

الا أن الاراضى الرومانية التى كانت واقعة فى غرب نهر الطيبر ضاعت منهم وخرب القبائل والعشائر اللاتينية والصابنية والعوسكانية الاراضى الاخرى الرومانية من دون أن يجدوا أمامهم من يصدهم وكنسوا المحصورات والمحصولات وهدموا بيوت الزراعة وساقوا المواشى والانعام فتولد من هذه الخسارات الفقر الاكبر والموت الاحمر بين الرومانيين واشتد الضيق والعناء بالطبع على الفقراء خصوصا وكانت قطعتهم الارضية الصغيرة مقصورة فيما كانوا يملكونه مساعدة لهم فى المعنى على معايشهم واقامة أحوالهم الدنيوية

وقد ذكرنا أن اذعان طائفة الاشراف الى طوائف العوام فى وقت تشييد الجهورية كان من أجل عودهم الى محلهم فى رومة عند أول فرصة تسنح لهم وسنظهر استعطاف الاشراف وميلهم الى العوام فى الحوادث الواجب ذكرها من الآن فصاعدا وذلك أنه تولد من ضياع الاراضى الموجودة فى الجهة الغربية من نهر الطيبر والخراب الذى عم من الامم المجاورة فى الاراضى الرومانية من بعد اقامة وتشييد الجهورية فقر عام وضنك كبير وكذا فى هذا الوقت صار زيادة الضرائب المضروبة على الارض على انه لم يجر جبايتها على حسب التعديل الذى صار اجراؤه فى الابتداء وعلى حسب قلة الموجود والضنك المتسلطن فى هذا الوقت بل طلبت الحكومة خلاف هذا أن تجرى جباية الاموال لمدة خمس سنوات من دون حصول أدنى تأخير فالتزم طوائف الفقراء لاجل مداركة احتياجاتهم حسب الضرورة أن يقترضوا النقود بسعر ربح باهظ من الاغنياء وبعد هذا الاقتراض صارت الطائفة المديونة لا طاقة لها على سداد ما عليها من الديون فانتهز الاشراف لانفسهم الفرصة فى أن يقيموا عليهم أحكام القوانين الشديدة المخصوصة بالديون لاجل زيادة شوكتهم عليهم وانحطاط شوكة العوام وكان القانون الرومانى يرخص للدائن بالتصرف المطلق فى مديونه فكان يمكن لاى دائن أن يستخدم مديونه فى أشغال نفسه أو يبيعه مثل الرقيق حتى كان يمكنه أيضا قتله وباع كثير من الناس أنفسهم مثل الرقيق من أجل سداد ما عليهم من الديون وصارت ذراريهم من بعدهم بهذه الحالة أرقاء وأما الذين لم يقبلوا بيع أنفسهم وليس لهم طاقة على سداد ما عليهم من الديون فان دائنيهم ضبطوهم وسجنوهم وعذبوهم حتى يخرجوا من حريتهم الى رقهم وكان لكل واحد من الاشراف قصر وله فيه سجن محبوس فيه أرقاؤه واتفق فى هذه المدة طلب جمع العساكر فلم يقبل العوام درج أسمائهم للدخول فى العسكرية حتى يصير الافراج عن المسجونين فى حبوس الاشراف من أجل الديون فهنالك خضع الاشراف وسلموا فى ذلك الا أنه لم يمض كثير على هذا الضرر الاول الاجرا آت الوحشية ظهرت ثانيا فى الميدان على الطوائف المديونة فقطع العوام اليأس من معاشرة الاشراف فى سنة ٤٩٤ قبل الميلاد وتركوا رومة فى جموعهم واحتلوا جبلا فى الجهة المقابلة لنهر الطيبر يعرف فى الازمان الاخيرة باسم جبل صاسير أى الجبل المقدس ووجهوا عزمهم على بناء مدينة مخصوصة بهم يمكنهم أن يعيشوا فيها تحت قوانين وقواعد عادلة فظهر للاشراف بعد ذلك ما حصل منهم من الخطا البين ولما لم تسمح أنفسهم فى ضعف حالة رومة بواسطة انسحاب هذه الطائفة النافعة الكثيرة العدد والعدد منها دخلوا فى مخابرات مع أهلها ورخصوا لهم أن يكتبوا صورة الشروط التى بها يمكنهم عودهم الى المدينة والاقامة بها كما كانوا فكانت شروط العوام أولا ابطال الديون ومحوها عن كافة الاشخاص الذين لا طاقة لهم على سدادها من موجودات عقاراتهم ثانيا الافراج عن كافة المسجونين فى الحبوس من أجل الديون ثالثا توظيف حكام

ومفتشين من العوام ينتخبون فى كل سنة بواسطة مجمع حافل يكونون طاهرين من كل شائبة ويصير اعتمادهم فى الحكومة والاحكام بأنهم نواب الامة وأن تكون أشغالهم الواجبة عليهم من أجل المحافظة على حقوق العوام ع وما عند وصول مظالمهم لايديهم فتعين فى مبادى الامر اثنان لمثل هذه الحالة ثم وصل العدد الى خمسة وأخيرا وصل الى عشرة وكذا تعين من عدول العوام اثنان لمناظرة الشوارع والمبانى والاسواق واستتباب الامن والراحة والنظام فى المدينة وكانا يناظران أيضا الالعاب العمومية والمواسم والاعياد السنوية ويقضيان فى القضايا الصغيرة ومن بعد مضى مدة صار هذان محافظين ومراقبين على تنفيذ الاوامر الصادرة من السناتو وكان قبل ذلك اجراء هذه الاوامر غير مأمون وغير معمول به تحت يد الاشراف ولما استحوذ العوام على هذه الحقوق العظيمة للامة من هذه الحادثة عادوا الى محلاتهم القديمة فى رومة وفى سنة ٤٨٥ قبل الميلاد قدم القنصل صبوريوس كاسيوس لائحة تتضمن تقسيم بعض الاراضى الشائعة بين العوام وسيلة لمنع العناء والضيق عنهم فى المستقبل وذكر أيضا فى هذه اللائحة انه عند ما يصير استخدام عوام الامة فى العسكرية يدفع لهم مرتبات من أجل خدمتهم تؤخذ من عشور المحصول الجارى جبايته بواسطة الحكومة من حساب الاراضى المستأجرة من طرف الحكومة للاشراف فعارضه فى ذلك القنصل الآخر واتهم كاسيوس بانه جار فى البحث عن اكتساب محبة العوام له كى يكون ملكا على المملكة على أن اجراآت القانون الاول وهو قانون تقسيم الاراضى كان صار التصديق على العمل بمقتضاه فلما عزل كاسيوس من الوظيفة بعد انتهاء سنته قويت شوكة الاشراف جدا حتى أصدروا حكما بقتله بصفة أنه رجل خائن بلاده وكانت جريمة كاسيوس الحقيقية هى كرم التفاته للفقراء والمحافظة على حقوقهم من خرابيش الاشراف وأنيابها

وفى هذه الحالة كشف الاشراف برقع الجسارة عن سياستهم وأخرجوا العوام من خدامة القنصلية وأبقوا الانفسهم حقا فى انتخاب هؤلاء الحكام من أنفسهم وطلبوا من العوام فقط التصديق عليه ورفض القناصل الذين صار انتخابهم بهذه الحالة قبول العمل على حسب قانون تقسيم الاراضى فما كان من الامة الا أنهم رفضوا أيضا الدخول فى العسكرية وخدمتها ودافع عنهم حكامهم فعقد القناصل مجالسهم خارج المدينة وما كان فيه لحكام العوام وجود وقرروا أوامرهم بضبط أراضى وعقارات الذين رفضوا الدخول فى العسكرية فالتزم العوام بهذه الحالة على الدخول فى الجيش لاجل خلاص أملاكهم التى وقعت عن غير رغبة حكامهم ومع أنهم مازالوا فى عدم اجبار من دخولهم فى الجيش الا أنهم أخذوا بثارهم وعدوا الاشراف من أشد أعدائهم وضايقوا عليهم حتى هزمهم القنطانيون

ثم استمر فابى نقيب حزب الاشراف قابضا على زمام القنصلية مدة ست سنوات وفى سنة ٤٧٩ قبل الميلاد لما صار كاسو فابيوس قنصلا طلب اجراء العمل على حسب قانون تقسيم الاراضى الذى كان قرره كاسيوس وكان مضمرا فى ذلك أنه ان حصل عدم العدل مع عوام الامة ربما يتولد من ذلك اضطرابات وقلاقل تعود آفاتها على المملكة فما قبل الاشراف طلبه مع الانفة والكبر يا فترك فابى رومة مع جماعة بسبب ما حصل عندهم من الغضب وشيدوا لهم مستعمرة صغيرة فى عطروريه ومن بعد مضى سنتين سار القنطيانيون على مستعمرتهم وقتلوا من بها من الرجال وخربوها ومازال القناصل

مصريين وممنوعين من اجراء الاعمال على حسب قانون تقسيم الاراضى حتى تعرض لهم فى ذلك الحاكم غنوسيوس فى سنة ٤٧٣ قبل الميلاد فارتعد الاشراف مما حل بهم من البلاء الذى هددهم به غنوسيوس فأمروا بقتله فى الليلة التى قبل الليلة التى سيجرى الشروع فى صبحها فى فحص هذه المسئلة المتعلقة بالتقسيم فتسبب من ذلك اشتداد غضب العوام ولما صدر أمر القناصل بجمع عساكر جديدة رفض فولسيرو بليليوس وكان رئيس فرقة الدخول فى ضمن العسكرية واستغاث بحكام العوام فى المدافعة عن حقوقه فخاف الحكام من عاقبة ما حصل لغنوسيوس وترددوا فى أمرهم فدعا فولير والامة لمساعدته وأثبت حقوقه لديهم فهاجت ثورة كانت سببا فى طرد القناصل وتوابعهم من الفورم وفى السنة التالية أى فى سنة ٤٧١ قبل الميلاد صار انتخاب فولير وقنصلا ولحد هذا الوقت كان جاريا انتخاب القناصل بواسطة عموم الامة فى جمعيات حافلة وكان للاشراف قدرة على انتخاب من يختارونه لانفسهم بكثرة أصوات أتباعهم أو عود من يحبون عوده الى الحكومة القنصلية فعرض فولير ولائحة قانون ترخص للامة انتخاب نوابهم وطلب فى هذه اللائحة أن يكون انتخاب الحكام بواسطة العوام لاغير وقت اجتماع الشعوب فى ميدان الفورم فعرفت هذه اللائحة بلائحة قانون بوبليليوس فكان ذلك فائدة عظيمة فيما يختص بأمور الامة الا أنه صار رفضها من طرف طائفة الاشراف تحت رياسة أبيوس كاوديوس مع غاية الشدة والغضب والكبرياء وكان كاوديوس أحد القناصل وهاجت الفتن والارتباكات حتى أشرفت رومة على الوقوع فى حرب داخلى

وبينما كان الطائفتان فى شقاق ونزاع بينهم من أجل الشوكة والنفوذ فى داخل المدينة اذهاج الحرب على رومة من طرف الفواصيين والعيكيين وهما أمتان عسكانيتان استحوذا على قسم عظيم من اللاتيوم واقتحموا فى زحفهم حتى صاروا على مسافة قليلة من رومة نفسها وفى عين هذا الوقت كان القى أو القنطانيين وهم أمة عطروسكانية زحفوا الى الجهة المقابلة من الطيبر وأزعجوا جبل جانيكولوم فانجبر أهل السواد على الهرب أمام هذه الغارات والتجؤا فى داخل أسوار رومة فنشأ من كثرة هذا الزحام طاعون أو وباء أضيف عناؤه ومضايقاته الى المضايقات الحاصلة من الحرب فقام الغضب والزعل فى رؤس وجوه بعض أهل المدينة وكانوا أقوى وأشد من حزب الاشراف فأخرجوهم من رومة فافتكر الاشراف فى أنفسهم انهم يكونون فى اتحاد ثابت مع أعداء بلادهم حتى يهزموا العوام وينشروا شوكة طائفتهم ثم انفجر الطاعون مرة ثانية فى رومة وكنس من أهل المدينة الجم الغفير وفى هذا الوقت مد العيكيون والفواصيون تدميراتهم وخرابهم الى حد أسوار المدينة وحصل القحط والغلاء الشديد فى داخل المدينة وكل هذه الاحوال كانت واقعة عندما كان الاشراف مجدين ومكدين فى عدم نقص ماهم فيه من الكبرياء والشوكة والنفور وكان العوام مراقبين انتهاز الفرصة بشدة فى اثبات حقوقهم ووضعهم تحت قواعد ثابتة فتولد من هذه الارتباكات الداخلية أن ضعفت رومة ضعفا زائدا حتى صار لاطاقة لها على أن تقف لحظة واحدة مقاومة لغارة تحصل عليها من أى عدو من أعدائها فكانت هذه الحالة مستوجبة طبعا الاصلاح جديدا ووجود نظامات قوية فعرض الحاكم طرنطيليوس هارصه فى سنة ٤٦٢ قبل الميلاد فى طلب عقد مجلس مركب من خمسة من الاشراف وخمسة من العوام نواب عن طوائفهم يناطون بتنقيح القوانين الموجودة ويحددون فيها للقناصل حكومة وسلطة تحت حد ويسنون نظاما شافيا جامعا للعدل والانصاف بين كل من طائفتى الاشراف والعوام فقابل الاشراف

هذا الطلب بعدم القبول مع الشدة والغضب وامتدت هذه الحالة فى اشكال لمدة عشر سنوات أشرفت فيها رومة على الدمار والخراب الكلى وكذا أشرفت عدة مرات على أن تقع فى أيدى الفولصيين فاجتمع ذات يوم فرقة من الرقيق تحت يد رجل صابينى اسمه ابيوس هردونيوس وضبطوا العاصمة وطلبوا عود المنفيين من أهل المدينة فطرد هؤلاء من سراى العاصمة أهل المدينة وأعادوها كما كانت لاصلها

وكان من ضمن أعظم الوجوه المطرودين من رومة كاسو كنكطيوس بن لوسيوس كنكطيوس وكان أبوه يلقب سنسناطوس (أبو جدائل) لانه كان يضفر شعره جدائل وذوائب طويلة وكان صار طرد كاسو بسبب ما كان عليه من شدة تمرده على الحكومة والصحيح أنه قتل فى الحرب عند العاصمة وكان قتل فى هذا الحرب أيضا القنصل الذى دبر حرب الهاجمين فصار انتخاب سنسناطوس خليفة من بعد هذا القنصل فلاجل أخذه بثار ابنه أعلن أنه لا يجب العمل مطلقا بموجب قانون طرنطيلوس مادام موجودا فى نفس هذه الوظيفة وانه يرغب أن يبذل مجهوده فى منع التئام المجلس المخصوص لعمل هذا القانون ولما رأى مجلس السناتو وأهل القوة من الاشراف أن اجراآت سلطة القنصل بهذه الحالة رعاية ولدمنها زيادة نفور العوام نفروا منه وتباعدوا عنه ولما انتهت سنة سنسناطوس أو أبو جدائل عاد الى زراعة أطيانه وكان يزرعها بنفسه وان كان من الاشراف ثم من بعد مضى سنتين لما ضايق العيكيون رومة أشد المضايقة فى سنة ٤٥٨ قبل الميلاد أرسل السناتو فى طلب أبو جدائل لاجل الشروع فى هزيمة العدو وبواسطة ما يلزم له من الاستعدادات فوجده الرسل راكبا على محراثه فوصلوا له رسميا نتيجة لائحة مجلس السناتو بتوظيفه وتعيينه مدافعا عن رومة فقبل ما اعتمده المجلس فيه وأسرع الى رومة وحشد جيشا فى يوم واحد وسار فى المساء التالى الى نحو العيكيين فأوقع بهم شر هزيمة وعاد فى اليوم الثانى الى رومة متوجا بالنصر والظفر ونفذ أغراضه فى نفى من كان سببا فى نفى ابنه ثم سلم وظيفة الحماية وعاد الى زراعة أرضه

وتوقف الامر من أجل اجراء العمل على حسب قانون طرنطيلوس ست سنوات وفى سنة ٤٥٢ قبل الميلاد سلم الاشراف وأذعنوا لاجراء الاعمال على حسب هذا القانون وانتخبوا عشرة نواب جميعهم من الاشراف الائمة كانوا معروفين بعفة النفس ومعتمدين عند طوائف الامة وعهد اليهم كامل سلطة المملكة ونفوذ شوكتها وقتذاك وعرفوا هؤلاء باسم النواب الاول وفى أثناء المجادلة فى خصوص سن القوانين أرسل مبعوثين الى الجريس لممارسة القوانين والشرائع التى أجرت هذه المملكة العمل على موجبها فى أشغالها واجراآتها فعاد هؤلاء ومعهم واحد من علماء الجريس اسمه هرمودروس من أهل مدينة أفسوس فساعد هذا العالم الجريقى النواب مساعدة جليلة فى أشغالهم وأعمالهم حتى جعلوا تعظيما له وتذكرة لاسمه مدا الدهر تمثالا فى الجمعية الرومانية وعرف القانون الذى سنه النواب باسم قانون الاثنى عشر طرابيزه وصار أنموذجا لكل قانون رومانى وأجريت الاعمال على موجبه عدة قرون متوالية وصار الغاء جميع المصالح الموجودة فى المملكة وشيدت حكومة جديدة مركبة من أربعة عشر من النواب نصفهم من الاشراف ونصفهم من العوام انحصرت فيهم شوكة المملكة وتنفيذ قوانينها وكانوا ينتخبون بمعرفة الطوائف وتصديق طائفة الاشراف ويتقلدون الوظيفة لمدة سنة واحدة وكانت مواد القانون منشورة وعامة على كل ذى روح فى المملكة ومرضية عند عموم الطوائف

مطلب قانون الاثنى عشر طرابيزه

والاحزاب

والاحزاب واستمر الرومانيون عدة من القرون راضين بالعيشة متمتعين بالراحة تحت ظل أحكام هذه القوانين

ولما رأى الامة أن التغيير فى هيئة الحكومة جار بحالة غير مرضية ووجدوا أنهم رتبوا عشرة من القناصل بدل اثنين وألغوا الحماية التى كانوا متمتعين بها فى مبادى أمرهم بواسطة حكام منهم كما سبق ذكره أقام أبيوس كلوديوس أحد النواب المستخدمين سلطته على أقرانه بالقوة والشهامة حتى آلت الحالة به أن صار سيد رومة فجار فى حكمه وتعدى على الامة وألجأهم الى القيام عليه فى ثورة

مطلب
ابيوس كلوديوس

وكان سبب هذا القيام أنه كان من ضمن التلامذة الذين كانوا يتوجهون الى المكتب يوميا فى مدرسة الفورم قينة جميلة اسمها فيرجينيا كانت ذاهبة مع دايتها الى مدرسة الفورم فرآها ابيوس كلوديوس وهى ماشية فى الطريق فشغف بحبها وصمم على الاستحواذ عليها فقبض عليها فى الفورم وزعم انها جارية لاحد أتباعه وانها مولدة من امرأة كانت جارية فى بيته صار بيعها الى زوجة فيرجينيوس وما كان له ولد منها فرفض رفقاء فيرجينيا هذا الكذب الملفق واتحدوا مع بعضهم لاجل خلاصها مع جم غفير من الناس فانجبر حواشى القنصل على اخلاء سبيلها وجلب رفقاؤها شهودا على براءة ساحتها من الرق امام المحكمة القنصلية فى اليوم الثانى وأثبتوا أنها ابنة فيرجينيوس وكان أبوها مشهورا ورئيسا فى فرق العسكرية وكان غائبا مع الجيش أمام طوسقولوم فأخبروه بهذه الحكاية وما وقع لابنته وطلبوه للحضور فى الحال فركب حصانه طول الليل حتى وصل رومة فى وقت الصباح وتوجه الفورم مع ابنته ورفقائها فمن شدة ما كان عند أبيوس من الغضب والعشق قال يلزم مراعاة القينة رقيقة حتى تثبت حريتها على أن القانون الموجود الذى حرره بنفسه وجرى العمل به يقضى على انه لا يجب الحكم على أحد بالرق حتى يفحص عن رقه ويثبت فلما رأى فيرجينيوس أن القانون يحكم عليه باقامة الدلائل والبراهين وعرف بعين اليقين أنه ربما أن هذا الظالم يأخذ ابنته منه رغم أنفه بصفة رقيق أخذها فى ناحية من الناس بصورة الكلام معها وخطف سكينة جزار من أحد الواقفين فى الفورم وغمدها فى قلبها فوقعت قتيلة ثم قال يابنتى بهذا لى طاقة على حفظ حريتك فقط ثم دور وجهه نحو أبيوس وقال له هذا الدم البرىء ملعون على رأسك فأمر القنصل بالقبض عليه فى الحال فلم يلتفت أحد لقوله ولم يتقدم لمسكه انسان وأسرع فيرجينيوس من الفورم الى الجيش فى طوسقولوم فقام الجيش لاغاثته ومساعدته وسار نحو رومة وقام أيضا اسيليوس وكانت فيرجينيا مخطوبة له بالجيش الآخر من نواحى فدنية فأما الجيش الموجود تحت قيادة فيرجينيوس فانه دخل رومة وسار من وسط شوارعها حتى وصل جبل أفنطين وطلب من الامة أن ينتخبوا لانفسهم عشرة حكام من أجل المدافعة عن حقوقهم وأما الجيش الذى تحت قيادة أسيليوس فانه أبطل النواب وكانوا معه وانتخب أيضا عشرة حكام وسار نحو رومة وانضم الجيشان الى بعضهما وانتخب العشرون حاكما اثنين من أنفسهم لشغل الباقين ورتبوا محافظة قوية فى افنطين ثم ان جميع العوام اصطحبوا بالجيش وتركوا المدينة واحتلوا الجبل المقدس وشرعوا فى بناء مدينة لهم جديدة

ولحد هذا الوقت ما كان للسناتو طاقة على رفض أى أمر أو أى عمل يصدر من طرف النواب فتولد من انفصال العوام عنهم الالتزام بالمعارضة ورفض ما لا يوافق اجراؤه ثم انقسمت رومة الى قسمين وبهذه القسمة صار لا أمل للاغراب فى مقاومة أعدائها الذين يحبون الهجوم عليها فاذعن السناتو للعوام

ورضى العوام بالعود الى رومة على شرط ابطال النواب وكان ذلك فى سنة ٤٤٩ قبل الميلاد وصار عزل ابيوس كاوديوس ورفقائه ووضع مع واحد من رفقائه فى السجن حتى ماتا فيه وهرب الباقون من رومة وضبطت الحكومة أملاكهم وجاء من بعد النواب حكومة مؤلفة من قنصلين صار انتخابهما بواسطة طوائف الامة بحرية الاصوات وعادت حكام العوام كما كانت قبل تشكيل النواب وزاد عددهم الى عشرة وأعطى للامة حقوق الاستئناف فى مجلس العدالة وقت توقيع أى الاحكام من القناصل وصار العدول محافظين على الاوامر التى تصدر من السناتو واطلاع المجلس على حقائق ودقائق الاعمال خشية الوقوع فى أكاذيب النواب وصار من المسنونات المعدودة أن يكون للحكام الحق فى سن القوانين الابتدائية بالمداولة مع العشائر والشعوب فى الاحوال العامة المهمة

وكان أول قنصلين صار انتخابهما لهذا العمل الخطير هما فاليريوس وهوراطيوس وكانا من الاشراف حائزين وثوق العوام واعتمادهم فى أعمالهم فكان أول عمل واجب عليهما هو قيادة الجيوش وسوقها على الصابنيين وكانوا قووا أنفسهم بما هو حاصل من الاختلالات والارتباكات فى داخل رومة وأغاروا على الاراضى الرومانية فأوقع بهم القنصلان هزيمة حاطمة حتى ان الصابنيين صار لا طاقة لهم بعدها على تجديد أى سعى ضد رومة مدة قرن ونصف ولما عاد القنصلان الى رومة استنكف مجلس السناتو أن يعمل لهما الموكب المرتب لدخولهما حال عودهما من الحرب مظفرين لانه من شدته وقوته وميله لحزب الاشراف رفض قبول كل منحة من الشرف والاكرام تعطى لمحبى الامة فمن أجل هذا اجتمع الامة فى ناديهم وأقاموا موكبا للقنصلين رغما عما أجراه مجلس السناتو من عدم القبول وما كان عليه من العناد فانجبر مجلس السناتو على أن يذعن ويسلم فى اجراء المهمات المقبولة عند الامة فى المقاصد الخيرية

ثم عادت شوكة الاشراف ثانيا وعارضوا اجراء القوانين الجديدة مع الحدة والشدة حتى ان العوام انسحبوا من المدينة واستوطنوا فى هذه الدفعة جبل جانيكولوم من بعد أن عبروا الطيبر فى سنة ٤٤٤ قبل الميلاد فحصل التوافق والرضا ثانيا وعادوا الى المدينة وصدرت لائحة ترخص بالزواج الشرعى بين الاشراف والعوام وقرروا فيها أن الاطفال المولودين من هذا الزواج يتبعون درجة آبائهم فى الشرف ويكون لهم الحق فى وراثتهم ومع هذا فكانت أشغال القناصل مسدودة فى وجوه العوام وانقسمت شوكتهم وشرفهم فى خمسة أشخاص غير متعادلين فى الدرجة اثنان منهم مفتشان والثلاثة الاخر حكام عسكرية وقال بعض ان عدد هؤلاء الحكام كانوا ثمانية اثنان مفتشان والستة حكام عسكرية وصار انتخاب هؤلاء الحكام بصوت حر من الشعوب الا أن المفتشين صار انتخابهما من طائفة الاشراف والحكام العسكرية من الطائفة الاخرى ورجح الاشراف انتخاب الحكام لمدة ست سنوات وفى أثناء هذا يكون انتخاب المفتشين بطريقة نظامية وأول انتخاب حصل الشروع فيه كان انتخاب الحكام فى سنة ٤٣٨ قبل الميلاد وشق على كثير من الامة توطيد انتخابهما فى مدة الثلاث سنوات المتوالية وكانت علة الاشراف أن أوقات الانتخاب غير موافقة وفى سنة ٤٣٣ قبل الميلاد لما صار أميليوس محافظا أمر بصدور لائحة قانون يحدد فيها مدة المفتشين ثمانية عشر شهرا وكانوا يوظفون مرة واحدة فى كل خمس سنوات فمن ثم صارت هذه الوظيفة خالية مدة القسم الاعظم من هذه المدة وكان للمفتشين سلطة كبيرة جدا فأمروا أن يكون تعداد نفوس التبعة مرة فى كل خمس سنوات من بعد توظيف الحكام مباشرة فى

المصلحة وكان يعقب حصول التسجيل أو تعداد الانفس عيد كبير يسمى عيد الطهارة ومن ثم كان يطلق على مدة الخمس سنوات المحصورة بين كل تعدادين اسم مدة الطهارة وكان للمفتشين حكم وقدرة على أن يمحوا من الدفاتر من يختارونه من التبعة وكانت شوكتهم منتظمة حسبما هم فيه من تأدية الواجبات المفروضة عليهم فكانوا يشطبون من الدفاتر أسماء قبحاء السلوك وكان لهم الحق فى أن يضيفوا من كان مستحقا للشرف والذكر الجميل وكانوا هم قضاة وشهودا فى القضايا التى كانت تعرض عليهم وكانوا يعاقبون التابع الذى يقع منه الظلم والجور فى حق عائلته و يجردونه من سعادته وكذا الذين يعاملون رقيقهم باسوء المعاملات فكانوا يجردونه من درجة شرفه وكانت هذه معادلة للتجريد من السعادة فى حالة ما اذا كان الجانى مدنيا ومن هنا يظهر أن أحكامهم كانت مع العدل والمقاصد الخيرية وتولد من غيرتهم وكراهة الناس فيهم ارتباك عظيم فيما بعد والله أعلم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من ابتداء الحرب مع الفى الى طرد البيرهوس من ايطاليا ﴾

مبادى الحرب مع مدينة الفى أوفى ـ فتح كاميلوس مدينة فى ـ نفور الرومانيين وتضجرهم ـ اغارات الغليين فى داخل ايطاليا ـ فتح رومة وخرابها ـ حصار الكابيتول ـ خلاص رومة بواسطة اوزة ـ فداء المدينة ـ انجلاء الغاليين ـ ظفر كاميلوس ـ اعادة عمارة رومة ـ غلط الرومانيين ـ الشروط الصعبة التى صدرت من الحكومة ـ عناء الامة ومضايقاتها ـ القوانين الليصينيانيه ـ اغارة الغليين ثانيا وهزيمتهم بواسطة كاميلوس ـ الحرب الاول السامنيتى ـ سير الجيش نحو رومة وعرضه طلبات تختص بالعوام ـ اذعان الحكومة ـ التغلب على اللاتينيين ـ الحرب الثانى السامنيتى ـ هزيمة الرومانيين عند درب كودين ـ مصائب رومة ـ كشف هذه المصائب ـ التغلب على السامنيتيين ـ سيادة رومة فى ايطاليا وشوكتها ـ اتحاد اللاتينيين ـ خضوع العيك ـ الحرب الثالث السامنيتى ـ ذبح القنصل دصيوص فداء عن بلاده ـ التغلب الاخير على السامنيتيين والصابنيين ـ بلايا عوام الامة فى رومة ـ عرض كوريوس دنطاطوس قانونا ثانيا لتقسيم الاراضى ـ الانفصال الرابع للعوام ـ اذعان طائفة الاشراف ـ القوانين الهورطانسيانيه ـ الحرب مع الطرنطونيين ـ ظهور بيرهوس فى ايطاليا ـ الحرب الاول بين الرومانيين والجريق ـ ايجاد الطرنطونيين لياقة السيادة فى بيرهوس ـ مظفراته الاولية ـ خيبته فى خضوع الرومانيين واللاتينيين فى الانضمام معه ـ عدم قبول رومة عقد معاهدة معه ـ وقائع حربية ـ ضعف بيرهوس ووهنه ـ توجهه الى صقلية ـ نجاحه فيها ـ عوده الى ايطاليا ـ مصائبه ـ تركه ايطاليا وعوده الى الجريس ـ تغلب الرومانيين على ايطاليا الجنوبية ـ عمارها بمستعمرات رومانية ـ الطرق والسكك الرومانية ـ السكة الابيانية ـ طريقة العمار الرومانى ـ قبول العوام تعادل الاحكام فى رومة

وفى سنة ٤٠٥ قبل الميلاد هاجت رومة حربا على الفنطيانيين وكانوا أضر وابها ضررا مؤلما فى أثناء

مدة اختلالاتها الداخلية واستمرت هذه الحروب مدة عشر سنوات حتى انغلقت فى سنة ٣٩٢ قبل الميلاد بواسطة تغلب كاميلوس الحاكم من بعد مجاهدات شديدة على مدينة فى وكانت هذه المدينة على مسافة عشرة أميال مستقيمة من رومة وما كانت أقل منها فى البناء والهيئة وكانت مستحوذة على أراض واسعة خصبة جيدة الحصول بعضها جبلية وبعضها سهلة وهواؤها نقى صاف على جودة من الاعتدال فى الصحة وأراضيها خالية من المستنقعات والمناقع التى يحدث منها ثقل هواء الطقس وما كان يجاورها نهر يجعل هواء صباحها فاسدا وهى مع هذا غزيرة المياه النابعة من عيون طبيعية جيدة للشرب وكانت محفوظة بأسوار قوية ينيف دائرها عن خمسة أميال فكان التغلب على هذه المدينة من أصعب المشروعات التى أجرتها رومة التى لم يسبق لها مثلها ومن بعد التغلب عليها استمرت العداوة بين الرومانيين والفنطيانيين جارية حتى تولد منها استمرار الجيش فى ميدان المحاربة المدة الباقية من سنة التغلب ثم تولد من استمرار العساكر فى الخدمة العسكرية تجند جيش ثابت صارت له أهمية جليلة فى المملكة الرومانية ولاجل راحة الامة مما هى فيه من النفور والضجر أذعن لها مجلس السنا وأذعانا قويا وكان من ضمن هذا الاذعان زيادة عدد الحكام العسكرية بقدر الضعف ثم زالت هذه المشاحنات بغتة بعصبية جديدة هاجت على رومة وذلك أن شعوب الغليين وكانوا ابتدؤا فى الهجوم على جبال الالب فى نحو سنة ٤٠٠ قبل الميلاد وتغلبوا على ايطاليا الشمالية وعلى القسم الاعظم من عطرورية ثم زحفوا فى داخل وادى نهر الطيبر فى عدد عظيم لا يغلب وهزموا كامل القوة المجندة من طرف رومة على شواطئ نهر اليا ثم زحفوا على المدينة فالتجأ الجم الغفير من الاهالى والسكان والهاربين من الجيش المهزوم فى مدينة فى وأما القسس والعذارى القديسات فانهم هربوا الى مدينة كورية فى عطرورية وهرب وجوه الاشراف وكبراؤهم فى العاصمة عازمين على الاحتماء بها والمدافعة عنها الى اخر حياتهم ودخل الغليون المدينة فوجدوها خالية من أهلها وسكانها ماعدا أعضاء مجلس السنا فانهم بقوا بالكونواقربانا لآلهة جهنم من أجل سلامة بلادهم فذبحهم المتبربرون عن آخرهم وحرقوا المدينة وحاصروا العاصمة فاستمر هذا الحصار مدة ثمانية أشهر وفى نحو غلاق هذا الحصار اجتهد الغليون وعزموا على الهجوم على المحافظين ليلا ولما وصل أول رجل من طليعة الهجوم الى حرف الجبل المبنية عليه العاصمة ولم يره أحد لان الحرس كان على سنة من النوم من شدة التعب وألم الجوع لكنهم خلصوا من هذا الهجوم وسلموا منه وفاقوا الانفسهم وكان سببه أن سرب الاوز المقدس المخصوص الى جونو جفل من مشى هذا الرجل وزعق زعيقا مهولا فاستيقظ من صراخ الاوز مركوس موليوس فاقتحم بنفسه الى الامام ودفع الرجل الاول الهاجم من فوق حرف الجرف وحفظ الجرف حتى وصل اليه رفقاؤه لمساعدته وصدوا الهجوم عن العاصمة ولما كان المحافظون على وشك الموت من الجوع وكذا كان الغليون مشتاقين الى السفر الى بلادهم لانهم خسروا كثيرا من رجالهم من افراطهم فى شرب المسكرات وتعرضهم للاهوية المضرة بالصحة وتزلزلت أقدامهم من ورود الاخبار التى جاءت اليهم بغارة الفنطيانيين على أملاكهم وبلادهم فى ايطاليا الشمالية عقد الغليون صلحا وفدى الرومانيون مدينتهم بان دفعوا للغليين قيمة ألف جنيه من الذهب وتقهقروا عنهم عائدين الى بلادهم فتعقبهم كاميلوس وكان أعيد للحكم ثانيا فقطع كثيرا منهم والظاهر أنه استرد قسما عظيما من الغنائم والاسلاب التى اغتنموها وحكى كثير من الحكوية أنه أبادهم جميعا وانتصر عليهم نصرة جليلة ومع هذا فحكاية هذا

الجيش الغليقى حكاية ملفقة لانه لو فرض أن مثل هذه المصيبة وقعت عليها الابادة شوكتها بالكلية ومحت أثرها من ايطاليا فالذى لاريب فيه أن رومة ماذاقت وحدها شدة هذا العناء والمصائب بل وقع كثير من المدائن مثلها فى أشد من هذا العناء بالنسبة لاحوالها لان الغليين لم يضروها على حدتها بل أضروا أولا العطر وسكانيين ومن ثم خلصت رومة من كل ضرر كان يحل بها من جهة عطرورية ثم نشر الغليون بعد هذا تخريباتهم وضررهم على بلاد الاومبريانيين والصابنيين واللاتينيين والعيكيين والفلصيانيين وأذاقوها شدة العناء والمضايقة مثل الذى ذاقته رومة ومن ثم ما كان أعداء الجمهورية على عزم ضعف وخراب رومة وحدها

ثم تسبب من النتيجة التى حصلت مباشرة لرومة من اغارة الغليين عليها انتشار نكبة ومحنة عامة وقعت فيها وصارت المدينة أطلالا وآكاما وكذا الاقاليم الريفية صارت فى حالة كئيبة يرثى لها فكان أول شئ وجب على الرومانيين اجراؤه عود بناء منازل المدينة وأماكنها ومساكن الفلاحة والزراعة ورخصت الحكومة من طرفها للاهالى فى أخذ الاخشاب اللازمة للعمارات وسقوف المبانى من أورمانتها وغاباتها وكذا أحجار البناء من محاجر قطع الاحجار التابعة للحكومة بغير ثمن أو عوائد وأصدرت أوامرها بان كل انسان يلزم أن يتم عمارته ومحل سكنه فى ظرف سنة وأخذت من الاهالى رهونات وكفالات على ذلك العمل وما كان لكثير من الاهالى طاقة على اتمام بناء مسكنه فى المدة التى قررتها الحكومة فغرموا ما وضعوه من الرهن للحكومة والتزم الفقراء على قرض نقود بارباح مضرة بهم اقترضوها من الاغنياء ليدفعوا تكاليف ومصاريف البناء ويدفعوا العوائد الوافرة التى ضربتها عليهم الحكومة وأمرت بجبايتها لاقامة مصاريف اعادة الاسوار والاستحكامات والهياكل والمعابد التى خربت وتدمرت فعاد الاغنياء ثانيا أرباب الحل والعقد والسيادة المطلقة على الفقراء والمساكين وصار عود القانون الشديد المختص بالدائنين والمدونين للعمل به مرة أخرى وتولد من حصول السرعة التى شرعت الحكومة فى اجرائها من أجل مداركة توطيد وقيام المبانى وعود المدينة كما كانت حصول الارتباك العام الذى لا يمكن معه مد خطوط الشوارع الاصلية بما أنها مشحونة بكيمان الانقاض والرتش وما أخذت الحكومة الاحتياطات اللازمة ولا الاسعافات الواجبة فى نقلها الى جهات أخرى وبناء الاهالى مساكنهم ومنازلهم فى الجهات التى يمكنهم فيها البناء على أرضها وكانت خالية نوعا من الانقاض وكيمان الرتش أو التى يسهل أخذ الانقاض منها وتنظيفها نوعا فمن ثم لما التصقت المساكن بعضها فى البناء لتشكيل الشوارع والحارات صارت الشوارع ضيقة ومعوجة مكسرة وفى أقبح منظر وركبت الابنية على خطوط المجارى والترو وارات والارصفة الاصلية القديمة وخلت المدينة من مجارى تصفية المياه واستمر فى المدينة عدم التنظيم حتى صار بناء رومة مرة أخرى من بعد الحريقة الكبرى التى حصلت فيها فى مدة سلطنة الامبراطور نيرو ثم حصلت بلية أخرى هددت المدينة وأرعبتها وهو الرغبة العمومية التى حصلت من الامة من أجل بقائهم فى مدينة فى بما لهم الطاقة على المعيشة فيها خالصين من الظلم والجور الواقع عليهم من طائفة الاشراف فبواسطة ما كان لكامليوس من السلطة والنفوذ منع هذا الانفصال الا أنه لم يزل كثير من الناس غير قابل للعود الى رومة حتى ان كثيرا من العطر وسكانيين سكنوا رومة بدلا منهم ومنحوا من الاراضى الرومانية وصار لهم حقوق المدينة

ولما أخذت مصائب الامة وآفاتها مأخذا كبيرا بذل مركوس منايوس مجهوده في خلاص الامة من هذه المصائب ومن سوء حظه طمع في فعل ما يكون فيه المنفعة التي بها يحصل له التقدم فصار القبض عليه وصدر الحكم بقتله فرفضت الامة حكم القتل عن رجل كان سببا في خلاص العاصمة من أيدى الاعداء الا أنه فيما بعد حكم عليه بسبب ما ارتكبه من خيانات فعلها فرمى من فوق صخرة طاربي فهلك ثم ازدادت الآفات واشتد الكرب على العوام حتى ترااى أنه من البديهى لابد من حصول الخراب والدمار لرومة ان لم يتدارك هذا الكرب الشديد فعرض كل من ليصنيوس سطولو من أغنياء العوام ويتصل بالنسب مع حزب الاشراف وسكسطيوس من العوام أيضا وكان توظف حاكما في سنة ٣٧٦ قبل الميلاد لائحة تتضمن خلاص الامة من هذا العناء العام ورغبا قبل كل شئ في مداواة الفقر العام ثم اصلاح الادارة والاحكام الغير المتعادلة الكاسبة بصعوبة شديدة على طائفتهما وكانت صورة لائحتهما أولا ـ ان مبالغ الارباح الجسيمة التي صار دفعها من طرف المدونين يجب مراعاة دفعها من أصل مبلغ القرض ويلزم اسقاطها من المبالغ المطلوبة من المدونين ثانيا ـ ان الباقى المطلوب من المدون لدائنه يجب دفعه على موجب تقاسيط تقسط عليه لميعاد مدة ثلاث سنوات ثالثا ـ لاجل الاحتراز من الوقوع في الفاقة ومضايقات الفقراء في الاحوال القابلة يلزم أن تعطى الاراضى الشائعة للعوام وأن تكون داخلة في ملكهم مطلقا وأن كل مالك أرض لايملك زيادة عن ٥٠٠ يوجيره أى ٣٠٠ فدان ويلزم كل مالك أرض أن يستخدم في فلاحته شغالة من الاحرار بنسبة ماعنده من الاطيان وأما انتظام الادارة وحصول المساواة بين أفراد الامة فيجب فيها عود القنصلية على شرط أن يكون أحد القناصل كل سنة من طائفة العوام ولاجل توطيد الأمن للامة يجب زيادة عدد محافظى الكتب الصبلينية الى عشرة أشخاص خمسة منهم من العوام فرفض طائفة الاشراف قبول هذه اللائحة مع الشدة والغضب واستمرت الحالة على ما كانت عليه الى سنة ٣٦٧ قبل الميلاد حتى انه صار التصديق على هذه اللائحة رسميا من السنا وجرى العمل بموجبها وكذا مجالس الكور باطه فكان أول قنصل من طائفة العوام على مقتضى نص هذه اللائحة سكسطيوس وتوظف في هذا الوقت حاكمان جديدان وهما بريطور من حزب الاشراف وكورول عدبلى وتعشم أصدقاء الامة في أن حقوقهم صارت مأمونة العاقبة من دون ريب الا أن طائفة الاشراف صرفوا النظر عن هذه القوانين الليصنيانية بطريقة غير شرعية واستمروا عشرين سنة ينتخبون الاشراف خاصة لاشغال القنصلية حتى انه في ظرف أربع عشرة سنة من العشرين سنة كان من الاشراف أحد وعشرون قنصلا ومن طائفة العوام سبعة قناصل فقط ولما حصل عدم المساواة بين الطائفتين على حسب الاتفاق ورأى العوام ما حصل لهم من الغش الفاضح واستيقظ الاشراف على انه ربما يتولد من سبب خفيف انفجار زوبعة في المستقبل كانوا أعدوا ما واستعدوا لها بسبب ما هو حاصل منهم من عدم العدل والانصاف وجرى الاحوال على غير مساواة فاجتهدوا في التباعد عن هذه البلايا بعقد صلح مع كافة جيرانهم ودعتهم الضرورة لطلب الجيش في رومة الا أن مطامعهم كانت مستحكمة على عقولهم وحاكمة عليهم حتى أوقعتهم أخيرا في حرب مع السمنيتيين فانتهز العوام الفرصة التي كانوا يراقبونها من مدة طويلة

وفي غضون هذه المدة عزم الغليون على الاغارة مرة ثانية على ايطاليا الوسطى في سنة ٣٦٧ قبل الميلاد

فهزمهم كاميلوس ومن بعد مضى بضع سنين عادوا ثانيا وعسكروا على مسافة خمسة أميال من المدينة لكنهم هدموا معسكرهم بسرعة على حين غفلة وساروا الى داخل كامپانية من دون أن يمسوا رومة بسوء ولما عادوا من وسط اللاتينية هجم عليهم الرومانيون وشتتوهم وفى سنة ٣٥٠ قبل الميلاد انضموا الى الجريق قطاع سبل البحر على الساحل لاجل نهب البلاد وسلبها فهزمهم فوريوس كاميلوس ابن الحاكم وشتتهم الى الجهات الشمالية وفى سنة ٣٤٦ قبل الميلاد عقدت معاهدة بين الرومانيين والغليين ومن بعد هذه المعاهدة ما حصل منهم اغارة على ايطاليا الوسطى مرة أخرى

وكان السامينيون من عهد زمن قبل طرد الطاركنيين من رومة قطنوا مثل متغلبين فى الاراضى الجبلية الواقعة بين السهول الاوليانية والكامپانية وهذه السهول محكومة بتلك الجبال وكان الكامپانيون فى درجة سامية من التمدن ورفاهية العيش ودخلوا فى العوائد والآداب الهلانيقية وذاقوا الشدائد والمصائب الكبيرة من أهل بلادهم الخشنين وهم السامينيون سكان الجبال فكانوا ينزلون دواما عليهم من مرتفعات وهضاب جبالهم ويخربون السهول الظريفة الخصبة من كامپانية فأرسل أهل كامپانية لرومة يطلبون منها المساعدة على السامينيين وقدموا لها أن يكونوا رعية وحلفاء لها لو منحتهم مطلوبهم وكانت رومة فى هذا الوقت على صلح من السامينيين الا أن ما عرضه الكامپانيون على الرومانيين غرهم على التردد فى نكث هذا الصلح وكذا كان السامينيون فى هذا الوقت فى شوكة كبيرة فى ايطاليا الجنوبية وما كان لهم عدو ألد الا الرومانيون فى هذه الجهة فرأى الرومانيون أنهم لو رفضوا المحالفة المقدمة لهم من الكامپانيين ربما يتولد منها تقويتهم على الرومانيين وأن قبولها ربما يكون فيه وسعة لزيادة الاراضى الرومانية فعقدت رومة معاهدة مع كامپانية وأرسلت جيشين رومانيين الى تلك الجهة فى سنة ٣٤٣ قبل الميلاد وفى هذا الوقت أغار اللاتينيون محالفو رومة على مملكة بلغنيا وهددوا السامينيين وأزعجوهم من الجهة الشمالية لهم فمن هذا تولد البدء فى الحرب المسمى بالحرب الاول الساميني وحاز الرومانيون الظفر فى أعمالهم العسكرية وقضوا فصل الشتاء فى كامپانية فتولد من غيبة العساكر عن المملكة مضايقات شديدة لعائلاتهم وأهليهم وكانوا ما زالوا تحت أحمال وأثقال ديون الفقر فتسلطن النفور والغضب فى الجيش وقامت الحمية فى رؤوس العساكر ثم زاد هذا النفور فى السنة التالية حتى صار عصيان عساكر العوام وعزموا على فصل مسئلة المنازعة الطويلة الجارية بينهم وبين طائفة الاشراف فاجتهد القناصل فى توزيع الجيش بالتدريج قبل حصول هذه الثورة وانفجار المصائب فرفض الجيش التوزيع وقام فى الثورة مرة واحدة وسار من معسكره قاصدا رومة وطلب رسميا مطاليب الامة نظر لما هو حاصل عندها من الكرب والعناء الشديد فاسرعت الحكومة فى جمع من يقاوم هؤلاء العساكر العاصية ويصدها عن حركتها فلم يقبل من جمعه ضرب اخوانهم والتزم طائفة الاشراف بالانقياد لطلبات الامة ومن بعد مخابرة طويلة عرض واحد من حكام العوام اسمه جنوصيوس عدة قوانين قبلها كل من الطائفتين وجعلت أساسا لاستتباب الراحة بينهما وأعيد النظام والقانون الليصينيانى فعلا وعملا وقوعبت طائفة الاشراف بما كانت عليه من العتو والشوكة والجبروت بان صار انتخاب القنصلين على موجب نص مادة فى القانون من العوام دائما وأن لا يصير انتخابهم أبدا من الاشراف ومن فى هذا القانون أيضا أنه لا يرخص لاحد من العوام الدخول فى مصلحة واحدة مرتين فى ظرف عشر سنوات ولا ينتخب فى مصلحتين فى ظرف سنة واحدة ولاجل

الخلاص من البليـة العظمى العمومية صار الغاء جميع الديون التى ما كانت رفعت وأنه لا يجوز قانونا قرض نقود بربا وأرباح من الآن فصاعدا

وفى أثناء هذه القلاقل ترك اللاتنيون الحرب مع السامنيين ونجحوا فى أشغالهم نجاحا زائدا حتى أعلنوا بالاستقلال من رومة فعقدت رومة صلحا مع السامنيين فى سـنة ٣٤١ قبل الميلاد وقوت نفسها بدخولها فى الاتحاد المارسيانى وهو اتحاد المدائن الصابينية ووطد اللاتنيون محالفتهم مع الكامبانيين والسيديثنيانيين والفلصيانيين وأما السامنيون فانهم حادوا عن الحرب وأجمعوا مساعيهم فى مد حدود أراضيهم الى الامام فى داخل الاراضى الفلصيانية فاستمر الحرب بينهم ثلاث سنين وانتهى بوقائع الحرب الاول السامينى ووقعت الواقعة الفاصلة لهذا الحرب تحت ذيل جبل فيزوفيس فذبح الرومانيون على نصرتهم قنصلهم العامى وهو بوبليوس ودسيوس قربانا للآلهة وكان سمح فى نفسه بالذبح كما أخبر بذلك كهنة الفال حيث قالوا ان عواقب هذا الحرب تحتاج الى تقريب قربان اما القائد واما الجيش أجمع ثم ان اللاتنيين وحلفاءهم تعصبوا مرة أخرى فهزموا بسهولة وما كان لهم من بعد هذه الهزيمة قلب ولا قوة على السعى مرة أخرى على رومة وانفسخ الاتحاد اللاتينى واستبدلت نظاماته الداخلية بالقوانين والعوائد الرومانية فى كل جهة من الجهات اللاتينية وكان اللاتنيون من جنس واحد ولسان واحد مع الرومانيين فازالوا العداوة والبغضاء من بينهم وكانت هذه وقتية ومحنة ذاتية وخضعوا لسلطة رومة من بعد مضى مدة استمرت بينهم فى الغضب والزعل واشتباك الحرب

وتولد مما كان حاصلا من نفور اللاتنيين والعداوة بينهم لرومة حرمان الرومانيين من الشروع فى أى حرب مهم مدة الاثنى عشرة سنة التى جاءت بعد وكذا بواسطة ما حصل من الغارة من اسكندر صاحب ابيروس على ايطاليا سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وكان اسكندر هذا هو ابن أخى اسكندر الاكبر وكان جاء للغارة على السامنيين فعقد الرومانيون معه معاهدة وكانوا فى هذا الوقت على استعداد للحرب معه لو تجاسر بنفسه وخاطر بالغارة على أراضيهم لانهم كانوا متحققين من اغارته عليها لو حصل له نجاح وظفر بالسامنيين فانهزم وقتل فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد وفى هذا الوقت صارت رومة سيدة اللاتينيوم وكامبانيه وحفظت حدودها من جهة عطروسكانيه من أى هجوم يقع عليها بواسطة معاهدة عقدتها واستشعرت فى نفسها بأنه صار لها قوة كافية على التغلب على السامنيين وكانوا هم وحدهم ينازعونها فى الجهات الجنوبية من ايطاليا فابتدأ الحرب الثانى السامينى فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد واستمر الى سنة ٣٠٤ وكانت مباديه جور رومة وتعديها على أراضى السامنيين وكانت بغيتها الظاهرية بلوغها سلطتها على البحث جزيرة فاصطف أمامها تقريبا جميع أمم ايطاليا فى حذاء واحد وتحالفوا بعضهم على عدم وصولها الى مآربها الشارعة فيها واستمر هياج الحرب مدة خمس سنوات مع الضعف والوهن وكل من الطرفين محافظ على قوته من التلف والخسارة فكان الرومانيون لهم فى مبادى الحرب الظفر والنصر وفى سنة ٣٢١ قبل الميلاد أوقع السامنيون على أخصامهم شر هزيمة لم تحصل لهم قبلها وتحمل الجيش الرومانى عناآت شديدة ومصائب وأهوالا فريدة وذلك أن الرومانيين تحت قيادة القنصلين صار الهجوم عليهم عند معبر أودرب كودين وهو بوغاز جبلى بين نابولى وبنفنطوم فانهزموا بعد أن تلف نصف العسكر وسلم الباقى ثم عتق بونطيوس ملك السامنيين بعلو همته وسعة

كرمه هؤلاء المأسورين على شرط عقد صلح معتبر يلزم التوقيع عليه من القنصلين والاثنين حاكما الامة الحاضرين مع الجيش فاجريت هذه الشروط وتجرد الرومانيون من سلاحهم ومروا من تحت سيف الملك قائلين خضعنا وأطعنا ثم خاصهم بونطيوس من الاسر وأرسلهم الى رومة فصرف السناتو النظر عن فضل هذا الملك وعلو همته وطرحه الرومانيون وراء ظهورهم لان السناتو حالما استحوذ على عودعا كره رفض ربط نفسه تحت شروط معاهدة عمات على حدود غير قانونية فأما الذين وقعوا على هذه المعاهدة فانهم هربوا من رومة وذهبوا اعرايا الى بونطيوس فلم يقبلهم بونطيوس وما اعتبر بانهم مسؤلون عن ذمة هذه الامة الرومانية وهاج الحرب على ما كان عليه وفى سنة ٣١٥ قبل الميلاد انتصر السامنيون نصرة عظيمة ثانية فى نواحى لوطوليا وظهر من وقائع الحرب أن حالة رومة صارت مقطوعة اليأس حتى ان محالفيها تركوها الا قليلا منها وعصت عليها كامبانية وتحالف العوصونيانيون والقلصانيون مع السامنيين وفى سنة ٣١٤ قبل الميلاد عاد المدد الى رومة وذلك أن الرومانيين بذلوا نفوسهم وما فى طاقتهم وجندوا جيشا قويا فى الميدان فهزم هذا الجيش السامنيين هزيمة تقشعر منها الابدان فى واقعة حصلت بينهم فى نواحى سناحتى ان الجيش السامنى انحطم حطمة انقطع عوده منها ولما صار الحرب على وشك الغلاق حصل من العطروسكانيين والعسكانيين والاومبريانيين بذل الجهد فى صد رومة وعجزها من أن تكون سيدة ايطاليا وصار كل منهم يجرى حركاته على حدته ومع ان هذه الاعمال امتد بها الحرب الى مدة تنيف عن عشر سنوات زيادة على المدة المتقدمة الا أنهم انهزموا على وجه التفصيل أمة بعد أمة وفى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد خضع السامنيون لطاعة رومة وأما الامم الاخرى فانها عقدت صلحا معها وصارت رومة فى هذا الوقت أول أمة فى ايطاليا وكانت الامة السامنية أساتذة الرومانيين فى الآداب والمعقولات لكونهم مكثوا مدة طويلة مذللين أنفسهم لتلقى التهذيبات الجريقية والعلوم الفلسفية وأنواع الآداب الجريسية الحضرية وأما الرومانيون فانهم كانوا تنازلوا عن حقوقهم فيها السلطة على الحيث جزيرة وفى السنة الثانية من الحرب تولد من نفور اللاتنيين الذى كان حاصلا من قبل عداوة جهرية ومبارزة ظاهرة فاستصوب الرومانيون اجراء سياسية الارتباطات الودية وكان حصل من الحزب النافر من اللاتنيين فى رومة تحزب شديد فاثبتت رومة أن عملا قاتها لم تكن اسما فقط بل فعلا وعملا وتوظف فلقيوس قائد الحزب المتحزب قنصلا فى هذه السنة وبهذه الاعمال الجليلة صار اللاتنيون فى اتحاد واحد مع رومة وانتهت قلقلة المنازعة بين اللاتنيين ورمة

وفى نحو غلاق الحرب الثانى السامينى هيج العيك حربا على رومة وفى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد لما لم يوجد عند الرومانيين عمل بواسطة ما حصل من اجراء الصلح فى هذه السنة أغاروا على الاراضى العيكية فى ٤٠٠٠٠ مقاتل وفى ظرف خمسين يوما تغلبوا على احدى وأربعين مدينة وخربوها وأخذوا كثيرا من الاسرى باعوها فى أسواق الرقيق وما بقى من أهل العيك صار رعية للحكومة الرومانية ومن بعد مضى بضع سنين صاروا تبعة رومانية ودخلوا فى الحروب مع الرومانيين على السامنيين ولما انغلق الحرب الثانى السامينى فى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد صرف السامنيون الخمس سنوات التى جاءت من بعد الحرب فى ترتيب اتحاد ايطاليانى يعرف باتحاد المدائن الايطاليانية وهى عطروسكانية وأومبريانية والغليون من الجهات الشمالية والسامنيون واللوقانيون ومعظم المدائن الجريقية من الجهة الجنوبية وتحالفوا جميعهم وتعاقدوا على كراهة عمومية وبغضاء فى قلوبهم سوية لرومة

وفى سنة ٢٩٨ قبل الميلاد كان مبدأ الحرب الثالث السامينى وذلك ان الرومانيين أغاروا على كل من عطرورية وسامنيوم مرة واحدة فهزموا العطروسكانيين فى نواحى فولاطيرا وفى مثل هذا الوقت تغلبوا على بوفانيوم وفيدينه فى الجهة الشمالية من سامنيوم وفى السنة التالية انتصر القنصل فابيوس نصرة جليلة على السامنيين وأما رصيوص القنصل الآخر فانه هزم الابوليانيين واللوقانيين وأرغمهم على الانقياد الى رومة وكانت أعمال السنة التالية غير مهمة الا انه فى سنة ٢٩٥ قبل الميلاد زحفت القوى المتحدة من الغليين والعطروسكانيين والاومبريانيين والسامنيين نحو رومة وما حصل من جسارة الرومانيين وثباتهم نجاهم من هذه الواقعة وهو أنهم أبقوا جيشا تحت الاحتياط فى مملكتهم لملاقاة هجوم أو غارة تحصل عليهم من جهة ما من الجهات وأرسلوا جيشا آخر الى عطرورية فارتعدت فرائص العطروسكانيين والاومبريانيين واشتد بهم الخوف على سلامة بلادهم فطلبوا عساكرهم فتقهقرت هذه القوى المتحدة عابرة جبال الابنين فتبعها الجيش الرومانى الآخر وهجم عليها فى نواحى سنطينوم وحصل بين الجيشين واقعة دموية قرب فيها القنصل دصيوص نفسه قربانا فداء عن أهل بلاده من بعد نصرة الرومانيين كما فعل أبوه فى واقعة جبل فيزوفيس وانتصر الرومانيون وأوقعوا بالمتحالفين شر هزيمة وخسائر جسيمة نحو ٢٥٠٠٠ نفس وكانت هذه الواقعة هى الواقعة الفاصلة فى الحقيقة وكسرت شوكة الاتحاد وتفرق من بعضه وانسحب الغليون الى بلادهم ولم يشتركوا فى الحرب من بعدها أبدا واشتغل الرومانيون الحروب فى عطرورية وسامنيوم كل على حدتها فقاوم السامنيون مع الشجاعة والمهارة وفى سنة ٢٩٢ قبل الميلاد هزم بونطيوس ملك السامنيين الجيش الرومانى تحت قيادة فابيوس جورجيس ولاجل اطفاء غضب الرومانيين الذين سعوا فى حرمان فابيوس الذى كان قنصلا من قيادته عرض أبوه فابيوس مكسيموس نفسه للخدمة بالنيابة عن ابنه فكانت النتيجة من بعد تعيينه أن حصل الظفر والنصر المبين فى السنة التى جاءت بعد وانكسرت فيها شوكة السامنيين عن آخرهم وأسر بونطيوس ملكهم ثم وقف الحرب قليلا واجبر السامنيون على التسليم بغير شروط وأضيفت قطعة من أراضيهم الى أراضى رومة وتولد من ضعف السامنيين أن صار وارعية حليفة للجمهورية وأشهر الرومانيون نصرتهم بارغام بونطيوس الذى أعتق بعلاة همته وكرمه كامل جيشهم قبل ذلك بتسع وعشرين سنة على كونه يمشى مثقلا بالحديد على رجليه فى موكب النصر الذى عقد للقنصل ثم بعد ذلك قتلوه وفى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد وفى نفس هذه السنة تغلب القنصل كوريوس دنطاطوس على أراضى الصابنيين وكانوا عضدوا السامنيين على الرومانيين وأراضيهم هذه مشحونة بغابات شجر السنديان أو البلوط وكثيرة الزيتون والعنب فانتقلت جميعها الى حوزة الجمهورية

ومع أن هذه الحروب كانت على غاية من الظفر والنجاح الا أنه تولد منها اعناء شديد ومضايقات أكيدة على عوام الامة من كثرة المصاريف التى صرفوها فى فداء المأسورين وأضرت بهم وكذا تولد من طول غياب الناس عن أعمال الزراعة ووقوع المزارعين فى الخراب والدمار فلاجل كشف هذه البلية العمومية قدم كوريوس دنطاطوس لائحة جديدة فى تقسيم الاراضى الشائعة فيما بين فقراء الرومانيين فعارض طائفة الاشراف هذه اللائحة بحدة وشدة حتى صار كوريوس على خطر كبير من حياته مع أن هذه من أكبر الخدم الواجبة عليه فى حق الرعية فكان كلما ازدادت معارضات الاشراف ازدادت بمثلها طلبات الامة مع الكبرياء وعلو الهمة حتى انفصل العوام أخيرا من رومة ووطنوا أنفسهم على جبل

جانيكولوم ومازال طائفة الاشراف مصرين على عدم قبول هذه اللائحة حتى هددتهم الحروب الاجنبية وكان ظهورالهم انها قريبة الوقوع فاذعن مجلس السناتو الى منحه طلبات الامة وتوظف هرطنسيوس وكان من عائلة قديمة من العوام حاكما فعرض القوانين المشهورة المسماة بالقوانين الهرطنسيوسية فحصل التصديق عليها من الامة بصوت واحد فالغى أو نقص مقادير وافرة من الديون التى لم يصر رفعها وأعطى سبع يوجيرات من الارض لكل واحد من التبعة ومنع مجلس السناتو من أن يكون له صوت فى العموم وأعلن بان يكون اجتماع الامة فى نواديها فان اجتماعهم هذا هو الشوكة السامية والقوانين الكافية وكان ذلك فى سنة ٢٨٦ قبل الميلاد

ثم انفجرت بعد ذلك بلية جديدة على الجمهورية وهى مكافأة اللوقانيين على ما أدوه من خدماتهم وأعمالهم التى أجروها فى الحرب السامنى فمنحهم الرومانيون المدائن الجريقية الداخلة فى أرضهم لكن عندما دخل اللوقانيون فى معاهدة مع البروطيانيين ابتدؤا يسعون فى اخضاع هذه المدائن فاستغاثت مدينة طورى بروما فى المدافعة عنها فاجابت رومة طلب سكانها وضاع من اللوقانيين والبروطيانيين الغنيمة التى كانوا عدوا بها وبذل سكان طرنطيوم جهدهم فى ترتيب اتحاد على رومة وكانوا على غيرة شديدة من سلطة رومة فانتهزوا فرصة غضب الممالك الذين حرموا من صيدهم وجلبوهم معهم فى هذا الاتحاد وفى سنة ٢٨٣ قبل الميلاد رأت رومة نفسها بان أراضيها مهددة من العطروسكانيين والاومبريانيين والغليين من الجهة الشمالية وبالسامنيين والبروطيانيين واللوقانيين من الجهة الجنوبية وبقيت عرطيوم وحدها صديقة لرومة فصار محاصرتها بجيش اتحادى من عطروسكانية وغلية فأرسل القيصر ميطلوس من أجل خلاصها فانهزم وخسر كامل جيشه فأرسل الرومانيون رسلا من طرفهم لاجل معاتبة رؤساء الغليين فى نقضهم شروط المعاهدة فقتل الهمجيون هؤلاء الرسل شر قتلة فأخذ الرومانيون بثأرهم مع شدة البطش وذلك أنه أغار جيش رومانى تحت قيادة القنصل دولابلا على أراضى الغلية وخربها وحرق جميع القرى وقتل الرجال وساق النساء والاطفال الى أسواق الرقيق ومحيت هذه العشائر من دفاتر قوائم الامم الايطاليانية فارتعب بويان الغلية وقامت حميتهم فى رؤسهم بسبب ما حصل لاخوانهم من الدمار وحملوا السلاح للاخذ بثارهم وضموا قواهم الى القوى العطروسكانية وسارت هذه الجيوش المتحدة على رومة فهزمهم الرومانيون وخسروا خسارات جسيمة وقت عبورهم من نهر الطيبر بالقرب من بحيرة فاديمو الصغيرة

وأما فى الجهة الجنوبية فانه صار بقاء جيش صغير رومانى فى مدينة طورى على غاية من الخطر والصعوبة وفى سنة ٢٨٢ قبل الميلاد رفع القنصل جايوس فابريسيوس لوسينوس الحصار وهزم اللوقانيين فى واقعة خطيرة وأعقبها بهزيمة السامنيين والبروطيانيين فتولد من هذه المظفرات كسر ظهر الاتحاد فى الجهة الجنوبية واستحوذ الرومانيون على مبالغ وافرة من الغنائم والاسلاب كافلة بكامل المصاريف التى صرفوها فى الحرب وزيادة وأخذ كل عسكرى نصيبا عظيما منها وبقى مبلغ وافر فى الخزينة الرومانية يعادل نصف مليون دولار من النقود الامريكانية كل دولار يساوى روبيتين هندية وربع

وأما طرنطيوم التى كانت سببا فى هذا الحرب فانها ما دخلت فيه بل اجتهدت فى رمى المصاعب والاعمال على الذين تحالفوا معها الا أن رومة لم تنخدع من وجود طرنطيوم فى هذه الحيادة وأرسلت أسطولا يطوف حول الطرف الجنوبى من الجيش جزيرة ويراقب حركة الطرنطيين وأشغالهم وللمداخل

الاسطول فى البحر الادرياطيقى رسا فى مينة طرنطيوم وكانت لا تزال فى صلح مع رومة فاشتعلت نيران العداوة فى قلوب الطرنطيين وقاموا بعوامهم وأوباشهم وساروا نحو المينة وهجموا على الرومانيين وأوقعوا بهم وغرقوا مراكبهم ثم ساروا نحو طورى وطردوا منها محافظى الرومانيين وعنفوا سكانها وعاقبوهم أشد العقاب بسبب خضوعهم للجمهورية فتبصر الرومانيون فى العواقب وتداركوا أمرهم بالكف عن الحرب مع طرنطيوم على شرط خلاص المأسورين الذين أسروهم وعود مدينة طورى على ما كانت عليه وتسليم الذين كانوا سببا فى أصل الهجوم على الاسطول من غير داعية فلم تقبل طرنطيوم هذه الطلبات وأخذت على نفسها نيابة جميع المدائن الجريقية الموجودة فى ايطاليا ودعت بيرهوس ملك أبيروس لمساعدتها فأجاب بيرهوس فى الحال دعوتها وكان طبعه المتعب لا يسمح له فى البقاء والسكون على هدوء وسرور وراحة وعبر فى سنة ٢٨٠ قبل الميلاد البحر الادرياطيقى وأغار على ايطاليا فى رأس جيش مؤلف من ٢٢٥٠٠ من المشاة و ٣٠٠٠ من الخيالة و ٢٠ فيلا وكانت هذه أول مرة شوهدت فيها الفيلة فى ايطاليا وكان بيرهوس نال فى السابق التاج المقدونى ثم ضيعه فى مبادى أمره وكانت نظامات جيشه على حسب القواعد المقدونية وكان محرزا كامل القيادة فى عصره وكانت سجاياه الشخصية تفوق سجايا كل ملك فى عصره وكان هو أول جريقى اتفق مع الرومانيين فى الحرب وبه شرع الذين باشروا الارتباطات بين رومة والهلاس وتأسس عليها جميع نتائج الاعمال القديمة والقسم الاعظم من الاعمال الاخيرة فى التمدن والحضارة الاخيرة وكان أول حرب صار اجراؤه بين جيش كبير وفرقة صغيرة وبين عساكر بالمرتبات الشهرية أى أجرية وجيش مملكة وبين ملك حربى وحكومة شورويه وبين أرباب شجاعة وقريحة وأمة شديدة البطش وهاجت وقائع هذا الحرب بين بيرهوس والقواد الرومانية ومع أن الطائفة المهزومة كانت تمد بأمداد كل يوم فكان يظن كل يوم يعقب آخر أن فيه انفصال الحرب وظن الطرنطيون أن ملك أبيروس يحارب حروبات من أجلهم ومن بعد خلاصهم ايتركهم متمتعين براحة أنفسهم ورفاهية عيشتهم وعلو درجتهم لكن بيرهوس أراهم وبين لهم أنهم وجدوا سيدا لا خادما أو عبدا لهم وأبطل كافة ما كانوا عليه من ملاعب الخيول والتوجه لمحلات التياترات وأرغم سكان المدينة على أداء واجبات المحافظة ليلا ونهارا فحصل عندهم الغضب والحنق الشديد واجتهدوا فى عقد شروط مصالحة مع رومة غير أن بيرهوس كان أحكم القبض عليهم وعامل طرنطيوم وأهلها معاملة مدينة فتحها وأرسل جملة من رؤسائها الى أبيروس مثل رهائن فيها

ولما أحكم بيرهوس مدينة طرنطيوم ووطدها واختارها أساسا مهما لحركاته الحربية أشعل الحرب على الرومانيين وهزمهم فى نواحى هراقلية بجيش قليل معه وما خدش ضابطا من ضباط الجيش المتقهقر فيل من الفيلة وعقب بيرهوس العساكر الفارين فما أبقى منهم باقية وخسر الرومانيون فى هذه الواقعة ١٥٠٠٠ نفس منهم ٧٠٠٠ مقتول ومع هذا فان بيرهوس اشترى نصرته من الرومانيين بخسارة ٤٠٠٠ نفس من عساكره الباسلة وجملة من شجعان قواده وما تمكن الرومانيون من الحصول على قتل بيرهوس وما كانوا يرغبون فعله

وظهر لبيرهوس فى هذه الحالة انه أمهر قائد وأشجع فارس ويلزمه أن يجنى ثمرات مكافاة نصرته والتحق به كثير من المدائن الايطاليانية والمدائن الجريقية ماعدا القليل منهم فانهم تباعدوا عنه واجتهد

بيرهوس فى جمع جيش له من المأسورين عنده الذين أسرهم فى الحرب وظهرت له شجاعتهم ودرايتهم بالحروب بواسطة ما أغدق عليهم من كرم معاملته لهم وبين لهم أن ذلك من الاعمال الواجبة الجارية دواما عند الجريق غير أنه اندهش وتعجب من كونه لم يلتحق به أحد من اللاتينيين أو الرومانيين وعرف فى نفسه أن محاربته هذه ليست مع عساكر أجرية بل مع أمة قوية واتضح له أنه غرق فى مهاوى خطئه وفى مصاعب الاعمال التى شرع فى اجرائها وفى طريقة جمعه العساكر المحاربين فاجتهد فى نفسه على أن يحرز نهاية أعماله بحالة كونه ملكا بطلا وسيدا شجاعا وظن أن المصائب التى حلت بالرومانيين من أول حرب وقع بينه وبينهم مزقت قواهم وأضعفت أحوالهم وأنهم ربما يميلون لقبول صلح مع الشرف بدل الحرب وينال هو بذلك توطيد حرية المدائن الجريقية فى ايطاليا ويحفظها ويقيم بينها وبين الاراضى الرومانية عدة ممالك ثانوية وثالثية تبعة حليفة للدولة الجريقية الجديدة فطلب فى شروط واضحة كتبها من طرفه مثل شروط صلح خلاص كامل المدائن الجريقية ثم المدائن الكامپانية واللوقانيانية على الخصوص من انقيادها الرومة واسترداد الاراضى التى أخذت من السامنيين والدانيانيين واللوقانيانيين والبروطيانيين وأرسل طلباته هذه الى رومة مع وزير معتمد من طرفه اسمه صنياس من أهل تساليا وكان هذا الوزير أستاذ البلاغة والفصاحة وكافه الملك بكونه لا يضيع أدنى فرصة فى الضغط على الرومانيين بغاية جهده بالسياسة المعهودة فيه بالنظر لما حصل لهم من مباشرتهم الحروب فأدى صينياس الى الرومانيين ما جاءهم به وبذل مجهوده فى نصحهم وحاز من كثير من الرومانيين الرضا والقبول بما عرضه عليهم حتى ان مجلس السناتو أذعن بأداء طلباته وما جاء به من عند أستاذه ولما بلغ اپيوس كاوديوس وكان قنصلا قبل ذلك بمدة ثلاثين سنة وصار كهلا عاجز البصر رسالة صنياس وما جاء به ونجاحه فى مأموريته مع مجلس السناتو امتلأ بالغضب الشديد عند سماعه فكرة عقد صلح مع فاتح أجنبى فوق الاراضى الايطاليانية فأمر هذا الرجل العجوز خدمه وحواشيه بحمله فى محفل الى بيت مجلس السناتو فانفجرت منه فيه تيارات البلاغة والغضب الذى لا يرجى منه قبول مطالب بيرهوس حتى ان مجلس السناتو قامت فيه الاحساسات الواجبة عليه من الاعمال الحقة الواجب عليه اجراؤها بخصوص الامة الرومانية وأجاب رسول ملك أبيروس بأن رومة لا تدخل فى مخابرة طويلة ما دامت عساكر أجنبية موجودة فوق الاراضى الايطاليانية فقام صنياس فى الحال من المدينة وعاد الى بيرهوس مع شدة الكراهة والغضب التى رآها عند الرومانيين من حبهم الوطن وشدة محافظتهم عليه حتى انه عرض لاستاذه أنه ظهر له أن كل واحد من أهل رومة ملك نفسه فن ثم اشتعل الحرب وهاج الكرب كما كان عليه فأما بيرهوس فانه كان يبحث عن المجد والفخر فقط وأما الرومانيون فكانوا يبحثون على حفظ أراضيهم وأهليهم

وكان بيرهيرس فى أثناء هذه المكالمة تحرك فى داخل كامپانيه وبمجرد ما أخذ جواب السناتو زحف بعساكره على رومة عازما على عمل اتفاق مع العطروسكانيين فوجد فى أثناء تقدمه وزحفه استعداد الرومانيين له بجيش جديد تحت قيادة القنصل پو پليوس ليفنيوس الذى كان هزمه فى هراقلية وحفظ هذا القائد الرومانى مدينة قاپوه من زحف الملك عليها وأوقف حركة سعيه فى الوصول الى نيا پوليس وكذا كانت رومة فى حالة ثبات جيد حتى انه ما تجاسر أحد من حلفائها على تركها والتخلى عنها ما عدا المدائن الجريقية الموجودة فى ايطاليا الجنوبية وما لاقى بيرهوس فى أثناء سيره من وسط

المملكة نحو رومة جيشا ما وغلقت كامل المدائن اللاتينية أبوابها في وجهه وأدهشه حالة زهرة البلاد وأثبتت في عقله أحسن تدبير حاصل من رومة ما كان يتصوره قبل ذلك وتبعه القنصل ليفينوس على القرب منه مستعدا في الهجوم عليه في الوقت الموافق له وتجهز روماني ثان وسار تحت قيادة القنصل طبريوس كورنو كانيوس وأسرع في عقد صلح مع العطروسكانيين وكان في حرب معهم وسار مجدا من الجهة الشمالية لاجل لقاء العدو وفي هذه الاثناء جندت رومة جيشا ثالثا وزحف بيرهوس حتى صار على مسافة قليلة من رومة ثم انسحب الى طرنطوم فقضى فيها فصل الشتاء وتوجه الرومانيون أيضا الى جهات مشتاهم واجتهدوا مدة فصل الشتاء في فداء المأسورين فرفض بيرهوس قبول هذا الطلب ورخص لجميع أسراه بالتوجه الى بلادهم ليحضروا موسم عيد لهم وأعطوه قول الشرف بالعود اليه ثانيا من بعد أيام العيد ان لم يعقد صلح قبل هذه المدة ومن بعد مضى المدة التى تحددت لهم لما لم يحصل فيها عقد معاهدة عادوا اليه وفاء بما وعدوه من القول الشرف

وفي سنة ٢٧٩ قبل الميلاد حاز بيرهوس نصرة ثانية وكانت هذه المرة في نواحي عوسقلوم من أعمال ابوليا وجلب الى ميدان الحرب خلاف عساكره المقدونية زيادة عن ٥٠٠٠٠ من الايطاليانيين مددا له من محالفيه وطرد الرومانيين من ميدان الحرب الا أن الجيش الروماني لم يحصل فيه أدنى اختلال وترآى لبيرهوس أن في امكانه اتمام هذه المظفرات الا أن النقص الذى حل بعساكره المقدونية المعول عليهم في الحروب عنده ما قدر أن يجابر بدله ويستحوذ على غيرهم من أمثالهم وأما الرومانيون فانهم كملوا صفوف عساكرهم بعساكر جديدة وسد الرومانيون عليه بشجاعتهم وصبرهم أبواب المسالك حتى انه أهلك جيشه في غير طائل وصار لا فائدة في محالفيه له واستحقر حالتهم ما عدا السامنيين وما كان متراثيا له من النصرات والمظفرات آل به الى الضعف والوهن في آخر أمره الا أنه مازال شرف العسكرية لا يرخص له في ترك موقف الحرب وفي السنة التالية سنحت له الفرصة في نفسه بالانسحاب من الجهة جزيرة وكان حصل له الكدر وحل به الزعل والضيق من نتائج الحرب حتى انه انسحب من ايطاليا وكان السبب في تركها أن زوجته كانت ابنة اجاثوقليس طاغية سراقوسة وابنه حفيد اجاثوقليس وهما الوارثان الشرعيان لمملكة سراقوسة ولما قتل اجاثوقليس وحصلت المضايقة الى سراقوسة من جهة القرطاجنيين دعا أهل مدينة سراقوسة بيرهوس لمساعدتهم وقرروا في أنفسهم مع حذاقة العقل انه لو ضيع أهل سراقوسة درجة حريتهم فربما تكون المدينة تحت رياسة ملك ابيروس عاصمة مملكة هلانيقية كبيرة في الغرب فلبى بيرهوس الدعوة وترك ايطاليا متوجها الى سيسيليا في سنة ٢٧٨ قبل الميلاد من بعد أن ترك محافظين في مدينة لوقريا وطرنطوم وقبل وصوله دخل القرطاجنيون في محالفة ومعاهدة تعرضية وتحفظية مع رومة وقبل سفر بيرهوس من ايطاليا بقليل سعى سعيا لا ثمرة فيه من أجل توطيد الصلح مع الرومانيين وبمجرد وصوله في سيسيليا طرد القرطاجنيين وضيق عليهم حتى عرضوا عليه الصلح ومع ان القرطاجنيين كانوا حلفاء رومة الا أنهم قدموا لبيرهوس مراكب ونقودا كان لها على غاية من شدة الاحتياج لكنه رفض بشماخته وكبريائه هذه التقدمة وانقلبت سعادته العظيمة بهزيمة مهولة وقعت عليه في ليلبوم فاستمر سنتين طويلتين في سيسيليا ثم تخيل له في يوم من الايام أن حالته صارت على قدم النجاح في مشروعاته وتغلب عليه عدم راحته القديمة وحصل له مضايقة مما حل بمحالفيه في ايطاليا من الاضرارات التى

كان سببا فيه اولعنوه من أجل تركه اياهم فمن ثم اندفع عائدا الى ايطاليا فى أواخر سنة ٢٧٦ قبل الميلاد وفى حال سفره الى ايطاليا هجم القرطاجنيون على أسطوله وأخذوا عدة دارا من مراكبه وعصى عليه مباشرة كل ما كان فتحه فى سيسيليا ولما نزل بيرهوس فى برايطاليا عزم على الغارة على رهغيوم لكنه انهزم فى هجومه ثم نجح فى تغلبه على لوقريه وكان أهلها ذبحوا ما تركه عندهم من المحافظين فى مدة غيابه عنها فأوقع على أهلها العذاب الشديد ونهب الخزائن الملآنة بالاموال الموجودة فى هيكل برصفونة وملأ بها صناديق خزائنه الحربية وكانت فارغة من النقود ثم سار الى طرنطيوم فوصل اليها فى رأس جيش مقداره ٢٠٠٠٠ نفس من المشاة و ٣٠٠٠ من الفرسان الخيالة وكان معظمهم من مستأجرى الايطاليانيين لان كافة من كان عنده فى الحرب الذين كان جلبهم من ابيروس وكانوا على دراية تامة من الاجراآت والقواعد الحربية هلكوا تقريبا فى الحروب التى أجراها فى ايطاليا وسيسيليا وأما النقود والخزائن التى سلبها من هيكل لوقريه فانه كان أرسلها فى مركب الى طرنطيوم فنزل عليها عاصف ألجأها الى الرجوع على ساحل لوقريه ولما اعتقد بيرهوس انه فعل أفعالا قبيحة مع معبودة لوقريه من انتهاك حرمة أشيائها المقدسة رد الاموال ثانيا الى المعبد وقتل من كان سلطه على أخذها ومن بعد مضى قليل هزمه القنصل كوريوس دنطاطوس فى بنفيطوم وفى نحو آخر السنة ترك الحرب وعاد راجعا الى ابيروس من بعد أن ترك فى طرنطيوم محافظين من طرفه فى سنة ٢٧٥ قبل الميلاد فعزم الرومانيون فى هذا الوقت على فتح ايطاليا الجنوبية مرة أخرى وفى سنة ٢٧٢ قبل الميلاد تغلبت رومة على طرنطيوم ولوقانيا وبروطيوم وأرغموا على الانقياد والطاعة لرومة وأخذت رهغيوم فى سنة ٢٧٠ قبل الميلاد عنوة بالقوة والاقتدار وفى آخر سنة ٢٦٥ قبل الميلاد كانت رومة متغلبة على كافة ايطاليا الجنوبية وصارت صاحبة السيادة السامية فى البحيث جزيرة من ابتداء ماكره الى طرنطيوم ورهغيوم

وتولد من تمام نجاح هذه الحروب زيادة الثروة الكبرى للرومانيين وحصول تبديلات فى أحوال معايشهم وانتقلت أملاك الامم التى صار التغلب على بلادها الى حوزة المملكة الرومانية وكانت مشتملة على أراض شاسعة شائعة وأورمانات وغابات مثمنة ومحلات استخراج معادن ومحاجر قطع أحجار ومحلات صيد لؤلؤ وأسماك فأعطى مجلس السناتو كل واحد من الرومانيين من الاحرار مبلغا من النقود أو سبع يوجيرات من الاطيان حسبما اختاره

وعمرت رومة مستعمراتها الجديدة بناس من عندها لاجل المحافظة على أراضيها الجديدة وعلى ما قيل انه كان حصل الشروع فى هذه الطريقة فى الايام القديمة فى عهد ملوك الطاركينيين الا أنه صار اجراؤها الآن بشوكة قوية لما حصل عند الرومانيين تقدم فى الشوكة وعلو مقدار فى الدولة ومن بعد مضى عدة قرون امتدت هذه المستعمرات من الساحل الغربى لاوروبا الى حد نهر الفرات وكانت جميعها محصورة فى جنسين رومانيين ولاتينيين فأما المستعمرات التى كان سكانها رومانيين فكان أهلها متمكنين بكافة حقوقهم المدنية لرومة فكان لهم الصوت فى المجلس ولهم حق الانتخاب فى أى مصلحة عمومية يمكن انتخابهم فيها اذا قطنوا رومة وأما سكان المستعمرات التى أهلها من اللاتينيين فانهم ضيعوا حقوق تبعتهم لرومة لحق الصوت فى المجلس والانتخاب للوظائف وخلاف هذا لهم الحق فى تبعتهم لرومة وكثر عدد هذه المستعمرات وزاد أهلها فى داخل البحيث جزيرة وصارت منافعهم مرتبطة

بروميـة زيادة عن ارتباطهم بالممالك القاطنين فيها فشكلوا مثـل أسوار حصينة للدولة الرومانيـة فى ايطاليا

وتواصلت هـذه المستعمرات مع العاصمة بنوع طرق وسكك كان أولها وأشهرها طريق آبيـه كانت طريقا صلبة مستحجرة سلطانية جيدة الانشاء حتى ان بعضها باق الى الآن وكان صار تعميرها فى زمن ابيوس كلوديوس الملقب بالأعمى فيما بين سنة ٣١٠ وسنة ٣٠٦ قبل الميلاد وهذه الطريق تخرج من رومة من الباب المسمى باب قابوه وتمر باريسيا وفيلطريا وسيطيا وطراسينه ومينطورنيه وسينوسه وكاسيلينوم حتى تصل الى مدينة قابوه ثم استمر السلوك منها فى نحو سنة ٢٩١ قبل الميلاد الى فينوزيا ومنها الى برنديزيوم ومن بعد ذلك بمدة صار انشاء طرق أخرى فى أقسام أخرى من الجزيرة وكلما كانت رومة تمد شوكتها ودولتها على جهة كانت تنشئ سككا عظيمة واصلة من محلات مشهورة فى المملكة الى مركز أصلى لها وكل هذه المراكز كانت جميعها متواصلة مع رومة بسكك سلطانية حتى قالوا فى المثل المشهور كل طريق يوصل الى رومة

ثم ان الطريقة التى اتخذها الرومانيون فى دوام حكومتهم وبقاء سلطتهم على الممالك الايطاليانية التى تغلبوا عليها كانت فى غاية من التعقيد والاشكال لان رومة فى أشغال مستعمراتها منحت لها حكومة نفسها بنفسها فكانوا ينتخبون حكامهم ومباشرى أعمالهم الداخلية من أنفسهم وكانت كل مدينة أجنبية تحت القانون الرومانى مرعية فى نفسها كأنها مملكة قائمة بذاتها وكانت تحت قانون محدود يرجع الى المركز الاصلى لكل المدائن الرومانية فكان أجل هذه المدائن شهرة وأكثرها اعتبارا ما يعرف بالاتحاد المدائنى وهى المدائن المنقادة الى رومة على حسب شروط وقواعد تتغير طبعا مع تغير الاحوال الا أنها مقصورة فى أشغال أعمالها وتعيين حكامها وادارة قوانينها ومثل هذه فى حسن الموقع الايالات الاجنبية التى لها بعض أو كل حقوق التبعة الرومانية ثم الوطنيون سكان النواحى والجهات الذين سلموا أنفسهم لرومة على مطلق التصرف ومحصور فيهم كل شئ مما يتعلق بأعمال رومة ماعدا حقوق تبعتهم لمدينة رومة وكان القانون الرومانى مباشر العمل والاجرا فى هذه الجهات بواسطة حكام معينة مباشرة من طرف رومة ولرومة حقوق معلومة محدودة حافظة سلطتها وشوكتها بقدر الكفاية فى تلك الجهات فكان لها النفوذ الوحيد لا لغيرها فى اعلان حرب أو انشاء سلم ولها مقابلة المبعوثين والسفراء المندوبين من طرف الدول الاجنبية وعقد المعاهدات وضرب النقود وأصناف المعاملة ولها الحق فى أن تطلب من رعاياها المحالفين لها العساكر والنقود اللازمة لاستمداد هذه العساكر ومساعدتها اذا احتاج لها الامر فى وقت الحرب وانتقال أملاك الايالات المتغلبة عليها اليها كما سبق القول فى ذلك

وفى سنة ٣٦٧ قبل الميلاد ازدادت الاراضى العمومية أو أراضى الدومين زيادة واسعة حتى احتاج الامر لتوظيف أربع حكام ايطاليانية لاجل جمع المحصول منها فكانوا أول الموظفين من الرومانيين الذين تعينوا على موجب القانون وسكنوا فى مساكن رخص لهم بها فى الاقاليم خارج المدينة ورأت فى هذه المدة أيضا اضمحلال وسقوط ما كان عليه حزب الاشراف من الدولة والسلطة والنفوذ ودخول العوام فى سلطة كاملة بما يعادل ما ضاع من سلطة طائفة الاشراف وفى سنة ٣٣٩ قبل الميلاد عرض بوبليليوس قانونا فتح فيه محلا لوظيفة مفتش مطبوعات ومحلا لحاكم مدنى من العوام وكذا لائحة قانون حررها أوفينوس تاريخها مجهول رخص فيها الكافة القناصل السابقة والحكام والمفتشين

وأرباب الوظائف الكبيرة العسكرية أن يكون لهم الحق فى ملازمة مجلس السناتو وفى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد زاد بواسطة القانون الاغولنانى عدد أرباب المهندسين وكهنة الفال وأن يكون النصف من العوام فكل هذه التغييرات كانت جارية بتمامها من دون حصول مناقضة أو رفض قبول فى هذه المدة وحصل منها التأثير فى زيادة فلاح الرومانيين ونجاحهم فى أعمالهم المدنية فتولد من اجتماع المدائن واتحادها ببعضها وارتباط علاقاتها برومة أن صار لها طاقة على ملتقى بيرهوس بقوة شديدة حتى ظفروا به ومدوا دولتهم وشوكتهم على كامل ايطاليا وأخذت مساعى واجتهاد الحكام حقيقة فى السلطة ونفوذ الكلمة حتى صدت كل طائفة كانت تحزب رجالها على الدخول فى الاشغال اللازم اجراؤها الموافقة لاصلاح العباد والبلاد ونشر ابيوس كاودوس الملقب بالاعمى فى نحو سنة ٣١٢ قبل الميلاد لائحة حق الانتخاب وحصره فى مادتين وهما مادة المولد الحر والمال الملقطعة أرض حرة وحصر الحرية لطائفتين وهم الذين ولدوا فى حالة الرق والذين لايملكون شيأ من الاراضى وبدل أن يحولهم على الشعوب والعشائر المدنية المنسوبين لها وزعهم على كافة المستعمرات حتى يكونوا داخلين فى حق الانتخاب ونجح خلفاؤه فى القنصلية فى توطيد روماو أحكامها وتأمينها من ضرر طوائف العوام والاحزاب بكونهم جعلوا حق الانتخاب فى أربعة قبائل أو شعوب من الاحد والثلاثين شعبا يسكنون المدينة وفى السنين الاولى من القرن الثالث قبل المسيح انتظمت أمور المملكة الرومانية واستقامت أحوالها وفى هذا القرن أيضا شرع الرومانيون فى ضرب معاملات من النقود الفضية وكانت نقودهم قبل مضروبة من النحاس

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ الحرب مع قرطاجنه ﴾

زيادة ثروة الرومانيين من الحرب ــ اختيار الجمهورية الحرب كطريقة لاكتساب الثروة والاستحواذ على أراض ــ عقد العزم على التغلب على قرطاجنه ــ ايجاد علة الحرب ــ مبادى الحرب الاول القرطاجنى ــ هزيمة القرطاجنيين فى سيسليا ــ اغارة الرومانيين على افريقه ــ تدمير وخراب أراضى مملكة قرطاجنه فى افريقة ــ هزيمة رغولوس والقبض عليه ــ ضياع الاسطول الرومانى ــ مصائب الرومانيين فى سيسيليا ــ مضايقة الاسطول القرطاجنى للساحل الايطاليانى ــ انشاء اسطول آخر بواسطة أهل رومة ــ واقعة عيغوسه ــ تغلب الرومانيين على سيسيليا وما جاورها من الجزائر ــ وهن قرطاجنه ــ غلاق الحرب ــ صيرورة رومة ذات شوكة بحرية كبيرة ــ تغلب الرومانيين على سردينية ــ تبديد اللصوص البحرية الاليريانيه ــ تغلب الرومانيين على الغالية الجنوبية من الالب واضافة أراضيها اليها ــ امتداد الاراضى الرومانية لحد جبال الالب ــ وجود القرطاجنيين فى اسبانيا ــ سياستهم وتدبيراتهم الجليلة ــ حنبال ــ مهارته فى القيادة فى اسبانيا ــ الحرب الثانى القرطاجنى ــ اجتهاد حنبال فى الغارة على ايطاليا ــ عبوره من جبال الالب ــ هزيمة الرومانيين على نهر طربيا وعند بحيرة طراسمنى ــ فابيوس فى قيادة الجيش الرومانى ــ مهارة ادارته وتدبيراته ــ واقعة كانيه ــ صيرورة حنبال سيد ايطاليا الجنوبية ــ ثبات رومة ــ وجود حنبال فى قابوه ــ مظفرات سكيبيوس فى اسبانيا ــ تغلب مارسيلوس على سراقوسة ــ هزيمة سكيبيوس فى

اسبانيا وموته ـ سكيبوس الاصغر خليفته ـ هزيمته حازدروبال ـ صدور أمر الى حازدروبال بالتوجه الى ايطاليا ـ عبوره جبال الالب والدخول فى ايطاليا الشمالية ـ وقوعه فى الخطأ ـ تحرك حنبال الى كانوسيوم وانتظاره أخاه فيها ـ هزيمة الرومانيين ـ حازدروبال وقتله ـ رمى رأسه فى معسكر حنبال ـ تقهقر حنبال ـ تغلب سكيبوس على اسبانيا ـ الاقلاع الى افريقه والهجوم على قرطاجنه ـ واقعة زامه ـ التغلب على قرطاجنه وصيرورتها خراجية لرومة ـ حروب رومة فى الجريس وفى آسيا الصغرى ـ فتح جزيرة سردينية ـ تغلب رومة على الجريس ـ الحرب الثالث القرطاجنى ـ الفتح الاخير وخراب قرطاجنه

تولد من الحروب الاولية التى أجرتها رومة مصائب أحمال ثقيلة على تبعتها الا أن الحرب مع بيرهوس والحروب التى جاءت من بعده حصل فيها منافع ومكاسب عظيمة زادت منها ثروة الامة وغنيتها فمن ثم شرع الرومانيون فى أخذ الحروب وسائل لفوائد تعود عليهم بالنفع والميسرة وواسطة لجلب مكاسب الامة الرومانية وذلك أنه من بعد خضوع ايطاليا الجنوبية شرعوا فى هياج محاربات جديدة اعتمادا على مقصدهم الاصلى بخصوص زيادة ثروتهم وظهر لهم أن ثروة جمهورية قرطاجنه هى الغنيمة الكبرى لهم والنهب الاعظم وبما أن رومة كانت التزمت على حسب احتياجات حربها الاخير على أن تصير فى حالة تزيد بها قوتها البحرية فصلت الامر وجزمت بالاغارة على قرطاجنه ووجدت لنفسها فى الحال سببا فى هياج الحرب عليه وذلك أن قرطاجنه تحت زعم مساعدتها الماميرطنيون على هيرو صاحب سراقوسة استحوذ القرطاجنيون على قلعة مسينة فاستغاث الماميرطنيون برومة وطلبوا منها مساعدتها فعقدت معهم معاهدة ولو كانت مهانة فى حقهم ومذلة فى مستقبلهم وسافر من رومة حملة لمساعدتهم وفاز كلوديوس قائد مقدمة الحملة فى عبوره بعساكره من البر الاصيل الى سيسيليا ثم من بعد قليل قبض على الاميرال حنو فى مجلس حافل وجده فيه فى مسينة فخلص حنو نفسه منه بنقله محافظى القرطاجنيين من القلعة وتسليمها الى الرومانيين وسار باسطوله وعاد الى قرطاجنه فصدر أمر الحكومة القرطاجنية بصلبه ووظفوا قائدا آخر للاسطول اسمه حنو أيضا وفى نفس هذا الوقت أعلنت قرطاجنه حربا على رومة فى سنة ٢٦٤ قبل الميلاد فمن ثم كان ذلك الاعلان ابتداء الحرب المعروف بالحرب الاول القرطاجنى ونال الرومانيون نجاحهم فى كونهم أرسلوا قوة قدرها ٢٠٠٠٠ مقاتل الى سيسيليا وهى الجزيرة التى انحصر فيها الحرب أولا وفى سنة ٢٦٢ قبل الميلاد هزموا القرطاجنيين شر هزيمة وتغلبوا على اغريغنطوم وفى نفس هذا الوقت انقذفت مركب حربية من مراكب القرطاجنيين على ساحل ايطاليا فأخذها الرومانيون واستحسنوا صورتها وهيئة وضعها وجعلوها أنموذجا وشغلوا على هيئتها أسطولا فى البحر ونال بهذا الاسطول مظفرات جليلة فى السنتين اللتين جاءتا من بعد وفى سنة ٢٥٦ قبل الميلاد سافر أسطول مركب من ٣٣٠ سفينة وجيش مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس تحت قيادة القنصلين منليوس ورغولوس من ايطاليا الى افريقة فهزموا فى طريقهم أسطولا قرطاجنيا أكثر من أسطولهم عددا ونزلوا على البر قريبا من قرطاجنه من دون حصول معارضة أو ممانعة فخربوا الاراضى القرطاجنية وأرسلوا من القرطاجنيين ٢٠٠٠٠ أسيرا معظمهم من الوجوه والاعيان الى أسواق الرقيق فى رومة وأخذوا غنائم وأسلابا لا تعد ولا تحصى وفى

السنة التالية لما بقي رغولوس في افريقة وحده مع قوة قليلة من الجيش الروماني وبلغ القرطاجنيون هذا الخبر أغاروا عليه وهزموه وأتلفوا غالب جيشه وكان من ضمن الاسرى القليل العدد الذين أخذوهم من الغارة رغولوس نفسه فسافر أسطول روماني من بعد حصول الواقعة مباشرة لرد الباقين على قيد الحياة من الرومانيين فتم هذا العمل من بعد هزيمة الاسطول القرطاجني على مسافة من رأس هرميانة وضاع منه ١١٤ سفينة وعند عود الاسطول الروماني الى ايطاليا نزلت عليه عواصف شديدة وتلاقيح مهولة ضيعت منه ٢٧٠ سفينة بحمائلها وما عليها وما نجا من الاسطول الا ثمانون سفينة فقط . ثم ان القرطاجنيين تباهوا بانفسهم وقت حصول هذه المصيبة للرومانيين وتجاسروا على تجديد الحرب في نواحي سيسيليا ظانين أنهم يتغلبون على هذه الجزيرة باسهل طريقة فالتقاهم الرومانيون بجيش قوي وفي فصل ربيع سنة ٢٥٤ قبل الميلاد أرسلوا أسطولا جديدا مؤلفا من ٣٠٠ سفينة من سفائن الدرجة الاولى الى المياه السيسيليانية وفي السنة التالية كانت احدى المصائب الكبرى في البحر وهي ضياع ١٥٠ سفينة من العواصف والزوابع فمن ثم امتد الحرب الى سنة ٢٥٠ قبل الميلاد حتى اكتسب فيها القنصل كصليوس مطلوس نصرة عظيمة على القرطاجنيين تحت أسوار مدينة بانورموس وأخذ كامل القوة القرطاجنية من الفيلة الحربية وقدرها ١٢٠ فيلا فتولد من هذه الخسائر الزام القرطاجنيين على عدم عمل حرب تعرضي وتقهقروا الى داخل معاقلهم وحصونهم فحاصرهم الرومانيون فيها وفي مدة السبع سنوات التي جاءت بعد استمرار الحرب على ما كان عليه وكان النصر فيه عموما للقرطاجنيين وتسبب من مشروعات حملكار برقة القائد القرطاجني وأعماله التي أجراها ضعف الرومانيين وجلب عليهم المضايقات والعناء الشديد وأوقع الخراب في الساحل الايطالياني كما اشتهى من دون أن يلقى كيدا أو أدنى مقاومة وما قدر الرومانيون أن يرسلوا عليه قائدا يضارعه ويهزمه واجتهد مجلس السنا واجتهادات ضعيفة في مقاومة العدو وتوقيف حركاته ولما اشتد الكرب وعظم الخطب في سنة ٢٤٢ قبل الميلاد تقلد أهل رومة أزمة الامور في أيديهم وباشروا الاعمال وبذلوا مجهودهم وأظهروا غيرة ومحبة وطنية ما ظهرت على وجوههم أبدا قبل هذا وتموا مسئلة هذا الحرب وفي السنة الثالثة والعشرين من هذا الحرب الذي أفنى الاموال والانفس أنشؤا أسطولا مؤلفا من ٢٠٠ سفينة من الدرجة الاولى وطقموه بعساكر مقدارها ٦٠٠٠٠ نفس من البحرية وقدموه للحكومة فعهدت الحكومة رياسة هذا الاسطول الى القنصل جايوس لوطاطيوس كاتولوس فطرد أمامه القوة القليلة القرطاجنية ووصل سيسيليا وضبط مينتي ليليبوم ودريبانه وحاصر هاتين المدينتين أشد الحصار برا وبحرا فأسرعت قرطاجنه في ارسال اسطول الى سيسيليا فوصل الى مسافة من دريبانه في فصل ربيع سنة ٢٤١ قبل الميلاد فخرج الرومانيون بمراكبهم في الحال للاغارة عليه وكانت بينهم الواقعة على مسافة من جزيرة عيغوسه الصغيرة المسماة الآن فاوجنانو فهزموا القرطاجنيين وضيعوا من سفائنهم خمسين سفينة وأخذوا سبعين فمن ثم ضعف حال القرطاجنيين جدا مما حل بهم من هذه المصائب والخسارات ورضوا بعقد صلح أخلوا فيه سيسيليا وما جاورها من الجزائر ودفع غرامة حربية مقدارها ٣٢٠٠ وزنة عبارة عن ٢٤٠٠٠٠٠ دولار أمريكاني أو ٤٠٠٠٠٠ ليرة استرلينية وأخلوا سبيل كافة الاسرى الرومانية من دون فداء ومن ثم انغلق الحرب الاول القرطاجني من بعد أن لبث أربعا وعشرين سنة تقريبا فكان مكسبا عظيما لرومة وطردت قرطاجنة من المياه الايطاليانية

وتقدمت رومة حتى صارت أول درجة فى الدولة البحرية
وفى سنة ٢٢٨ قبل الميلاد لما تضايقت قرطاجنة مما حل بها من ثوران وهياج عساكرها الاجرية ضبطت منها رومة جزيرة سردينية وما قبلت رومة استلامها على حسب طلب قرطاجنة فقط بل هددتها بالحرب وتجديده عليها ثانيا وفى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد تقوت رومة بنجاحها فى سردينية وأضافت اليها جزيرة قورسقه ووضعت رومة حكومة هاتين الجزيرتين مع جزيرة سيسليا تحت أحكام نواب قناصل وظيفة كل منهم حاكم ورئيس قيادة وقاضى قضاة وتعين واحد نائب قنصل لجزيرة سردينية وقورسقه وكان هذا أول الفروع الرومانية فى الاحكام
وكان قبل ذلك بسنة أوسنتين طلب المدائن الجريسية الموجودة على ساحل البحر الادرياطيق مساعدة من رومة من أجل قطع دابر اللصوص الاليريانية الحاصل من نهبهم لها كل الاذى والضرر فأرسلت رومة فى سنة ٢٣٠ قبل الميلاد رسلا الى الاليريانيين يطلبون منهم الكف عن الاذى والنهب الحاصل منهم فقتلوا الرسل فأنشبت رومة الحرب عليهم فى الحال وأرسلت فى السنة التالية أسطولا مؤلفا من ٢٠٠ سفينة الى البحر الادرياطيق فأباد جميع اللصوص وقطاع سبل البحر وكان من أجل نتائج هذا المشروع أن أقامت رومة شوكتها وسيادتها على قسم من اليريا ودلماطيا ووضعت حمايتها على جريق أبولونيه وابيدامنوس وقورصيره وفى نظير هذه الخدمة الجليلة قبل الجريس اشتراك الرومانيين معهم فى الالعاب البرزخية وفى الاسرار العلوصنيانية وكان من أعظم الامور لرومة أن نالت مطلوبها فى وضع قدمها فى الجهة المقابلة من البحر الادرياطيق وصار لها الحق فى تداخلها فى الاعمال الجريسية
وفى ظرف هذه السنين حصلت ارتباكات وقلاقل مع الغليين فى ايطاليا الشمالية وأشعل الغليون حربا على رومة فى سنة ٢٣٨ قبل الميلاد الا انهم اجبروا على عقد صلح على حساب مصاريف بعض أراضيهم من بعد حرب لبث سنتين وفى سنة ٢٣٢ قبل الميلاد عزمت رومة على حطم شوكة الغليين واخمادها لاجل خلاصها واعتاقها من الضرر المستمر الحاصل لها من تلك الجهة فوسعت فى هذا الوقت أراضيها وزحفت بمستعمراتها الى داخل أراضى مدينة صينيون من أعمال الغلية واندفعت هذه المستعمرات الى جهة الامام بعنف وكثر عددها فى ظرف السبع سنوات التى جاءت بعد واتضح غرض رومة الخفى وضوحا ظاهرا حتى التزم الغليون على حمل السلاح فى وجهها وابتدأ الحرب فى سنة ٢٢٥ قبل الميلاد وتساعد أهل مدينة صينيون الغلية بأقاربهم الموجودين خلف جبال الالب من الجهة الشمالية وامتد الحرب ثلاث سنوات حتى انه فى وقت من الاوقات زحف الجيش الغليق حتى صار قريبا من كلوسيوم وارتاعت رومة وخافت على نفسها من الحالة التى أنزلها عليها برنوس الاان الغليين تشتت شملهم وتمزق جيشهم فى واقعة كبيرة وقعت بالقرب من طلامون فى عطروريا وكانت نتيجة الحرب تغلب رومة على كامل الغلية الجنوبية وأضافتها الى المملكة الرومانية ولاجل ضبطها والمحافظة عليها غرستها بمستعمرات جمة من أهلها وواصلت هذه المستعمرات مع رومة بطريق عسكرى كبير تفرع منه عدة فروع وكانت تعرف هذه الطريق باسم الطريق الفلامنيانى وصارت رومة فى هذا الوقت سيدة جميع ايطاليا من ابتداء السور الاكبر لجبال الالب الى الساحل الجنوبى فى جزيرة سيسليا ومن البحر الى البحر
وفى أثناء هذه الاعمال كانت قرطاجنة التى كانت خضعت لرومة بالنظر لضرورة أحوالها

وأعمالها ورضيت بظلم وتعديات عدوتها عليها وعلى أملاكها بسبب عدم طاقتها على صدها اشارعة فى البحث بكل جهدها وطاقتها على استرجاع ماضاع منها وعلى استعداد من تجديد الحرب على شرط أن تشرع فيه بمجرد استعدادها له ولما زادت وسائل ثروتها وقويت شوكتها ابتدأ حملكار فى سنة ٢٣٩ قبل الميلاد بالتغلب على بحيث جزيرة اسبانيا ولما مات فى سنة ٢٣٨ قبل الميلاد أحيل هذا الشغل على صهره أى زوج ابنته حازدروبال فسار فيه مع البسالة والنباهة وما اكتفى هذان القائدان بدخول اسبانيا تحت الحكم القرطاجنى فقط بل بذلا مجهودهما فى تشييدها الى حالة جعلت لها طاقة على ان تكون حليفة نافعة للقرطاجنيين وبنوا المدائن وأقاموا علاقات المتاجر والمبيوعات وتعليم الوطنيين الفنون الحضرية والصنائع البلدية خصوصا فن الزراعة وتهذبوا فى التعليمات العسكرية واستكشفوا محلات جديدة لاستخراج معادن الفضة منها فحصل منها النفع العظيم والاستغلال الجسيم ومن ثم ازدادت محصولات اسبانيا وصارت على غاية من الوفرة والكثرة وحصل فى المملكة النجاح والفلاح والفوز والصلاح الذى ما كان لها معلومية به من قبل وما كانت محصولاتها وايراداتها على قدر المصاريف اللازمة لاقاليمها وأشغالها فقط بل كان يزيد منها مبالغ وافرة كانت ترسل الى الخزينة القرطاجنية فن هنا حصل تغيير مهم فى طريقة الاعمال القرطاجنية بمجرد غلاق الحرب الاول القرطاجنى وهو تعيين حملكار لرياسة قيادة الجيش لمدة غير محدودة وتنازلات الحكومة للجيش عن حق انتخابه لنفسه خليفة بدله من بعد موته فقتل فى واقعة مع الوطنيين فى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد وخلفه صهره أى زوج ابنته حازدروبال فذبح فى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد وانتخب الجيش القرطاجنى لنفسه فى الحال حنبال وهو الابن الاكبر لحملكار خليفة عليهم من بعد حازدروبال والتزمت الحكومة المحلية على تأييد هذا الانتخاب وكان هذا القائد الجديد شابا لم يتم عمره تسعا وعشرين سنة فمع انه كان شابا الا انه كان مقتدرا على الاعمال العسكرية وعلى دراية تامة منها فكانت تعليماته الابتدائية فى الحرب وصحب أباه الى سيسليا حالما كان صغيرا وشاهد ماحل بهذا البطل الشجاع القائد من الاوجاع والآلام عندما أرغم على قبول صلح بشروط ذليلة مهينة حصل منها اغلاق الحرب الاول القرطاجنى ولما بلغ عمره تسع سنوات توجه الى اسبانيا مع أبيه وكان أخذه قبل ذلك أمام محراب آلهة بلاده وحلفه قسما أن يكون كريه الرومة ومبغضا لها مادام على قيد حياته فمن ثم رأى حنبال فى نفسه من تهذيبه وتربيته انه هو الآخذ بثأر بلاده والمنتقم لها من عدوها وكان مستعدا على الدوام لاجراء الاعمال الواجبة عليه فى خدمة وطنه ومع انه قضى القسم الاعظم من حياته بين العساكر الا انه ماحصل السهو والنسيان فى تهذيبه فى العلوم والمعارف فضلا عما كان عليه من الآداب والمعارف المنسوبة للامة الفنيقية فى عصره وكان له دراية تامة باللسان الجريقى وكان خفيف الجسم صلب الاعضاء حسن الهيئة سيما فارسا كبيا للخيل حائزا جميع القوى المشهورة فى التعود على المصاعب والجوع وقلة النوم وميز نفسه فى الجيش وأظهر بسالته وشجاعته فكان يحارب مع أبيه عندما قتل أبوه وقاده صهره وهو زوج أخته قيادة الخيالة فاكتسب بسرعة ثقة الجيش واعتمادهم عليه بما حصل من مهارته وأعماله كانه قائد من القواد وظهرت شجاعته الشخصية وتدبيراته الحربية ولما قتل حازدروبال وجه العساكر وجوههم الى حنبال مع التمييز الغريزى كأنه قائدهم الاصلى وكان أحد النبلاء الكرام كما كان أحد الهبات الممنوحة فى عصره وثبتت له الشوكة التى ساس بها الناس ودبر بها الجيوش حتى كان لا يباريه فى

عصره ولا يوازنه فى تدبير اجرآته أحد من مصره و يستدل من تدبيره حيث امر كا من أمم مختلفة الالسنة واللغات ما حصل فيه أدنى هياج أو ثوران ضده فى وقت من الاوقات الرديئة على كمال جلالة قدره وعلو همته وشأنه وكان عالى الهمة جليل القدر يشرح صدور الامم أينما توجه وأينما حل وكان أول مشروع شرع فيه حنبال هو تشييد السيادة القرطاجنية فى اسبانيا ومرّن جيشه وعلمه الاعمال والمشروعات الكبيرة اللازمة للحرب فى مدة حرب استمر سنتين مع القبائل والعشائر الاسبانية الوطنية وكان له دراية تامة ومعرفة جيدة حقيقية من ضعف قرطاجنة فى الحروب الدفاعية عنها فعزم من أول أمره على الاغارة على رومة فى ممالكها وصدها وحرمانها من الهجوم والغارة على بلاده التى هى أعداؤها ولما جاءت الساعة الموافقة لاعماله ومشروعاته وتيقن من صلاح حالته فيها أهاج حربا اختلقه على رومة وذلك أن مدينة ساغونطوم الجريقية كانت وضعت نفسها تحت حماية رومة فهجم عليها حنبال وتغلب عليها من بعد أن حاصرها ثمانية شهور وأرسل الغنائم التى أخذها منها الى قرطاجنه ووزعت فيها على القرطاجنيين فطلب الرومانيون فى نظير ذلك تسليم حنبال واسترداد ساغونطوم وماضاع منها فكان جواب قرطاجنه اعلان الحرب على رومة ومن ثم ابتدأ الحرب الثانى القرطاجنى فى سنة ٢١٩ قبل الميلاد

مطلب الحرب الثانى القرطاجنى

وعهدت قرطاجنة زمام رياسة قيادة الجيش فى كل من ناحيتى اسبانيا وافريقه على حنبال كما كانت لابيه وصهره وأحيلت على عهدته المدافعة العمومية عن كل من المملكتين فعزم أولا على توطن الامن فيهما بالاغارة على ايطاليا وكان جيشه خاضعا له منقادا لاوامره ولما كان لا يوجد عنده عمارة بحرية كافية لمقاومة الرومانيين عزم على الغارة على ايطاليا من طريق البر وأخبره أهل الغلية بامكان عبوره من جبال الالب لانهم كرروا العبور منه بانفسهم ولهم دراية تامة بدروبه ومخارجه ومنافذه فصمم حنبال على دخول أراضى العدو من تلك الجهة وترك أخاه حازدروبال فى قيادة عساكر اسبانيا وقرب القربان الى هيرقول الصورى فى مزار جاديس ثم سار من قرطاجنه فى فصل ربيع سنة ٢١٨ قبل الميلاد فى رأس جيش مؤلف من ٩٠٠٠٠ نفس من المشاة و ١٢٠٠٠ من الخيالة وسبعة وثلاثين فيلا وكان ثلثا العساكر من افريقة والباقى من اسبانيا وكلهم من رعايا دولة قرطاجنة وما كان حنبال معوّلا على حركات فيلته بل ساقها معه لاشياء كانت منظورة له فى المستقبل يجريها على الغاليين وعارضه فى أثناء سيره القبائل الاسبانية التى كانت موجودة بين نهر ابره وجبال البرنات وقاوموا حركته فهزمهم وتغلب على أراضيهم ووضع فيها فرقة من العساكر مؤلفة من ١١٠٠٠ نفس لاجل ضبط أهلها ومحافظة البلاد ولما وصل حنبال جبال البرنيس أرجع قطعة من جيشه الى بلاده وهو شغل كان عزم على اجرائه من الاول ليبين للباقى ما هو عليه من ثقة النجاح والفوز وأبقى معه قوة مؤلفة من ٥٠٠٠٠ من المشاة و ٩٠٠٠ من الفرسان واستمر فى سيره بهذه العساكر والفيلة من وسط أراضى الغلية أصحابه حتى وصل الى نهر الرون

وأما الرومانيون فانهم كانوا فى هذا الوقت مشغولين بالاستعدادات اللازمة لمحاربة قرطاجنه ولما صارت العساكر الرومانية على أهبة من السفر الى ما استعدوا له طلبوا التسكين ثورة فى سهل نهر البو فلما عادوا اقتضى الحال ارسالهم الى اسبانيا تحت قيادة القنصل بوبليوس كورنليوس صكيبو ولمساعدة محالفى رومة فر فى أثناء سفره على مسيليا (مرسيليا) وكانت فى محالفة مع رومة فعرف صكيبو منها ان

حنبال موجود على شواطئ نهر الرون فترك السفر الى اسبانيا وتساعد بقبائل الصلطيق القاطنين في الجهة السفلى من نهر الرون وكانوا هم أيضا على صداقة لرومة وشرع في منازعة عدوه وصده من عبوره الى الشاطئ الايمن من هذا النهر الا أن حنبال كان نجح في عبور جيشه من فوق النهر بواسطة رو امس وقوارب جمعها على قدر امكانه من الموجود من قبل وصول صكپيو اليه وكان عبوره من فوق النهر بالقرب من المدينة الجديدة المسماة أورنجه وعلى مسافة عشرين ميلا من أعلى أفجنون ولما عبر حنبال النهر صار من المستحيل صد الجيش القرطاجنى عن الوصول الى جبال الالب وما احتاج حنبال الى الانتظار لوجود للاهمن الوطنيين يدلونه على الدروب والمعابر اللازم عبورها الجبال منها فضلا عن أنه ما كان معتمدا على مثل هذا الشغل فانتخب لنفسه الدرب المعروف بدرب سنت بارنارد ومع انه كان هذا الدرب كثير العلو والطول الا أنه كان أسهل الدروب والبوغازات القديمة القاطعة جبال الالب ويسهل عليه منه نقل مهمات الجيش وذخائره فامتد عبوره وقطعه هذا الدرب خمسة عشر يوما كابد فيها مصاعب وأهوال السير لانه فضلا عن تحمله مشاق الارض وأهوالها الطبيعية حارب هذا القائد القرطاجنى في أثناء مروره من الدرب أراضى القبائل والعشائر الموجودة على كراهة وعداوة له ومع ما فيه فانه غلب على كل ما لاقاه من المصاعب ونزل في سهل نهر البو بنصف القوة التي كانت سارت معه من جبال البرينيس وهى ٥٩٠٠٠ نفس ومع ما كان عليه من الخطا في مشروعه هذا فان عبوره من جبال الالب أثبت له اسم قائد أعظم وضيغم أروغ وتأهل أهل انصوبر الغلية بحنبال ورحبوا به وأجلوا مقامه أشبه بكونه مخلصا لهم من ربقة رومة وسنحت لهم فرصة عتقهم من الرومانيين أسيادهم فصرف حنبال مدة قليلة في بلادهم من أجل راحة عساكره ثم سار عازما في سفره الى نهر طسنوس لملتقى الجيش الرومانى وكان تجمع لصد زحفه تحت قيادة القنصل صكپيو فهزم حنبال هذا القنصل على شواطئ ذاك النهر وفى شهر ديسمبر من هذه السنة شتت شمل جيشى القنصلين صكپيو وطبريوس صمبر ونيوس وكانت أحيلت على عهدته قيادة جيش صكپيو لانه كان جرح في الواقعة التي حصلت سابقا وكان هذا التشتت والهزيمة على شواطئ نهر طربية فجعلت هذه النصرة للقائد القرطاجنى السيادة على ايطاليا الشمالية وانضم اليه في الحال أهل الغلية الجنوبية وكانوا الى هذا الوقت في حيادة عنه مراقبين ما يحصل من نتائج الحرب ومع ما حصل له من هذه المظفرات قد ارتبك في أموره وتحير في أشغاله بواسطة ما حصل لعساكره الافريقية والاسبانية من العناء والكرب الذى حل بهم من عدم طاقتهم على شدة برد وصقيع فصل شتاء هذه البلاد

وفى فصل ربيع السنة التالية أى سنة ٢١٧ قبل الميلاد عبر جبال الابنين وسار من المستنقعات الصعبة لنهر الارنو مع السلامة والعافية وزحف بجيشه داخل ايطاليا وسمع بخبر حركة القنصل جايوس فلامينيوس وكان عزم على منازعة عبوره من جبال الابنين فلما خاب القنصل فيما كان يؤمله من صده حنبال انتظره في نواحى مدينة ارطيوم وكان القنصل فلامينيوس خبيثا متفاخرا في نفسه يرى نفسه أنه أعظم من حنبال بكثير فاسرع حنبال في الاجراآت المقتضية لغشه والمراوغة منه وبدل أن يهجم على فلامينيوس سار من خلفه وأخذ في خراب البلاد الموجودة على طريقه وفى هذا الوقت انقرص القنصل مما وقع فيه من العيوب والفضائح التي حصلت له وترك موقعه الحصين وتبع حنبال في سيره ولما تيقن حنبال من أخبار حركة عدوه انتخب لنفسه ميدان محاربة

فى درب ضيق من الجهات بين أسوار جبلين واقفين مقفول من جهة مخرجه بجبل شامخ ومن جهة مدخله ببحيرة طراسمنى فلما أراد فلامينيوس أن يطرده من هذا الموقع كر عليه حنبال وأباد جيشه وما وقع بين الاثنين قتال بل حصل تشتت فقط ثم تتبعه حنبال فمع ما كانت عليه الفرق الرومانية من الشجاعة فان القرطاجنيين أهلكوا الجيش الرومانى وتلف عن آخره وقتل فلامينيوس ضمن القتلى وأسر من الجيش الرومانى نحو من ١٥٠٠٠ نفس وضاعت عطرورية وفتح الطريق الموصل الى رومة فكسر الرومانيون جميع القناطر والكبارى الموجودة على نهر الطيبر وعينوا كنطوس فابيوس مكسيموس مدافعا وحاميا لهم مع قوة كافية لملاقاة ما حل بهم من هذه المصائب التى حاقت بالبلاد ودمرت العباد ومع هذا فان حنبال لم يزحف فى سيره نحو رومة بل حاد عنها وسار نحو أبولية لاجل جمع جيشه وراحة عساكره ورغب فى فصل الامة الايطاليانية من الامة الرومانية بكونه أطلق جميع الاسرى من الامة الايطاليانية الذين أخذهم فى ميدان الحرب وأرسلهم الى بلادهم من غير فداء فكانت مساعيه على غير طائل لان المدائن الايطاليانية غلقت أبوابها فى وجهه وما التحق به واحد منهم فشرع هو كذلك فى مشروعات جليلة فى مدة الشهر الذى مضى بين نصرته الكبيرة وعوده الى أعماله الحربية بكونه أدخل فى جيشه كافة النظامات والترتيبات الجارية حسب المنوال الرومانى وطقم بالاسلحة التى أخذها فى الوقائع عساكره وتم هذا المشروع الصعب مع النجاح الكامل أمام العدو

ولما تقلد فابيوس زمام قيادة الجيش الرومانى أجرى طريقة أعمال حربية مغايرة بالكلية للطريقة التى كان أسلافه جارين على موجبها وصمم على عدم محاربة فى الميدان مع هؤلاء الفاتحين وأمل فى نفسه أن فيه الكفاية التامة فى هلاكهم بطريق القحط والجوع وكان متيقنا فى نفسه أنهم على شرف من فراغ مؤناتهم وما يلزم لهم من العلوفة وتخيل فى فكره ان حنبال لا يتجاسر على الزحف أو التقدم أو الانتقال من محله الى جهة ما مادام الجيش الرومانى واقفا فى مواجهته ثم استيقظ بعد من غفلته ومما كان تخيل له من الغلط البين فى هذا المشروع بكون القرطاجنيين راوغوه وتركوه ونزلوا فى السهول الخصبة من بلاد كامبانيا ورتب حنبال مواصلات مع مدينة قابوه وكانت أجل مدينة عظيمة من بعد رومة مؤملا أن الكامبانيين ربما يتخلون من معاهدة رومة ويثورون عليها وينضمون اليه الا أنه لم ينل من ذلك شيأ يعود منه النفع عليه فرضى فى نفسه بتخريب البلاد وجمع الذخائر والمؤنات اللازمة لاحتياج جيشه فى أثناء فصل الشتاء المقبل وفى مدة ما كان حنبال مجريا هذه الاعمال كان الجيش الرومانى تحت قيادة المحاذر على نفسه مجبورا على مشاهدة خراب البلاد من فوق الجبال وما هو حاصل من الفظائع الواقعة من خيالة النوميديانيين فى تدميرهم البلاد بالسيف والنار بسرعة زائدة كل هذا كان جاريا على مرأى من أعين قواد وضباط وعساكر الجيش الرومانى فهاج الجيش هياجا زائدا على فابيوس وطلبوا منه سوقهم فى الحال الى الحرب ولما وطد فابيوس فرصة اشتياق العساكر الى الحرب ورغبتهم فيه سار فى الطريق الموصل الى كاسلنوم وهى مدينة قابوه الجديدة ورتب الخفر اللازم على المرتفعات الحاكمة على هذا الطريق وسكن روع نفسه بكونه قطع خط رجعة عدوه ومن بعد أن عرف حنبال مكر وخدائع فابيوس وما هو عليه من العزم حفظ سلامته منه بتدبيرات أجراها وخدائع سواها فانتظر الى الليل

وأرسل عساكره الخفيفة للتسلق فوق المرتفعات وساقوا أمامهم كثيرا من الأثوار والابقار مربوطا في قرني كل منها شعلة من نار وطردوا هذه المواشي أمامهم مع السرعة فظن الرومانيون أن عدوهم سائر نحو المرتفعات بمشاعل من نار فأنزل في الحال فابيوس عساكره التي كان رتبها لحراسة الطريق وضبطها وسار خلف ما كان يظن أنه جيش حنبال وأما حنبال فانه بمجرد ما رأى خلو الطريق من خفرها وحراسها أسرع في المسير بجيشه من تلك النقطة الخطرة وفي صباح اليوم الثاني جمع عساكره الخفيفة من فوق العلالي وأوقع بالجيش الروماني خسارة شديدة ثم انسحب الى ابوليا بالذخائر والعلوفات الكافية لجيشه في مدة فصل الشتاء

ومع ان ادارة فابيوس كانت مشؤمة على الرومانيين وما حصل منها أدنى فائدة بل اتلافات جمة الا أن ذلك ارتفع عن الرومانيين بما حصل من نتائج الاعمال في فصل الربيع الثاني من سنة ٢١٦ قبل الميلاد وذلك أن الرومانيين جندوا جيشا مؤلفا من ٩٠٠٠٠ نفس تحت قيادة القنصلين اميليوس بولوس وطرنطيوس فارو وأرسل هذا الجيش الى ابوليا فهزم حنبال هذا الجيش العريض بالقرب من المدينة الصغيرة المسماة كانيه مع خسارة قدرها من ٤٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ قتيل وكان من ضمن القتلى القنصل أميليوس وثمانون من أرباب مجالس السناتو أي من الاعيان وما بقي من العساكر هرب أو قتل ما عدا شرذمة قليلة كانت تحت قيادة فارو فانهم حفظوا خط رجعتهم وتقهقروا مع الانتظام فكانت هذه الهزيمة أعظم مصيبة على رومة ما كابدت الا أمثالها وقعت عليها من قوة قليلة وبها وقع كامل ايطاليا الجنوبية في قبضة حنبال وسلمت كافة المدائن نفسها ما عدا المستعمرات الرومانية والمدائن الجريقية الموجود فيها محافظو الرومانيين وأما مدينة فابوه فانها فتحت أبوابها وقت اقتراب حنبال منها وصارت محطة عسكرية له قضى فيها فصل الشتاء بجيشه ثم ان فيليب الخامس صاحب مقدونيا وهيرونيموس صاحب سراقوسه من سيسيليا صارا حليفا قرطاجنة وأرغما الرومانيين بتفريق قواهم على مقابلة كل منهما فاغتر حنبال في هذا الوقت من توطيد نجاحه ومن المحتمل أنه كان يحصل هذا النجاح لو كانت قرطاجنة سارت على حسب شهوات نفسها وعاملت هذا الرجل الذي كان فيه صلاحية وقابلية لهزيمة رومة وكسر شوكتها بمعاملات دنيئة قبيحة

وكان تدبير رومة في مدة هذه المشاكل الشديدة والاخطار والمصائب التي حاقت بها من العجب العجيب وذلك أنها بذلت مجهودها وما في طاقة أهلها وجندت جيشا آخر وأرسلته الى ميدان الحرب في مواجهة حنبال واشتغل كل من مقدونيه وسراقوسه بالاستعدادات اللازمة في بلادها حتى يكون لكل منهما طاقة على ارسال مساعدات الى حنبال وأما المدائن الجريقية والمستعمرات الرومانية فانه لم يقع فيها روع ولا هلع مثل ما حصل لمدينة كانيه وغلقوا أبوابهم في وجوه القرطاجنيين وصار من الواضح الجلي أن حنبال صار في حالة لا يمكنه أن يكتسب منها أدنى فائدة من دون أن يجمع قوى جديدة وكذا تعين قواد جديدة في قيادة الجيوش الرومانية وتوظف فيها أمهر القواد مثل طبريوس صمبرونيوس غرافشوس ومركوس فاليريوس وكان على الجميع مركوس كلوديوس مرثلوس وكان عالي الهمة صاحب شجاعة وتدبير في الحروب وفي سنة ٢١٥ قبل الميلاد صار للرومانيين طاقة على هزيمة حنبال تحت أسوار مدينة نولا والزامه على المدافعة عن نفسه وكانت ضعفت شجاعة عساكره من رفاهيتهم في عيش فابوه وتلذذهم بما كانوا فيه من النعم في مدة فصل الشتاء السابق فصار لا طاقة لهم على ضرب

الرومانيين والتزم حنبال على كونه يتأمل ويتبصر فى العواقب حتى رأى فى نفسه أنه لا يمكنه تيسر الحصول على نجاح فتح ايطاليا الا اذا ورد له تقويات كبيرة وأمداد من نواحى افريقه واسبانيا وكان حازدروبال فى اسبانيا كسره صكيبو على شواطئ نهر ابرة وضايقه مضايقة شديدة حتى ان قرطاجنة أرسلت العساكر والذخائر التى كانت أعدتها لمساعدة حنبال الى جهة حازدروبال لان ضبط اسبانيا والمحافظة عليها من أهم الامور عند قرطاجنة

وفى سنة ٢٤٥ قبل الميلاد قتل هيرونيموس صاحب سراقوسة وفى سنة ٢١٢ قبل الميلاد تغلب مرسليوس على سراقوسة من بعد أن حاصرها سنتين وأما حازدروبال فى اسبانيا فانه أشعل حربا شديدا على الاصكيبونيين وهما كنطوس وبوبليوس وكانا مجدين فى اغتصاب بحيث جزيرة اسبانيا من قرطاجنة الا أنهما صارا يأخذان من حازدروبال البلاد شيأ فشيأ وصار على شرف الالزام بالخروج من اسبانيا فانتصر عليهما فى سنة ٢١٢ قبل الميلاد نصرة جليلة وأوقع بهما هزيمة مهولة قتل الاثنان فيها فصار ارسال جايوس كلوديوس نيرو وهو ضابط ماهر الا أنه فاسد الطبع خليفة بدلهما مع قوة امدادية قدرها ١٢٠٠٠ نفس فجمع نيرو فى جمع ما بقى من الجيش الا أنه لم يتيسر له الظفر بخلاص المخالفين لرومة فضلا عن كونه صار على شرف القبض عليه بحازدروبال فى سنة ٢١٠ قبل الميلاد وفى السنة التالية أرسل السناتو بوبليوس صكيبو ابن القنصل صكيبو الذى كان قتل فى اسبانيا متقلدا زمام قيادة الجيش فكان هذا الشاب صكيبو من الطبقة الاولى فى زمرة القواد العظام فأظهر شجاعته وبسالته بوقوع مضايقات شديدة على حازدروبال وأخذ منه عاصمته قرطاجنة وفى سنة ٢٠٨ قبل الميلاد هزم حازدروبال فى ادالوسيه (الاندلس) ثم صدرت الاوامر من قرطاجنة الى حازدروبال فى اسبانيا بالتوجه من الغلية الى ايطاليا لمساعدة حنبال فمن بعد هذه الواقعة الاخيرة ترك حازدروبال اسبانيا تحت قيادة اثنين من قواده وجد فى سيره وحارب فى طريقه الى الساحل الشمالى من اسبانيا بعض العشائر الى أن عبر جبال البرينيس من طرفها الغربى ودخل بلاد الغلية وسار نحو جبال الالب من دون أن يلقى أدنى مقاومة والتحق به الكثير من أهل الغلية فمن ثم كان جيشه آخذا فى الزيادة كلما تجول فى البلاد وعبر جبال الالب من الدرب الذى عبر منه أخوه وفى فصل ربيع سنة ٢٠٧ قبل الميلاد نزل فى سهل نهر البو وما كان أحد منتظرا سرعة وصوله الى ايطاليا بهذه الحالة وكذا ما كان الرومانيون على أهبة استعداد الملتقاه فلو أنه جد فى سيره نحو رومة لتغلب على المدينة وانقضى نحب الحرب الا أنه وجه جيشه لمحاصرة مدينة بلاسنطيه ووقعت اجرا آته وأعماله الاخيرة فى يد القنصل نيرو

وفى غضون هذه المدة ابتدأ حنبال فى الحركة نحو الجهة الشمالية حالما سمع أن أخاه مر من جبال الالب وذلك من بعد أن صرف المدة من ابتداء واقعة كانيه فى اتمام فتوح ايطاليا الجنوبية فتبعه القنصل نيرو على قرب منه بجيش مقداره ٤٠٠٠٠ نفس لكن يظهر أن القائد القرطاجنى ما كان عنده أدنى تزعزع فى حركته من هذه القوة لانه كان يراوغها بأحد أجنحة جيشه عندما يرى الموافقة فى ذلك ولما وصل حنبال الى مدينة قانوصيوم وقف بجيشه ينتظر افادة من أخيه يعلمه فيها بطريق اتصال قوتيهما فانضبط هذا المكتوب بنقط الحرس الخارجة الرومانية وسلموه للقنصل نيرو فكان فى هذا المكتوب أن حازدروبال عازما على الحركة الى الجهة الجنوبية من طريق فلامينوس وان مدينة

نارنيه هى النقطة التى يتعشم فيها الحاقه بحنبال فأرسل القنصل نيرو فى الحال قوة قدرها ٨٠٠٠ نفس من العساكر الرومانية الى نارنيه لاجل المحافظة عليها وأخذ قوة قدرها ٧٠٠٠ نفس من عساكره المتدربة وترك معسكره وأسرع الى سنه غاليقه وكان فيها القنصل الآخر مركوس ليوفيوس منتظرا زحف حازدروبال وصار القنصلان سويه نحو حازدروبال فوجداه عبر من نهر المطوروس فألزماه المحاربة ومن بعد أن وقع بينهم واقعة شديدة هزماه وتبدد الجيش القرطاجنى ورغب حازدروبال فى استرداد ماضاع منه فى الهزيمة ففرق فى صنوف الرومانيين ومات موتة شجعان العسكرية ثم بعد هذا جد نيرو فى سيره عائدا الى قانوصيوم فوجد فيها حنبال لم يزل منتظرا ورود الافادة من أخيه وكان على غاية من التلهف والشوق لها ومضى على ذلك أسبوعان من ابتداء تعسكر العسكر فى هذه الجهة ولم ترد أخبار من جهة حازدروبال فأتى القنصل نيرو بالافادة معه وهى رأس حازدروبال مضمخة بالدماء وأمر برميها فى معسكر حنبال مكافأة من طبيعته البربرية القبيحة لسخاوة وكرم الشجاع القرطاجنى جزاء له على فعله الجليل الذى أجراه من الاحتفال العظيم بجنازة كل من بولوس غراقشوس ومرثلوس حال دفنهما فلما ظهر لحنبال من حقيقة هذه الرسالة فقدان كل شئ فى الجيش فترك معسكره وتقهقر الى أراضى البروطيانيين وفى جبالها القاصية أمكنه البقاء على موقعه فى البحث جزيرة ومن حيث لم يمكنه الانسحاب من تلك البلاد ومكث ثلاث سنوات ضابطا هذا الموقع الا أن الوقائع الحربية كانت بغير ثمرة بالكلية

وفى هذا الوقت أصلح صكيبو ما كان حصل منه من الخطا فى كونه مكن حازدروبال من تركه اسبانيا بواسطة تغلبه على مملكة اسبانيا وفى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد عزم صكيبو على الغارة على أراضى مملكة قرطاجنه فأقلع من ايطاليا الى افريقة فى رأس ٣٠،٠٠٠ نفس و ٤٠ سفينة حربية و ٤٠٠ سفينة نقالى وما قابل أحدا فى أثناء سفره هذا ونزل على البر بالقرب من أوطيقه فوجد القرطاجنيين متساعدين بقوة قدرها ٥٠،٠٠٠ من المشاة الليبيانيين و ١٠،٠٠٠ من الخيالة تحت قيادة صفاقس ملك وطنى من ملوك أفريقه فاجبر صكيبو على أن يكون منحازا على الدوام لجهة الساحل وفى السنة التالية أى سنة ٢٠٣ قبل الميلاد أغار على معسكر القرطاجنيين وهزم جيشهم ومن بعد مضى بضع أسابيع ورد لقرطاجنة قوة من مقدونيا وعساكر من اسبانيا فهزمهم صكيبو أيضا ثم من بعد ما كان للقرطاجنيين طاقة يبرزون بها الى ميدان الحرب بعد هاتين الكسرتين فطلبوا حنبال من ايطاليا من أجل خلاص قرطاجنة فما حصل منه أدنى تذمر أوذم لحكومته بل عاد حنبال الى قرطاجنة واجتهد فى أداء الاشغال التى تحولت على عهدته فجمع جيشا والتقى مع صكيبو فى نواحى مدينة الزامه فى فصل ربيع سنة ٢٠٢ قبل الميلاد فوجده صكيبو خصما شجاعا زيادة عن جميع من وجدهم من القواد ومع ما كان عليه حنبال من جودة التدبير فى الحروب والوقائع وشجاعة عساكره المتدربة فانه انهزم شر هزيمة وتبدد جيشه وهرب هو مع شرذمة من رجاله الى حضرميطوم أو حضرموت الغرب وصارت قرطاجنة تحت رحمة رومة وعقدت معها صلحا فى سنة ٢٠١ قبل الميلاد وسلمت قرطاجنة الى رومة جميع أراضيها الخارجة عن حدود أفريقه وردت كافة الاراضى التى كانت أخذتها من نوميديا وصار ملكها مسنيسيا حليفا جليل القدر مع صكيبو فى الحرب الاخير وسلمت أيضا أسطولها وفيلتها الى الرومانيين واتفقت أن تدفع خراجا سنويا قيمته

٢٠٠ وزنة وعهدت على نفسها بأنها لا تداخل فى أى حرب من دون رضا رومة وبالجملة فان قرطاجنة ضيعت حريتها واستقلالها وصارت ايالة خراجية لرومة ولما عاد صكيبو الى رومة قابله أهلها بالحماس والحمية وأكرموه وعملوا له موكبا جليلا ما رأت المدينة مثله قبل ولقبوه بلقب افريقانوس تذكارا لفتحه افريقه

ومن نتائج ما حصل من المظفرات لرومة فى الحرب القرطاجنى الثانى لم تخلص رومة فقط من طريق وسكة عدوتها المهولة قرطاجنة بل نالت تمام السيادة وحازت كمال السعادة فى الجهات الغربية من البحر الابيض المتوسط وقامت الحماية الرومانية على القبائل الوطنية الافريقية وأضافت استقلالية مملكة سراقوسة الى الايالات الرومانية فى سيسليا وأضافت القسم الاصلى من اسبانيا أيضا الى المملكة الرومانية وأخذت ثروة الجمهورية فى الزيادة الوافرة وعاقبت الممالك العاصية من جنوب ايطاليا بأشد العقاب وكانت كافة الاجناس من وطنى ايطاليا على غاية من الكدر والضيق ماعدا الجنس اللاتينى وتشيدت الحكومة اللاتينية على كامل البحيث جزيرة واستمر الحرب مع أهل الغلية الموجودين فى جنوب جبال الالب من بعد هزيمة قرطاجنة فى سنة ١٩١ قبل الميلاد حتى خضع كافة أهل ايطاليا وصاروا جميعا لاتينيين مع السهولة حتى هذا الجنس الغليق

وحالما كانت رومة مشتغلة بحربها مع أهل غلية جنوب الالب كانت مشتبكة أيضا فى حربها الثانى مع فيليب الخامس صاحب مقدونيا وقد ذكرنا سر وقائع هذا الحرب ونتائجه فى تاريخ الجريس فى هذه المدة وكان انتهاء الحرب فى سنة ١٩٧ قبل الميلاد وجاء عقب هذا سعى وعزم أنطيخوس الاكبر صاحب سوريا فى ضم مقدونيا واسيا الصغرى الى ممالكه وقد ذكرنا هذا الحرب والمظفرات التى بها طرد الرومانيون أنطيخوس من مقدونيا وآسيا الصغرى وجلبوا كلا من المدينتين تحت أقدامهم نظير ما حصل لهما من مرحمتهم من طرد أنطيخوس عنهم فقد ذكرناه جميعه فى تواريخ الجريق والسوريانيين فى هذه المدة وما نالت رومة بهذه المظفرات شبرا واحدا من تلك الاراضى لنفسها بل أعطت كل ما تغلبت عليه وكل ما استلمته من الاراضى الى كل من محالفيها برجاموس ورودس ودبرت لنفسها سياسة عظيمة أظهرتها العموم الامم الشرقية حصل منها النفع لحلفائها ومحبيها وصار لهم دولة وصولة وانتشرت شوكتها وعظمت سيادتها واشتهر اسمها فى كافة الجهات طولا وعرضا وكان ما حصل لها من هذه النتائج أحسن لها بكثير من استحواذها على الاراضى وفى أثناء هذه المدة أنشبت رومة أربعة حروب أخرى فى نواحى أوروبا الغربية وما كان تم خضوع بحيث جزيرة اسبانيا لانه نشأ من مقاومة أهل لوسيطانيا (البرتغال) وشجاعتهم استمرار الجيش الرومانى فى الاشتغال بالاعمال الحربية وكانت الحروب أيضا مستمرة مع القبائل الجبلية فى ليغوريا ومع سردينية وقورسيقه فأما سردينيه فان صمپرونيوس غراقشوس تغلب عليها فى نحو سنة ١٧٦ قبل الميلاد وأرسل كثيرا من أسراها الى رومة لبيعهم فى سوق الرقيق وترادفت حالة السردانيين فى المبيع حتى وصلوا الى أبخس الاثمان وكانت نتائج الحروب الاخيرة فى الجريس فتح مقدونيا وابطال الاتحاد الاخائى وقد ذكرنا كلامنا على ذلك فيما سبق وليس هنا فى الاعادة افادة وبواسطة ما حصل من الهزيمة الاخيرة للجيش المقدونى فى نواحى مدينة پيدنه اتضح جليا للعالم الدنيا أن الجيش الرومانى لا يقاومه جيش ولا يضارعه أحد وأن المحاربة معه لا فائدة فيها ومن ثم صارت رومة سيدة الدنيا ومدت صولتها وسيادتها على مصر واسيا

بتقلدها زمام حماية المملكة المصرية وصار لاجسارة لواحدة من الامم المتمدنة على مضارعتها ومقاومة أحكامها وأعمالها وكانت رومة على يقظة تامة من شوكتها ونفوذها الا أنها ما كانت على وفا من ذلك ومضى عليها ثمانية عشر سنة من دون حصول حروب بل بعض حروب صغيرة غير مهمة مع عشائر الالبيين والاسبانيين وشرع مجلس السناتو فى اجراء ما تقرر عنده من المطلب الاكبر وهو ترتيب المملكة الرومانية والدنيا المتمدنة تحت درجة واحدة وميثاق واحد فكان أول مشروع فى هذا العمل هو الاتفاق فى مجلس السناتو على خراب مدينة قرطاجنة ومحو أهلها من الدنيا ومع انها خضعت وضعفت قوتها وانعدمت شوكتها الا أنها لم تزل العدو الالد لرومة وأما قرطاجنة فانها ما كانت على وفاء تام من الصلح الذى كانت أجرته مع رومة فانها كانت على حصول أدنى سبب زهيد مستعدة لتجديد الحرب على قرطاجنة وصممت على اختلاق علة توجب بها هياج الحرب عليها الا أن قرطاجنة كانت صرفت كل شئ يعود منه النفع عليها فى عقد الصلح فصار يصعب عليها البروز الى ميدان الحرب على أن بروزها للميدان من دون سبب مرضى غير مقبول وكانت الكراهة والعداوة والبغضاء الحاصلة عند رومة من جهة قرطاجنة مشحونة جميعها فى صدر كاطو الفظ الغليظ الحاكم الرومانى فكان كلما طلب منه صوت فى المجلس مختص بحالة قرطاجنة يعطى جوابا وصوتا لا يتغير أبدا وهو يقول انا أقول انه لا يجب أن تكون قرطاجنة فى عالم الدنيا فأخذت رومة جوابه وصوته هذا علة للحرب وأصدر مجلس السناتو أمر الاهل قرطاجنة بهدم مدينتهم ونقلها الى جهة بعيدة من البحر بقدر عشرة أميال فلما قرأ القرطاجنيون منشور الرومانيين ما قبلوا طبعا هذا الطلب المشتمل على هلاك هذه الملة فى رضا خاطرهم فأعلنت رومة فى الحال بالحرب على قرطاجنة فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد ومن ثم كان ابتداء الحرب الثالث القرطاجنى

ثم استمر القرطاجنيون فى هذا الحرب المعدوم العدل والانصاف مدة أربع سنوات يحاربون فيها مع اليأس وقطع الامل وما كان عندهم فكر يؤملون به أسباب النجاح وما كان عندهم سفن ولا أسلحة لان مجلس السناتو دهمهم بأمره هذا من بعد أن استلم القواد الرومانيون فى افريقة الاسلحة والطقوم الحربية التى كانت كافية الى ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وأخذوها على اعتقاد الصلح والسلم وما كان لهم من محالفين ومع هذا كله فانهم صاروا على غيرة وحمية وشرعت هذه الامة الباسلة فى اجراء الاستعدادات اللازمة لزوال ما هى عليه من الضعف والخسة فعملوا المخندقات اللازمة لحفظ الاسوار والاسلحة والدروع اللازمة لتطقيم العساكر وهدموا مبانيهم العمومية وأخذوا منها أصناف الاخشاب والمعادن اللازمة للاعمال واشتغل كافة أرباب الطوائف والحرف والصناعات رجالا ونساء وشبانا ليلا ونهارا فى تكميل آلات الحرب وما يلزم لاستعداد العساكر ومحافظة المدينة وقطع النساء شعورهن الطويلة الطويلة وأعطينها للحبالين لاجل فتلها حبالا للمخنيقات وفى ظرف مدة قليلة تسلحت الاسوار ومدافعوها مرة أخرى وكانت كافة هذه الاشغال جارية وقت ما كان الجيش الرومانى معسكرا فى أوطيقة فمن هنا يعلم أن هذه الاشغال كانت جارية على علم من العدو وعلى مرأى منه أى تحت نظره وأخيرا زحف الرومانيون معتمدين على أن المدينة لا مدافعة فيها فاندهلوا وأخذهم الاستغراب لما رأوا الاسوار متسلحة مرصوصا عليها صفوف المدافعين مستعدين للمدافعة الى الموت ولما وجد الرومانيون أن لا طاقة لهم بالهجوم على المدينة عنوة حاصروها برا وبحرا وفى السنة الثالثة

من الحرب والحصار أنشأ القرطاجنيون أسطولا مؤلفا من ١٢٠ سفينة فى مينتهم المحصورة وحفروا خليجا من المينة واصلا الى البحر من خلف المدينة وأوصلوا مراكب أسطولهم الى البحر فلو كانوا هجموا فى الحال على الاسطول الرومانى لكان القرطاجنيون أبادوه جميعه لان الرومانيين كانوا على غير استعداد وقت خروج الاسطول القرطاجنى بل اكتفى القرطاجنيون بظهورهم فى البحر ورجوعهم الى مينتهم ثم من بعد مضى ثلاثة أيام من عودهم للاستعداد للواقعة استعد الرومانيون لهم أيضا وطردوهم وازدحم الاسطولان سوية فى الخليج وأوقعوا التلف فى بعضهما وكانت الهزيمة والخسارة بين الاثنين واحدة وفى سنة ١٤٧ وسنة ١٤٦ قبل الميلاد حصل فى المدينة القحط والوباء وتولد منه ضعف زائد فى المدافعين حتى انه فى أول هجوم حصل عنوة على المدينة فى فصل ربيع سنة ١٤٦ قبل الميلاد صار لا طاقة للمدافعين على حماية الاسوار كما هى عادة عنفوان شجاعتهم واستحوذ الرومانيون على المينة الداخلة واستمروا فى حرب صعب لبث ستة أيام الى أن وصل الرومانيون تحت ذيل أسوار القلعة فأمر القنصل صكيبو امليانوس بحرق المدينة من جميع جهاتها فهلك فى لهب النيران كثير من الناس الذين كانوا مختبئين فى منازلهم وسلم محافظو القلعة وهرب حازدروبال القائد القرطاجنى مع عائلته فى هيكل اله الشفاء فأشعل النار فيه بعض الرومانيين وكانوا هربوا فيه من خوفهم من الرومانيين وكانوا مع القائد حازدروبال ورجحوا الموت فى هذا المحل على الوقوع فى يد أهل بلادهم ولما رأى حازدروبال اضطرام النار فى المعبد هرب منه ورمى نفسه على أقدام صكيبو وتوسل له فى نجاة حياته فنحه صكيبو هذه المنحة التى عادت عليه بالعار والفضيحة ولما رأت زوجته الشريفة جبانته من الهيكل نزلت على درج المعبد مع أولادها وناد ته وحزنت على ما وقع منه من الجبن وذكرته بالعار والفضيحة عند أهل بلاده مما حصل منه من الجبن والخساسة ثم قفزت مع أولادها فى لهب النار وصار تدمير المدينة بالكلية ولم ينج من سكانها الا العشر فقط وكانوا نحوا من ٣٠٠٠٠ رجل و ٢٥٠٠٠ امرأة صار بيعهم جميعا فى أسواق الرقيق وما بقى من المدينة الا آثار أطلال واقفة فأمر مجلس السناتو بعبوسة وتقطيب وجه صكيبو بازالة وهدم هذه الاطلال فاضرمت فيها النيران ولبثت النار مشتعلة فيها سبعة عشر يوما حتى محت آثارها وصارت أكواما من الرماد يستدل منها على المحل أو الموقع التى كانت قرطاجنة موجودة عليه وحصل لصكيبو غاية الاقشعرار من الافعال التى فعلها بنفسه ومن بعد هذا صار ترتيب الاراضى القرطاجنية مرة ثانية بمعرفة الرومانيين وجعلوها لهم ايالة رومانية افريقية عاصمتها أوطيقة وصارت هذه العاصمة مخزنا للتجارات الرومانية والسفن وخلفت التجارة الواسعة العظيمة التى كانت متمتعة بها قرطاجنة

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ من خراب قرطاجنة الى موت ماريوس ﴾

التغلب الاخير على الجريس ـ صيرورة الجريس ايالة رومانية ـ الحروب فى البحث جزيرة الاسبانية ـ قمع لوسيطانيه وصيرورتها ايالة رومانية ـ التغلب على النومانطيين ـ تغلب الرومانيين على برجاموس وصيرورة السلطة لهم فى آسيا الصغرى ـ سرعة زيادة أهل رومة ـ تعادل غو الفقر والفاقة ـ أسباب حصول الفقر ـ الفساد فى الادارة ـ الحرب الاول الرقى ـ المساعى التى حصلت

فى مداواة وكشف القلاقل والارتباكات السياسية والاشتراكية فى رومة ـ طبريوس غراقشوس ـ عرضه قانون تقسيم الاراضى ـ نكث أعماله ـ عدم قبول القانون ـ قتل طبريوس غراقشوس ـ قتل صكيبو املبانوس ـ نفور اللاتينيين والايطاليانيين ـ كايوس غراقشوس ـ صيرورته حاكما ـ أعماله فى صلاح حال الامة ـ الاشوان الصمبرونيانيه ـ ازدياد فقراء الامة فى رومة ـ عدم قبول عرض انتشار حقوق التبعة المدنية الرومانية على جميع الايطاليانيين ـ سقوط غراقشوس ـ قتله ـ حدة العوام فى البطش بالاشراف ـ الحرب مع يوغورته ـ قيام كايوس ماريوس ـ غلاقه الحرب اليوغورثانى ـ انتخابه للقنصلية ثانيا ـ اغارة السمبريانيين والطانطونيين على الغلية من جنوب الالب ـ هزيمتهم الجيوش الرومانية ـ ارسال ماريوس وهزيمته اياهم ـ دخول السمبريانيين فى ايطاليا وهلاكهم بواسطة ماريوس ـ صيت ماريوس ـ انتهازه الفرص وتردده فيها ـ الحرب الثانى الرقى ـ قتل دروسوس ـ الحرب الاشتراكى أو الاتحادى ـ المنح التى منحتها رومة للايطاليانيين ـ العداوة بين ماريوس وسولا ـ الشقاق الاخير بينهما ـ الحرب الاول الداخلى ـ ظفر سولا وهروب ماريوس ـ طرد سنا من رومة ـ رجوع ماريوس ـ مسكه رومة ـ المقاتل والمذابح الماريانية ـ القنصلية السابعة وموت ماريوس ـ ذبح ذابحى المذابح الماريانية بواسطة سبرطوريوس

دعيت رومة فى أثناء الحرب الثالث القرطاجنى لاطفاء ثورة وقعت فى نواحى الجريس وذلك أن مدعيا ادعى انه ابن برصيوس آخر ملوك مقدونيه والجريس ونشر بيرق العصيان فى مقدونيه وأغار على تساليا وهزم الرومانيين فى واقعة دموية كبيرة فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد وفى السنة التالية هزمه مطلوس وأخذه أسيرا فمن ثم انتهزت رومة الفرصة وتغلبت على مقدونيه وجعلتها ايالة من ممالكها وفى نفس هذه السنة هاج الحرب مع الاتحاد الاخائى كما ذكرناه فى محل آخر وانتهى هذا الحرب فى سنة ١٤٦ قبل الميلاد بواسطة موميوس فضبط قورنثه ونهبها وخربها ولعن كل من يكون سببا من الآن فصاعدا فى عمارتها مرة أخرى وكان أهل قورنثه ذوى مهارة وثروة فى الاشغال الصناعية فارسل موميوس معظم أشغالها الصناعية الى رومة لاجل زينة المدينة بها

وأما الحرب فى اسبانيا فانه لم يزل جاريا وكان للشعوب والعشائر الوطنية من بحيث جزيرة اسبانيا قوة وشجاعة عاكفين على حريتهم ذوى غيرة على جنسهم وحالة معيشتهم وأراضيهم سهلة الحماية والمدافعة بطبيعتها وصلابة جبالها ومنعتها ومازال الشعوب الوطنية فى الجهات الشمالية والغربية من البحيث جزيرة محافظين على مقاومتهم التامة للرومانيين ووجد الرومانيون انه يستحيل عليهم قهر هؤلاء الشعوب واخضاعهم وكان اللوسيطانيون (أى أهل البرتغال الآن) مشهورين على الخصوص بشجاعتهم وبسالتهم وخبرتهم بالحروب والمقاومات حتى أوقعوا هزيمة قارصة على القنصل صرفيوس سولبسيوس جلبا سنة ١٥١ قبل الميلاد وفى السنة التالية أخذ القنصل جلبا بثاره بخديعة وغش من أقبح الاعمال وأخسها وذلك انه عقد معاهدة مع ثلاث لوسيطانية موجودة على الشاطئ الايمن لنهر طاغوس ووعدهم بنقلهم الى أحسن المواطن فاعتمادا على معاهدته معهم حضر اللوسيطانيون اليه وكانوا فى عدد نحو ٧٠٠٠ نفس ليعطيهم الاراضى والجهات التى وعدهم بها فقسمهم الى ثلاث فرق وكانوا بغير سلاح فذبح فرقة منهم وباع الباقى فى أسواق الرقيق فلعن الله

مثل هـذا الخائن الذى لا عهد عنـده ولا ميثاق له فكان من ضمن الذين نجوا بأنفسهم من خـديعة جلبار جـل اسمه فيرياطوس أصله من فقراء الناس الا انه كان على غاية من الجسارة والبسالة فاختاره أهل بلاده قائدا لهم وأخذت شجاعته وجراءته بقلوبهم وكذا بساطته واقتصاد حاله وتواضع سيره وكثرة سخائه وكرمه لاهـل بلاده فهيج حميتهم وقوم غيرتهم واعترفوا له عموما بأن يكون عليهم ملكا وشهدوا له فى ذلك الوقت انه أحد الفرسان العبرية فهـزم الجيش الرومانى فى سبع وقائع كبيرة وأرغم فى الواقعة الاخيرة من هذه الوقائع القائد الرومانى صرفليانوس بالتسليم مع كامل جيشه وفى نصرته هذه ظهر منه الكرم العظيم والسماح الكريم وعقـد صلحا مع القـائد الرومانى تقرر فيـه ان كافة الملة أو الامـة اللوسيطانية (البرتغاليـة) تكون سلطنة مستقلة بنفسها وان فيرياطوس هو الملك على هـذه الامة وعهد الرومانيون على أنفسهم احترام مملكة فيرياطوس ورضى فيرياطوس أن يكون على صـداقة تامة ومحالفـة قوية لرومة وصدق مجلس السـنا على شروط هـذه المعاهدة مع العزم فى المستقبل على نكثها ونقضها ولما وجـد الرومانيون أول علة فى نقضها شرعوا فى تجـديد الحرب على الملك فيرياطوس فأرسل رسلا يثق بهم من طرفه الى رومة من أجل المكالمة فى نقض المعاهـدة بينهم وتقديم شروط صلح جديد فرشى القنصل المبعوثين لقتل رئيسهم وقتل الشجاع اللوسيطانى وهو نائم فى فراشه بواسطة من كان معتمدا عليهم من أعز أصـدقائه واحتفل الجيش اللوسيطانى احتفالا جليلا بجنازة ملكه ثم توجه الجيش الى الحرب الا أنه فى ظرف سنة انهزم هزيمة فاصلة وانجبر على التسليم وصارت لوسيطانيـة ايالة رومانيـة الا ان الحـرب مازال جاريا فى مدينـة نومنطية من شمال اسـبانيا فكان الرومانيون يتممون اجتهادات ومظفرات جيوشهم بالعادة القبيحة الحاصلة من غدر وخيانة قوادهـم واستمر الحرب ست سنوات مشتعلا فى مدينة نومنطية وأخيرا أنهاه صكيبو عمليانوس بشدة المضايقة والحصار على المـدينة حتى فشا الجوع والقحط فى أهلها وصارت المدينة على شرف التسليم والخضوع ولما آلت حالة النومنطيين الى اليأس وقطع الامـل طلبوا المتاركة من الرومانيـين لمضى بضع أيام على قصد أن الذين يرجحون الموت على التسليم يمكنهم أن ينظروا لهم شيأ فى انقراض حياتهـم فقتل الكثير من أهـل المدينة أنفسهم وخضع الباقى وسلموا مدينتهم فانتخب صكيبو منهم خمسـين نفسا من أجـل كبرائهم الذين بقوا على قيـد الحياة زين بهم موكبه وباع البـاقى فى أسواق الرقيق ثم هـدمت المدينـة وساوت الارض وتوزعت أراضـيها على الشـعوب والقبائل المجاورة لها وصـارت كامـل بحيث جزيرة اسـبانيا فى يد الرومانيين ماعدا السـاحـل الشمـالى فقسموها الى ثلاث ايالات العالية والسافـلة والوسطانيـة ومع ان الجبال اللوسيطانيـة استمرت سـنين طويلة مكدرة أحوالها بمناسر اللصوص وقطاع الطرق ولزمت ضرورة الاحوال ببناء منازل الفلاحة فى هذه الجهات كمعاقل وطوابى للمـدافعة والحماية على قدر الحاجة الا أن اسـبانيا أصبحت رعية يانعة مزهرة عظيمة الانتظام تحت أحكام رومة وقوانينها وكثر أهلها وسكانها وأصـبحت البلاد أهل أموال وثروة من المواشى والانعام والحبوب

وفى هـذا الوقت استحوذ الرومانيون على مملكة برجاموس بوصـية عطالوس الثالث آخر ملوكها مع أنه حصل فى هذه الوصية منازعة من أريسطونيقوس الا أنه صار اخماد هذه المنازعة كما ذكرنا فى تاريخ مملكة برجاموس وانتظمت أحوال برجاموس وصارت ايالة رومانيـة فى آسـيا وفصلت رومـة منها

فريجيا الكبرى ومنحت لمتريداطيس الرابع صاحب بونطوس مكافأة له على ما أداه من خدماته الجليلة لرومة فى مساعدته فى الحرب على اريسطونيقوس ومن ثم نالت رومة القسم الاعظم من آسيا الصغرى وفى نحو منتصف هذا القرن وصلت رومة الى حالة قلت فيها حروبها البرانية جدا حتى صارت غير مهمة واحتاجت أحوالها الداخلية الى كامل التفاتها اليها وذلك أنه تسلطن فى رومة ارتباك حالة الفقر القديم وعمت الفاقة على معظم الامة مرة أخرى وصارت المملكة على خطر شديد زيادة عما حصل قبل وفى مدد الحروب الطويلة التى انقضت بين غلاق الحرب السامينى الثانى وبين الاستعمار الاخير فى ايطاليا الشمالية أى من سنة ٣٠٣ الى سنة ١٧٧ قبل الميلاد تولد من تكرار الوقائع والحروب أن صار عشر الاهالى هم المتيسر لهم الحصول على معايشهم وما مسهم سوء الفقر والفاقة العمومية وفى تاريخ هذه السنة الاخيرة أى سنة ١٧٧ قبل الميلاد وقفت هذه الحروب التى تسبب منها خراب البلاد وفقر العباد وأخذت أهل رومة فى سرعة الزيادة حتى وصل تعداد الذكور الراشدين فى سنة ١٧٣ قبل الميلاد فى نفس مدينة رومة الى ٢٦٩٠١٥ نفس وفى سنة ١٣٦ قبل الميلاد زاد هذا العدد حتى وصل الى ٣٢٠٠٠٠ نفس وفى سنة ١٢٥ وصل الى مقدار ٣٩٠٧٣٦ نفس وفى سنة ١١٤ قبل الميلاد وصل الى ٣٩٤٣٣٦ نفس وكانت النتيجة حصول ازدحام بسوق الشغالين فى رومة ازدحاما كبيرا وما صار ارسال مستعمرات جديدة من المدينة الى الجهات البرانية من سنة ١٧٧ قبل الميلاد وكذا ما وردت أسلاب وغنائم من الجهات الحاصل التغلب عليها حتى لم يبق شئ يمكن توزيعه على فقراء المدينة وأراملها وكذا كان كامل أراضى ايطاليا توزعت على أناس أعطيت لهم وفتحت رومة جميع الامم المجاورة لها فاذا لا يوجد الآن أدنى اسعاف ينتظر وصوله من جهة من الجهات وتولد من زيادة الاهالى غزارة الفقر والفاقة وصار لا مراعاة ولا اعتبار بالقوانين الليسينيانية القاضية باستخدام الناس من الشغالين الاحرار عند أرباب الاراضى والفلاحات أو عند المحبوس عليهم مقادير من الاراضى الواسعة حتى كان يصير استخدام الكثير من الناس عندهم لينقذوهم من مادة الفقر وأخذ الاغنياء والمتمولون كافة أراضى الدومين العمومية وصارت كافة هذه الاراضى محبوسة تحت أيدى طائفة قليلة من الناس جارية فلاحتها وزراعتها لهم بواسطة شغالين من الرقيق بأرخص أجرة وأقل كلفة عليهم فما تقدم جميعه أخذ تيسر الحصول على المعيشة فى رومة فى الضيق يوما فيوما وكانت طرق نوال الثروة فيها محصورة فى الاقامة على الزراعة فى الاراضى العمومية على منوال كبير ومكسب جسيم من جمع محصول أو حكم اقليم وكانت هذه المنابع والعيون الجالبة للثروة محصور حكمها المطلق فى طائفة القناصل والحكام وكان هؤلاء الحكام من طائفة الاغنياء المستولين على هذه الاراضى فمن هذا كان كلما أخذ الغنى فى الغنية والثروة أخذ بمثله الفقير فى الفقر والفاقة ومن ترخيص القانون بالعتق واطلاق الحرية انتهى الامتياز بين الطائفتين الكبيرتين فى المملكة وصار الكثير من بيوت العوام أشرافا بواسطة رفعة أعضائها الى أعلى الوظائف من الخدمات العمومية للمملكة الا أن عدد هؤلاء كان قليلا جدا كما انهم رأوا منافعهم الجديدة مقرونة بمنافع طائفة الاشراف نوعا زيادة عن مقارنتها بمنافع الطائفة التى تولدوا منها وجمعتهم ببعضهم الارتباطات المشتركة بينهم من أجل الثروة وكسب الغنية والشوكة فى المستقبل فى جامعة واحدة هذا ومن جهة أخرى فقد صارت الاسواق غاصة بالرقيق المجلوب من الجهات الجارى التغلب عليها من طرف الرومانيين فكانت تشترى

الانفس بأرخص الاثمان فمن ثم انجبر الاحرار من الشغالين على السؤال والشحاذة وزادت الحالة وحلا على وحلها بسبب ان أصحاب الاصوات اعتادوا على أخذ الرشوة بصفة هدايا من النقود أو بواسطة توزيع غلال وحبوب أو ولائم عظيمة وأفراح جليلة يجتمعون فيها بمصاريف من طرف الذين جرى انتخابهم للمجالس أو فى وظائف من وظائف أشغال المملكة فتولد من هذه الطريقة الفاسدة للاحكام والادارات أن صارت الاهالى على استعداد لاى أمر يحصل من قائد ثورة يعدهم بخلاصهم من هذه المضار والاشرار والاعمال القبيحة التى حلت بهم جميعا وكذا كان من الواضح الجلى أن ميل العساكر متجه مع أهل المدينة المصابين بهذه الآفات والبليات من الفقر والفاقة التى عم ضررها بهم زيادة عن ميلهم نحو الحكومة حتى لو قامت الامة فى ثورة واحدة أو متقطعة لا تصطف العساكر أمامهم ولا تتداخل فيهم وتسبب من شدة ماهو حائق بالاهالى من الجوع والفقر توجه آمالهم ومقاصدهم للعصيان والثورة وكان لهم بعض محالفين مستعدين للقيام معهم والانضمام اليهم وهم جماهير الرقيق الجارى معاملتهم بالمعاملات الوحشية حتى صاروا فى حالة مستعدة لقيام ثورة يكونون فى أولها أو أمامها وعرف بعض القواد العقلاء من الرومانيين مبادى هذه الاخطار وغض الكثير من طائفة الاشراف الطرف عنها والتفتوا لما يعود منه النفع على أنفسهم وصرفوا النظر عن مشترى الادوية اللازمة لشفاء هذه البلايا والمصائب وكشفها عن الذين حلت بهم وابتدئ فى مثل هذا المشروع بانذارات وانباآت بالخطر المهدد لرومة وكانت هذه الانذارات مبادى الحرب المعروف بالحرب الرقى الاول وكان حصول هياجه فى نواحى جزيرة سيسيليا فى سنة ١٣٤ قبل الميلاد فاستمر هذا الحرب جاريا مدة سنتين وذلك ان ٢٠٠٠٠٠ من الرقيق يئسوا مما حل بهم من سوء المعاملة الواقعة عليهم من أسيادهم وقاموا فى ثورة واحدة ودهموا جزيرة سيسيليا الجملة بما أجروه فيها من السلب والنهب والخراب والبطش بأسيادهم وكانت ثورتهم صعبة الاخماد حتى انه تراآى أن لابد من انتشارها فى يوم ما حتى تصل الى الارض الاصلية من ايطاليا وهاجت ثورة الرقيق فى عدة جهات وعلى الخصوص فى منطورنى وسنويسه الا أن هذه صار اخمادها فى الحال

وكان من الذين لهم دراية تامة بوجود المضار والمصائب الحائقة بالامة وتدارك الدواء اللازم لكشفها مع الشدة والعزم عضو من أحد البيوت العالية من بيوت العوام اسمه طبريوس صمپرونيوس غراقشوس حفيد صكيبيو افريقانوس وحاكم من حكام الامة فعرض فى سنة ١٣٣ قبل الميلاد عدة لوائح وقوانين لمداركة كشف هذه المصائب من بين أهالى التبعة الرومانية واصلاح الحالة العمومية فى ايطاليا باستبدال الرقيق فى زراعة الاراضى بالاحرار وبهذا تتيسر أسباب المعيشة لكثير من طوائف الفقراء من أحرار الناس فكان الذى عرضه هو أولا ـ احياء القوانين الليصينيانية المتروكة من مدة طويلة وتحديد مقدار الاراضى المحبوسة تحت يد أى شخص بطريق القانون الى ٥٠٠ يوجيره مع مادة ترخص له أن يضيف ٢٥٠ يوجيره لكل ولد بالغ أو مراهق غير معتوق ثانيا ـ ترتيب مجلس دائمى مؤلف من ثلاثة أعضاء لاجل تنفيذ أحكام هذا القانون ثالثا ـ توزيع أراضى المملكة بين فقراء التبعة وقت ما يصير خلاصها من المستحوذين عليها الغاصبين لها ولا يكون عندهم الا المقرر فى البند الاول من القانون رابعا ـ يجرى مكافأة أرباب الاراضى الواسعة نظير ما يؤخذ منهم من الزائد عن الخمسمائة يوجيره ونظير الاصلاحات التى أجروها فى الارض بأن يكونوا مطلقى التصرف فى الخمسمائة

بوجيره التى رسمت لهم خامسا ـ متى حصل العمل على موجب بنود هذه اللائحة فانه الاتباع ولا ترهن ومن الواضح الذى لاريب فيه ان غراقشوس كان مسلطا من طرف بعض الاشراف أهل الشفقة والرأفة على الفقراء فى كونه يعرض هذه الاعمال ومع هذا صار رفضها بشدة وعنف وهددوا مخترعها وتوعدوه مع الحنق الزائد لانه بالنسبة لعدم مراعاة القوانين الليصينيانية وترك السير على موجبها استحوذ الجم الغفير من الاشراف والاغنياء المتمولين من الايطاليانيين على مقادير وافرة من الاراضى الواسعة خارجة عن الحدود المقررة فى البند المعروض وكانت هذه الاراضى فى حوزة عائلات من الاغنياء والمتمولين من مدة سنين مضت وصرفوا عليها مصاريف جمة فى ابتناء أبنية فوقها فأخذ هذه الاملاك ونقلها الآخرين ليجعلهم مطلق التصرف فيها ويحرم منها أربابها السابقين خصلات المعارضة فى هذه اللوائح والقوانين بواسطة أوقطافيوس وكان حاكما مثل غراقشوس أى قرينه فى الحكم ولما صار عرضها على جمعية العشائر والشعوب صار منع أوقطافيوس من الكلام وعدم الدخول فى مثل هذه المواد ومن شدة ما حصل من المناقضات وعدم القبول فقد غراقشوس حواسه وتوسل بالامة فى خلع أوقطافيوس الذى هو سبب فى عدم تمشية هذه اللوائح فصدق الامة على هذه القوانين ولزوم الاجراء على موجبها ورتب مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء وهم غراقشوس وأخوه جايوس وحموه أبيوس كاوديوس بشأن تنفيذ هذه القوانين وحصل الشروع فى حصر الاراضى العمومية واستردادها من المستحوذين عليها وتوزيعها على حسب نص بنود القانون وكانت هذه الحالة من أصعب الاعمال التى اخترعها غراقشوس وتولد له من هذه المادة البغضاء والعداوة التى تمكنت فى قلوب طائفة الاشراف بل أعلنوا صراحة بأنهم مادام لاطاقة لهم على عدم تمشية هذا القانون فان مخترعه لايسلم ولا ينجو من بطشهم وانتقامهم منه وألح الامة على غراقشوس وطلبوا منه أعمالا يتولد من اجرائها العصيان وذلك أن الرومانيين فى الحالة الراهنة صاروا أسياد مملكة برجاموس ووصلت هذه المملكة الى أيديهم بكنوزها وأموالها الواسعة فعرض غراقشوس لمجلس الامة أنه يجب توزيع الاموال البرجامونية على الذين استلموا أراضى من أجل معيشتهم حتى يكون عندهم رؤس أموال يدخرونها لما يلزم لاراضيهم من عدد وآلات زراعة ومواش وبنى طلبه هذا على أن أهل مدينة رومة لها الحق فى فصل وبت حكم تفريق وتوزيع النقود التى تأتى لرومة بأى حالة من الاحوال وقيل انه عرض أيضا بخصوص تقليل مدة الخدمات العسكرية وأن ينزع من أعضاء مجلس السناتو حق اختصاصهم بالمجلس بل يكونون أعضاء كذلك فى المحكمة المدنية وقبول الرعايا الايطاليانية ضمن تبعة مدينة رومة والمدائن الاخر الرومانية فنشأ من هذه الطلبات ارتباكات ومشاكل زائدة شديدة ولما حصل انتخاب الحكام فى السنة التى جاءت بعد اشتد الغضب عند طائفة الاشراف وبذلوا كل مافى وسعهم فى عدم انتخاب غراقشوس ولما رأوا أن ذلك لايمكنهم الحصول عليه نهض أرباب مجلس السناتو تحت امرة بوبليوس صكيبوناسيا وهجموا على غراقشوس ورفقائه فى ديوان مجلس السناتو وذبحوا غراقشوس على درج سلم الكابيتول حالما كان مجتهدا فى الهرب للنجاة بنفسه وقتلوا أيضا معه ثلاثمائة من رفقائه الذين كانوا معضدين له ولم ترخص أعداؤه المتوحشون فى أخذ أجسامهم ودفنها بل رموها فى نهر الطيبر

وفرحت هذه المذبحة عن الاشراف وأطفأت ما كان فى قلوبهم من لهب نار الغضب وزالت عنهم الكروب والخطوب فارتاع العوام وتأثروا جدا من حالة هذا الموت الذى حصل جهرة لاحد حكامهم من

أجل المدافعة عن حقوقهم ولما حصل من الاشراف الجسارة فى مثل هذه الحالة القطيعة التى لم يقع نظيرها قبل عزم الامة على أنه لابد من تمشية الاصلاح على موجب قانون غراقشوس ولما رأى الحزب الموجود فى مجلس السناتو وكان له رغبة فى تمشية هذه الاصلاحات ما هو حاصل من النفور والارتباك حض المجلس على تمشية هذا القانون فاصدر المجلس أخيرا أمره باجراء توزيع الاراضى على نص ما جاء به غراقشوس المقتول بشأن العدل والانصاف وفى سنة ١٢٩ قبل الميلاد رأى صكيبيو املبانوس وكان أول رجل له دراية وخبرة بالاصلاحات وكان أخا صادقا للامة أن اجراآت جمعية توزيع الاراضى خارجة عن حقيقة المقصد من القانون وأنه يتولد منها فتن جديدة فعرض لائحة تتضمن نزع توزيع الاراضى من أيدى هذه الجمعية وتعهد اجراآت التوزيع الى القناصل فضيع حياته فى اجتهاده وسعيه فى حفظ طرق الاصلاحات ووجد قتيلا على فراشه فى صباح اليوم الذى صار تخصيصه لخطبة يخطبها أمام مجلس السناتو يوضح فيها حقوق اللاتنيين فى مسئلة توزيع الاراضى وكان قتله من دون ريب من طرف حزب غراقشوس وعلى قدر ما كان هذا الحزب على غش وخداع من جهة صكيبيو املبانوس كان هو بعكسه صديقا له زيادة عن عداوة هذا الحزب له وحصلت المعارضة لحزب الامة فى الفحص عن مادة الجريمة ولما رأى الاشراف أنهم فقدوا عدوا لا صديقا صار لا رغبة لهم فى اخماد هذه المادة فتولد منها خسارات جسيمة لرومة وكان صكيبيو املبانوس أول رجل سياسى وأول قائد عسكرى فى عصره وأول واحد من الطاهرين أهل العفة خالى الاغراض والشبهات ما حازت الجمهورية شخصا مثله قبل ثم قرر مجلس السناتو بالنسبة لما هو حاصل عند أهل المدينة من الحزن العام من أجل قتل صكيبيو توقيف أعمال القانون الحاصل من أجله هذه المنازعات والمذابح ومع هذا فانه ما حصل من توقيف أعماله فائدة بما أن كافة الاراضى كان صار توزيعها تقريبا

ثم انفجر اضطراب جديد وهو أن اللاتنيين والايطاليانيين أعلنوا طلب العتق والحرية وتوسط فى هذا الطلب بعض من رؤساء الامة مؤملين أن ذلك لو حصل للشعوب والطوائف ربما يجعل لهم الطاقة الكافية فى زيادة التأثير والحكم على مجلس السناتو وعرض هذا الطلب فى صفة لائحة على مجلس السناتو وطلبوا من القنصل فابيوس فلاكوس التصديق عليه فى سنة ١٢٥ قبل الميلاد ولما أرسل فى رسالة خارجة عن رومة انعكس رأى السناتو وما قبل المجلس ضرورة هذا الطلب فتولد من رفضه قيام مدينة فريجيا فى ثورة جهارا فأخمدت ثورتهم وهدمت أسوار مدينتهم وتجردت المدينة من امتيازاتها المدنية ودخلت فى امتياز درجات القرى والكفور فكان هذا العقاب الشديد عبرة للمدائن الاخرى الايطاليانية واللاتينية فى الانقياد الى الخضوع

وظهر فى هذه الاثناء فى مدينة رومة كايوس غراقشوس وكان هو الاخ الاصغر لطبريوس المقتول وكان محجورا عليه فى سردينيه بأمر من الحكومة لانه كان من أهل الشغب والثورات وكان صار طلبه من سردينيه من أجل تهمة اتهم فيها بانه كان أحد المهيجين فى ثورة فريجيا فخرج من هذه التهمة برىء الساحة نظيف الاثواب منصورا على الذين اتهموه فيها فقابله حزب الامة مع الفرح والانشراح وجعلوه رئيسا عليهم بأصوات كثيرة خارقة للعادة وكان للعوام فى الزمن السابق رجل جليل القدر قائد لهم استمر معهم عدة سنين وهو أخوه طبريوس الآن كايوس فاق أخاه فى جميع الاحوال فكانت أعماله على ما فيها من كثرة الهياج ومخالفة اجراآت طبريوس سيادية فى مثل هذا الوقت وعلى

حساب مداواة المضار المتسلطنة عند الامة فكانت مقاصد كايوس الاصلية خلاص طوائف الفقراء من فقرهم واذلال السناتو فى منافع أصدقائه والاخذ بثاره من أعدائه فمن ثم عرض أعماله المشتملة على هذه البنود أولا تجديد قانون تقسيم الاراضى وتوزيعها الذى كان حرره طبريوس غراقشوس مع بعض تنقيحات فى نقص الاراضى وقلل كايوس مقدار الحصة الواحدة وقرر أن أرباب الاراضى يجب مراعاتهم بأنهم يكونون مالكيها على شرط أن يدفعوا ضرائب تقرر عليها سنويا للمملكة وطلب أنه لابد من تمشية هذه الحالة النافعة على أرباب الاراضى وملاكها ثانيا طلب من المملكة أن تتكفل ببيع غلال لكل من سكن المدينة على قدر احتياجه منها بحساب نصف الثمن الحاضر فكان هذا العمل من الاعمال الخطرة على المملكة الا انه ربما يتحقق منه وجود حالة الخلاص من الفقر والعناء المتسلطن فى المدينة ثالثا أن تكون النهاية الصغرى لعمر الشبان الذين يصير درجهم فى سلك العسكرية محددا الى سبع عشرة سنة وأن تكون المملكة مكلفة بتطقيم العساكر من طرفها ولا تجعله على العساكر كما كان جاريا فى السابق رابعا يحال على الخيالة أو الفرسان امتياز النظر فى الدعاوى ووكالتها وفى القضايا وبهذا وصلت طائفة الفرسان الى أقصى درجة فى الامتياز خامسا يجب على مجلس السناتو أن يرتب مجالس للايالات والاقاليم ويكلف كل مجلس بفصل أشغال جهته سواء كان بطريق الاتفاق أو بالقرعة على حسب ما يرا آه له فى ذلك من حسن الادارة واصلاح الاحوال سادسا يعهد تعديل الضرائب والعوائد فى الايالات المستجدة فى آسيا على مفتشين وحكام من الرومانيين سابعا يجب احالة مباشرة أشغال الطرق والسكك العمومية فى بحيث جزيرة ايطاليا على حكام من الامة ثامنا يجب غرس وترتيب مستعمرات فى نواحى قابوه وطرنطوم وفى محلات أخرى فى ايطاليا وقرطاجنة وفى الغلية وبواسطة هذه المادة الاخيرة رخص كايوس للجم الغفير من أهل رومة بالخروج منها فأرسل مستعمرة مؤلفة من نحو ٦٠٠٠ نفس الى قرطاجنة لاجل بناء مدينة على آثار وأطلال مدينة قرطاجنة التى خربت وصارت مستعمرة أخرى الى اكياسكسطيا وهى مدينة عكس الجديدة من جنوب بلاد الغلية (فرانسا) ومن ثم يمكننا أن نقول ان كايوس جدد حياة مدينة رومة كما انه كان المرتب والمنظم فى الحقيقة لسعتها فى داخل الايالات التابعة لها ومع أن المادة الثانية التى ذكرها كانت ضرورية جدا بالنسبة للعناء والمضايقات الشديدة الحاصلة من مسئلة الفقر الا أن نتائجها ما وصلت الى حالة عظيمة مرغوبة لان قانونه حصر توزيع الغلال والحبوب على القاطنين فى المدينة فقط ومن أجل هذا صار تشييد أشوان واسعة لخزن الحبوب والغلال عرفت بالاشوان الصمبرونيانية ليشترى منها ما يطلب من الغلال فتولد من هذه المادة أيضا الرخص للجم الغفير من الناس الفقراء الذين ليس لهم طاقة على الاشغال من البلاد والجهات المجاورة لرومة بالذهاب اليها والاقامة فيها وكان المقصد الخفى فى ضمير كايوس من مراعاة هذه الحالة زيادة عدد أصدقائه ومحبيه وأن يكون له طاقة فى الحكم على أرباب الانتخاب فكان على غاية من النجاح فى هذا المقصد الخفى الا أن أعماله ما وصلت الى درجة الكمال لانه تولد من شحن مدينة رومة بالكسالى والجياع والجعيدية وأهل المشاكل والاوباش من عوام الناس وأراذلهم مضايقات شديدة وأخطار هائلة على المدينة استمرت قرونا

وأما حالة عهدة تعديل وجمع الضرائب فى الاقاليم الاسياوية على حكام وموظفين من الرومانيين فانه أراد بذلك حصر محصولات هذه الايالات فى طوائف جديدة ترتب على حسب مقتضيات الاعمال

و بيعت امتيازات جبايات الضرائب لاكبر الملتزمين وأغنى المتموّلين وحصل للطائفة التى تكفلت بهذا التحصيل الجور والتعدى القبيح فى تاريخ مستقبل رومة تحت أرباب الجمهورية ورغب كايوس فى نشر حقوق المدينة الرومانية على كل حر من الايطاليانيين وبذل ما أمكنه من الشهامة والبسالة فى ذلك فكانت هذه الرغبة دمارا على سقوط نفوذه وسلطته لان كلا من الطرفين وهما الاشراف والعوام ما كان لهم رغبة فى منع انتشار هذه الحرية وسلبت عقول العوام مما أذاعه الاشراف من الاقوال والحكايات التى تحوّل عقولهم من جهة كايوس كى يكونوا ضده الا أنهم كانوا على الدوام غير مكترثين بها ثم صار تقويه ليفيوس دروسوس رفيق كايوس فى الحكم من طرف مجلس السناتو فى كونه ينعطف هو أيضا الى ناحية الاهالى وطائشى العوام ويجرى أعمالا زائدة القبول عندهم فهو افعل من أعماله ما صار النظر اليها فضلا عن قبولها وكان ما عرضه هو أن أرباب الاراضى يجب عتقهم من الضرائب والعوائد التى قررها عليهم كايوس وتشييدا ثنتى عشرة مستعمرة ايطاليانية كل منها مركبة من ٣٠٠٠ نفس من السكان لانه بهذا ربما تتحول الحالة الراهنة المشحونة بالفقر الى حالة موافقة للمعيشة فصادقت الامة على هذه المواد كما صادقت على قانون كايوس ولما قدم نفسه محاميا ومحافظا على دكة القضاء فى سنة ١٢١ قبل الميلاد رفض بنفسه هذا القانون وأمر بعدم السير على مقتضاه

وفى شهر ديسمبر سنة ١٢١ قبل الميلاد حصل الاتفاق والجزم من الامة بأن كايوس يعود الى الحكومة من بعد قضاء مدته فى المصلحة فعارض فى ذلك القناصل المستجدون أشد معارضة وعوّل الاشراف على خلاصهم منه مع العجلة الزائدة وسرعة الفعل كما فعلوا بأخيه من قبل وشرعوا فى القدح فى فعله بكونه أمر بتشييد مستعمرة يانونية فى محل قرطاجنة الاشد كراهة لهم وكان هذا أحسن الاعمال وأجودها وصرحوا وجزموا بان الضباع الافريقية نبشت الاحجار التى كانت غرست حدود المستعمرة وحفرتها فعرض السناتو هذه الحالة على الكهنة والعراف فقالوا ان مثل هذا الانذار وهذه الدلائل يجب حصرها فى وحى جليل وانذار جميل يخالف البحث فى بناء مدينة فوق مركز مدينة ملعونة من طرف الآلهة فقبل مجلس السناتو هذا الرأى وأصدر أمره بعدم انشاء هذه المستعمرة اليانونية وفى المجلس الذى تقرر فيه صدور هذا الامر اجتهد كايوس غراقشوس فى رفض هذا القول وعدم قبوله وتولد منه هياج وثوران ذبحت فيه القسس الذين كانوا حاضرين بالمجلس وقرروا انذار الآلهة بعدم بناء المستعمرة وصار القبض على بعض من الكهنة والعراف وصارت الحالة فى اشكال وارتباك وفى اليوم الثانى اجتمع طائفة الاشراف فى الفورم ووضعوا قوة مسلحة فى ديوان السناتو وامتلأ الكابيتول من العساكر الكريدية المستأجرين فى الجيش ولما رأى كايوس وأتباعه انه لا بد من الحرب وان كان بذل مجهوده فى عدم وقوع أدنى سبب تتولد منه هذه المبارزة لكنه اعتزل الى الافنطين وهو الحصن القديم للعوام لحض القنصل العوام بتهديداته ومواعيده فى تركهم قائدهم ووعد بالمكافأة والجائزة لكل من يأتيه برأسه ولما قلت أصناف الطوائف من فوق جبل افنطين على قدر الامكان هجم الاشراف والعساكر الكريدية مع مساعدة الرقيق على الجبل عنوة وقتلوا كل من كان موجودا فيه وكانوا ٢٥٠ من الطوائف الدنيئة وتبعوا كايوس وقبضوا عليه وذبحوه وذبحوا رفيقه الاول مركوس فلاكوس وصب الاشراف نقمتهم وبطشوا بكل من كان منتميا الى كايوس وخنقوا منهم ٣٠٠٠ نفس فى السجون بأمر مجلس السناتو الذى أصدر أمرا رسميا بمحو عموم الغراقشوسيين

ومنعوا

ومنعوا أمهم كورنيلية من لبس الحداد والنعي على كايوس ومع هذا لم يلتفت العوام الى أوامر الحكومة الاقليلا منهم وصاروا يذكرون الاخوين بالذكر الجميل ويثنون عليهما الثناء الجزيل خصوصا ذكر كايوس ومع ما كان عليه عساكر الحرس من أخذ الاحتياطات اللازمة فان الاهالى كانوا يؤدون الاحترامات الدينية فى البقع التى تقدست أرضها بدماء أرواح هذين الاخوين وأتباعهما

ثم آلت الحالة أن صار لاذكر للغراقشوسيين الامن بعد الانتقام من قاتليهم فتولد لهذا الانتقام سبب ابتدأ فيه الاشراف بالفساد وضرر العباد وأخذ هذا الفساد فى الزيادة يوما فيوما واتضح جليا أنهم ابتدؤا فى ضياع الشوكة التى اكتسبوها من الظلم والجور ووقوع الاحوال العدوانية فلما رأى العوام ما هو حاصل من الاشراف من السعى فى الشدة والجور ووجود الغوغاء بالسلاح تحت أيديهم ابتدؤا فى توجيه هذه الاسلحة عليهم وفى مدة قليلة وجدوا لهم قوادا ورؤساء منهم فيهم الكفاءة التامة الزائدة عما هو حاصل من الاشراف ومع هذا فانه لما حصل الفساد وعم الضرر من الطائفتين رأوا أنهم جميعا على خطايين من أنفسهم لان الامراء البرانية ولو أنهم اشتروا نجاتهم من الاشراف فان الاشراف اشتروا وظائفهم من العوام وتولد من صعوبة هذه الاعمال وشدائدها العناء والضرر الذى حل بالناس خصوصا من اشتعال الحرب اليوغورثى وكان ابتداؤه فى سنة ١١١ قبل الميلاد وذلك ان مسينيسه ملك النوميديانيين من سواحل افريقية وكان حليفا للرومانيين فى الحرب القرطاجنى الثانى كان حصل مكافأته على ما أداه من الخدمات للرومانيين بالانعام عليه بالقسم الاعظم من أراضى قرطاجنة ثم خلفه من بعد موته ابنه ميسبنه وما كان له التفات الى حكومته الاقليلا وقلد زمام سلطة حكومة مملكته لابن أخيه وكان اسمه يوغورثه وكان الملك رباه وهذبه بدرجة واحدة مع ولديه ادحربال وجمسال وعند قرب انقضاء أجله وزع المصالح الملكية والعسكرية بين هؤلاء الثلاث فما حصل الرضا والاكتفاء بالقسمة فيما بينهم ونازع ولدا الملك العجوز فى حق يوغورثه بانه لم يكن له أدنى نصيب من الحكومة فادعى يوغورثه بها كاملة لنفسه وفى مدة هذه المخاصمة أمر ادحربال بذبح أخيه جمسال وانتشب حرب داخلى بين يوغورثه وادحربال فضرب يوغورثه ادحربال ضربة قوية وهزمه شرهزيمة وكان يوغورثه قائدا مقداما وشجاعا باسلا وأستاذا كبيرا فى المكر والحيل وكان تعلم الخداع فى مدة ما كان عسكريا فى الخدمات الرومانية فهرب ادحربال الى رومة وتوسل الى مجلس السناتو واستغاث به فى عود زمام حكومته اليه ولما تيقن يوغورثه بان فى يده جائزة لكل واحد من أعضاء السناتو أرسل رسله الى رومة من بعد أن جهزهم بالاموال الكافية من أجل أن يبرطلوا بها أرباب المجلس ليرفض طلب ادحربال أن يحصل بدل يوغورثه وأن يذمه فى كونه أمر بذبح أخيه فآلت نتيجة هذه المادة فى آخر الامر أن قسمت المملكة النوميديانية بمعرفة مندوبين من طرف الرومانيين فخصصوا ليوغورثه القسم الاعظم المشتمل على الاقليم المعروف باقليم موريطانيه (مراكش) وأخذ ادحربال مدينة سرطا العاصمة وجهة رملية داخلة فى الصحراء الشرقية فارضى يوغورثه بهذه القسمة وهيج حربا على ابن عمه وأخذ منه أراضيه وقتله وذبح سكان سرطا وكان معظمهم من الايطاليانيين فاعلنت رومة بالحرب فى الحال على يوغورثه وأرسلت جيشا الى نوميديا فحصل لهذا الجيش جملة نصرات حتى ان يوغورثه وجد المصلحة فى عقد صلح فكان ذهبه ترجمان صلاح أحواله واستعمله فى خلاص نفسه الا انه التزم على التسليم تحت حالة لاشرط فيها وأعيدت له مملكته على دفع غرامة حربية خفيفة فمن

شدة ما حصل للحكومة الرومانية من الغضب التزمت على الفحص عن الطريقة التي بها تيسر ليوغورثه الحصول على عقد هذا الصلح فطلب يوغورثه الى رومة ليجيب عن هذه المادة فأطاع يوغورثه أمر الحكومة وتوجه الى رومة فقام ابن عمه مسيفا وانتهز الفرصة وقت حضوره وقدم طلبه بخصوص تاج أبيه فأمر يوغورثه سرا بقتله فى رومة وحصل مساعدة القاتل حتى نجا بنفسه فاشتد بالسناتو الغضب من هذا الفعل القبيح والعمل الفظيع ونكث عقد معاهدة الصلح وخلع يوغورثه فترك رومة مستهزئا وقال وقوله الحق لو كان معى ذهب لاشتريت نفس المدينة

ثم استمر الحرب على ما كان عليه واجتهد يوغورثه فى صرف ذهبه حتى حصل الانحطاط فى الجيش الرومانى وضاعت منه شهامته كما وقع هذا الانحطاط أيضا فى نفس الحكومة بواسطة ما أجراه من المصاريف وتضرر القواد فى أنفسهم حيث ظهرت هزيمتهم فعقدوا اصطلاحا وشرطوا فيه الانجلاء من مملكة نوميديا وأرسلوا هذه المعاهدة الى رومة لاجل التصديق عليها من السناتو فلم يقبلها السناتو وأمرت الحكومة بنفى القواد الذين عقدوا هذه المعاهدة مع يوغورثه وثبت عند القبائل الوطنية الافريقية أن سلامتهم وخلاصهم منحصر فى نفس يوغورثه فاصطفوا تحت بيرقه فى قوى كبيرة مؤملين خلاصهم من قبضة رومة فحصل لرومة فى هذا الوقت شدة الحمية والحماس وعهدت قيادة الجيش فى افريقه الى قائد شجاع مكين وهو القائد كنيطوس مطلوس وكان من ضمن القايمقامات الذين تعينوا مع كايوس ماريوس ابن واحد من الفلاحين وكان ارتقى الى أعلى الرتب الرفيعة بسبب ما حازه من الشجاعة والنباهة فى فن العسكرية وكان ماريوس هذا معززا عند العسكرية محبوبا لديهم بمشاركته لهم فى الاتعاب والاخطار ومشاق الحروب والاختلاط معهم والتودد اليهم فوجد مطلوس فى خصمه يوغورثه شجاعة وبسالة ما عهدها فى غيره من القواد الافريقية فى عصره فدبر الحرب بحالة بطيئة حتى ابتدأت الامة الرومانية فى أن أخذها الريب والوهم وقالوا مع عدم الانصاف ان مطلوس اشتراه ملك النوميديين وكان فى هذا الوقت ماريوس ظهرت شجاعته واشتهر اسمه وعاد الى رومة فى سنة ١٠٧ قبل الميلاد فأزال ما فى قلوب الامة الرومانية من الشك والوهم الذى كانت قلوبهم مشحونة به من جهة مطلوس فوطد انتخاب نفسه الى القنصلية وقررت الامة أيضا قيادته للجيش الافريقى ومع هذا فان ماريوس ما أجرى اجراآت كبيرة مع يوغورثه زيادة عما كانت جارية من مطلوس وسار الحرب على ما كان عليه وما تم غلاقه الا بواسطة ما أجراه سولا من فنون الخداع والحيل وذلك انه فى سنة ١٠٥ قبل الميلاد استمال بوخشوس ملك الموريطانيين صهر يوغورثه فى كونه يسلم له ملك النوميديانيين فقبل بوخشوس هذه التقدمة وخدع زوج ابنته فى داخل مرصد صار القبض عليه فيه بواسطة سولا وسلمه سولا الى ماريوس فأخذ هذا الملك المأسور الى رومة مع ولديه الاثنين وزين الرومانيون بهم موكب النصر الذى صار عقده لماريوس ثم طرحوه فى سجن قبيح مات فيه من بعد مضى بضع أيام من شدة البرد والجوع وهكذا أحوال الدنيا ومصائبها ثم صار ماريوس مرعيا عند الامة الرومانية بأنه هو الذى تغلب على يوغورثه فع ما كان عليه من موانع القانون صار انتخابه قنصلا فى سنة ١٠٤ قبل الميلاد ومكث فى هذه الوظيفة خمس سنوات متوالية ومن قبل غلاق الحرب اليوغورثانى كان حصل لرومة تهديد كبير كدر عليها عيشتها وقلل نومها وراحتها وذلك أن الشعوب المتوحشة الموجودة فى شمال أوروبا وهما قبيلتا الصمبرى والطوطنيين المركبين من عشائر بعضها سلطيق وبعضها جرمانيون تحركوا من

ناحيـة الاقليم الموجود خلف نهر الرين وخلف نهر الدانوب أو الطونه وتغلبوا على الاقليم الكائن بين هذين النهرين وجبال الالب وفى مبادى سنة ١١٣ قبل الميلاد عبر الصمبرى جبال الالب ودخل فى اسطريا وهزم القنصل بابريوس كاربو وفى سنة ١٠٩ قبل الميلاد ظهر الصمبريون على حدود غلية الجنوبية وطلبوا اعطاءهم الاراضى فأجابهم القنصل صلانوس بالاغارة والهجوم عليهم الا أنه تكبد أهوال ومشاق هزيمته وضياع جيشه وخسارة معسكره وماتتبع الصمبريون طريق نصرتهم بل اكتفوا بالاشتغال باخضاعهم القبائل المجاورة لهم فأرسلت رومة ثلاثة جيوش رومانية للاغارة عليهم وطردهم أحدها فى سنة ١٠٧ والآخران فى سنة ١٠٥ قبل الميلاد فهزم الصمبريون الثلاثة جيوش جميعها وحصل فيهم اتلافات وخسارات جسيمة وكان الجيش الرومانى فى الواقعة الاخيرة من هذه الوقائع مؤلفا من ٨٠٠٠٠ نفس وكانت هزيمة هذا الجيش على نهر الرين بالقرب من مدينة أورنجة الجديدة وصارت ايطاليا أيضا على شرف الوقوع تحت زحمة هؤلاء المتبربرين وما كان بينهم وبين جبال الالب والاراضى الرومانية الاقليل ثم انحازوا عنها وتوجهوا الى نواحى اسبانيا فطردتهم قبائل الصلطبريانيين فى سنة ١٠٤ قبل الميلاد على أعقابهم خاسرين عابرين جبال البرنيس ولما عادوا الى بلاد الغلية (فرانسا) انتشروا بسرعة على القسم الغربى من هذا الاقليم نحو نهر السين وفى سنة ١٠٣ قبل الميلاد انضم اليهم قبائل الطوطينيين وهم شعوب من جنسهم من القبائل الموجودة على بحر بلطق والهلقيطى من جبال الالب السويسية ونظم هؤلاء القبائل المتجمعة أنفسهم فى هيئة الاغارة على ايطاليا وجهاتها فأما الطوطينيون فانهم شرعوا فى الاغارة على ايطاليا من طريق بروفنسه ومن الدروب الكائنة فى الجهة الغربية من جبال الالب وأما الصمبرى فانهم دخلوا أرض السويس ووصلوا الى الدروب الشرقية وكانوا على معرفة تامة منها

وفى أثناء حركتهم هذه سار ماريوس الى الغلية الجنوبية بجيش كثيف وكان معه سولا نائباله وقصد ماريوس ضرب كل من هذين الهاجين على حدته ومنعهما من الانضمام لبعضهما فمن ثم وجه ماريوس جيشه فى الابتداء على قبائل الطوطينيين وكانت زاحفة بالقرب من مدينة عكس الجديدة ونال مظفرات جليلة على هؤلاء المتبربرين فى فصل صيف سنة ١٠٢ قبل الميلاد وشتت شمل الطوطينيين بالكلية وأبادهم وكانوا أمة كبيرة العدد يبلغ عددهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقتل كثيرا من النساء والاطفال وأسر نحوا من ٩٠٠٠٠ نفس صار بيعهم فى أسواق الرقيق وخلصت الغلية عموما من هذا العدو وأما الصمبريون فانهم مروا من جبال الالب من درب برنير وزحفوا على وادى نهر البادوس أو نهر البو فاجتهد القنصل كاطولوس فى طردهم وعودهم فتبدد حاله وانهزم شر هزيمة فانشرحت صدور قبائل الصمبرى من الارض الخصبة التى وجدوها حولهم حتى انهم بدل أن يقتفوا طريق فوائدهم ومنافعهم توجهوا الى محلات لقضاء فصل الشتاء فيها فتولد من تأخيرهم هذا وجود زمن لسير ماريوس من الغلية لمساعدة رفيقه فالتحق به فى فصل ربيع سنة ١٠١ قبل الميلاد ولما عادت قبائل الصمبرى الى زحفهم الاول فى فصل صيف هذه السنة التقاهم كل من جيشى ماريوس وكاطوس سوية فهزموهم هزيمة فاصلة كالهزيمة التى حصلت لاخوانهم فى نواحى الغلية وأحصيت قتلاهم وكانوا ١٤٠٠٠٠ نفس ومابقى من هذا الامة الاخر من ٦٠٠٠٠ نفس أسروا وبيعوا فى أسواق الرقيق وخلصت ايطاليا من شرهم وانخمد العالم البشرى الذى استمر ثلاث عشرة سنة

ينهار و ينهال على الامم ويزعجها ويقلق راحتها ويكدر عليها معيشتها ويخرب البلاد ويقتل العباد من نواحي نهر الدانوب الى نواحي نهر ابرو في اسبانيا ومن نهر السين الى نهر البو في ايطاليا واستراح جميعه بعضه تحت الارض وبعضه في فلاحتها وزراعتها تحت نافر رق العبودية وعلى هذا صار احترام ماريوس واجلاله باحتفال فاخر وموكب باهر وقابلته الامة الرومانية بالترحاب وسعة الصدر بما أنه هو المخلص لهم ولرومة من الخطر والاسر وزادوا في اجلاله مع كثرة التملق وانتخب قنصلا في المرة السادسة التالية ولو كان فيه مخالفة لبنود القانون فلو كان رجلا سياسيا كما كان قائدا عظيما وشجاعا كبيرا لامكنه أن يتم ما أجراه القيصر يوليوس في القرن التالي وجعل نفسه ملك الرومانيين لكن كانت شهرته وطمعه قاصرا على هذا الحد فقط وما كان عنده ثبات ولا معرفة بأي مركز أو موقع يمكنه البقاء والثبات فيه وانتخب لنفسه من أعز أحبابه المخاصين له في الصداقة اثنين من أقبح رعاع الناس ومن أهل الفساد والشقاق وهما غلوسيه وسطورنيوس وقواهما بمدده وانعطافه لهما وسعى في نشر قوانين ولوائح كانت غير مرضية عند الامة بالكلية وعند عموم وجوه الطوائف الرومانية فعارض مطلوس هذه الاعمال فصار نفيه من البلاد واستعار ماريوس لنفسه جور وظلم قائده القديم ومن ثم جلب على نفسه عداوة السناتو والمتميزين لهذا المجلس وكذا تولد من أعمال الحاكم سطورنيوس حصول زوابع شديدة من الثورات والشغب والشقاق في المدينة وجاء وقت زمن انتخاب القناصل في أثناء هذه الارتباكات وضرب موميوس محافظ الحكومة من طرف القنصلية ضربا شديدا حتى أشرف على الموت وكان الذين ضربوه حزب غلوسيه وسطورنيوس فنشر السناتو أمرا بأن هؤلاء أعداء الجمهورية فضبطهما الكابيتول الا أن ماريوس خاف من فقد وضياع محبته وقبوله لو تعرض من أجلهما بأدنى مدافعة وانحاز الى مجلس السناتو عليهما واعتمادا على وثوقهما بماريوس في حمايته اياهما سلما أنفسهما فصدر أمر المجلس بحبسهما في سجن كورية هوسطيليا وكان ماريوس مجتهدا في خلاصهما بطريق محاكمة فهجم الناس عليهما من أحزاب السناتو وقتلوهما في سنة ١٠٠ قبل الميلاد وفي سنة ١٠٢ قبل الميلاد هاج حرب ثان رقي في جزيرة سيسيليا وذلك أن الرقيق تجمعوا وهم في حالة القنوط من شدة ما هو حاصل لهم من عنف المعاملة الحاصلة لهم من جهة أسيادهم وقاموا عليهم بالسلاح وكانوا أسيادهم بالطبع أقل منهم عددا فبمساعدة الجمهورية صار حطم الرقيق واطفاء ثورتهم من بعد حرب استمر ثلاث سنوات في سنة ٩٩ قبل الميلاد

وكان موت سطورنيوس في الحقيقة خيبة حيث لم يتمكن ماريوس من القبض على زمام الحكومة فكان ماريوس قائدا كبيرا الا أنه ضعيف السياسة وفقيرها لانه استعمل آلات الخطا وعدم الصواب في تمام ما تؤول اليه حالته ولم يزل الا أن جعل نفسه ممقوتا ومبغوضا عند الامة حتى طلبوا كينطوس مطلوس من محل نفيه فما رغب ماريوس أن ينظر موكب خصمه واحتفال الامة به وقت حضوره فذهب في سفرة الى الجهات الشرقية مورياً فيها ايفاء نذر عليه في تلك الجهة ولما عاد من سفرته رأى اخوانه تركوه من بعد أن كانوا يتملقون له في مدة فوزه وعلو قدره ومع هذا فانه لما ذاق من قبل طعم حلاوة الشوكة والنفوذ عول في نفسه ثانيا أن يكون سيد رومة فوعده كاهن الوحي بقنصلية سابعة فاجتهد في اكتسابه الشوكة وكان كثير الاعتقاد في الخرافات وأقوال الخزعبلات وصمم على توطيد واجراء ما يؤكد له ما وعد به من طرف وحي الكاهن وفي أثناء هذا قام ليفيوس دروسوس بن

دروسوس فى دعوى الاصلاح وأثار القلاقل والارتباكات فى رومة وكان دروسوس هذا هو الذى عارض كايوس غراقشوس فى أعماله الاصلاحية وكان رجلا ذكى العقل قليل الاقدام فشرع فى مداواة العلل والامراض المؤلمة للمملكة بواسطة ربط علاقات مجلس السناتو مع طائفة العقسطريانيين فى رومة ونشر العدل على اللاتانيين وبعد ذلك أمر بتجريد الفرسان من الحقوق التى كانت منحت لهم من أجل الدعاوى والمحاكم لانهم كانوا انتهكوا حرمتها وأعاد هذه الحقوق الى مجلس السناتو وكذا قبول نشر الحرية والعتق على كافة الايطاليانيين ونجح فى توطيد قانون يشتمل على قسمة الحقوق العدلية بين الفرسان والسناتو الا أن مذكرته فى قبول نشر الحرية على الايطاليانيين صار رفضها مع العنف وصار قتل هذا المصلح على باب داره وعاد الاشراف الى حالتهم المعتادة من الحرب فضربوا فى هذا الوقت ضربة شديدة وقعت عليهم من نفس طائفتهم فى سنة ٩١ قبل الميلاد

وكان قتل دروسوس اشارة واضحة وعلامة جلية على هياج حرب داخلى وحصل الاجتهاد الزائد فى البعد عنه وبموته أيضا انقطع الامل الاخير الذى كان الايطاليانيون مؤملينه من أن رومة تسمح لهم بعتقهم ولما لم تقبل رومة طلبهم هذا الحق بوجه العدل والانصاف والمحبة لم يبق عند الايطاليانيين شئ سوى الانقياد لرومة والسكوت على عدم حريتهم أو العصيان والقيام عليها فاختاروا فى مجلسهم وناديهم العصيان والثوران على رومة ودخل منهم ثمان أمم تحت السلاح وهم المرسى والمروسينى والبلجنيون والفرنطينيون والسنطيون والسامنيون والابوليون واللوقانيون ودخل هذه الامم فى محالفة بينهم وشكلوا جمهورية اتحادية أطلقوا عليها اسم ايطاليا وانتخبوا مدينة كورفنيوم فى نواحى جبل الابنين من أعمال بلجنيانه وجعلوها عاصمة لهم وكانت هذه مبادى الحرب الاشتراكى أو الاتحادى وانتخبوا لهم أيضا بومبيديوس وبابيوس قنصلين لهم فمن بعد قليل اتضح للرومانيين أنه لو حصل ظفر ونجاح لهؤلاء المشتركين فان رومة تتجزأ الى ممالك صغيرة وتؤول حالتها الى العدم وهزم المتحالفون أحد القناصل وهو القيصر لوسيوس وكذا نائبه الحاكم بابرنه والحاكم بوسطوميلس وتغلبوا على كامبانيه وهزموا القنصل كيبيو وبددوا جيشه فى اقليم كامبانيه فى ظرف بضع شهور ثم فتحوا مخابرة مع أهل ايطاليا الشمالية وصارت كامل البحيث جزيرة على شرف العصيان فقابلت رومة هذا الخطر بقلب ثابت لما رأت جيوشها اليس لها طاقة على اخماد ثورة العصيان وأصدرت لائحة تعرف بالقانون اليوليانى تشمل منح حقوق المدينة الرومانية لجميع الايطاليانيين الذين لم يشتركوا فى هذا الحرب والذين يتحلون بانفسهم ويتسحبون منه فكانت هذه اللائحة سببا فى فوز رومة ونجاحها على الثائرين عليها وصدت الناس نوعا من الوصول الى هذا الاتحاد والدخول فيه وكان حزبا سلما شديد القوى حتى صاح الناس والغوغاء بقبول العلاقات والارتباطات التى جاء بها القانون اليوليانى وانسلخ المتحدون من بعضهم واحدا بعد الآخر من معاهدتهم الاتحادية وبينما كان الرومانيون آخذين فى حالة العجز والضعف ابتدأ عندهم ظهور الظفر والفلاح وتوجه سولا وبومبى الاكبر بالجيوش الى كامبانية وردوها ثانيا وتغلبا على عاصمة التحالف ومابقى فى الآخر الاسامنيوم ولوقانيا تحت السلاح فاجتهدت رومة مرة ثانية فى صدور المحبة بكونها رخصت بكل ماطلبه المتحالفون لانفسهم وانتهى أمر هذين الامتين الى الانقياد وانغلق الحرب الاشتراكى فى سنة ٨٨ قبل الميلاد وفى أثناء هذا الحرب صار استخدام ماريوس نائبا للقنصل روطيلوس فى السنة الاولى وكانت مشحونة

بالاهوال والمصائب على رومة فما نتج من اجراآته البطيئة واحتراسانه شئ يعود منه النفع عليه لان الاحترام والاجلال انتقل جميعه الى سولا كما انه أثبت لنفسه فى حروب سنة ٨٩ وسنة ٨٨ قبل الميلاد كمال قيادته وشجاعته ولما أغار متريداطيس صاحب بونطوس على آسيا الصغرى ولزم الحال لارسال قائد شهم جسور يضارعه فى حركاته الحربية تعين سولا لهذا الامر وكان فى القنصلية الحالية معينا القيادة الجيوش فى تلك الجهة فتولد من الصداقة القديمة التى كانت بين ماريوس وسولا منذ زمن طويل غيرة وحسد وعداوة بين الاثنين واغتاظ ماريوس جدا من تعيين سولا فى قيادته الجديدة واشتغل بالشغل اللازم لابطال ما أجراه مجلس السناتو ثم ان الحكومة من سوء نيتها ورداءة ذمتها كما هى عادتها سعت واجتهدت فى ابطال منحة المدينة التى كانت منحتها للايطاليانيين بكونها حصرتهم جميعا فى ثمان شعوب على ما كانوا عليه من كثرة العدد وحض ماريوس بوبليوس سولبقيوس روفوس أى الاحمر وكان لفظ الاحمر لقبا على بوبليوس فى أن يعرض لائحة يطالب فيها بتوزيع التبعة المستجدين بين الشعوب فتولد من هذا الترتيب أن صار لهما المكنة على زيادة عدد التبعة القديمة لاهل المدينة الذين صاروا معضدين لماريوس بالطبع مثل مدافع لهم ومحافظ على حقوقهم فاجتهد القناصل فى ابطال هذا الفعل فضبط ماريوس والاحمر الفورم بقوة متسلحة وألزموا القناصل بالتصديق على القانون وصدور أوامر باتباعه واختلف الصوت الذى كان عهد زمام قيادة الجيش وتدبيره على سولا وانتخب ماريوس بدلا عنه فى سنة ٨٨ قبل الميلاد والت الحالة الى شدة العداوة والحدة بين الخصمين وما كان سولا رجلا جبانا يخضع لهذه الوقاحة التى حصلت فى حقه بل فيه طاقة كافية لان يظهر نفسه مدافعا عن القانون الجارى فاستغاث بعساكره وتوسل بهم فى اعانته على بقائه على ما كان عليه وسار فى رأسهم نحو رومة فأما ماريوس فانه ما كان يتوقع حركة جورية مثل هذه تحصل من عدوه وما كان على استعداد أيضا لملتقاه فبهذا صار سولا سيد رومة مع الهدو والسكون وعدم المعارضة فانه هدد رومة بحرق المدينة على رؤس سكانها لو حصل منهم أدنى حركة فى معارضتهم له فمن ثم انهزم ماريوس وانجبر على الفرار مدة حياته حتى يأتيه الفرج واتجه عقله الى خيالات وهمية وخرافات عديدة تخيلية حتى وصل به الحال أن وصل افريقه وصارت له ملجأ بعيدا عن أعدائه وأمر سولا من بعد أن صار سيد رومة بقتل الاحمر وابطال قوانينه ورسم هو قوانين متباينة بالقوة والاقتدار تختص بتقوية الاشراف وطواغيتهم ثم انجبر على أن يترك رومة سريعا من أجل استلام زمام قيادة الجيش فى الشرق فاعقب سفره هذا حرب داخلى فى الحال وانتخب الاهالى سينا قنصلا فاجتهد سينا فى عود قوانين الاحمر ورجوع ماريوس ثانيا فطار الاشراف الى السلاح وطردوا سينا من المدينة فاستغاث سينا بالجيش ونال مساعدة العساكر ومعاضدتهم له ولما نال معاضدة العساكر والجم الغفير من الايطاليانيين طلب ماريوس من افريقه وسار على رومة وتغلب على المدينة قهرا وشرع فى اجراء الانتقام والبطش بالاشراف فى سنة ٨٧ قبل الميلاد ولما عاد ماريوس الى المدينة اشترك مع سينا فى القنصلية وذبحا كافة من كان على صداقة سولا وكان ماريوس يمشى على أقدامه من وسط شوارع المدينة ملازما له خفره فكانوا يقتلون كل من لم يقدم اجلالا واحتراما لماريوس ويكتبون الذين يرغبون طردهم ونفيهم من المدينة يوميا ويذبحون كل من خالف أمر السفر من المكتوبين فى قوائمهم ونهبوا مساكن المقتولين وفضحوا أهلهم وعائلاتهم وما عهد فى رومة من قبل تسلطن هذا الرعب والفزع

ونال

ونال ماريوس من انتقامه من الاشراف وبطشه بهم ما شفى غليله واكتفى الحقة رأسه وطرح القانون وراءه ظهريا وجعل نفسه هو وسينا قنصلين لسنة ٨٦ قبل الميلاد من دون مراعاة هيئة الانتخاب الجارية سنويا وكان قلب ماريوس مشحونا بالاوهام والخرافات واستوفى ما أنبأه به الكاهن ودخل فى القنصلية السابعة ومع هذا فانه لم يتمتع بها زمنا طويلا بل مات بعد مضى سبعة عشر يوما بعد أن بلغ من العمر احدى وسبعين سنة وتوجه الى عاقبة أمره مع ما أجراه من الفظائع والانتقام فى بلده وترك من بعد موته شرذمة من الجلادين الذباحين اجتهدوا فى أشغالهم الدموية فطلبهم سيرطوريوس جميعا بصفة أن يصرف لهم رواتبهم ولما حضروا أحاطهم بعساكره وقطعهم عن آخرهم قطيعة رجل واحد وعلى ما قيل انه ذبح فى هذا اليوم ما ينيف عن أربعة آلاف نفس والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ من موت ماريوس الى تشييد المملكة ﴾

شوكة سينا فى رومة ـ تخويفه سولا ـ الحرب الاول الميتريداطيقى ـ عود سولا ـ الحرب الثانى الداخلى ـ نصرة سولا ـ تغلبه على رومة ـ صيرورة سولا الحاكم الآمر الناهى ـ أحكام القتل والنفى ـ أعمال سولا ـ اعتزاله وموته ـ ثورة سيرطوريوس فى اسبانيا ـ قتله ـ اخماد بومبى الثورة ـ الحرب البرازى ـ سبرطاقوس ـ صيرورة قراصوس وبومبى قنصلين ـ تغيير صفتهما وسياستهما ـ اجراآتهما الاصلاحية ـ سيسرو ـ اخضاع بومبى اللصوص السيليسيانية ـ ارسال بومبى الى آسيا ـ تغلبه على متريداطيس وطجرانيس واضافة سوريا وبونطوس الى الممالك الرومانية ـ عود بومبى الى رومة ـ ثورة الكاطالنيين وخروجهم عن الطاعة ـ يوليوس قيصر ـ أعماله وخدماته ـ صفة هذا القيصر ـ الحكومة الثلاثية الاولية ـ نفى سيسرو ـ ارسال كاتو الى قبرص ـ تغلب القيصر على بلاد الغلية ـ اغارته على جرمانيا ـ الحرب مع مملكة فارطية ـ هزيمة قراصوس وموته ـ حرب القيصر وبومبى ـ انحراف السناتو مع بومبى ـ وقوع القيصر فى الاعمال العدوانية بواسطة السناتو ـ حالة موقعه ـ استغاثته بعساكره لمعاضدته ـ عبوره نهر روبيكون ـ ترك عساكر بومبى نفس بومبى وتوجههم للقيصر ـ تقهقر بومبى الى الجريس ـ صيرورة القيصر سيد ايطاليا ـ لينه وحلمه ـ تشييده حكومته فى ايطاليا ـ اخضاعه اسبانيا ـ تتبعه بومبى فى الجريس ـ واقعة فارساليا ـ هرب بومبى ـ وصوله الى مصر ـ قتله فيها ـ وجود القيصر فى مصر ـ تشييده حكومته فى مصر وآسيا الصغرى وافريقه ـ عوده الى رومة ـ صيرورته مطلق التصرف مدة حياته ـ ما كان من المقاصد الكبرى للقيصر ـ ماهى الاعمال التى تممها بعد هذا ـ قيام الثورة عليه ـ قتله ـ نتائج تأثير قتله على رومة ـ توطيد مارك انطونى فى شوكة الحكومة ـ وصول القيصر أوقطافيوس ـ طلبه وراثته ـ توجه انطونى الى الغلية ـ سرعة قيام أوقطافيوس الى الشوكة ـ أحوال الاعمال مع أنطونى وليديوس فى الحكومة الثلاثية الثانية ـ واقعة فيلبى ـ تقسيم الممالك الرومانية بين ثلاثة حكام ـ ظفر أوقطافيان على ليديوس وتوطيد قانون رومة

الجوهر الفرد ـ خيبة انطونى فى الشرق ـ انهماكه على الفجور والمحرمات ـ هياج أوقطافيان الحرب عليه ـ واقعة اكطيوم ـ هرب انطونى مع كليوبطره ـ تغلب أوقطافيان على مصر ـ موت انطونى وكليوبطره ـ صيرورة مصر اقليما رومانيا ـ عود أوقطافيان الى رومة ـ تأسيسه المملكة الرومانية على آثار وأطلال الجمهورية

تولد من موت ماريوس ان صار سينا قنصلا وخلا له الجو ولبث فى المدينة قنصلا وحيدا الى سنة ٨٤ قبل الميلاد مشتركا مع من يراه موافقا له فى أعماله ومع ذلك فان سينا مافعل شيأ من الاشياء التى يعول عليها فى أشغاله وما تم فى مدة حكومته شيأ تنتفع به البلاد والعباد وكان سولا مطرودا وتعين واحد بدلا عنه ثم ورد أخيرا مكتوب من سولا يذكر فيه نجاح الحرب على متريداطيس وتمام حالته وانه عازم على العود مع السرعة الى ايطاليا وذكر فى مكتوبه هذا انه مادام محافظا على حقوق تبعة المدينة المستجدين فانه عازم على توقيع العقاب الشديد على مخترعى العصيان والمهيجين للثورات فخاف سينا وارتعب ان حصل منه أدنى تكاسل فى أمر هذا المكتوب وشرع فى السير ضد سولا

وفى ظرف هذه السنين كان سولا مجريا الحرب على متريداطيس بغاية الظفر والنجاح وهزم سولا مساعى وأعمال ملك البونطيقيين بتوقيفه سير الفتوحات الرومانية فى الجهات الشرقية وقد ذكرنا وقائع هذا الحرب وحوادثه فى تاريخ مملكة بونطوس ويمكننا الآن صرف النظر عنه هنا فمن أراد مطالعته فليراجعه فى تاريخ بونطوس وأعاد سولا الجريس ومقدونيا وآسيا الصغرى وأرغم متريداطيس على عقد صلح بشروط فائقة الحد فى الذل والاهانة وصرف كافة مصاريف الحرب من ايراداته المخصوصة به وأخر فصل قضية مشاحنة نفسه الى أن يهزم هذا العدو الغريب ثم عاد لطلب مسئلة ماحصل له من الاهانة والمصيبة بواسطة نفوذ مظفرانه ونصراته ومعه مبالغ وافر من النقود التى أخذها من العدو ومعه جيش خاضع له ذو حمية وحماس فى الوقائع التى يجريها وكان سولا من دون ريب أول قائد من القواد الموجودين على قيد الحياة فى عصره وكذا كانت عساكره متعودة على النصر ومع ما كان عليه من الوثوق من نفسه بالنصر فانه ما كان متدربا ولا مستخفا بعدوه وكان على معلومية تامة من أن الحزب الماريانى على غاية من الثبات والقوة ولما كان على ازدراء من غوغاء الرومانيين وعوامهم وجد من بين هؤلاء العوام شوكة الايطاليانيين ومكنتهم وكانوا مشاكلين لحزب القوى المضادله وبواسطة اعلانه رغبته فى احترام حقوق مدينة الامم المستجدة من الايطاليانيين دفع عن نفسه هذه الامم وجعلها على حيادة منه وقت افتتاح الحرب

ونزل سولا فى نواحى برندوسيوم مع ٤٠٠٠٠ نفس من عساكره فى سنة ٨٣ قبل الميلاد والتحق به على الفور مطلوس بيوس وبومبى فهزم جيش القنصل نوربانوس بالقرب من مدينة قابوه من أعمال كامبانيا وجلب عساكر صكيبو تحت بيرقه وتوجه بعساكره الى مراكز الشتاء فى ايطاليا الوسطى واشتغل فى مدة فصل الشتاء بادارة تقوية حاله وتدبير أعماله وفى فصل ربيع سنة ٨٢ قبل الميلاد جند الحزب الماريانى جيشا مؤلفا من ٢٠٠٠٠٠ نفس فى ميدان الحرب تحت قيادة القنصلين الجديدين كاربو وماريوس الاصغر فاما كاربو فانه اتخذ لنفسه موقعا فى ناحية كلوسيوم من بلاد عطروريا بما أن هذه الجهة كانت على صداقة لحزبه وأما سولا فانه دور جيشه على خصمه ماريوس

الاصغر

الاصغر وهزمه فى واقعة دموية وقعت بينهما فى نواحى انغبورطوس وألزمه بالقهقرة الى برنسيطى فترك فيها سولا قوة من أجل محاصرة ماريوس وسار هو من طريق رومة وكانت على حالة بغير مدافعة وهجم على كاربو وهو فى موقع متترس فيه فخاب من الغلبة عليه وفى هذا الوقت نجح الشاب ماريوس فى حض اللوقانيين والسامنيين على حضانة أمره فارسلوا قوة لمساعدة المار يانيين فما كان لهذه القوة طاقة على الوصول الى برنسيطى وانضمت الى جيش كاربو ومن سوء تدبير كاربو فى الاعمال هجم عليه سولا ثانيا فانهزم الجيش الموجود تحت قيادته وأما الواقعة الفاصلة فانها وقعت عند باب التل من أبواب رومة فمن كان باقيا من جيش كاربو تقوى بالايطاليانيين تحت قيادة طلسنوس وهجموا على رومة مع عزم شديد على خرابها ومن بعد حرب مهول مقطوع اليأس تشتتوا وأبادتهم عساكر سولا وضبط قراصوص منهم أربعة آلاف أسير فأخذوا بأمر سولا الى معسكر مارطيوس وقتلوا جميعا وصار سولا فى هذا الوقت سيد رومة وبواسطته انتصر حزب الاشراف وانتقموا من أعدائهم انتقاما دمويا وقتلوا قواد هذا الحرب الاخير وكل من كان قريبا للماريوس أو صديقا له وأمكن القبض عليهم وعملوا قوائم ودفاتر للنفى والقتل فكان كل واحد من أصدقاء سولا وأتباعه يضيف فى هذه القوائم ما يشاء وبما أن أموال المقتولين صارت فى حوزة أعدائهم تولد من الشح أيضا التهمة وقيل انه هلك فى هذه الدفعة فى رومة ٣٠٠٠ نفس وفى برنسيطى ١٢٠٠٠ نفس وقتل فى المدائن الاخرى الايطاليانية مثل ذلك أو أكثر من أجل مسئلة الماريانيين وكانت قساوة الماريانيين زيادة عن ذلك أيضا فدقة بدقة ولبث سولا مدة ثلاث سنوات سيد المملكة الرومانية وأميرها وكان لا لقب له فى الابتداء ثم وضع عليه لقب الآمر الناهى أو الحاكم المطلق بشوكة غير محدودة فغير عدة تغييرات فى القواعد الاساسية للنظام الرومانى أى انه وضع نظاما وقانونا بالقوة الجبرية حسبما تراءى له من أفكاره وجعله تقوية لامره ولطائفته من الاشراف فمع أن سلوك سولا كان مذموما رديئا الا أنه سار فى مجرى الحق وأبطل ارتباكات الاحوال والفساد الحاصل من الامة وشرع فى الاشغال التى لا يؤمل معها صلاحية أهل بلاده بنشره قوانين شديدة تختص بالجرائم والعاكفين على الموبقات والملاهى التى ما كانت مرعية من قديم الزمن وأما من جهة الحكومة فانه ابتدأ بتجريد وظيفة حاكم العوام من نفوذها وسلطتها ماعدا حمايتها أشخاص من تبعة المدينة من نواب آخرين وعدم أهلية حكام العوام لوظيفة القنصلية وجعل لمجلس السناتو حق فى سن مبادى القوانين وتشريعها ثم جعلها تحت نظارة الشوكة العمومية للمحكمة العدلية وألغى طريقة انتخاب القسس والكهان وأمر أن كافة حكام المصالح ورؤساءهم يلزم أن يترقوا فى الوظائف من الدرجات الواطية الى الدرجات العالية على التدريج وحدد المدة التى تكون بين الدرجتين على طريقة منتظمة ورتب مجلس السناتو مرة أخرى وأضاف اليه ٣٠٠ نفس من معتمدى حزبه ونظف الشعوب والقبائل والطوائف مما كان فيها من حشرات الناس وطرد كافة الايطاليانيين الذين ساعدوا الماريانيين وأمر بعتق نحو ١٠٠٠٠ نفس من الرقيق وفرق الاراضى والعقارات التى أمر بضبطها من الماريانيين على قواده وأمرائه وفى كثير من الاحوال كان أصلا لخراب البلاد ومحنتها

ومن بعد أن قاد سولا الحكومة آمرا ناهيا فيها من غير معارضة ولا مناقضة مدة ثلاث سنوات تنازل عنها مع غاية الاستغراب عند كل انسان واعتزل فى بلده فى جهة بطيولى فى سنة ٧٩ قبل الميلاد

وعكف فيما بقى من حياته على تأليف مذكراته ومات فى السنة التالية وعملت له جنازة حافلة مع غاية الوقار والاجلال ماشوهد نظيرها فى ايطاليا ونعاه مجلس السناتو وكان دمر حكومة الامة وأعاد حكومة الاشراف ووجد حزب الاشراف أن كافة ما أجراه سولا لاجلهم كان عظيما جدا وأما ابطال انتخاب الاحبار والكهان وقانون الترقى فى وظائف المملكة فانه صار صده بقوة فعالة مؤثرة من طمع الاشراف فى تيسرهم على الحصول على هذه المحلات الجليلة وعارضوا فى الاعمال والاجراآت بطرق بطيئة بواسطتها آلوا الى ماهم عليه من الحالة الراهنة واجتهد لبدوس فى السنة التى مات فيها سولا فى الغاء قوانينه وابطالها وكان لبدوس قنصل لانخاب فى مسعاه لان وقت احياء جميع الاشغال والاعمال لم يأت الآن

وكان صار حطم الاحزاب المار يانية فى نواحى سيسيليا وافريقه بواسطة كينوس بومبى فى مدة حياة سولا وفى سنة ٧٧ قبل الميلاد أرسل بومبى الى اسبانيا نائب قنصل لاخماد عصيان سيرطوريوس وكان سيرطوريوس هذا أشجع قواد الحزب المار يانى وكان سنا قلده زمام القيادة فى اسبانيا لتخلوله منه الطريق وفى مدة المظالم السولانية الحاصلة بالقتل والنفى ذهب كثير من هاربانى المار يانيين الى سيرطوريوس فاستخدمهم عنده فى وظائف تحت يده ثم طرده نائب قنصلية سولا وهو انيوس من اسبانيا فهرب منها والتجأ الى افريقه فطلبه اللوسيطانيون فعاد فى سنة ٨١ قبل الميلاد الى اسبانيا فى رأس جيش من أهل ليبيا وأهل الغرب الاقصى وهزم قوى سولا على شواطئ نهر الوادى الكبير وجعل نفسه سيدا سبانيا وكان عند وصول بومبى الى اسبانيا تغلب على كامل الجحيث جزيرة من الرومانيين حتى ان بومبى وجد فى نفسه أنه يستحيل عليه هزيمته فاستمر الحرب خمس سنوات زيادة عما تقدم من السنين وفى سنة ٧٢ قبل الميلاد قتل سيرطوريوس بواسطة بربنه أحد ضباطه وقلد نفسه زمام قيادة جيش سيرطوريوس فهزم بومبى هذا القاتل فى أول وقعة من بعد أن قتل هذا القاتل رئيسه وقبض بومبى عليه وكان المقصد الاصلى من أعمال سيرطوريوس واجرآته وحروبه رجوع شوكة المار يانيين فى رومة فاجتهد بربنه فى نجاة حياة نفسه بكشف أسرار مخبآت هذا الحزب فى رومة فقتله بومبى شر قتلة ومن بعد قتله انتهى الحرب مع العجلة ودخلت اسبانيا مرة أخرى تحت القانون الرومانى

ومن قبل غلاق الحرب فى اسبانيا انفجرت ثورة مهولة شديدة من الغلاديا طوريين فى مدينة قابوه فى سنة ٧٣ قبل الميلاد تحت قيادة سبرطاقوس وهو رئيس تراسيانى فانضم اليه الجم الغفير من الرقيق والمنفيين والمطرودين وزادت قوته حتى بلغت فى العدد ١٠٠٠٠٠ نفس وهزم أربع جيوش أرسلت اليه وفى مدة سنتين خرب ايطاليا حتى هدد رومة نفسها وفى سنة ٧١ قبل الميلاد تقلد الحاكم قراصوص قيادة الجيش الجارى فى الحركات الحربية على هذا القائم بالثورة فأتم قراصوص فى ظرف ستة شهور هذا الحرب مع الظفر والنصر التام ومابقى من آثار هؤلاء الثائرين هشمهم بومبى وأبادهم جميعا عند عوده من اسبانيا وكان قراصوص أسر منهم نحو من ٦٠٠٠ نفس فشنقوا جميعا فى طول الطريق الابيانى

ولما عاد قراصوص وبومبى الى رومة طلبا وظيفة القنصلية مكافأة لهما على ماأدياه من جليل خدمتهما الأ أن القانون السولانى لايقضى بانتخابهما بما أنهما لم ينتقلا فى درجات الوظائف المقررة فى هذا القانون

غير

غير أن فخامة ما أجرياه من الخدمات وزيادة مالهما من النفوذ والشوكة يقتضيان بعدم رفض طلبهما هذا فمن أجل هذا صرف النظر عن قانون سولا وفى أول ينايرسنة ٧٠ قبل الميلاد صار قراصوص وبومبى قنصلى السنة والى هذا الوقت كاناهما الصديقين الرفيقين لرفقاء سولا وحزبه الاشراف فبمجرد دخولهما فى الوظيفة تغيرت سياستهما فيحتمل أنهما أضمرا على عدم بقاء القانون المختص بحكومة الاشراف كما هو المنظور لهما واتضح من قرائن الاحوال جليا انهما أضمرا على ان المنافع العائدة عليهما تحتاج الى فسخ هذا القانون وابطاله بالكلية فمن أجل هذا عزما قبل كل شئ على أن يوطدا جهتهما مساعدة الطائفة الوسطى من طوائف المدينة وهذه الطائفة تكون سببا فى جلب الطوائف الواطية نحوهما وبالكلية ثم هدمان شوكة الاشراف ويحطمانها وكان قراصوص رجلا محترما فى قومه كثير الثروة فسار بسهولة فى مشروع رفيقه الجسور بمنة الله وهمته فى طريق تيسرهما على الحصول على ماهما عليه من الغرض والمقصد وشرع القنصلان فى تدوين اصلاحات ونظامات فى رومة فأعادا شوكة حكام العوام القديمة التى كان سولا جردهم منها ووزعا الشوكة العدلية بنسبة واحدة بين السناتو والفرسان وحكام المالية وهم طائفة من الصيارف يجمعون الاموال والمدخولات ويصرفون رواتب العساكر ونظفا الحكومة مما كان متراكما عليها من أكوام الزبالة والفساد والعفونة والقاذورات بعضها بالاجتهاد وبعضها بطريق احياء وظيفة التفتيش وكان سولا ألغاها وتقايا مجلس السناتو من بطنه بواسطة شربة من مسهل أربعة وستين عضوا من أعضائه فقام مجلس السناتو والاشراف مع حدة الغضب وقوة الرأس ورفضوا قبول هذه النظامات فألزموا فى آخر الامر بقبولها والاذعان لها وعاضد حركة اصلاح الحكومة وساعد القناصل فيها مرقص طوليوس سيسرو وكان أول مشرع وخطيب فى رومة ذا فصاحة وبلاغة فى الكلام وكان سيسرو وصل الى درجة هذا الارتقاء بواسطة ماحصل من اجتهاد فيريس فى سوء ادارته فى حكومة سيسيليا وأثبت سيسرو بهمته التى لا تكل ولا تمل وعلو بلاغته وفصاحته ماحصل من الجرائم والمصائب التى توقعت من فيريس وصار نفى هذا المجرم من الحكومة وزيادة على هذا فان سيسرو عرض نفسه لزوال عفونة الاقاليم ومافيها من الروائح الكريهة أمام مجلس النواب والامة حتى ان حزب السناتو رأى أنه لا مدافع له أمام سيسرو فانجبر على الاذعان فى تمشية هذه القوانين

ثم ان بومبى بعد انتهاء مدة وظيفته فى القنصلية رفض قبول التوجه لحكومة أى ايالة حسب الجارى وقت خروج القناصل من وظائف القنصلية من بعد غلاق مدتهم ونوى الاقامة فى رومة مع الهدو والراحة لا يتداخل فى الاعمال العمومية بل ينتظر ما يؤل اليه سير الحوادث والوقائع فمن بعد مضى قليل طلب من أجل أداء خدمة أخرى تخص الحكومة وذلك أنه من ابتداء دمار وخراب وزوال الشوكة البحرية لقرطاجنه ومصر وسوريا صار للصوص البحرية من جهات سيليسيا السيادة العظمى فى البحر الابيض المتوسط فكان لهم معاقل ومراكز منشأة على الساحل السليسيانى تخرج منها مراكبهم وقواربهم ينهبون سواحل ايطاليا ويكنسون سطح مياه البحر الابيض المتوسط من سفن التجارة ويسلبون المينات الايطاليانية حتى وصل خرابهم ونهبهم الى داخل البر ووصل الى الطريق الابيانى من ايطاليا فأرسل بومبى لهم فى سنة ٦٧ قبل الميلاد بشوكة ونفوذ مطلق فيما يتعلق بهم منقلدا زمام أمر الحكومة السامية على كافة سواحل البحر الابيض وفى داخل الارض بمسافة خمسين ميلا

من الساحل فكنس فى ظرف ثلاثة شهور سطح مياه البحر من اللصوص وقطاع السبل وهدم معاقلهم ومراكزهم وما كانوا يأوون اليه وبرحمته ومعاملاته السياسية العظيمة هدى كثيرا من المنفيين والمطرودين من بلادهم الى حالة سلم وأمن فى اقامتهم وتوطنهم فى المدائن الايطاليانية ولما عاد بومبى الى رومة من حرب اللصوص عهد اليه على حسب اشارة منليوس وسيسرو زمام قيادة الجيش فى آسيا الجارى فى أعمال الحروب على متريداطيس وتقلد زمام الحكم المطلق فى الشرق حتى ينهى الحرب المتريداطيقى فسافر بومبى الى قيادته الجديدة وحكومته السعيدة فى سنة ٦٦ قبل الميلاد وفى ظرف سنتين أنهى هذا الحرب مع الظفر الجليل وطرد متريداطيس من ممالكه الى الاقاليم الموجودة خلف جبل قوقاز وأرغم ملك أرمينية طجرانيس على تسليم سوريا وجعل نفسه سيدا عليهما من غير مضاربة ولا مصادمة فحولها الى ايالة رومانية ثم سار الى الجهة الجنوبية من نواحى سوريا العليا وتغلب على مدينة أورشليم ومن فضله وسخائه لم يقرب من المعبد ولا مافيه من الكنوز والذخائر لكنه نال عداوة اليهود وغضبهم عليه بدخوله رغم أنفهم فى أقدس القداسات ثم هيج حربا على العيد ومين الا أن مدة هذا الحرب لم تطل لان الحرب انتهى بموت متريداطيس وصرف بومبى مابقى من السنة فى ترتيب بسينا وبونطوس وأدخلهما ضمن الاقاليم الرومانية وفصل أعمال ومشكلات الامم المجاورة لهما ورخص لفارناسيس بن متريداطيس فى الاقامة فى بحيث جزيرة القرم وأنعم بقيدوثيا على اريوبارزانيس وزاد فى أراضى غلاطيا وجعل ميركانوس ملك يهوذا وأقيمت السيادة الرومانية على كافة تلك الممالك وفى سنة ٦١ قبل الميلاد عاد بومبى الى رومة فأتحفه الرومانيون بالاحتفالات الفخيمة التى لم يسبق فى المدينة مثلها

ومن قبل وصول بومبى الى رومة كانت تخلصت مع شدة المضايقة من حرب داخلى حصل فيها وذلك أن لوثيوس سرغيوس كاتيلينه وان كان رجلا شريف المولد الا انه كان فاسد الطباع فاجرا شهوانى النفس دخل فى صحبة الناس الفاسدى الاخلاق المذمومين بالقبائح وفساد العوائد ورتب ثورة يقلب بها الحكومة منتظرا مساعدته ومعاضدته بالنافرين من الايطاليانيين والمجرمين والارقاء وأرباب الشغب والمصارعين والاوباش واعتمد فى ثورته هذه على ما بقى من الحزب الماريانى الذى خمدت صولته وانقطع نفسه فاكتشف سيسرو وكان فى هذا الوقت قنصلا على ترتيب هذه الثورة وكان على يقظة لا تغمض له عين ولا يغفل له بدن خشية من وقوع الفساد فى المدينة فأمر بجلب كاتيلين أمام مجلس النواب وهدده وأرعبه وتوعده أمام المجلس حتى ان هذا المهيج الثائر هرب من المدينة ووصل عطروريه وجمع فيها أتباعه وأعوانه وأنشب الحرب فانهزم كاتيلين وذبح فى واقعة بواسطة انطونيوس نائب قنصل فى سنة ٦٢ قبل الميلاد وتولد من عود بومبى مع شهرة مظفراته الجليلة مباشرة بعد اخماد ثورة كاتيلين وقوع الرعب فى مجلس السناتو وحزب الاشراف وخافوا من انه ربما يسير على ماسار عليه سولا من قبل الا أن بومبى أمن خوفهم وقوى قلوبهم بتفريقه جيشه حال نزوله فى ايطاليا وسار الى رومة مصحوبا ببعض أصدقائه ومكث موكبه الاحتفالى ثلاثة أيام يطوف داخل المدينة وما أمكن بومبى أن يمنع الامة من عمل هذا الاحتفال وان كان الجيش لم يشترك فيه ولما طلب القنصلية لنفسه مرة ثانية وتخصيص بعض أراض للذين مارسوا الحرب معه وظهرت شجاعتهم واستحقوا من المملكة مكافأتهم وكذا طلب الاقرار على الاجرات التى أجراها حالما كان قائدا فى الشرق قوبل بالرفض الجاد من مجلس

السناتو

السناتو وعوّل حزب الاشراف على عقابه من أجل توظيفه قيادة الشرق على غيرهم غويهم جلبوا الدمار على أنفسهم كما هي عادتهم الجارية من دون أن يتبصروا في عواقب الامور

وكانت ظهرت شوكة جديدة في رومة وقامت على قدمها مدة غياب بومبي في آسيا وذلك أن سلطة الاعمال انحصرت في أيدي ثلاثة من الرجال سيسرو وكاتو وكايوس يوليوس قيصر وكان قراصوص لامعنى له في ذاته ولا في صفاته فانه كان بطيء الحركة لا يسأل عن شيء وكانت سلطته كامنة في ثروته وأمواله وأما سيسرو فكان مقداما جسورا شهما أول خطيب في الدنيا على الاطلاق وأما كاتو فكان من ذرية المفتش القديم الذي كان وضع شوكتي مهموزه في قلب رومة وهيجها على خراب قرطاجنة وكان قائدا لحزب السناتو وأما قيصر فكان هو الرئيس المعروف المعدود عند الحزب الماريانى ومرعيا عند الامة بانه المدافع عن حقوقهم والحامي عنهم وكان ابن أخي ماريوس وزوج ابنة سينا وكان سولا يعهد فيه من الابتداء البسالة والشجاعة فاجتهد مع كل صعوبة في المحافظة عليه من القتل أو النفي ونال من سولا العفو والسماح بناء وانذارا صريحا وقال سولا ان هذا الولد له يوم من الايام يدمر فيه حزب الاشراف لاني أرى في وجهه أمارات كبيرة وكان قيصر عمره في هذا الوقت لم يبلغ سبع عشرة سنة ومن منذ ما بلغ هذا السن اتحد مع الحزب الاهلي وزيادة عما كان عليه من شرف المولد وعلو المقدار من كونه ابن أخي ماريوس وزواج عمته يوليه من ذلك القائد أظهر خدماته الجليلة الاولية في الجيش في حصار مدينة مطلين ونال تاجا من ورق الزيتون من أهل البلد بكونه خلص مدينة من مدائن التبعة ولما عاد الى رومة أشهر نفسه بخطابته وذمه وقدحه في دولابلا ووضح ما أجراه من الاعمال الخبيثة التي أجراها في نهبه مقدونيا ثم ان قيصر كان توجه الى رودس لتلقي علم البيان والفصاحة عند الاستاذ مولو معلم سيسرو وفي أثناء سفره قبض عليه اللصوص السيليسيانيون فلما خلص منهم بفداء جسيم جمع بعض المراكب والسفن وأغار عليهم فأسرهم وشنقهم وفي سنة ٧٤ قبل الميلاد بلغه أنه صار انتخابه لوظيفة القسوسية فتوجه الى رومة وقضى فيها سبع سنوات من دون أن يتداخل في أي مادة من المواد السياسية لكنه استحوذ على كثير من الاصدقاء والمحبين له بما فيه من جاذبية الطبع وفي سنة ٦٧ قبل الميلاد وقت ما سافر بومبي الى اللصوص صار توظيف قيصر مأمورا مالية وفي نفس هذه السنة ماتت عمته أرملة ماريوس فخطب قيصر خطبة جليلة على جثتها وحمل في احتفال جنازتها صورة ماريوس مصنوعة من الشمع رغما عما كان عليه قانون المدينة من تحريمه مثل هذه الافعال وفي سنة ٦٥ قبل الميلاد صار توظيفه في مصلحة الطرق فزاد الناس في محبته بما أظهره من الافتخارات التي أجراها في الالعاب العمومية ولما صار توظيفه ناظرا على الطريق الابياني أدى فيها خدمات جليلة وأصلحها اصلاحا جيدا على مصاريف من طرفه وكان سولا أمر بازالة علامات النصر الذي حصل على الصمبريانيين وتماثيل ماريوس وأن لا يتوقع من الامة أدنى ذكر جليل يختص بما أجراه عساكرها وأكبر قوادها من الاعمال الكبيرة فتجاسر قيصر وأعادها جميعها في ليلة واحدة وفي صباح اليوم الثاني هرع أهل المدينة أفواجا ينظرونها ويتفرجون عليها فسكب عساكر ماريوس القديمة عبراتهم على خدودهم فرحين برؤيتها وبما أن قيصر لم يفسخ مفعول القانون فما كان لمجلس السناتو من طاقة على التداعي عليه بخصوص فعله هذا ومن ابتداء هذا الوقت نظر الناس الى قيصر بعين رياسته عليهم ووجهوا اليه مراسيم الاحترام وفي سنة ٦٣ قبل الميلاد صار حبرا من أحبار الدرجة الاولى العالية وفي سنة ٦٢

قبل الميلاد صار حاكما وفي سنة ٦١ استحصل على درجة حاكم اسبانيا القاصية وأظهر فيها أعماله الجليلة العسكرية بتغلبه على لوسيطانيه ونال خضوع عساكره له وانعطافهم اليه ومع أن قيصر كان غائبا عن رومة لكنه ماحصل أدنى نقص ولا فتور في نفوذه ومازال مستمرا في تدبير حركات حزبه وأنعشته الحكومة الاسبانية أيضا بواسطة دفعه قسما عظيما مما كان عليه من الديون وفي هذا الوقت بلغ عمره تسعا وثلاثين سنة وبزغ فجر أعماله الجليلة فكان أنموذجا للمروءة خبيرا بما يتصل اليه نفسه وكان أعداؤه يذمونه بالخلاعة والرقاعة وحفظ في مدة شبابه الاولى عنفوان شدة جسمه وصلابته حتى استخدمه بعد أن صار كهلا عجوزا وتعوّد على عفة النفس وكان أستاذا في فن الضرب بالسيف وركوب الخيل وفن السباحة والعوم وكان مشهورا بالصبر على الاسفار فكانت تأتي اليه على حين غفلة أسفار مهلكة حتى كان يسافر ليلا ليكتسب الزمن اللازم له وكان عنفوان عقله وجودة ادراكه عدوًّا لعنفوان جسمه وصلابة أعضائه وكان له قوة ادراك غريبة وحواس عجيبة وما كان عنده أدنى سهو ولا نسي شيأ قط والذي أعزه فوق كل ذلك عند أحبابه وأصدقائه حميته وسخاؤه وسعة صدره ونظافة قلبه وخلوص نيته وحسن طويته فانه ماغض الطرف عن صديق له قط بل كان صديقا للصديقة في الرخاء والشدة وما كان ذلك في حساب وكان قيصر يحب أصدقاءه وهو محبوب عندهم وما نضرر أو نفر أحد من الذين كانوا في حزبه من برود أو عدم محمدة حصلت منه وظهر ما كانوا عليه من الميل له والرضا عنه بوجدهم وأسفهم وحزنهم وتألمهم عليه وقت موته وكان متمسكا بأجل الاحترامات التي كان يؤديها لوالدته في حال حياتها وكان قلبه وجسمه مشحونا بمحبة زوجته وابنته يوليه وماتركهن من دون مكافآت أسدلها عليهن

وكان قيصر مثل غيره من العقلاء قابلا لتسلطن الغضب عليه الا انه كان حاكما على أخلاقه ونفسه وكان رجلا عمليا لا علميا على غاية من الدقة وقلما خاب في الحصول على أحسن أعماله من تدبيره ومباشرة حركاته وما كان عجولا في انتشاب الوقائع بل كان ينتظر الوقت الموافق لاجرائها حسب أغراضه مع الهدو والتبصر في العواقب وبالجملة فكانت مشروعاته وأعماله جليلة خالية من العيوب والشوائب والتملق جارية على عمل كامل وشغل لا يشاركه فيه غير نفسه أي لا يحكمه فيه خليل ولا نديم ولا زوجة ولا محبوبة وأما من جهة كونه كان قائدا فانه كان سريع الفهم والادراك سريعا في حركة الاعمال من دون أن يخطئ فيها فهمه العظيم وما كان يدعي ضعف عدوه بل كان يجعله على الدوام أنه أقوى منه ويصدمه الصدمة في محلها وكان يقاسم عساكره في المصاعب وشدتها والراحة وحصولها وكان لهم أجل صديق وأقوم عماد وأحسن طريق وأكبر رفيق وكان قائدهم الذي لا يثنى عنانه ولا ينكب حصانه فمن ثم لا عجب من أن النصر والظفر كان تابعا له وبين يديه اذا توجه لاي محل بعساكره وكان هذا الرجل بالطبع من الرجال السياسيين من مبدا شبابه له احساس غزير غريزي في تدبير الاعمال حسب وقائع الاحوال وكان له قصد من أعلى المقاصد التي يرغبها كل انسان لنفسه وهي السياسة والادارة والعسكرية وتجديد الآداب والتهذيب لامته الغريقة في بحر الاضمحلال والشيخوخة وصار مثلها كمثل الامة الهلينقية وان كان المنظور في أعماله أنها مؤثرة على الوقت الحالي وقتئذ لكنها أثرت أيضا على الاحوال التي جاءت بعد زيادة عن مبتدا اجرائها وان كان قطع المدخل حال دخوله في مأموريته الجليلة وصرف النظر عن الدنيا وما يقع فيها من تغير الاحوال وتقلب الازمان وجعلها

أعظم دار لنفسه وأكبرمقر لحياته فيها وما سأل عن دورها وانقلابها فى وسط السحب المتكاثفة والظلمات المترادفة التى كانت مغشية على هذه المدة وصار لهذا البطل العظيم والشهم الضيغم الكبير هيئة ذات جسارة واقدام وشهرة فى الحروب وشجاعة فى الكروب وذكاء فى السياسة وكان أعظم رجل وأكمل انسان فى الدنيا القديمة

واتفق لهذا الرجل العجيب أن بومبى وجه التفاته لمساعدته لما جحد السناتو مكافأة بومبى على خدماته التى أجراها وكان قيصر يجتهد من مدة طويلة فى البحث على انفصال بومبى من حزب الاشراف فتضرر بومبى من عدم العدل والانصاف الذى عامله به مجلس السناتو وقبل ما عرضه قيصر عليه من بعده عن هؤلاء الاشرار وانعقد نظام وترتيب مخصوص بين قيصر وبومبى وقراصوص عرف بالاتحاد الثلاثى وبواسطة هذا الاتحاد صار لهم الطاقة الكافية على اجراء الاعمال فى رومة حسب المقبول عند الامة فكان أول نتيجة حدثت من هذا الاتفاق هى انتخاب قيصر لوظيفة القنصلية فى سنة ٥٩ قبل الميلاد فأسرع فى الحال وأصدر لائحة أو قانونا يختص بتقسيم الاراضى العظيمة من ناحية قسم كامبانية على فقراء الرومانيين وعلى حائزى البسالة الذين كانوا فى الحروب مع بومبى فعارض مجلس السناتو مع الحدة والشدة فى عدم تمشية هذه اللائحة فأرغم على الانقياد والتسليم وتوزعت الاراضى وصدق على أعمال بومبى وترتيباته فى آسيا وحاز الفرسان من الاتحاد الثلاثى منحهم امتيازات عظيمة فى الفلاحة والزراعة فى جهة آسيا وارتبط هذا التحالف رباطا قويا بين الثلاث فوادبزواج بومبى بوليه ابنة قيصر وأما قيصر وكانت زوجته كورنيلية ماتت من مدة بضع سنين فانه تزوج أيضا كلبورنيه ابنة بيسو وبمجرد انقضاء مدة قيصر فى وظيفة القنصلية وكان مطلق التصرف زيادة عما كان فيه من القنصلية استحوذ لنفسه حكومة الغليين والريقوم لمدة خمس سنوات من مجلس السناتو على شرط أن يكون محافظا ومدافعا عن أصدقاء الامة الرومانية ومحالفيها فى تلك الجهات وانتخب لنفسه هذا الموقع ليكون له طاقة على تجنيد جنود كثيرة جديدة وأن يكون الجيش منسوبا اليه لا لغيره وأن يكون فى هذا المحل على قرب كاف من رومة حتى يمكنه الاستحواذ على ما يعود اليه من المنافع والمزايا الممكن حصولها فى رومة وفى هذا الوقت كان بلغ من العمر أربعين سنة وكان من قبل سفره الى هذه الجهة نفى سيسرو وأرسل كاتولاجل اغتصاب جزيرة قبرص من مصر وترتيبها وتحويلها الى اقليم رومانى وهى فى المعنى طريقة طرد أو نفى بما انه ظهر أن كاتو لا يوافق على مثل هذا الشغل ومن ثم صار تجريد مجلس السناتو من رؤسائه ومن بعد مضى بضع أيام من سفر سيسرو من رومة ورد من الغلية أخبار الى قيصر ألزمته بالسفر والتوجه حالا الى الاقاليم التى أخذت عليه عهدة حكومتها وذلك أن جنيوه أو جنيفه وهى آخر حركة الغلية الشمالية أى الموجودة خلف جبال الالب صار تهديدها بجيش كبير قوى من الهلفيطانيين وزحف هذا الجيش عليها قاصدا عبور نهر الرون من هذا الموقع لاجل البحث عن مواطن جديدة فى الغلية الغربية يسكن فيها قومهم بما أن أرض بلادهم غير موافقة لتوطنهم وكانت أمة هذا الجيش هدمت مساكنها وسارت مع عساكرها للبحث عن أراض يسكنونها فوصل قيصر الى جنيفة فى ثمانية أيام وحصن معبر النهر بالاستحكامات وألزم الامة الهلفيطانية بعبورهم الى داخل الغلية من أطول طريق وأصعبه من فوق جبل بوره وساق تابعا لهم وعبر نهر عرار أو ساونه وأوقع بهم وهزمهم هزيمة مهولة فى نواحى براقطى أى أنطون فى نواحى بورغندى وأرغم من بقى منهم على قيد الحياة على العود الى بلادهم

وكانت هذه الامة لما ابتدأت فى حركتها فى السير من أرضها وبلادها كانوا نحو اسن ٣٦٨٠٠٠ نفس رجالا ونساء وأطفالا فلم يرجع منهم الى بلادهم سوى أقل من الثلث

ومن بعد هذه النصرة مباشرة توسل اليه كل من العيدنيين والغليين فى أن يساعدهم على الصكانيين وهى قبيلة صاطيكية قاطنة فى شمال الامة الهلفيطية كانوا عبروا نهر الرين وهددوا جميع الغلية بالتغلب عليها وكانوا تحت قيادة ملك منهم اسمه أريوفسطوس وهو طاغية جرمانى كان يرى فى نفسه أن لا أحد يغلبه فى الحروب وكانت رجال هذه العشيرة فى صور ضخمة مهولة كثيرى العدد حتى ان الجيش الرومانى لما رآهم انحلت عزائمه ووقع فيه الرعب والخوف واندهل من رؤيته هذه الامة فوعدهم قيصر بالنصر ووعظهم ووبخهم وعابهم على عدم ثباتهم وقال لهم أى لعساكره لو تركتمونى لوجدتمونى فى طاقة كافية على محاربة هؤلاء القوم مع الفرقة العاشرة ونحن فينا الكفاية فانتشبت واقعة شديدة بالقرب من مدينة بالى انهزم فيها الجرمانيون شر هزيمة وطردوا على أعقابهم عابرين نهر الرين ثانيا وهرب اريوفسطوس ناجيا بنفسه فى قارب على نهر الرين

وفى سنة ٥٧ قبل الميلاد غزا قيصر أراضى بلجيا الموجودة فى شمال نهر السين وتغلب عليها من بعد حرب عنيدة وفى السنة التالية أنشأ أسطولا وأخضع نواحى بريتانى وحصل له فيها الكرب الجسيم وفى نفس هذه السنة أدب أهل السواحل وعاقبهم أشد العقاب وفى مدة ثلاث حروب تغلب على جميع الغلية (فرانسا) من نهر الرين وجبل بوره الى البحر المحيط الاطلنطيقى

وقضى قيصر فصل الشتاء فى مركزه العسكرى فى الغلية الجنوبية من ايطاليا حتى يمكنه فيه مباشرة أعمال حربه فى رومة وفى فصل شتاء سنة ٥٦ قبل الميلاد داوى المسألة ولايم الامور بين بومبى وقراصوص بعد أن ازداد الشر بينهما حتى وصلا الى حمل السلاح على بعضهما ونجح فى فصل هذه المسئلة وأمضى حكمه فيها فى مجلس تقابل فيه معهما فى لوقا ووافقه ورتبوا فيه تصميما من أجل أعمالهم القابلة المختصة بهم الثلاثة ونصحهما وأكد عليهما فى عمل الاحتياطات اللازمة لاستلام زمام القنصلية فى السنة القابلة ولما انتهت مدة وظيفة القنصلية تعين بومبى لحكومة اسبانيا وقراصوص لحكومة اسيا وامتدت نيابة قنصلية قيصر على الغلية لمدة خمس سنوات أخرى فمن هذا ترى ان قيصر انه انتخب لنفسه أدنى المواقع وأقلها قيمة الا انه كان فى الحقيقة ونفس الامر هو الموقع الذى جعل له طاقة على اجراء الاشغال التى كان عاكفا نفسه عليها ومن الضرورى له اجراؤها وهى تمدن وحضارة اوروبا واصلاح أمورها وأحوالها وفوق هذا كانت رغبته القرب من رومة لا البعد عنها حتى انه عند ظهور حوادث أو وقائع فى رومة يقدر على الدخول فيها مباشرة حال وقوعها ويلزمه مباشرتها لاجل الفصل فيها

وفى سنة ٥٥ قبل الميلاد عبر الجرمانيون مرة ثانية نهر الرين فى قوة عظيمة فهزمهم قيصر على الشط الايسر من ذلك النهر ونصب جسرا من المراكب على النهر بالقرب من مدينة كوبلنزه وعبر عليه الى جرمانيا وعاقب قبائل تلك الجهات باشد عقاب وعذبهم بأشد العذاب وفى اخر فصل خريف هذه السنة شرع فى غزوة استكشافية داخل بريطانيا واستحصل على رهائن من شعوب أهل بريطانيا فأصدر مجلس السناتو أمرا بعمل احتفالات مدة عشرين يوما شكرا له على ما حصل منه من النصر والظفر رغما عما حصل من معارضات كاتو فى رفضه عمل هذه الاحتفالات مع أعداء هذا

العسكرى الجليل القدر وفى سنة ٥٤ قبل الميلاد غزا قيصر بريطانيا مرة ثانية وتغلب على القسم الجنوبي من انكلتره وأخذ رهائن الشعوب الوطنية وضرب عليهم خراجا معلوما سنويا الا انه ما وضع محافظين من أجل ضبط الجزيرة وفى فصل شتاء هذه السنة انفجرت ثورة فى الغلبة انهزم فيها فرقة قوية من الرومانيين وثارت أخرى وكانت تحت قيادة كنطوس سيسرو أخو سيسرو الخطيب على خطر من الهزيمة فسار قيصر فى الحال لمساعدة سيسرو وهزم قوة الغلبين وكانت مؤلفة من ٦٠٠٠٠ نفس وأعاد النظام فى البلاد واستتبت راحة العباد ولما كان الجرمانيون مساعدين للغلبين على عصيانهم أغار قيصر على بلادهم مرة أخرى فى فصل صيف سنة ٥٣ قبل الميلاد وتولد من وجود جيشه الرعب والخوف فى كافة الجهات الجرمانية حتى هرب الجرمانيون الى الجبال والغابات من دون أن تحصل منهم أدنى مقاومة وفى سنة ٥٢ قبل الميلاد قام أهل بلاد الغلبة الوسطانية أجمع على ساق واحد على قيصر تحت قيادة رئيسهم الشجاع الجسور فيرسنغطوريكس ملك اڤرنى فحطم قيصر الثورة وأسر قائدها من بعد عدة حركات جسورية ومحاربات شديدة وقعية ومظفرات عظيمة فخرية وفى ظرف سنة ٥٠ قبل الميلاد نجح بحزمه وثبات قلبه وما عنده من التدابير الحربية بالاجراآت العسكرية فى أن جعل كافة بلاد الغلبة تحت ادارة المملكة الرومانية ورتب منها نوعا حكومة عدلية وادارات سياسية وأعمال تمدنية وأشغال وفنون حضرية

وفى غضون ذلك أخذت الاحوال والاعمال فى رومة فى سرعة الارتباك والاشكال وتعقدت فيها الامور وقام فيها الجسور فأما قراصوص المشهور بالفخر العسكرى فانه سافر الى حكومته فى الشرق من بعد انقضاء مدة قنصليته ومن بعد أن سلب معبد اليهود ومعابد أخرى كانت مشحونة بالاموال والكنوز وضمها بالاموال اللازمة لتدبير أحواله وقضاء أعماله فغرق بطيش عقله وعدم تبصره وخيبة أمله فى حرب مع مملكة فارطية فانهزم فى الحال وقتلت منه الرجال وقتل هو بخيانة بمعرفة الفارطيين فتولد من موت قراصوص أن صار بومبى النائب الوحيد عن الاتحاد الثلاثى من رومة وداخله الحسد والغيرة وتمكن الحقد فى قلبه من جهة قيصر حتى كانه ما كان بينهما صداقة ولا مودة ولا نسب ولا محبة وما كان بومبى توجه لمقر حكومته فى اسبانيا بل بقى فى رومة مشتغلا باشغال يعود منه النفع على ذاته وزيادة ثروته واحتياجاته وكانت حكومته جارية فى اسبانيا بمعرفة نواب مندوبين من طرفه ومعينين فيها بمعرفته ومال بومبى وانعطف مع حزب الاشراف وخصص نفسه بالشغل اللازم لحطم قيصر وهشمه وانحطاط قدره وهتك حرمته وكانت زوجته يوليه بنت قيصر ماتت قبل هذا وصار لا يوجد بين الخصمين أدنى رابطة ولا علاقة وتسبب فى كون السناتو أصدر لائحة تقضى على قيصر بتسليمه نيابة قنصليته الى من يعينه مجلس النواب ويعود الى رومة ويقيم فيها كآحادأهاليها قبل أن يتقلد زمام القنصلية فافتكر قيصر فى نفسه انه لو فعل هذا الوقع فى قبضة أعدائه وتباهى كاتو فى أقواله وافتخر بان له طاقة فى التداعى على قيصر من بعد خلعه من قيادته وتجريده من حكومته وما اكتفى أعداء قيصر بهذا فقط بل ساروا فى طريق ألزموه فيها باجراء حالة فاصلة بينه وبينهم وذلك انه تحت علة تجند عساكر للحرب مع مملكة فارطية طلب مجلس السناتو من بومبى وقيصر أن يجهز كل منهما فرقة عسكرية ترسل الى آسيا وكان بومبى أعار فيما سبق فرقة لقيصر فطلب بومبى رجوعها لاداء هذه الخدمة وبواسطة هذه الحيلة المكرية حرم بومبى خصمه من فرقتى عسكرية وأما قيصر فانه أسرع

فى الحال بارسال الفرقتين من بعد أن أعطى لكل شخص من العساكر مكافأة على ما أداه معه فى الحروب وجائزة أخرى تبقى له فى ذمته حال دخول جيشه منصورا فى رومة وعسكر هؤلاء العساكر فى نواحى مدينة قابوه وتوجه بومبى اليها مباشرة فعرض كوريو لمجلس النواب وكان على صداقة لقيصر وقال انه يلزم أن كلا من قيصر وبومبى يفرقان جيوشهما فلم يقبل مجلس السناتو هذا القول وكتب قيصر الى مجلس السناتو كتابا وضح فيه رغبته فى تفريق قواه وعساكره لو سار بومبى على منواله فكانت نتيجة ما عرضه فى مجلس السناتو أن صدرت لائحة منه قاضية على قيصر بتفريق جيشه من دون شرط معلوم ويوم معين وان حصل منه أدنى مخالفة عوقب بأشد العقاب وأعلن بعداوته للعموم فخالف مارك أنطونى وكاسيوس وكانا حاكمين ما كان عليه مجلس السناتو من الرأى فلم يلتفت المجلس الى أقوالهما وطردهما من الديوان وهددهما بالموت فهربا فى اليوم الثانى مستخفيين حتى وصلا الى معسكر قيصر فى رافنه

وما كان قيصر يختار لنفسه شيأ بل ما أجراه أعداؤه من اجتهادهم فى دماره فصل الامر بان ما يجريه قيصر هو الخير له لانه كان يعلم جيدا انه لو أذعن وسلم لهم ما طلبوه منه فكأنه سلم نفسه وبلاده وأهلها لقوم ليسوا كفؤا لادارتها خصوصا وان رومة كانت حكومة حرة بالاسم فقط وكان قلبها عفنا ذا رائحة كريهة وان الذين نسبوا لقيصر العيوب ووسموه بالخروج عن حد القانون كانوا من الكاذبين وكانوا فيما فعلوه من أعمالهم سائرين فيها على طريق جلب المنافع لانفسهم فقط وما كانوا يسألون عن ضرر أو أذى يحصل لغيرهم من العباد والبلاد وكان قيصر فى الحقيقة محبا للحرية وأبوها وعلى حسب ما أجراه من فصل مسائل الاحوال الراهنة وقتئذ أثبت وجود المملكة الرومانية من بعد أن كانت أشرفت على الدمار وكان أنذر من قبل بيضع أيام بهياج الاحوال ومخاوف الاعمال فى رومة فأسرع فى الحال بارسال الفرقة الثالثة عشرة الى رافنه وبمجرد ما أخذ الاخبار من الحاكمين اللذين هربا عنده فى معسكره وهما مارك أنطونى وكاسيوس عول على السير الى رومة فى الحال وفصل الحرب والمشاحنات وما كان عنده أدنى حركة تؤخره عن ذلك فلاجل خلاص رومة ونجاتها صار له من الضرورى قلب الحكومة القبيحة الحالية الموجود فى أيديها زمام سلطة المملكة وشوكتها فمن ثم صف الفرقة الثالثة عشرة وبسط لعساكرها حالة الاعمال وأحكامها وأوضح بساطها حقيقة الاحوال فكان قوله وكلامه لهم جميعا ان الرجل السياسى الثابت العزم والحازم الرأى هو الذى له الآن تسع وعشرون سنة يحامى عن الحرية ويدافع عن أمرها فى الاوقات الطيبة والرديئة ونجح من أجل رفضه أو عدم قبوله حراب الذابحين وخناجر الجلادين وسكاكين الجزارين من حزب الاشراف ومن سيوف الجرمانيين وأمواج البحر المحيط الغير معلوم من دون أن يهتز أو يرتج من هؤلاء القوم والذى مزق قانون سولا ورماه تحت أقدامه وقلب أحكام مجلس السناتو وأبطلها وعكف نفسه على المدافعة والمحافظة على حرية البلاد وعتق العباد بالسلاح والحروب وراء جبال الالب جديرا بان يكون أهلا للاحتقار من حزب الاشراف ثم استمر فى أقواله لا تنسب الحرية المدنية لعموم الكلوديانيين الذين حرق حماس جمهوريتهم رجالهم من مدة طويلة وصار رمادا وزبدا فى الارض بل تنسب هذه الحرية المدنية والحضارات البلدية لشبان رجال من مدائن وقرى شمال ايطاليا الذين ظهرت عليهم حواس جديدة وآراء سديدة وأفكار حميدة يسعون فى عتق اخوانهم وصلاح بلادهم وثروة أهلهم وراحة أولادهم ومازال فى خطابته وأقواله حتى أدخل

فكر هذه الحرية فى العساكر واشتد تأثيرها على عقولهم وقال لهم مستمرا فى أقواله وهؤلاء الشبان لايزالون قابلين للحروب ويموتون تحت هذا الفكر ويأخذون لانفسهم وبلادهم من قيصر حقوق المدنية ودمار العبودية التى رفضت الحكومة الشورية اعطاءها والذين هم عند سقوط قيصر تؤل حالتهم مرة أخرى الى أن يكونوا تحت رحمة البلط والفؤس مع أن هؤلاء الآن مشاهدون دلائل العمل القطعى الحاصل من الاعمال العنيفة القاسية الشارعة فيها حكومة الاشراف لتجعل هذه الاعمال ضد أهل الغلية الشمالية من ايطاليا فدخل فى عقول العساكر والضباط حقيقة ما قاله لهم قيصر وعدله وصمموا بعزم ثابت وعهد واثق أن يكونوا معه على آخر نفس وما كان مع قيصر فى هذا الوقت الافرقة واحدة فقط وأرسل الاوامر الى باقى فرق العساكر من أطراف وأكناف بلاد الغالية للالتحاق به مع سرعة السير وعدم التأخير وأماهو فانه أسرع فى سيره وعبر فى رأس الفرقة الثالثة عشرة الروبيكون وهو نهر صغير فاصل اقليمه من ايطاليا وتقدم بسرعة الى رومة فهرب مجلس السناتو فزعا ورعبا منه وترك مبالغ أموال المالية خلفه وأما عساكر پومپى فانها تركت قائدها پومپى بالالوف وهرعوا متوجهين الى قيصر وترك پومپى ماينوف عن نصف عشر الفرق الموجودة تحت قيادته ولما رأى پومپى ذلك انسحب الى نواحى برنديسيوم فساق قيصر عساكره خلفه ولما رأى پومپى أنه يستحيل عليه مقاومة خصمه فى ايطاليا عبر هذا الرجل العالى القدر پومپى الى بحر الجريس مع ٢٥٠٠٠ بقوا على صداقته وعزم على اجراء هذه الطريقة مؤملا أن فيه طاقة كافية بأن يأتى بكامل القوة الشرقية ضد قيصر فى ايطاليا ويهشمه ويفنى عمره وبواسطة تقهقره هذا سلم لخصمه أجل الفوائد وأعظمها وهى احتلاله كرسى الحكومة وتقلده زمام الاحكام فى رومة

وفى هذا الوقت صار قيصر سيدا ايطاليا والغلية وأما سردينيه وسيسيليا فانه صمم فى نفسه من الابتداء على أن يكون أول اجتهاد يحصل منه هو تشييد سلطنته وحكومته أولا على الحبث جزيرة وعجب أعداؤه من رفقته وعدله وحلمه فى سيره فى أعماله من احترام أملاك وعقارات الغائبين وعدم قربه منها وكانوا ألد أعدائه وحكم عساكره وأمرهم بأن يسيروا كسير أهل المدائن والقرى الايطالية الرومانية ولا يفتكروا فى أنفسهم أنهم تغلبوا على هذه الجهات بل يعاملون أهلها معاملة الفاتحين لها وان يحترزوا من أنواع الخطف والسلب ويجتنبوا أعمال الفساد مع البلاد والعباد فنال بذلك من عموم الامة وعلى الخصوص من طائفة صيارف المالية الرضا والقبول بما أجراه من الحزم والتدبير فى الطريقة التى سار عليها ووجه وجوه عساكره وأياديهم اليها ولما سكنت حالة ايطاليا واستتبت فيها الراحة والامن وخضعت حكومته وسارت فى المجرى الذى وجهها فيه انتقل قيصر الى اسبانيا وكانت على صداقة پومپى وله فيها سبع فرق عسكرية فتغلب عليها بحرب شديد استمر أربعين يوما على قدم واحد ومن بعد نصره وظفره رجع من طريق الغلية (فرانسا) وأخضع فى طريقه مدينة مسيليا (مارسيليه) فى سنة ٤٩ قبل الميلاد وكانت على صلابة كاملة على نوابه وفى مدة غيابه لقب بلقب حاكم مطلق فقبل هذا المنصب الا أنه مامكث فيه الا احد عشر يوما وفى ظرف هذه المدة صار انتخابه قنصلا فاصدر منشورات ولوائح بعود كافة الذين صار نفيهم فى مدة سولا الاميلاو وعمل الاصلاحات اللازمة لخلاص المديونين من ديونهم وأجرى أول مادة من مشروعه الجليل توطيد علاقات الايالات وارتباطها ببعضها ونشر حقوق كافة المدينة الرومانية على أهل الغلية ولما رأى أن پومپى لاطاقة له على الاغارة على

ايطاليا عبر الى الجريس فى رأس جيشه من نواحى برنديسيوم ورخص القواد البحرية التابعون لبومبى لقيصر أن ينزل فى ابيروس من دون أن تحصل منهم أدنى مقاومة له فنجح قيصر فى طرد خصمه الى داخل اقليم تساليا وما حصل لبومبى أدنى فائدة من اسطوله وألزمه قيصر بانتشاب الحرب فحصلت بينهما واقعة فاصلة فى فارساليا فى ٩ أغسطس وكانت فى سنة ٤٨ قبل الميلاد على حسب ماذكره مؤرخوا الرومانيين فانهزم بومبى فى هذه الواقعة وقتل من عسكره ١٥٠٠٠ نفس وهرب هو من ميدان الحرب وفى اليوم التالى سلم الباقى من عسكره وكانوا ٢٠٠٠٠ نفس الى قيصر وخضع له فى الحال الجريس وعقد الجم الغفير من حزب الاشراف صلحا معه وكانوا هربوا من رومة والتجؤا فى ايطاليا وأما بومبى فانه توجه ناجيا بنفسه الى مصر وكانت محكومة فى ذلك الوقت بالشاب بطليموس الثالث عشر وكان طرد أخته وهى زوجته أيضا كليوبطره الى جهة سوريا وكان هذا الملك المصرى محكوما بثلاثة من طائشى العقول من الجريق فخافوا من أن بومبى ربما يبحث على الطريقة التى يتيسر له بها الحصول على كونه يتغلب على مصر ويصير سيد المملكة فعولوا على قتله ولما صار القائد المهزوم على مسافة من ساحل بلزيوم (الاسكندرية) مع بضع مراكب وقوة قليلة من العساكر وأراد النزول أرسل له المصريون زورقا صغيرا على زعم أن المياه ليست كافية لحل المراكب الكبيرة حتى تتمكن من الوصول الى الساحل ونزل بومبى فى الزورق وحده متقويا بمعرفة رجل من ضباط البحرية كان أصله مستخدما عنده وتحت قيادته وبمجرد ماصار بومبى على شرف التخطية من الزورق الى البر ووضع قدمه على حرف القارب ضربه بالخنجر فغطى وجهه برداءه وسقط ميتا من دون حرب ومن بعد مضى بضع أيام وصل قيصر الى مصر معقبا فى حركته بومبى وكان معه قوة قدرها ٤٠٠٠ نفس من العساكر فاخرج المصريون له رأس بومبى من بعد أن آلت الى التغير وبهت وجهه فلما رآها قيصر دور وجهه الى جهة أخرى وناح وبكى وأن واشتكى وولول كالثكلى وأمر بقطع رقبة قاتل بومبى فى الحال وصرف مدة خمسة أشهر فى الاسكندرية نظم فيها أعمال مصر وأحوالها وأجلس كليوبطره على تختها من بعد أن سحرته بكمالها وجمالها وأحرقت لبه وكبده بقدها ودلالها وكانت هذه حالة غير مقبولة لانه أوقع نفسه فى حرب مع أهل الاسكندرية وفى واقعة من الوقائع التى حصلت على النيل غرقت مركبه وانجبر على العوم ناجيا بنفسه ماسكا فى يده أوراق شرح الحروب التى حصلت فى الغاليا وصكوكه التى فيها الاوراق والرسائل فى أسنانه ومع ذلك فانه نجح أخيرا فى أعماله وأما بطليموس فانه غرق فى النيل وشيد القيصر حكم كليوبطره فى مصر وقد ذكرت هذا مطولا فى تاريخ مصر فى هذه المدة والله أعلم بالصواب

ثم ان قيصر ترك مصر وأسرع الى آسيا الصغرى واستمر فيها فى حرب لبث خمسة أيام فهزم فرناسيس ابن متريداطيس صاحب بونطوس وكان يفتش له على طريقة لاسترداد ممالك أبيه ثم سار من آسيا الى أفريقه متتبعا ما بقى من حزب بومبى وكانوا قاموا الهم فى افريقه مجلس سناتو وحكومة فى مدينة أوطيقه فمع أن البومبيين هزموا قيصر فى واقعة حصلت فى روز بينه سنة ٤٧ قبل الميلاد الا أنه شتت شملهم فى واقعة كبيرة حصلت فى نواحى طابسوس فى السنة التالية وقتل كاتو وصكيبو وملك نوميديا أنفسهم بأنفسهم وخضعت افريقه الى قيصر وفى سنة ٤٥ قبل الميلاد التزم على التوجه الى اسبانيا لاطفاء ثورة جديدة تولدت من البومبيين ونجح فى اخمادها الا أن الاقامة فى اسبانيا من بعد النصرة الاخيرة كانت أشغالها صعبة جدا حتى مكث فيها نحوا من ستة شهور

وعاد

وعاد قيصر الى رومة وهى المرة الرابعة من ابتداء وقوع الحرب الداخلى وفى نحو غلاق شهر مايه من سنة ٤٦ قبل الميلاد شرع فى عمل موكب واحتفال وما كان حصل قبل ذلك احتفالات لشئ من المظفرات التى حازها فلبث هذا الاحتفال أربعة أيام يوم للغلية ويوم لمصر ويوم لبونطوس ويوم لنوميديا وأما النصرات التى حصلت له فى الريده من أعمال اسبانيا وفى فارساليا من أعمال تساليا فانها ما ذكرت بسبب أنها كانت حصلت فى حرب داخلى ومن بعد تمام هذه الاحتفالات الجليلة منح العساكر وكل واحد من فقراء الرومانيين عطايا وهبات من النقود والغلال وانتهى الشغل الذى كان ابتدأ فيه هذا الرجل الفاتح السياسى فصار حاكما مطلق التصرف مدة عشر سنوات وقائدا مدة ثلاث سنوات وبعبارة أخرى سيد رومة المطلق الحكومة والتصرف ومع أن هيئات الجمهورية كانت باقية الا أن رومة صارت سلطنة عسكرية قوانينها واجراآتها بأغراض وأوامر حاكمها الاكبر لانه من بعد الحرب الاخير الذى حصل فى اسبانيا توظف قيصر حاكما مطلقا وقائدا مدة حياته له أن يجرى حربا أو يعقد صلحا من دون استشارة مع مجلس السناتو وله الحق فى تسمية ولى عهده من بعده وأعلن السناتو بتقديس جسمه وكل دسيسة أو ثورة تحصل فى حقه فهى خيانة وطنية وجريمة دموية

وفى المدة القصيرة التى تقلد فيها وظيفة السلطنة شرع فى عدة أعمال كانت على غاية من القبول عند الجمهور عادلة خفيفة وزاد فى مجلس السناتو الى أن بلغ عدد أعضائه ٩٠٠ عضو واختار أن يكون أعضاء مجلس السناتو من رومة ومن الايالات على حد سواء وقرر الشوكة العدلية القضائية لمجالس السناتو والفرسان مرة أخرى وأنعم بالمدينة الرومانية الكاملة على كافة سكان الغلية الشمالية من ايطاليا وعلى كثير من الامم من أهل الغلية الموجودة خلف جبال الالب وفى اسبانيا وعلى أمم فى جهات أخرى وبذل مجهوده فى نقض الامتيازات التى كانت موجودة بين رومة وبين الايالات وجعل عموم المملكة الرومانية شرقا وغربا على منوال واحد متعادل فى عموم أنحائها وأكنافها وكافأ الذين مارسوا معه الحروب بالاغداق عليهم بأراض خلف البحر من ايطاليا وأعاد بناء قرطاجنة وقورنثه وبهذا أحيا محلات تجارة كانت الجمهورية أمرت بخرابها سياسة فى حب أربابها وخفف طوائف الفقراء الموجودين فى رومة بكونه وزع منهم ٨٠٠٠٠ نفس فى مستعمرات شيدها فى أوروبا وافريقه وآسيا ونشر الحرية الكاملة على كامل طالبى العلوم والمعارف واجتهد فى زيادة علو مقدار التهذيب والتعليم فى عموم جهات الممالك الرومانية ومدن العالم الدنيوى بالعلم والتعليم لا بالقوة والجبروت وقرر نظاما فاصلا بين الدائنين والمديونين من طوائف الامم وجعله على قواعد وأساسات سهلة عادلة حتى صارت المالية الرومانية لا يمسها أحد بسوء وأحيا القانون الليصنيانى القديم القاضى باستخدام جملة من الاحرار الشغالين فى زراعة الاراضى وفلاحتها وزاد فى حرية الامة ورخص لكل من كان له ثلاثة أولاد فما فوقهم أن يكون حرا بالطبع وأصلح نتيجة السنة الرومانية من بعد أن كان فيها الخطأ والاختلاط وعدم الوقوف على الصواب بكونه أضاف تسعين يوما على السنة القديمة الرومانية واختار طريقة الحركة الشمسية وجعل السنة الرومانية ٣٦٥ يوما وأضاف لكل رابع سنة يوما واحدا فكانت هذه خدمة جليلة لبلاده وللدنيا عموما وأصدر مجلس السناتو أمرا مع الممنونية بتسمية الشهر الذى ولد فيه باسم يوليه من اسم عشيرته وجمع القوانين الرومانية ودونها فى قانون واحد وهذا شغل كبير العمل وشرع فى تغيير مجرى نهر الطيبر وجعله يصب فى مستنقعات وبرك بونطين ومن ثم استحوذ للمدينة على ناحية

من الارض عريضة الاتساع للعمارات والمبانى وشرع فى توصيل رومة مع طراسينه وهى مينة أجود وأعدل من مينة عسطيه وانتهى ازدحام كافة هذه الاشغال فى خمس سنوات وهى معظم المدة التى كان عكف نفسه فيها على حروب مهمة فى الجهات الخارجة

وبينما كان قيصر على قدم الشروع فى اجراء حرب برانى اخر وهو اغارته على فارطية لينتقم منها بثار قراصوص اذ أخذت أعماله فى الانقضاء بغتة وذلك أن أعداءه اتهموه بكونه عازما على أن يجعل نفسه ملكا من قبل سفره الى الحرب ورتبوا فى شأن ذلك ثورة عليه فكانت مؤلفة من أعدائه ونجحوا فى أن عطفوا الى صفهم جملة من أمناء أرباب الجمهورية أدخلوا فى عقولهم وأقسموا لهم بانه لابد من عود الحرية الى المملكة من بعد فقد حياة قيصر وكان قيصر فى الحقيقة ملكا الا أنه ما كان يظهر على نفسه أنه ملك وما كان أعداؤه مثله فانهم خافوا من أن يروا هيئة الجمهورية والحرية مرة أخرى كأنه هو نفسه خاب من تقليده زمام الملك جهرة وكان قيصر ملكا الا أنه ما تمسك بحبال الظلم والجور وفى يوم عيد لوبر كاليه فى ١٥ فبراير سنة ٤٤ قبل الميلاد قدم مارك أنطونى التاج لقيصر فرفض قبوله ووردت اليه انذارات عديدة تهدده بحصول الخطر النازل عليه الا أن جلالة ذاته وعظم نفسه جعله لايشك ولا يرتاب فى أن أحدا من الامة الرومانية يحصل منه شئ مضر بحياته وما كان من الرجال الذين يرى عليهم سمة الجبن والخوف وفى ١٥ مارث توجه الى ديوان مجلس السناتو وبمجرد ما أخذ مجلسه فى المجلس سقط عليه الثائرون وضربوه بالخناجر والسكاكين وكانت أول ضربة من شخص اسمه كاسكا فدافع عن نفسه بدرعه وجرح واحدا من القاتلين وأسرع الى آخر ودفعه الى خلفه وجرد ثالثا من سلاحه وفى هذا الوقت ضربه بروطوس وكان بروطوس المذكور محبوبا عند قيصر وأمينه ووهبه قيصر من السعادة والفخر مازاد به عن أمثاله فلما رأى هذا الخائن مخبلا فى سلاحه ترك المدافعة عن نفسه وقال بصفة الذم بروطوس بروطوس وأنت أيضا يا بروطوس وغطى وجهه بقلنسوته وسقط ميتا تحت أقدام تمثال بومبى ومات أعظم الرومانيين وأكبرهم قدرا بهذه الحالة الشنيعة ثم ان بروطوس مدبر الثورة رفع خنجره الدموى فى الهواء وزعق بصوته على سيسرو وقال له تمتع الآن يا أبا الامة وافرح لان رومة خلصت الآن وعتقت من عبوديتها أواه وأسفاه على هذا الامين الصادق وكان هذا الملعون ذبح بلاده بقتله قيصر لانه قتل الرجل الفريد الذى كان فيه قابلية لرفع رومة من مصاعب الاخطار التى حاق بها افسادها وكانت الامة الرومانية غرقى فيه الى رأسها ومع أن موت رجل من الامة لايحصل منه تغيير فى هيئتها غير أنها تحتاج الى يد قوية تحميها وتحفظها من غوائل ما يقع فيها من الضرر والفساد الحاصل فيها من نفسها فكسر الثائرون هذه اليد وقذفوها فى الارض وكان أمل الثائرين ورجاؤهم أن الامة تهرع فى الحال لمعاضدتهم وتأتى بأكملها لمساعدتهم فاندهش الرومانيون دهشة كبيرة وخافوا خوفا زائدا مما حصل للمقتول وخشيت عموم الطوائف من أنه ربما يتولد من موت قيصر عود قانون القتل والانتقام والنفى فنشأ من هذا التردد وجود زمن كاف لمارك أنطونى استحوذ فيه لنفسه على أوراق قيصر ونقوده وصار قنصلا وحيدا وبذل جهوده فى حرمان القاتلين من أن ينتفعوا بشئ مما جنته أيديهم من الجريمة التى فعلوها وساعده أيضا توانى الثائرين فانهم خابوا فى اتمام أعمالهم التى كانت جل مرغوبهم ومقصودهم وخطب انطونى خطبة بليغة على جثة قيصر وشرح فى خطابته ما كان لهذا الرجل الجليل من أجود المقاصد وأعظم المشروعات حتى صير الامة الرومانية لاتذكره الا بالذكر الجميل والفكر الجليل ونجح فى

خطابته بكونه وجه أفكار من كان موجودا من الناس المزدحمين ضد القاتلين وجعل أنطونى نفسه سيد رومة الحالى بتوطيد اشتراكه وتعاهده مع لبدوس رئيس خيالة قيصر وتداخل فى مخابرة مع القاتلين وقرر حكومة مجلس السناتو ولما خاف بروطوس وكاسيوس والذين شاركوهما فى الثورة من أن أنطونى ربما تحول أفكاره وأعماله الى اهلاكهم تركوا رومة وتوجهوا الى الاقاليم مستغيثين بمعاضدتها وبينما كان أنطونى على شرف نواله الوعد من مطامع آماله اذ ظهر له خصم فى الميدان صدّه عما فى ضميره ودمر آماله وذلك أن قيصر كان آخر مقاصده هو اعترافه بان حفيد أخته وليه وكان يسمى أوقطافيانوس هو الوارث له وابنه المتبنى وكان هذا الشاب تهذب وتربى مع غاية الاعتناء والالتفات اليه تحت نظر قيصر نفسه وكان قيصر مشغوفا به على الدوام فما كان يفارقه حتى ترعرع وشب فى شبابه وكان غائبا عن رومة فى الوقت الذى قتل فيه خاله وبمجرد ما أخذ أخبار قتله أسرع الى المدينة فى طلب وراثة خاله ولما استحوذ على مخلفات قيصر ومتروكاته فرقهما مع بذل كرمه وسخائه على العساكر وفقراء الامة فمن ثم ازداد قبولا عندهم ومحبة لديهم وحصن سيسرو أمره وأطفأ فى عدة خطب خطبها تعرف بالخطب الفيلبيه قبول أنطونى ومحبته وأرغمه على ترك رومة وخلص مجلس السناتو من خرابيشه وتوجه انطونى الى اقليمه فى الغلة الجنوبية وابتدأ الحرب الثالث الداخلى بحصار مدينة موطينه وكان ضبطها دسيموس بروطوس فأرسل السناتو عليه جيشا جديدا تحت قيادة القناصل المستجدة ومن الحاح سيسرو وطلبه صار ترتيب أوقطافيوس حاكما عسكريا واشترك مع القناصل فى قيادة العساكر فانهزم انطونى فى واقعتين وطردوه عابرا جبال الالب من بعد أن ترك فرقتين من عساكره انضمتا الى أوقطافيوس فى سنة ٤٤ وسنة ٤٣ قبل الميلاد وصار مشترى هذه النصرات بأثمان حياة القناصل وبقى أوقطافيوس هو القائد بمفرده للجيش وانتقلت المحبة التى كانت فى قلوب عساكر الجيش لخاله قيصر اليه فرخص لانطونى أن ينجو بنفسه وما قبل أن يسير معقباله وطلب لنفسه من السناتو عموم واجبات القيادة العسكرية وأرسل فرقة من عساكره يطلب لنفسه القنصلية فرفض مجلس السناتو طلبه فأسرع فى سيره الى رومة ناهبا سالبا فى طريقه البلاد موقعا الفزع فى العباد أينما توجه ولما تقرر أمره بواسطة عساكره أرغم مجلس السناتو أن يمنحه سلطة السيادة العالية مع أن عمره كان تسع عشرة سنة وجعل نفسه قنصلا وأشرك معه عمه كنطوس بديوس رفيقا له فى القنصلية وأمر مجلس السناتو بالتصديق فى اختيار عمه وانتخابه للقنصلية وأن يطلب المجلس قاتلى قيصر للمحاكمة وبما أن هؤلاء هربوا جميعهم من رومة عند قربه منها أصدر عليهم أحكام الغياب بالعقاب وأصدر مثل هذا الحكم أيضا على سكسطوس بومبيوس وجعل أوقطافيوس القائد الوحيد على قوى الجمهورية بسلطة كونه يعقد صلحا أو يقيم حربا مع أنطونى ولبدوس وكانا متماقوا هما البينهما وما جال بفكر أوقطافيوس وعقله فى الحالة الحاضرة أن ما حصل منه من السياسة والادارة الاخيرة كان أصوب له لانه فى حاجة شديدة الى مساعدة خصمائه له فى هزيمة حزب بروطوس وكاسيوس وذلك أنه انعقد مجلس بين الثلاثة القواد على جزيرة صغيرة فى نهر رينو وكانت نتيجة هذه الجلسة ترتيب الحكم الثلاثى الثانى فى سنة ٤٣ قبل الميلاد واتفق قيصر أوقطافيوس فى هذا الترتيب وأنطونى ولبدوس على قسمة حكومة الممالك الرومانية بينهم لمدة خمس سنوات وأحيوا قانون القتل والنفى على منوال أضل من الاول ليجرى ما فيه من الاعمال ويبرز من حيز الخفاء الى حالة الوجود اما لاجل تخويف أعدائهم واما ليكون لهؤلاء الثلاثة طاقة على اجراء

الحرب فكان هذا القانون أحد الحروب الدموية الشديدة التي ماوقع مثلها في ايطاليا وكان من بين الذين قتلوا الخطيب سيسرو ومع انه كان صديق أوقطافيوس كما كان يلقب به في ذلك الوقت الا ان قتله كان بخصوص كراهته وبغضه أنطوني وضبطت عقارات وأملاك المقتول بحالة شنيعة واستلمتها الحكومة ثم عبر أوقطافيوس وأنطوني البحر الادرياطيقي الى الجريس في رأس جيش مؤلف من ١٢٠٠٠٠ نفس لان بروطوس كان توجه من ايطاليا الى مقدونيا وهي الايالة التي كان عهدها اقيصر اليه قبل موته فقابله فيها الفرق العسكرية مقابلة فائقة ما واانضم اليه العساكر الذين كانوا في نواحي الرية ومونجح أيضا كاسيوس في اقليم سوريا وحاز الرئيسان الدنيا الشرقية الرومانية واتفقا على الاتحاد سوية والاستقلال فعلا واستعدا للحرب مع الحكومة الثلاثية وحصلت المقابلة بين الاثنين في مدينة سرديس عاصمة ليديا لاجل ترتيب أشغالهما فحصل عندهما البطء والتراخي في الحركة اللازمة لهما لانه قبل تركهما آسيا كان أنطوني وأوقطافيوس دخلا الجريس واتفق في حال توجه بروطوس من آسيا الى مقدونيا أنه كان على شرف العبور من بوغاز الهلسبون وكان واقفا ذات ليلة في خيمة منصوبة له على شاطئ البحر في نور فتيلة ضعيف فافتكر انه أحس برجل داخل عليه في الخيمة فنظر حوله وتخيل انه رأى خيال صورة شخص فانزعج وقال له من أنت وماتريد فأجابه الخيال أنا فطنتك الرديئة ستراني مرة ثانية في فيليبي فوصل الى عساكره في الجريس وهزم أنطوني وأوقطافيوس كلا من بروطوس وكاسيوس في واقعتين مهولتين حصلتا في فيلبي في شهر نوفمبر سنة ٤٢ قبل الميلاد وقتل بروطوس وكاسيوس أنفسهما وكان موت الاثنين سببا في دمار الجمهورية وخرابها وما رغبت الحكومة الثلاثية في عودها وكل من الحكام الثلاثة أجرى محارباته وأعماله على حدته ليتيسر لكل منهم الحصول على السيادة على خصمه وكانت نتيجة ما حصل من واقعة فيلبي انقسام المملكة بين الثلاثة الحكام قسمة جديدة فأخذ أنطوني كافة الايالات الشرقية وأخذ أوقطافيوس ايطاليا واسبانيا وأخذ ليبدوس افريقه ومع هذا فانه حصل الرضا بهذه القسمة مع كل صعوبة حتى صار هؤلاء الاحزاب على شرف الوقوع في الحرب وكان موقع أوقطافيوس خطرا جدا بسبب ما كان عليه سكسطوس بومبي من الشوكة لانه جعل نفسه سيد سيسيليا وأمر بتوقيف لوازم رومة ومطاليبها من أصناف الحبوب وقطع أمل الايطاليانيين فانه طرد كثيرا منهم عن أملاكهم وأراضيهم ليخلي محلا للذين مع أوقطافيوس في الحروب وكذا كثير من العساكر قطع اليأس من عدم أخذه ما كان ينتظره من المكافات فكل هؤلاء وجهوا وجوههم ضد أوقطافيوس فمن ثم انتهز أنطوني الفرصة في أثناء هذه القلاقل وأخذ يدس الدسائس في حق خصمه أوقطافيوس ولما وصل أنطوني آسيا تقلد فيها زمام السلطة العالية والسيادة الكاملة وافتتن بالخلاعة والفجور وطلب كليوبطره ملكة مصر وهو في مدينة طرسوس للحضور بنفسها أمامه لاجل محاكمتها بسبب ما كانت عليه من مساعدتها بروطوس وكاسيوس فلم تمتنع الملكة من طاعة حاكم معتمدة على صيده ووضعه في قفص محبتها وجاذبيتها الشخصية وجمالها وقدها وعزمت على صرف ما كان عليه هذا الحاكم من الحنق والغضب حتى تسلب عقله بجمالها وتنقله من حالة ملوكية الى حالة عبد رقيق لها واآلة في يدها تفعل بها كيف تشاء وكان عمرها في هذا الوقت خمسا وعشرين سنة فحملت معها هدايا ثمينة وخزائن أموال على قدر همتها ودفعتها ونزلت في أسطولها المصري وأقلعت في البحر وفي نهر سيدنوس حتى وصلت مدينة طرسوس وبمجرد وصولها

ونزولها

ونزولها على البر نصبت خيامها ودعته مع قواده لضيافة حافلة جهزتها له وكانت كليوبطره ماهرة في فن الخط والانبساط وكانت كاملة الاوصاف في الجمال صوتها يأخذ بالالباب كأنه نغمات آلات طرب حاذقة ماهرة في فن المغاني وكانت تتكلم بسبع لغات وهي لغات رعاياها المختلفة الاصناف من الجريقيين والمصريين والابتيوبيين والطروغلوديطيين والعبريين والعرب والسوريين وكل أمة من هؤلاء الامم لها لهجة ولغة قائمة بها في ثم ما كان أحد من أسلافها على معرفة من حكومة المصريين مثلها بل كان البعض منهم نسي لهجة قومه من الجريق فلما نظر اليها أنطوني أدهشته بجمالها وسلبت عقله بعذب كلامها ووقع أنطوني من دلالها وكمالها في فخ الصيد وصار لا طاقة له على أن يمنع أو يخفي منها شيأ فأول شئ جادبه عليها كونه أمر بقتل أختها أرصينوى في افسوس وأظهرت غيرتها الشديدة وكراهتها لاختها ثم ان هذا الرجل الحربي القديم وصار الآن العبد الذليل صحب الملكة الى الاسكندرية ولازمها وبقي معها في أرضها وبلادها من دون أن يحصل له اشتغال أو يكدره بلبال فكانت كليوبطره تغني وتسكر وتلعب وتصطاد وتعرض عساكرها على نفسها مع مسلوب العقل الروماني وكانت ملازمة له في دورانه في نصف الليل من وسط شوارع المدينة فاتم ساعة الاوكانا فيها منهمكين في مغلطات النقائص والفجور والاسراف في الامور وأخيرا حل بانطوني وقائع الحروب حتى ألزمته مدة قليلة من الزمن على أن يترك ماهو عليه من انهماكه في اللذات وذلك أن الفارطيين أغاروا على سوريا وانفجر الحرب في ايطاليا وكان سبب هياجه امرأة أنطوني وأخاه ضد اوقطافيوس

وذلك أن فولفيه امرأة أنطوني عزمت على فصل زوجها من كليوبطره بطريقة تجلبه بها عندها في رومة فحرضت أخاه لوسيوس على أن يكون رأس عدد كثير من الايطاليانيين النافرين من جهة أوقطافيوس لان أوقطافيوس لاجل أن يكافئ فرقة الخطافة النهابة استحوذ على أراضي الفلاحين وأنعم بها على العساكر فاشتعلت نار الثوران والارتباك في الجهات والبلاد فاطفأ العساكر هذا كله بما انهم كانوا هم المتنفعين وأخمد أوقطافيوس هذا الهياج وحاصر الذين ثاروا في مدينة بروسيا الحصينة وأوقع عليهم القحط والجوع حتى أذعنوا بالتسليم وقتل منهم من ٣٠٠ الى ٤٠٠ نفس وصدر الامر الى فولفيه بخروجها من ايطاليا فهربت الى الجريس وقابلت فيها زوجها وكان وصل الى الجريس موافاة لطلبها له لاجل مساعدتها ومساعدة أخيه لوسيوس ومع أن أنطوني كان عاب على مشروعها وأفعالها لكنه توجه نحو ايطاليا وعقد معاهدة مع سكطوس يومبي في شأن المحاربة مع رفيقه أوقطافيوس الا انه صار ضد هذه الافعال المدمرة للبلاد والعباد بتداخل الاحباء والاصدقاء وعقدوا مجلسا في برنديسيوم تقرر فيه تقسيم المملكة الرومانية من جديد وحصل الاتفاق على أن أنطوني يختص بالاقاليم الشرقية وأوقطافيوس بالاقاليم الغربية ولبدوس بافريقه وتكون ايطاليا عمومية بين الثلاثة ومراعاة سكسطوس يومبي العدو المشترك للعموم واتفق في هذه المدة أن ملوك المقابليين دخلوا في سلطنة مملكة يهوذا بواسطة تداخل هيرودوط العوميدى الذى صار فيما بعد قبيح الشهرة ردىء الصيت بواسطة ماحصل منه من الافعال الذميمة والجرائم الجسيمة من ذبحه الابرياء من مدينة بيت لحم وكان هيرودوط وصل الى رومة وتقدم أمام الحكومة الثلاثية ونال التفاتها اليه وقت ماكان الفارطيون مغيرين على المملكة فوطدوا له مرغوبه وقووه على مقصوده خصوصا من جهة انطوني بدفعه مبلغا جسيما من النقود وتقلده زمام سلطنة يهوذا ولما ماتت فولفيه تزوج

أنطونى أوقطافيه الاخت الارملة لرفيقه أوقطافيوس وفى سنة ٣٩ قبل الميلاد صار اصلاح هذا الترتيب بقبول أن يعطى الى سكسطوس بومبى سيسيليا وسردينه وقورسيقه على شرط أن يعطى رومة مطاليبها من الحبوب والغلال فلما خاب أوقطافيوس فيما صار الاتفاق عليه هيج فى سنة ٣٨ قبل الميلاد حربا على سكسطوس بومبى ومن بعد محاربة استمرت سنتين هزمه وأرغمه على الهرب الى آسيا وقتل فى السنة التالية فى نواحى ملطيه وأضاف أوقطافيوس الجزائر الغربية الى ممالكه الآن ليدوس اجتهد فى الاستحواذ على سيسيليا وأن تكون له الدرجة العليا فى الحكومة الثلاثية وأطاعه قوى سكسطوس بومبى البرية وكانت كثيرة العدد ولقب نفسه بامبراطور فدخل أوقطافيوس مع الجسارة والجراءة فى معسكر خصمه واستغاث بالعساكر فى الانضمام اليه فنجح فى ذلك بفصاحة لسانه وعذوبة كلامه وتوجه له عموم الجيش والتحق به وجرد ليدوس من الحكومة الثلاثية وعفا عنه وسمح له بالاقامة فى وظيفة الحبر الاعظم فرضى ليدوس بذلك واستقام أمره

ثم بقى أنطونى هو الخصم الفريد لاغير لاقطافيوس وكان أنطونى حط قدره وقذر نفسه ومقامه الرومانى بما أجراه من مواصلته مع كليوبطره وكان انطونى لما سافر الى حربه مع الفارطيين فى سنة ٣٧ قبل الميلاد ترك زوجته فى ايطاليا ومن بعد قليل وصل آسيا بعد أن دخل فى أراضى الفارطيين وانجبر على القهقرة وقطع الفارطيون على عساكره طريق رجعتهم وأبادوا جيشه بالجوع والسيف فلما وصل مهزوما الى آسيا قابلته كليوبطره فى سوريا وعاد معها الى الاسكندريه وأخفى ما كان فيه من الخيبة وعدم النجاح ورجع الى جنونه وانهماكه فى اللذات مع كليوبطره ومازال تحت رقها الى ان انقضى نحبه وفى مدة سنى ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ قبل الميلاد باشر أنطونى الحرب على الفارطيين بأضعف حالة وأسرع طريقة وما اكتسب فيها الابعض مظفرات عديمة الشرف وعاد مسرعا ليتملى بوجه كليوبطره وفى سنة ٣٤ قبل الميلاد هجم أنطونى على ملك أرمينية من أجل أنه ارتاب فى خيانته وأسره وأنعم بمملكته على كليوبطره وعقد له موكب فى الاسكندرية احتفالا بنصرته ثم أعطاها فينيقيه وسوريا الجنوبيه وقبرص وبعض جهات سيليسيا ويهوذا وجهات فى بلاد العرب وطلبت منه قتل هيرودوط وكان أشار على أنطونى ونصحه بحل الاربطة المذمومة التى ربطها مع كليوبطره وقيل انه كان سعى فى قتلها ليخلص من جبيرتها القبيحة ويخلص وليه من سوء عاقبتها فمن ثم طلبت كليوبطره من عبدها أنطونى قتل هيرودوط وما سمحت بالعفو عنه الا من بعد أن ألزمته الضرورة بكونه يتنازل لها عن أرض البلسم الغنية الموجودة حول مدينة أريحاء وكان محصولها سنويا ٢٠٠ وزنة أى ٤٠٠٠٠ استرلينه ومن هذا الوقت صارت ترسم على النقود الجارية فى المعاملة رأس انطونى مع رأس كليوبطره ملك وملكة وألفاظ امبراطور والمعبودة الشابة وتلقبت بلقب ازيس وتحلت بحلى المعبودات وكانت تعمل لها الاحتفالات الرسمية بصفة كونها معبودة وأدى لها أنطونى كل ما ترغبه وأنعم على أولاده منها بالتيجان الملوكية وأرسل أنطونى زوجته الى أخيها أوقطافيوس ثم طلقها وأمسك فى يده قضيبا من الذهب ولبث الثوب الارجوانى وعمل له اكليلا بكونه زوج الملكة ووعدها الغرم المفتون بأن يجعلها الملكة المطلقة التصرف على الممالك الرومانية ويكون مقرها فى نفس رومة جزاء لها على محبتها له وقربها منه

وأما أوقطافيوس فانه صرف هذه السنين فى توطيد علاقات دولته وارتباطه برعية شوكته ومد

ممالكه فى الجهات الغربية من جبال الالب وصار معززا عند الرومانيين ومقبولا بينهم على قدر ما كانوا يخشون سطوته ويخافون عقابه قبل ذلك وزادت محبته عندهم بكونه زخرف مدينة رومة وأصلحها واستمر فى سيره حتى انتهز فرصة الاغارة على أنطونى بما فعله من خيانته الكبيرة التى بها انفصل الاملاك الرومانية وحصل أمرها ومنحها لمدينة كليوبطره فأعلن أوقطافيوس بالحرب على أنطونى وكليوبطره فى سنة ٣٢ قبل الميلاد ونزل أوقطافيوس فى الجريس فى رأس ٨٠٠٠٠ من المشاة و ١٢٠٠٠ من الخيالة وأسطول وكانت السنة الاولى خالية من الوقائع والحوادث فجمع فيها أنطونى جيشا كثيفا وأسطولا من الشرق قويا وصار فى قوة زائدة عن خصمه ووصل أنطونى وكليوبطره الى الجريس فى رأس هذه القوى والاساطيل ومن بعد أن مكث الجيشان معسكرين تجاه بعضهما فى مواقع على ساحل خليج امبرانيا أحدهما فوق رأس اكطيوم والآخر على النقطة المقابلة له والاساطيل راسية فى البحر بين الجيشين فأشار قواد أنطونى عليه باجراء الحرب فى البر ويفصل هذا المشكل بواقعة امالها واماعليه وأشارت عليه كليوبطره أن تكون الواقعة فى البحر بقوة الاساطيل فأذعن لقولها ووقعت الواقعة فى البحر بين الاسطولين على مسافة من رأس اكطيوم فى ٢ ديسمبر سنة ٣١ قبل الميلاد وكان النصر فى الابتداء مع أنطونى لان سفنه كانت كبيرة الحجم كثيرة العدد وفى وسط اشتعال نار الحرب خافت الملكة من نتيجة عاقبة الواقعة ورغبت فى خلاص نفسها فهربت بمركبها وتبعها ستون سفينة من السفن المصرية فاندهش أنطونى من هذه الحركة ويئس لان قوة عظيمة من قوته تركته فنط من مركبه فى زورق سريع الحركة وهرب وراءها مسرعا فى سيره ولما ترك القائد أسطوله وهرب هزمته السفن القليلة الاوقطافيانية وأنزلوا به العطب وأما الجيش البرى التابع لانطونى فانه ما كان يعتقد هرب قائده واستمر منتظرا حضوره لمدة سبعة أيام ولما لم تأت له أخبار بخصوص أنطونى ووجد أن التسليم لابد منه سلم الجيش نفسه الى أوقطافيوس وتولد من واقعة اكطيوم أن صارت الجهة الرومانية الموجودة فى آسيا تحت قدمى الرجل المنصور وكان أول من ذهب لملاقاته ملك اليهود اهيردوط وكان من حزب أنطونى فنجح فى كونه نال مقابلة أوقطافيوس مقابلة رسمية فى رودس وعقد صلحه معه وعاد الى بلاده

واستمر أنطونى وكليوبطره فى هربهما حتى دخلا مصر وأظهرت كليوبطره فى بلادها الشجاعة وعلو الهمة زيادة عن معشوقها وأمرت بحمل مراكبها الحربية الى البحر الاحمر من طريق برزخ السويس وعزمت على خلاص نفسها مع خزائنها فى دنيا غير معروفة فأحرق العرب مراكبها والتزمت على ترك مقصدها وما كانت عازمة عليه فوقعت فى أشد المضايقات والمصاعب وأمرت باستحكام منافذ ومخارج مملكتها وأخذت فى الاستعداد للحرب وربطت علاقات تعاضدية مع كافة الملوك الداخلين مع أنطونى فى محالفة واحدة واعتزل أنطونى فى معزل على حدته ودخل فى خلوة لاصديق معه ولا خادم واستمر قاعدا فيها ولما وجد نفسه أن لا طاقة له على مثل هذه العزلة خرج منها وأكب نفسه على الحظ وانهمك فى أنواع الموبقات

وفى غضون ذلك زحفت قوى أوقطافيوس من كل جهة على الديار المصرية وتغلب كورنليوس غالوس على باريطونيوم وكانت مفتاح مصر من الجهة الغربية فأسرع أنطونى باسطوله وجيشه لاجل خلاصها منه فهزمه كورنليوس وتقهقر أنطونى مع تلفيات جسيمة خصوصا فى مراكبه

وسلمت بلوز يوم نفسها الى أوقطافيوس وهى المعقل الشرقى ومفتاح الديار المصرية من هذه الجهة الشرقية وقيل ان سلقوس حاكمها غدر وسلمها الى أوقطافيوس بأمر من كليوبطره لأن كليوبطره لاجل براءة نفسها من هذه التهمة سلمت امرأته وأولاده لميدأ نطونى ثم تقدم أوقطافيوس لحصار الاسكندرية فاجتهد أنطونى فى توقيف سيره فتركه عساكره وهربوا منه ولما رأى نفسه انه لايموت بفخر فى ميدان الحرب عاد الى الاسكندرية مشحونا بالغضب يجرى فيها ويصرخ وأرادت كليوبطره الغدر به من أجل انه خرب سعاداته ودمر أحواله فى مرضاتها ولما رأت الملكة ماهو فيه من شدة الغرام هربت مع الخوف والوجل الى محل لها كانت شيدته لنفسها محكم الابواب وأشاعت فى الاسكندرية قولا كاذبا بأنها ماتت ولما وصل خبر موتها الى أنطونى رمى نفسه على سيفه وجرح نفسه جرحا مهلكا وفى حال الغرغرة بلغه أن كليوبطره على قيد الحياة فأمر بنقل نفسه الى محلها وخرجت روحه بحضورها

ثم تخيل الى كليوبطره اكتسابها سلطة ونفوذا على أوقطافيوس بما فتنت به قيصر وانطونى غير أنها وجدت ان هذا الفاتح لا ينبهر من جمالها ولا يسأل عن ملاحتها ودلالها وبلغها فى السر انه مبق على حياتها ليجعلها زينة فى موكبه الذى يعقد لنصره فى رومة فأعطت مبلغا من النقود لرجل من أهل البلد ليرسل لها حية أو ثعبانا فى سلال تين وقدمت ذراعها الى الحية فلدغتها فماتت من لدغتها وخضعت من بعدها مصر وصارت اقليما رومانيا

ومن قبل دخول أوقطافيوس مدينة الاسكندرية وعد أن يعطى لكل عسكرى من عساكره مائتين وخمسين درهما من النقود الرومانية فى نظير أنهم لا يقربون شيأ من متاع المدينة ولا من أهلها ودخل المدينة ماشيا على أقدامه مستندا على ذراع الفيلسوف اريوس وترك هذه المدينة من النهب والسلب التماسا من أصدقاء الاسكندريين وكان محبا للتعليم والعلوم فتركها لاربابها شفقة عليهم من دون أن يقرب أحد من عساكره شيأ وأمر بكسر جميع تماثيل انطونى قطعا ورميها فى شوارع المدينة وكان لها خمسون سنة قائمة فى داخل المدينة ووقع منه حالة مهينة لنفسه وهى قبوله رشوة مقدارها ألف وزنة أى ٢٠٠٠٠٠ ليرة من ارشيوس صديق كليوبطره ليرخص فى بقاء تماثيل كليوبطره قائمة فى المدينة كما كانت فى الاصل وعامل أولاد كليوبطره الثلاثة من انطونى بالشفقة والرحمة وما آخذهم بما جناه والداهم مما حصل فى حقه منهما وأما قيصرحون بن كليوبطره من يوليوس قيصر فانه أمر بقتله لانه جعله أول خصم له وعهد زمام الحكومة المصرية جميعها الى كورنليوس غالوس وكان ممنوحا من طرف الرومانيين فى كل مدينة أو اقليم فتحوه وتغلبوا عليه أن يعطوا له حق الامتياز المدنى الرومانى فى ترتيب مجالس أهلية أى هيئة حكومة بلدية وهنا فى مصر ما رخص أوقطافيوس الذى لقب من الآن أوغسطس لاى مدينة من المدن المصرية بهذا الامتياز وهو وان قلد زمام الحكومة المصرية لنائب من أرباب مجالس السناتو أو الاعيان لكنه أصدر أمره بان لا يرخص من الآن فصاعدا لاى واحد من أرباب السناتو أو الحكام أن يضع قدمه فى مصر من دون اذن أو رخصة منه وأمر بأن تكون الاشغال والحسابات والتواريخ فى الادارات الداخلية المصرية على حساب سنة معلومة لان المصريين من مدة وجودهم جعلوا يوم ظهور أشعة الشعرى اليمانية الذى يقع فى ١٨ يوليه أول يوم سنتهم الجديدة وتحتفل المزارعون والفلاحون فى مثل هذا اليوم احتفالات دينية وهو يوم ابتداء زيادة النيل وكانت عموم

الحسابات وتواريخ الملوك ومدة سلطنتهم جارية على حساب سنة مقدار أيامها ٣٦٥ يوما فقط فكان يتغير أول يوم فيها على الدوام وصدرت أوامر أوغسطس أن جميع الاعمال العمومية تؤرخ على حساب سنة جديدة مقدارها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى السنة اليوليانية فصار البدء فى تواريخ الاعمال من هذه السنة من ابتداء ٢٩ أغسطس وسقط اليوم الذى كان على الدوام فى تغيير وهو أول يوم من السنة الجديدة وابتدؤا الحساب من السنة الاخيرة لسلطنة كليوبطره وهى السنة الاولى من سلطنة أوغسطس ومازال استعمال السنة اليوليانية جاريا فى أوربا الى ستة عشر قرنا حتى أظهر جريجورى الثالث عشر خطأها وكان فلكيو المصريين ورياضيوها لا يعتمدون هذه السنة من الاصل بل كانوا جارين فى حساباتهم على نص حسابات سنتهم القديمة لانهم ما كانوا يجدون فيها أدنى خطإ ثم تابعون منه حتى يصرفوا النظر عنها من بعد غلاقها فمن ثم كان يوجد فى مصر ثلاث من السنين وثلاثة أيام جديدة لثلاث سنوات متباينة واحدة أولها ١٨ يوليه مستعملة عند عوام الامة وأخرى أولها ٢٩ أغسطس جارية بأمر الامبراطور وثالثة أول يومها فى تغيير جارية عند فلكيي المصريين

وسار أوغسطس أوقطافيوس على مسار حاله فى أخذ مساحات أراضى الممالك الرومانية وقياس أطول سككها ومجارى مياه أنهرها ولمادخلت المملكة المصرية فى حيازته عين بوليكلوطوس لاخذ مساحة الاراضى المصرية ومن بعد مضى اثنتين وثلاثين سنة من ابتداء هذه المساحة بمعرفة يوليوس قيصر صار قياس كامل الدنيا المعروفة وعرضت المساحات مع التقارير التى تقررت فى شأنها الى مجلس السناتو ومنح أوغسطس ليهود الاسكندرية بحقوق المدنية وكان الجريق الاسكندرانيون حرموهم منها فأعطاهم امتيازاتهم القديمة التى كان البطليموسية منحوهم بها ورخص لهم بأن يكون لهم نواب ومحكمة عدلية مع الحرية فى اقامة شعائر ديانتهم ولهم الحق فى أن ينتخبوا من طرفهم بمعرفتهم حاخامهم الاكبر عند موت الحاخام المتولى وأن يكونوا مطلقى التصرف فى أحكامهم حسب شرائعهم تحت مراعاة والى الاسكندرية المعين من طرف القيصر

ولما رجع أوقطافيوس الى رومة حمل معه جميع أموال وجواهر الخزائن الملوكية البطليموسية ومع انه كان من المحتمل انه كان يوجد فى السراى البطليموسية نقود أقل من المعتاد الا أنه مازال موجودا بها نقود كثيرة حتى انه عند استتباب الامن والراحة فى الدنيا الرومانية نزلت أرباح الديون فى رومة وكان سببه النقود التى جلبها أوقطافيوس من الاسكندرية وأخذ معه أيضا كافة الامتعة الثمينة وأنواع الحلى والزينة المتوارثة من والد الى ولده مع تاج مصر العليا والسفلى ودخلت هذه الامتعة محملة من شوارع رومة مع موكب النصر والاحتفال الذى عقد لاوغسطس أوقطافيوس وحصل فى الشوارع ازدحام كبير من الفرجة على الاسكندر هليوس وكليوبطره سلنى ولدى كليوبطره وانطونى وأبهج الرومانيون أنظارهم برؤية التماسيح الكبيرة وكانت هذه أول مرة رأوها فيها وجعلوا لها فى محلات الملاعب حياضا من المياه تجرى التماسيح فيها وعليها رجال من مدينة دندره محافظين عليها وكان أهل دندره مشهورين بصيد هذه الحيوانات المفترسة ونقل أوغسطوس أشياء كثيرة من صنائع المصريين مثل تمثال جانوس وكان هذا التمثال مغشى بالذهب ووضع فى معبد هذا الاله فى رومة ونقل أشغالا أخرى كثيرة كبيرة الحجم وصغيرته ونقل المسلتين الكبيرتين الموجودتين لحد الآن فى رومة

ثم أقام كورنليوس غالوس الوالى الاول على مصر تماثيل كثيرة لنفسه فى مدائن مصر وأزال أسماء ملوك المملكة من الهياكل وحفرا سمه وأعماله على مبانى الاهرامات وذلك لعدم فهم منه أوانه نسى شروط وحدود ولايته فمن ثم طلبه أوغسطس فى رومة فقتل نفسه بنفسه خشية من عذاب أوغسطس له ورتب أوغسطس فرقتين من العساكر الرومانية لحفظ هذه المملكة الكبيرة وحصلت ثورة فى مدينة هيروبوليس ومن بعدها انفجرت ثورة فى الصعيد على جباة الاموال والخراج من الرومانيين فأخمدت هذه الثورات بسهولة وانكسر نفوذ الامة المصرية وشوكتها حتى ان بطرونيوس الوالى الثانى الذى جاء من بعد كورنليوس لم يجد صعوبة فى اخماد ثورة كانت حصلت من أهل الاسكندرية وكان أهمل تطهير الترع والخلجان والمساقى من مدة طويلة حتى طمت وعمت مجارى المياه وحبطت أعمال الرى وقل محصول الاراضى وصارت مياه النيل لا تعلو الاراضى فى زيادتها فاستعمل بطرونيوس العساكر فى المدة التى لا شغل لهم فيها يختص بالمحافظة على المملكة فى شغل تطهير الترع والخلجان والمساقى حتى اذا وصلت مياه النيل فى زيادتها اثنى عشر ذراعا عم الفيضان وحصل الرى لعموم الاراضى

وكان عود أوقطافيوس من مصر الى رومة فى سنة ٢٩ قبل الميلاد واحتفل فيها باحتفال ثلاثى وصار حاكم الدنيا وسيدها لا ينازعه فيها انسان ولا يشاركه فيها سلطان ولما استتب الامن العام وتسلطن وجوده فى الممالك الرومانية انغلقت الابواب النحاس لمعبد جانوس وكانت هذه هى المرة الثالثة من ابتداء تأسيس مدينة رومة

وأقام أغسطس أوقطافيوس على أطلال الجمهورية القديمة الرومانية سلطنة وملوكية امبراطورية تحت هيئة جمهورية وأرخ تاريخ مملكته من ابتداء اليوم الذى حصلت فيه نصرة اكطيوم على أنطونى وهو يوم ٢ سبتمبر سنة ٣١ بعد الميلاد وهى النصرة التى صيرته سيد الدنيا وكان عمره فى هذه المدة اثنتين وثلاثين سنة وتسلطن خمسا وأربعين سنة وفى مدة هذه السلطنة الطويلة كان له طاقة على حفظ وحماية المملكة التى أسسها وشيدها مع العزم والثبات حتى بقيت على قيد الحياة عدة قرون متوالية مع ما كانت فيه من المصاعب والمشاكل التى كانت عرضة لها ومن حزمه وجودة عقله تجنب ما كان عند خاله يوليوس من الخطا وعدم الصواب وجعل الشوكة العمومية فى يديه وتقلد زمام الاعمال بنفسه مع اعترافه بحدود القانون والعمل على مقتضاه ومن ثم ربط علاقات حزب الجمهورية حتى ان أرباب الجمهورية اعتقدوا فى أنفسهم أنهم شاهدوا صورة الجمهورية تحت حكمه وسلطنته وفرح الحزب الملوكى بكونه شاهد مقصده العزيز عنده مقصورا فى أوقطافيوس وتجنب أن يلقب نفسه بلقب حاكم مطلق متصرف فى أحكامه وتجنب علامة وهيئة الملوكية وعاش كواحد غنى من متمولى المدينة ومن أرباب مجلس السناتو فى سرايته التى كانت موجودة على جبل بلاطين وكان يتوجه الى الخارج من دون فخفخة وطنطنة وشعائر ملوكية ومع ما كان عليه من مراعاته هيئة الجمهورية فانه كان سيدا مطلق التصرف فى المملكة وبلغ الى هذه الغاية بكونه قبض فى يده زمام الوظائف والمصالح المهمة فى المملكة وكانت سابقا تحت ادارة حكام مختلفة وكان لقبه العالى المستعمل هو لفظة امبراطور وهذه اللفظة مشتقة فى الاصل من درجة قواد القنصلية مدة وجودهم فى الوظائف لان امبراطور معناه قائد عموم أو رئيس عموم الاقاليم كذلك برنس السناتو أى الحائز حقوق عرض القوانين على مجلس

السناتو وسرعة التصديق عليها ومثل الحبر الاعظم الحائز شوكة الاعمال الديانية المقدسة وهكذا وكذا منحه مجلس السناتو لقب أوغسطس أي جليل القدر وجعل هذا اللقب وراثة في أهله الا أنه ما كان له عمل في الجلوس على كرسي السلطنة

واستمر مجلس السناتو في صده أوغسطس وتوقيع الحجر على أعماله اسما فقط وكان في الحقيقة عبد اله وأهلك كافة الرؤساء والقواد أرباب الجسارة والشوكة في الحروب الداخلية واهتم الموجودون على قيد الحياة بمراعاة اغداق والتفات الامبراطور اليهم زيادة عما لهم من الحقوق القديمة وكان عدد أعضاء مجلس السناتو مقصورا على ٦٠٠ عضو مؤلف من الاشخاص الذين كان أوغسطس تمنى فقدهم حالما كان فيه من ضمنهم ومن أشخاص عينهم هو بنفسه ليحوزوا رتبة شرف المجلس وما كان هذا المجلس مؤلفا من رومانيين وايطاليانيين فقط بل من أشخاص من الاقاليم القاصية أيضا والتزم هؤلاء الاشخاص الذين هم من الاقاليم البعيدة بالاقامة في ايطاليا وصاروا فيما بعد من أرباب العقارات والاملاك في ايطاليا وما كان يمكن أي انسان الدخول في مجلس السناتو ولا أن يكون عضوا منه الا اذا كان مالكا لعقارات وأملاك تعادل قيمتها حسبما قدرها أوغسطس في الابتداء نحوا من ٤٠٠٠٠ سيستر (١) ثم أخذت هذه القيمة في الزيادة على التدريج حتى وصلت الى ١٢٠٠٠٠٠ سيستر وكانت شوكة مجلس السناتو وامتيازاته باقية عليه اسما على حسب عادة الزمن وتوالى الايام أبطل الامبراطور وجود نفسه فيه وحكمه منه وتقرر للامبراطور الشوكة المدنية والحكومة الداخلية لكن أوغسطس من ميله وانعطافه كان يستعين في أشغاله وأعماله برضا المجلس وتصديقه وهذا من أسهل شئ في الواقع لان أرباب المجلس عموما تحت رضا الامبراطور فمن ثم صار مجلس السناتو في المدة الاخيرة وأحكامه لا معنى لها في ذاتها ولا في صفاتها وصار الامبراطور مطلق التصرف والحكم في المملكة ومن مهارة أوغسطس ونباهته وتبصره في الامور وتدبره في العواقب ترك للامة الرومانية بعض آثار من امتيازاتها القديمة وصار تعيين القناصل ومقدار النصف من النواب بمعرفة الامبراطور وأما الباقي من النواب فكان يحصل انتخابه من المترشحين للانتخاب مع تصديق الامبراطور واقراره على هذا الانتخاب وسار القانون على حسب سيره القديم وصارت جميع ترتيبات وأحكام قيصر بوليسه تحت مباشرة وادارة أوغسطس واستلم زمام عهدة التصديق الذي كان لمجلس السناتو والوجوه الرؤساء من الامة الرومانية وأما الحقوق القضائية للامة فكانت في هذا الوقت ملغية صامتة خامدة فاستلم الامبراطور زمام حق العفو والسماح وأخذ انعطاف وميل المملكة في نكث حقوق الامة والتغلب عليها شيأ فشيأ حتى صار لاشئ لهم فيما يجرونه ومع أنه كان يحصل أحيانا بعض تورّيات في الانتخابات وبعض اجراآت قليلة في الاشتراك مع القانون الا أن هذه الاشياء استمرت باقية في المجامع الكبيرة الى الوقت الذي سقطت فيه المملكة ومن ابتداء سلطنة طبريوس انقرض تداخل الامة فعلا في أي أمر من أمور المملكة أو استحواذ أي واحد منهم على سلطة أو امتياز أو درجة يعلو بها على غيره من أفراد الامة

ثم انه على حسب اتساع المملكة وامتدادها وكثرة تراكم أعمالها وقضاياها صار من الضروري للامبراطور مساعدته بآخرين في حكومتها فشكل من أجل مساعدته على مقتضى النظام القانوني مجلس مملكة تحت رياسته تنظر فيه جميع الاعمال والقضايا المهمة الآتية من المملكة ويقرر عليها هذا

(١) السيستر نقود رومانية قيمة كل واحد منها ربع دينار اه

المجلس قراره مصدقا عليه امن الامبراطور للعمل بها فكان هذا المجلس مؤلفا من كبار وجوه النواب لمدة سنة واحدة وخمسة عشر عضوا من أرباب مجلس السناتو ينتخبون بواسطة مجلس السناتو لمدة ستة أشهر واستمرت الوظائف القديمة على ما كانت عليه وترتبت مصالح أخرى جديدة فكان أجل هذه الوظائف وأهمها وظيفة والى المدينة وقائد الخفر الامبراطورى وكان الخفر الامبراطورى مؤلفا من ١٠٠٠٠ نفس معسكرين فى داخل المدينة لاجل المحافظة على الامبراطور وفى السنى الاخيرة من المملكة كان لهذه الوظائف أهمية كبيرة وباب مفتوح فى التاريخ الرومانى نذكره فيما بعد

وفى هذا المحل يمكننا أن نذكر حدود المملكة الرومانية التى أسسها وأقامها أوغسطس أوقطافيوس وبيان اياالاتها فنقول انه كان حدها الشمالى الخليج البريطانى والمحيط الجرمانى ونهر الرين ونهر الدانوب والبحر الاسود وحدها الشرقى نهر الفرات وصحارى سوريا وحدها الجنوبى الصحراء الكبرى أو بادية افريقيه وحدها الغربى البحر المحيط الاطلانطيقى ومساحتها نحو من ١٥٠٠٠٠٠ ميل مسطح داخل فيها الممالك المسماة الآن بالبرتغال واسبانيا وفرانسا وبلجيقا وهولندة الغربية وبروسيا الرينيه وقطع من بادين وورطمبرغ وكافة باقاريه تقريبا والسويس وايطاليا وطيرول وأوستريا الاصلية وهنكاريا الغربية وخرواطيه والسلاف وصربيه وتركية أوروبا والجريس وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والعيدوميين ومصر وصرنيقيه وطرابلس وتونس والجزائر وجميع مراكش تقريبا وكانت المملكة بما فيها ايطاليا مقسومة الى سبعة وعشرين اقليما أو ايالة وهى على نوعين وهما الايالات الموجودة فى حالة سلمية فكانت هذه لا تحتاج لشئ من الحركات العسكرية وكانت تسمى أعيان الايالات محكومة بنواب قناصل تعين بمعرفة مجلس السناتو مصدقا عليها من طرف الامبراطور وأما الايالات التى كان يحتاج فيها لوجود الجيوش فكان يطلق عليها اسم الاقاليم الامبراطورية فكانت محكومة اما بالامبراطور نفسه أو بواسطة نواب من طرفه وكانت الثغور البحرية محتاجة لوجود جيوش ثابتة فيها على الدوام سواء كان لاجل المحافظة عليها من المغيرين عليها من الامم المتبربرة أو ضبطها وربطها فى حالة خضوعها وانقيادها

وأما الجيش الذى كان الامبراطور معولا عليه فى طلباته العائد منها النفع على مملكته ورعيته ومساعدته وتعضيده فكان مؤلفا من ١٧٥٠٠٠ نفس من العساكر الايطاليانية ومقسوم الى خمس وعشرين فرقة تتألف كل فرقة من ٧٠٠٠ نفس مشاة وخيالة وطوبجية ومثل هذه القوة كانت موجودة فى الايالات لضرورة لزومها ثم كان تعداد عساكر الجيش الثابت ٣٥٠٠٠٠ أو ٣٦٠٠٠٠ نفس جميعهم على دراية تامة وخبرة كاملة بالحروب مطيعين ومتسلحين على حسب نظام القواعد المعروفة فى ذلك الوقت والله أعلم

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ الكلام على المملكة من أوغسطوس الى علغبلوس ﴾

صيرورة رومة سيدة الدنيا ـ سلطنة أوغسطوس ـ الحرب مع الجرمانيين ـ مظفرات دروسوس وطبريوس ـ هزيمة فاروس ـ أسف أوغسطوس وحزنه ـ هزيمة غالوس ـ اصلاح رومة ـ عظم سلطنة أوغسطوس ومجدها ـ صيرورة طبريوس أمبراطور ـ السنى الاولى من سلطنته ـ حسده

جرمانيكوس ـ عنف طبريوس وقساوته ـ سيانوس ـ جرائمه وذنوبه ـ اعتزال طبريوس فى جزيرة كابرنه ـ سقوط سيانوس وموته ـ اعتداآت الامبراطور ـ غرس الديانة المسيحية وتقدمها ـ صيرورة كاليجولا أمبراطور ـ عنفه وسلطنته الرذلة ـ سلطنة كاوديوس ـ تغلب الرومانيين على بريطانيا ـ صيرورة نيرو امبراطور ـ فجوره وشر أعماله ـ حرق رومة ـ التعدى على المسيحيين ـ ثورة الاقاليم ـ موت نيرو ـ عود عمارة رومة ـ سلطنة جالبه وأوطو وفيطليوس ـ حرب اليهود ـ صيرورة فسپاسيان أمبراطور ـ ثورة الجرمانيين ـ أخذ أورشليم ـ صيرورة طيطوس أمبراطور ـ سلطنته ـ خراب مدينة هرقولانوم و پومبية ـ سلطنة دوميطيان الشديدة ـ سلطنة نرفه الظريفة ـ صيرورة طراجان أمبراطور ـ انتشار الديانة المسيحية ـ الاجراآت الشديدة التى نشرها طراجان ـ اصلاحاته ـ اخضاعه داثيه ـ الحرب مع فارطية ـ موته ـ صيرورة هادريان أمبراطور ـ سلطنته السلمية ـ سياحته ـ عنفه ـ رغبته فى الموت ـ سلطنة أنطونينوس پيوس ـ ماركوس عوريلوس ـ حروبه ـ التعدى على المسيحيين ـ صيرورة كومودوس امبراطور ـ سلطنته الرذلة ـ ضعف المملكة ـ صيرورة برطناكس أمبراطور ـ تقليد سل الاحكام وأما الابهة الامبراطورية فكانت لديديوس بن يوليانوس ـ جعل سفروس أمبراطور ـ تدميره شوكة الحكام ـ حروبه مع فارطية وبريطانيا ـ صيرورة كركلا أمبراطور ـ عنفه ـ قتله ـ خلافة مكرينوس على التخت ـ هزيمة الفارطيين له ـ قتله ـ صيرورة علغبالوس امبراطور ـ كسوف وخزى سلطنته الخربة ـ موته

تاريخ عموم الدنيا فى هذا الوقت محصور فى تاريخ المملكة الرومانية واذا وجه المطالع بصره وتأمل حوله لجهة من الجهات لا يرى أمامه سوى رومة وعموم الدنيا المعروفة فى ذلك الوقت ماعدا المملكة الفارطية كانت داخلة فى الممالك الرومانية

وامتدت سلطنة أوغسطوس أربع عشرة سنة من القرن الاول من بعد ميلاد المسيح عليه السلام وكانت مدة الخمس والاربعين سنة التى مضت فى ابتداء واقعة اكطيوم الى موت الامبراطور مدة سلم واستتباب راحة لكن حصل بعض حروب فى مدة هذه السلطنة جديرة بالذكر وذلك أن اسبانيا الشمالية والشمالية الغربية خضعت بتمامها بين سنتى ٢٧ و ١٩ قبل الميلاد بعضها بواسطة أوغسطوس نفسه وبعضها بواسطة أغريپنه وكاريسيوس وفى سنة ٢٤ قبل الميلاد هيج أوغسطوس حربا على بلاد العرب كانت من أكبر المصائب على رومة وكان أصل التصدر فى هذا الحرب على غير أصل وذلك انه بلغه كثرة ثروة المملكة وشهرة غنا البلاد وما يصدر منها من أنواع وأصناف روائح العطريات والبهارات والمواد الثمينة الواردة من الشرق الى المخازن التجارية فى مدينة بطريا ومنها تتوزع الى النواحى والجهات الغربية بواسطة قوافل العرب فقامت شدة الطمع فى رأس أوغسطوس وأمر عليوس غالوس والى مصر بكشف هذه الاراضى والبلاد ليعقد معها معاهدات وان حصل منها عدم القبول يلزمها بالانقياد والطاعة فأخذ هذا الوالى العساكر التى كانت موجودة فى مصر وما بقى فيها الا القليل وتوجه قاصدا بلاد العرب ومدينة بطريا فغش الدليل الوالى ومشاه فى صحارى ورمال وتلال لا مسالك فيها ولا مياه ولا نبات ولا أشجار فتولد من حرارة الشمس ورداءة المياه القليلة

الموجودة فيها واحتياجه لمؤنة اللازمة للعساكر ووقوع الطاعون فى الجيش وضاع المقصود ووصل الى الوالى وهو فى ضلاله فى الصحارى أخبار اغارة الاتيوبيين على مصر فأخذ فى القهقرة وما كان يمشيه فى شهرين ساره فى سنة حتى وصل الى مصر من غش الدليل وخاب المشروع وبطل ما كان عليه الامبراطور من الموضوع

وكانت ايتوبيا وهى بلاد النوبة الآن من شلال أسوان فصاعدا من النيل الاعلى مسكونة من قديم الزمان بجنس من العالم يتكلمون بلسان قبط مصر و يعبدون آلهة مثل آلهتهم الآن العرب المسمين باسم الطروغلوديطيين وقبائل أخرى كانوا قطنوا من مدة قديمة فى جهة افريقه على ساحل البحر الاحمر غواوكثر عددهم فى مصر حتى صاروا نصف عدد مدينة قفط من أعمال الصعيد الاعلى من العرب وفى مدة هذه السلطنة كانت العرب من قبلها قطنوا ايتوبيا فرتب الرومانيون فرقة من العساكر فى مدينة أسوان آخر حدود مملكتهم لتوقيف سير العرب الى الجهة الشمالية فلما توجه غالب الفرق الرومانية مع الوالى الى بلاد العرب سار جمع كبير مقداره ثلاثون ألف نفس من سكان ايتوبيا و يقال لهم عرب من دمهم ولسانهم أو ايتوبيون من اقامتهم فى اراضى ايتوبيا وأغاروا على مصر وتغلبوا على ثلاث بلوكات من العساكر الرومانية كانوا موجودين محافظين فى جزيرة الفنطين واسوان والفيلة وكان هؤلاء القوم فى حالة رديئة من أحوال العسكرية فى تطقيمهم وتعليمهم وترتيبهم فكان البعض منهم معه طارقات من الجلد وآخرون معهم نبابيت وآخرون معهم قوس وقليل منهم معهم سيوف وكانوا تحت قيادة قواد من طرف كانداس ملكة مروى وهى امرأة ذات نباهة وادراك مسترجلة فى نفسها وكانت عوراء العين فهزم غالوس هؤلاء من بعد عوده من بلاد العرب مع السهولة بجيش مؤلف من ١٠٠٠٠ نفس من الرومانيين والجريق فانسحبوا الى جهة الكلابشة من وادى الكنوز على مسافة ٦٥ ميلا من الحدود فسار خلفهم غالوس وطردهم الى مسافة ٧٠ ميلا حتى وصل الى برميس فوق دنقلة العجوز التى كان وقف فيها عساكر الفرس تحت قيادة لهراسب أو قمبيز وعبر الشلالات الوفانية وأخذ مدينة نبطه ومن بعدها ما أمكنه المخاطرة بنفسه خشية عدم وجود مؤن العساكر ورأى أنه كلما قرب من العدو تأخرو تقهقر زيادة فعاد الى مصر وأرسل ما استحوذ عليه من الاسرى الى رومة

وفى سنة ١٦ و ١٥ قبل الميلاد أخضع دروسوس وطبريوس ربيبا الامبراطور الاقليم الموجود بين سهل لومبارديا وفنطيا وأعلى الدانوب وتغلبا أيضا على القبائل الموجودة فى وسط الدانوب وفى الجهة السفلى من أسفله الا انه مع الصعوبة والمشقة الزائدة ومن بعد أن حصل فى هذه الجهات ثوران شديد وكان ذلك من سنة ١٢ الى سنة ٩ قبل الميلاد

وكان أهم هذه الحروب وأكبرها الحرب الذى هيجه أوغسطوس بنفسه على الجرمانيين وذلك ان الاعمال السهلة التى تغلب بواسطتها على جهات الغلية القاطنة فى جنوب نهر الدانوب قوته وشجعته حتى رأى فى نفسه أن الاقليم الاكبر الموجود فى وسط أوروبا الكائن بين نهر الدانوب وبحر بلطق يمكن خضوعه بسهولة ومتى حصل التغلب على هذا الاقليم أمكنه تقديم الحد الرومانى الى نهر البوستول ونهر الدانستر ويكون ذلك من أهم الفوائد فى أعماله الحربية ففى سنة ١٢ قبل الميلاد شرع اوغسطوس فى عمل مناوشات واغارات على القبائل الجرمانية الموجودة فى شرق الرين وفى شمال

الدانوب

الدانوب فكان قصده اخضاع كامل هذه الاجناس عموما ولحد سنة ٩ قبل الميلاد كانت الجيوش الرومانية تحت قيادة القائد دروسوس الا أنه بمجرد موت هذا البرنس انتقلت قيادة الجيوش الى عهدة طبريوس وتغلبت الجيوش الرومانية الكثيرة على جرمانيا وكانت متساعدة بأساطيلها فاخضعت هذه الاساطيل سواحل وشواطئ الانهر القابلة للملاحة فيها وشيدوا القلاع والحصون والمعاقل لاجل ضبط البلاد وحفظها تحت طاعة أحكامهم وقوانينهم وأدخلوا فيها اللسان الرومانى والقوانين والشرائع الرومانية وهنأ أوغسطوس نفسه على تمام اخضاع الاقليم الموجود بين النهرين والالبى ومع هذا فان خضوع الجرمانيين كان صورة فقط وكان عزمهم ونيتهم محصورة فى عدم الطاعة صابرين مترقبين الفرصة الموافقة فى عود استقلالهم ومن سنة ٤ الى سنة ٨ بعد الميلاد التزم الجرمانيون حد الصمت والسكون متظاهرين بخضوعهم وطاعتهم وفى نحو انقضاء هذه المدة تقلد من بعد طبريوس زمام قيادة الجيوش فى جرمانيا كنطليوس فاروس وكان قبل هذه القيادة حاكم سوريا فقطع استمرار سير الحركات الحربية وشرع فى ترتيب وتنظيم اقليمه ناسيا الفرق بين شدة الحرية الجرمانية والعبودية السورية التى كان حاكما على أهلها بمقامع من حديد وأجرى أعماله على غاية من الجور والعسف حتى ألزم الجرمانيين على الانتقال من حالة السكون الى حالة العصيان والثوران فقام الجرمانيون فى ثورة واحدة تحت قيادة ارمنيوس أو حرمان وهو أمير من جهة خروسى تربى وتهذب فى رومة وكان على دراية تامة ومعرفة كاملة بتعبية الجيوش وحركاتها وسوقها على منوال القواعد الرومانية ومع أنه كان مستحوذا على حقوق التبعة الرومانية ومعه رتبة الفارس الا أن ذلك لم ينقص منه محبته الوطنية الجرمانية فكان مسعاه على الدوام فى عود استقلالية بلاده واقامتها مملكة مستقلة فلما استعد فى جميع أعماله وتصميماته أمر باعلان فاروس بان قبيلة فى الجهات الشمالية على شرف من العصيان وكان فاروس فى بلاد الخروسى قريبا من نهر الوزر فسافر فى الحال فى رأس جيش كثيف لاجل تنكيل العصاة والايقاع بهم فرخص له ارمنيوس فى التجول مع فرقها العسكرية حتى دخل فى داخل غابات طوطوبورغ وكانت مكتنفة بالاشجار المتكاثفة على بعضها صعبة السير من طبيعتها وزادت مصاعبها بوجود البرك والمستنقعات فيها ورطوبة الارض وازدادت وحلا على وحلها بكثرة سقوط الامطار الغزيرة وتواليها على فاروس وعساكره وبينما كان فى هذه الاهوال والمصاعب اذ هجم عليه ارمنيوس فجأة بمجموعه الكثيفة من المحاربين الجرمانيين فسلم قواه وعساكره من حزم رأيه وكانت الحالة قاضية بذلك لانه كان لابد من قهقرة الرومانيين فتخطفهم سكان مرتفعات الاورمانات من الجرمانيين وكانت طرق المرور سككه مستحيلة عليهم فآلت الواقعة الى مذبحة شنيعة وعدمت الثلاث فرق باجمعها الا القليل منها فابقى منها على قيد الحياة قربه الجرمانيون قربانا لآلهتهم على محاريب تماثيلهم (أقول) وهذه الواقعة عين واقعة هيكس والجيش المصرى مع الدراويش التى حصلت فى نواحى العبيد من أعمال كردفان من السودان الاقصى التى ذكرناها فى تاريخ مصر فى الجزء الاول من هذا التاريخ وأما فاروس فانه انجرح جرحا بليغا ثم قتل نفسه بنفسه خشية القبض عليه وكانت واقعة مهولة مزعجة ما رأت الجيوش الرومانية مثلها أبدا وانقرضت شوكة رومة فى جرمانيا بالكلية وقبض الجرمانيون مع العجلة على محافظى الرومانيين وقتلوهم بالسيف وفى ظرف بضع أسابيع ما بقى باق من الرومانيين على قيد الحياة فى جرمانيا وتأبدت استقلالية تلك البلاد

تحت قواعد أساسية ثابتة مافقدتها بعد أبدا ومع ان الرومانيين فى السنة التالية جددوا الحرب تحت قيادة طبريوس الا أنهم لم يخاطروا بأنفسهم فى شئ ماسوى غارات انتقامية من بعد عبورهم نهر الرين وفيما بين سنة ١٢ و ١٤ بعد الميلاد سار جرمانيكوس على منوال هذه الغارات وما عزم على تغلب أو احتلال مستمر ولما طرقت أخبار هذه المصيبة الكبرى التى حلت بفاروس وجيشه أبواب رومة حصل فيها الفزع والخوف وكان أوغسطوس فى هذا الوقت طعن فى السن وشاخ فأسف أسفا شديدا وحزن وتنغص عليه عيشه واستمر مدة شهور مثل المجنون يبكى وينوح نواح الثكالى ويعدّدو يضج و يقول فى صياحه هات لى يا كنطلوس فاروس عساكرى وفرقى فاختار على حسب مرغوبه لخلفائه أن جعل نهر الرين الحد الرومانى فى تلك الناحية واستمر هذا الحد حتى ان الجرمانيين تغلبوا عليه و رموا على أطلال وآثار مملكة أوغسطوس أساسات الممالك الاوروباوية للقرون المتوسطة ومن بعد هذه الحروب صارت سلطنة أوغسطوس سلطنة أمن وفلاح وما حصل فى الراحة العمومية الداخلية فى رومة تعكير ولا تكدير وأهلك أرباب الثورات والزعازع أنفسهم فى الحروب الداخلية وتولد مما أجراه الامبراطور من حزم الرأى فى أخذه الاحتياطات اللازمة لراحة البلاد وفلاح العباد منع وصد أى قلقلة أو حصول ثورة جديدة وجبر قلب الرومانيين على مافقدوه من حريتهم بسرعة زيادة العز والفلاح فيما بينهم بادارته وحزمه وتدبيره فكان يوزع عليهم ما يحتاجونه فى الشدة والضيق وقت الحاجة وأخذت مدينة رومة فى زيادة الصلاح بان أقيمت فيها عمارات جديدة وهياكل ومبان عمومية مفيدة حتى أمكن أوغسطوس أن يتباهى و يفتخر بوجه الحق والانصاف فى كلامه وقوله انه وجد رومة طوبة وتركها مرمرا واتسع نطاق التجارة مع النشاط والشغل العجيب فى مدة سلطنته وأزهرت أحوال الامن واستتباب الراحة وزاد التقدم فى أعمال الزراعة ومن ثم ازدادت ثمرات المحصولات فى ايطاليا وفى الاقاليم ووصلت رومة الى أقصى درجات فلاحها العرضى والجوهرى فى مدة هذه السلطنة وكان أوغسطوس أيضا حكيما عاقلا مدبرا سخيا كريما محبا للآداب والصنائع والعلوم والمعارف فكان فى عصر سلطنته فيرجيل وهوراس وعوفيدوطيبولوس وبروبرطيوس وفاريوس وليفى أرباب الآداب والمعقولات فى عصر هذه المدة الزاهرة وبلغ هؤلاء العلماء أقصى درجات الفخر والمجد فى نشر الآداب والمعارف على أمة كان عصرها هو العصر الاوغسطوسيانى وكانت نقود مصر فى مدة سلطنة أوغسطوس ومن خلفه جميعها نقود اجريقية وما حصل فيها تغيير من الرومانيين ولما فقدت مصر حريتها عدمت منها نقود الذهب وما كان يوجد فيها من النقود الذهبية كان المصريون يدفعونها فى الخراج والعوائد المقررة عليهم لرومة ماعدا العوائد التى كانت مقررة على الغلال والحبوب فكانت تؤخذ من عينها وتجمع فى أشوان مخصوصة وتشحن فى مراكب وترسل الى رومة وتوزع على أهل الكسل والفقراء الموجودين فى هذه المدينة الواسعة العامرة وبلغ مقدار ضرائب الغلال التى كانت مضروبة على مصر سنويا الى اثنين مليون كيله وكذا لم يحصل من الرومانيين تغيير فى ديانة المصريين ومازال القسس مجدين ومجتهدين فى بناء الهياكل والمعابد وذلك أن الهيكل الصغير الموجود فى جهة دندره باسم أزيس خلف المعبد الاكبر لانوراما صار بناؤه أوتمام بنائه فى مدة هذه السلطنة وكذا حصل الشروع فى بناء المعبد الاكبر فى مدينة طالميس من أعمال النوبة وما تم بناؤه وموجود اسم أوغسطوس فى معبد جزيرة الفيلة فوق أسوان على بعض اضافات من الابنية كانت أضيفت الى هذا المعبد فى مدة

سلطنته

سلطنته وكان هذا المعبد على اسم ازيس وبنى فى زمن سلطنة بطليموس فيلادلفوس وفى ضمن الكتابات الموجودة فى هـذا الهيكل ملقب أوغسطوس بلقب ابن الشمس ملك مصر العليا والسفلى مع ألقاب أخرى كان المصريون يلقبون بها ملوك البطالسة وقدماء ملوكهم

وكانت سعادة أوغسطوس مقصورة جميعها على عيشة نفسه ومامد هذه السعادة على أحد من أقارب عائلته وكان متكدر الحال منغص العيشة فى نفسه مما أصابه من المرض والعناء والآلام التى حلت به فى معظم حياته وكان على غاية من الرغبة فى ولد ذكر من دمه يرثه فمع أنه تزوج ثلاث مرار الا أنه لم يرزق ولدا ذكرا يرثه فى تخته ومماله كه سوى بنت اسمها يوليه حصل له منها أشد الضرر والاذى مما وقع منها من الفجور والافراط فيما أخل بأمر أبيها وبيتها وقطع الموت سكة مواصلته لمن كان يرغب أن يكون خليفته من بعده فانجبر عند اقتراب أجله أن ينتخب الوارث له من بعد موته ربيبه طبريوس وكان شديد الكراهة له وطلب من طبريوس أن يختار أن يكون الوارث له من بعده الشاب جرمانيكوس بن دروسوس أخو طبريوس وأنعم أوغسطوس على جرمانيكوس بزواج حفيدته أغربينه فولد لجرمانيكوس منها ولد ذكر فى حياة أوغسطوس صعد على التخت باسم كاليجولا أى الجزمه أو الصرمه

ثم مات أوغسطوس فى سنة ١٤ بعد الميلاد وخلفه ربيبه طبريوس برضا من عموم مجلس السناتو والامة الرومانية أجمع وماحصل أدنى معارضة فى جلوس الامبراطور الجديد من أحد الا من الجيش فقط لان رغبة الجيش كانت مقصورة على صعود وجلوس حبيبهم وقائدهم العزيز جرمانيكوس على التخت ولبس القميص الارجوانى فرفض هذا الشهم قبول مارغب فيه الجيش وعدها بالنسبة له خيانة فى حق عمه وأطفأ ما كان حاصلا من أمر الجيش وما كان سيقع بينه وبين عمه من النزاع والمخاصمات ومع مافعل جرمانيكوس من عالى المروأة قابله به عمه طبريوس بالعداوة وجعله ألد أعدائه وكافأ صداقته له بعداوة جهرية حتى ظهر لارباب الدولة والخدم والحواشى أن كل من أراد أن يوجه التفات الامبراطور اليه ويحصل لنفسه السعادة وعلو الدرجة فليؤذ جرمانيكوس اما قولا أو فعلا

وتسلطن طبريوس فى رومة مدة الاثنتى عشرة سنة الاولى من سلطنته أى من سنة ١٤ الى سنة ٢٦ بعد الميلاد وسار فى أعماله بسياسة متوسطة معادلة لما هو جار فى أشغال مملكته وفى مدة السنين الاولى من هذه المدة اشتغل جرمانيكوس بادارة الحرب على أرمنيوس فى جرمانيا ومن بعد عدة هزيمات وكسرات حصلت له حاز بعض مظفرات على القائد الجرمانى وفى سنة ١٧ بعد الميلاد طلب فى رومة بصفة مقابلته بما يلزم له من الاكرام ومكافأته باحتفال الشرف نظير ما حصل منه من أداء خدمته الا أن حقيقة الامر هو توقيف ما كان عليه من النجاح والنصر فى جرمانيا ولما توجه قابله أهل رومة على مسافة عشرين ميلا من المدينة فى ازدحام كبير وكانوا خرجوا فى ازدحام زائد وكبكبة كبيرة لمقابلته فكانت هذه من دلائل محبتهم لهذا الشاب الامير فارتاع طبريوس من وقوع هذه المادة وداخله الخوف وعزله من قيادته هذه وأرسله لمباشرة الحرب فى آسيا وأرسل معه الى ميدان أعماله الجديدة بيزو وكان من أعز المقبولين عند الامبراطور وكلفه الامبراطور فى السر بأن يعكف نفسه على الاشغال والاعمال التى يحط بها قدر جرمانيكوس ويوهن أمره حتى يجعله فى أبخس الاحوال ومع ما كان فيه بيزو من الاشغال المتكفل بها من طرف الملك فقد نجح جرمانيكوس فى فصل أعمال أرمينية ورتب قبدوسيا وكوماجينى وجعلهما اقليمين رومانيين ولما حصل من جرمانيكوس استتباب

الامن والراحة فى جهة الشرق ووجد لنفسه فرصة وزمنا يشاهد فيه مع السرعة والعجلة الابنية المتخرة المصرية والهياكل والمعابد الضخمة الموجودة فيها توجه مسرعا اليها ومازال جائلا يتفرج فى سياحته فى مصر حتى وصل الى طيوه من الصعيد الاعلى وشاهد أبنيتها العظيمة وهياكلها ومعابدها وحوله القسس والروحانيون من أهل الديانة المصرية فتأمل فى كتابة على أحد المعابد الكبيرة وطلب من القسس أن يقرؤها له وكانت بالقلم القديم الهيروغليفى أى القلم المقدس منقوشة على حوائط الهيكل فقالوا له ان هذه الكتابة مذكور فيها عظم المملكة وسعادتها فى زمن الملك رمسيس (سيزوستريس) فى مدة كان يوجد فيها ٧٠٠٠٠٠ مصرى فى عمر واحد تحت السلاح وبواسطة هذه العساكر تغلب رمسيس على الليبيانيين والاتيوبيين والميديين والفارسيين والبقطريانيين والصيطيين والسوريين والقبدوثيين والبثنيانيين والليسينيانيين وقالوا له على مقدار ما كانت تدفعه هذه الامم من الخراج ومقدار وزن الذهب والفضة وعدد العربات والخيول وهدايا العاج وروائح العطريات اللازمة للهياكل والمعابد ومقادير كيات الغلال التى كانت ترسلها الاقاليم لمأكول أهل مدينة طيوه ومن بعد أن سمع جرمانيكوس آلات الطرب فى هيكل منفطه توجه الى ادفو واسوان وجزيرة الفيلة وكانت آخر حدود المملكة الرومانية وعند عوده عطف على الاهرام وشاهدها وكذا شاهد بحيرة موريس فى الفيوم وما كانت معدة له من تعميم الرى على أراضى مصر فكانت هذه الزيارة عند طبريوس من أكبر المصائب عليه وحصل له غاية الغضب والكدر فى العيشة وقال ان جرمانيكوس يقصد بدخوله مصر أن يكون محبوبا عنده وعد هذه من أكبر الجرائم لانه فضلا عن نواله محبة الامة المصرية له سار فى وسط بلادهم من دون خفر معه لابسا لباس رجل بسيط من الجريقيين وخفض أثمان الغلال وفتح الاشوان العمومية وخرق قانون أوغسطوس المعروف عنده القاضى بأن لا أحد من الحكام أو القناصل أو أرباب مجالس السناتو يضع قدمه فى الاسكندرية من دون رخصة منه ولما عاد جرمانيكوس من مصر الى آسيا مات مسموما فى سنة ١٩ بعد الميلاد فى أنطاكيه من أعمال سوريه والصحيح أن الذى سمه بيو وكان هو المتسبب فى قتله من طرف الامبراطور واستشعر طبريوس من نفسه بانه لا يوافق المركز المحتل فيه ولا طاقة له على أشغاله المهمة الكبيرة الا أن حسده وغيرته من رجال بيت يوليان ومن أقارب نفسه كان زائدا جدا حتى انه كان يخشى من مساعدة نفسه بأى واحد منهم فى أشغاله الصعبة اللازمة لادارة وأحكام مملكته وكان أيضا على غير ثقة بكل واحد من وجوه الاشراف والامراء ورأى أن كل واحد منهم خصمه الالد فمن ثم أبطل مجلس المملكة الذى كان رتبه أوغسطوس وشرع بنفسه فى الاشغال والاعمال اللازمة لمملكته من دون واسطة أحد يساعده فيها وكلما كل من صعوبتها وزادت عليه مشقتها انتخب بنفسه واحد المساعدته كان يعتقد فيه الحزم والتدبير والصدق والامانة وينفعه فى الشدائد والمضايقات عندما رأى ان الحالة الموجود هو عليها ربما يتولد منها له ضرر أو أذى لان حالته كانت على شرف الانحطاط فوقع بصر انتخابه على عليوس سيانوس وهو بنت أو فارس فولسنيانى وجعله والى المدينة وعهد اليه جميع الاشغال وقلده زمام الاحكام حتى استحوذ سيانوس فى مدة قصيرة على نفوذ كبير وشوكة لا نهائية على نفس الامبراطور وظهر على هذا الرجل الذى اعتقد فيه طبريوس انه رجل غشيم لا يحصل منه ضرر ولا أذى الطمع الاشهى من وقت ما بلغ نواله فى حكم المملكة وأضمر فى نفسه أن يكون سيد المملكة فكان أول عمل أجراه وشغل محتم عليه أداه اغواءه ليفيلا امرأة دروسوس بن

طبريوس

طبريوس وانه بمساعدتها يزيل طبريوس من طريقه و يعمل طريقة فى قتله بالسم وكانت هذه الحادثة فى سنة ٢٣ بعد الميلاد ولما لم تنكشف جريمته هذه وخاب فيها طالب بوقاحة وجهه وجسارة فعله من الامبراطور الرخصة فى زواجه ليفيلا فتولد من هذا الطلب الجسورى أن جعل طبريوس يفتح عينيه لما فيه نديمه من الطمع فمع انه لم يسمح له بهذا الطلب الا أنه مازال خاضعا نفسه له وضغط سيانوس عليه بنفوذه وسلطته وتتبعه حتى جعله يعتزل بعيدا عن رومة فى جزيرة كابرنه فى خليج نابولى وكانت أنزه جهة فى البحر الابيض المتوسط وترك أحكام المملكة وأشغالها فى أيدى سيانوس نديمه ولما صار سيانوس سيد رومة بذل جهده وسعى سعيه فى ازالة جميع الموانع الموجودة فى طريق بلوغه نواله وتيسر على الحصول على مقصوده ومرامه فكان أول كل شئ ضرورى عنده ومن الواجب عليه فعله هو هلاك ودمار كل من كان على قيد الحياة من العائلة الاوغسطوسية وبواسطة ما أجراه من الدسائس والاقاويل الكاذبة استحصل على رضا الامبراطور فى القبض على اغريبينه أرملة جرمانيكوس وسجنها هى وولديها نيرو ودروسوس وبملازمته للامبراطور والحاحه فى القول عليه من أجل قضاء مرامه رخص طبريوس له فى زواجه ليفيلا وخطبت له رسميا بأمر الامبراطور وكان كل ذلك لاجل هلاك الامبراطور بمساعدة ليفيلا وفى هذا الوقت صار بوظيفة قنصلا متحدا فى الاشغال مع الامبراطور وتغيرت بغتة أحوال سير طبريوس وأزعجته مطامع نديمه فصرف وجهه والتفاته عنه فأحس سيانوس فى الحال بما حصل عند الامبراطور وكشف دلائل تغيير حواس الامبراطور من جهته فلاجل محافظته على سلامة نفسه رتب ثورة مخصوصة لقتل الامبراطور فانكشف أمر هذه الثورة وأمر الامبراطور بالقبض على النديم وجرده من الحكومة وقتل فى سنة ٣١ بعد الميلاد

ثم تولد من غش وخداع هذا الرجل الفريد الذى كان الامبراطور واثقا به ومعتمدا عليه فى أشغال مملكته أن صار طبريوس لا يثق ولا يعتمد على أى واحد من الجنس البشرى وشك وارتاب فى أمره زيادة عما كان عليه من قبل ولم يرجع الى رومة بل بقى فى محل عزلته الجليل وعمر عمارة جليلة فى البحر الابيض المتوسط فوق هذه الجزيرة وجعلها باسم أحد الآلهة وأحس فى هذا الوقت بانتهاء مملكته ووقوعها فى حالة مشؤمة كان هو السبب فيها والمنشئ لمباديها ولما أتته الاخبار بقتل ابنه دروسوس ارتعب وخاف على سلامة نفسه وشرع فى أداء أعمال سلطنته مزعجة ما رأت رومة مثلها قبل فأمر بقتل ليفيلا مخطوبة المقتول سيانوس واغريبينه ونيرو ودروسوس وجميع أقارب جرمانيكوس وأمر بقتل مئات من الوجوه والامراء من ذكور واناث حتى قتل بعض الاطفال ضمن الذين أمر بقتلهم هذا الطاغية العسف الجبار كل هذا رغبة فى كونه يأخذ بثاراته ويزيل من أمامه كل ما يرى انه يحصل له منه ضرر وأذى وانهمك طبريوس فى الجزيرة مقر عزلته على الفجور والسفاهة وقلة الادب الخارجة عن حد الطبائع البشرية ومات فى هذه الجزيرة فى سنة ٣٧ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر ثمانيا وسبعين سنة ونال من السفاهة وارتكاب الآثام ما لم ينله أحد قبله من الرومانيين وأراح الله من حكمه وظلمه البلاد والعباد

وفى هذه السنة انقرضت آثار آخر الحرية الرومانية لان الامبراطور كان نزع من العشائر حق انتخاب النواب وجعل كل من يتوظف أو يتعين لمصلحة من المصالح يكون توظيفه بمعرفة الحكومة ونشر القوانين الجنائية الخيانية فى القول حتى الفكر وكان أوغسطوس نشر هذه القوانين وجعلها تحت

الحاجة لردع الذين يتسببون فى وقوع خيانات أو حصول ثورات وتثبت خيانتهم معا كانت على يد قضاة منذو بين لمثل هذه التحقيقات لكن طبريوس أبطل حقوق المحاكمة وأصدر أوامر الذبح والخنق فى السجون على مقتضى أمره لاغير وعسكر الخفر الامبراطورى فى معسكر خارج أسوار مدينة رومة لارهاب أهل المدينة وانقيادهم لطاعة ماهو عليه من العتو والجور الغليظ

وفى المدة التى كانت فيها الدنيا الرومانية غريقة فى بحر العواصف والزعازع المتولدة من جور طبريوس وقبح أعماله شب فى ناحية بعيدة من أطراف المملكة نار تأثير حصل منه تغيير فى حالة الدنيا عموما وذلك ان عيسى المسيح عليه السلام شب وترعرع وبلغ مبلغ الرجال فى المدة الاخيرة من سلطنة أوغسطوس وفى السنى الاولى من سلطنة طبريوس وفى سنة ٢٧ بعد ميلاده لما بلغ عمره ثلاثين سنة شرع فى تأدية رسالته العامة حتى رفع الى السماء من بعد أن ترك رسله يتممون أعماله حتى انتشرت فى الارض فى ظرف ثلاث وثلاثين سنة وانتهت فى الوقت الذى بلغت فيه شوكة سيانوس الدرجة القصوى وفى السنى الاخيرة من سلطنة طبريوس ابتدأ المبعوثون الاول فيما أمروا به وخرجوا من أورشليم الى الاراضى والممالك المحيطة بها فى طلب نشر الديانة المسيحية ورموا أساسات هذه الثورة الكبرى التى تولد منها التغلب على رومة نفسها وحصل فى السنة التى مات فيها طبريوس دخول طالوت صاحب طرسوس فى الديانة المسيحية وهى حادثة جليلة عند المسيحيين

ومات طبريوس على غير وصية بخليفة من بعده فاختار مجلس السناتو والجيش والامة كايوس قيصر ابن جرمانيكوس واغر بينه الباقى على قيد الحياة وكان معروفا باسم كاليجولا وهو مجرد لقب أعطى له فى مدة طفوليته كان العساكر لقبوه به فى جرمانيا لانه كان يلبس جزمة صغيرة على هيئة جزم العساكر وعندهم اسم الجزمة كاليجى فلقبه العساكر كاليجولا أى الجزمة أو الصرمة فرحا به وكان عمره ستا وعشرين سنة لما جاء الى التخت وظهر للعموم أنه شاب سمح الذات خفيف الصفات كريم السجايا طيب الاخلاق فغش قومه وأهان نفسه وحط قدره وخسر ما أمله قومه فيه بما أجراه من الجور والفظاظة وكان يوجد فى الخزينة الامبراطورية فى وقت جلوسه على التخت ما ينيف عن مائة مليون ريال فصرف هذا المبلغ أجمع فى بضع شهور وعاد الظلم فى العوائد والفردة لاجل كفاية طلباته واستعمل قوانين الاستبداد المخصوصة بالخيانة والدسائس ولما انتقلت أملاك الذين حلت بهم مصائب التهم الى الحكومة وسلبت أموالهم اتضح بداهة من عينى الامبراطور أن أعماله هذه أعمال خيانة وجراءة القصد منها الحصول على جمع أموال فقط وكثر قتل الناس بعضهم لبعض خيفة من فظاعة أحكام الامبراطور وزاد جوره وفجوره بوقوع مذابح جديدة تحصل كل يوم وليلة وكان عنده اشارة مخصوصة للقتل وهى اما الايماء برأسه أو يركز بأصبعه من أجل الذين يرغب قتلهم وكان جلادوه أو جزاروه يقبضون على الضحايا ويجزرونها فى الحال وأما هو فكان معه علبة غطوس أونشوق ملآنة بمسحوق مركب من المواد القاتلة أو السموم فكان يقدمها لارباب الرتب العالية وكبار الامراء والوجوه ويراقب حركاتهم عند استعمالهم هذا النشوق القاتل فكان كل من شد فى أنفه شدة منه خرجت روحه من جسمه على الفور والذين كانوا لا يقبلون الاخذ من هذه التنشيقة فكانوا يذبحون معدودين من ضمن الخائنين وصار كاليجولا أستاذا وسيدا الفجور والسفاهة والافعال القبيحة حتى عاش فى زناه جهرة بأخته دروسيلا الى ان ماتت فى سنة ٣٨ بعد الميلاد وفى نحو هذا الوقت أصابه فالج وولج فى جسمه مرض

سلب

سلب منه العقل حتى أصبحت الدنيا الرومانية تحت سيادة رجل مجنون مختبل العقل مغبون ثم ادعى الالوهيـة وابتنى شرفا لمقامه معبدا باسم جو بتير لاطيارس وانحط كبرياء أمراء رومة وما كانوا فيه من العجب والشماخة وغرقوا في بحر الذل والاهانة حتى ان البعض منهم استحصل على اجازات من أجـل خدمة هذا المزار وأما في الالعاب العمومية فانه عنـد مالم تكن اجراآت الخطايا والا ثام كافية عنـد هؤلاء اللئام فكان الامـبراطور يأمر بالقبض على بعض الناس من زحام الملعب و يرمون للحيوانات المفـترسة أو تقطع ألسنة الذين لا يـتزعجون من هـذه الاهوال وا ل الامر أخيرا في انتهاء هـذه المدة القصيرة المشحونة بالاهوال وجرائم الامور بقتل كاليجولا بواسطة رجلين من خفره كان حصل لهما منه السب واللعن وتوعدهما بفقد حياتهما فقتلاه في سنة ٤١ بعد الميـلاد وأزالا من أنفسهما ما كانا فيه من الوعد والوعيد

وتولد من موت كاليجولا الذى وقع على حين غفلة انه ما صارت المملكة بغير حاكم فقط بل و بغير معرفة بالوسائط اللازم اجراؤها لانتخاب أمبراطور بدله وطلب مجلس السناتو ماله من الحق في تعيين وانتخاب الامبراطور للتخت من بعـد المقتول لكنه بدل أن يسرع في انتخابه حصـل عنده البطء الطويل لان هـذا العمل كان من الضرورى فيـه الشروع على الفور فاستيقظ حكام العسكرية عنـد تردد مجلس السناتو في فصل هذه القضية وفصلوا المسئلة بأنفسهم ونادوا على كاوديوس عم كاليجولا بالامبراطورية فما حصل من أرباب السناتو أدنى جراءة في المعارضة وفي عدم التصديق على هذا الانتخاب الذى حصل من طرف العسكرية وتولد من الجسارة التى حصـلت في مثـل هذا الشـغل أن صار فصـل طريقة الاجراء في الانتخاب بان تكون بمعرفة العسـكرية واستمرت هذه الحالة جارية زيادة عن نصف قرن يجرى فيها انتخاب الامبراطور بمعرفة أرباب هـذه الطائفـة ويلتزم مجلس السـناتو بالتصـديق على انتخاب الامبراطورات

ووجد العساكر كاوديوس مختفيا داخـل السراى خائفا مرعوبا مما حصل من قتل ابن أخيه فأخذوه وألزموه الصعود على التخت ولبس الثوب الارجوانى وكان مرعيا من ابتداء زمن طفوليتـه بانه عديم الدراية بالحزم والتدبير وكانوا يعدونه من ضمن العوام والذين لا خلاق لهـم وكان جبانا خوافا ضعيف الرأى عديم المهـارة والادارة جلفا فظا غليظا فكان بأى حالة من الاحوال رجلا غير موافق لحكم مثل هـذه المملكة سيما في مدة مشحونة بأكبر أحوال الفساد والفجور ومع ما كان عليـه من الصـفات المتقـدمة فانه كان أمينا سـليم الجادة حتى انه في مدة سلطنته وثق رعيته فيما بعـد بحكمه في المملكة بمفرده من دون شريك يشركه في الاشـغال لكنه كان في مبادى أمره تحت سلطة أزواجـه وندمائه فانتهزوا الفرصة ضعف عقله و رأيه وعجزه وأجروا ما كانوا عليه من أغراضهم القبيحة وكانت مسـالينه العاهرة القبيحة الغرض زوجة كاوديوس رئيسـة الخبث والخبائث والفجور وصارت على شهرة تامة بانها أعهر امرأة فاجرة فأفشت ما في قلبها من الغل والحسـد والكراهة للاشراف بمصاريف من بعض الوجوه القاطنـين في رومة وصار لها وقاحة وصلابة وجه في كونها كانت تذهب الى هيا ت ومحافل الزواج العام ومعها واحد من عشاقها مع أن الامبراطور على قيـد الحياة وأخيرا أمر كاوديوس بقتلها في نظير فعلها هـذه الفعال وأراح الله من خبثها العباد وأصـدر مجلس السـناتو منشورا للامبراطور يقضى بزواجـه بابنـة أخيه أغربينه وكان من أعظم السـعادات أن صارت هذه البرنسيـة خليفة

مساليه وامتازت شهرتها وصيتها فى الفرق بينها وبين سالفتها فانها اما كانت على حالة رديئة بالكلية لانها أظهرت طلبها فى عود سنيكه من دار منفاه ورتبته مربيا الابنها نيرو وكان سنيكه من أكبر الفلاسفة تربى وتهذب فى مدينة الاسكندرية بمصر ودرس فيها علم الفلسفة والآداب وتقدمت برهوس فى السلطة والنفوذ ودافعت عن كثير من الاشراف المغضوب عليهم ولما خافت فى آخر أمرها من عقابها على ماهو حاصل منها من الجرائم ساعدها طبيب الامبراطور وخلصا على حياة كاودبوس وقتلاه بالمواد السمية سنة ٥٤ بعد الميلاد

وكان كاودبوس عالما نوعا ومصنفا ودرس علم التاريخ على ليفى الفيلسوف وكتب فيه عدة مجلدات باللغتين الجريقية واللاتينية فكانت اللغة الجريقية أكثر استعمالا فى مدينة الاسكندرية وأسس كاودبوس مدرسة فى هذه المدينة سماها باسم المدرسة الكلودية وقرر أيامامعلومة فى كل سنة يقرأ فيها تاريخ قرطاجنة علنا فى جهة وتاريخ ايطاليا فى جهة أخرى

وما كانت سلطنة كاودبوس مشهورة بما حصل فيها من الجرائم والآثام فقط بل صار فى سنة ٤٤ بعد الميلاد التغلب على جزيرة بريطانيا بعضها بواسطة عولوس بلوطيوس وبعضها بواسطة كاودبوس نفسه وخضعت كافة بلاد هذه الجزيرة لحد خط الدى والواش وجلبها الرومانيون تحت نفوذ التمدن والحضارة وأصلح الرومانيون البلاد التى تغلبوا عليها وعمروا فيها الطرق وبنوا القناطر وقطعوا الاورمانات والغابات الكثيفة الملتفة وشيدوا مواقع ومراكز عسكرية صارت من بعد قليل مراكز للتهذيب والتعليم وتشريع الشرائع وطهروا انهر الطمس وعمقوا قاعه وشرعوا فى بناء الارصفة الضخمة فى شاطئ النهر وينسب اليهم فى الحقيقة وجود مدينة لوندره وظهورها من حيز الخفاء الى حيز الوجود ومهد الرومانيون طرق الاشغال والكسب والمعيشة للبريطانيين

وفى مدة سلطنة كاودبوس عرف الجريق والرومانيون حق المعرفة الطريق الموصل من مصر الى الهند وكانت هذه أول مرة فمن ثم كثرت التجارة وزادت أعمالها وأشغالها حتى انه صار حساب قيمة الذهب والفضة الذى كان جاريا ارسالهما سنويا الى الشرق فوجد نحوا من ٤٠٠٠٠٠ ليرة استرلينه كانت مصر تستبدل بها بضائع هندية تباع فى رومة بمائة مثل هذا المبلغ أى ٤٠٠٠٠٠٠٠ ليرة استرلينه وكانت تحمل التجارة فى النيل من مدينة الاسكندرية الى مدينة قفط من الصعيد الاعلى وتسافر منها من طريق صحراء عيذاب مسافة ٢٦٠ ميلا حتى تصل الى برنيس المينة الموجودة على ساحل البحر الاحمر وبما أن هذا السفر كان لا يمكن اجراؤه الا فى الليل خوفا من شدة حرارة الهاجرة فى الصحراء فكان لا يصير قطع هذه الطريق فى أقل من اثنى عشر يوما ثم تشحن التجارة فى مراكب من برنيس تسافر فى نحو منتصف شهر يوليه وقت ظهور شعاع الشعرى اليمانية مع الشمس وفى ظرف ثلاثين يوما تصل اما الى كانيس من أعمال بلاد فرلكين أو الى عوكايس مدينة على ساحل بلاد العرب يحتمل انها مدينة مخا ثم تترك المراكب هذه الجهات وتسافر مع ريح الطياب فتعبر بحر العرب وتصل الى الساحل الهندى قريبا من مصب نهر السند فى ظرف أربعين يوما أو فى أواسط شهر سبتمبر ثم تسافر من الساحل الهندى وقت عودها فى آخر سبتمبر فكانت مسافة الطريق من الاسكندرية ذهابا وايابا أقل من سنة وكانت الصادرات الهندية هى الحرير والالماس والاحجار الاخر الكريمة والزنجبيل وأصناف البهارات والعطارات وبعض من الروائح العطرية ومن ثم كانت مملكة أتيوبيه لا تنزل

تجارتها

تجارتها فى النيل الى أسوان بل كان جميع صادرات جنوب أفريقه تشحن فى مراكب سواحلية وتأتى الى برنيس وكانت هذه الصادرات العاج وسن العنس أو جاموس النيل وجلوده والباغة والقرود والنسانيس وتجارة الرقيق

وكان من ضمن الصادرات المصرية الورق المصنوع من غاب البردى المسمى برق الغزال فكان ينبت هذا الغاب فى برك المياه الراكدة ويترك الى زيادة النيل ثم يقطع فى مدة تحريق المياه فكانت جذوره الثخينة تستعمل مثل الخشب اما للنار أو لصنائع نافعة وأما شوش رؤسه الظريفة فكانت تفتل أو تجدل و يطوق بها رؤس تماثيل الآلهة مثل التيجان والاكاليل ومن نفس الغاب كانت تصنع القوارب وتطلى بالقار كما هو جار الآن فى البلاد الصينية واليابونية وتعمل من قشوره القلاع والالبنة وحبال المراكب وجنس من الاقشة وحصر مثل الغذاء أخضر ومطبوخا و يبلع عصيرا فقط مثل قصب السكر وكان يعمل منه الورق أيضا فكان يشق عروضا رقيقة جدا على قدر الامكان وكان يطلق على أجوده اسم ورق الكهنة لانهم كانوا يستعملونه فى تدوين الكتب المقدسة وعمل منه فى عهد أوغسطوس أوقطافيوس جنسان عظيمان واحد منهما اسمه أوغسطانى والآخر اسمه ليفانى على اسمه واسم امرأته وعمل جنس رابع وخامس أحدهما فنيانى اسم صانع ماهر رومانى وانفتياترى اسم شارع فى رومة كان يباع فيه هذا الجنس ونوع سادس اسمه صايتى باسم مدينة صاى أوتنيس وكان ينبت بالقرب منها بكميات وافرة الآن جنسه كان ردىء الشغل وجنس سابع كان يسمى لينوصى كان يباع بالوزن وثامن وهو الاخير كان عمبروطى أو عمر يطى ما كان يستعمل فى الكتابة بل كان يستعمل فى الدكاكين مثل ورق الكرونة للف البضائع وأصناف العطارة وكان عرض الفرخ الواحد من الصنفين الاولين ثلاث عشرة اصبعا وورق الكهنة احدى عشر اصبعا والفنيانى عشرة أصابع والانفتياترى تسع أصابع وأما العمريطى فكان عرضه ست أصابع ثم من بعد مدة ظهر أن الاجناس العريضة رقيقة جدا على الكتابة و يرشح حبر الكتابة ومدادها من صفحة الى أخرى فمن ثم عمل فى مدة سلطنة كلوديوس قيصر جنس جديد أطلق عليه اسم الورق الكلوديانى ثخانة كل فرخ بقيمة فرخين من الرقيق أليافه ما قاطع بعضها بعضا ووجد اسم كلوديوس منقوشا على عدة هياكل فى مصر العليا وبالخصوص على هيكل مدينة الشمس وعلى ايوانات الهياكل الكبرى فى مدينة لاطو بوليس وكانت بنيت فى هذه السلطنة

وبهذه المناسبة لذكر مصر هنا نذكر نبذة صغيرة تختص بالعائلة الملوكية البطليموسية وذلك أن اغسطوس أوقطافيوس كان زوج سلنى بنت كليوبطره وانطونى بالشاب يوبه مؤرخ افريقه وأحسن عليه فى هذا الوقت بسلطنة مملكة موريطانية (مراكش) ووراثة آبائه فخلفه ابنه بطليموس على تخت (مراكش) فقتله كاليجولا من دون أدنى سبب يوجب قتله وكذا تزوجت دروسيلا حفيدة كليوبطره وانطونى شخصا اسمه انطونيوس فليكس نائب مملكة يهوذا من بعد موت زوجته وهذا آخر ما وجد من التسجيلات التاريخية فيما يتعلق بالعائلة الملوكية البطليموسية المصرية

ثم من بعد موت كلوديوس استخلف مكانه ربيبه نيرو وكان تزوج بابنته أوقطافيه وكان نيرو هذا ابن أغربينه فحثت الى الامبراطور ورغبته فى أن يجعله الوارث لتخته بدل ابنه بريطانيقوس و بمجرد موت كلوديوس قدمت أغربينه نيرو فى الحال الى قواد طائفة العسكرية فرحبوا به ترحاب الامبراطور وصدق على انتخابهم له مجلس السناتو وكان باب فتح سلطنة نيرو ملآن بالمواعيد والمواثيق وفى ظرف خمس

سنوات هنأ الرومانيون أنفسهم على تغيير حكامهم وخفت مظالم ضرائب السلطة القديمة وسوعد الفقراء والمستحقون فى منحهم أراضى يزرعونها وانقرض النمامون والمازون وهم أقبح طائفة كانت فى الامة يكتسبون معاشهم من القدح والذم فى آخرين ويرمونهم بالجرائم والذنوب وصار التغلب على أرمينية وصار صلاح البلاد والاقاليم الموجودة فى طول الرين الاسفل وعملت أرصفة وحواجز منعت فيضان النهر وعلو مياهه على البلاد وأراضى الزراعة وكانت كافة هذه الاعمال العظيمة جارية بمعرفة بروهوس وسنيكة فكانا أهل التدبير والصلاح ووزيرى الامبراطور وأما نيرونفسه فكان ظلوما غشوما عسيفا فاجرا فى صفة حيوان شهوانى دنئ النفس فانه سم أخاه من الرضاعة بريطانيقوس فى السنة الثانية من سلطنته أى فى سنة ٥٥ بعد الميلاد ومن بعد قليل طرد أمه ونفاها والتفت الى حظ نفسه وفى سنة ٥٨ بعد الميلاد جلبته امرأة عاهرة اسمها بوبيه سابينه تحت كنفها ونفوذها المهلك وكانت امرأة أوطو وصارت سيدة الامبراطور وبتولد من دسائسها وخداعها وفجورها أن قتل نيرو أمه فى سنة ٥٩ بعد الميلاد ثم بعدها امرأته أوفطافيه فى سنة ٦٢ بعد الميلاد وكان طلقها قبل هذا وقتل خليله الصادق بروهوس وطرد سنيكة من ديوانه وسلم زمام قيادة المملكة وحريتها للاسافل من الناس الذين كان يميل اليهم ويركن عليهم وشجع على الغيبة والنميمة وملأ خزائن أمواله من أموال ضحاياه وقتلاه وألزم أرباب دولته على ضرب ضرائب وجمعها من الامة وقوى جهرة على فعل المكروه والرجس والخبث وألزم رعاياه على الاشتغال بالملاعب والتياترات العمومية واشترك فى المغانى والترغات الصوتيه فى الالعاب البرزخيه وأمر بقتل واحد من المغنين كان صوته غطى أوحجب صوته وفى سنة ٦٤ بعد الميلاد حصلت حريقة مهولة فى رومة أخذت عشرة أخطاط منها من الاربعة عشر خطا التى كانت المدينة مقصورة عليها فكان نيرو يتفرج على سرعة سريان لهيب النيران فى الاماكن والجهات من برج على جبل اسكلين ويغنى مغانى ونشيد خراب تروادة فى هيئة واحد من مشخصى الملاعب والروايات فى التياترات وكان يظهر أشد العناء والتألم من أجل هذا الذى حصل لرعاياه من الاذى مع أن المعول عليه أنه هو الذى أمر بحرق المدينة كراهية من ضيق حاراتها وشوارعها وخلوها من الاهوية ودوران النسيم فيها الا أنه اتهم بهذه الجريمة المسيحيين وكان المسيحيون كثروا فى العدد وأطماء أنواع الراحة فى رومة فشرع فى التعدى العنيف على أتباع عيسى المسيح حتى صاروا من بعد ذلك فى ذل الذل الواقع عليهم من المملكة الى حد سلطنة قسطنطين وجار أيضا على اليهود بمثل ما جار على المسيحين

وفى السنة التالية حصل الكشف على ثورة كانت شرعت فى أخذ روح الامبراطور فعوقب أربابها وزعماؤها بأشد العقاب وبتولد من خوف نيرو وارتعابه زيادته فى الاعمال الوحشية وبما أجراه من الذبح والقتل مع توالى أيامه بسرعة زال من طريقه أعنى وأقوى الرومانيين وأفضلهم وكذا كامل ذرية أوغسطوس ثم امتد بطشه الى قواد جيوشه الموجودين فى أقاصى الجهات من الاقاليم وقبض على كاربولا فاتح أرمينيه وقطعت رقبته وكذا على روفوز أو الاحمر وصكر يبونيوس قائدى الجيش فى جرمانيا ولم يشهر قطع رقبتهما بل قتلهما من دون اشهار واتضح جليا للقواد الاخر أنه لا يمكنهم خلاص أنفسهم من مثل هذا القضاء المشؤم الا بالعصيان فمن ثم قاموا فى ثورة فى وقت واحد فى جرمانيا والغلية وافريقه واسبانيا وانتخبوا جالبه حاكم اسبانيا الجنوبيه امبراطورا فابتعد عن الامبراطور قواد العساكر

وأرباب الدولة والخدم والحواشى وصار نيرو بمفرده فانجبر على الهرب الى عشة واحد أصله من الرقيق كانت فى ضواحى المدينة ومن بعد أن قضى فيها ليلة على وجل ورعب أمر الرقيق أن يقتله خشية التمكن من القبض عليه بواسطة عساكر الخيالة المرسلين فى طلبه ومات فى سنة ٦٨ بعد الميلاد فى يوم ٩ يونيه من هذه السنة وكان عمره ثلاثين سنة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة

وفى مدة هذه السلطنة عصى البريطانيون تحت قيادة ملكتهم الماهرة بودسيه فى سنة ٦١ بعد الميلاد فأخضعها سوطينوس ثانية وكذا ثار اقليم يهوذا فى عصيان بسبب ماحصل لاهله من جور حكومة غسيوس فلوروس وكان ابتداء حرب اليهود فى سنة ٦٦ بعد الميلاد فارسل نيرو وسباسيان قائده الشهم لمباشرة اجراء الحرب فقاد وسباسيان هذا الحرب ودبر أمره مع الشدة والثبات ولمامات نيرو جعل نفسه سيدا على كامل جهات فلسطين تقريبا

وفى مدة هذه السلطنة أيضا دخلت الديانة المسيحية فى مصر بواسطة مرقى الانجيلى تلميذ الرسول بطرس وتولد من وعظه وخطابته دخول الجم الغفير من أهل الاسكندرية فى الديانة المسيحية الا انه من بعد ما لبث مرقى قليلا فى الاسكندرية عاد الى رومة فى نحو السنة الحادية عشرة من هذه السلطنة وجعل اثيانوس محافظا بدله على تقدم أشغال الكنيسة فكان اثيانوس المذكور أولا أسقفا مسيحيا تولى الاسقفية فى مدينة الاسكندرية

وفى مدة سلطنة كاليجولا وكلوديوس ونيرو توالت اغارات عرب اتيوبيه على الحدود الجنوبية لمصر وانتشرت قبيلة بلميى أهل الشجاعة والرعب تحت هذا الاسم انتشارا زائدا فى كل قرن حتى جاسوا مصر وعثوا فى أراضيها وخربوا المدائن الموجودة على شاطئ النيل من أسفل أتيوبيه وبسبب ماوقع من المصائب بين الملتين فى الاراضى الواقعة على شاطئ النيل من فوق شلال أسوان عد قدماء السياحين من الجريق عشرين مدينة موجودة على كل من جهتى النيل بين أسوان ومروى ولما وجدت الحكومة الرومانية وقناعتها بالنسبة لخلوها من الاشغال المهمة عزمت على عقاب هؤلاء الجيران وصدهم من غاراتهم فأرسلت واحدا من ضباط العساكر ومعه الخفر اللازم من العساكر الرومانية فمن بعد أن تجول فى داخل النوبة من فوق أسوان عاد وقال بعد عوده ان كافة الجهات والاراضى عبارة عن صحارى ولا يوجد فيها مدينة فيما وراء نوبيا ويوجد هيكل بنى فى مدة سلطنة نيرو فى الواحات الداخلة أو الغربية فيظهر على هذه القطعة أنها كانت فى زمن الرومانيين أحسن مما كانت عليه فى زمن الحكومة المصرية وهذا الهيكل بعيد جدا من مدائن وادى النيل فيحتمل أن هنالك محلات مختفية داخلة فى الصحارى مثل هذه الجهة كان هرب اليها كثير من المصريين مما حل بهم من مصائب جباة الخراج الرومانيين

وكان العمل المشهور الوحيد فى المدة الاخيرة من سلطنة نيرو عود بناء مدينة رومة على منوال منظوم ورأى مقبول وصار تعريض شوارعها وجعلها على خطوط مستقيمة وبنيت الاماكن والمساكن بالاحجار المنحوتة وعملت الاحتياطات اللازمة فى منع سريان نيران الحرائق بأن فصلت الاماكن من بعضها بممشى وعطف عريضة وأدخلت المياه النقية العذبة فى كل بيت ولما خرب السراية الامبراطورية ودمرتها الاشتعالات النارية ابتنى نيرو سرايته المسماة بسراية الذهب على منوال فاخر ومنظر باهر ماشوهد مثلها قبل فى مدينة رومة

وكان عمر صولبسيوس جالبه الذى خلف نيرو ينيف عن سبعين سنة فى الوقت الذى ارتقى فيه الى لبس الثوب الارجوانى وكان رجلا على غاية من الكمال ومن الطائفة القديمة الرومانية فتولد من بساطة طبعه وشدة اقتصاداته التى أدخلها فى الاعمال العمومية لاموال المالية فى راحة ورفاهية الطائفة العسكرية والامة الرومانية الكراهة العدوانية ولما وصى بأن يكون بيسو ليسينيانوس خليفته من بعده وترك أوطون نديم نيرو وكان فى أمل أن يكون هذا السمو مقصورا فيه أثار أوطو فى ثورة وذبح جالبه وبيسو وقرر فى الوقت مجلس السناتو الموجود تحت رق التصديق فقط أوطو امبراطورا فى ١٥ يناير سنة ٦٩ بعد الميلاد

وكان صالقيوس أوطو فاسد الطبع فاجرا منهمكا على كافة أصناف الموبقات وكان لايختشى فى النقائص والعيوب لومة لائم وكان زوج بوبيه العاهرة رفيقة نيرو فمن ثم كان على جانب كبير من الفسق وكان بأى حالة لا يصلح للوقع الذى تقلد زمامه فحصلت المشاحنة بجلوسه من الفرق العسكرية الموجودة فى جرمانيا ونادوا على قائدهم بالامبراطورية وكان القائد لهم فيطليوس فانتشبت واقعة بين الخصمين فى نواحى بدرياقوم بالقرب من مجمع نهر أدة بنهر البو انهزم فيها أوطو وقتل نفسه بنفسه من بعد أن تسلطن ثلاثة شهور وكان هذا فى ١٦ ابريل سنة ٦٩ بعد الميلاد

وكان فيطلوس فاسد الطبع فاجرا أضل من أطو وكان فى الشجاعة أقل من خصمه ونسب كامل نجاحه وظفره لمساعى قواده واجتهادهم وبمجرد وصوله الى التخت ظهرت عليه دلائل عجزه وتولد من نقصه وخسته تجريده من حكومته وتاجه ومن بعد مضى بضع شهور من جلوسه على التخت قام وسباسيان ببيرق العصيان وكان تغلب على نحو جميع فلسطين وتمم حرب اليهود وحاصر أورشليم وساعده فى عصيان الفرق العسكرية الموجودة فى الشرق وأجل طوائف المملكة عموما ولبس الارجوانى وفى ظرف الاسابيع القليلة التى مضت بين أخبار موت أوطو ولبس وسباسيان الارجوانى فى سوريا تقرر فى مصر امبراطورية فيطليوس بواسطة العساكر الموجودة فيها لكنه بمجرد سماعهم أن الجيش السورى انتخبوا امبراطورا آخر وخلعوا بيعتهم لفيطليوس وعهدوها الى خصمه فى سوريا وكان وسباسيان فى مدينة قيصرية حالما وصلت اليه الاخبار بموت أوطو وتقرير فيطليوس على التخت بواسطة الفرق الجرمانية وكذا حصل القرار عليه فى رومة فمن دون أن يضيع أدنى لحظة فيما رغبته العساكر من تقديمه الى هذا السمو أعلن نفسه فى الحال بأنه خليفة أوطو وما خاطر بنفسه وأسرع فى السير الى رومة بل أرسل الى مدينة الاسكندرية رسولا الى طيبريوس عامل الاسكندرية يعلمه بما صار ويأمره بأخذ البيعة له فى تلك المملكة الشاسعة وأنه واصل اليه بنفسه وقبل الفرق العسكرية بمصر ما حصل القرار عليه من انتخاب الجيش الشرقى وما قبلوا انتخاب الجيش الغربى لرئيسهم فأخذ عامل مصر بيعة وسباسيان على أهل الاسكندرية ومصر من بعد أن نكثوا بيعتهم الى فيطليوس فمن ثم صار لا ضرورة الى وسباسيان فى سرعة التوجه الى مصر وانه ما وصل الى الاسكندرية الا فى الوقت الذى سمع فيه بقتل فيطليوس من بعد أن تسلطن ثمانية شهور وصار الاقرار فى رومة على امبراطوريته وعند الفرق العسكرية الغربية

وقيل ان وسباسيان سار من سوريا الى الاسكندرية وضبط مصر وهى أشوان غلال وحبوب رومة وأرسل من قواده انطونيوس بريموس وموسيانوس لاجل اخضاع ايطاليا فهزم انطونيوس قوى فيطليوس فى

واقعة ثانية حصلت فى نواحى بدرياقوم وكانت هذه النصرة فاصلة فى الحقيقة ونفس الامر للخلاف الواقع بين الخصمين مع أن الحرب امتد عدة شهور بواسطة عساكر فيطليوس وهم لا يسمعون لقائدهم بالتنازل عن التخت ومن بعد قليل هجم جيش وسباسيان عنوة وتغلب على رومة وصار القبض على فيطليوس وقتل فى ٢١ ديسمبر سنة ٦٩ بعد الميلاد

ولما دخل وسباسيان الاسكندرية قابله الفلاسفة والنواب مع الابهة والاحتفال وكانت طائفة الفلاسفة فى هذه المدينة هم الطائفة الجليلة وكان أشهرهم أبولونيوس طيانة قالوا انه سافر وساح فى الجهات الشرقية وصار استاذا فى الحكمة الخرافية لمجوس بابل وسحرتها وفى أسرار الفلسفة الهندية وسبب مجيئه مصر مقابلته اسرار الفلسفة الهندية بفلسفة النساك المصرية والاتيوبية والطيوبين فكان المصريون يعتقدون فيه بأنه سر من الاسرار السماوية نزل عليهم ووصل لديهم وأظهر لهم قوة معجزاته بسحاره وكهانته وصار ينبئهم بمستقبل أحوالهم بتنجيمه وكهانته فكان لابولونيوس عند وسباسيان اليد الطولى وكان الامبراطور يجل مقامه ويزيد فى ارتفاعه وكان على الدوام فى مجلسه مدة اقامته بمصر ونظر اليه الامبراطور بصفة انه نبى مرسل له ولاهل مصر وعمل هذا الفيلسوف أعمالا للامبراطور حتى اعتقد المصريون وقالوا ان جلوس وسباسيان على التخت هو بأمر الهى وذلك أنه بينما كان وسباسيان ماشيا فى أحد شوارع المدينة اذا رمى على أقدامه رجل فاقد البصر وتضرع الى الامبراطور أن يرد عليه بصره لان الاله سرابيس قال له انه لا يرتد عليه بصره الا اذا تكرم الامبراطور وسباسيان وبصق فى جفنيه أو تفل فى عينيه وكذا أتاه رجل آخر كانت يده مقطوعة وقال له ان الاله سرابيس قال له ان يده لا تعود الى أصلها الا اذا داس عليها الامبراطور وسباسيان بقدميه فضحك الامبراطور منهما وطردهما فما زالا يتضرعان حتى قبل اجابتهما فتماق اليه فى ذلك أصدقاؤه وتغامز حكماء وأطباء أهل الاسكندرية فى هذا الفعل وفيما اذا يكون فيه قوة على مداواة هذين الفقيرين فطلب الامبراطور الشخصين أمامه وداس على يد واحد وتفل فى عينى الآخر أمام الجم الغفير من أهل الاسكندرية فأذاع المتملقون انه أبرأ الاكمه وأعاد اليد المقطوعة للاقطع

وأرخ فلافيوس وسباسيان سلطنته من ابتداء شهر يوليه سنة ٦٩ بعد الميلاد وأثبت لنفسه المهارة والشجاعة وجودة الحكم فى الاحكام والادارة حتى ان رومة ما شاهدت عدلا مثل عدل أحكامه من عهد أوغسطوس أو قطافيوس وكان على دراية تامة من حسن معرفته كيف يقارن الشدة مع اللين والاقتصاد مع الكرم وادارة ساكنة مع عنف عسكرى ويجرى كل شئ من ذلك فى محله ووقت لزومه ونالت المملكة فى مدة سلطنته مرة أخرى درجة عالية من درجات سطوتها وشهرتها التى فقدتها وانفجر فى مبادى سلطنته ثورة مهولة فى نواحى جرمانيا تحت قيادة سفيليس وكان قصده هذا تشييد مملكة مستقلة فيما وراء نهر الرين وانتشرت هذه الحركة الى الغلية الشرقية وحض سفيليس كلا من سابنوس وكلا من سيكوس باعلان استقلالية مملكة الغلية فرفض الغليون قبول الدخول فى العصيان والثورة وتوجه ترياليس قائد وسباسيان وسكن الحاصل فى هذا الاقليم بسهولة وأما وسباسيان فانه سار الى جرمانيا بنفسه وطرد سفيليس الى خلف نهر الرين فى سنتى ٦٩ و ٧٠ بعد الميلاد

ولما ترك وسباسيان أرض يهوذا حول على عهدة ابنه الاكبر طيطوس زمام الحرب المعتدية الجورية فسار طيطوس فى سنة ٧٠ بعد الميلاد الى أورشليم وحاصر المدينة وتغلب عليها وخربها من بعد أن

دافع عنها أهلها أشد المدافعة الممكن اجراؤها فى المحاصرات الجديرة بالذكر فى التاريخ وذبح أهلها أو باعهم فى أسواق الرقيق وانقضت حياة الامة اليهودية فى أورشليم وتدمرت المدينة بالكلية وأما فى بريطانيا فان حدود الممالك الرومانية فيها أخذت فى التقدم الى الامام بمعرفة اغريقولا وكان توظفها كما فيها فى سنة ٧٨ بعد الميلاد من ابتداء نهر الوش والذى الى حد نهر سلوى فريث والطين واستمر هذا الحد باقيا وأقيم عليه خط مستحكم من القلاع قاطع للبرزخ الجامع بين انكلتره واسكوطلانده وفى مدة سلطنته تم فى مصر عمارة المعبد الاكبر فى كنف فى لاطو بوليس وكان الشغل جاريا فيه من عدة سلطنات مضت ويحتمل من عدة قرون وكان من أجل العمارات وآخر البنايات المصرية فى عصره وكان له ايوان كبير محمل على صفوف من عمد ضخمة لها تيجان على هيئة ورق اللوفر منقوش على سقفه منطقة البروج مثل الهيكل الموجود فى دندره وأشياء كثيرة محفور اسمها على حوائط المعبد واسم وسباسيان منقوش على حوائط مدخل هذا المعبد الكبير

وظهر على أعمال وسباسيان فى داخل مملكته علامات النجاح ودلائل الفلاح عيانا وانتظمت خزائن المالية وزال ما كان فيها من الاختلالات والبلية وصارت أعمالها تحت قواعد ثابتة وأعيد الضبط والنظام فى الجيش الى ما كان عليه أولا وانتشرت قواعد وأصول التعليم والتهذيب وتقوت أحواله تحت رعاية المملكة ومن أعظم ما أجراه الامبراطور من تميم الاشغال العمومية استخدام الكثير من طائفة الشغالين وأرباب الصنائع ونظم الجهة التى كان أحاطها نيرون بسور وجعلها خاصة له ميادين عمومية وأقام فى ناحية منها الملعب أو الانفيتاترالفلافيانى ومات فى سنة ٧٩ بعد الميلاد

وكان وسباسيان قبل موته أشرك معه ابنه طيطوس فى حكم المملكة فلما هلك أبوه خلفه طيطوس فى السلطنة بمفرده من دون معارض ولا منازع فشغل طيطوس نفسه مع الصدق والصداقة بالاشغال التى يعود منها النفع والسعادة على قومه فمع انه كان مسرفا وأكسب نفسه جرائم خاصة بشخص نفسه يؤسف عليها الا انه من الواجب درجه ضمن عظماء الامبراطورات الطيبين وقالوا انه قال فى غروب يوم من الايام لم يتناول فيه أشغالا نافعة انه ضيع يوما من أيام سلطنته وفى مدة سلطنته حصلت حادثة انفجار جبل وزوف وقذفت منه موادا من الجمر والدخان على كل من المدينتين الظريفتين ذواتى الافنان والثروة وهما مدينة يومپى وهركولانوم وكذا اشتعلت حريقة مهولة فى رومة لبثت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم أعقب هذا هواء أصفر أو طاعون مقن فأمر طيطوس من كرمه وسخائه بأن كل ما فقد من الخسارات يكون على حساب مصاريف نفسه وباع متاعه حتى زخارف سرايته وزينتها وصرفها فى تكاليف عود البناء فى الجهات التى دمرتها النيران وعهد الى أخيه الاصغر دوميطيان بولاية عهده من بعده قبل موته بقليل

وما حصل عند جلوس دوميطيان على التخت معارضة ولا انتشب اختلاف ولا ارتباك وكانت جميع طوائف الامة مائلة اليه ومحبين له بسبب ما رأوا من احسان وكرم أبيه وأخيه من قبل فأثبت لنفسه من بعد جلوسه مخالفته بالكلية فى صفاته وأعماله لكل منهما فكان رجلا عبوسا حسودا بالطبع انهمك فى نقائص الحسد ومال الى العنف والجبروت وانفجر فى السنة الاولى من سلطنته حرب مع الداسيين وكانوا أغاروا على موزيا وهزموا فرقة من العساكر الرومانية وخربوا الاقليم فأرسل دوميطيان فى سنة ٨٦ قبل الميلاد جيشا الى داسيه لاجل البطش بهم والانتقام منهم جزاء ما وقع منهم من السفاهة

والوقاحة فانهزم هذا الجيش وكان النصر في السنة التالية للرومانيين على الداثيين فعقدت معاهدة سلمية في سنة ٩٠ بعد الميلاد مع الداثيين اتفقت فيها رومة على دفع خراج معلوم سنويا في نظير عدم اغارة الداثيين على موزيا وما كان دوميطيان كثير الظفر والنجاح في جرمانيا فانه في سنة ٨٤ قبل الميلاد عبر نهر الرين وحاز مظفرات قليلة على شاطئ النهر وفي سنة ٨٧ بعد الميلاد خاب في هجومه عنوة على مدينتي ماركوماني وكاري وكذا على سرماطي وتولد مما حصل له من الخيبة وعدم التوفيق في هذه الغزوات زيادة في توحشه فصار شديد العنف والقساوة وأخيرا طريقة الشبه والتهم الملفقة في سلب أملاك الرعية وفقد الانفس وخراب المنازل العامرة وأخيرا ما يئست منه الانفس وصار لاخير في ذاته وصفاته واشمأزت طبيعة الامة منه صار قتله في السنة السادسة عشرة من سلطنته وذلك أنه ذبحه معتوقوا السراية الامبراطورية وكان الحامل لهم على هذه الفعلة ما حصل منه من الخطر المؤدى لفقد حياتهم وكان قتله في ١٨ سبتمبر سنة ٩٦ بعد الميلاد فنشأ مما حصل من الشدة والقساوة التي فعلها دوميطيان اختلال نظم قاعدة الوراثة حتى ان مجلس السناتو قرر ما كان عليه من حق انتخابه الامبراطورات من عهد أوغسطوس أوقطافيوس وانتخب الخليفة من بعد الامبراطور المقتول وما عارض في انتخابه قواد العسكرية بل طلبوا قصاص قاتلي دوميطيان

وكان عمر كوكسيوس نرفه الامبراطور الذى صار انتخابه بمعرفة مجلس السناتو ستاوستين سنة وكان رجلا متوسطا في طبعه وأخلاقه وتدبيره في أعماله فأبدل القانون الدموى الذى كان أصدره دوميطيان بحكومة على غاية من عظيم الادارة والسياسة وأبطل ما كان جاريا من الاسراف والتبذير في السلطنة السابقة في أموال المالية واقتصد في كامل فروع الحكومة وألغى وظائف التجسس ووظائف ضبط الاملاك والاموال وبما ان هذا الامبراطور كان مجردا من الولد انتخب بتصديق السناتو خليفته من بعده عوليبوس طراجانوس وتبناه في محافل رسمية كالعادة فتولد من هذا العمل فضل حالة الادارة القابلة في تولية الامبراطورات في المستقبل وصار تقرير قاعدة في الحكومة بأن الواجب على الامبراطور أن ينتخب من يكون فيه اللياقة والكفاءة من أهل المملكة الرومانية لحكومة المملكة ان لم يكن له ولد و يتبناه و يجعله ولى عهده من بعده ومات نرفه في سنة ٩٨ بعد الميلاد وجلس ابنه المتبنى من بعده على تخت الامبراطورية

وفي مدة هذا القرن انتشرت عقائد الديانة المسيحية وخرج من أورشليم وهي مركز قاعدة هذه الديانة المسيحية رسل مبعوثون الى الامم الشرقية يخطبون دينهم العجيب و يقيمون كنائس المسيح فكان برناباس وسول مشتغلين بتعليم هذا الدين في مدينة انطاكيه من أعمال سوريا وأطلق في انطاكيه نفسها على طلبة الديانة الذين خرجوا من هذه المدينة اسم مسيحيين ثم جاء عقب ذلك سياحات القديس بولص و به انتشرت الديانة المسيحية في آسيا الصغرى وفي الجريس وأخيرا في رومة نفسها وذهب أسيرا شهيد الديانة في مدة سلطنة نيرو فارعبت سرعة تقدم الدين الجديد الرومانيين وأذهلتهم فسعى نيرو واجتهد في صد هذه الديانة ومنع تقدمها بوقوع الظلم والتعدى على تبعتها واستمر هذا الجور حاصلا بواسطة خلفائه على المسيحيين الا انه رغما عما كان حاصلا من هذه الاعمال الجورية استمر الدين الجديد آخذا في الانتشار بسرعة والزيادة في الجهات من المملكة الرومانية

وما كان طراجان الامبراطور الجديد وطنيا من أهل ايطاليا بل كان من أهل مستعمرة ايطاليانية

فى اسبانيا وتوظف أبوه قنصلا ونائب قنصل وكان طراجان نفسه تربى فى المعسكر واستخدمه أبوه تحت ادارته فى أشغال ظهرت فيها نجابته وتوظف فى سنة ٩١ بعد الميلاد قنصلا فى حكومة دوميطيان ثم توظف حاكم الاقليم الاسفل من جرمانيا فى مدة هذه الامبراطورية وفى مدة ترقيه وكان أول امبراطور جلس على تخت الامبراطورية من الاقاليم ومن ابتداء هذا الوقت انتقل قضيب الامبراطورية الى أيدى الرجال الغريبى المولد عن ايطاليا وكان فى جرمانيا حالما وصلت اليه أخبار عهد ترقيه له ثم أعقبها درجة سمو الامبراطورية ورأت الامة فى مدة ترقيه أنه أمهر رجل فى رومة وقت وصوله الى التخت فمن ثم صار قبوله مع الابتهاج بكل من مجلس السناتو وقواد العسكرية وكان الرومانيون يرون أنه أجل امبراطور وأعظمه خلقا وخلقا الا أن عيبه كان انهماكه على الشرب والحظ والبسط الا أن خصاله الجيدة كانت كثيرة مجيدة فكان شجاعا شغالا عفيف النفس متواضعا فى ذاته وصفاته بسيط الطبع أنيس الفعل بشوش المقابلة يعرف كيف يقارن الشدة باللين والكرم بالاقتصاد وعكف نفسه على الاشغال اللازمة للملكة مع حسن العشرة ومحبة الالفة فلو راعيناه بالنسبة لما كان عليه من الاحساسات الجليلة والمقاصد الجميلة أمكننا أن لا نجعل أى شئ جليل القدر الا وهو فيه فانه كان قائدا كما كان مدبرا وجعل نفسه فى أشغاله فى مواجهة الدرجة الاولى من الحكام الرومانيين وعادل أوغسطوس فى شئ منها ويوليوس قيصر فى الدرجات الباقية وكان لا يكل ولا يمل ولا يسأم من كثرة الاشغال وتدبير الاعمال ومباشرة ادارة الحكومة بنفسه ورتب المخابرات الواسعة مع حكام الايالات والاقاليم وكان يرسل لكل منهم الاجرا آت والتعليمات المقتضى اجراؤها فى الاقاليم وأبعد أهل الغيبة والنميمة وضغط عليهم بيد قوية ضغطا شديدا حتى قرض منهم ما كانوا عليه من الخصال القبيحة وراعى حقوق مجلس السناتو وسمح لاعضائه بحرية الكلام والمناقشات فى المجلس وعاملهم معاملة المشتركين معه فى أحكام المملكة وادارة أشغالها ونجح ما أجراه من الادارة والتدبير فى أموال خزائن المالية نجاحا تاما وباشرها مع الحزم واصابة الرأى حتى صار لا حاجة له فى أن يذهب مذهب زيادة الضرائب أو العوائد أو ضبط أملاك الناس وعقاراتها وصارت الخزينة العمومية ملآنة على الدوام بالنقود حتى ان الامبراطور صار لا يعوزه ولا يفتقر لنقود يصرفها على الغزوات أو فى أشغاله العمومية أو فى أخذه الاحتياطات اللازمة لخلاص رعاياه مما اذا نزل بهم مضايقات أو شدائد وأصلح القانون الذى كان أصدره ترقيه ونقحه وزاد عليه بعض مواد ضرورية وخلص أرباب الاملاك مما كانوا فيه من مضايقات الاحمال والديون بكونه أقرضهم نقودا بأرباح قليلة وأمر ببناء أو ترميم ما أتلفته الزلازل والعواصف من دون بطء حركة وشيد المستعمرات وعمر السكك العسكرية فى سائر أنحاء المملكة وأنشأ القناطر على نهر الرين ونهر الدانوب وحلى رومة وزخرفها وكذا مدائن الاقاليم باشغال عمومية نافعة وكان أشهر هذه العمارات وأجلها فى رومة الميدان أو الفورم الاكبر وخزانة الكتب الاولبيانية وكان طراجان يراعى ما يعود بالنفع على رعيته وما صرف شيأ على نفسه وكان يجد لنفسه فى أثناء اشتغاله بهذه الاعمال الكبيرة زمنا لاستئنافه القضايا الواردة الى ديوانه من الدواوين الاخرى الموجودة فى ممالكه

وكانت سلطنة طراجان فى الآداب والمعارف تعادل الدرجة الثانية من سلطنة أوغسطوس أو قطافيوس فكان فى مدة هذه السلطنة طاسيوس المؤرخ الاكبر وبلينى الاصغر وبلوطارش وسوطينوس والغلام الفيلسوف ابكطيطوس وغيرهم من كبار المؤرخين والفلاسفة عائشين تحت

ظل جوده وكرم سلطانه
وكان طراجان مشغولا في سلطنته بفكر أن يشهر نفسه في العصور القابلة بأنه كان رجلا فاتحا شجاعا باسلا وكانت مدة الفتح والتغلب انقضى نحبها وتم أمرها لانه كان يرى على الدوام أن نهر الرين ونهر الدانوب والفرات هي الحدود المحددة للمملكة كما أشار أوغسطوس على خلفائه بذلك ومع هذا فان طراجان رأى انه من الانحطاط وعدم الاعتبار في المملكة دفع رومة الخراج القبيح الذى كان قرره دوميطيان في سلطنته سنويا الى مملكة داثيه فأهاج في سنة ١٠١ بعد الميلاد حربا على داثيه وعبر طراجان في هذه السنة نهر الدانوب في رأس جيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ نفس ومن بعد محاربة شديدة مع القبائل الحربية الداثية تغلب على مدينتهم سرمزغطوزه أوفارهلى وأرغمهم على قبول صلح خسر وافيه مقدارا وافرا من أرضهم وبلادهم وضربت رومة على داثيه شروطا صعبة جدا تولد منها في سنة ١٠٤ عصيان الداثيين فعزم طراجان على أن يضيف الاقاليم الموجودة فيما وراء نهر الدانوب اضافة مستمرة الى الممالك الرومانية فلما رأى دسيلوس انه حصل التشتت في قواه وهجم طراجان على مدائنه وحصونه وأخذ سراياته قتل نفسه بنفسه حتى لا يقع أسيرا في يد خصمه وصارت داثيه وهي اقليم دائره ١٣٠٠ ميل محدود بنهر الدانيستر ونهر الطيس والدانوب الاسفل والبحر الاسود اقليما رومانيا (واسمها الآن رومانيا أو ملداويا وولاخيا وعاصمتها بكراش) وغير طراجان اسم عاصمتها باسم أوبلياطراجانه على اسم الامبراطور ولقب الامبراطور نفسه بلقب داثيطوس وجلب طراجان اليها مستعمرات رومانية من جهات مختلفة من ممالكه وغرسها في أرضها لاجل عمار البلاد ونشر صنائع التمدن بين وطنيي هذه المملكة وأسس المدائن والقرى وعمر الطرق والسكك وشيد الاستحكامات وصار اللسان اللاتيني هو لسان البلاد وأنشأ فيها خط قلاع مستحكم في الجهة المعروفة اليوم باسم الدوبروجه من أعمال رومانيا بين كوستنجه على البحر الاسود وبوغازقوى على نهر الدانوب ولما عاد الامبراطور الى رومة عقد له موكب النصر مع الالعاب فامتد عيد هذا الموكب ١٢٣ يوما ذبح فيها ١١٠٠٠ من الحيوانات الوحشية و ١٠٠٠٠ من ضاربي السيوف خصوصا من أسرى الداثيين

وفي نحو غلاق هذه السلطنة دعت حالة الاعمال العمومية التي لا يمكن فصلها في الجهات الشرقية لتوجه طراجان الى الحرب مع فارطية وذلك أن خسر وملك فارطية وهو الملك الخامس والعشرون من العائلة الكيانية استحوذ بالغلبة على أرمينية وكان جاريا تعيين ملوكها بواسطة رومة وأجلس على تختها ابن أخيه فأسرع طراجان في سنة ١١٥ بعد الميلاد في ازالة ومنع هذا التعدى ووصل الى انطاكيه وكانت نقطة أس حركاته وتحرك بجيوشه منها الى أرمينية وأغار عليها وأخضعها بسرعة فتقهقر الفارطيون وجعل الامبراطور أرمينية اقليما رومانيا وتغلب على القسم الشمالي من ميزوبوتاميه وأخذ نذيب ومدائن أخرى فلقبه عساكره في هذه النصرات باسم فارطيكوس ولقبه مجلس السناتو بلقب أوبطيموس

وكان الحرب الثالث وهو الاخير على شواطئ نهر الدجلة مع الفارطيين أيضا ثم عاد الامبراطور لقضاء فصل الشتاء في انطاكيه وكان فيها في الوقت الذى حصلت بها الزلزلة في سنة ١١٦ بعد الميلاد وهي آفة مهولة أعقبها بريق البرق والرعود وعواصف رياح شديدة فارتجت منها المساكن والمنازل واهتزت

المبانى كأنها فوق مياه البحر المحيط وتخلت الحوائط عن أساساتها وهدمت فوق سكانها ونجا الامبراطور بنفسه وطرح نفسه من شباك المنزل الذى كان به الى الخلاء ولما هدأت اشتغل مع عساكره ليلا ونهارا بكشف الردم عن المردومين ووجد كثيرا من الاحياء بين الاموات مسقفا عليهم أخشاب سقوف الاماكن ومن العجائب الالهية والحكم الربانية أن صار الكشف فى وقت ازالة الردم عن طفل صغير يرضع من ثدى أمه وهى ميتة فسبحان من جلت قدرته حفظ اللبن فى ثدى الام الميتة لاحياء الطفل الصغير ابنها وهذا من عجائب الحكم الربانية وفى فصل ربيع هذه السنة أى سنة ١١٦ بعد الميلاد ساق طراجان جيشه الى نهر الدجلة وعبر النهر وتغلب على قطزيفون (المدائن) وهى عاصمة فارطية وموجودة على الشاطئ الايسر من هذا النهر وخسرو متقهقر أمامه فأضاف طراجان الى ممالكه أشوريا وبابلونيا وميزوبوتاميا وكان مقصده كسر شوكة الفارطيين ودمار دولتهم الا أن مظفراته وأعماله هذه كانت وقتية لان ثمرات الفتح سلمها خلفاؤه ومن بعده الى أربابها باختيارهم وسار طراجان تابعا فى سيره الى مجرى نهر الدجلة حتى وصل أخيرا الى الخليج الفارسى ثم الى البحر المحيط الهندى ووقف على ساحل البحر وقال كنت أود أن أتوجه الى الهند لو كنت صبيا ودعت الضرورة لعوده ورجوعه بسبب ثورة حصلت من الامم المغلوبة فى مدينة قطزيفون (المدائن) فوصل طراجان اليها وطمن هذه الثورة وأجلس برطاماسباطيس من أهل البلاد على كرسى فارطية ملكا تابعا للدولة الرومانية من أجل توطيد سلطة رومة فى هذه البلاد وفى مبادى سنة ١١٧ بعد الميلاد انفتح حرب جديد فى نواحى بلاد العرب فبينما كان طراجان محاصرا مدينة عطره وهى معقل حصين فى الصحراء أصابه مرض فمن بعد أن عهد قيادة الجيش الى هادريان مع عموم مباشرة أعمال الشرق وجه عزم سيره الى رومة فمات فى صلقوس من أعمال سيلسيا وحمل رماد عظامه الى رومة فى قارورة من ذهب ودفن تحت العمود المسمى باسمه فى رومة

وخلفه على تخت الامبراطورية ابنه المتبنى هادريان وكان بعيد القرابة منه وكان هادريان الرابع عشر من الامبراطورات الرومانية من ذرية عائلة كانت قاطنة فى أرض القيطلان من أقاليم اسبانيا وكان مولده فى رومة سنة ٧٦ بعد الميلاد وخدم تحت قيادة طراجان مع الشرف والسمو وكان عمره اثنين وأربعين سنة فى ذلك الوقت الذى وصل فيه الى التخت الامبراطورى فى سنة ١١٨ بعد الميلاد وكان خاليا من الاولاد يشابه طراجان فى كثير من الاحوال فكان لطيف الذات ظريف الخصال سخى اليد صرف أموال المملكة مع الاسراف والتبذير فى خدمة المملكة وصلاحها وتقدمها ونجاحها الا أنه دبر خزائن المالية مع التبصر والتأمل فى الاحوال الدنيوية حتى انه لم يجعل فى الخزينة أدنى عجز ولا انحطاط ومع أنه كان مباشرا مملكته بيد قوية وهيئة معنوية الا أنه كان متوسط الحالة فى أعماله وجعل هيئات الحكومة فى صورة أحكام حرة وكان يضارع طراجان فى قدرته واعتكافه على الاشغال وما كان يدخل أوقات حظه فى واجبات أمور مصلحته وكان محبا كريما للصنائع وأخا صادقا للآداب والمعارف وكان مثل أغلب رجال عصره محلولا فى أمره الا أنه لم يضر نفسه أو يهينها فى وقوعه فى زلة من الزلل وكان سريع الغضب زيادة عن طراجان وأكثر غيرة وحمية الا أنه كان يتخلى عن هذه العيوب باستصوابه نجاح السلم عن نجاح الحرب فعكف نفسه مع حزم الرأى على اصلاح أحوال ممالكه وتحسين حالة بلاده وأمته من دون أن يهتم فى اتساعها ونال منال الصدق فى ارتقائه الى درجات الكمال

عند كافة رعاياه

وابتدأ هادريان فى سلطنته بكونه أخلى تبرعا منه أقاليم ارمينيه وميزوبوتاميه وأشوريا التى كان طراجان تغلب عليها عالما حق اليقين أنه لا يمكن بقاؤها من دون أن يصرف عليها أنفسا وأموالا زيادة عن قيمتها وما يأتى منها ولاجل معرفته بنفسه احتياج رعاياه ساح فى الاقاليم المختلفة من ممالكه خمس عشرة سنة أى من سنة ١١٩ الى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وكان أكبر سياحى زمانه فكان أينما توجه يترك وراءه مبانيه وعماراته الدالة على حضوره فى الجهة التى وصل اليها وأقام فيها من استحكامات ومجارى مياه وهياكل وسرايات ومدائن فن بعد أن زار الغلية وعمل سدا من خط مستحكم بين نهر الدانوب ونهر الرين طوله ٢٤٠ ميل لاجل حفظ بلاد الغلية من الغارات الجرمانية عبر البحر الى بريطانيا فى سنة ١٢١ بعد الميلاد وشرع فى عمل السد المشهور أو الخط المستحكم المتصل الذى لم تزل آثاره باقية فى طول ينيف عن سبعين ميلا ممتدا من نهر سلوى فرث الى المحيط الجرمانى تحفظا على بريطانيا من الاجناس الشديدة البأس الموجودة فى الجهة الشمالية منها ثم عاد الامبراطور الى الغلية وقضى فى طرغونة من أعمال اسبانيا فصل الشتاء ثم توجه الى افريقة فى فصل ربيع سنة ١٢٢ بعد الميلاد وسار منها الى مصر وكانت زيارته لها فى السنة السادسة من سلطنته وتشرفت مصر بزيارة الامبراطور لها ودخل فيها فى وقت حصول مشاحنات ثقيلة بين مدينتين شهيرتين من مدنها وهما مدينتا منف وهليو بوليس أى المطرية أو عين شمس بسبب عجل وكان هذا العجل هو ابيس معبودهم وكانت مصر مكثت بضع سنين بغير عجل يعبده أهلها فلما وجد القسس عجلا فيه بقع بيض قام أهل المدينتين على بعضهما بالسلاح وتركوا التوفيق والفلاح وتولد من ذلك ارتباك فى الاقليم منشؤه تعصبهم وغيرتهم فى الدين وكان كل من المدينتين يدعى أن العجل عجله وأخيرا انتهت هذه المشاحنة وكان هادريان مصحوبا بخليله الظريف وخليله المنيف انطنيوس فرمى نفسه فى النيل وغرق فى مدة سياحتهما نحو طيوه وكان السبب فى ذلك ان الامبراطور تكلم مع منجمى المصريين وكهنتهم فى عاقبة مستقبله ورفاهية مملكته فانبأه كاهن مصر بان فقد وضياع أعز ما فى يده الآن هو سعادة مستقبله ورفاهية مملكته وكان أعز ما عنده وما فى يديه خليله انطنيوس فسمع أنطنيوس بفقد حياة نفسه فى رضا سيده وقذف بنفسه فى النيل فغرق وأظهر الامبراطور الحزن عليه وابتنى محمدة وشكرا على صنيع فعله تذكارا له مدينة عظيمة بالقرب من محل الواقعة وزينها بالهياكل والتماثيل وسماها انطنيوبوليس تشريفا لاسم خليله وكانت على الشاطئ الشرقى للنيل تجاه مدينة هرموبوليس ثم سافر من مصر الى سوريا وآسيا الصغرى وجال بين الجزائر الجريقية فى سنة ١٢٣ بعد الميلاد وقام فى أثينة سنتين أو ثلاثة ثم عاد الى رومة فى سنة ١٢٦ بعد الميلاد من طريق سيسيليا المشاهدة شروق الشمس من فوق رأس جبل اتنا ثم ابتدأ فى سياحته الكبرى الثانية فى سنة ١٢٩ بعد الميلاد وعاد ثانيا الى أثينة وكانت أجل موقع ومحط ترحال عنده من كافة الجهات وابتنى فيها مبانى عظيمة وانتقل منها الى اسيا الصغرى ثم سوريا وبلاد العرب ودخل مصر وصعد فى النيل وأعاد قبر بومبى وعاد من الطريق الذى جاء منه فى نحو غلا فى سنة ١٣١ بعد الميلاد ثم ابتدأ فى سياحته الثالثة فى فصل خريف سنة ١٣٢ بعد الميلاد وتممها فى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وفى هذه السياحة جال فى الاقاليم الشرقية وتوجه الى أثينة والاسكندرية وأورشليم وصرف همته فى تقدم وفلاح الاقاليم وما كان عنده تباين ولا فرق بين الامم والاجناس

المختلفة الموجودة تحت حكمه ومن ثم كانت كافة ايالات مملكته في خير منه ومنفعة وما حصل في سلطنته ما يغير أحوالها السلمية ولا التوفيق والنجاح الحاصل فيها

وأما الحروب التي وقعت في مدة هذه السلطنة فهي حرب مع دوكسولاني في سنة ١١٨ بعد الميلاد وحرب ثورة اليهود تحت قيادة باركوشباس في سنة ١٣١ بعد الميلاد فاستمر هذا الحرب الى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وانتهى بهزيمة اليهود وطردهم بالكلية من فلسطين وهدم مدينة أورشليم وترتب في موضعها مستعمرة رومانية سميت باسم اليا وأمر هادريان المسيحيين الذين كان طردهم طيطوس بالاقامة فيها

وحيث تكلمنا على محاسن صفات هادريان فمن الضروري لنا الآن أن نذكر ظلمات السحب التي خيمت عليه وعلى ممالكه وذلك أنه زادت سرعة غضب أخلاقه وحماقته مع تقدم عمره وأحاط به الغيرة والحسد والانهماك في النقائص وصار لا يراعي أحدا وأخذ يقتل في الناس على أدنى غضب أو زعل فأمر بقتل رجل معماري تجاسر في الكلام أمامه على المناقضة في رسم صور بعض تماثيل كان هادريان أمر بشغلها ورسمها بنفسه وكان كلما تقدم في السن تقدم أيضا في اختلال العقل والجنون وزاد في أذى الرعية وكان له صهر وهو زوج أخته عمره تسعون سنة وكان لهذا الرجل العجوز حفيد عمره ثمان عشرة سنة فأمر بقتلهما في تهمة ثورة عليه فاشمأزت النفوس لما رأت جريان دم هذين اللذين ذاقوا بالموت من دون وجه حق وهما أقرب الناس اليه وأشرفوا على القيام في منع فقد مثل هؤلاء المظلومين ومع هذا فان الرجل العجوز كان أثبت قبل ساعة موته براءته مما نسب اليه من تهمته وابنه في هذه الثورة التي اتهما فيها ولما لم يجد بدا من قتله دعا بدعاء الانتقام بان يبلى هادريان بعلة ويوم يتمنى فيه الموت فلا يجده فتقبل دعاء هذا الرجل العجوز المظلوم وأصيب الامبراطور بالعلل والامراض وعذب عذابا أليما وطالت عليه أيام الامراض حتى صار يتمنى الموت لخلاص نفسه وراحته فلا يجده فاستغاث بعبيده وخدمه في قتل نفسه حتى انه ضرب نفسه بخنجره الا أنه لم يمت وما أتاه الموت الخالص له مما هو فيه لحد سنة ١٣٨ بعد الميلاد ومع ما كان فيه هادريان في آخر سلطنته من مثل هذه النقائص فانه يعد في درجة عظماء الامبراطورات وأحسنهم مع مراعاة العشرين سنة التي سار فيها في حكمه وما اعترى سلمها ولا عكر جوها شيء مع رضا الجيش وكفايته ونفوذه وصرف المصاريف الجمة مع ملء خزائن المالية بالاموال من دون وقوع جور أو حصول تعد أو وسائط قبيحة يجمع بها الاموال وكذا حرية الكلام في مجلس السنا ومع الثبات والاقدام عليه فمن ثم لم يوجد ضعف ولا وهن فيما كان عليه هادريان من الفخر الجليل والسمو والرفعة

ووقع تدبير هادريان وحزم رأيه موقع القبول والاستحسان في انتخابه خليفة من بعده ووقوع بصره على عوريلوس انطونينوس وكان يعرف باسم انطونينوس بيوس فان مدة سلطنته التي استمرت ثلاثا وعشرين سنة كانت خالية من الوقائع والحوادث وكانت أيضا سلمية بهجة فالحية واستمر على ما كان عليه طراجان وهادريان في سياسة صادقة وادارة رحيمة عظيمة ودبر المملكة وراقب أحوال مملكته ورفاهية رعيته واعتنى بذلك غاية الاعتناء كالتفات الاب لاولاده وكان أول امبراطور دافع عن المسيحيين وحماهم وأعاد الثغر أو الحد الروماني في بريطانيا الى نهر الكلية والفورث وسارت المحافظة على هذا الحد بان أمر أن يقام عليه خط مستحكم متصل من قلاع واستحكامات أي سد أو حاجز عرف

لجعل كاردينال بوربون بصفة الوارث الشرعي وتقوّى في هذا الصدد بمنشور صدر من البابا الحالي سيكطوس الخامس قاض بخلع كل من ملك نفاره وبرنس كوندي بسبب أنهما متشعبذان في الدين وأعلن في هذا المنشور بتجريدهما من شرفهما وأملاكهما وكافة ألقابهما ومالهما من الوراثة في تخت فرانسا وكان حربا دينيا بسبب أن الديانة وقعت في مصاعب شديدة وبسبب أن البروتستانت قاموا تحت رياسة هنري صاحب نفاره بالسلاح بما تيسر لهم الحصول عليه في منشور نيمورس ثم ان قوى الاتحاد التي هي تحت قيادة دوق جايوز التقت مع قوى الهوغينوطيين تحت قيادة صاحب نفاره في كونتراس فكانت نتيجة الواقعة انتصار الهوغينوطيين فيها وقتل جايوز ومع هذا فان دوق غيز حاز نصرة اقتطفها من هذه الهزيمة بكونه شتت قوة كبيرة وردت من جرمانيا للبروتستانتيين وردها على أعقابها وكان دوق غيز معززا من الاصل عند الامة فعاد الى العاصمة متوجا بتاج الظفر مع ما كان من الضغط من أوامر الملك وبمساعدة الامة صار لاصعوبة عنده في أن جعل نفسه سيد باريس وأرغم الملك على كونه يتفق مع الدوق فعينه الملك قائمقام عموم المملكة ومن ثم انحصر في يده عموم الشوكة ثم ان هنري وان كان خضع الا أنه عزم على البطش بالدوق ففي شهر ديسمبر سنة ١٥٨٨ بعد الميلاد انعقد مجلس العموم في بلواز وفي ٢٢ منه حضر دوق غيز في قاعة النوم الملوكية بدعوة الملك فذبحه خدم الملك في الحال ووقع القبض على كردينال اللورين في هذا الوقت وقتل في السجن وقال هنري لامه انه صار الآن ملك فرانسا مرة ثانية بما كان له من قتله ملك باريس الا أن الحكومة الكبرى الكنائسية قامت عليه وحبست البارلمان في قلعة الباستيل وأعلنت دوق عومال وهو الاخ الاصغر للدوق غيز المقتول أن يكون محافظ باريس وأعلنت دوق ماين الاخ الآخر أن يكون قائمقام عموم المملكة وفي هذا الوقت طلب البابا الملك هنري للحضور في رومة من أجل المجاوبة عما كسبه من الجرائم فمن طالع سعد الملك أن هنري صاحب نفاره مازال في رأس جيش ضخم فسار بجيشه الى جيش هنري الملك وانضمت قوى الملكين لبعضهما وحاصروا باريس وصار هنري الثالث من هذه الحالة في طريق عظيم لاعادة ما فقده منه من شوكته الا أن العواقب كانت مكتوبة على رأسه فان أصدقاء الدوق المقتول جعلوا مكافأة عظيمة لكل من قتل الملك فتوجه شخص اسمه جاكس كاليمنت راهب دومنيكي ودخل في المعسكر وحضر أمام الملك وطعنه في معدته بخنجر فكانت هذه الطعنة قاضية على حياته وعاش الملك مدة كافية من الزمن حتى أوصى بأن هنري صاحب نفاره يكون خليفته وجمع الاشراف وأخذ عليهم العهود بالطاعة لسيدهم الجديد وفي ٢ أغسطس سنة ١٥٨٩ في الساعة الثالثة صباحا شهق شهقة آخر حياته وبموته انقرض آخر ملك من بيت فلواز وهو الملك الثالث عشر من هذا البيت وحكم هذا البيت فرانسا مدة مائتين واحدى وستين سنة

سلطنة هنري الرابع

ثم ان هنري وان كان هو الوارث الشرعي لتاج فرانسا الا أنه ماوجد مادة مسهلة لجلوسه على التخت وكان هنري من عهد موت أبيه رأس بيت بوربون وعند انقراض بيت فلواز كان هو أقرب ذكر وارث في العصبية مباشرة لتخت سنت لويز وكانت الصعوبة الاصلية الموجودة في طريق هنري هي كونه غينوطيا وبسبب هذا كان هو وعمه كوندي واقعا عليهما الحجر الكنائسي من البابا قاضيا بانهما مجردان من حقوقهما وألقابهما وليس لهنري حق في دعواه أنه من الدم الملوكي وكان أعداؤه الطالبون للتاج كثيري العدد فكان منهم فيليب الثاني بسبب تزوجه باخت الملك السابق ودوق ماين وكان جعل

نفسه فى رأس الغيزيين وادعى أنه نائب ووارث ملوك الكارلوفنغيانيين السابقين والكردينال دوبوربون عم هنرى الرابع والبرنس كوندى وأما قتل هنرى الثالث فانه ما تولد منه أدنى هياج وكان الملك الجديد هنرى الرابع مع قواه ومع ما كان باقيا عنده من عساكر الملك السابق الذين استمروا على طاعته مازال موجودا فى ميدان الحرب ضد الاتحاد المسيحى فكان أمامه فى هذه الحالة أمران يحارب من أجلهما وهما أمر الديانة كما كان عليه سابقا وأمر تاجه فمن ثم كان فى هذه الاثناء فى موقع صعب جدا فكان نجاحه تحت الحجر الكنائسى ومقابلته الملك اسبانيا والاتحاد أهل القوة والعناد مطلبا جدا الاجل معلوم ومن بعد موت سلفه مباشرة صار تحت مواعيد الزامية مختصة بالاشراف وهذه المواعيد ما كانت على رغبة الكاثوليك وبعدم العمل بمقتضاها فقد منه مثل كارالهو وغينوطيين فلو كانت اسبانيا والغيزيون والامة الكاثوليكية باجتهاد خلوا فى جامعة واحدة وساروا عليه فما كان ينفع بنافوعة الا أنهم ما كانوا على يد واحدة وذلك أن دوق ماين الذى كان قائد قوى الاتحاد ما كان فيه أدنى جسارة على اقامة دعواه فدفع أمامه كردينال دوبوربون وكذا فيليب صاحب اسبانيا فانه ألح على طلبات ابنته بنت أخت هنرى الثالث وتيسر له ارتباطه مع الاتحاد بكونه عرض زواجها الابن دوق غيز السابق فما كان هذا العرض موافقا عند ماين لانه دبر فى بيته أن تجمع كافة طلبات بيت غيز فى شخصه فتولد من الاختلافات التى وقعت بين أعداء هنرى ابتداء تجمع القوة فى أمره فصرف النظر عن حصار باريس وسار متوجها نحو الجهة الجنوبية وترآى له أن ينظر فى أمره فى هذه الجهة نقوبل فيها بل الاحضان وبعد لحظة من الزمان أعلنت بملوكيته نورمندى وبريطانى وطورين وبواطو وسانطنغ وغسكونيا ولما استحوذ على ديبى سهلت عليه المواصلة بانكلتره وكانت وردت اليه الامدادات من البزابث من قبل

وظهرت الدلائل على أن أمر هنرى صاحب نفاره ليس مقطوع الامل منه فانه حصل الاقرار على ملوكيته من كافة دواوين أوروبا البروتستانتية وظهر أيضا أن البابا ما بقى عنده أدنى معارضة فى طلباته وطلب لنفسه أصدقاء كثيرين بسبب ما كان عليه من حسن الطباع وكرم النفس ومن بعد أن قل عدد جيشه وقت رفعه الحصار عن باريس صار جيشه فى حالة موافقة جدا وفى هذا الوقت التقى مع قوى الاتحاد فى نواحى اركيس وأوقع العذاب الشديد على دوق ماين فى عدة وقائع فتولد من هذه المظفرات زيادة الآمال فى قلوب عساكره وصار لا خوف عندهم من كثرة أعدائهم وصار عندهم حماس فى اقتحامهم الوقائع وفى ١٤ مارث سنة ١٥٩٠ بعد الميلاد التقت القوى المتحاربة ببعضها فى نواحى ايفرى فكانت هذه أكبر واقعة فى هذا الحرب الطويل وانهزم فيها عساكر الاتحاد شرهزيمة وحاز هنرى فيها صفات الدرجة الاولى من القيادة العسكرية وأظهر شجاعته فى هذا اليوم الذى اكتسب فيه الواقعة ومن عدم طالع سعد هنرى أنه ما ظهرت منه هذه الشهامة التى كانت سببا فى نصرته من بعد هذه الواقعة وذلك أنه سار قاصدا باريس ولما حاصرها وصل برنس بارمه لخلاصها وكان برنس بارمه هذا أعتى قواد فيليب صاحب اسبانيا فالتزم هنرى بسبب قلة المؤنة على رفع الحصار واجتهد هنرى فى أن يلتقى مع برنس بارمه فى واقعة فاصلة فما نجح فى اجتهاده وعول برنس بارمة على القهقرة الى البلاد الواطية وفى هذه الحالة صارت فرانسا قائمة بنفسها ومع أن الاتحاد ما كان فى جامعة واحدة كما كان من قبل الا أنه كان عنده قوة كافية فى المملكة وكان دوق ماين مازال رأس الاتحاد فعلى

حسب

والخيبة على كافة طوائف الامة وبينما كانت المملكة فى هذه الاحوال الخسيسة تحت حكم كومودوس وظهر على جدرانها الخلل والسقوط اذ شوهدت انها لم تزل واقفة مقاومة بصبرها العظيم لما نزل بها من الشدائد والمصائب التى هجمت عليها وخيمت على جوّها من نحو قرنين كاملين وذلك ان قاتلى كومودوس ذهبا الى بيت برطيناكس والى المدينة وأعلموه بما فعلوه من قتلهم الامبراطور وقدموا له التاج الامبراطورى وكان رجلا طاعنا فى السن ممدوح الخصال والافعال وكان أحد الباقين المحبين الى ماركوس عوريليوس ففزع ونفر من قبوله هذا الشرف المؤدى الى الخطر الذى قدمه له هذان القاتلان وأخيرا غلبت عليه الدنيا بزخارفها وأورث له السعادة من تدابيرها فقبل التاج من بعد أن تردد قليلا فى الوظيفة ليكون لتخت الامبراطورية خليفة وخضعت طائفة العسكرية الى قائدهم الذى هو من ضمن قاتلى كومودوس وقبلوه مع غاية الكراهة وكان مجلس السناتو له رغبة فى ارتقاء واحد من طائفته فأهل المجلس مع الابتهال ببرطيناكس وقرر أحكامه وكانت خزينة المملكة خالية من النقود فتولد مما أجراه برطيناكس من الاقتصاد والوفر الذى اجتهد فى ادخاله فى ادارة المملكة وقوع عداوة قواد العسكرية له وكذا قام أهل المدينة فى ضجة وغوغاء مع العسكر وحصلت ثورة جهرية وقتلوا برطيناكس فى يوم ٢٨ مارث من سنة ١٩٣ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن أقل من ثلاثة شهور

ثم وضع قواد العسكرية سموا الامبراطورية فى الدلالة والمزاد لمن يشتريه بأكبر الاثمان فى سوق البيع وباعوه الى ديديوس يوليانوس وكان رجلا متمولا من أرباب مجلس السناتو بما ينيف عن خمسة عشر مليونا من الريالات وخاف مجلس السناتو من مقاومته غرض هؤلاء العساكر فقرر أمر يوليانوس فتسلطن شهرين فى رومة الا انه لم يتقرر أمر سلطنته فى الاقاليم والايالات لان الجيوش فى بريطانيا وسوريا وبانونيه حصل فيها الهياج والثوران من الحركة الجارية من قواد العسكرية فى رومة ونادوا على أمبراطورية قوادهم البينوس وسفروس ونيجير وما كان سفروس من بين هؤلاء القواد أكثر حزما وتدبيرا فقط بل كان أقربهم الى رومة فى مسافات الجهات فعبر فى الحال جبال الالب وزحف بعساكره على رومة وتغلبت رسالة السرية على قواد طائفة العسكرية فى رومة حتى من بعدها ما كان لمجلس السناتو من جسارة يجريها فى مقاومته على أعمال سفروس وقبض سفروس على ديديوس يوليانوس وقتله ودخل رومة وجلس على تخت الامبراطورية

وكان أول عمل أجراه سفروس من بعد أن استحوذ على العاصمة هو كسره شوكة قواد العسكرية وأمرهم بتجريدهم من أسلحتهم وأبعدهم عن رومة بمسافة مائة ميل ثم عاد على أخصامه وأسكت البينوس فى بريطانيا ووعده أن يكون الخليفة من بعده وسار الى نيجير فهزمه فى واقعتين فاصلتين فى نواحى صاقز وعصوص من أعمال آسيا ثم قبض عليه وقتله ثم نكث عهده مع البينوس مع العداوة له وكان البينوس أغار على الغلبة فهزمه وقتله بالقرب من ليون وصار سفروس امبراطورا بمفرده وأفهم رعيته جيدا بأنهم يجدون فى نفسه لا نفسهم سيدا وأمبراطورا فكان عبوسا شديد الطبع قرر نصرته وظفره وجلوسه على التخت بقتله احدى وأربعين عضوا من أرباب مجلس السناتو وعددا وافرا من كبار وأغنياء الاقاليم وكان ذنبهم اعانة أخصامه عليه وصارت المملكة تحت حكومة وسلطنة سفروس عسكرية متبدة فان مجلس السناتو ما تجرد من سلطته فقط بل صار مقوتا مغضوبا عليه عيانا واستبدل

سفروس طائفة الخفر العسكرى بقوة مؤلفة من ٤٠٠٠٠ نفس من العساكر المنتخبة ورتبهم فى هيئة محافظين على رومة و يؤدون الاشغال اللازم اجراؤها على محافظة الامبراطور وجعل قائد هذه القوة الحاكم والى المدينة وجعله هو الشخص الثانى فى المملكة من بعد الامبراطور فما كان يباشر ادارة محافظة المدينة فقط بل عهد اليه زمام مباشرة خزائن المالية ونيابة الاحكام تحت شوكة عادلة وقانون محدود فمن ثم ما كان عند هذا القائد أدنى كراهة عدوانية لنفس الامبراطور وكان سفروس قائدا ماهرا فشرع فى اصلاح النظام فى الجيش الا أن نجاحه فى ذلك كان قليلا وفى سنة ١٩٧ بعد الميلاد اشتبك فى حرب مع فارطيه فغاب عن رومة ست سنوات مشغولا فى هذا الحرب وكان الفارطيون انقهروا فى ميزوبوتاميه الا أنهم تقهقروا عند قربه منهم فنزل فى الفرات فى زورق له وسارت عساكره فى طول الشاطئين حتى وصل بابل وتفرج عليها ثم انتقل منها الى الدجلة وحاصر مدينة قطزيفون (المدائن) وتغلب عليها وذبح وباع أهلها فى أسواق الرقيق ونهب المدينة وحصل لعساكره فى هذه السفرة مضايقة شديدة من أجل احتياجهم للمؤنة وكثرت فيهم الامراض وعند عبوره من الصحراء الى سوريا قطع العرب على عساكره العلائف والمؤن واستمر عشرة أيام فى ضيق فى الطريق وحاصر مدينة عطريه حصارا كان على غير طائل وهذه المدينة التى كانت قاومت جيش طراجان فى صحراء بلاد العرب ومن بعد أن دار دورة فكه نفسه فيها فى مصر وزار منف وشاهد الاهرام واستكشف النيل عاد الامبراطور راجعا الى رومة وابتدأ فى اشهار زواج ابنه الاكبر

وكانت العائلة الملوكية مقصورة فى المملكة يوليه دومنه وولديها قرقلا وسبطميوس غيطه وصحب قرقلا أباه فى الاعمال الشرقية وأشركه معه فى المملكة وزوجه بلوطيلة بنت بلوطيانوس أول وال أو نائب فى القيادة الجديدة للمدينة وفى سنة ٢٠٨ بعد الميلاد ثارت الارتباكات فى جزيرة بريطانيا على أمرائها حتى دعت الحالة لحضور نفس الامبراطور فطرد الكلادونيانيين (الاصكوطلنديين) وعاقبهم أشد العقاب وكانوا كبسوا على الجهات الجنوبية وزحفوا على الجدار الرومانى من تلك الجهة وكان مصحوبا فى غزوته هذه بابنه قرقلا فظهر على هذا الشقى شراسة أخلاقه وعنفوان شبابه وسعى فى قتل أبيه فى ضاحية النهار جهرة فانسل على هذا الرجل المسن وأراد قتله لولا أن تداركه صياح العساكر فالتفت سفروس بغتة ولما وقع بصره ونظر بوجهه العبوس الى قرقلا الشقى سقط السلاح من يد من أراد أن يقتل والده وعفا عنه فى الوقت فاندهش الواقفون واستغربوا من فعل الامبراطور وعلو همته ولكن قتل كل من كان داخلا مع قرقلا فى هذه المادة شرقتلة وما كانت هزيمة الكلودونيانيين فى ميدان مكشوف ووقائع حربية معتادة بل كانوا متفرقين شرذمات وطوائف قليلة العدد فى داخل الاورمانات وكانوا يسطون بغتة من كل جهة على جيش عدوهم ثم يعودون يختفون فى الغابات فأمر سفروس بقطع الاورمانات وتنظيفها او مسحها بالكلية لاجل حرمان هؤلاء المحاربين من الملاجئ المختفين فيها فكان ذلك من أشد الاشغال وأشقها فمن ثم أتلف هذا الحرب مضاربة ومرضا وقتلا نحوا من خمسين ألف نفس على سفروس بعد تمامه وجال فى الجهة الشمالية من بريطانيا وقرر الحد بين الرومانيين والكلودونيانيين أهل اصكوطلنده وترك الخطوط المستحكمة التى كان سلفه أنشؤها حدودا فى هذه الجهة وابتنى سورا استحكامات من الحجر من نهر سلوى الى نهر الطين فى طول ثمانية وستين ميلا ونصف وثخانته ثمانية أقدام وارتفاعه اثنا عشر قدما وحفر أمامه فى الجهة الشمالية خندقا

عرضه خمسة وعشرون قدما وعمقه خمسة عشر قدما ورتب فيه أربع فرق وأربعة عشر بلوكا من العساكر وهي قوة مؤلفة من ١٠٠٠٠٠ نفس موزعة على ثمانية عشر محطة فى طول الخط وسمى هذا بسد سفروس ثم تعكرت السنو الاخيرة من سلطنته وامتلأت بالقلاقل والارتباكات التي تولدت من ولديه قرقلا وغيطه واشتدت بينهما العداوة والبغضاء وكانا على هدو بينهما فى حال حياته فقط فجعل الاثنين خليفتين له حتى لا يكون أحدهما تحت رحمة الآخر وقال لهما على وجه النصيحة كونا كريمين ودودين لطائفة العسكرية ودوسا بأقدامكما على ما عدا ذلك ومات فى مدينة يوركه فى سنة ٢١١ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة وتسلطن ثمانى عشرة سنة

ثم استخلف من بعد سفروس ولداه قرقلا وغيطه سوية مع بعضهما مدة سنة واحدة مع الكراهة والريب الزائد من بعضهما وفى اخر هذه المدة سعى قرقلا واجتهد فى فصل المشاحنة بينه وبين أخيه بقسمة المملكة ثم قتل أخاه بين يدى أمهما فى سنة ٢١٢ بعد الميلاد وصار هو منفردا بالامبراطورية على حدته وكان فاجرا مهولا لا يمكننا أن نشرح سلوك سيره وأحوال أعماله الابقة ولنا انه كان رجلا مجنونا لا عقل له وشرع لاجل أن يتخلى من القدح والذم فى صفاته وقتله لاخيه ويزيل من أفكار الناس قتله لاخيه فى قتل كل من كان ينتمى لصداقة غيطه وصحبته فقتل فى ذلك نحو من ٢٠٠٠٠ نفس من ضمنهم ابنة ماركوس عوريلوس وابن برطينا كس وابن أخى كومودوس وقاضى القضاة بابنيان ومع كل هذا فانه لم يستقر فى راحته ولا هدأت روعته بما فعل من هذه الفعال فترك رومة وشرع فى سياحات لا قصد تحتها ولا غرض فيها فى جميع الاقاليم الواسعة من ممالكه وفى هذه السياحة تمت راحته وأثبت على نفسه أنه هو العدو الالد للنوع الانسانى فكان أينما توجه يجور ويعتدى على الاهالى بالضرر والاذى ويظهر شماخة نفسه وسمو مجده بعنفه وقساوته ومن بعد أن جال فى تراسة واسيا الصغرى كانت زيارته مصر من أشأم الزيارات وأقبحها على هذه المملكة من امبراطورها وذلك أن الاسكندرانية أهل الهجو والنقد وانكانوا على الدوام فى جنون وعيوب ونقائص الا أن حذاقتهم وفصاحتهم كانت دائما تلجئهم على الذم والطعن على أحكامهم ووجهوا ذمهم وطعنهم على قرقلا وتمسخروا عليه وضحكوا منه لما شاهدوه فى زى ارشيل والاسكندر الاكبر مع انه فى نفسه أقل الموجودين قيمة فى عصره وكانوا يذمونه على قتل أخيه وشروعه فى قتل أمه فطرقت مسامع قرقلا هذه النكت الركيكة المشؤمة حالما كان فى رومة واستمرت فى فكره لكنه لم يظهر أدنى غيظ أو غضب من أجلها ولما توجه الى انطاكيا أشاع رغبته فى التوجه لزيارة المدينة التى أسسها الاسكندر الاكبر وتكلم مع الكاهن فى معبد سرابيس فلما وصلت هذه الاخبار أهل الاسكندرية فرحوا وانتعشوا بزيارة امبراطورهم لهم وأعدوا مائة ثور تذبح تحت رجليه عند قدومه ولما جاءها دخل مدينتهم فى صفوف من المشاعل وكانت الآلات والموسيقات تصدح باطرب الاصوات وكان نسيم البحر معتدلا وريح الطياب ممزوجا بروائح العطريات والطريق مفروش بانواع الزهورات ومن بعد أن قضى الامبراطور بضع أيام فى الاسكندرية قرب فيها قربانا فى هيكل سرابيس وزار قبر الاسكندر الاكبر وخلع فيه برنسه القرمزى وخواتمه ومنطقته المرصعة بالجواهر والاحجار الثمينة ووضعها فى قبر هذا الشجاع وفرح الاسكندرانيون بضيفهم وزائرهم وازدحموا أفواجا فى المدينة لاجل الفرجة على ليالى التهانى المتوالية نهارا وليلا فى أعياد وأفراح فى حب الامبراطور المشحون قلبه بالحقد الزائد والغضب الشديد الذى لم

يظهره لهم وما شوهد على وجهه شيء تنفر منه أهل الاسكندرية من أحواله المكنونة في صدره ومن بعد تمام هذه الافراح أصدر منشورا من عنده بأن كافة شبان الاسكندرية الذين في سن الدخول في العسكرية يلزم أن يقابلوه في ميدان خارج المدينة وكان عندهم بعض أرط من المقدونيين والاسبرطانيين فمن ثم أظهر الامبراطور انه يرغب أن يشكل أيضا أورطة من الاسكندرانيين مثل هذه الارط فامتلأ الميدان بالوف من شبان المدينة ووقفوا صفوفا وجماعات على حسب درجاتهم وسنهم وموافقتهم لحمل السلاح وكذا جاء معهم الى الميدان أصدقاؤهم ومحبوهم وأهاليهم ليشاهدوا هذا الشرف الذي سيمنحه الامبراطور لاولادهم فسار الامبراطور من وسط صفوفهم وهنأهم بصوت عال بعزتهم ومحبتهم عنده وفي اثناء هذا أحاط الجيش بكامل الميدان وأخذ في القرب شيأ فشيأ من هذا الزحام حتى ضاقت الحلقة ولما رأى قرقلا قفل الحلقة انسل منها مع خفره وأعطى اشارته للعساكر فشرع العساكر بحرابهم ومزاريقهم ومدوها نحو الزحام وحملوا على أهل الاسكندرية وشبانها الموجودين في داخل هذه الحلقة بغير سلاح وشقوا العساكر بطون البعض وقطعوا رقاب البعض وغرق البعض في مجاري الخلجان والترع وكانت مذبحة مهولة حتى قيل ان المياه النيلية المصبوبة في البحر تغير لونها الى اللون الاحمر وقت انصبابها في البحر وعاد الشقي قرقلا مهنئا نفسه على فوزه باخذ ثأره من أهل الاسكندرية من أجل استهزائهم به ومسخرتهم عليه وما كان يوجد الاقليم واحده والذي نجى أهله من كثرة وقبائحه ولما عرف نفسه أنه صار ممقوتا مكروها عند رعيته تدارك أمره في اسداء معروفه وخيره العساكره فوزع فيهم مكافات جليلة واطف بهم في النظام والضبط وفي نحو غلاق سلطنته شرع في الغلبة على فارطية ونصب مركزه العسكري في عدسا من أعمال ميزوبوتاميا في سنة ٢١٤ بعد الميلاد وعبر نهر الدجلة وتغلب على اربل والحدسنة ٢١٦ بعد الميلاد طرد الفارطيين في داخل جبالهم الحصينة وعزم على استمرار الحرب في السنة التالية ومن قبل افتتاحه قتله مكرينوس نائبه العسكري والتزم مكرينوس على هذه الفعلة لاجل نجاة نفسه منه في سنة ٢١٧ بعد الميلاد

ومن بعد أن تردد الجيش قليلا في أمر مكرينوس أعلن بامبراطوريته وتقرر أمره من مجلس السناتو فابتدأ سلطنته باجتهاده في ازالته الاعمال القبيحة التي كانت جارية من قرقلا ولما هزمه ملك الفارطيين انسحب من الحرب واشترى الصلح وترتب من تطاماته وتدبيره أشغال المملكة ومباشرة أعمالها عدم قبوله عند الجيش فحصل له اختلال في عقله كما حصل لقرقلا فتشكلت ثورة ضده أضرمتها ميزيا خالة قرقلا وذلك أن أصل بيت سفروس من جهة النساء من نواحي سوريا فان يوليه هذه وهي يوليه دومنه امرأة سفروس وملكة هذا البيت كانت من أهل مدينة حمص من أعمال سوريا وبمجرد وصول زوجها الى التخت الامبراطوري وارتقت هي الى درجة امبراطورة قاسمتها أختها ميزيا في درجة هذا السمو وانتقلت ميزيا الى السراية الامبراطورية وتزوجت وخلفت بنتين سومياسه ومينيا كن بنتي خالة قرقلا وغيطه وتزوج البنتان وخلفت كل واحدة منهما ولدا ثم اتفق أن ميزيا توجهت الى مدينتها مسقط رأسها مع بنتيها وأولاد بنتيها في ثروة جسيمة فاضرمت الزعازع والقلاقل في سرعة سقوط مكرينوس طامعة في نقل قضيب الامبراطورية الى ولد من أولاد بناتها الانهما من بيت سفروس وأنها خالة قرقلا وكان في مدينة حمص مزار مشهور واسمه علغبلوس أي اله الشمس من أعمال الفنيقيين وآلهتهم وكان في هذا الهيكل المطنطن ابن سومياس متقلدا رياسة القسوسية وكان شابا عمره سبع

عشرة سنة وكان بالقرب من هذا المعبد فرقة من العساكر الرومانية من الجيش السورى فكان العساكر والضباط يتوجهون الى هذا المعبد ويتفرجون على رقص هذا الشاب الظريف على ضرب النايات والاعواد حول المحراب وهو فى أفخر ملبوسه وكانوا يعرفون ان أمه بنت خالة قرقلا فوجهوا محبتهم اليه ومالوا بكل جهدهم عليه وغطى ذهب ميزيا على عقول النافرين وقام العساكر من أجل خاطر ابن بنتها الكبير افيطوس أو باسيانوس فتولد من هذا حرب انفصل بواسطة جبن مكرينوس وتركه الميدان مع أن الواقعة كانت فى ريب إماله أو عليه فتبعته قوى خصمه وقبضوا عليه وجاءوه الى أنطاكيه وقتلوه فيها وشاركه فى عاقبة وبال أمره ابنه ديادومينوس وكان عهد اليه بالخلافة من بعده وكانت هذه الحادثة فى سنة ٢١٨ بعد الميلاد

وكان باسيانوس الامبراطور الجديد شابا سوريا وتلقب بلقب علغبلوس باسم الاله الذى كان رئيس القسوسية فى هيكله فى مدينة حمص ونسب نفسه انه من ذرية سفروس وقرقلا ثم لقب نفسه ماركوس عوريلوس انطونينوس الا أنه كان معروفا باسم علغبلوس فرضى الرومانيون وسلموا زعمه هذا وقرر مجلس السناتو بامبراطوريته فكانت سلطنته القصيرة مقصورة على أربع سنوات قبيحة الذكر سوداء الصحف فى التاريخ الرومانى لان ذات الامبراطور كان مجردا من الانسانية بالكلية وكان معتكفا على أردا الاحوال الحاوية لاكبر النقائص والعيوب وما كان عنده حزم أو فطنة يوصف بها وما كان يهتم بشئ سوى الشره والانهماك فى الفجور والفسق ونقش الوجه وتخطيط العيون والحواجب ودهان الوجه بالدودة والتزيى بلبس النساء وأظهر عيوبه ونقائصه جهرة أمام نظر العموم واستبدلت الاحتفالات الرومانية الجليلة بالخلاعات القبيحة السورية وعشق مخدرة عذراء وفصلها من حجابها المقدس وجعلها احدى أزواجه وتولد من تبذير واسراف هذا الامبراطور عجز واردات المملكة وفرش أرضية جهات سراياته بتبر الذهب وكان يلبس ملبوسه ومصاغه وحليه مرة واحدة ثم يخلعها على خدمه وحواشيه والطفيلية المتملقين له ووظف جدته عضوا فى مجلس السناتو فى رتبة بعد درجة القنصل ورتب مجلس سناتو من الستات والبنات خصيما لمجلس السناتو الاصلى تحت رياسة أمه فكانت سلطة هذا المجلس وأوامره ليس فيها صعوبة على المملكة لانها كانت مقصورة على أوامر وقوانين هيئة الملبوس وكيفية رسوم درجات التحيات فى وقت المقابلات والاحتفالات ووجود الناس فى الجمعيات

ثم استمر الرومانيون مذعنين مع الصبر لهذا الانسان المهين مدة أربع سنوات ولما رأت جدته بعين بصيرتها أن عيوبه ونقائصه المتسلطنة فيه يكون منها على خطر وهلاك استمالته فى قبول ابن عمه اسكندر سفروس خليفة من بعده وتولد من فضائل اسكندر هذا وكانت مخالفة بالكلية لعيوب هذا الامبراطور المهين نواله التفات قواد العسكرية اليه ولبس الامبراطور الغيرة والحسد له ولما خاف الامبراطور من ايقاعه باسكندر جهرة سعى فى دماره بالقتل خفية ولما رأى قواد العسكرية انه لا يمكن نجاة حياة اسكندر من يد الامبراطور الا بزوال دولة الامبراطور نفسه قاموا فى ثورة وقتلوا علغبلوس فى سنة ٢٢٢ بعد الميلاد والله أعلم

﴿الباب الثامن﴾

﴿من سلطنة اسكندرسفروس الى انتهاء سقوط المملكة الغربية الرومانية﴾

صيرورة اسكندرسفروس امبراطورا ـ سلطنته العظيمة ـ سقوط مملكة فارطية وقيام مملكة فارس المتوسطة ـ حروب بين رومة وفارس ـ وجود الجرمانيين فى الغلبة ـ صيرورة مكسمين امبراطورا ـ عتوه وقسوته ـ صيرورة غورديان امبراطورا ـ سلطنتا فيليب ودسيوس ـ غالوس وعمليان ـ صيرورة فلريان امبراطورا ـ حروب مع الامم المتبربرة ـ الحرب الفارسى ـ هزيمة فلريان وأسره ـ غاليانوس ـ مملكة بالميرا (تدمر) ـ كلوديوس ـ صيرورة عوربليان امبراطورا ـ سلطنته المهولة ـ تغلبه على بالميرا ـ زنوبيه ـ قتل عوربليان ـ صيرورة طاسيطوس امبراطورا ـ سلطنة فلوريان وكاروس ـ صيرورة دوقلطيان امبراطورا ـ اجرآته وأعماله القاسية ـ تدميره شوكة قواد الفرق العسكرية ـ تقسيمه الحكومة الامبراطورية ـ وقوع تغييرات كبيرة ـ كاروسيوس وقنسطنطينوس ـ مكسميان الافريقى ـ اخضاع دوقلطيان الثورة المصرية ـ الحرب مع فارس ـ التعدى على المسيحيين ـ اعتزال دوقلطيان عن التخت ـ قنسطنطين الاكبر ـ تشييد أحكامه على كامل المملكة ـ جعله الديانة المسيحية ديانة المملكة ـ انعقاد مجلس نيخيا ـ تأسيسه القنسطنطينية ـ عوده النظامات فى المملكة ـ حروبه مع الامم المتبربرة ـ قنسطنس ـ قنسطنطيوس ـ حربه مع فارس ـ يوليان الرافضى ـ خيبة مسعاه فى ازالته الديانة المسيحية ـ موته ـ صيرورة يوفيان امبراطورا ـ فلنطينان ـ وقائع سلطنته ـ الفلانيين ـ تحرك القبائل المتبربرة ـ غراطيان وفلنطينان الثانى ـ طيودوسيوس الاكبر ـ ضغطه على الديانة الوثنية ـ الامبراطور والقديس عمبروس ـ تقسيم المملكة ـ ثورة الغوطيين ـ وجود الغوطيين فى ايطاليا ـ هزيمتهم بواسطة سطيليخو ـ منع الوقائع الكفاحية ـ اغارة الغندال على ايطاليا ـ توطنهم فى أوروبا الغربية ـ اغارة جديدة من الغوطيين ـ ضبط علريق رومة ـ نهبها وسلبها ـ موت علريق ـ وجود الغوطيين فى اسبانيا ـ سلطنة فلنطينان الثالث ـ وجود الحونزيون فى ايطاليا ـ عطيلا ـ واقعة شالون ـ هزيمة الحونزيون ـ نهب الغندال رومة ـ ديسمبر ـ الامبراطورات الهزؤ ـ سرعة ضعف المملكة الغربية ـ صيرورة أوغسطوس امبراطورا ـ سقوط المملكة الغربية ـ قيام مملكة ايطاليا ـ قيام الامم الطوطونية حال سقوط المملكة

كان التباين والفرق بين اسكندرسفروس و بين ابن خالته علغبلوس كبيرا جدا وكان اسكندر هذا ابن ماميسة البنت الصغيرة لميزا فربته أمه وهذبته مع غاية الاعتناء وكان محمود الصفات نقى الخصال لكنه ما كانت فيه الشهامة الكافية لتوقيف سريان الفساد وصده حتى كنس المملكة وأوصلها الى درجة بوارها وزوالها فاتعب وكل واشمأز فى مدة سلطنته من أشغال حكومة مملكته وما هو متراكم عليها من الفساد والعفونة وقاد نفسه الى حركة ادارة أمه فكان الخير والنفع فى مدة هذه السلطنة وافرا جدا وكان منوال سير الامبراطور الشاب حسنا موافقا ونفوذ أمه وسلطتها فى غاية من السمو الا انه ما كان يوجد فى الاثنين قوة كافية لاجراء الاصلاحات الجاذين فيها ومع كون هذه المدة تسلطن فيها اللهو واللعب المباين للهو واعب المدة السابقة فقد تقدم فيها أهل الفضل وأرباب الذكاء والعقل من الرجال الى مراكز

الشرف والاعتماد وراعى مجلس السناتو مع الوقار والاحترام ما كان من حقوقه القديمة واجتهد اسكندر وسعى سعيا صادقا فى ادارة المملكة تحت قواعد خالية من النقائص والعيوب مع غاية الاقتصاد وفى غضون ذلك حصل تغيير كبير فى الدنيا الشرقية وهو سقوط ودمار المملكة الفارطية وقيام المملكة الوسطى الفارسية تحت سلطنة أردشير بابك وقتل ارطابانوس الرابع الملك الحادى والثلاثين من الكيانيانية أو ملوك الطوائف وهو آخر ملوك فارطية وذلك انه لما حصل الضعف فى هذه المملكة من كثرة ما حل بها من الاختلافات والمصائب التى تكررت عليها من نواحى الرومانيين رفع أهل فارس بيرق العصيان وقاموا فى ثورة على ملكهم تحت قيادة أردشير المذكور وكان ينسب نفسه انه من ذرية ساسان ومتصل الدم مع كيرش أو كيخسرو ونجح هذا القائد فى ثلاث وقائع كبيرة وأسس السلطنة الثانية الفارسية على أطلال المملكة الفارطية وابتدأت سلطنة العائلة الساسانية واستمرت الى زمن النبى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت فى مصادمات وملاطمات على الدوام مع الدولة الرومانية وعزم أردشير بابك على استرداد جميع ممالك دارا الاول فطلب من اسكندر الموجود على تخت الامبراطورية الحالية اخلاء كافة الاقاليم الرومانية فى آسيا فأجابه الامبراطور بكونه قاد عساكره وعبر نهر الفرات فى سنة ٢٣١ بعد الميلاد وظفر اسكندر فى هذا الحرب القصير بعدوه الا انه رأى فى نفسه أن لا طاقة له على ضبط الاقاليم الشرقية وكذا كان حصل العجز والضعف عند ملك فارس مما حل به من الخسائر حتى صار لا طاقة له على السعى فى الحرب وطرد الرومانيين من آسيا فوقع عقد الصلح بين الاثنين فى سنة ٢٣٢ بعد الميلاد

ثم انتشب خطر وهول جديد وقام على نهر الرين وذلك أن القبائل الجرمانية عبرت هذا النهر فى سنة ٢٣٤ بعد الميلاد وأغارت على الغلية فأسرع اسكندر لملتقاهم الا انه من قبل اجرائه حركات الحرب معهم صار ذبحه مع أمه بواسطة ثورة حصلت فى عساكره سنة ٢٣٨ بعد الميلاد ونادى العسكر على مكسمين زعيم الثورة بالامبراطورية وكان ترقى من درجة فلاح تراسيانى الى قائد فرقة من فرق العساكر فمع انه حاز الشجاعة والمهارة فى العسكرية الا انه كان جاهلا جلفا سفيها وحشى الطبع فسار فى مبادى الثلاث سنوات من سلطنته بغير سياسة ولا ادارة بل ببغضه للاشراف وطمعه فى أموال الاغنياء فتولد من خطفه وسلبه أموال الرعايا قيام أهل افريقة فى عصيان عليه وفى سنة ٢٣٨ بعد الميلاد قاموا عليه وتوجوا نائب قنصليتهم غورديان وابنه امبراطورين وصدق مجلس السناتو على هذا الانتخاب بخسارة ما كانت تظن فيه وكان مكسمين مشتيا فى هذا الوقت مع عساكره على نهر الطونه فسار مسرعا الى رومة فى أمل أن يحطم أخصامه ويبطش بهم بواسطة سرعة سيره هذا فهزم الغورديانيان وقتلا فى افريقة فى ظرف شهر من ابتداء عصيانهما فوضع مجلس السناتو مع الشهامة الكبيرة اثنين من أهل المجلس وهما بوبينوس وبالبينوس وبما أن الامبراطورين الجديدين لا طاقة لهما على ملتقى مكسمين فى الميدان خربا البلاد المكشوفة وحفظا المدائن المستحكمة مؤملين انه بهذا الرأى يغيظان خصمهما ولما صار صد مقاومة مكسمين بواسطة مقاومة عكلية اشتد غضبه على عساكره فقاموا عليه وقتلوه مع ابنه فى شهر مايو من سنة ٢٣٨ بعد الميلاد

ثم انه ما نتج من قتل مكسمين حالة فاصلة فى المشاحنات الجارية غيرت حالتها وصفاتها وما زالت المشاحنات حاصلة بين السناتو والفرق العسكرية بخصوص حقوق تسمية الامبراطورات ففصل

طائفة العسكرية مسئلة المشاحنة بواسطة قتلهم بوبنوس وبالبنوس فى ظرف ستة أسابيع من موت مكسمين وأجلسوا على التخت الشاب غوردنيان حفيد وابن أخى الملوك الغورديانية وكان رأس الثورة الافريقية ولبس القميص الارجوانى

وكان غوردنيان مجرد آلة فى يد وزرائه وكان عمره وقت ذاك اثنتى عشرة سنة ثم وقع أخيرا تحت سلطة النائب العسكرى طمسيطوس فكان ضابطا ماهرا فزوجه بابنته وكانت ادارة المملكة ومباشرة أعمالها فى مدة حياة طمسيطوس جارية مع الشدة وحزم الرأى وحفظت الحدود الشرقية مع النجاح والالتفات اليها من هجوم الفرس عليها وأخمدت الثورة التى كانت اشتعلت فى افريقة ولما عاد طمسيطوس من الحرب الفارسى ذبحه فيليب العربى وكان خلفه على قيادة الخفر الملوكى وكذا قتل غورديان على أيدى عسكره وجعل نفسه امبراطورا بدله فى سنة ٢٤٤ بعد الميلاد

وكان فيليب من أهل بوسطره من بلاد العرب فابتدأ فى سلطنته بعقد صلح مع فارس وهزم فى السنة التالية الكاربيين على نهر الدانوب الوسطانى وفى سنة ٢٤٨ بعد الميلاد أشهر الالعاب الصقولاريانية مع الاحتفال والابهة تعظيما للعيد المكمل للالف سنة من تأسيس مدينة رومة ولما غضب السوريون من حكم فيليب أقاموا امبراطورا أضحوكة اسمه يوطابيانوس وكذا أقام الفرق العسكرية فى جهتى موزيا وبانونيه مارينوس امبراطورا فاقتل كلا من هذين القائدين بسرعة الا أن الجيش ما زال مستمرا فى ثورته فأرسل فيليب أحد المفتشين من أعضاء مجلس السناتو واسمه دسيوس ليقود العساكر تحت طاعة القانون فاعتقد العساكر ما وعدهم به فيليب من عهوده ومواعيده أنه لا ينسى حالة سيرهم أبدا ما دام على قيد الحياة فأرغموا دسيوس على لبس القميص الارجوانى وتقلد زمام الامبراطورية وهددوه بالقتل ان لم يقبل ثم سار العصاة الى ايطاليا وهزموا فيليب وقتلوه فى نواحى فيرونه فى سنة ٢٤٩ بعد الميلاد وجلس دسيوس على التخت من دون معارض

وتسلطن دسيوس الذى جعل امبراطورا على غير غرض نفسه سنتين فقط فاجتهد فى أثناء هذه المدة القصيرة فى عود تقديس الديانة وطهارتها وعود الآداب بين الرومانيين الا أنه ما نجح فى اجتهاده فى تمام مقصوده من عود الآداب وسن مشروع الجور الفاحش على المسيحيين ووقعت مذبحة عامة فى أهل هذه الديانة بمدينة الاسكندرية وهلك فيها أساقفة انطاكيه وأورشليم وهلك الكثير من رومة وفى سنة ٢٥٠ بعد الميلاد حصلت الحادثة الكبرى للسلطنة وذلك أن الغوطيين جذب عقولهم ما كانت عليه المملكة من الثروة وكثرة الاموال فانتشروا على الحدود فى قوى كبيرة وخربوا داثيه وموزيا وأغاروا على تراسه فاجتهد دسيوس فى صد زحفهم فهزموه وفى السنة التالية اجتهد دسيوس أيضا فى احياء ما أصابه من الخسارة فانهزم شر هزيمة فى واقعة كبيرة حصلت فى موزيا وقتل مع ابنه وكان أشركه معه فى حكم المملكة

ثم ان الجيش رضى وسمح لمجلس السناتو فى تنظيم عقد خلافة التخت فقلد هذا المجلس غالوس وكان قائدا من قواد دسيوس وكذا هوسطليانوس الشاب ابن دسيوس زمام الامبراطورية وصار اشتراك فولسيانوس ابن دسيوس أيضا فى السمو الامبراطورى وكان غالوس هو الامبراطور فى الحقيقة لان سنه وخبرته بالامور والتجاريب رفعاه فوق رأس رفيقيه فكان أول شغل أجراه هو شراؤه الصلح من الغوطيين على أن يدفع لهم خراجا سنويا معلوما على شرط أن يكفوا غاراتهم عن الممالك الرومانية

فتكفل

فتكفل هذا الشغل بعزنه وقبوله فى رومة ومن ثم أخذ الخلاف الذى تولد من ذلك فى الزيادة بما حصل من الفتن والدسائس التى تكاثفت على المملكة وانتشر طاعون مخرب فى رومة وعم الممالك الرومانية فكان هوسطليانوس من ضمن المقتولين وخرب الامم المتبربرة بغاراتهم الجديدة الاقاليم الجنوبية من نهر الدانوب وأنزلوا بها المصائب والآفات فلما طرد عمليانوس حاكم بانونيه وموزيا هؤلاء المغيرين ودافع عن البلاد والعباد نادى عليه عساكره بامبراطوريته وزحف فى الحال على رومة فخرج غالوس وابنه الى ميدان الحرب للتقاه فقتلهما عساكرهما وقرر مجلس السناتو مباشرة عمليانوس امبراطورا فى سنة ٢٥٣ بعد الميلاد

وكان عمليانوس من أهل موريطانيا (مراكش) فمن بعد جلوسه على التخت بقليل حصل الخلاف والمنازعة من قلريانوس فى صعوده على التخت ولبسه الثوب الارجوانى وكان قلريانوس أحسن رجال عصره ذا أهلية كاملة وكان أرسله غالوس فى جلب الفرق العسكرية الموجودة فى الغلية وجرمانيا لمساعدته فلما تأخر وصوله عن خلاص غالوس وجه قلريانوس سلاحه على عمليانوس وهزمه وقتله فى المعركة من بعد أن تسلطن ثلاثة شهور

وقرر مجلس السناتو والامة قلريانوس للتخت من بعد موت عمليانوس وكان عمر قلريانوس فى ذلك الوقت ستين سنة فكان سنه كبيرا جدا فى مصارعته مع الاخطار التى حاقت بمملكته فاشرك معه ابنه غالينوس فى الحكم فى المملكة وجدد قلريانوس فى السنة الرابعة من سلطنته أعمالا شديدة قاسية على المسيحيين وسود قضيب مملكته بدماء ثبريان أسقف قرطاجنة وكان عالما بليغا ورعا وذلك أن والى حكومة افريقه أرسل واحدا من ضباطه مع جماعة من العساكر الى بساتين ثبريان لاجل جلبه أمامه فلما توجه الضابط الى الاسقف عرف الاسقف فى الوقت اقتراب أجله فسار مع الضابط من غير بطء مع استعداد تام وعقل ثابت ونشاط كبير الى سكصتى وهو محل على بعد مسافة ستة أميال من قرطاجنه كان قاطنا فيه والى الحكومة فتأخرت قضية الاسقف ذلك اليوم فأمر بوضعه فى بيت أحد الحكام فقضى الاسقف فيه الليل مع غاية الراحة فى محادثة مع أحبابه وكان الوالى سمح لهم بالدخول عنده والمحادثة معه ولما شاع فى قرطاجنه خبر القبض على الاسقف هرع الناس من كافة الطوائف على اختلاف أجناسها والمسيحيون على العموم الى سكصتى ووقف قوم ثبريان على باب دار الحاكم طول الليل سهرانين يراقبون ماذا يكون من أمر أسقفهم وفى اليوم الثانى خرج الوالى الى محل جلوسه وأحضر أمامه ثبريان فقال له أأنت طاسكوس ثبريان فأجابه الاسقف أنا ذا فقال له الوالى ان الامر المقدس الامبراطورى قضى بذبحك واهراق دمك فأجابه ثبريان أنا لا أذبح ولا يهراق دمى فأجابه الوالى اقبل نصيحتى فقال ثبريان افعل كما أمرت فانك لا تحتاج لمشورة فى أمر عدل مثل هذا فلما استشار الوالى مجلسه قال لثبريان مع الغضب أقوالا ردية ثم قال له أنت عدو الآلهة ومضل غوى مبين وقرأ عليه حكم المجلس مصدقا عليه الامبراطور بان طاسكوس ثبريان يجب قطع رأسه واهراق دمه بسبب اغوائه الامة واضلالها فقال ثبريان الحمد لله وله المنة والشكر وهو ولى فزعق الزحام الموجود خلفه من اخوانه اقطع رؤسنا جميعا معه وكان المحل الذى صار انتخابه لقتل ثبريان فيه ميدان على مسافة فرسخ من المدينة محيط به أشجار كبيرة ازدحم الناس فوقها وتحتها لمشاهدة هذا المنظر المحزن فقطعت فيه رأسه والصليب فى يده وعلى صدره وما عارضت الحكومة فى دفن جثته فأخذت فى مشاعل من النور ليلا ودفنت فى قرافة

المسيحيين
وانتهى ظلم فلريانوس وجوره بدخوله فى حرب مع فارس وذلك أن مملكة فارس وسعت أراضيها مع العجلة فى الجهة الشمالية لها على مصاريف المملكة الرومانية تحت قيادة ملوكها الجديدة الساسانية وفتح سابور الملك الثانى من هذه العائلة أرمينية وأغار على ميزوبوتاميا فخرج اليه فلريانوس بجيوشه فهزمه سابور وأخذه أسيرا فى سنة ٢٨٠ بعد الميلاد وما قبل سابور منه ما قدمه اليه وعرضه عليه من فديته وحافظ عليه عنده موثقا فى الحديد والاغلال لابسا قيصه الارجوانى وتاجه وعذبه عذابا شديدا ودام أسر فلريانوس وسجنه فى ديوان سابور بهذه الحالة وهذا شئ ماسبق مشاهدته مطلقا فى تاريخ الدنيا وقد ذكرنا ان فلريانوس كان أشرك معه فى حكم المملكة ابنه غالينوس فى سنة ٢٥٤ قبل الميلاد فلم يحصل منه أدنى سعى ولا اجتهاد فى خلاص أبيه من ربقة الاسر بل بمجرد ماسمع بأسر أبيه صار هو امبراطورا بمفرده وفى مدة سلطنته التى كانت عبارة عن ثمان سنوات انهمك فى لذاته وسلك مسالك قبيح موبقاته واستمرت الفتن والقلاقل منتشرة فى كل قسم من أقسام ممالكه فاستمر الخراب المتولد من الوباء والطاعون فكان يخرج من رومة كل يوم نحو من خمسة آلاف ميت فى وقت ارتفاع ظهوره وأضيف الى حالة الطاعون تسلطن الجوع والقحط وغارات الامم المتبربرة الهمجية على المملكة وان الفرنك أو الفرنج (أحرار الناس) وهو اتحاد تشكل من القبائل الجرمانية الموجودة على الجهة السفلى من نهر الرين انفجروا فى الغلية وعبروا جبال البرنات الى اسبانيا ومن بعد أن أفسدوا فى الحيث جزيرة وجاسوا خلالها عبروا من مضيق جبل طارق الى افريقة وعاثوا فيها وسلبوها ونهبوها وكذا الالمانى وهو اتحاد آخر تشكل على حسب كثرة النفوس واختلاف السلاسل والانساب عاثوا فى الاقاليم الموجودة فى جنوب الدانوب وشكلوا غارات سلب ونهب وساقوا فى سيرهم حتى وصلوا مدينة رافنه من أعمال ايطاليا ولما صار الغوط أسياد الساحل الشمالى من البحر الاسود أقلعوا فى أساطيل كثيرة صنعوها من غابات برور البحر الاسود ووصلوا البوسفور فى قوارب ومراكب مسطحة ونزلوا على سواحل الجريس وآسيا الصغرى وتغلبوا على مدن كثيرة منها صافرز وكالثيدون وافسوس ونهبوها وحرقوها وتغلبوا أيضا على قورنثه وأثينه ونهبوهما وسلبوا كافة المدائن الغنية من أموالها وزخارفها الموجودة على خط سيرهم وأما فى الشرق فان سابور من بعد أن تغلب على ميزوبوتاميا أغار بجيوشه على سوريا وسكب عساكره من دروب جبال طوروس فى قبدوثيا

وخلاف هذه الغارات البرانية وجدت عدة ثورات داخلية وانفجر الهياج وخربت المملكة وصارت على شرف السقوط وازدرى الحكام القادرون بضعف وعجز الامبراطور غالينوس وجعلوا أنفسهم ملوكا مستقلة فى ممالكهم ونجحوا فى خلاصها من المغيرين عليها ومن ثم جعل أودناطوس نفسه فى رأس المدينة الكبيرة التجارية التى هى رأس مملكة بالميرا أو تدمر القديمة وجمع جيشا من البدو والاعراب وأرغم ملك فارس على أن يسلم له كل ما فتحه حتى هجم عليه فى عاصمته قطزيفون (المدائن) مع الظفر والنجاح على نهر الدجلة وكذا تشكلت مملكة ممتازة دخل فيها الغلية واسبانيا وبريطانيا تحت امرة بوسطوموس فصد عنها القبائل السلابة خلف نهر الرين واستمر خلفاؤه من بعده فى سلطنة مستقلة مدة سبع عشرة سنة وذكر التاريخ انه حدث ثلاثون طاغية متسلطنة فى جهات مختلفة فى مدة سلطنة غالينوس وما تداخل الامبراطور فيهم ماداموا فى بعد بعيد من ايطاليا فقال جبون

المؤرخ ان الامبراطور كان أستاذا فى عدة تحف ونوادر الا انه ليس على علم نافع فكان خطيبا مستعدا وشاعرا بليغا وبستانيا ماهرا وطباخا ظريفا وملكا لا أهلية فيه فانه ما كان فيه طاقة على فعل شئ زيادة عن كونه اجتهد فى المدافعة عن ايطاليا من المدعين وذلك انه استيقظ من غفلة كسله عندما أعلنت الفرق العسكرية الموجودة فى الجهات الالريانية قائدها عوريلوس أمبراطورا فسار فى رأسها الى ايطاليا الشمالية فأظهر غاليانوس درجة نشاط وشهامة ما كانت تعهد فيه وزحف على خصمه وهزمه فى واقعة سافكة وحصره فى ميلان وفى حالة ما كان مضايقا بالحصار على ميلان استيقظ كبار ضباطه لعدم موافقته ولياقته لمركزه فتآمروا فى خلعه ثم قتل بيد انسان غير معلوم وقت ركوبه على حصانه ليلا فى سنة ٢٦٨ بعد الميلاد

ومن ابتداء هذا التاريخ انتقلت الامبراطورية الى سلسلة من الحكام أهل شوكة وشهامة وان كانوا جميعا وضيعى المولد من أهالى الاقاليم الموجودة على الدانوب فأحيوا سعادات المملكة مدة من الزمن وأزاحوا عنها أعداءها وأعادوا اليها اتحادها الداخلى وذلك أن العساكر منحوا السمو الامبراطورى على كاوديوس أحد قوادهم فمع ثباته وتدبيره ومهارته ضبط الاعمال المؤدية لخراب المملكة مدة من الزمن وظفر بالالمانى وطردهم من ايطاليا فى سنة ٢٦٨ بعد الميلاد وانتصر على الغوطيين فى نواحى موزيا فى السنة التالية ومات فى سنة ٢٧٠ بعد الميلاد فى نواحى صرميوم من بعد سلطنة قليلة محمودة لبثت سنتين فاز فيها بخلاص المملكة مما كان حائقا بها من الاخطار والاهوال وأحياها من العدم مرة أخرى من بعد أن أشرفت على الدمار وأوصى وهو على فراش موته بأن يكون الخليفة من بعده عوريليان أحد قواده لانه كان يرى فيه الكفاءة والاهلية لتمام الاشغال التى ابتدأها بنفسه

وكان عوريليان عسكريا من أهل السعادة مثل سلفه فكان ابن واحد من خدم المزارعين ووصل الى درجة القائد والامبراطور من درجة عسكرى مع أنه كان وضيع الاصل وعلى أى حالة ما كان أهلا للمنصب العالى الذى ارتقى اليه ولبثت سلطنته أربع سنوات وتسعة شهور فكانت من أبهى السلطنات وأجلها فى تاريخ رومة فانه أنهى الحرب الغوطى بتبديده جيوش الغوطيين وقطع دابرهم من بانونية سنة ٢٧٠ بعد الميلاد وطرد الجرمانيين من ايطاليا وأحيا نظام الجيش وقواه ومن ثم صار على غاية من النصر والظفر الذى ناله وكان من سياسته أن جمع القطع المتفرقة من المملكة مع بعضها وأهاج حربا من أجل ذلك على مملكة بالميرا وكان أوديناطوس أقام هذه المملكة وشيدها فى سنة ٢٦٤ بعد الميلاد ومد حكمه على سوريا وما جاورها من الممالك ثم قتل فى سنة ٢٦٧ بعد الميلاد وخلفته أرملته زنوبيا نائبة عن أولادها ودبرت المملكة باسمهم وكانت زنوبيا من الابطال المشهورين فى التاريخ فكانت خفيفة الحركة لينة الاعصاب جميلة الصورة شريفة النفس عفيفة محبة للاشغال وأداء الاعمال فى معسكرها واصطياد النمورة والآساد وكانت تتكلم باللسان السورى والجريقى والمصرى ولها دراية تامة بعقارنتها الشدة مع الرأفة والاقتصاد مع الكرم فى أحكامها وادارتها وكانت لا تظهر الا وعلى رأسها الخوذة وكانت تزدرى بخداع النساء فكانت على الدوام على ظهر حصانها فاستعد عوريليان للاغارة على مملكتها فأعاد منها سوريا ومصر وآسيا الصغرى والتقى مع جيوشها وهزمها فى ضواحى انطاكية ثم انتصر جيشها الاصلى فى واقعة حصلت بالقرب مع مدينة حمص وسار الامبراطور خلفها

وحاصر مدينة بالميراوشدد عليها فى الحصار ثم تسلمها بسبب ما وقع فيها من الجوع والقحط وأرادت زنوبيا النجاة بنفسها خلف الفرات فقبض عليها الامبراطور وحافظ على حياتها لتكون زينة فى موكب نصره وقتل نوابها ووزراءها وقوادها وكان من ضمن المقتولين الفيلسوف ديونيسيوس لونغينوس وجرد المدينة من أموالها وخزائنها وارتد راجعا الى ايطاليا فلما وصل بيزانطيوم وردت عليه أخبار الثورة وقيام تدمر وقتل المحافظين الرومانيين الموجودين بها فقام الغضب فى أم رأسه وأسرع مجدا فى سيره بعساكره حتى دخلها وقتل الاطفال والنساء والطاعنين فى السن والمزارعين وما أبقى شيأ فى المدينة ولا فى الغيطان الادمره وأما زنوبيا فانها نقلت الى ايطاليا وسارت على أقدامها فى خلخال من الذهب فى موكب نصر الامبراطور عوريليان ثم قضت الباقى من أيام حياتها فى عز وشرف فى محل خاص بها فى ضواحى رومة مثل أحد أمراء رومة فهذا الذى أجراه عوريليان فى جهة الشرق وأما فى جهة الغرب فان ططريقوس كان زاد فى مملكة بوسطموس باضافته اليها اسبانيا وبريطانيا فعاد عوريليان على هذه المملكة وفى سنة ٢٧٤ بعد الميلاد نجح فى خضوعها وانقيادها لحكمه وكان عوريليان من قبل هذه الحروب حصن العاصمة وحفظها من هجوم المتبربرين عليها ومن وصول غاراتهم اليها على حين غفلة منها وكان ترا آى للمتبربرين أن لهم الطاقة على الدخول فى ايطاليا مع الابهة والفخر وشيد عوريليان سورا جديدا قفل به الضواحى التى استجدفيها البناء وكانت هذه المبانى أقيمت خلف سور سرفيوس طوليوس وتنازل عوريليان للغوطيين والفندال من اقليم داثيه المتجاوز الحد فى البعد عن المملكة وكانت خسائره من طرف المملكة من ابتداء ما أضافه طراجان الى المملكة أكثر بكثير من المنافع الواردة منه وانتقل الرومانيون منه الى جنوب نهر الدانوب ولما دمر عوريليان مملكة ططريقوس استعد فى السير الى نواحى الشرق لتهييج الحرب على فارس فقتله جماعة من ضباطه أطمعهم فى فعل هذه الجريمة الاثيمة كاتب أسراره فى سنة ٢٧٥ بعد الميلاد

ويولد من قتله غضب الجيش ورفض العساكر الترخيص بتعيين أى واحد من ضباطهم فى تقليده لبس الارجوانى وطلبوا من مجلس السناتو تعيين أمبراطور جديد وانتظروا جواب مجلس السناتو ستة شهور مع الصبر وأخيرا عين المجلس كلوديوس طاسيطوس أحد أعضائه وكان ذا ثروة وافرة مهذب الاخلاق عظيم السريرة الا انه كان متقدما جدا فى السن على تقلده هذا السمو فاحتج طاسيطوس فى عدم قبوله درجة الامبراطورية بالنظر لتقدم سنه فلم يقبل المجلس منه قولا وقلده لبس القميص الارجوانى فتسلطن ستة أشهر أو سبعة كانت أعماله فيها احياء الآداب والقوانين التى كانت صدرت فى زمن الجمهورية القديمة ثم دعى الى آسيا الصغرى من أجل اغارة حصلت من قبيلة علانى وهى قبيلة صيطيانية وما كانت له عادة على تحمل مشاق وأتعاب العيشة العسكرية مع أن عمره كان ينيف عن خمس وسبعين سنة وكان لا طاقة له على الاشغال التى وضعت فوق ظهره فغرق جسمه فى بحور مصاعب السفر وحل به التعب والفكر فمات فى طيانه من أعمال قبدوقيا فى سنة ٢٧٦ بعد الميلاد

وبمجرد وصول الاخبار فى رومة بموت الامبراطور تقلد فلوريان أخو طاسيطوس سمو الامبراطورية وألبس الجيش الشرقى قائدهم عوريلوس بروبوس الثوب الارجوانى وصارت الحالة على شرف الوقوع فى حرب داخلى فتجنب عساكر فلوريان هذا الحرب ورفضوا قبول المضاربة مع اخوانهم ثم قتلوه من بعد مضى ثلاثة شهور وصار بروبوس امبراطورا بمفرده وكان بروبوس من أهل صرميوم من

أعمال بانونيه وكان أهلا للبس الارجوانى من مدة مضت فكان قائدا ماهرا وسلطانا صاحب حزم وحمية وشدة عكف نفسه مع الصدق والاستقامة على رفاهية رعيته وافتكر فى نفسه أن له طاقة على المحافظة على تمام هذه الرفاهية بكل من السلم والحرب وفى مدة الفترة التى مضت فى الحرب مع فلوريان سار الفرنج والفنذال وقبائل أخرى جرمانية أفواجا ودخلوا الغالية واستحوذوا على سبعين مدينة وتغلبوا على الاقليم فسار بروبوس اليهم وحاربهم وهزم جيوشهم على التوالى وأرغمهم باعادة مانهبوه من الغنائم والاسلاب وطردهم الى داخل بلادهم ومااكتفى بهذا بل عبر نهر الرين وأجرى حركاته العسكرية على شواطئ نهر نيكار ونهر الالب وأخضع تسعة ملوك من الجرمانيين وأنشأ بروبوس لاجل صد اغارات هذه الامم وحفظ حدود ممالكه سدا بناه بالحجر فى ميدان متسع وطول هذا السد نحو من مائتى ميل يبتدئ من نواحى راطسبون على نهر الدانوب الى ونفين على نهر نيكار وينتهى بنهر الرين وأخضع الصرماطيانيين وأرغم الغوطيين على الانقياد لعقد الصلح وأوقع الرعب فى الجهات الشرقية بقوته وشوكته حتى انقادت له مصر وتدارك الفرس محالفتهم معه واجتهد فى توطيد ثغور المملكة والمحافظة عليها وأسس مستعمرات من المأسورين فى الحروب ومن مهاجرى القبائل الاغراب ووزع عليهم الاراضى من الجهات الغير المعمورة من ممالكه ووزع عليهم مواشى وآلات زراعة وكل مايلزم لفلاحة الارض وغراسها ولما استتبت الراحة والامن فى ممالكه التفت الى أمر الزراعة والفلاحة والتجارة وقوى عليها وأسكن الامم المتبربرة الذين كانوا دخلوا فى الحضارة فى مستعمرات فى حدود ممالكه وصاروا هم المحافظين عليها من اخوانهم العديمى الحضارة واستعمل فى أوقات السلم الفرق العسكرية فى أشغال نافعة مثل تصفية المستنقعات والبرك والاراضى النزية وجعلها صالحة للزراعة وفى حفر الترع والخلجان وبناء القناطر وانشاء السدود وغرس الكروم وعموم أشغال الفلاحة والزراعة وحالما كان مشتغلا بغرس كروم فى جبل علمه وتصفية مياه مستنقعة بالقرب منه فقد العساكر صبرهم فى هذا الشغل من شدة حر الشمس وقاموا فى ثورة وقتلوه فى السنة السادسة من سلطنته ومن بعد قتله فى سنة ٢٨٢ بعد الميلاد ندموا على مافعلوا واحتفلوا بدفن جثته وبنوا عليه بنيانا تذكارا له ونقشوا على رخامه بروبوس الامبراطور عدل فاتح المتبربرين وقامع الغاصبين ثم جعل العساكر كاروس القائد النائب أمبراطورا فعين ولديه كارينوس ونوميريانوس فى وظيفة القياصرة وأشرك كارينوس معه فى حكم المملكة وترك له حكومة الغرب وسافر كاروس الى الشرق وأخذ معه ابنه الاصغر وانتقل الى الريقوم فهزم الصرماطيانيين ثم أغار على الممالك الفارسية وأخضع ميزوبوتاميا وتغلب على مدينتى صلوصيه وقطزيفون (المدائن) العاصمة القديمة الفارسية وعبر نهر الدجلة ولما أشرفت المملكة الفارسية على الخراب من حروبه مات من علل وأمراض أصابته على قول بعض المؤرخين أو أصابته صاعقة محقت حياته على قول آخرين فى سنة ٢٨٣ بعد الميلاد فتولد من المخاوف الخرافية التى تسلطنت فى قلوب العساكر الرومانية من هذا الموت الذى أصاب الامبراطور بغتة أن قاموا وألزموا نوميريانوس بالقهقرة والعود فى داخل حدود الممالك الرومانية وفى أثناء هذا السير ذبحه حموه مؤملا فى ذلك تيسر الحصول على ضبط التخت الا أن الفرق العسكرية بمجرد كشفهم هذه الجريمة القبيحة ألبسوا دوقلطيان قائد عساكر الخفر الامبراطورى الثوب الارجوانى فقتل قاتل نوميريانوس بيده وسار الى الجهة الغربية وفى أثناء هذه المدة انهمك كارينوس فى الفجور والموبقات والفسق

والسفاهة حتى تولد له من ذلك كراهته عند عموم أهل الدنيا الغربية ولما سمع بتقدم دوقلطيان سار فى رأس جيش كثيف لمقابلته وحصلت بينهما واقعة فى نواحى موزيا انهزم فيها جيش دوقلطيان الا أن كارينوس قتل فى أثناء هذا النصر والذى قتله واحد من ضباط عسكره كان حصل له منه الضرر والاذى ورضيت عساكر كارينوس بأمبراطورية دوقلطيان فى سنة ٢٨٥ بعد الميلاد

وكان دوقلطيان من سلسلة عائلة دنيئة جدا من دلماطيه وولد فى ضواحى مدينة سالونه وكان عمره أربعين سنة لما وصل الى درجة أمبراطورية المملكة فى ظرف سنة ٢٨٥ بعد الميلاد وتعرف هذه السنة فى الحسابات التاريخية بتاريخ دوقلطيان وتعرف أيضا بتاريخ الشهداء بسبب ما أوقعه دوقلطيان من الظلم والجور والقتل فى كبار أرباب الديانة من المسيحيين وحرق كنائسهم ومعابدهم وكانت مستعملة تاريخا عند كتاب المسيحيين من بعد أن صرفوا النظر عن تاريخ سنة أوقطافيوس أوغسطوس ولحد الآن جار استعمال التواريخ من هذه السنة عند الحبشة والقبط من مصر وتولد من جلوس دوقلطيان على تخت المملكة عصر جديد فى تاريخها وذلك انه لغاية الآن من ابتداء موت كومودوس كانت سلطنة الامبراطورات فى غاية من الاشكال والتعقيد بما هو حاصل من وقاحة الفرق العسكرية من تقليد امبراطور وخلع آخر بزعم أن لهم الحق فى التقليد والخلع وكذا بواسطة النفوذ القانونى الذى خصوا به مجلس السناتو ومن ثم كان الجيش فتح مسئلة لا انقضاء لها ولا حل ومنها تمكن الخراب والدمار فى المملكة الرومانية من قبل أن يأتى اليها الخطر والاذى المهددا لها من الامم المتبربرة الهمجية بمدة طويلة فأدخل دوقلطيان طائفة العسكرية تحت نظام قواعد قوانين ثابتة وفى مدة سلطنته الشديدة حصل التغيير وتقوت ادارة الحكومة ونفوذها وعرف الجيش حقيقة موقعه وانه خادم المملكة الا انه ما حصل اتمام الاصلاحات والنظامات التى ابتدأ فيها دوقلطيان لحد سلطنة قسطنطين فمع انه حصل منها نتائج تقوية الحكومة الامبراطورية وحصل منها شوكة جديدة للمملكة فى الوقت الا انها دعت الى تقسيم المملكة وصارت القسمة مسئلة الوقت الحاضر وذهب دوقلطيان مذهب التقسيم لقصد المحافظة على المملكة وعلى نفس الامبراطور وتوطيد نظام عقد الخلافة على التخت

ولما وطد دوقلطيان حكومته فى سنة ٢٨٦ بعد الميلاد شرع فى أعماله على حسب ما كان يؤمله من تقليل أو ازالة المضار والآفات الموجودة فنقل تخت حكومته فى عاصمة نيقوميديا الطريفة قاعدة بسنيا وجعلها دار مقره وفى هذه المدينة فى السنة الثالثة من سلطنته انتخب رجلا عسكريا فظا غليظا اسمه عوريلوس فلريوس مكسميانوس وكان أحد قواده وأشركه معه فى حكم المملكة وكان مكسميان ترقى فى الرتب بالدرجات وقبل أن يكون الا قائدا عظيما وألبسه الزى ولقبه أوغسطوس وقسم المملكة من دون تجزئة بينهما فأخذ دوقلطيان الشرق وأخذ مكسميان الغرب ومن بعد مضى ست سنوات زادت الاخطار والمصاعب فحصل العزم على أن كلا من الامبراطورين ينتخب لنفسه تابعا يكون خليفة له تحت لقب قيصر وأن يكون القيصران من شبان الرجال ذوى النشاط والطاقة على الاشغال يتكفلان بالاحكام والاقاليم المعرضة لغارات المتبربرين وفى سنة ٢٩٢ بعد الميلاد تشكلت هذه الادارة الرباعية وتعين قسطنطيوس كلوروس مساعدا مع مكسميان وغاليريوس مع دوقلطيان وكان دوقلطيان رأس الاتحاد الرباعى ولما قبل الاثنان قسطنطيوس وغاليريوس منحة

هذا الشرف عليهما طلقاز وجهيهما وتزوجا على التوالى ابنة وربيبة أوليائهما ثم قسم دوقلطيان المملكة بين هؤلاء الاربعة ملوك فجعل لمكسيميان ولنفسه الاقاليم المعمورة وأفاض على الاثنين قيصرية الاقاليم التى تحتاج للشبان ومن هو أكثر نشاطا فى الاشغال فأعطى قنسطنطيوس أقاليم الغلية واسبانيا وبريطانيا مع شغل محافظة الرين الاسفل من اغارة الجرمانيين وأعطى غاليريوس الاقاليم الدانوبية ونيروقوم وبانونيه وموزيا وجعل لمكسيميان ايطاليا وافريقه وأبقى لنفسه ثراسه ومقدونيا ومصر والشرق وكان مشروع قاعدة هذا التقسيم حفظ اتحاد المملكة وبقائها فكانت القياصرة تراعى رياسة الاوغسطوسية عليها وكان مكسيميان مقوى فى ذاته بنفوذ لفظة أوغسطوس واستمر هذا الترتيب المعقد جاريا فى مدة حياة دوقلطيان لما ان نفوذه وسلطة شوكته كانت كافية فى بقاء الموازنة والتعادل فى المملكة

ومن بعد تمام هذا الترتيب ظهرت نتائج هذه الطريقة الجديدة وذلك أن الشوكة نزعت من أيدى قواد طائفة العسكرية وآلت الى عائلة ملوكية دولية وحصل من قاعدة الاشتراك التى استصوبت على منوال كبير ثبات الحكومة وتدبير أعمالها تحت قواعد قوية وتدونت نظامات وترتيبات جديدة مختلفة الهيئة جميعها موافق للحكومة الاستبدادية وزال نفوذ مجلس السناتو بالكلية وانقرض المنع والصد الذى كان يجريه هذا المجلس لحد هذا الوقت ومع أن أعمال هذا المجلس كانت عبثا وعلى حسب أغراض الحكم الاستبدادى الواقع من طرف الامبراطورات الا انه لاريب فى انه كان يفعل اجراآت نافعة قليلا عن الحاجة الشديدة وانتقلت دواوين الاحكام من رومة الى مدائن أخرى فكانت مدينة دوقلطيان نيقوميديا ومدينة مكسيميان ميلان عاصمة مملكته ومقر غاليريوس مدينة صرميوم ومقر قنسطنطيوس مدينة طريفس ولما ألغيت رومة من أن تكون عاصمة للمملكة الرومانية صار مجلس السناتو عبارة عن مجلس دائرة بلدية يباشر أشغال مدينة واحدة من مدائن أقاليم المملكة ولما لم تعط امتيازاته التى تجردمنها الى مجلس غيره صار الامبراطور وحده منبع القانون والشرف ورأس الحكومة والسلطنة وقلل دوقلطيان عدد قواد طائفة العسكرية احترازا من مداخلتهم ومن عدم حفظهم معسكرهم فى نواحى رومة ولئلا يكون لهم طاقة على سن قوانين أو اجراء مشروعات ضد الامبراطورات وعزم على كسر شوكتهم بالكلية الا أن الذى تمم هذا الشغل قنسطنطين وزيادة على ذلك فان تعدد الامبراطورات وأخذ الاحتياطات التى أجريت فى شأن حفظ التخت وتوطيد سلامته كل هذا صير درجة الامبراطورية ومقامها بعيدا عن الاخطار والمضار التى كانت حاصلة من سطوة العسكرية

وفى سنة ٢٨٦ بعد الميلاد انفجرت ثورة فى بريطانيا وذلك أن كاروسيوس أحد قواد البحرية كانت عهدت اليه قيادة محافظة سواحل بريطانيا والغلية وأسطول كبير فعصى على الامبراطور ولما انتصر على العساكر الموجودة فى بريطانيا ضبط هذه الجزيرة وجعلها مملكة مستقلة وزاد فى عمارته البحرية وأنشأ مراكب وسفنا جديدة وجعل نفسه سيد البحور الغربية فبذل دوقلطيان ومكسيميان جهدهما وفعلا الافعال الشديدة العنيفة فى قمعه وانقياده الا أن ما فعلاه كان على غير طائل وألزمهما أخيرا على قبولهما بان يكون رفيقا لهما مع لقب أوغسطوس فى سنة ٢٨٧ بعد الميلاد ولما تعين قنسطنطيوس قيصرا وأعطيت له الاقاليم الغربية هيج حربا على كاروسيوس فى سنة ٢٩٢ بعد

الميلاد وتغلب على بولونيه من بعد حصار طويل واستعد لغزو بريطانيا والاغارة عليها فوردت عليه الاخبار بذبح كاروسيوس بواسطة رئيس من ضباطه اسمه علقطوس فى سنة ٢٩٣ بعد الميلاد وفى سنة ٢٩٦ بعد الميلاد نزل قنسطنطيوس فى بريطانيا وهزم علقطوس وأعاد فى الجزيرة السلطنة الرومانية وطرد الجرمانيين فى السنة التالية من الغلية وأسكن أسراه فى مستعمرات على الاراضى التى كانوا خربوها وانفجرت ثورة فى أفريقه فذهب مكسميان بنفسه الى افريقه وأخمد هذه الثورة وأعاد النظام فيها وكانت سلطنة دوقلطيان احدى المزعجات الشديدة المؤلمة المكدرة على قليلى البخت المصريين فانه فى السنة الرابعة من سلطنته قام أهل الصعيد الاعلى فى حرب عدوانى على الحكومة الرومانية ولقبوا شخصا منهم اسمه اشيلوس وكان زعيم الثورة امبراطورا فساق غاليريوس القائد الرومانى جيشا على العصاة وسار من وسط أراضى طيوة فمع ان المصريين تبدد أمرهم فى كل جهة دافعوا فيها مع الجراءة والجسارة وقت لقائهم الفرق العسكرية فى الوقائع الحربية الا انه ما صار حطم الثورة على حسب اللزوم مع السهولة فانه ما كان منقادا للرومانيين الا من كان بالقرب من معسكرهم وفى السنة الرابعة من الثورة وصل الامبراطور دوقلطيان نفسه الى مصر وحاصر كلا من مدينتى قفط وبوزيريس ودمرهما من بعد حصار منتظم أجراه عليهما ولما وصل دوقلطيان الحدود الجنوبية من مصر حكم بنفسه على ما هو حاصل فى هذه الجهات من المصاعب والاغارات ورأى انه لا فائدة فى الحقيقة فى الاجتهاد والسعى فى ضبط أى قطعة من اتيوبيه ووجد أن الخراج الجارى جمعه من هذه الجهة أقل بكثير من تكاليف ونفقة العساكر الموظفة لجمعه وجبايته فعقد محالفة جديدة مع نوبطيا وترك لها كافة أراضيها فى نوبيا وقوى الاستحكامات الموجودة فى جزيرة الفنطين وجعلها نقطة خفر الحدود واتفق على أن يدفع سنويا مقدارا من الذهب لرؤساء قبائل صحارى النوبة حتى كفوا عن الاغارة على مصر من الجهة الجنوبية ورجع قافلا الى عاصمته

ثم تولد بين جريق الاسكندرية فى المصريين ثورة أخرى وقام الاسكندرانيون بعجاجهم ونادوا على اشيلوس بالامبراطورية فعاد دوقلطيان مرة ثانية لاخضاع هذه العاصمة الكبيرة وكان العصاة أحكموا أمرها حتى صار لا يمكن التغلب عليها الا بهجوم منتظم فاحاطها دوقلطيان بسور وخندق وقطع عنها مجارى المياه وما تحتاجه من المؤن ومن بعد حصار طويل استمر ثمان شهور تغلب دوقلطيان عليها بالهجوم عنوة وقبض على أشيلوس وقتله وعزم على عقاب أهل المدينة وعذابهم وانحرق قسم عظيم من المدينة فى وقت الهجوم عليها عنوة وعند دخول الامبراطور فى المدينة راكبا على حصانه عثر الحصان ووقفت العساكر بغتة فعرف دوقلطيان أن ذلك أمر نزل من السماء بعدم معاقبة أهل المدينة فانشرحت صدور أهل المدينة من وقوع هذه الحادثة وأقاموا فى ميدان الواقعة الذى عثر فيه الحصان تمثالا من البرنز على صورة الحصان وفوقه الامبراطور وحلوه بأنواع النقوشات تذكارا لهذه الحالة وقيل ان الاسكندرانيين أقاموا العمود المسمى الآن عمود بومبى أو عمود السوارى ونصبوا فوق رأسه هذا التمثال ونقشوا على قاعدته لجلالة الامبراطور الاعظم معتق أهل الاسكندرية الامبراطور الذى لا يغلب دوقلطيان وفى قول آخر ان الامبراطور لما تغلب على الاسكندرية عنوة وقتل امبراطورها اشيلوس خصمه عاقب سكانها بمذبحة عامة قتل فيها ألوفا من الارواح والانفس وأما غاليريوس فانه كان مشغولا من عدة سنين بالمدافعة عن الثغر الدانوبى الذى عهد اليه ثم فى سنة ٢٩٧ بعد الميلاد عبر الى

الشرق

الشرق وأغار على فارس فانهزم فى مبدأ أمره شر هزيمة وخسر خسارات جسيمة ثم جمع جيشا جديدا وهزم نرسى ملك فارس حتى ألزمه على عقد صلح بشروط موافقة لرغبة الرومانيين فى سنة ٢٩٨ بعد الميلاد ثم ابتدأت مضار الطريقة التى أجراها دوقلطيان فى نحو غلاق سلطنته وذلك أنه تولد من ترتيب أربع دواوين امبراطورية بدل ديوان واحد كثرة تعدد الحكام والضباط والجيوش وازداد بذلك مقدار الضرائب والخراج حتى ثقلت أحمال الضرائب وانهرست الاقاليم تحت أثقال الخراج الذى ربط عليها وصارت جباية الاموال من الاهالى من الصعب فكان الحكام تارة يستعملون الشدة وتارة يستعملون العذاب حتى يمكنهم الحصول على جباية الاموال فمن ثم غرقت الحرف والاشغال تحت عباب هذه الطريقة وحرمت الصنائع من المكاسب وأخذت المحصولات فى النقص الفاحش وارتفعت أسعار كل شئ موجود فاجتهد دوقلطيان فى سنة ٣٠١ بعد الميلاد فى زوال هذا الضرر وأصدر لائحة تتضمن النهاية الكبرى لقيمة وسعر الاشياء الموجودة اللازمة لاحتياجات معيشة وراحة الاهل فدخل هذا المنشور طبعا فى أشغال قوانين التجارة ففسدت الحالة المقصودة من هذا القانون وما حصل من هذه اللائحة الا الزيادة فى الاذى والضرر الذى أراد دوقلطيان مداواة علاله

وتولد من سرعة انتشار الديانة المسيحية فى الممالك الرومانية خوف وارتعاب لدوقلطيان وكان هذا فى نحو غلاق سلطنته وكان دخل فيها ما ينيف عن النصف من رعيته فصمم على ضربها آخر ضربة معتقدا فيها دمارها وزوالها فاصدر فى سنة ٣٠٣ بعد الميلاد أمرا يقضى بتنظيم العبادة الدينية فى كافة أنحاء المملكة فكان المسيحيون مشهورين بأنهم أهل نظام وثقة ورعايا على صداقة تامة للامبراطور فتولد من رفضهم الامر الصادر منه القاضى بارتدادهم عن دينهم خروجهم عن حوزة القانون الامبراطورى وعدم الانقياد لطاعته فهيج حربا مفنيا عليهم وقتل منهم ألوفا فى كل اقليم من ممالكه وضبط أملاكهم وعقاراتهم وهدمت كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم وما أصاب المسيحيين الموجودين فى الطرف الغربى تحت حكومة الجنبرال المتنور قنسطنطيوس أدنى أذى من أعدائهم ومع ما كان المسيحيون فيه من القتل والدمار والجور والتعدى الذى صار واعرضة له فانهم استمروا بالقوة الفعالة فى انتشار دينهم ووظفوا بدل الذين قتلوا منهم آخرين فى المصالح الديانية ودخل فى الدين كثير من الناس بدل الذين استشهدوا وماتوا على دينهم

وفى سنة ٣٠٥ بعد الميلاد كل دوقلطيان وتعب من المحاذرة والاجتهاد فى علو درجته فتنازل عن التخت وألزم مكسميان بالتنازل أيضا مثله ومن ثم صار كل من غاليريوس وقنسطنطيوس اغسطوسين ووظف غاليريوس فى الوقت كلا من مكسمين وسفروس قيصرين فتولد من هذا التوظيف غضب شديد فى الفرق العسكرية الموجودة فى بريطانيا واستقبحوا فعل قنسطنطيوس فى عدم انتخابه قائدهم خليفة من بعده وبمجرد موته أعلنوا ابنه قنسطنطين خليفة من بعده فما سعى غاليريوس فى مقاومته هذا التعدى الذى حصل على النظام الجديد الجارى العمل على موجبه فى الممالك الرومانية وأقر قنسطنطين على القيصرية ورفع سفريوس الى درجة الاغسطوية ومن ثم حفظ نظام عقد الامبراطورية فوطد قنسطنطين ممالك أبيه فى الجهة الغربية وكان عند سفريوس ايطاليا وافريقة وعند مكسمين سوريا ومصر وأبقى غاليريوس لنفسه جميع الاقليم الكائن بين الغلية وسوريا ومقداره ثلاثة أرباع المملكة

ونشأ من فقدوانقراض صيت رومة وشهرة اسمها بسبب تقسيم المملكة وقيام عواصم جديدة كانت مقر الحكومات تولد الكراهة الشديدة عند الايطاليانيين وقام النفور بين أعينهم فانفجرت منهم ثورة عدوانية فى سنة ٣٠٧ بعد الميلاد فعين السناتو مكسنطيوس بن مكسميان امبراطورا وانضم مكسميان مع ابنه واستلم زمام الاوغسطوية وكان تنازل عنها بأمر دوقلطيان فاسرع سفروس الى رومة واجتهد فى اخماد الثورة فتركه عساكره فقتل نفسه بنفسه واتحد مكسنطيوس ومكسميان مع قنسطنطين وصار لهم الطاقة الكبيرة على هزيمة القوى التى وجهها غاليريوس بخصوص اخضاع ايطاليا وألزموا غاليريوس بالتقهقر والانسحاب الى جهة الشرق وفى سنة ٣٠٩ بعد الميلاد حصل الاتفاق بعمل نظام صارت به المملكة محكومة بست امبراطورات وهم قنسطنطين ومكسميان ومكسنطيوس فى جهة الغرب وغاليريوس ومكسمين وليثنيوس فى جهة الشرق وكان ليثنيوس ارتقى الى درجة القيصرية بمعرفة غاليريوس لممات سفروس

واستمر هذا الترتيب بضع سنين فقط وكان حصل الارتباك فيه فى الابتداء بمشاحنة وقعت بين مكسنطيوس وأبيه فالتزم مكسميان على الهرب من ابنه الى ديوان قنسطنطين وكان متزوجا فقابله قنسطنطين أعظم مقابلة فى الاول وحياه ورحب به ثم ظهرت عليه خيانة كان يرغب بها خلع زوج ابنته فقتله فى سنة ٣١٠ بعد الميلاد ومات فى السنة التالية غاليريوس فى مدينة نقوميديا وكان غاليريوس من أشد الظالمين الجائرين على المسيحيين زيادة عن دوقلطيانوس ومن ثم صارت الدنيا الرومانية محصورة فى يد أربع امبراطورات هم قنسطنطين فى الغرب ومكسنطيوس فى ايطاليا وافريقه وليثنيوس فى الريقوم وثراسه ومكسمين فى مصر وآسيا فأما مكسنطيوس فانه أغضب رعاياه ونفروا منه بسبب ما أجراه معهم من الجور والظلم فاستغاثوا بقنسطنطين فى طرده عن التخت وأن يضم ايطاليا وافريقه الى ممالكه وكان قنسطنطين أثبت لنفسه مهارة القيادة والبسالة بما ظهر منه من ظفره ونصرته فى مقاومة الفرنج والالمانى حتى أبعدهم عن الغلبة وبواسطة محافظته على المسيحيين وحقوقهم نال الثناء والمحبة عند اخوانهم فى جهات عموم المملكة وكان يجتهد كثيرا فى الحيادة عن الحرب والبعد عنه لكنه لما وجد مكسنطيوس شارعا فى الاستعداد على الاغارة على الغلبة سبقه قنسطنطين ودخل ايطاليا فى رأس ٤٠٠٠٠ نفس وعبر الالب من درب جبل ثنيس من دون مقاومة ولا مناضلة فانفصل الحرب بقوة قنسطنطين وسرعة حركات العسكرية وهزيمة خصمه فى واقعتين واحدة بالقرب من فيرونه والاخرى عند باب الاعمدة فى رومة وجعل نفسه سيد رومة وايطاليا وغرق مكسنطيوس فى نهر الطيبر فى أثناء الواقعة الاخيرة وأسرع قنسطنطين فى ربط علاقات ممالكه مع بعضها فكان أول عمل أجراه هو تفريق طائفة الخفر العسكرى الموجود فى رومة وكان مكسنطيوس زاد فى قوته حتى بلغ نحوا من ٨٠٠٠٠ نفس ومن تفريقه هذه القوة جرد مجلس السناتو مما كان فيه من آثار السمو والرفعة التى كانت باقية عنده وكذا جرد رومة من القوة التى كان يخشى منها فى تنفيذ أغراضه ومقاومتها له وكان ذلك فى سنة ٣١٢ بعد الميلاد

وفى السنة التالية انتشب حرب فى جهة الشرق بين ليثنيوس ومكسمين فانهزم مكسمين فى واقعة كبيرة حصلت بالقرب من هرقلية ومن بعد مضى قليل قتل مكسمين نفسه بنفسه وترك الى ليثنيوس سيادة الشرق بمفرده فلم يستكف ليثنيوس بهذه النصرة والغلبة بل رغب أيضا فى طرد قنسطنطين من الغرب

وبواسطة ما أجراه من الدسائس هيج حرباً على عدوه فى سنة ٣١٤ بعد الميلاد فانهزم ليثينوس والتزم على أن يتنازل عن بانونيه وايلير يقوم وموزيا ومقدونيا والجريس لقسطنطين فى سنة ٣١٥ بعد الميلاد ثم أعقب ذلك سلم لبث سبع سنوات ونكثه قسطنطين بطمعه وعزمه على أن يكون سيد الدنيا الرومانية فجرد على ليثينوس وهزمه مرة أخرى ووقع ليثينوس فى يد قسطنطين فقتله فى سنة ٣٢٢ بعد الميلاد

وصار قسطنطين فى هذه الحالة السيد الوحيد فى المملكة الرومانية وحاز لنفسه لقب (الاكبر) فجمع أقسام المملكة وأجزاءها مرة ثانية الى بعضها وأشهر نجاحه ومظفراته بالحادثة العظيمة التى حصلت فى سلطنته وهى أن جعل الديانة المسيحية دين المملكة وأصدر فى سنة ٣١٣ بعد الميلاد منشوراً عرف بمنشور ميلان متكفلا للمسيحيين بالمساواة مع رعاياه الآخرين والمحافظة على كامل حقوقهم وبناء على هذا المنشور قال عوزبيوس أسقف قيصرية والعهدة عليه فى هذا انه فى أثناء حركة قسطنطين فى واحدة من حركاته محارباً مكسنطيوس رأى قسطنطين بعينيه علامة النصر لامعة من الصليب مكتوبة أو منقوشة فوق مدار الخط الجانبى لدوران الشمس وكان نقشها بهذا تم الفتح أى بقسطنطين يكون الفتح فاستغرب قسطنطين واندهش الجيش من رؤية هذه الآية العجيبة وكان قسطنطين على غير أفكار من التمسك بالديانة المسيحية فتولد من عجبه لهذا الامر دخوله فى هذا الدين من رؤية رآها فى منامه فى الليلة التالية وذلك أنه رأى المسيح واقفاً أمامه فى صورة العلامة السماوية التى كان رآها فى الصليب وأمر قسطنطين بعمل بيرق مثلها وسير على مكسنطيوس متوجاً بتاج النصر على غيره من كافة أعدائه وهذه الحكاية مسندة فى حكمها الى عوزبيوس وزعم المذكور أنه سمعها من نفس فم قسطنطين وكان أبو قسطنطين يظهر الميل والمعروف والكرم نحو المسيحيين ويحترم ماهم عليه من الفضائل والعقائد الديانية ومال اليهم بخيره ومعروفه وترعرع ابنه قسطنطين محافظاً على عقائدهم ومن ثم صار لاعجب فى دخوله أخيراً فى هذه الديانة وحضانة أهلها وما حصلت مدة بمجرد دخوله فى الديانة بل أذاع قبوله واستصوابه العقائد المسيحية والدخول فى الديانة جهرة وفى سنة ٣٢٤ بعد الميلاد فصل مسائل الديانة وأحكامها بان جعلها ديانة المملكة وأشار على كافة رعاياه بالسير على منواله وأن يكونوا أسوته من دون بطء فى الدخول فى الديانة المسيحية الحقة وفى نفس هذا الوقت سمح للوثنيين من رعاياه باجراء شعائر دياناتهم من دون خوف عليهم غير أنه ظهر للوثنيين أن الاسوة بالامبراطور واكتساب التفاته وخيره هو أجل وأعظم فترك الالوف منهم الديانة الوثنية ودخلوا فى هذا الدين الجديد وأما طوائف التألف والعمران الواطية فمن حيث انها محكومة باحكام التشابه والتقليد صار لاحاجة لدخولهم فى الديانة بالنسبة لشرفهم فى المولد أو رفيع الدرجة أو ثروة الاموال بل دخلوا فيها أفواجاً وما كانت شوكة قسطنطين وأعماله مقصورة فى حدود حياته مثل أسلافه فى ممالكه بل وعلى التربية والتهذيب الذى أفاضه على أولاده وأولاد اخوته وتولد من اغداقه على عائلته بجودة التربية أن حفظ للمملكة سلسلة من الملوك كانوا على ذمة وتقوى فى الدين وعلى صداقة لرعاياهم حسبما جبلوا عليه من التربية فى أيام طفوليتهم والشوكة التى حازوها وعلو الدولة لاسيما العقيدة المسيحية وتولد من الحروب نشر المعارف الانجيلية ومن التجارة ونشر علاقاتها انتشار الديانة المسيحية وراء تخوم الاقاليم الرومانية وعرف الامم المتبربرة الذين كانوا عاكفين على عقائد

الديانة الوثنية الدنيئة مقدار الديانة التى دخل فيها أكبر ملك وأعظم أمة متمدنة فى عالم الكرة وما بحث قسطنطين عن معدته نفسه الى حد قرب حياته الا أنه كان رئيس المجلس الاول العمومى الذى التأم فى نيخيا من أعمال بسنيا بامره فى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد من أجل ما حصل فى الديانة المسيحية من الاختلافات والمناقضات بين أحبارها وعلمائها وكانت أصل المشاحنة بين اسكندر قسيس الاسكندرية وقسيس آخر اسمه اريوس فى مسئلة هل الابن من جوهر الاب أو من جوهر مشابه له وكان اسكندر أسقف الاسكندرية قرر أن الابن والاب من جوهر واحد وأما اريوس فكان مخالفا لعقيدة رئيسه وقرر بان الابن ليس من جوهر الاب فحصل بين الاثنين مشاحنة انقسم فيها أهل مصر والاسكندرية المسيحيون الى حزبين متباغضين ووقعت بينهما مشاحنات طويلة حتى عرض عنها اسكندر أسقف الاسكندرية الى الامبراطور قسطنطين فكان الجواب الذى كتبه قسطنطين جواب رجل سياسى دقيق النظر فى أشغال ممالكه وكانت هذه المسئلة وأمثالها ما عرضت على أحد من الملوك اسلافه خلافه فقال لهما فى جوابين لكل واحد منهما انهما أبرزا مسائل بين العالم لا فائدة فيها ولا احتياج للحكم والفصل فيها ولو أنها مقوية فى احياء العقائد الضعيفة فكان الواجب اخفاءها فى الصدور وعدم نشرها ويولد الشقاق منها والتحزب عليها وتأسف من هذا التعصب الديانى الذى حل بمصر وجعل أهلها فى ارتباك بينهم وأمر الاسقف اسكندر بعدم سؤال القسيس اريوس مرة أخرى فيما يعتقده من عقائده وأمر أريوس بعدم رد الجواب ان وصل اليه أى سؤال من طرف الاسقف فما وقعت هذه الاوامر موقع القبول عند العقائد الاسكندرانية وأخذت المشاحنات والمنازعات مأخذهما حتى ارتبكت منها الحكومة المحلية من ابتداء وصولها الى مسامع الامبراطور فدخل الامبراطور أخيرا فيها وأمر بعقد مجلس من أجل فصل هذه المسئلة الديانية وانتخب مدينة نيخيا من أعمال بسنيا محل الالتئام فاجتمع فى هذا المجلس من الاقاليم الشرقية مائتان وخمسون أسقفا خلاف ما يتبعهم من زحام القسس والرهبان وكان تحت رياسة نفس الامبراطور قسطنطين فكانت نتيجته القرار بان الاب والابن من جوهر واحد وصدر بذلك أمر الامبراطور الى كافة أقاليم المملكة وأمر آخر بنفى أريوس وأتباعه من الاسكندرية وكان الاساقفة الذين حضروا فى هذا المجلس من الجريس وثراسة وآسيا الصغرى وسوريا وبلاد العرب ومصر ولبيا وواحد أو اثنان من أوروبا الغربية وعرف منشور المجلس بمنشور نيخيا

وما تنازل قسطنطين عما كان عليه من دعوى الملوك الرومانية فى محافظته على استمرار أن له الحق فى مباشرته المسائل الدينية والدنيوية وعامل أعضاء هذا المجلس بكل ما أمكنه من درجات الوقار والاحترام وقال آخرون انه ما قبل التصريح فى التعدى على أريوس وأتباعه عند ما صدر أمر المجلس فى حقهم بعقاب النفى وأمر بابطال جميع الشعائر التى كانت مخلدة عند أهل الديانة الوثنية وسن قوانين جديدة شديدة بمنع هذه الشعائر حصل منها الضرر الاكبر للديانة الوثنية لما لم يقبل أربابها أوامر الامبراطور وفى مدة قسطنطين وقعت الضربة الاخيرة على العاصمة القديمة للمملكة وقضى الامر بان لا تكون رومة مركزا وعاصمة للحكومة الرومانية وانتقلت منها السلطنة الى مدينة جديدة بناها الامبراطور على أطلال بيزانطيوم الجريقية وسماها على اسمه تخليد الذكره باسم القسطنطينية وقسم المملكة الى أربع نيابات وهى الغلية ومعها اسبانيا وبريطانيا ثم ايطاليا ومعها افريقة وريطه وبانونيه

ونير يقوم ودلماطيه ثم الريقوم ومعهاداتيه (بالغاربة الآن) ومقدونيا ثم نيابة الشرق وتشتمل مصر وتراسة وجميع الممالك الموجودة فى آسيا وقسم كل نيابة الى عدة مديريات وكل مديرية الى عدة أخطاط ومن ثم احتاج تقسيم المملكة لتشكيل ثلاث درجات من الحكام محصور فيها درجة شرف المملكة وكانت هيئات جمهوريات الاحكام القديمة خفيت منذ زمن طويل فما سعى قسطنطين فى احيائها مرة أخرى ورتب دواوينه على منوال موافق لمنوال الهيئات الشرقية لا الهيئات الغربية فدخل بين الملك والامة فواصل عديدة من الحكام ورتب الجيش بأن زاد فى عدد عساكره وقال فى قوته بواسطة نقص عدد الفرق العسكرية فكان عدد نفوس الجيش المخصوص بالمحافظة على ثغور المملكة وحدودها ٦٤٥٠٠٠ نفس فكان معظم هذه القوة من مستأجرى الامم المتبربرة على الخصوص لان التبعة الرومانية فقدوا الذة مطعم الحروب

وكان قسطنطين رفع درجة ابنه الاكبر كريسبوس الى القيصرية وعمره سبع عشرة سنة فكان محبوبا عند الامة فتولد عند قسطنطين من هذه المحبة غيرته منه وحسده له فقصد كريسبوس خيانة أبيه وساعده ابن أخيه ليثينوس وشابان آخران فجلبوا جميعا للمحاكمة وقتلوا فى سنة ٣٢٦ بعد الميلاد هذا قول بعض المؤرخين وقال آخرون ان جريمة قتلهم لم تعلم أحصل منهم خيانة فعلا أو كان قتلهم بسبب الحسد والغيرة فقط

وكانت سنو قسطنطين الاخيرة معكرة ومكدرة بما حصل فيها من تعدى الامم المتبربرة الموجودة فى شمال الدانوب وذلك أن الغوطيين أغاروا على السرماطيانيين وانتصروا عليهم فتوسلوا بمساعدة الرومانيين فبرز قسطنطين بنفسه الى الميدان والتقى الغوطيون وهزمهم شرهزيمة ولما قسم غنائمهم خص السرماطيانيين القليل منها فغضب السرماطيانيون من هذه القسمة وأخذوا بثأرهم لانفسهم بكونهم أغاروا على الاراضى الرومانية بصفة سلب ونهب لا بصفة تملك واستحوا فسمح قسطنطين للغوطيين بالاغارة عليهم وسلب أملاكهم جزاء بما فعلوا ثم أعقب هذه الآفة ثورة أخرى من الرقيق التزم فيها السرماطيانيون على الانجلاء من أراضيهم والالتجاء فى داخل أراضى المملكة الرومانية فعين الامبراطور لبعضهم أراضى فى ايطاليا وفى مقدونيا وتراسة وبانونية وكانوا نحوا من ٣٠٠٠٠٠ نفس فى سنة ٣٣٤ بعد الميلاد ثم ان قسطنطين رفع ابنه الثالث قسطنس وابن أخيه دلماطوس الى وظيفة القيصرية على أمل توطيد الأمن واستتباب الراحة فى المملكة وكذا رفع درجة ابن أخ آخر له اسمه حنبليانوس الى درجة ربكس أى ملك وقسم حكومة الاقاليم المختلفة للمملكة بين أولاده الثلاث وأولاد اخوته ومات فى مدينة نيقوميدية فى يوم ٢٢ مايه من سنة ٣٣٧ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن نحوا من احدى وثلاثين سنة

ومن بعد موت قسطنطين ضبط ابنه الثانى قسطنطيوس العاصمة وقتل الذين فيهم الكفاءة والطاقة على أن يمدوا أيديهم له بسوء كأنهم أعداء له ولم ينج من أعمامه الاغالوس ويوليان وبهذا انقسمت المملكة بين أولاد قسطنطين الثلاثة فخص قسطنطين الثانى وهو الكبير فيهم العاصمة والغلية واسبانيا وبريطانيا وأخذ قسطنطيوس تراسة والشرق وخص قسطان ايطاليا وافريقة والريقوم الغربية فما اكتفى قسطنطين الثانى بنصيبه بل اجتهد وكد فى اغتصاب ممالك أخيه فانهزم وقتل بالقرب من أكيليه وأضاف قسطان ممالك أخيه قسطنطين الى ممالكه واستمرت سلطنته مدة عشر سنوات على ثلثى

ممالك أبيه أى من سنة ٣٤٠ الى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد وفى آخر هذه المدة خامه واحد من قواده اسمه مغننطيوس وقتله وكان قسطنطيوس فى غضون ذلك مشتغلا بحرب دموى مع الفرس ومن بعد أن مات طريداطيس ملك أرمينية وكان صديقا للرومانيين ونشر الديانة المسيحية فى ممالكه تعصب الارمن واستصوبوا دخول الفرس فى أرضهم وبلادهم بصفة أصدقاء ومحالفين لهم فهزم الفرس الرومانيين فى تسع وقائع شديدة وما كان قصد الفرس الا ارتداد الخمسة أقاليم الموجودة خلف نهر الدجلة التى كان حصل التنازل عنها للرومانيين فى مدة سلطنة غاليريوس لاأقل وكانوا قليلى النجاح فيما فعلوه من أعمال الحصار على مدينة نزب واستمرت هذه المدينة الحصينة التى قاومت ثلاث حصارات مشهورة باقية تحت أيدى الرومانيين وساقت خيالة الفرس فى غاراتها وتخريباتها فى الجهات الغربية حتى وصلت الى البحر الابيض المتوسط وتغلبوا فى واحدة من هذه الغارات على مدينة انطاكيا ونهبوها وأغار فى نحو هذا الوقت المزاغيطيون وهم قبيلة صعيطية على الاقاليم الشرقية الفارسية فعقد سابور ملك الفرس هدنة مع امبراطور الرومانيين بقصد التفاته الى هذا الخطر الجديد الذى حل بمملكته فكان هذا الفرج عظيما أيضا عند قسطنطيوس وكان وجوده فى الجهة الغربية من أهم الامور لانه بالاضافة الى مغننطيوس قام فطرانيو قائد الفرق العسكرية فى الريقوم وقلد نفسه امبراطورا فسار قسطنطيوس الى اقليم الدانوب وأخذ كل أمر مخالف لحكمه بحركات شديدة فى ظرف الثلاث سنوات التى جاءت بعد وأرغم فطرانيو على التنازل عن التخت الذى كان أقامه لنفسه واعتزل فى حياته عن الاقاليم فى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد ثم رجع على مغننطيوس ووجه عليه جيوشه وسلاحه وهزمه مرتين احداهما فى مورسه من أعمال بانونيه فى سنة ٣٥١ بعد الميلاد والاخرى فى جبل صلقوس فى الغلية فى سنة ٣٥٣ بعد الميلاد ومن هذه الهزيمة الاخيرة قتل مغننطيوس نفسه بنفسه فمن ثم من بعد ست عشرة سنة من موت قسطنطين الاكبر انضمت ممالكه الى بعضها من بعد أن كانت مشتتة وصارت تحت سلطنة ابنه الملائم لحكمها وادارتها

وانقضت مدة الثمان سنوات التى حكم فيها قسطنطيوس المملكة بمفرده فى حروب مستمرة وتولد من حرب قسطنطيوس مع مغننطيوس ضعف القوة العسكرية فى المملكة ووهنها ولما تقوى قسطنطيوس بطريق التعدى على أراضى أعدائه تركوا محافظة الثغور والحدود فسكب سابور ملك الفرس فى هذا الوقت عساكره فى داخل اقليم ميزوبوتاميا فالتقى الامبراطور وهذه الارتباكات بقلب صلب وبذل جهده وطاقته فى مقابلتها ثم ان الاقاليم وان كابدت مالاقته من تعدد غارات الاعداء عليها الا أن الاعداء لم يحتل واحد منهم قطعة أرض من الاراضى الرومانية بحالة دوامية وهزم قسطنطيوس الكادين وساق خلفهم الى بلادهم فى سنة ٣٥٧ بعد الميلاد وفى سنة ٣٥٩ بعد الميلاد أرغم السرماطيانيين على قبولهم ملكا معتمدا عينه لهم الامبراطور من طرفه وكان وائتمنه وفى سنة ٣٦٠ بعد الميلاد طرد الفرس من الاراضى والبلاد التى كانوا تغلبوا عليها واحتلوها بجيوشهم ومابقى على قسطنطيوس الا ارتباكات علاقات عميه غالوس ويوليان فطلب عمه غالوس فى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد من الجهة التى كان ألزمه الاقامة فيها وأنعم عليه برتبة القيصر وعهد اليه زمام حكومة الشرق فكان غالوس غير موافق بالكلية لمثل هذا الموقع فانه نقض مع الخزى والعار وناقة الامبراطور فيه فدعاه اليه فى سنة ٣٥٤ بعد الميلاد وأمر بقتله وفى السنة التالية طلب عمه يوليان أخو غالوس من أبيه من

نواحي أثينة وكان مشتغلا فيها بتلقي علم الفلسفة وأحسن اليه برتبة القيصر وعهد اليه حكومة الغلية وحصلت هذه الحادثة في مدة الامبراطورة عوزبيه وكان الامبراطور في مبادى أمره غير واثق بعمه يوليان فعامله بالشدة والقسوة فأظهر يوليان للامبراطور كفاءته وطاقته بأي حالة كانت للعهدة التي أحالها عليه فكان حاكما ماهرا بينها خاليا من الاعمال المؤدية للخزي والعار وهزم الالماني والفرنج في عدة وقائع في ظرف ثلاث سنوات من بعد دخوله في الحكومة وطردهم من الجهات التي كانوا تغلبوا عليها في الغلية الى الشاطئ الايمن لنهر الرين وأغار ثلاث مرار على أراضيهم وخرب جرمانيا في طولها والعرض وخلص من الاسر ٢٠٠٠٠ نفس من الرومانيين ثم عاد الى الغلية محملا بالغنائم والاسلاب وأعاد بناء مدائن الغلية وكان المتبربرون دمروها وخربوها وجعل باريس مركز شتويته وحلاها بسراية بناها فيها ومكعب وسرك وحمامات ورفع منار طرق الفلاحة والزراعة وحض على الصنائع والتجارة فأنتج نجاحه في ذلك الحسد اعند الامبراطور وغيرة منه وطلب العساكر الموجودة معه عثماني وهن يوليان ودماره لو صار تركه من دون وجود القوة اللازمة لحفظ مركزه فرفض الفرق طاعة الامبراطور ونادوا على يوليان بامبراطوريته عليهم في سنة ٣٦٠ بعد الميلاد ولما وجد يوليان أنه يستحيل الصلح مع قسطنطيوس سار بجيوشه الى نحو الشرق لاجل فصل مسئلته بالسلاح فمات قسطنطيوس بغتة في سنة ٣٦١ بعد الميلاد وانفصل وقوع حرب داخلي وتقرر الامر الى يوليان مع الابتهاج في عموم المملكة

وكان أول التفات اعتنى فيه يوليان الامبراطور الجديد هو نقص واقتصاد ما فيه الديوان الامبراطوري من رفاهية العيش والاسراف في المصاريف فعاقب حكام السلطنة السابقة الذين أجرموا في ظلم الاهالي وطرد ١٠٠٠٠ جاسوس كانوا مشكلين هيئة من الحكومة من عهد سلطنة قسطنطين الاكبر وما لبس يوليان الثوب الارجواني وما تلقاه من دروس علم الفلسفة جعل له التفاتا قليلا بالمحافل الرسمية المخصوصة بمسنده وعكف نفسه على أداء الخدمة الواجب عليه أداؤها للعموم واستمر في عيشة بسيطة وحالة اقتصادية مزعجة ومع انه كان جيد الصفات الا أنه قذر سلطنته ووسخ حالته وكذب على عقائده الدينية الفلسفية بجور وتعد يؤسف منه وكان لا فائدة فيه ولا ثمرة منه على المسيحيين فكان وثنيا من المجرمين ومن عباد الله الخاسرين ثار على أعمامه المسيحيين وحصل له اختلال في عقله وقتل كافة عائلته ونشر كراهته على قرابته ودياناتهم ورفض الديانة المسيحية وجعل نفسه ومملكته تحت حماية وحفظ ما يقال لهم الآلهة المخلدة وجعل الديانة الوثنية ديانة المملكة مرة أخرى ومع هذا فان الوقت كان انقضى نحبه في تعويله على رماد الديانة المسيحية لانه صار لها جذرا عميقا في الارض يستحيل عليه قلعه من أرض المملكة وما قدر الامبراطور أن ينال من هذا الامر شيأ الا بحرب داخلي تولد منه دمار المملكة وخرابها وربما كان ينجح في أعماله لو وضع على رعيته أعمالا أقل صلاحا مما سعى في تدبيره وسمح لليهود بالاذن في العود الى أورشليم وبنى لهم معبدهم مرة أخرى بقصد ابطاله اثبات آيات المسيح ابن مريم وانقراض المسيحيين وعدم التصديق بأقوالهم وعقائدهم فجاء اليهود أفواجا وأسرابا من كافة جهات الدنيا الى مدينتهم المقدسة وشرعوا في شغل بناء الهيكل مع الحمية والغيرة فخرجت عليهم نار هائلة على حين غفلة من أطلال المعبد الذي كان دمره طيطوس فالتزموا على ترك الشغل وقطعوا اليأس من اجتهادهم فيه ومع أن الامبراطور اجتهد وسعى في ضعف حالة المسيحيين وانقراضهم بما أثقله عليهم من مظالم الجور

والتعدى وحملهم أثقالا لا طاقة لهم بها فانه رفض أيضا مذاهب الحكم والعقائد والاعتقادات التى كانت تلقى عليه من الوثنيين المتقربين منه وأعلن باباحة عموم هيآت كافة المذاهب الديانية الموجودة فى مملكته المتمسك بها عموم رعيته وصار الفرس فى جهة الشرق من المرعبين المزعجين المعكرين لاحوال البلاد والعباد زيادة عما كانوا عليه من قبل فأغار يوليان فى فصل ربيع سنة ٣٦٣ بعد الميلاد على فارس فى رأس جيش كثيف وعزم على خراب مملكة فارس الا أنه ما كان للقوى التى كانت تحت قيادته من طاقة على الزحف والتقدم فى بلاد العدو وحصل له أهوال ومصائب شديدة أرغمته على القهقرة وتمت حركتها فى تجاه أكبر الاخطار وأصعب المضار فان الجيش حارب عدة حروب فى طريق رجعته الى نزب وجرح يوليان جرحا مهلكا فى احدى المصادمات والمبارزات العديدة التى لاقاها فى مدة سيره ومات من هذا الجرح فى اليوم الثانى فى سنة ٣٦٣ بعد أن تسلطن نحوا من عشرين شهرا

ولما صار الجيش لا قائد له ولا مدبر لحركته رفع يوفيان قائد الخفر الامبراطورى الى التخت وكان مسيحى الدين فباشر حركة القهقرة مع النباهة والعقل واشترى سلامة الجيش بعقده صلحا مع الفرس وتنازل لهم فيه عن الخمسة أقاليم الموجودة فى شرق نهر الدجلة وعند عوده الى عاصمة المملكة أصدر منشورا بعود الديانة المسيحية واقامة شعائرها وجعلها ديانة المملكة وأمر باباحة عموم الديانات ومات فى فبراير من سنة ٣٦٤ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ثمانية أشهر

ثم جاء عقب موت يوفيان فترة فى الامبراطورية استمرت عشرة أيام وفى آخرها التأم مجلس من الحكام الملكية والقواد العسكرية الموجودين فى المملكة فى مدينة نيخيا وقلدوا فلنطنيان زمام الامبراطورية وكان من أهل الديانة المسيحية قائدا شجاعا وماهرا بارعا أظهر نفسه فى الحروب وكافح الخطوب وأزال عن مملكته الكروب بما أجراه على فارس وعلى الامم المتبربرة الغربية وصدق الجيش على هذا الانتخاب الا أنه طلب أن يكون للامبراطور الجديد شريك ورفيق يشركه فى الحكومة من أجل المحافظة على الخلافة من بعد موته فخلع فلنطنيان الثوب الارجوانى لأخيه الاصغر فالنس وعهد اليه زمام حكومة الشرق من الدانوب الاسفل الى حدود فارس وجعل ما بقى من المملكة تحت عهدة نفسه ومدينة ميلان عاصمته الا أنه ينقل مقر حكومته على حسب مقتضيات الاحوال فى كل من مدينتى تريفس ورهيمس فكان يحكم ممالكه وهو فى هذه العواصم مع الثبات المرغوب والقصد المطلوب وأوقع هزيمة جارحة على الالمانى على نهر الرين وعلى الكاديين على نهر الدانوب وحفظ خطوط هذين النهرين باستحكامات ومعاقل وقلاع جديدة أقامها فى طول كل منهما وعبر البقطيون (أهل صكوطلنده القديمة) سد أنطونينوس ودمروا تدميرات هائلة فى بريطانيا الجنوبية فارسل عليهم غارة تحت قيادة طودوسيوس أبو الامبراطور طيودوسيوس الآتى ذكره فيما سيأتى فأوقع بهم وهزمهم وطردهم الى داخل بلادهم ومن بعد مضى مدة قليلة حاز القائد المذكور نصرة عظيمة بين جزائر اركاده على لصوص البحر الصكصونيين وكانوا أتوا فى السواحل الغربية من أوروبا وخربوها ثم انفجرت ثورة فى افريقية تحت قيادة فيرموس قائد شجاع من رؤساء المغاربة فصار ارسال طيودوسيوس لاخماد هذه الثورة فأنهى هذا الشغل مع الظفر والنجاح وأعاد سلطة الحكومة الرومانية على مملكة نوميديا وموريطانيا وفى مبادى سنة ٣٦٧ بعد الميلاد أشرك فلنطنيان معه ابنه غراطيان فى المملكة

وجعله خليفة من بعده الا أنه لم يجعل له نصيبا فى الحكم ولما مات فى ١٧ نوفمبر سنة ٣٧٥ بعد الميلاد ترك له تاجه وتخته

وفى ظرف هذه المدة كان فالنس حاكما فى الشرق فتولد من ضعف عقله وبطء حركته زيادة عن أخيه ان كانت حكومته احدى المصائب والبلاوى فى الشرق لانه من بعد مضى سنة من جلوسه قام پروكوبيوس وهو شخص من أقارب الامبراطور يوليان وضبط القسطنطينية وقلد نفسه فيها امبراطورا فى سنة ٣٦٥ بعد الميلاد عدة شهور فاعقب ذلك حرب ثم أمر بالقبض على پروكوبيوس وقطعت رقبته فى معسكر فالنس ثم أجرى حرب لا ثمرة فيه على فارس فى سنة ٣٧١ بعد الميلاد ثم انفجر فى هذه السلطنة أكبر حادثة وأشهر واقعة وذلك أن الهونزيين فى أوروبا طردوا الغوطيين من مساكنهم عابرين حدود المملكة الرومانية حتى دخلوها والظاهر أن الهونزيين أمة طورانيانية (تتار) من منحدرات جبال آسيا الشمالية أو الوسطى كان أهلها على غاية من الشراسة والعتو وكانوا هم العدو الالد للرومانيين وما صادف الرومانيون فى حروبهم ووقائعهم أمثالهم من الامم المتبربرة الاخرى وكانوا على وجه التخمين اما مغل أو ترك أو يغور وحصل منهم فى نواحى الصين وجهاتها ارتباكات وقلاقل زائدة حتى انه صار اقامة وعمل السد الاكبر الصينى على الثغور المغولية من طرف الصينيين لمنع غاراتهم وصد تخريباتهم عن المملكة الصينية وفى نحو سنة ٣٧٠ بعد الميلاد تحركوا الى الجهات الغربية ودخلوا أوروبا فى طول الساحل الشمالى من البحر الاسود فكان مبدأ ظهورهم فى الاقليم الموجود بين نهر ولغا ونهر الدون ثم انتقلوا من هذا الاقليم للاغارة على المملكة القوية الغوطية وهى مملكة هرمانريق وكانت هذه المملكة ممتدة من نهر الدانوب والبحر الاسود الى بحر بلطق داخل فيها روسيا الجنوبية الغربية وبولنده وبروسيا الشرقية وممتدة على كثير من قبائل وعشائر مختلفة من جنس واحد أجلها وأشهرها القبيلتان الكبيرتان وهما قبيلة الغوط الشرقية وقبيلة الغوط الغربية فتغلب الهونزيون على الغوطيين وطردوهم من أراضيهم وبلادهم فاستحوذ الغوط الغربية ومن بعدهم بقليل الغوط الشرقية على رخصة فى عبور الدانوب والتوطن فى موزيا (بلغاريا) كرعايا لامبراطور الرومانيين فقيل انه عبر من النهر نحو من مليون نفس من الغوط الغربية وحدها ولاريب أن مادة نظر الشغل لمثل هذا العدد الكبير والجم الغفير من أصعب الاشغال فتعين مبعوثون من الرومانيين لشغل توطن وراحة هذا العدد الكثير فكان سببا فى عناء أنفسهم مما يجب عليهم أداؤه شرعا ومن سوء ما عامل به الرومانيون الغوطيين اشمأزت نفوس الغوطيين من حاجتهم الى أعدائهم الرومانيين وساروا بالقوة عنوة على مارسيانوبل وهزموا الجيش الرومانى وخربوا أراسه بالسيف والنار وجاسوا فيها فخرج اليهم فالنس بجيوشه فانهزم وقتل مع ثلثى جيشه فى واقعة كبيرة حصلت بالقرب من نواحى أدرنه فى سنة ٣٧٨ بعد الميلاد

وفى غضون ذلك استخلف من بعده قلنطنيان الاول ابنه غراطيان فاشرك معه فى الحكومة أخاه الطفل قلنطنيان الثانى وكان عمره خمس سنوات وبمجرد موت فالنس انتخب غراطيان رفيقاله فى المملكة من أمهر قواده اسمه طيودوسيوس وعهد اليه زمام حكومة الشرق وأضاف اليه ايالة الريقوم فى سنة ٣٧٩ بعد الميلاد وأما غراطيان نفسه فان سنيه الاولى التى انقضت تحت التعليم (لان عمره كان سبع عشرة سنة وقت جلوسه على تخت المملكة) وتحت سلطة معلمه كانت كثيرة

المواعيد ولما بلغ أشده غلب عليه ضعف عقله ورخاوته فى أشغاله وعكف نفسه على الصيد وضيع فى اللهو واللعب الساعات والايام التى كان يجب عليه صرفها فى الاشغال التى يعود منها النفع عليه وعلى مملكته فمن ثم انتقلت شوكة الحكومة وسلطتها الى أيدى الاراذل من المتقربين منه فما وقع الشدة بما عهدهم به الامبراطور وترك الامبراطور الجيش فاحتقره وازدراه ومامضى على ذلك مدة حتى رفعت الثورة رأسها وشالت ذنبها وألبست الفرق العسكرية فى بريطانيا مكسيموس الثوب الارجوانى فسير الى الغلبة وعزم على المنازعة فى خصوص التاج مع غراطيان فترك عساكر الغلبة غراطيان فلما وجد نفسه وحيدا متروكا هرب من باريس الى ليون فصار القبض عليه فيها وقتل فى سنة ٣٨٣ بعد الميلاد

ودخل مكسيموس فى عهد مع طيودوسيوس ورضى امبراطور الشرق بالاقرار بالسمو الامبراطورى الذى اغتصبه الغاصب مكسيموس وكذا أذعن مكسيموس بالاقرار لقلنطنيان الثانى فى سلطنته فى ايالاته بجهة ايطاليا مع السلم والامن وفى سنة ٣٨٧ بعد الميلاد نكث مكسيموس عهده مع قلنطنيان الثانى وأغار على ايطاليا وطرد قلنطنيان منها فهرب ملتجئا عند عمه طيودوسيوس فتردد طيودوسيوس فى أمره قليلا ثم تكفل بأمر ابن أخيه وحضن شغله وزوجه أخته غالا وهزم مكسيموس فى بانونيه وأعاد قلنطنيان الى تخته فى سنة ٣٨٨ بعد الميلاد

وبلغ عمر قلنطنيان الثانى فى ذلك الوقت ثمان عشرة سنة فكان مثل أخيه غراطيان ضعيف العقل بطىء الحركة كسلان سمح لنفسه بأن يكون تحت نفوذ واحد من ضباطه اسمه أرغوباسطى افرنكى الاصل فجعله هذا القائد مجرد لعبة فى يده ولما ضاق قلنطنيان ذرعا من شدة ماحصل له من تعبه فى مركزه عزم على عزل تابعه القوى البأس فكان سعيه على غير طائل ورفض أرغوباسطى الانقياد والطاعة لامر الامبراطور ومن بعد مضى بضع أيام قتل سيده ونصب الة من آلاته اسمه عوغينوس امبراطورا فى سنة ٣٩٢ بعد الميلاد فجمع طيودوسيوس جيشا كبيرا وساقه لاخذ ثار ابن أخيه فأغار على الايالات الغربية وهزم عوغينوس بالقرب من ناحية اكيلية وقبض عليه وقطع رأسه فى سنة ٣٩٤ بعد الميلاد والتزم أرغوباسطى على الهرب مدة حياته حتى آل أمره أن قتل نفسه بنفسه

وفى مدة سلطنة كل من مكسيموس وقلنطنيان الثانى وعوغينوس فى الغرب كان الشرق تحت حكومة طيودوسيوس الاول فلقب نفسه بلقب الاكبر وحكم حكومته بالشدة وكان مبدأ سلطنته فى سنة ٣٧٩ بعد الميلاد فعكف نفسه على مباشرة الاشغال اللازمة لمقاومة الغوط الغربية وكانوا جعلوا قسما من المملكة على شرف الخراب والدمار وفى ظرف الخمس سنوات التى جاءت من بعد جلوسه على التخت صيرت له أعماله العسكرية العظيمة وشهرة صيته فى الشجاعة وتدبير الاحكام الطاقة الكبرى على ارغام هذا الجنس المؤذى لمملكته وجعله رعية نافعة له واستعمله مع أسلحته وذخائره على أعداء مملكته وتخته وأسكن مستعمرات كثيرة من الغوط الغربية فى تراسة ومن الغوط الشرقية فى آسيا الصغرى ودخل من متدربى شجعانهم نحو من ٤٠٠٠٠ نفس فى خدمة الجيش الرومانى وقد ذكر بعض أرباب السياسة أن طيودوسيوس أخطأ خطأ كبيرا فى اعطائه الرخصة لمثل هؤلاء القوم فى الاقامة والتوطن بين رعيته لان الغوطيين ما كانوا على كفاية من الحضارة والتمدن حتى يختلطوا

مع الرعايا الآخرين من المملكة وعلى هذا فان الامبراطور لم يختر لنفسه الا الاذى والضرر لانه لو رفض قبول توطن الغوطيين ربما تؤول الحالة عندهم الى درجة اليأس والقنوط فيكون الخوف من هذا أشد وأقبح مما يقع من ارتباكهم وكان طيودوسيوس فى ظرف المدة التى عاشها على درجة كاملة من قمع الامم المتبربرة وما حاز خلفاؤه الاعشار ماحازه طيودوسيوس من تدبيره وذكائه فانه رفع الغوطيين الى درجة السيادة فى المملكة بدل أن يكونوا العدو الالد والقضاء المبرم والضرر الاكبر عليها

ولحد هذه السلطنة كانت الشعائر والديانة الوثنية مسموحا بها بأمر من الامبراطورات الذين سبقوا حتى أصدر طيودوسيوس أمرا جازما بمنع اجراء أى شئ من الشعائر الوثنية وقتل كل من خالف هذه الاوامر وأمر بقفل معابد الوثنيين وضبط أملاكهم وعقاراتهم التى كانت موقوفة على الهياكل والمعابد وأمر أن يكون يوم الاحد يوما مقدسا حرم فيه الاشغال والاعمال حتى تمشية القوانين والاحكام وأرسل مراقبين الى الاقاليم لرؤية تمشية أوامره وتنفيذ الجرى على موجبها فارسل سنغيوس نائب سرايته الى مصر لمراقبة تنفيذ الاوامر وكانت أجريت أوامر الامبراطور فى مصر بمعرفة طيوفيلوس أسقف الاسكندرية فكان هذا الرجل هو العدو الالد لحالة السلم وأهل الفضل وكان رجلا جسورا قبيح السلوك أياديه مغروسة بالتعاقب فى الذهب والدماء فكنس هذا الاسقف هيكل ميثره فى الاسكندرية وكانت عينه ناظرة على الدوام لزخارف هيكل سرابيس اله المصريين وقد ذكرنا الكلام عليه فى تاريخ مصر فى مدة السلطنة البطليموسية وسبب جلب هذا الصنم فى الاسكندرية فى الجزء الاول من هذا الكتاب فكسر الاسقف بواسطة عساكر النائب المرسل من طرف الامبراطور الصور والتماثيل الموجودة فى معبد سرابيس المشهور وكان هذا المعبد قلعة الديانة الوثنية وكانت مدينة الاسكندرية معدودة بانها مدينة سرابيس الحافظ لها والممجد به فكان هيكل سرابيس العدول لكبرياء الكابيتول ومجده فى رومة مقام فى ميدان على رأس جبل صناعى مصنوع له بالخصوص مرتفع بقدر مائة ذراع فوق أرض المدينة المجاورة له وقبته القوية محمولة على عقود موزعة على قبوات وقواصر وسراديب ساترة لمحلات أرضية وكانت هذه الابنية محيطة بايوان من الاعمدة فى هيئة شكل رباعى ويظهر من رؤية الفسحات السامية والتماثيل الظريفة عجائب الصناعات ونحوها وكان محفوظا فيه ذخائر كنوز التعليم القديم وكتب الفلسفة والعلوم فتعرض الاسقف لدمار كافة الزخارف والتماثيل التى كان أتباعه فى مدينة الاسكندرية يراعون تقديسها فكان هذا الاسقف منشأ الاضطرابات والقلاقل فى المدينة فاجتمع طلبة مدارس الفلسفة وانضم اليهم أوباش المدينة وعوامها لتوقيف هذا الدمار والانتقام لانفسهم من المغيرين عليهم فتولد من هذا مضاربات ومحاربات ووقائع عديدة فى الحارات والشوارع بين الوثنيين والمسيحيين فقد فيها كثير من الانفس والارواح من الحزبين الا أن المسيحيين لما كانوا معضدين بشوكة نائب الامبراطور بددوا الوثنيين وهرب الكثير من الطوائف العالية من المدينة وما أخمد العساكر هذه الفتنة ومقاومة الوثنيين الا وابتدأ الهدم والخراب مرة أخرى من ثوران غيرة هذا الاسقف فهدمت كافة الهياكل وتكسرت زيناتها وزخارفها وسبح الاسقف تماثيل الآلهة وصبها أشغالا أخرى لكنائس الاسكندرية وكان من ضمن منهوبات معبد سرابيس الكتبخانة الكبرى وكانت مشتملة على ٧٠٠٠٠ مجلد تبدد أمرها وانقضى نحبها

ونشر أيضا طيودوسيوس منشورات ولوائح وقوانين شديدة بخصوص الاريانيين وهم توابع القسيس اريان الذين يقولون بأن الابن ليس من جوهر الاب وآخرين حصل منهم الابتداع والخروج عن العقائد الديانية المسيحية فى الاسكندرية وكان صدر منشور من مجلس بنجيا بعقابهم فى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد وكذا من القسطنطينية فى سنة ٣٨١ بعد الميلاد وأرغموا على تسليم كنائسهم والتخلى من قسوسيتهم ومنعوا من الوعظ والخطابة والتزيى بزى القسس وانتقلت كافة أملاكهم الى الصوفيين من المسيحيين وكانت العقابات والجزاآت المشتملة عليها هذه اللوائح والقوانين هى التغريم والنفى وكان القانون المدنى الذى نشره طيودوسيوس صعب التنفيذ جدا فى الادارة والحكومة حتى اشتهر بأن أعمال الامبراطور أرحم من قوانينه

وفى هذه المدة ارتفعت شوكة الكنيسة بما حصل من المصادمة المشهورة بين الامبراطور طيودوسيوس والاسقف عمبروس بطريق ميلان وكان عمبروس هذا كما قال جبون من ذرية عائلة شريفة من الرومانيين وكان أبوه موظفا فى مصلحة جليلة بصفة نائب فى نواحى الغلية فمن بعد أن قضى ابنه عمبروس مدة تعليمه وتهذيبه توظف حاكما فى ليغوريا وهو اقليم من أعمال ميلان الامبراطورية من بعد أن حاز الشرف فى الخدمات الملكية ولما بلغ عمر عمبروس أربعا وثلاثين سنة انتقل بغتة من وظيفة حاكم الى وظيفة بطريق أكبر من قبل أن يتناول العشاء الربانى والمعمدة البطريقية وحياه الناس بتحية البطريقية العظمى من دون اختلاطهم أو عمل حيلة أو شئ فى ذلك ودخل عمبروس فى وظيفة روحانية ما كان مستعد الها فى أصل تعليمه ولا اشتغل بها فى مدة حياته الا أن ما كان عليه من قوة نباهته وذكائه صيره أهلا لاداء تدبير وسياسة وظيفته الكنائسية وفى حالة ما كان يتحمل لنفسه فى عدم اشتغاله بما لا فائدة فيه من الاشغال ويحاذر من وقوعه فى أحبولة المجد والافتخار الدنيوى انعطف لتدبير وادارة ما فى ضمير الامبراطورات وحكم ادارة المملكة من أجل وجود الخير والفائدة للكنيسة ووقعت محبته فى قلب غراطيان وأكرمه اكرام الآباء فعلم عمبروس هذا الشاب مذهب عقائد التثليث ومن بعد موت غراطيان أرسل بطريق ميلان رسلا مرتين الى ديوان تريف حالما حل بالامبراطوره يوسطينه الارتباك والخوف وعدم الامن على نفسها وعلى ابنها فلنطنيان وأجرى شوكة شهامته الروحانية وأعماله السياسية مع الثبات والبراعة ولازمه قسس ميلان وأهلها وكان على تقوى وورع وعفة نفس وبواسطة تدبيره وعذوبة كلامه وفصاحة لسانه صد مطامع مكسيموس ووطد الامن والراحة فى ايطاليا وباع دنياه بآخرته وقاوم الامبراطورات وأقام شعار الديانة المسيحية وجعل للكنيسة الشوكة العظمى

ثم هاجت ثورة فى ملعب الخيل فى تسالونيقه مات فيها قائد غوطى وجملة من الضباط معه فأمر الامبراطور بمذبحة عامة فى أهل تسالونيقة قتل فيها البرىء والمجرم وكان مقر الديوان الامبراطورى فى هذا الوقت فى ميلان وكان وقوع هذه الثورة عارا فاضحا ثم آلت عواقبها الى حالة مهولة مفزعة وذلك أن هذه المدينة الكبيرة كما قال جبون عاصمة كافة الاقاليم الاليريانيه كانت محفوظة من أخطار الحرب الغوطى باستحكامات وفيها جماعة من العساكر محافظون فيها وكان بوتريق قائد هؤلاء العساكر جميل الصورة والهيئة بين عساكره فقوم شهوات أغراض واحد من سائقى عربات ملعب الخيل وكان بوتريق فى الملعب بين عساكره فأمر بوتريق بقذف هذا الشهوانى الحيوانى القبيح فى

السجن

السجن ورفض مع تقطيب وجهه وعبوسته رجاء والحاح الجم الغفير من اخوان هذا العربجى فحزنوا على صاحبهم حال غيابه عنهم فى السجن واستقبح الاهالى وقوع مثل هذه المسئلة وحصل بينهم مشاحنات وانتظروا حتى قل عدد المحافظين بتوجههم الى الحرب فى ايطاليا وصار الباقى القليل لا يكفى لخلاص القائد المحبوس من الغضب الشديد الحاصل عند أهل الملعب فقاموا فى ثورة وقتلوا بوتريق وعددا من الضباط الكبار معه أفظع قتلة وجروا أجسامهم غرقى فى دمائهم فى شوارع المدينة ووصلت أخبار هذه الحالة المفزعة الى مسامع الامبراطور طيودوسيوس فاستغرب من هذه الوقاحة الرذلة وأسف كثيرا على موت القائد ومن معه الضباط فأصدر أمرا بالقصاص الشديد على من كان سببا فى فعل هذه الجريمة وما تدبر طيودوسيوس فى نفسه من شدة ما وقع عنده من الغضب أن يأمر بعقد هيئة عدلية للفحص عن هذه المادة بل عزم على أن دم نائبه لا يكفر عنه الا دم هؤلاء المجرمين جميعا وهم أهل تسالونيقه وأرسل من ينفذ مفعول أمره ثم تردد بين مجلسى العفو والانتقام فاستحصل عمبروس فى هذا الوقت من الامبراطور رات على العفو العام وأطفأ غضبه أيضا تملق وزيره روفينوس له وذلك من بعد أن أرسل طيودوسيوس رسل الموت فعزم طيودوسيوس من بعد أن فات الوقت على ابطال مفعول أمره الا أنه قضى الامر بعقاب مدينة رومانية بسيوف المتبربرين واستعدت اللوازم الكافية وترتبت الرجال الكافية لقصاص أهل هذه المدينة ودعوا الى المدينة أهلها على اسم ملكهم وسلطانهم للفرجة على الملعب فاجتمع أهل المدينة فى محل اللعب من دون أن يكون عندهم فكر فى خيانة أو خوف أو وهم ولما تم الجمع وازدحم الناس أعطيت الاشارة للعساكر وكانوا فى مكامن خلف الملعب بوقوع مذبحة عامة فما أبقوا على شيخ ولا شاب ولا طفل ولا امرأة بل ذبحوهم جميعا واستمرت هذه المذبحة ثلاث ساعات قتل فيها البرىء والمجرم وكان عدة من قتل نحوا من سبعة آلاف روح الا أن بعض المؤرخين أثبت ان الذى قتل فى ثار دم بوتريق وأصحابه كان نحوا من خمسة عشر ألف نفس وصارت حالة المدينة وشوارعها ومبانيها وملبوس الباقى من أهلها ووجوههم تنبئ بما كان فى ضمير الامبراطور مما أوقعه من الخراب والدمار على أهلها واطمأن فى نفسه بأخذ ثار نائبه من أهل مملكته ومن ملازمة القسس الصوفية للامبراطور وقع عمبروس عنده موقع القبول ومال اليه بعبته له واستوصب أعماله وصفاته وأحب ملازمته وجواره وكان عمبروس حاز فضائل القسوسية وارتقى فيها الى أعلى درجات الكمال وتمثل وزراء طيودوسيوس باسوة مليكهم فى اغداق محبتهم لعمبروس ورأى طيودوسيوس مع العجب لا الغضب أن كافة أسرار مجالسه جارنقلها مباشرة الى البطريق عمبروس الذى كانت مساعيه جارية فى فعل الخير لله ومنافع الديانة الحقة فاتفق فى هذا الوقت ان رهبان وسكان المدينة الصغيرة المسماة كالينقوم الموجودة على حدود فارس أخذتهم غيرة التعصب الدينى وقاموا فى هياج وشغب مع أسقفهم وحرقوا معبد الفلنطنيانيين أى الخارجين عن العقائد المسيحية وكذا حرقوا معبد اليهود فصدر الحكم على الاسقف الذى كان سببا فى هذه الحادثة من طرف نائب الجهة بكونه اما أن يعيد المعبدين كما كانا أو يدفع مقدار قيمة الخسارة وكان الامبراطور مصدقا على هذا الحكم الا أن بطريق ميلان ماراه ولا صدق عليه فكتب البطريق كتابا موافقا للامبراطور يعنفه فيه ويوبخه ويذمه وقال له يحتمل أن الامبراطور راختتن أو رفض عقائد الديانة المسيحية حتى صدق على هذا الحكم واعتبر عمبروس ان هذا التصديق واباحة اليهودية جور وتعد على الديانة المسيحية فأعلن فى منشور كنائسى

كتبه انه هو وكل مؤمن يعتقد فى المسيح ينازع أسقف كالينقوم فى الفعل والتتويج بتاج الشهادة وتأسف فى مكتوبه من أن هذا الحكم يكون عاقبته مشؤمة على طيودوسيوس وعدم نجاته من حرنار جهنم ولما سمع أيضا عمبروس بمذبحة تسالونيقه تشتت أفكاره وقام الغضب فى رأسه فاعتزل فى خلوته لمكابدة آلام أحزانه وامتنع من الحضور عند الامبراطور طيودوسيوس لكنه لما رأى أن اعتزاله هذا وجبن سكوته يتولد منه زيادة فى جريمته كتب كتابا مخصوصا للامبراطور بما هو عليه من الكبائر والآثام وقال له ان هذه الجرائم لا يكفرها الا التوبة وسكب عبرات الاحزان وأصدر من عنده منشورا ديانيا بالحجر الكنائسى على الامبراطور وارتداده عن الديانة المسيحية ولا يجوز تقريب قربان على اسمه ولا مشاركته فى أى شئ من شعائر الديانة ولا قربه من منابر المسيح ولا الصلاة ولا العشاء الربانى المقدس ما دامت أياديه ملطخة بدماء أمة بريئة مما نسبها اليه فتأثر الامبراطور جدا من الذم فيه ومما حصل من أبيه الروحانى وكان كلما ازداد عمبروس غضبا ازداد طيودوسيوس صداقة وخضوعا له ومن بعد أن تأسف وندم على ما حصل من نتائج غضبه توجه مثل العادة لقضاء عبادته فى الكنيسة الكبرى فى ميلان فقابله على بابها القديس عمبروس وما سمح له بالدخول فيها وقال له بلسان وكلام المبعوث من عند الله ان التخشع الخفى لا يكفى فى تكفير جريمة عامة أو يطفئ عدل غضب الاله فقال له طيودوسيوس مع الخشوع والتواضع ان كنت أنا اكتسبت الاثم من القتل فان غيرى اكتسب جريمة القتل والزنا معا فأجابه البطريق حيث انك قلدت غيرك فى جريمته فيلزمك أن تقلده أيضا فى توبته واستمر طيودوسيوس تحت هذا الحجر ثمانية أشهر حتى اعترف بجريمته وخطئه وتاب عن فعل الجرائم والآثام فى حضور جمع من القسس والاعيان وقوبل مرة أخرى وهو لابس ملابس الذل والندم فى داخل الكنيسة وغفرت له ذنوبه وخطاياه فى يوم عيد من سنة ٣٩٠ بعد الميلاد

وما عاش طيودوسيوس من بعد نصراته على عوغنيوس وجمع الشرق والغرب تحت حكمه بمفرده بل مات فى ميلان فى ١٧ يناير سنة ٣٩٥ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن نحوا من ست عشرة سنة وكان قسم ممالكه بين ولديه فاعطى اركاديوس الكبير المشرق وأعطى هونوريوس الصغير المغرب وكان عمر هونوريوس احدى عشرة سنة وجعله تحت وصاية القائد القندالى سطيليخوا فزوجه بابنة أخته

وتولد من تقسيم المملكة بين ولدى طيودوسيوس الانفصال الحقيقى للشرق من الغرب والى هنا كان قسما المملكة مجموعين تحت فكر واحد وتعاضد نوعا ومع أنهما كانا مشكلين مملكة واحدة الا أنه لم يخل اجتماعهما من فائدة مشتركة بينهما ومن ابتداء موت الامبراطور طيودوسيوس تغيرت الافكار ووقعت الغيرة والحسد وعدم الثقة والاعتماد وأخذ باب الخرق فى الاتساع بين فرعى المملكة وازداد اتساعه يوما فيوما

وصار الحكام الاصلية الحقيقية روفينوس فى الشرق وكان نائب اركاديوس وسطيليخو فى الغرب وصى هونوريوس فتولدت العداوة والبغضاء بين هذين النائبين حتى وصلت الى المبارزة والمناضلة جهرة ثم انتهى هذا الشقاق بقتل روفينوس باغواء وتحريض من طرف سطيليخو فى سنة ٣٩٥ بعد الميلاد وصار سطيليخو أكبر شخص فى المملكة ومحلا الحسد وكراهة اركاديوس والمتقربين منه

ومن بعد موت طيودوسيوس الاكبر بقليل قام الغوطيون ونكثوا طاعتهم للمملكة وكانوا تحت قيادة رئيسهم المشهور علريق وفى فصل صيف سنة ٣٩٥ بعد الميلاد أغاروا على مقدونيا وفى ظرف هذه السنة والسنة التى جاءت بعدها خربوا نحوا من عموم الجريس فسار سطيليخو على علريق وألزمه القهقرة فتولد من غيرة وحسد اركاديوس المستمر أن يسرع فى ضعف سطيليخو وحزبه فعقد معاهدة مع علريق وعهد اليه رياسة عموم الريقوم الشرقية وصدر الامر الى سطيليخو بسحب نفسه من ممالك اركاديوس فأطاع الامر وقضى الباقى من القرن فى اخماد ثورة كانت حصلت فى افريقه وفى سنة ٣٩٨ بعد الميلاد زوج بنته مارية من ابن أخته الامبراطور الشاب هونوريوس

ثم رأى سطيليخو من توظيف علريق حاكما عموميا على الريقوم أن الايالات الغربية من المملكة على خطر من طمع هذا الرئيس المرتاب ورأى سطيليخو فى نفسه أن امبراطور الشرق لاجل خلاص ممالكه من اغارة وتخريب الامم المتبربرة قواهم فى السر على الهجوم على الامم الموجودة فى ممالك أخيه وفى نحو مبادى هذا القرن انتخب علريق ملك الغوط الغربية بمعرفة قومه وأهل بلاده فأخذه الغرور من ظرافة ايطاليا وكثرة أموالها فعبر جبال الالب فى سنة ٤٠٢ بعد الميلاد ومازال سائرا حتى وصل تحت أسوار ميلان قبل أن يجمع سطيليخو جيشا كافيا لمقابلته وهرب هونوريوس الى قلعة رافنه الحصينة التى لا يمكن التغلب عليها فأسرع سطيليخو ومر من جبال الالب فى منتصف فصل الشتاء لاجل تجنيد وجمع جيش من الايالات الغربية وبذل ما فى طاقته حتى عاد ثانيا الى ايطاليا فى مبادى فصل ربيع سنة ٤٠٣ بعد الميلاد فى رأس جيش كثيف وأوقع بالغوطيين وهزمهم هزيمة حاطمة فى ضواحى بولنطيه على نحو خمسة وعشرين ميلا من مدينة تورين فى يوم ٢٩ مارث وتبدد شمل كافة العساكر المشاة الغوطية فجمع علريق بجسارته وجودة تدبيره جميع عساكر الخيالة من دون أن يحصل فيها أدنى ضرر وسار مجدا على رومة متعشما فى التغلب عليها من أول صدمة يصدمها بها فأسرع سطيليخو وعقباله وحرمه مما كان فى نيته ثم تبصر سطيليخو فى عواقب أموره ودبر ما فيه حزم الرأى وعرض على ملك الغوطيين الصلح والقهقرة مع الامن براتب كاف له شهرى على شرط أن يسحب نفسه وعساكره من البلاد وألزم رؤساء الغوطيين علريق بقبول هذه الشروط ولما تم عقد المعاهدة ساق ما بقى من عساكره ورجع عائدا الى الريقوم وصار اشهار قهقرة الامم المتبربرة فى رومة باحتفال عظيم فخرج فى وسط الملاعب تلماكوس من العباد المسيحيين فى ميدان المصارعات بالسيوف حاملا الصليب على رأسه وأمر المصارعين أو المكافحين باسم الههم أن يبطلوا ألعابهم هذه التى ليست من نوع الانسانية فغضب الجم الغفير من المتفرجين الحاضرين ورموه بالاحجار حتى مات وبعد قليل ندموا على ما فعلوا من الذنب والجريمة وقرروا بان تلماكوس مات شهيدا فانتهز هونوريوس الفرصة من أجل هذه الحادثة وأبطل ألعاب المكافحة بالسيوف ثم نقل الامبراطور مقر الحكومة من ميلان الى قلعة رافنه وكانت فى وسط مستنقع لا يمكن عبوره من طريق واحد يمكن حمايته وقطعه وقت الحاجة والضرورة ومن غيره كانت القلعة غير ممكن الوصول اليها ولا التقرب منها واستمرت رافنه عاصمة مملكة ايطاليا الى أواسط القرن الثامن بعد الميلاد

وفى سنة ٤٠٥ بعد الميلاد ظهرت أمة جديدة من الامم المتبربرة فى ايطاليا وذلك أن الفندالين وهم أمة من السلاف من سهول نهر الويستول تحركوا تحت قيادة رئيسهم رادغايسوس أو رادغاسطى نحو الجهة الجنوبية الغربية وانضم اليهم فى مدة حركتهم السويفيون والبورغنديون من القبائل الجرمانية وكذا قبيلة العلانيين من الصيطيين فعبروا جبال الالب ونهر البو وجبال الابنين من دون أن يلقوا كيدا وخربوا الاقليم الكائن بين جبال الالب ونهر ارنو بالسيف والنار ولما كان سطيليخو باذلا جهده فى جمع جيش للتقائهم وكان رادغاسطى مجرد قائد أمم همجية وحشية وما كان له مطلب سوى الخراب والدمار والسلب والنهب وكان أقسم قسما مؤكدا أن يجعل رومة كوما من التراب ويقرب أرباب مجالس السناتو قربانا لا آلهته ولما صدت مدينة فلورنسه حركته بما حصل منها من المقاومة الشديدة التى أوقعتها عليه توقف عن السير والحركة الى الجهة الجنوبية حتى أخضع هذه المدينة فكان تأخيره سببا فى تيسر الحصول لاسطيليخو على وجود زمن جاء فيه بجيشه الذى جمعه ودبر سطيليخو تدابيره العظيمة فى اجراء حركاته العسكرية حتى هزم هذه الامة الشديدة البأس من بين الامم المتبربرة وبددشملها وقبض على رادغاسطى وذبحه وألزم ما بقى من الجيش وكانوا نحو ١٠٠٠٠٠ مقاتل على الانسحاب والخروج من ايطاليا فسار هؤلاء المتبربرون الى نواحى الغالية فى سنة ٤٠٦ بعد الميلاد واستوطنوا الاقاليم الذى سمى فيما بعد باسم بورغندى وطردوا أرباب الاملاك من أملاكهم وأرضهم وخربوا المملكة بالسيف والنار من قبل أن يستديم توطنهم فيها فكانت هذه الحركة الكبيرة سببا فى سقوط السلطنة الرومانية من هذه الجهة وما عادت بعدها أبدا وفى سنة ٤٠٧ بعد الميلاد خسرت المملكة بريطانيا بواسطة ما حصل من الفرق العسكرية الموجودة فى هذه الجزيرة من الثوران فانهم قاموا وقتلوا اثنين من امبراطوراتهم وأجلسوا على التخت واحدا من قوادهم اسمه قسطنطين فتهدد المملكة فى سنة ٤٠٨ وسنة ٤٠٩ بعد الميلاد على قسم الغلية الذى سلم من تغلب الامم المتبربرة عليه وكذا على اسبانيا وفى سنة ٤٠٨ بعد الميلاد أصاب المملكة عناء الخسارات التى لا تعوض وهى موت قائدها الاكبر سطيليخو وكان سبب موته انه سخط من ضعف هونوريوس ورخاوته وازدرى به وأضمر على عزله والانعام بالتخت على ابنه عوخيريوس فحض أعداء سطيليخو هونوريوس مع السهولة على قتله وما زالوا به حتى رضى وسمع بذلك فضبط وقطعت رأسه وكان موته سببا فى حرمان المملكة من رجل وحيد عصره كان فيه القابلية الكبرى والطاقة التى لا تكل ولا تمل على المنازلة والمحاربة مع الامم المتبربرة والذين لا عقول لهم من الذين جاؤا من بعده وخلفوه فى منصبه واعتمد عليهم الامبراطور فى أمور مملكته تصرفوا الحرب مع السرعة وكانوا يتمنون البعد عنه وكانوا سببا فى استمرار حروب علريق مدة طويلة وما اكتفوا بهذا فقط بل أبعدوا عن أنفسهم حركة الجيش الوحيد الذى كان فيه الكفاية لمحاربة الغوطيين بان تسببوا فى وقوع مذبحة عمومية فى عائلات الاغراب المساعدين فى الحروب وكانوا بقوا فى المدائن الايطاليانية رهائن من أجل خدمة هؤلاء العساكر مع الصداقة والثقة فى خدمات العسكرية فأقسم العساكر الاغراب أن يأخذوا بالثار وينتقموا من قاتلى أزواجهم وأولادهم وأهليهم ودعوا علريق للاغارة على ايطاليا ووعدوه الانضمام معه من دون مهلة والمساعدة له على هذه الاغارة فأسرع ملك الغوطيين فى قبول هذه الدعوة من دون حصول أدنى توان وسار مجدا حتى عبر جبال الالب وزحف بجيوشه على رومة وحاصرها وضيق عليها ولما آل

أمرها الى العدم وأشرفت على الخراب وتركها الامبراطور واشترى مجلس السناتو سلامة المدينة ودفع الى علريق مبلغا جسيما من النقود فداء المدينة حتى رفع الحصار عنها وتقهقر الى توسقانه وهى عطرور باوعزم على قضاء فصل الشتاء فيها وسعى ملك الغوطيين أيضا فى أن يكون مع هونوريوس على أمر فيه صلاح لهما فالمعن لعنا مغالطا فى أثناء مخابرته فى هذا الامر ففصل المسئلة وكسر عودها وسار على رومة وضبط مينة عوسطيه وكانت الغلال والحبوب اللازمة لاحتياجات العامة مخزونة فيها فحصل من ذلك فى رومة القحط الشديد وسلمت نفسها الى علريق من دون شرط فجعل علريق والى المدينة وهو النائب عطالوس امبراطور الغرب بدل هونوريوس وقلد عطالوس علريق رياسة عموم الجيوش الرومانية فنع هراقليان حاكم افريقه صادرات الحبوب والزيوت الى رومة وخدم هونوريوس خدمة جليلة وكان سببا فى وجود القحط والنفور فى داخل رومة وأراد عطالوس أن يجعل نفسه مستقلا من علريق فخلعه علريق فى سنة ٤١٠ بعد الميلاد ورغب علريق مرة ثانية أن يكون على شروط وعهود مع هونوريوس فما نال سوى اللعن المغلظ أيضا فوجه علريق وجهه وسار على رومة وكانت فتحت أبوابها له ليلا بمعرفة من كان فيها من الرقيق فى ١٠ أغسطوس من سنة ٤١٠ بعد الميلاد وأمر علريق بالقتل والسلب فى المدينة مدة خمسة أيام متوالية وفى أثناء هذه المدة انتقم الرقيق من أسيادهم وكان عدد الرقيق نحوا من ٤٠٠٠٠ نفس ونالوا فيهم أغراضهم وأخذوا بثأر ما كانوا كسبوه منهم من العناء والضر روشفوا صدورهم من مواليهم وكانت رومة مشحونة بالاموال والبضائع والجواهر الثمينة والمواد النادرة الوجود كالذهب والفضة والجواهر وأصناف الحرير وأنواع النقوش الحريرية والغنائم والاسلاب التى انتخبت وجلبت الى رومة من البلاد والاقاليم التى كانت فتحتها فضبط الغوطيون كل هذه الاشياء وجعلوها من رومة ودمروا ما لم يقدروا على حمله ولم ينج من أيديهم الا الكنائس والاملاك الموقوفة عليها فقط لان علريق كان مسيحى الدين يقال انه هيج حربا على الرومانيين لا على المرسلين

وسار الغوطيون فى طول الطريق الابيانى وتغلبوا على ايطاليا الجنوبية وعجزوا عن التغلب على جزيرة سيسيليا وافريقه فأنشأ علريق أسطولا من أجل عبوره البحر الابيض المتوسط فتبدد أمر هذا الاسطول من العواصف والتلاقيح وختمت هذه الغارات بموت علريق فجأة فحول الغوطيون مياه نهر بوزنطيوس من مجراها الاصلى بشغل الاسرى الرومانيين ومن بعد تجفيف النهر من الماء بنوا فيه قبرا وزخرفوه بالغنائم والاسلاب الرومانية وأرقدوا فى هذا القبر جثة علريق وغلقوا القبر وأعادوا المياه كما كانت الى مجراها الاصلى وذبحوا كافة الاسرى الذين اشتغلوا فى هذا الشغل حتى لا يفشى أحد منهم محل هذا القبر وكان ذلك فى سنة ٤١٠ قبل الميلاد

ومن بعد موت علريق خلفه عودولفوس صهره فاستمر فى خراب ايطاليا الجنوبية نحوا من سنتين ثم عقد بعدها الصلح مع هونوريوس وتزوج بلاسيديه أخت الامبراطور وانصرف الى داخل الغلية ثم سار منها الى اسبانيا وكان الفنداليون تغلبوا عليها فى سنة ٤٠٩ بعد الميلاد فطرد عودولفوس الفنداليين وأسس سلطنة الغوط الغربية تابعة للمملكة الغربية فى سنة ٤١٤ بعد الميلاد فاستمرت هذه التبعية نحو أربع سنوات الى زمن طيودوريق الاول سنة ٤١٨ بعد الميلاد ثم صارت المملكة مستقلة فى نفسها وأما الفنداليون الذين طردهم عودولفوس الى الجهة الجنوبية من اسبانيا

واستوطنوها فقد عرفت هذه الكورة باسم فندالسيه أو فندالوزيه وسماها العرب باسم أندلس أو الاندلس

ومن بعد موت عودولفوس زوج هونوريوس أخته بلاسيديه أرملة ملك الغوطيين الى قنسطنطيوس وأشركه معه فى المملكة ومات قنسطنطيوس من بعد أن تسلطن سبعة أشهر ثم اشتبكت بلاسيديه فى منازعة مع هونوريوس ولما خافت على نفسها هربت الى القنسطنطينية والتجأت عند ابن أخيها طيودوسيوس الثانى أمبراطور الشرق ثم مات هونوريوس من بعد مضى بضع شهور من هربها من بعد أن تسلطن ثمانيا وعشرين سنة لم يعمل فيها شيأ سوى عدم الاهلية والعجز فى سنة ٤٢٣ بعد الميلاد ومن بعد موت هونوريوس اغتصب التخت شخص اسمه يوحنا كان كاتب أسرار هونوريوس فأرسل طيودوسيوس الثانى أسطولا وجيشا لخلع هذا الغاصب وتقوية طلبات عمته وابنها فلنطنيان فتم هذا المشروع على أتم منوال لان يوحنا ما كان له مساعد من الامة ولا عساكر فى مملكته وأسر يوحنا وقطعت رأسه فى نواحى أكيلية سنة ٤٢٥ بعد الميلاد وكان عمر فلنطنيان الثالث ست سنوات وفى ظرف الخمس والعشرين سنة التى جاءت بعد حكمت المملكة أمه بلاسيديه بالنيابة عنه وعهدت المملكة فى هذه المدة المشكلة لايدى امرأة عاجزة وطفل صغير فوصلت حالتها الى أردا الاحوال كما سنذكره بعد وتجردت من درجات صفات كمالاتها وعهدت قيادة العسكرية الى أعطيوس وبونيفاس وكان بونيفاس حاكما فى جهة افريقه فلو جمعا مهارتهما سوية لكانا أتما أشياء كثيرة عاد منها النفع والصلاح فى المملكة لكنهما افترقا من الغيرة والحسد الذى حصل عند أعطيوس لجهة بونيفاس فتولد من قبائح أعطيوس ودسائسه عصيان بونيفاس ودعا عنتريق ملك الفندالين فى عبوره من اسبانيا الى افريقه لمساعدته فقبل عنتريق دعوته مع كل عجلة ودخل افريقه فى رأس ٥٠٠٠٠ مقاتل وانضم معه أهل المغرب من افريقه والدوناطيسطيون وأهلوا به كأنه المعتق لهم ووجه عنسريق جيوشه مباشرة على كل من الرومانيين وبونيفاس وهزمهم وجعل نفسه سيد افريقه وفى سنة ٤٣٩ بعد الميلاد نجح فى كونه شيد مملكة فندالية على الساحل الشمالى من قارة افريقه وجعل قرطاجنة عاصمة هذه المملكة

وفى الحقيقة صارت المملكة الغربية فى حالة كئيبة يرثى اليها ويؤسف عليها الان افريقه تغلب عليها عنسريق وضاعت منها بريطانيا بالكلية واستمرت الحالة مدة أربعين سنة من دون حكومة الا حكومة القسس والاشراف ونواب المدائن كما أنه كان حصل التنازل عن أقاليم بانونيه ونوريقوم ودلماطيه الى المملكة الشرقية فى نظير المساعدة التى أداها طيودوسيوس فى خلع يوحنا الغاصب وانتقلت الغلية الجنوبية الغربية الى أيدى الغوطيين واحتل البورغنديون الغلية الشرقية وصار الفرنج أسياد الغلية الشمالية ومابقى من الغلية الا كورة صغيرة جهة الجنوب تحت حوزة المملكة فكانت المملكة مقصورة على هذه الكورة وايطاليا وفنديلسيه وريطيه

ودافع أعطيوس عن الغلية الرومانية فيما بين سنة ٤٣٥ وسنة ٤٥٠ بعد الميلاد مع الشدة والحيل من غارات الغوط الغربية من جهة ومن غارات الفرنج من أخرى واستحوذ الفرنج فى السنة الاخيرة أى سنة ٤٥٠ بعد الميلاد على مساعدة عطيلا ملك الهونزيين وكان هذا الرئيس القوى البأس ينتسب سلسلته الى قدماء الهونزيين الذين كانوا نازلوا أملوك الصين فكانت هيآت سحنتاهم

تدل على أصل جنسهم وكانت تقاطيع عطيلا عين تقاطيع المتأخرين من القلموك فكان ضخم الرأس أسمر اللون غائر العينين أفطس الانف له شعرات قليلة فى لحيته عريض الكتفين قصير القامة مربوع الجسم شديد العصب غير متناسب الاعضاء وحالة علو هذا الملك الجوزى وسلوكه يوضحان معرفة سيادته على ما بقى من النوع البشرى وكان له عادة فى شراسة عينيه وحملقتها وأراد أن يظهر ما فى قلبه من الرعب والخوف وجمع حول نفسه رعب الدنيا القديمة وهو لهاشيا فشيأ حتى وصف بأنه صاعقة من عند الله أو نقمة من عنده ومع هذا فما كان هذا الشجاع الوحشى منزوعا من قلبه الرحمة بل كان أعداؤه يؤملون فيه بلوغ السلم والعفو وكان مرئيا عند رعاياه بأنه رجل حق عدل منصف متساهل فى أموره ومد مملكته على الاقليم الشاسع الواقع بين بحر بلطق والبحر الاسود ونهر الرين ونهر الولغا وكان فيه الطاقة والقدرة على الخروج والبروز فى ميدان الحروب فى رأس ٧٠٠٠٠٠ مقاتل لا أقل تحت قيادة الملوك المتبربرين الذين صاروا عبيداله وحاز لنفسه كامل الشوكة البربرية الهمجية الاوروباوية وفى مدة التسع سنوات التى مضت قبل ظهوره فى الجهة الغربية خرب المملكة الشرقية ونشر أهواله وتخريباته فيها حتى وصل قريبا جدا من أسوار القسطنطينية وما انسحب من جهتها حتى وعد بدفع خراج سنوى ودفع له معجلا قيمة ٦٠٠٠ ليرة من الذهب وفى سنة ٤٥١ بعد الميلاد سار من عاصمته هنكاريا للاغارة على المملكة الغربية بعلة مساعدته ملك الفرنج وكان ربط نفسه معه على مساعدته وبمجرد وصوله الى نهر الرين انضم اليه الفرنج ودخل هذا الجيش المتحد فى الغلبة وزحف على أورليان وحاصرها

وفى غضون ذلك دخل طيودوريق ملك الغوطيين فى معاهدة مع الرومانيين وكان أقام الاستقلالية فى مملكته وكان مآل شروط هذه المعاهدة صد الجوزيين وماهم عليه من الطمع فى البلاد وكانوا رغبوا فى التغلب على عموم الدنيا فمع أن طيودوريق كان رجلا طاعنا فى السن الا انه خرج الى ميدان الحرب بنفسه واصطف الغوطيون تحت بيرق ملكهم مع الحمية والحماس وسار على منوالهم عدة قبائل وأمم كانوا يترددون بين الجوزيين والرومانيين وضم هؤلاء الامم قواهم الى الجيش الرومانى تحت قيادة عطيوس وساروا جميعا الى الغلبة ليكونوا مع الحالة الاخيرة التى ينفصل فيها الامر أن صارت أوروبا طوطونيانية أى تتارية أو غيرها فوصلوا الى أمام أورليان فى الوقت الذى جعل فيه عطيلا المدينة على آخر نفس وكانت أشرفت على التسليم وفتح شرما فى جهة من أسوارها ولما قرب الجيش المتحد من أورليان رفع عطيلا حصارها وسحب عساكره وعبر نهر السين الى ضواحى شالون لينتفع بسهولها الواسعة فى استعمال حركات خياالته من الصطيين فساق المتعاهدون خلفه ووقعت بينهم واقعة كبرى فى شالون وكانت هذه الواقعة مشهورة بما حصل فيها من شدة الحرب وكثرة العساكر الذين كانوا موجودين فيها وكان عددهم ينيف عن مليون نفس واختلف فى عدد المقتولين من الطرفين فكانوا على ما قيل من ١٦٢٠٠٠ نفس الى ٣٠٠٠٠٠ وكان الافتتاح فى هذه الواقعة بهجوم حصل من الغوط الغربية واستمر طول النهار وقتل طيودوريق وانفصل الخلاف فى الحرب بمهارة العساكر الغوطية فانهم أجمعوا أمرهم تحت قيادة ابنه طورسيموند وخلص الجوزيين من الهزيمة الكبرى بدخول الليل فقط والتجؤا فى داخل دائر عربات الحلة وكانوا محصنين بها معسكرهم وفى اليوم الثانى أصبح الغوطيون فى حماس شديد على الهجوم على معسكر العدو الا أن عطيوس خشى من ان

المملكة ربما تقع فى ارتباك من الغوطيين مثل ماهو واقع من الحونزيين وبذلك يتبدد أمرها ومال طورسمونه الذى جعل ملكا بدل أبيه بمعرفة قومه الى أن يأخذ جيشه ويعود الى طولوز لاجل توطيد خلافته على التخت ومن بعد سفر المنصورين وانفصال الجيش المخالف من بعضه استغرب عطيلا من الهدو والسكون المتسلطن فى سهول شالون الا انه ارتاب فى انه ربما أن تكون خديعة جاريا عملها فانتظر عدة أيام ولما انقضت هذه المدة تقهقر عابرا نهر الرين وكانت هذه النصرة ختام نهاية اسم المملكة الغربية وغلاق بابها

ومع أن واقعة شالون كانت هى الفاصلة لعاقبة أوروبا الا أنها مامنعت عطيلا من العود الى الحركات التعرضية وكان عطيوس ينظر بعين السياسة الميتة لما هو حاصل من الضرر الواقع على المملكة من قائد المتبربرين وفى سنة ٤٥٣ بعد الميلاد أغار على ايطاليا الشمالية الشرقية وتغلب على مدائن اكيليه وعاطينوم وكنكورديه و بادوه وخربها ونهب ميلان وباويه فتولد من هذا الخراب شئ ما كان تحت نظر الحونزيين وما كان على رغبة منهم لان أهل مدينة اكيلية وبادوه وماجاورهما من المدائن هربوا من شراسة وفظاعة المتبربرين ونجوا باحثين على سلامة أنفسهم من شرهم فاتخذوا لهم ملاجئ وضيعة فى جزائر فى رأس البحر الادرياطيقى ورموا فى هذه الجزائر أساسات الجمهورية المشهورة الفنيزيانية ثم تحرك عطيلا الى الجهة الجنوبية عازما على أخذ رومة وخرابها فقابله فى رأسه بعث البابا ليو الاكبر فتولد مما استغاث به البابا الخوف والرعب الخرافى فى قلب القائد البربرى وارتد فى الحال عائدا الى ممالكه ومن بعد مضى مدة قليلة طفح الدم من حلقه ومات فى الحال وخلصت الدنيا من شره وأذاها الذى كان أرعبها به وتقطعت مملكته قطعا بسرعة زائدة عن السرعة التى شيدها بها وخلص فلنطنيان من خوفه من الحونزيين وانثنى على عطيوس بغضبه عليه وقتله بيده شرقتله فى سنة ٤٥٤ بعد الميلاد وفى السنة التالية ذبح مكسيموس فلنطنيان وكان مكسيموس من أغنياء السناتو وكان حصل له أذى من الامبراطور مع اثنين من خدم عطيوس وكان قتله فى سنة ٤٥٥ بعد الميلاد ولبس مكسيموس النوب الارجوانى الا انه ماتسلطن الا ثلاث سنوات لانه أرغم عودوكسيه أرملة فلنطنيان على زواج قاتل زوجها فاستغاثت بمساعدة غنسريق ملك الفندالين فى افريقه وكان أسطوله رئيس البحر الابيض المتوسط فلبى ملك الفندالين دعوتها وأجاب سؤلها ورغبتها مؤملا غنيمة نفسه من غنائم ايطاليا وأسلابها فسار فى أسطوله ونزل فى مينة عوسطيه فقام الرومانيون على مكسيموس وقتلوه ومع ذلك فان غنسريق زحف على رومة وماضر فى حركته هذه أحدا من أهل المدينة بما ان قصده كان السلب فقط وضبط المدينة ورخص لعساكره بمدة أربع وعشرين يوما فى نهبها فأخذ الفنداليون كل ما كان تركه علريق وحملوه معهم الى افريقه وما نجا منهم شئ حتى الكنائس التى كان علريق تركها وقت ماسلب المدينة وجرد غنسريق المدينة من جميع أموالها وأمتعتها مهما كانت صفتها ولما ثقلت أحمال المتبربرين من السلب والنهب تقهقروا الى أسطولهم وأقلعوا الى قرطاجنه ومعهم عودوكسيه وبنتاها

وتولد مما حل بالرومانيين من هذه المصائب والاهوال الضعف والوهن الشديد حتى صار لا طاقة لهم باى حالة من الاحوال على تعيين امبراطور جديد وبواسطة شوكة ملك الغوطيين طيودوريق الثانى صار تقليد افيطيوس قائد الفرق العسكرية فى الغالية امبراطورا فى سنة ٤٥٥ بعد الميلاد ومن بعد أن

تسلطن أوّل من سنة خلعه الكونت أى العمدة ريسمر الغوطى فى سنة ٤٥٦ بعد الميلاد فصار أسقفا فى بلاسنطيه ومات من بعد مضى بضع شهور ثم ان ريسمر وضع على التخت ماجوريان نائباعنه وعن اسمه لمدة مقدارها ستة أشهر فى سنة ٤٥٧ بعد الميلاد فكان ماجوريان رجلا ماهرا صاحب عزم ونشاط وحزم وتدبير عكف نفسه فى الحال على طرد الفندال وكانوا هرسوا الساحل الايطالى ودرسوه وأوقف ما كانوا عليه من السلب والنهب واستعد فى سير تجاه هذا للاغارة على المملكة الافريقية فتدمر الاسطول الذى جمعه بواسطة جواسيس من طرف عنسريق فى نواحى مدينة قرطاجنه فاجبر ماجوريان على العود الى ايطاليا فألزمه فيها ريسمر على التنازل عن التخت وكان حصل عند ريسمر الحسد والغيرة من نائبه بما أظهره من الجسارة والتدمير حتى يكون مقبولا عند ولى أمره وذلك فى سنة ٤٦١ بعد الميلاد

وقلد ريسمر امبراطورا آخر اسمه ليبوس سفروس وجعله لعبة فى يده والشوكة الحقيقية لنفسه فكانت سلطنة سفروس معروفة فقط فى ايطاليا وأما فى دلماطيه فكان مرسيلينوس وكان فى الغلية عيغيديوس فمع انهما ما كانا متقلدين زمام الملك الا أنهما كانا الحاكمين الحقيقيين فى هاتين الايالتين ومات سفروس فى سنة ٤٦٥ بعد الميلاد واعتقد ريسمر فى نفسه أن فيه الطاقة الكافية لاداء الاعمال فى ايطاليا فسمح بخلو التخت ومع هذا فكان موقعه من أخطر المواقع وبما أنه كان غريب الدار ما كان عنده أدنى وثوق من الرومانيين وكان عرضة لاغارات عنسريق ملك الفندالين فى افريقه ولاغارات مرسيلينوس ومن بعد مضى سنتين التزم طلب المساعدة من أمبراطور الشرق فمنحه ليو أمبراطور الشرق المساعدة على حسب أغراضه واجبر ريسمر على أن يقبل انطميوس أمبراطورا فى الغرب الذى عينه من طرفه الامبراطور ليو وكان انطميوس هذا من كبار بيزنطيوم فى سنة ٤٦٧ بعد الميلاد

ثم حصل هجوم شديد على الفندالين بالجيوش والقوى المتحدة من الشرق والغرب ومع كل ما حصل فان عنسريق أنكى أعداءه وفاز بكونه دمر أسطول المخالفين بنيران المراكب وحفظ لنفسه جزيرة سيسيليا لاجل المحافظة على مملكته وعدم ضياعها ولكى يمكنه منها الاغارة على ايطاليا عند انتهاز الفرصة التى تعود عليه بالفائدة وذلك فى سنة ٤٦٨ بعد الميلاد وبمجرد عود أنطميوس على التخت زوج بنته من ريسمر وظن فى نفسه أنه نال صداقة هذا الرجل الباسل القوى البأس ومعاضدته ومن بعد مضى قليل وجد أنه انغش فى أمره ولما جعل الامبراطور رومة مقر مملكته وحكومته فى رومة عاد ريسمر الى ميلان ورتب فيها ثورة بقصد خلع الامبراطور وزحف على رومة فى رأس جيش مؤلف من الغوطيين والبورغنديين وأسرع فى سيره الى هذه المدينة وقتل أنطميوس وعين أمبراطورا جديدا اسمه عوليبريوس فى سنة ٤٧٢ بعد الميلاد ومات ريسمر من بعد مضى أربعين يوما وترك ابن أخيه غندوبالير وهو بورغندى الاصل وارثا له ثم من بعد مضى ثلاثة شهور مات عوليبريوس فأنعم غندوبالير بالثوب الارجوانى على غليسريوس وكان هذا رجلا عسكريا جاهلا لا يدرى شيأ فدخل الامبراطور ليو أمبراطور الشرق ثانيا فى هذه المادة وأجلس على التخت يوليوس نبوس ابن أخى مرسيلينوس صاحب دلماطيه وصار ارضاء خاطر غليسريوس نظير طاعته لهذا النظام بان منحه أسقفية سالون فى سنة ٤٧٤ بعد الميلاد

وعندما جلس يوليوس نبوس على التخت انفجرت ثورة بين المستأجرين المتبربرين وكانوا هم أسياد

ايطاليا في الحقيقة وخلعوا اوليوس نيوس وكانوا تحت قيادة الرئيس عورسطيس في سنة ٤٧٥ بعد الميلاد وأجلسوا على التخت روملوس أوغسطس ولقبوه أوغسطلوس المسخرة وكان ابن عورسطيس

ومن بعد جلوس أوغسطلوس طلب المؤاجرون ثلث أراضي ايطاليا مكافأة لهم على ما أدوه من الخدمات ولما حصل عدم القبول والرضا بنجح طلبهم قاموا تحت بيرق العصيان وذبحوا عورسطيس وخلعوا أوغسطلوس وألغوا المملكة في ضربة واحدة ونادوا على قائدهم الجرماني عودوسير ملكا ايطاليا ومن ثم كان سقوط المملكة الغربية من بعد أن لبثت ٥٠٧ من السنين

﴿تذييل﴾ كان ختام سقوط المملكة الغربية ختام نجم التاريخ القديم وغلاق أبوابه ومن الآن فصاعدا يرى المطالع نفسه أنه واقف مشاهد للاجناس الجديدة والحضارة والتمدن الجديد الذي ظهر في ميدان العالم ليحل محل الاجناس القديمة والحضارة القديمة ويخفي بوجوده عالم الميدان الاكبر الذين كانوا موجودين في ميدان تاريخ العالم والله يؤتي ملكه من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير وكان كلامنا الى الآن مقصورا على كل من قارة آسيا وافريقه والكور الاوروباوية الموجودة على ساحل البحر الابيض المتوسط وتولد من خفاء المملكة الغربية اتساع الميدان لنا على قدر امتداد البصر فظهر لنا فيه أمم جديدة وانتقل معظم القصص والحكايات والتسجيلات التاريخية الى قارة أوروبا وانقسمت في هذا الوقت بين أربع فروع كبيرة من الجنس الارياني أي الجنس الذي ليس أهله من أصل قارة أوروبا وهم الجريق واللاتنيون والصلطيون والطوطونيون أي التتار والرقيق أو الصلافيون ومن هذه الفروع ينسب الفرع الاول للتاريخ القديم وأما الثلاثة فروع الاخر فتنسب لتاريخ القرون المتوسطة

ثم قسم مؤرخو القرون الاخيرة في العادة مدة التاريخ المتأخر الى قسمين فالاول تاريخ القرون الوسطى وينحصر في المدة الكائنة بين سقوط المملكة الغربية وغلاق القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي والثاني تاريخ القرون الاخيرة ويمتد من غلاق القرن الخامس عشر الى أيامنا هذه واصطلحوا على المدة الاولى من هاتين المدتين بانها عصر الجاهلية أو الجهالة لانه من عهد خفاء تمدن رومة تحولت الدنيا الى حالة همجية بربرية في أوروبا لكن القارئ لا ينبغي له أن يخيب فكره من أن هذه المدة ولو انها كانت في الظاهر كثيرة الجهل والظلام مخيم عليها لكنها كانت في الحقيقة عصر تقدم وترعرع جسم الحضارة الاوروباوية وتيسر الحصول في هذه المدة على اكتساب الدرجة والقوة الفعالة لظهور الاشياء التي وجدت في الميدان الاكبر لتاريخ القرون المتوسطة وكان عصر الحضارة الاسلامية زاهرا في هذه المدة فلو نسبنا هذا الظهور لعصر الجهالة في أوروبا فانا ننسبه على الخصوص لسعة وتقدم نطاق الطوطونيين وهم الجنس الجرماني لان هذا الجنس من بعد توطنه في أوروبا الوسطى والشرقية ابتدأ مباشرة في سقوط المملكة الغربية كي يتشرب كافة القارة وينشئ لها هيئة وصفة جديدة كما قال بعض المؤرخين من أمريقه ان تاريخ القرون المتوسطة في أوروبا تاريخ مشترك بين متوحشي الجرمانيين أي الطوطونيين واللاتنيين أو الجنس الصلطيقي فكانت الالفة الاخيرة نتيجة مركبة من الاثنين خرجت عناصرها منهما فأخذت من المتبربرين محبة الحرية الذاتية والشعور بالاستقلالية ومن الرومانيين هيآت اقامة حضارة دوامية ومن المفيد هنا توجيه النظر لمعرفة مواطن أوروبا

ومساكن

ومساكن أممها فى الوقت الذى شيد فيه عودوسير تخته على أطلال المملكة الرومانية وآثارها فكان الجنس الجرمانى هو المستولى فى أوروبا وابتدأت القبائل الجرمانية فى الكبس على الامم الصلطيقية الى داخل جهات ضيقة وكان أهل الغلية من الفرع الصلطيقى وصاروا فى نفوذ وشوكة عالية بواسطة اتحادهم واتصالهم بالرومانيين الى أن صاروا جميعا لاتينيين ومسيحيين من قبل دمار المملكة الغربية ويمكننا أن نقول أيضا كذلك فى خصوص الجنس الصلطيقى فى اسبانيا الاريانى وكذا اصلط جزائر بريطانيا فان هؤلاء تيسر لهم الحصول على حقوق التبعة الرومانية وحصلت لهم الثمرة والفائدة الكبرى باتحادهم مع الرومانيين وابتدأ النفوذ الجرمانى يؤثر بقوته الفعالة على هؤلاء الامم عند سقوط المملكة الغربية مع الظفر والنجاح كما سنذكره فى محال أخرى من هذا الكتاب

فأما القبائل والشعوب الجرمانية الاصلية فكان الغوطيون والفرنج والقندليون والبورغنديون واللومبارديون والصاكصونيون والانكليز والاسكنديناويون

وفى وقت سقوط المملكة الغربية كانت مملكة الغوطيين الغربية للعوريق محصورة فى كامل اسبانيا وجميع الغلية الموجودة فى جنوب نهر لواره وغربى نهر الرون وكانت عاصمة هذه المملكة مدينة أرل وكانت هذه المدينة مرعية بانها قاعدة الحضارة ومركز التمدن الغربى وكانت منتخب دار العلم والتهذيب فى أوروبا وملكها أقوى شوكة وأنور عقلا وأكثر خبرة ودراية من كافة ملوك أوروبا وفى مدة سلطنة عوريق صار طرد الغوط الغربية الى نواحى جنوب جبال البرنات فوطنوا أنفسهم فى بحيث جزيرة اسبانيا واستمروا فيها حتى جاء العرب ودمروا عليهم مملكتهم من بعد مضى قرنين من طردهم وأما الغوط الشرقية فكانوا مقيمين فى ايطاليا فى الاقليم المحصور بين الدانوب والبحر الادرياطيقى وأما الغبيديون وهم أمة أخرى من الغوطيين فكانوا مستوطنين فى شمال الدانوب الاسفل وبين الدانوب الاعلى وجبال كربات فى الاقليم المعروف الآن بالافلاق والبغدان أومولداويه وولاخيا وفى الشرق من هنكاريا وكان الغوطيون أول الامم الطوطونية الذين دخلوا تحت سلطنة الديانة المسيحية ونفوذها وقبلوا هيئة الديانة المذكورة فى وقت سقوط المملكة الغربية وكانت تعرف عندهم باسم الديانة الاريانية أى التى ليست ديانة آبائهم وأجدادهم الوطنية

وأما الفرنج أو الفرنك (أهل الحرية) الذين صاروا على حسب تمادى الاحوال أسياد الغالية القديمة وأطلقوا اسمهم على القسم الاعظم منها فما زالوا قاطنين خلف حدودها الى أن ابتدؤا بالكبس على الحدود وسكنوا فى مبادى أمرهم فى الكورة المعروفة اليوم ببلجيقا واقليم الرين الاسفل ثم تغلبوا فى زمن سقوط المملكة الغربية على الغلية وطردوا الغوط الغربية من الجهة الجنوبية الغربية منها واستولوا على البورغنديين وسموا مملكتهم باسم فرانسا المشتق من لفظة فرنكيه أو الفرنك أو أرض الفرنك

وأما القندليون فانهم انتشروا من ابتداء الطرف الجنوبى من بحيث جزيرة اسبانيا الى الساحل الشمالى من افريقه وأقاموا مملكتهم وشيدوا قرطاجنه عاصمة لها وتغلبوا أيضا على جزيرتى قرسقه وسردينيه وجزيرة باليارق

وسكن البورغنديون وادى الرين وجهات البحيرات السويسية ولبث هذا الاقليم ألف سنة مسمى باسمهم وكان سلطانه ألد الاعداء الى الحكومة الفرنساوية الى أن صار خضوع هذا الاقليم

وأما اللومبارديون أي اللونجبارديون فكانوا في هذه المدة متوطنين في شمال غيبديه بين الدانوب وأعالي مياه نهر الويستول وكانت مملكتهم الاصلية أرض الثروط وساروا منها الى نواحي شواطئ نهر الالب ومن بعد قليل انتقلوا الى الجهة الجنوبية الشرقية وقطنوا في الاقليم المسمى الآن لومباردية ومنه نزلوا بعد ذلك على ايطاليا وأما الصاكصونيون (أرباب الخناجر والسكاكين) فانهم جاؤا في الاصل من الاقاليم المعروف الآن باسم هولصطين ثم انتشروا في نحو هذه المدة في اقليم نهر الوزر من ابتداء الرين في الجهة الجنوبية الى بحر بلطق وسكن قبيلتان مشهورتان من الصاكصونيين بحيث جزيرة دانيمارقه فكان هاتان القبيلتان هما الثروط والانكليز وما تقابل الصاكصونيون مطلقا مع الرومانيين وما حصل عندهم تأثير السلطة الرومانية بل ما زالوا على هيآت الديانة الوثنية متمسكين بمذاهبها وعقائدها وقطن الكثير منهم في طول سواحل الغلية الشمالية فتولد من قطعهم سبل البر والبحر وقوع الفزع الاكبر والخوف الشديد في طول كافة السواحل الاوروباوية وكان من قبل سقوط المملكة الغربية عبر الانكليز والصاكصونيون والثروطيون البحر الشمال ووطنوا أنفسهم في القسم الجنوبي من بريطانيا وسموها باسم انكلتره أي أرض الانكليز وأما الاسكنديناويون فانهم لم يظهروا في ميدان العالم الى حد القرن التاسع أو العاشر حتى ظهر اسمهم واشتهر ذكرهم تحت اسم نورمان أو رجال الشمال ثم عربت هذه اللفظة باسم النورمانديين

فكانت هذه هي التقسيمات الاصلية للعائلة الطوطونية الكبرى أي العائلة التي وصلت أوروبا من تتار شمال آسيا وأما السلاف أو السلافيون ومعناه في الاصل الرقيق فكانوا قاطنين خلف نهر الالب في السهول الواسعة من شرق أوروبا وهم أحد أقسام الفرع الاكبر الارياني أي الغريب في أوروبا فكانوا قوما رعاة كثيري العدد قليلي الشوكة عن الجنس الطوطوني ومن هذا الجنس معظم الروسيين وأما الاقاليم الباردة المستنقعة الموجودة في الطرف الشمالي من أوروبا فكانت مسكونة بقبائل الفلمنك وينسب المتأخرون من البولنديين والبوهيميين والبلغاريين والاريانيين الى الجنس السلافي وكانت الجهة الجنوبية الشرقية من أوروبا داخلة في ضمن الممالك الشرقية أو المملكة الجريقية

وأما الطرف الشمالي الغربي من أرض الغلية فانه ما زال تحت أيدي ملاكه من الصلطيين وقوى هؤلاء أنفسهم بمستعمرات من البريطانيين كان طردهم الصاكصونيون من بريطانيا فما زال هذا الاقليم مسمى باسم بريطاني وكذا كان الجنس الصلطيقي قاطنا في القسم الغربي والقسم الشمالي من بريطانيا المعروف الآن باسم الويلس وأصكوطلنده وارلنده والى هنا تم تاريخ رومة على حسب الحالة الراهنة

﴿الكتاب السابع عشر﴾

﴿ تاريخ المملكة الرومانية الشرقية ﴾

﴿الباب الاول﴾

﴿ من ابتداء سقوط المملكة الغربية الى فتح الترك القسطنطينية ﴾

قيام المملكة الشرقية ـ اتساعها وصفتها ـ سلطنة اركاديوس ـ طيودوسيوس الثاني ـ اغارة

الجوزيين

الحوزيين ـ سلطنة مرسيان وليو التراسيانى ـ انسطاسيوس الاول ـ يوسطين ـ سلطنة يوسطنيان ـ الامبراطورة طيودره ـ الثورة فى القسطنطينية ـ فتح مملكة القندال فى افريقه ـ فتح بلزاريوس ايطاليا ـ معاملة الامبراطور له مع عدم العدل والانصاف ـ أشغال يوسطنيان العمومية ـ قوانينه المدنية وشرائعه ـ القلاقل والارتباكات مع القبائل المتبربرة ـ سلطنة يوسطين الثانى وطبريوس وموريس ـ الحرب مع فارس ـ الامبراطور هرقليوس أو هرقل ـ مظفرات الفرس ـ استرداد هرقل أراضيه التى كان خسرها ـ صيرورة القسس مدايني المملكة ـ فتوحات العرب ـ محاصرة القسطنطينية ـ يوسطنيان الثانى ـ ليو الثالث ـ اعادته سطوة المملكة ـ قضية عبادة الاصنام والتماثيل ـ مبادى حرب تكسير الاصنام ـ قسطنطين الخامس ـ تحريم عبادة الاصنام ـ مجلس القسطنطينية ـ ليو الرابع ـ سلطنة الامبراطورة ارين ـ صيرورة نيسفوروس امبراطورا ـ معاهدته مع شرلمانيه ـ ليو الخامس ـ الحروب مع البلغاريين ـ دخولهم فى الديانة المسيحية ـ صيرورة ميخائيل الثانى امبراطورا ـ نجاح تجارة القسطنطينية ـ ختام حرب تكسير الاصنام ـ سلطنة ميخائيل الثالث وبازيل الاول ـ البازيليات ـ تغلب العرب على ايطاليا الجنوبية من الامبراطورات الجريقية ـ ليو السادس ـ قسطنطين السابع ـ سلطنة رومانوس الثانى وقسطنطين التاسع ـ يوحنا ظميسيس ـ الحرب مع الروسيين ـ سلطنة بازيل الثانى ـ رومانوس الرابع ـ قيام الدولة التركية ـ صيرورة مانويل الاول امبراطورا ـ سلطنته الشديدة ـ موته ـ تغلب أهل الصليب اللاتينيين على القسطنطينية ـ الممالك اللاتينية ـ اضمحلال المملكة ـ امبراطورات نخيا ـ الشوكة والدولة الكبرى ـ صيرورة اندرونيقوس امبراطورا ـ سلطنة يوحنا الخامس ـ محاربات القنيزيانيين والجنويزيه والبيزانية ـ وجود الترك فى أوروبا ـ تغلبهم على أراضى المملكة ـ فتحهم مدينة أدرنه ـ محاصرة السلطان بايزيد القسطنطينية ـ طلب المملكة مساعدة أوروبا الغربية ـ صيرورة قسطنطين الثالث عشر امبراطورا ـ حصار السلطان مراد الثانى القسطنطينية والتغلب عليها ـ سقوط المملكة الشرقية

فى المدة التى كانت المملكة الرومانية آخذة فيها فى سرعة الاضمحلال والهبوط والدمار والخراب كانت المملكة الشرقية مع عاصمتها القسطنطينية آخذة فى توطيد قيامها وحركة نظامها بحالة ثابتة متينة وكانت سلطنة مستقلة تحت حكم اركاديوس بن طيودوسيوس الاكبر كما ذكرناه فيما سبق وتحت أحكام الذين خلفوه وجاؤا من بعده ثم ان مدة ملوك هذه المملكة غرورا كان على غير فائدة لهم وأخيرا الفقوا لهم ألقاب الامبراطورات الرومانية وتوارثوا مسميات قيصر وأوغسطوس وصارت القسطنطينية عاصمتهم الدوامية فأخذت فى النمو والتقدم وكثرة الاموال وزيادة السمو والمجد من بعد أن استمرت عدة عصور محتقرة مزدراة بما كان حاصلا لها من الامم المتبربرة فكانت ممالك الامبراطورات الشرقية محدودة بالبحر الادرياطيقى ونهر الدجلة وكانت مسافة الخمسة وعشرين يوما مساحة وملاحة الفاصلة لاخرصيطيه (التتار) الباردة من المنطقة الحارة لاثيوبية داخلة جميعها فى ضمن حدود المملكة الشرقية وكانت الجهات المعمورة من هذه المملكة مراكز وقواعد للفنون والعلوم ومقر الرفاهية والثروة

فكان السكان المتخذون الاسان والعوائد الجربقية والمتزرون بازار الحق هم أهل الجهات الاكثر تنورا في العقل ودراية وخبرة في الحضارة والتمدن ورفاهية أحوال العيشة الدنيوية والاخروية وكانت هيئة الحكومة سلطنة رائقة ظريفة وكان اسم الجمهورية الرومانية الذى حفظ اسم الحرية المهينة مدة طويلة من الزمن مكنونا مختفيا في الاقاليم اللاتينية واتخذ ملوك القسطنطينية درجة فخامتهم وعلو سموهم ومقدارهم بواسطة استرقاق قومهم وعبوديتهم لهم

ثم مات اركادوس في سنة ٤٠٨ بعد الميلاد من بعد أن اشتهرت سلطنته بمشاحنات ومنازعات بين أراذل المقربين منه من أجل تيسر كل منهم على الشوكة وزمام السلطة والسيادة وفي مدة سلطنته أزهر وأينع وارتفع الشهير كريسوسطون صاحب القول البليغ والفم الذهب وخطيب الكنيسة الشرقية وفي نحو غلاقها نفي من القسطنطينية ومات منفيا بسبب ما تجاسر به من القدح والذم في خلاعة وقباحة العاهرة الامبراطورة عودوكسيه وخلف اركادوس من بعد موته طيودوسيوس الثاني وكان عمره وقت ذاك سبع سنوات فقط فكانت المملكة محكومة في مدة صغره مع المهارة وحسن التدبير بمعرفة أخته بولخيريه ومن بعد أن بلغ طيودوسيوس رشده كان هو الحاكم في الحقيقة لحدوث أخته بولخيريه لان الامبراطور ما كان الا عبارة عن صفر حافظ لخانة معدومة في المملكة وكانت السنوا الاخيرة من سلطنته معكرة محزنة بما حصل من الغارة على ممالكه من الحونزيين تحت قيادة عطيلا وكان ظهور هؤلاء الامم في المملكة الشرقية في سنة ٤٤١ بعد الميلاد ونشروا في ظرف التسع سنوات التي جاءت من بعد اغاراتهم وتخريباتهم في الاقليم الموجود بين البحر الادرياطيقي والبحر الاسود فخربوا سبعين مدينة من المملكة وجاسوا خلال البلاد والاراضي المكشوفة وخربوها حتى قال عطيلا قولا تباهى به وتفاخر بمجد نفسه ان الحشيش لا ينبت في الموضع الذى حط قدمه فيه حصانه وال الامر أخيرا الى أن اشترى طيودوسيوس انسحاب هؤلاء المتبربرين بدفعه لهم مقدار ٦٠٠٠ ليره من الذهب وعهد أن يدفع لهم خراجا سنويا بقيمة ٢١٠٠ ليره من الجواهر الثمينة وكان ذلك في سنة ٤٥٠ بعد الميلاد ثم من بعد مضى مدة قليلة غرق طيودوسيوس بالقرب من القسطنطينية من بعد أن تسلطن نحوا من ثلاث وأربعين سنة ومن بعد موته صارت بولخيريه امبراطورة الشرق فمن حزم رأيها وتدبيرها عقدت زواج نفسها اسميا على مارسيان وكان رجلا من الاعيان عمره ستون سنة فلبس الثوب الارجواني وماتت بولخيرية في سنة ٤٥٣ بعد الميلاد واستمر زوجها على التخت الى أن انقضى أجله ومات في سنة ٤٥٧ بعد الميلاد وخلفه ليو التراسياني وكان من حكام العسكرية وأجلسه على التخت العمدة الكبير أسبار أحد رعايا المملكة وكان كبير الشوكة والنفوذ فتداخل ليو في أعمال المملكة الغربية في سنة ٤٦٧ بعد الميلاد وعين من طرفه انطميوس امبراطورا في الغرب وكذا في سنة ٤٧٤ بعد الميلاد لاجل توطيد تخت المملكة الغربية الى يوليوس نبوس كما أسلفنا ذكره ومات في هذه السنة من بعد أن أظهر عدم الامن والخسة في نفسه وسلطنته بغدره وخيانته لمن أحسن عليه فانه قتل أسبار وأولاده بدل أن يثني عليه ويميل بكليته اليه ويشكر معروفه

ومن بعد موت ليو انتقلت وراثته وسمو تخته الى ابن ابنته عريادني وزوجها الاسوريانى السعيد طراسكاليسوس فغير هذا الاسم البربري ولقب نفسه بالاسم الجريسي زينو وتقرب بحالة تصنعية من تخت ابنه فأنعم عليه بوظيفة صيرته في الدرجة الثانية من المملكة وأشركه ابنه معه في الحكم فعمل

ما يجب عليه من طباعه البربرية وقتل رفيقه الشاب أى ابنه ونشر الفزع فجأة مع أن حياة ابنه كانت غير مانعة لما كان عليه من الطمع والشراسة غير أن سراية القسطنطينية كانت تحت نفوذ امرأة وهى فرينة أرملة ليو فحصل الاضطراب فى السراية وتكدرت أحوالها وقامت فرينة نفسها وطلبت مملكتها لنفسها وأصدرت حكما جازما بخلع العبد الخائن الغدار الذى لا أهلية فيه وأحسنت عليه بقضيب المملكة الشرقية فلما قرعت هذه الاخبار آذان زينو فرّ هاربا الى جبال أسوريا وأجلست أخاها برليسقوس المقبوح فى غزوة افريقية على التخت برضا السناتو الموجود تحت الرق والعبودية والتصديق وكانت سلطنة هذا الغاصب قصيرة جدا مرتبكة الاحوال فانه ذبح فيها عاشق أخته وأغضب عاشق زوجته القبيح الوقح هرماطيوس فنفر منه الناس وقاموا فى ثورة وطلبوا زينو من دار منفاه فوصل القسطنطينية وتقلد زمام السلطنة وعذب برليسقوس وأهله العذاب الشديد بالجوع والبرد ومازالت الشماخة العالية قائمة فى رأس فرينة على زوج بنتها من أجل خضوعها له أو هدوها فهيجت عداوتها له وعينت امبراطورا جديدا فى سوريا ومصر وجمعت جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ نفس بنبامن رجل ناسك مسيحى واخروتنى مجوسى وأما بنتها عريادنى فانها أظهرت فضائل النساء بميلها وصداقتها لزوجها وتوجهت معه فى محل منفاه ومن بعد عوده توسلت اليه فى الرحمة والرأفة بامها وتسلطن زينو الى سنة ٤٩١ بعد الميلاد ومن بعد موته تزوجت عريادنى بنت وأم وأرملة امبراطور شخصا اسمه انسطاسيوس وكان رجلا طاعنا فى السن من رجال خدم السراية وجلس على التخت ولقب بلقب انسطاسيوس الاول وأحيا حياته بعدة جلسها على التخت مقدارها سبع وعشرون سنة ومات فى سنة ٥١٨ بعد الميلاد

وفى سنة ٥١٨ بعد الميلاد ارتقى يوسطين الى لبس الارجوانى وكان عمره ثمانيا وستين سنة وقتذاك فتسلطن ما ينيف عن تسع سنوات وما كان يوسطين من سلسلة العائلة الملوكية بل كان من عائلة دنيئة من جنس همجى قاطن فى ضواحى أطلال مدينة سرديقا وهى مدينة صوفيه الآن من أعمال الارض القفرة الهمجية المسماة باسم دردانيه ثم داثيه ثم بلغارية ولما تعب من خدمة استعمال السلاح الواجبة عليه فى حفظ الفلاحة والمواشى ترك هذه الحرفة مع اثنين من أهل بلده وساروا على أقدامهم فى الطريق السلطانى الموصل الى القسطنطينية ومعهم شئ آخر زهيد من مؤنة العيش القديد فى مخاليهم حتى وصلوا مدينة القسطنطينية وقيدوا أنفسهم فى ضمن عساكر الخفر الامبراطورى مدة سلطنة ليو الثراسيانى بالنسبة لما شوهد فيهم من القوة وهيئة الجسم وفى مدة السلطنتين المتتاليتين ارتقى الفلاح السعيد الى الثروة والشرف فكان هربه من بعض الخطر الذى هدد حياته سببا فى أن صار بعد ذلك أحد المحافظين على حياة الملوك واشتهر اسمه فى خدمته الممدوحة الجليلة وظهرت شجاعته فى حروب الاسوريانيين والفرس حتى وصل بواسطة شجاعته ومهارته فى ظرف خمس عشرة سنة الى رتبة حاكم ثم أمير ثم قائد عضو فى مجلس السناتو ثم قائد الخفر الامبراطورى وكان ترقيه الى هذه الدرجات على التدريج فانقاد له الخفر الامبراطورى وجعلوه الرئيس الاكبر لهم فى وقت المشكلة المهمة التى حصلت وقت انتقال الامبراطور انسطاسيوس من الدنيا الى الآخرة وكان انسطاسيوس مكن أقاربه وغمرهم بالاموال الفاخرة جواس من دار السلطنة وطردوا من التخت وصمم الطواشى امنطيوس الحاكم فى السراية على كونه يضع التاج على رأس أعز الطائعين له من أتباعه وكان مشروع انتخابه مقصورا فى الخفر فعهد

هـذا الانتخاب الى القائد فاحتال يوسطين بخداعه فى تيسير الحصول على التاج الامبراطورى ولما لم يظهر طالب للتاج لبس فلاح داثيه الثوب الارجوانى برضا العساكر لما علموا فيه من الجسارة والبسالة والمهارة ومن القسس والامة لما اعتقدوا فيه من التصوف وعدم زيغان العقيدة ومن الاقاليم التابعين له مع العمى وعدم التبصر لاغراض العاصمة الا أن خبرة هذا العسكرى كانت غير كافية فى حكم وادارة مملكته ومع أنه كان شجاعا الا أن الضعف كان ملازماله فعهد زمام أحكام المصالح مع الصداقة والذمة الى بروكاوس واختار هذا الامبراطور الطاعن فى السن ابن أخيه المسمى يوسطنيان وكان جلبه صغيرا من اقليم داثيه ورباه وتبناه وهذبه فى القسطنطينيه وجعله وارثا لسعادته الخصوصية ثم للمملكة الشرقية وأشركه معه فى الحكومة فى آخر سنى حياته ثم مات يوسطين وترك يوسطنيان امبراطورا بمفرده

وكان عمر يوسطنيان خمسا وأربعين سنة فى الوقت الذى وصل فيه الى لبس التاج الرومانى واستمرت سلطنته نحوا من تسع وثلاثين سنة أى من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد وقال جبون ان يوسطنيان حكم المملكة الرومانية من ابتداء ارتقائه على التخت الى أن مات عن ثمان وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوما فقضى مدة الخمس سنوات الاول من سلطنته فى صرف مصاريف كانت على غير طائل فى حروب مع فارس وفى آخر هذه المدة عقد معاهدة مع مملكة فارس عرفت بالمعاهدة السلمية الدوامية الا أنها كانت قصيرة الاجل بين الطرفين كما سنذكره فيما بعد وكان يوسطنيان متزوجا قبل جلوسه على التخت بامرأة عاهرة اسمها طيودوره استحوذت على عقله وصار لها عليه نفوذ وسطوة لا حد لهما واستمر هذا النفوذ معها بغير انقطاع حتى هلكت فى السنة الرابعة والعشرين من زواجها وفى السنة الثانية والعشرين من سلطنتها

وبمجرد ختام الحرب الفارسى ارتجت القسطنطينية وتزلزلت أركانها بثورة خطرة تعرف بثورة نيكا انفجرت بين أحزاب ملاعب الخيول وكانت هذه الاحزاب تعرف بالحزب الازرق والحزب الاخضر وانتشر هذا الثوران فى أهل المدينة أجمع وأحرق قسم من المدينة بما فيه كنيسة القديسة صوفيه وصار أكواما من الرماد وقتل فى هذه الثورة ..... ٣ نفس ولبثت القسطنطينية خمسة أيام فى أيدى أشرار العوام والاوباش ونادى الامة على هياطيوس ابن أخى نسطاسيوس بالامبراطورية واستعد يوسطنيان فى نفسه لترك عاصمته لولا ثبات حصل من طيودوره فاستمالت الامبراطور على البقاء وحطم هذه الثورة واتخذ بلزاريوس قائد العساكر الامبراطورية الاحتياطات اللازمة وحزم رأيه فى طعن هذه الثورة وأخمدها وخلص التخت بمفرده وغلق الامبراطور أبواب الملاعب وأصدر منشورا بعدم فتحها بالكلية عدة سنين عقابا لاهل المدينة وكان ذلك فى سنة ٥٣٢ بعد الميلاد

ولما وطد يوسطنيان شوكته فى داخل مملكته شرع فى اعادة الاقاليم التى كانت داخلة فى الابتداء فى المملكة الرومانية فوجه أول حملاته وغاراته على مملكة الفنداليين فى افريقه وكانت محكومة فى هذا الوقت بواسطة غلمير وأما القوى الامبراطورية فكانت تحت قيادة بلزاريوس أمهر قواد عصره وكان ارتقاؤه الى هذه الدرجة بقوة ذكائه ونباهته وحزم رأيه من درجة فلاح الى أعلى هذه المناصب وفى هذه المدة كانت القرون والاعوام المتوالية طحنت الفنداليين وأخمدت حماتهم فى افريقه فتغلب بلزاريوس بسهولة فى مدة قليلة على هذه المملكة فى سنة ٥٣٣ بعد الميلاد ودخل هذا الفاتح فى قرطاجنه مؤيدا بالنصر والظفر من دون مقاومة ولما عاد بلزاريوس الى القسطنطينية سار فى زينة احتفال موكب

نصره سلسلة طويلة من أسرى افريقه وفى رأس هذه السلسلة غلمير وكذا أعاد جزائر سردينية وقورسيقه وقليلا من الجزائر الصغيرة الموجودة فى البحر الابيض المتوسط وكانت تابعة لعمالة افريقه

وجاء عقب التغلب على افريقه التغلب أيضا على ايطاليا وسنذكر وقائع وحوادث هذا الحرب فى تاريخ ايطاليا وتولد من مظفرات بلزاريوس ارتياب شديد وحسد كبير من غيرة الامبراطور ومنه خلعه من قيادته وأرسله لمقاومة الفرس وصدهم وكانوا كبسوا على الحد الشرقى للمملكة بشدة وما حصل من المعاهدة المعروفة بالمعاهدة السلمية الدوامية أدنى فائدة فما كان يرجوه عاقدوها الان خسرو ملك فارس نكث هذه المعاهدة فى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد وأغار بجيوشه على أنطاكيه وحرقها بعد أن سلبها ودمر آسيا الصغرى فأرسل الامبراطور له بلزاريوس فالزمه بلزاريوس بالقهقرة الى بلاده من بعد حصول واقعتين بينهما فى سنة ٥٤١ وسنة ٥٤٢ بعد الميلاد وتقهقر خسرو ولم يقدر أن يرجع بعد الواقعة الاخيرة لمثلها مع بلزاريوس ثم أرسل بلزاريوس مرة أخرى الى ايطاليا فظفر الفرس وانتصروا على جيش رومانى مقداره ٣٠٠٠٠ نفس كان تحت قيادة خمسة عشر من القواد واستمر هذا الحرب تحت قاعدة غير مربوطة الى سنة ٥٦١ بعد الميلاد حتى وصل كل من يوسطنيان وخسرو الى أرذل العمر ومال كل منهما الى الرضا بفصل حالة السلم فاشترى يوسطنيان الصلح بخراج يدفعه سنويا مقداره ٣٠٠٠٠ قطعة من الذهب

وفى غضون ذلك ما نجا بلزاريوس بفخر خدماته التى أجراها من غضب كل من الامبراطور والامبراطوره وحسدهما له واتهم بالخيانة وحكم عليه بالجريمة وسقط بخته وحبس فى سرايته وأخيرا ظهرت براءته فرد الامبراطور اليه شرفه وأمواله وحريته ثم مات بعد مضى ستة أو ثمانية شهور فى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد تاركا خلفه أعظم اسم وأجل شهرة لا يمكن دمارها ومع هذا فان الامبراطور الخائن ضبط كافة أملاكه وأمواله ماعدا مبلغا قليلا سمح فى بقائه لارملته

وكان بلزاريوس قبل موته بضع سنين أدى خدمة جليلة للمملكة وذلك ان البلغاريين كانوا تغلبوا على بحيث جزيرة الجريس وخربوا منها اثنتين وثلاثين مدينة وأسروا منها ١٢٠٠٠٠ نفس وفى سنة ٥٥٩ بعد الميلاد وقع صقيع شديد فى نواحى الدانوب فتساعد هؤلاء المتبربرون بالسلاف وأغاروا على تراسة وكنسوا ما وجدوه أمامهم وعسكروا على مسافة عشرين ميلا من القسطنطينية فاستغاث الامبراطور وطلب بلزاريوس فلبى طلبه وأجاب دعوته وترك محل راحته وجعل نفسه فى رأس ما جمعه بسرعة من العساكر وأرغم الاعداء على الانسحاب الى بلادهم ولما عاد بلزاريوس الى القسطنطينية استقبله يوسطنيان مع البرود وتقطيب الوجه وعدم الثناء

وكان يوسطنيان محبا للعمارات وانشاء الابنية فحلى القسطنطينية بمبان نفيسة أجلها وأعظمها الكنيسة العظمى المسماة سنت صوفيه فانه شيدها وأقامها فى محل الموقع الذى أحرق فى مدة الثورة المسماة نيكا وشيد فى محلات أخر من أقسام المملكة مبانى ظريفة وكنائس كثيرة وشيد من بلغراد الى البحر الاسود أى من ابتداء مصب نهر ساوه فى الدانوب الى مصب الدانوب فى البحر الاسود سلسلة من القلاع الحصينة تنيف عن ثمانين قلعة فى طول شواطئ هذا النهر الكبير وقلب الابراج الصغيرة الى قلاع كبيرة ورتبت هذه القلاع فى شكلها ورسمها على حسب شكل الاراضى القائمة عليها والمحيطة بها وشحنها بالسكان والمحافظين وجدد سد طراجان من بعد أن اندثر وأنشأ عليه أبراجا فى جهات

متر ويجـهه من أرض البلغار بين البحر الاسـود ونهر الدانوب وأنشأ أسـدودا قوية في مضايق ودروب ترمو بيلي بين الجريس ومقـدونيا في الاورمانات والمنافذ والمداخـل وكذا أنشأ أسدودا قوية طويلة قاطعـة بجيث جزيرة القرم لاجل حماية أصدقائه الغوطيين وهم قبيلة عدد نفوسها ٣٠٠٠ نفس من رعاة وحربيين وحفظ السـاحل المعوج الشرقي من البحر الاسود من ابتداء بجيث جزيرة القرم الى مدينة طرابزون بقلاع ومعاقل ومحالفات ومعاهدات

وفي مدة سلطنته صار نوع الحرير من المنافع والاستعمالات الضرورية فرأى الامبراطور يوسطنيان ان الفرس شاغلون البر والبحر باحتكارهم هـذه الذخـيرة الجليـلة وان أموال رعاياه جار صرفها على الدوام لامة عـدوة وثنية فأحيا التجارة في مصر من اندراسها وقوى على مـلاحة البحر الاحمـر كما كانت جارية سابقا وربط يوسـطنيان عـلاقات المساعـدة مع الحبشيين وكانوا حازوا من عهد جـديد فن الملاحـة وثمـرة التجارة كل ذلك من أجـل طلب صنعة الحرير فكانت المراكب الرومانية تسافر في طلب الحـرير الى مينا سـيلان وملقـه حتى الصـين وجهات خط الاسـتواء في البحث عن الذهب والزمرذ وأنواع العطريات الا أن هـذه المراكب ما كان لها طاقة على القرب من جهات فارس وأسواق الهنـد فقطع الامبراطور اليأس من تيسر الحصول على صـناعة الحرير في ممالكه حتى جاءه مقصوده بحالة ما كانت تخطر له على بال من دون حساب وذلك ان الانجيـل كان صار خطابتـه على الهنود وكان يوجـد أسقف بحكم مسيحى القديس توما على ساحل الفلفل في المليبار وكذلك شـيدت كنيسـة في سيلان وسار المرسلون تابعين آثار أقدام التجارة الى أن وصلوا الى نهاية اسيا من جهة الشرق وكان يوجـد اثنان من رهبان الفرس قطنا مدة طويلة في الصـين ويحتمل أنهما كانا في مدينة ناكين الملوكية مقر السلطان المتعود على سماع الخرافات البرانية ومقابلته سفراء سـيلان وفي مدة رهبانية هذين الراهبين في ناكين رأيا بعين الاسـتغراب ملابس الحرير المعتادة على أهل الصين وصناعة الحرير وألوفا من دود القز جاريا تربيتـه على الاشجار وفي البيوت مع غاية الاعتناء ورأيا انه يستحيل عليهما نقل هذه الحشرات القصيرة العمر الى أقاليم بعيدة لكن يمكن نقل بيضها الى جهات بعيدة فأخذا منه مقدارا وافرا للانتفاع بتجارته وسافروا سفرا طويلا حتى قدموا القسـطنطينية وقدموا ما معهم من هذا البذر الى الامبراطور يوسطنيان ففرح به وأغدق عليهما بالانعامات الجليلة وقواهما على تجارتهما وابتدآ في تشغيل الحرير وتربية الدود وقيل ان جماعـة عبروا من جبال القوقاز وخاطروا بأنفسهم حتى دخلوا الصـين وجلبوا من هـذه البضاعة كميات وافرة في داخل غاب مجوف وعادوا ثانيا الى القسطنطينية وفقس هذا البذر في الفصل الموافق له بحرارة صناعية من السماد ونجحت تربيته غاية النجاح وصارت مشـغولات الحرير في القسـطنطينية احـدى التجارات الاصلية المعول عليها وعاش الدود في الاقاليم الغربية وغرسوا الغذائه شجر التوت واستمر الرومانيون في أشغال الحرير وصـناعته حتى صاروا في درجة لا فرق بينها وبين شغل الحرير في البلاد الصينية

ولما كان ما بين البحر الاسود وبحر الخزر الذى هو أراضى كولكوس وعبريا أو جورجـستان والبانيا مقطعة في كل جهة منها بفروع جبال القوقاز البابين الاصليين أو الدربين المشهورين الموجودين في هذه الجبال المعروفين في كل من الجغرافية القـديمة والحديثة باسم كاسبيان أو الابواب الالبانية أى الدربند وكذا بعض معابر صـغيرة يخرج منها خيالة الصـيطيين يغـيرون على المملكة الرومانية

والفارسية

والفارسية أقيم فى طول هذه المسافة الشاسعة ما بين البحر الاسود وبحر الخزر أى فى طول ثلاثمائة ميل سد من البناء بالحجر قافل هذه المسافة يعرف بسد يأجوج ومأجوج على مصاريف المملكتين الرومانية والفارسية مبتدئا من ساحل الدربند على البحر الاسود سائرا فوق التلال والجبال عابرا من وادى الداغستان وجورجستان الى بحر الخزر وكان كل حجر من الاحجار المبنى بها هذا السد أو السور بثخانة سبعة أقدام وطوله وارتفاعه أحد وعشرون قدما موضوعة وضعا متلاصقا بغير حديد أو مؤنة وبهذا السد امتنع الصيطيون أو يأجوج ومأجوج من اغارتهم على الممالك الرومانية الاسياوية والمملكة الرومانية

وكان اللقب المشهور به يوسطنيان لقب مشرع الا انه ما كان على دراية كبيرة من تشريع قوانين جديدة بل كان معيدا للقوانين القديمة وامتدت أحكام قانونه المدنى على كافة الممالك الرومانية ونقح الادارة والشوكة القانونية وجعلها سارية على حسب توالى العصور والازمان وكانت القوانين الرومانية كثر عددها وتولد منها منازعات ومجادلات لا نهاية لاختلالها وكان كل أمر صدر من امبراطور يعد قانونا فمن ثم تولد فى الادارة العدلية الخلل الاكبر وأحاطت بها المشاكل والمصاعب مع كون القضاة خالين من الغرض وكانت المملكة مرتبكة فى أعمالها وادارتها فاقدعا يوسطنيان لمساعدته العالم المشرع القانونى طربونيان وآخرين معه وشرعوا فى عمل طريق يداوون بها هذه الارتباكات وكانت نتيجة أعمالهم أن نقحوا قانونا رومانيا سموه بالقانون المدنى كان قاعدة لجميع القوانين الشرعية فى نحو كامل أوروبا وكان شغلهم هذا محصورا فى ثلاثة كتب ضخمة الاول منها مبادى القوانين وقواعدها وأصولها والثانى المجلة أى قانون الشرائع المدنية والثالث كتاب الفتاوى فكان الكتاب الاول يشتمل على القواعد الاساسية للقانون محاولة مفصول الحكم فيها وأما المجلة أو القانون المدنى فكان يشتمل على ملخص القوانين الشرعية من عهد هادريان الى وقت يوسطنيان وأما كتاب الفتاوى فكان مشتملا على جميع الشرائع والقوانين وأحكامها وأقوال علماء القضاة وأذكيائهم فيما يختص بالواجبات الشرعية وفصل الامر فيها من عهد عصر قانون الاثنى عشرة طربيزة أى من قبل عصر يوسطنيان بألف سنة وصدرت أوامر الامبراطور ومنشوراته بسير الادارة والاحكام على موجب هذه الثلاث كتب وانها هى الواسطة الفاصلة الشرعية فى القضايا المدنية الشرعية ومعتمدة العمل فى المحاكم المحلية ولاجل زيادة كمال نشرها وتعميمها فى عموم المملكة أنشئت مدارس شرعية وادارية فى القسطنطينية وروما وبيروت من أعمال سوريا لدرس هذه الشرائع والكتب اياها وهى طويلة لا يمكن هنا درجها ولا نسخها وألغى يوسطنيان مدارس أثينة ومجالس رومة وكان خرج منها كثير من أذكياء الرجال وعقلائهم وأشجع القواد العسكرية وكانت السنوات الاخيرة من سلطنته مشحونة بالقلاقل والارتباكات وذلك أن الترك وهم قبيلة من دقاقين الحديد من سلسلة جبال الطاى تركوا جبالهم ووطنوا أنفسهم فى التتار وأخضعوا الحوزيين أو الافاريين الموجودين على نهر الطيل وهرب الذين بقوا على قيد الحياة من الامة التى تغلبوا عليها الى جبال القوقاز وقدموا أنفسهم لخدمة الامبراطور يوسطنيان فقبلهم فى خدمته خوفا من غضبهم واغاراتهم وعاملهم بالاكرام وأغدق عليهم بالاحسان وقواهم على الاغارة على أراضى البلغاريين والسلافيين فى ظرف العشر سنوات التى جاءت بعد مدة وافتوحاتهم الى نهر الالب وأخضعوا الكثير من القبائل والعشائر وأرغموا الباقى على دفع الخراج لهم ثم ترك يوسطنيان

محالفتهم من أجل معاهدتهم الاتراك ومع هذا صار لهم طاقة فى السلطنة التى جاءت بعد يوسطنيان وتغلبوا على الاقليم المعروف الآن باسم هنكاريا وقسم من تركية أوروبا وشيدوا فيه مملكة شاغاناتهم واستمروا ممتعين بسلطنتهم مدة ٢٣٠ سنة بعد الميلاد

ومات يوسطنيان فى شهر نوامبر من سنة ٥٦٥ بعد الميلاد وخلفه ابن أخيه يوسطين الثانى فكانت سلطنته خالية الوقائع والحوادث ولما صعد ابن أخى يوسطنيان على التخت أعلن تاريخا جديدا للسعادة والمجد فكانت سنو سلطنة يوسطين الثانى على غير رغبته فانها اشتهرت بالقدح فى الخارج وبالمهنة فى الداخل وفى جهة الغرب فقدت المملكة ايطاليا وخسرتها وخربت افريقه وتغلب الفرس وتسلطن الجور وسوء الادارة فى كل من العاصمة والاقاليم وخاف الاغنياء على أملاكهم والفقراء على سلامتهم وصارت الحكام جهلاء أو مرتشين وصارت أسباب العلاجات والادوية الاستبداد والشدة والفظاعة ونادت الامة بضجرها وتألمها وما تسلطن من الامراض والعلل على الامبراطور جعله كامنا داخل السراية ونزل ضيف العناء والآفات بالامة وحاق بالحكومة النقص والعيوب فعزم الامبراطور بالنسبة لجسامة موقعه وأهمية مركزه على تنازله عن تاجه وحالما كان مشغولا بهذا الفكر قام عليه اخوته وأعمامه وأظهروا حقدهم وحسدهم له وصاروا أعداء لما كان يرغبه لهم فنفاهم وقتلهم وكان ابنه من زوجته الامبراطورة صوفيه مات فى صغره وتولد من الكراهة والعداوة الداخلية أن عزم الامبراطور على البحث عن خليفة له من غير عائلته بل من العموم فطلبت الحليلة صوفيه زوجته صديقها طبريوس رئيس الخفر فكانت فضائله وعلو همته من أجل مرغوب انتخابات الامبراطور فعقد احتفالا لترقيته الى درجة قيصر أو أوغسطوس فى ايوان السراية بحضور البطريرك والسناتو والجم الغفير من وجوه المدينة وأمرائها وجمع يوسطين ما بقى من حواس عقله وقوة جسمه وقال له تأمل الآن أعلام الشوكة السامية فانك على شرف استلامها ليس من يدى بل من يد الله فأكرمها وشرفها فانك تنال منها الكرم والشرف واحترم الامبراطورة كأنها أمك وأنت الآن ابنها بعد أن كنت خادمها ولا تفرح بسفك الدماء بل تجنب الانتقام والبطش واحذر الاعمال التى أنا منها صرت مبغوضا ممقوتا عند الامة وكن على التجربة لا على مراعاة منوال من سلفك وعما أنى انسان وعندى الخطأ فأنا خاطئ حتى فى هذه الحياة الدنيا فلذا عوقبت بأشد العقاب الا أن هؤلاء الخدم (وأشار الى الوزراء) الذين أساؤنى فيما عهدتهم به وأشعلوا النار لعذابى سوف أتقابل معهم أمام محكمة المسيح فانى كنت اندهشت من جلالة التاج وفخامته فكن أنت عاقلا ذكيا مدبرا وتذكر ما كنت فيه أولا وما أنت فيه الآن هؤلاء الذين حولنا عبيدك وأولادك فدبر أمرهم واعطف عليهم وكن بهم رحيما كوالد وأحب رعيتك كحبك لنفسك وازرع المحبة وداوم على نظام الجيش وحفظ سعادة الغنى وساعد الفقير وفى غضون ذلك كان المجلس غاصا بالعالم منصتا لاحراك لاهله وجميعهم ساكبون عبراتهم على خدودهم مشتركون مع ملكهم فى التوبة ووعظ البطريرك وزاد فى وعظه ودعا بدعاء الكنيسة وتناول طبريوس التاج وهو جاث على ركبتيه فقال يوسطين وقت تنازله عن التاج للملك الجديد ان كنت ترضى فأنا على قيد الحياة وان كنت تأمر فأنا أموت والله رب السموات والارض يلهمك ما تركته أنا أو نسيته وكان ذلك فى سنة ٥٧٤ بعد الميلاد فدبر طبريوس أشغال المملكة مع الصداقة والذمة حتى مات المحسن له بالخير فى سنة ٥٧٨ بعد الميلاد وصار طبريوس أمبراطورا

ومن بعد موت يوسطين الثانى انتظرت الامبراطورة صوفيه زواجها طبريوس حتى تستمر على سلطنتها كما كانت غير أن طبريوس بمجرد جلوسه على التخت جعلها سيدته وأمبراطورته فى سره وكانت زوجته الشرعية انسطاسيه واجتهد فى أن يرضى خاطر صوفيه فى تطبير عدم زواجه بها بالاغداق عليها بالكرم قولا وفعلا وحينما كانت مغمورة بكرمه واغداقه عليها مع السرور والانشراح تداخل الاعداء عندها سرا وأغضبوها وحرضوها على خلعه فرتبت من أجل ذلك ثورة خفية فلما انكشفت ثورتها التزم الامبراطور بأن يجعلها فى معزل منه فى عيشة خاصة بها ومن بعد أن تسلطن طبريوس أربع سنوات ونال فيها محبة رعاياه بما كان عليه من الفضائل والخيرات مات سنة ٥٨٢ بعد الميلاد وخلفه موريس وكان انتخبه وارثاله بعد موته فكان أهلا لهذا السمو العالى الذى أفيض عليه

وكان أصل الامبراطور موريس من رومة القديمة الا أن أهله فى وقت جلوسه على التخت كانوا قاطنين فى عربسوس من أعمال قبدوقيا وحفظتهم صداقتهم على قيد الحياة ليروا سعادة ومجد ابنهم ويشتركوا معه فيها وصرف موريس مدة شبابه فى الجيوش العسكرية ورقاه طبريوس الى قيادة فرقة جديدة مفروزة مؤلفة من ١٢٠٠٠ نفس من عساكر مختلفة واشتهر اسمه وعلا قدره فى الحرب الفارسى وعاد الى القسطنطينية وكافأه طبريوس بوراثة المملكة من بعده وصعد موريس على التخت بالغ الرشد والعمر فى سن ثلاث وأربعين سنة وتسلطن زيادة عن عشرين سنة على الشرق وعلى نفسه وأخرج من ذهنه ما كان عنده من الطبع الوحشى وأقام بدله الرشد والعقل والفضيلة وصرف جميع حواسه فى الحصول على سعادة رعيته ودبر حكومته وباشرها على المنوال الذى كان عليه طبريوس وحاز الامبراطور موريس الفخر باعادته ملك فارس الى تخته وأنشب قواده حربا على أقارس الدانوب وأغمض بعين الرحمة عن حماية أقاليمه الايطاليانية من تحملها أثقال جور اللومبارديين وذلهم

وكانت الامبراطورات على الدوام فى عذاب شديد وعناء مديد من جهة ايطاليا من سماعهم الحكايات القبيحة عن الاعمال المهينة الحاصلة فى ايطاليا وطلب أهلها من الامبراطورات المساعدة لخلاصهم عما هم فيه من الاهانة الا ان الامبراطورات ما كان لهم طاقة على مساعدتهم بسبب ما كانوا عليه من الضعف فعرضت رومة بنفسها للامبراطور طبريوس تقول له ان لم يكن فيك قابلية لخلاصنا من سيوف اللومبارديين فبالاقل خلصنا من غوائل القحط فسامحهم طبريوس فى هذا الذم وخلص رومة من القحط ونقل اليها ذخيرة من الغلال من مصر ثم استغاث القسس والامة الرومانية فى رومة باسم القديس بطرس وقاموا على المتبربرين وطردوهم من داخل أسوار رومة الا أن هذا الخلاص كان وقتيا فقط ومازال الخطر والضيق مستمرا فجمع القسس والسناتو مما كان باقيا عندهم من أموالهم القديمة مبلغا مقداره ٣٠٠٠ ليرة من الذهب وسفروها مع واحد من أشرافهم اسمه بمفرونيوس الى القسطنطينية كى يقدم هديتهم وشكواهم لاعتاب التخت البزانطيانى وكان التفات الديوان فى القسطنطينية وكامل العساكر الشرقية موجها جميعه الى جهة فارس وحربها فاقتضى عدل طبريوس أن يعيد هذا المبلغ لحماية رومة وقال الى بمفرونيوس اما أن يرشى رؤساء اللومبارديين أو يشترى مساعدة ملوك فرانسا وكانت هذه أجود النصائح وأحسن الارشادات عنده ثم ان البابا استغاث بموريس ومساعدته من بعد جلوسه على التخت بقليل لاجل خلاص ايطاليا من اللومبارديين وبما أنه ما كان للامبراطور من طاقة على تلبية طلبه دعا الفرنج بالنيابة عنه فاجتهدوا فى اتمام دعوة الامبراطور وغزوا ايطاليا

المرار العديدة وكان آخر هذه الغزوات تحت قيادة شلدبرت حفيد كلوفيس فكان على غير نجاح في حملتين ثم حصل له النصر في الحملة الثالثة وخاب الجريس من أن يرسلوا الى شلدبرت مساعدة نيابية من طرف الامبراطور ويتولد من غزونه هذه عدة غزوات يأتى ذكرها فى تاريخ ايطاليا فى هذه المدة وكان التفات الامبراطور موريس مقصورا على جهة الشرق وكان الحرب انفجر مع فارس مرة ثانية فى سنة ٥٧٢ بعد الميلاد فى السنة السابعة من سلطنة يوسطين الثانى واستمر الحرب فى نصرات متبادلة بين المتحاربين مدة السبع سنوات التى جاءت بعد وفى سنة ٥٧٩ بعد الميلاد مات خسرو نوشروان وخلفه ابنه هرمز فتولد من جبروته وظلمه قيام رعيته فى ثورة عليه وفى هذا الوقت نال الرومانيون نصرات عديدة عظيمة على حدود ميزوبوتاميا وأشوريا وكذا كان الترك مغيرين على الممالك الفارسية من جهة نهر سيحون بجيوش يختلف مقدارها من ٣٠٠٠٠٠ نفس الى ٤٠٠٠٠٠ نفس ثم خلصت فارس وسلمت من هذا الكرب الشديد بواسطة شجاعة بهرام فانه هزم الرومانيين والاتراك فأقامه عساكره ملكا على فارس ولما علم أشراف الفرس تقليد بهرام زمام الملوكية خلعوا هرمز وسملوا عينيه وأجلسوا ابنه خسرو الثانى على التخت فرفض بهرام قبول هذا الملك الجديد وضايقه بهرام أشد المضايقة حتى التزم خسرو على الهرب الى المعسكرات الرومانية ورمى بنفسه على كرم الامبراطور موريس فخضن الامبراطور أمره ودخل فى أعماله ودخل فى فارس جيش رومانى فطرد بهرام الغاصب عن التخت وأعاد الجيش الرومانى خسرو الى تخته فحفظ هذا الملك الشاكر جميل هذا الصنيع واستمر فى أعظم ارتباطات ودية مع المملكة الرومانية حتى هلك موريس

ونال الامبراطور موريس فى آخر سلطنته بعض مظفرات على الافارس فى نواحى الدانوب واجتهد فى اصلاح الجيش وتظامه فتولد من ذلك ثورة كانت نتيجتها جلوس فوكاس على التخت وقتل موريس وأولاده الخمسة فى نواحى كالشيدون سنة ٦٠٢ بعد الميلاد فى ساحل آسيا وكان مقتله فى السنة العشرين من سلطنته وفى السنة الثالثة والستين من عمره ورميت أجسام الاب وأولاده الخمسة فى البحر وطيف برؤسهم فى القسطنطينية وكان فوكاس سفيها جاهلا خبيث الطبع أميا لا يقرأ ولا يكتب وليس له دراية بالقوانين والشرائع حتى الاعمال العسكرية وغرق فى القباحة واللذات والشهوات والمسكرات فكانت شهواته الحيوانية ضررا على رعيته وعلى نفسه وجلب على نفسه المقت والغضب من رعاياه وكانت سلطنته خالية من الحروب فى نواحى أوروبا ومرتبكة بها فى نواحى آسيا ثم هرب طيودوسيوس بن موريس ناجيا بنفسه الى الديوان الفارسى فأمر فوكاس بالقبض عليه فقبض عليه المرسلون خلفه وقطعت رأسه فى مدينة نيخيا أونيس فكانت خيالات هذا البرنس الشاب المقتول مقصورة على الدوام أمام فوكاس فقل منها راحته وعظمت مصيبته وحصلت الاشاعة سرا فى الشرق بان ابن موريس موجود على قيد الحياة وانتظر الامة الاخذ بثارهم وأما أرملة موريس وبناته فانه فى وقت ذبح العائلة الملوكية عفا عنهن فوكاس امارحمة منه أوسياسة وأمر بوضعهن فى سجن محترم مخصوص بهن الا أن حدة وحمية الامبراطورة قسطنطينية على أبيها وزوجها وأولادها جعلتها محافظة على الاخذ بالثار فهربت فى جنح الليل الى كنيسة سنت صوفيه وسكبت فيها دموعها وذهب جرمانوس شريكها فى تشكيل ثورة وصارت حياتها فى حالة خطرة فوعدها البطريرك السلامة وحلف لها وضمن لها سلامتها من عدوها فقبلت ما أمرها به من بعد أن عين لها ديرا تقيم فيه وما حصل عندها أدنى لين لقاتل

زوجها ثم تولد من ثورة ثانية أوربية حصلت منها اشتعال نار الغضب فى وجه فوكاس فأمر بتعذيب بنت وزوجة وأم الامبراطورات العذاب الشديد ومن اشترك معها فى هذه الثورة كاحقر الناس المجرمين حتى تعترف بمقصدها ثم قطع فوكاس رأس قسطنطينية وبناتها الثلاثة فى كالسيدون من براسيا فى نفس الميدان الذى سال فيه دم زوجها وأولادها الخمسة من بعد أن مثل بهن وعذبهن العذاب الذى ما سمع بنظيره من قبل لخرق أعينهن وأخرج ألسنتهن من جذورها وقطع أيديهن وأرجلهن ومن بعدها سار فوكاس على قدم الجنون وأمر بالقتل والنهب فى رعيته فأشعل عساكره النار فى قتل الانفس فنهم من مات تحت الضرب ومنهم من حرق بالنار ومنهم من ضرب بالنبال والحراب وامتلأ الابيدروم وهو المأوى المقدس لحرية الرومانيين وأفراحهم باجسام القتلى وصار المتقربون من فوكاس والبعيدون عنه لا يجدون من يخلصهم من فظائع هذا الطاغية وكانت أعماله وأحواله أضل من أعمال كاليجولا ودوميطيان فى العصر الاول للملكة

وكان لفوكاس ابنة واحدة كان زوجها واحد من الاشراف اسمه كريسبوس فوضع فى السركة التمثالين الملوكين للعروسة والعريس بجانب تمثال الامبراطور فحصل عند الامبراطور الحنق الشديد من هذه المادة وأمر بقتل حكام الحزب الاخضر نظير ما حصل منهم من هذا الخطا الفاحش ثم عفا عنهم ووهب دماءهم للامة وحصل عند كريسبوس الشك وأخذه الوهم فى كون هذا الغاصب الحسود ينسى أو يعفو عما حصل على غير رغبته وتولد من هذا نفور كريسبوس من جهة وابتعاد الحزب الاخضر من خيانة فوكاس وضياع شرفهم وامتيازهم واستعد كل اقليم فى المملكة للعصيان وكان هرقليوس عامل افريقه مصرا على رأيه من عدم ارسال خراج يطلب منه من مدة سنتين كانه نقض طاعته لمن كان سيا فى نجاسة وفساد تخت القسطنطينية وربط هذا العامل المستقل علاقاته بجواسيس مع كريسبوس والسناتو فى خلاص نفسه وممكنه الأن ما كان فى نيته وضميره تجدد بواسطة تقدم سنه فتنازل عن مشروعه الخطر لابنه هرقليوس ونيسطاس بن جريجورى صديقه ونائبه وصارت شوكات افريقه مسلحة بشابين جسورين شجاعين فانفقا على أن أحدهما يقود الاسطول من قرطاجنه الى القسطنطينية والآخر يقود الجيش الى مصر والى آسيا حتى يصل القسطنطينية ومن يحصل على يده النجاح يكون جزاؤه لبس الارجوانى فطرقت مسامع فوكاس أخبار واهية بمشروعهما وكانت أم هرقليوس وزوجته رهائن فى القسطنطينية وفاء بذمته وضمانا على صداقته فشرع صاحب الحيل كريسبوس فى ابتعاد هذا الخطر القريب من آذان فوكاس وأهملت وسائط المدافعة ونام الطاغية وتكاسل واشتغل بلذاته حتى رمى الاسطول الافريقى مخاطيفه فى بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وانضم الى هذا الاسطول جميع الفارين والمنفيين الخائفين من فوكاس ثم سارت مراكب هرقليوس من الدردانيل مزينة صواريها العالية باشارات وعلامات ديانية حتى عبرت بحر مرمرا وكان فوكاس ينظر من شبابيك السراية الى قرب أجله ونزول القضاء عليه فانعم على الحزب الاخضر بالانعامات والاقطاعات فى الاقاليم وأمرهم بمقاومة ضعيفة لا طائل تحتها فى منع الافريقيين من النزول فى البر فدخل الخفر والامة فى رأى كريسبوس من عدم المعارضة وهجم عدو مخصوص على السراية بجسارة وقبض على الطاغية ونزع من رأسه التاج وأقلعه القميص الارجوانى وأوثقه فى السلاسل وألبسه ثوبا أبيض ونقله فى قارب صغير الى مركب هرقليوس فوبخه وعنفه ولعنه على ما حصل من ظلمه وجبروته وجرائمه

التي وقعت منه في مدة سلطنته فأجابه فوكاس هل تريد أنت أن تحكم أحسن فكان ذلك آخر ألفاظه ومن بعد أن أذاقه العذاب صار خلاص رأسه من جسمه ورمواجسمه في النار وبئس القرار وكسروا تماثيله ودعا القسس والسناتو والامة هرقليوس للصعود على التخت الذى طهره من الجرائم والادناس فمن بعد أن تردد قليلا في أمره سلم لهم رغبتهم في صعوده على الكرسي فكان تتويجه مصحوبا بتتويج زوجته عودوكسيه معه واستمرت ذريتهما الى الجيل الرابع متسلطنين في المملكة الشرقية وكانت سفرة هرقليوس سهلة ناجحة وجاءنيسطاس بعد قضاء الامر وانقاد من دون ضجر لسعادة صديقه فكافأه الامبراطور بتمثاله فوق حصان وزوجه بابنته وكافأ كريسبوس على فعله بالانعام عليه بقيادة الجيش القبدوقي الا أنه كان من الصعب الاعتماد على صداقته لانه داخله الغرور والغلطة وأظهر خصاله الذميمة للملك الجديد فحكم السناتو على كريسبوس بالرهبانية في أحد الديورة الا أن هرقليوس حكم عليه بالموت وقال من غش أباه وخدعه لاخير فيه ولا صداقة عنده لمحبيه وكان جلوس الشاب هرقليوس على تخت المملكة في سنة ٦١٠ بعد الميلاد

وفي سنة ٦٠٣ بعد الميلاد كان خسرو ملك فارس أغار على الممالك الرومانية طالبا بأخذ ثار أبيه المحسن له موريس والانتقام من المتسبب في قتله فمن أجل جريمة رجل طماع انصبت مصائب الحروب ودواهيها على الامة التى كان هذا الطماع جائرا عليها وظالما لها ثم من بعد مضى عشرين سنة انصبت هذه الدواهي والمصائب بالمثل على رؤس الفرس وذلك مصداق ماذكر في القرآن الشريف في قوله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) وكان القائد الذى أعاد خسرو الى تخته لم يزل قائدا في الشرق حتى عزل من قيادته فاعتزل في مدينة هيرابوليس في سوريا واستقل بنفسه فخدعوه في القسطنطينية بالمواعيد الكاذبة وأذاقوه وبال الحرق في سوقها ولما فقد العساكر الرومانية قائدهم الذى كانت الاعداء تخشى سطوته انهزمت الطوابير التى كان ساقها لحرب الفرس مرتين بخيالة الفرس وداستهم الفيلة تحت أقدامها وخرقت صدورهم رماح الفرس وقتل الجم الغفير من الاسرى في ميدان الواقعة بأمر خسرو ملك الفرس وقتل العساكر الذين كانوا هاجوا في ثورة قتل موريس كل هذا في مدة سلطنة فوكاس وحاصر خسرو مدائن دارا وعميدة وعديسة على التوالي وأخضعها وهدم استحكاماتها وأسوارها ثم عبر الفرات واحتل مدائن سوريا هيرابوليس وكالسيس وحلب ثم حل مع السرعة على وديان انطاكيا بجيوشه المظفرة وظهر من هذا المد السريع اضمحلال المملكة وعدم لياقة فوكاس وتدبيره ونفور رعاياه واشمئزازها منه

وكان أول الاخبار التى وردت على هرقل من جهة الشرق خبر ضياع أنطاكيه الا أن هذه المدينة العتيقة كانت الزلازل هدمتها ومن نهب كل عدو تغيرت حالتها وصارت مجرى صغير الكنوز والدماء وفاز الفرس وحصلت لهم السعادة من نهبهم قيصرية عاصمة قبدوقيا ولما تقدموا وراء أسوار الثغور واستحكاماتها وجدوا مقاومات قليلة ومحصولات وافرة كثيرة وكان وادى دمشق الرحب البهج النضر محلى في كل عصر بمدينة ملوكية فاستراح خسرو مع عساكره في جنان دمشق وبساتينها من قبل أن يصعد جبال لبنان أو يغير على المدائن الفنيقية الساحلية ومن بعد أن أخضع غليلي والاقليم الموجود وراء نهر الاردن هجم عنوة على أورشليم وتغلب عليها وهدم قبر المسيح باغواء المجوس والكنائس المفتخرة التى كانت شيدتها هيلانه وقسطنطين وختم على دمارها بالنار ونهبت نذور وهدايا نحو من

ثلاثمائة سنة فى يوم واحد ونقل البطريرك زكريا والصليب الحقيقى الى فارس وقتل تحت السيف ٩٠٠٠٠ من المسيحيين فى سنة ٦١٤ بعد الميلاد وأما مصر نفسها التى هى كانت الاقليم المستثنى من عهد دوقلطيان من الحروب الخارجة والداخلة فانها خضعت فى سنة ٦١٦ بعد الميلاد بواسطة خلفاء كيرش وذلك أن خيالة الفرس أغارت على بلوزه مفتاح الديار المصرية وتغلبوا عليها وعبروا الخلجان والترع العديدة من الدلتا وساقوا فى طول وادى النيل من اهرام منف حتى وصلوا حدود أثيوبيه وأما نفس الاسكندرية فانها سلمت بمجرد قوة بحرية كانت موجودة فيها غير أن المطران والعامل توجها فى احدى المراكب مع عائلاتهما الى جزيرة قبرص ودخل خسرو المدينة الثانية للايالة المصرية وكان يوجد بها بقية من الاشغال والصنائع والتجارة ثم سار منها الى أن رفعت بيارق نصره على أسوار قرطاجنه وعلى ضواحى طرابلس ودمر جميع المستعمرات الجريقية فى جهات صيرينى وسار هذا الفاتح على قدم الاسكندر الاكبر وعاد مظفرا من وسط رمال صحارى ليبيا وفى أثناء سير هذه الاعمال مع الظفر والنجاح زحف جيش فارسى من وسط آسيا الصغرى الى نواحى بوسفور رثراسه وتغلب على كالسيدون من بعد حصار طويل واستمر الجيش الفارسى زيادة عن عشر سنوات معسكرا على مرأى من القسطنطينيه وخضع الساحل البحرى من بونطوس ومدينة انسيره وجزيرة رودس الى ملك فارس ولو كان عند خسرو قوة بحرية لتشرق العبودية والخراب على الاقاليم الاوروباوية وصارت الجيوش الفارسية لا تغلب كما صار خسرو على شرف احياء مجد وشوكة جديه الكبيرين كيرش الاول أو كيخسرو ودارا الاول

وامتدت سلطنة حفيد نوشروان بغتة من شواطئ نهر الدجلة والفرات التى كانت المنازعة على الدوام حاصلة عليها الى بوغاز الهلسبون والنيل وهى المملكة القديمة الفارسية وشالت الاقاليم والايالات حمل النافع الفارسى من بعد أن كانت متعودة من منذ ستمائة سنة على عادات فضائل الحكومة الرومانية ونقائصها وكان اذا ظهر لملك الفرس أدنى صلابة من أى أمة من ممالكه عجزهم بأخذ أموالهم وأفقرهم وضرب عليهم ضرائب متجاوزة الحد وسلب كل ما فى أيديهم وخرب خسرو هيأ كل الشرق ومعابدها وسلبها ذخائرها وكنوزها ونقل الى ممالكه الوراثية الذهب والفضة والاحجار الكريمة والصنائع النفيسة والاشغال الظريفة الموجودة فى مدائن آسيا وتمتع بثمار نصراته وانتقل من مصاعب الحروب ومشاقها الى الرفاهية واللذات الشهوانية فى سرايته وتطير من التقرب الى أبواب عاصمته قطزيفون (المدائن) وحصل له منها الوسوسة الخرافية واتخذ مقره فى مدينة دستجرد وراء نهر الدجلة وعلى مسافة ستين ميلا من الجهة الشمالية من العاصمة فكانت أراضى المراعى والكلا مغطاة بالمواشى والانعام والبساتين والجنان مشحونة بطيور الدراج والطواويس والنعام والغزلان والوعل والدباب الوحشية والاسود والنمور وكان عنده تسعمائة وستون فيلا يستعملها فى مجد وأبهة نفسه وكانت خيامه وأمتعته تحمل الى الميدان على ١٢٠٠٠ جمل و ٨٠٠٠ من الحيوانات الاقل جسامة منها وكان فى الاسطبلات الملوكية ٦٠٠٠ من البغال والخيل المسومة و ٦٠٠٠ من الخفر راكبين على ظهور خيولهم أمام باب السراية يتغيرون بعملهم على التعاقب وكانت خدمة المحال الداخلة من السراية محولة على ١٢٠٠٠ من الرقيق وبها ٣٠٠٠ قينة من أجمل سرارى آسيا وأجملهن وأجلهن شيرين محظية الملك ونديمته وجليسته وكانت الكنوز المختلفة والذخائر من الذهب والفضة والحرير والجواهر وأنواع

الروائح والعطريات مخزونة فى قبوة معقودة تحت الارض وحوائط سرايته مزينة بثلاثة آلاف ستارة من الغالية الثمن وأربعة آلاف عمود من الفضة أو الرخام أو الخشب المصفح بالذهب والفضة حاملة سقف السراية والقبة أو الايوان وألف كرة من الذهب معلقة فى القبة على هيئة صور كواكب وسيارات منطقة البروج وبينما كان ملك فارس فى لذاته وغرائب أعماله وأفراح لذاته اذ وردت عليه رسالة من أحد رجال مكة يدعوه الى الاقرار بوحدانية الله وان محمدا رسوله فرفض الدعوة ومزق الرسالة فقال النبى العربى صلى الله عليه وسلم ان الله سيمزق ملك خسرو ولا يستجيب له وكانت هذه الرسالة فى السنة السابعة من الهجرة التى تبتدئ من ١١ مايو سنة ٦٢٣ بعد الميلاد وقال آخرون انها كانت فى سنة ٦١٥ بعد الميلاد من بعد أن تغلب خسرو على فلسطين ثم تساقطت الاهوال والمصائب على هرقل من ابتداء سنة ٦١٠ الى سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وقلت ممالكه وضعفت رعيته لان سوريا ومصر وايالات آسيا جميعها صارت تحت أحكام الفرس واحتلتها جيوشها وأما أوروبا فانها صارت من حدود استريا الى السور الطويل من ثراسة متضايقة مكبوسة بالافارس وكانوا ماشبعوا من دماء حرب ايطاليا وسلبها وقتلوا ما أخذوه من الاسرى من الرجال فى ميدان بانونيه وباعوا النساء والاطفال وحضنوا القينات والابكار وانحصر هرقل أشد حصار بالاعداء وآلت المملكة الرومانية الى أسوار القسطنطينية مع ما بقى من الجريس وايطاليا وافريقة وبعض مدائن ساحلية من صور الى طرابزون وساحل البحر الادرياطيقى ومن بعد ضياع مصر انتشر الوباء والقحط فى العاصمة وعزم الامبراطور على الرحيل وكان لا طاقة له على المدافعة ولا حيلة له فى الخلاص الا أن يجعل نفسه ومقر حكومته فى قرطاجنه وكانت هى المقر الأمين عنده وشحن مراكبه بكنوز السراية وذخائرها فأوقف البطريرك رحيله وسلح مدافعة بلاده بالديانة وساق هرقل الى منبر كنيسة سنت صوفيه ومحرابها وحلفه يمينا مؤكدا على أنه يعيش ويموت مع الامة التى جعلها الله تحت رعايته وكان فى هذا الوقت شاغان الافارس معسكرا فى سهول ثراسة فأخفى مقاصده الخبيثة وتقابل مع الامبراطور مقابلة رسمية بالقرب من مدينة هراقليه وربط علاقات ودية معه وحصل الاحتفال بهذه المقابلة بواسطة ملاعب الخيول وظهر السناتو والامة فى ملابسها الفخيمة وأبهتها الجميلة فنظر اليهم الافارس بعين الحسد والعداوة والغيرة وعظم عليهم وكبر لديهم ما الرومانيون عليه من لذة العيش والرفاهية فأحاطت خيالة الافارس بالايبدروم على حين غفلة وصرخ عليهم شاغانهم صرخة الهجوم فأخذ هرقل تاجه فى يده وركب حصانه ونجا بنفسه مع خمسة عشر من فرسانه وأسرع الافارس فى الهجوم حتى قربوا من باب الذهب من القسطنطينية ولم يدخلوه ونهبوا ضواحيها وما جاورها وأخذوا مائتين وسبعين ألف أسير وساقوهم الى ما وراء نهر الدانوب فتوجه الامبراطور فى مراكبه الى ساحل كالسيدون وعقد مجلسا أمام عدوه الاكبر فقابله قائد الفرس قبل نزوله من المركب وحياه بالسلام وأهل به وصعب عليه حالة الامبراطور فكان من قائد الفرس أن أرسل رسولا الى مليكه الاعظم ملك فارس وكان هذا الرسول النائب العسكرى ووالى مدينة القسطنطينية وكان من أكبر رجال الكنيسة ومن رجال الطبقة الاولى فى الديانة يسأل ملك فارس الصفح والصلح بما يرغبه فلما توجه السفير الى التخت الفارسى قوبل بأعظم قبول ولما عرض على الملك مطاليب الامبراطور قال طاغية آسيا الفارسى كنت أود أن يكون هرقل هو الذى يلزم أن يعد لأ مواطئ أعتاب تختى لا سفير من عنده ويطلب مطالبه فانا لا أسالم

امبراطور رومة حتى يجحد الهه المصلوب و يحصن عبادة الشمس و يكون من المجوس ثم قال انى كنت على رغبة من فتح القسطنطينية ولكنى الآن تنازلت عنه وضرب خراجا سنويا على المملكة الرومانية قدره ألف وزنة من الذهب وألف وزنة من الفضة وألف ثوب من الحرير وألف من الخيل وألف قينة فعاد السفير ورضى هرقل بهذه الشروط الصعبة وجعل الزمن والمدة التى يستحصل فيها على جباية هذه الذخائر من الشرق الفقير فى استعداد هجوم مع الجسارة وقطع اليأس

ومن الصفات المذكورة فى التاريخ ان هرقل كان عبدا للكسل وحب اللذات والشهوات والخرافات لا يعتنى ولا يلتفت للمصائب والاهوال النازلة على المملكة ولما نظر بعينه ضياع كل شئ وخسرانه قذف من على ظهره حالة الضعف والرخاوة وتقلد زمام الشجاعة والشهامة واقترض الاموال المقدسة الموجودة فى الكنائس والمعابد تحت قسم ونذر قوى أنه يعيدها كما اقترضها مع فوائدها وأرباحها مرة ثانية وجند جيشا وأسطولا وأقلع الى سواحل سيليسيا ونزل عليه بعساكره وعسكر فى جهة عصوص فهجم الفرس عليه فى هذه الجهة فانتصر عليهم نصرة واحدة فى الميدان القديم الذى كان الاسكندر الاكبر هزم فيه دارا ملك الفرس قبل ذلك بألف سنة وكانت هذه النصرة فى سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وصعد هرقل مع الجراءة والجسارة مرتفعات جبل طوروس وساق عساكره من وسط سهول قبدوقيا وقضى فصل الشتاء فى أمن على شواطئ نهر الحاليس وترك عساكره فى هذا الموقع وتوجه مسرعا الى القسطنطينية

ثم انه من عهد صكيبو الرومانى وحنبال القرطاجنى ما حصلت مشروعات حربية مع الجسارة والشجاعة مثل المشروع الذى أجراه هرقل فى خلاص المملكة الرومانية من يد الفرس وغيرهم من الاعداء وذلك انه من سنة ٦٢٣ الى سنة ٦٢٥ بعد الميلاد رخص للفرس فى مضايقة الاقاليم وقهرها وتهديد العاصمة مع الوقاحة وكشف الامبراطور طريقه الصعب من البحر الاسود وجبال أرمينية ودخل فى قلب المملكة الفارسية وألزم الملك الاكبر ملك فارس على كونه يطلب عساكره للمدافعة عن بلادهم السائلة على الارض دماؤها فانتخب هرقل شرذمة من العساكر مقدارها خمسة آلاف نفس وأقلع بهم فى البحر الاسود من القسطنطينية الى طرابزون وفيها جمع قواه التى كانت مشتية فى أقاليم بونطوس على نهر الحاليس وقوى رعاياه ومحالفيه من ابتداء فم نهر فاسيس الى بحر الخزر على السير مع خلفاء قسطنطين تحت نصرة بيرق الصليب وكان حصل التنازل عن حدود أرمينية الى الامبراطور موريس وامتدت هذه الحدود حتى وصلت نهر اركيس ونصب هرقل على النهر جسرا عبرت عساكره من فوقه وسار من طريق مارك أنطونى وزحف على مدينة طوريس أو غندزاقه أو تبريز عاصمة أقاليم ميديا قديما وحديثا وجمع خسرو فى رأس ٤٠٠٠٠ نفس من عساكره من غزوة كان فيها بعيدة لاجل صد تقدم الجيوش الرومانية فكانت هذه الرجعة عند قرب هرقل سببا فى ضعف الواقعة وهزيمة خسرو ثم وقفت الفتوحات السريعة والحركات العسكرية لهرقل مدة فصل الشتاء فقط وفى غضون ذلك عزم هرقل من حزم رأيه على الرجعة الى داخل أقاليم البانيا فى طول ساحل بحر الخزر ونصب خيامه فى سهول مغان فى المعسكر الذى كانت تتخذه ملوك الشرق وفى مدة هذه الغارة المظفرة أظهر هرقل غيرة الديانة المسيحية وانتقام و بطش ملوك النصرانية فى أوامره الصادرة منه لعساكره فأخذت العساكر نيران الجهات الفارسية ودمروا هياكل ومعابد المجوس ورموا تماثيل خسرو

في لهب النيران ودمر واطبرمه أو أورمية مسقط رأس زرادشت وهدم مواقبره الشريف وخلصوا نحو امن ٥٠٠٠٠ أسير وسار بجيوشه المظفرة حتى وصل مدينتي قزوين واصبهان ولما ارتاع خسرو واهتزت مفاصله مما حل بمملكته من المصائب والاخطار أرسل في طلب جيوشه من وادي النيل ونواحي البوسفور وأحاط بعسكر الامبراطور ثلاثة جيوش مهولة في أرض بعيدة عدوة له واستمد محالفوه من الكولشيانيين على تركه وظهر الخوف على وجوه رجاله الشجعان المتدربين في الحروب فقام فيهم هرقل وقال لاتخافوا ولاتحزنوا من كثرة عدوكم فان كل واحد رومانى يغلب بعون الله ألفا من الهمج واننا لو جعلنا حياتنا فداء عن اخواننا وخلاصا لهم لنلنا تاج الشهادة والنعيم الدائمى من الله وأجدادنا وساعد هرقل أقواله بشهامة أعماله فرد الثلاثة جيوش الفارسية وفصلها من بعضها بسرعة سيره وقهقرته وأجرى حركات هزم بها هذه الجيوش في الميادين حتى ألزمها الدخول في المدائن الحصينة في ميديا وأشوريا وفي فصل الربيع عبر الامبراطور جبال الكورديستان في سبعة أيام وعبر نهر الدجلة الشديد الجريان من دون مقاومة ولما حصل للجيش الرومانى التعب من كثرة مامعهم من الغنائم والاسرى وقف تحت أسوار مدينة عيده وأشعر هرقل سناتو القنسطنطينية بسلامته ونجاحه مع عساكره وكسر الفرس القناطر التي كانت على نهر الفرات ولما كشف الامبراطور مخاضات هذا النهر تقهقر الفرس مع السرعة لحماية شواطئ نهر ساروس في سيليسيا وعرض هذا النهر السريع الجريان نحو من ثلثمائة قدم وقنطرته محصنة بأبراج قوية مرصوص على شواطئه نبالة الفرس فمن بعد محاربة دموية استمرت الى الغروب هزم الرومانيون الفرس وسار هرقل في طريقه حتى وصل سباسطي من أعمال قبدونيا وتشرف ساحل البحر الاسود بعوده هرقل من غزواته الطويلة متوجا بالظفر من بعد مضى ثلاث سنوات وكانت هذه نصرته الثانية أو غزوته الثانية

وفي سنة ٦٢٦ بعد الميلاد عزم الملكان المتنازعان في المملكة الشرقية على فصل هذه المسئلة في داخل الممالك بدل أن تحصل منازعات ومحاربات على الحدود وكانت القوى الفارسية انضنى حالها واضمحل أمرها من حركات المشي والحروب مدة عشرين سنة وكثير من الشجعان المتدربين على الحروب الذين فيهم الطاقة على ضرب السيف والتعود على الاقاليم مازالوا موجودين في قلاع مصر وسوريا وكذا أضعف طمع خسرو ونقمته المملكة وكسحها فجمع خسرو عساكر جديدة وألف جيوشا من رعاياه من الاغراب والرقيق وقسمها الى ثلاثة جيوش كبيرة فالجيش الاول جعله مؤلفا من ٥٠٠٠٠ نفس ولقبه بجيش المزراق الذهب وأمره بالتوجه لملتقى هرقل نفسه وشكل الجيش الثاني وأمره بأن يكون موقعه بين هرقل وأخيه طيودوروس حتى لايحصل انضمامهما مع بعضهما وأمر الجيش الثالث بالتوجه لحصار القنسطنطينية ومساعدة غارات الشاغان عليها ودخل ملك فارس في معاهدة ومحالفة مع الشاغان والافارس على تقسيم ممالك هرقل فيما بينهم وسار سربارو بجيشه الثالث من وسط أقاليم آسيا حتى وصل المعسكر المشهور في كالسيدون (اسكودار الآن) وأبهج نفسه بتخريبه معابد وهياكل الضواحي الآسياوية وكان ينتظر مع عدم الصبر حضور أصدقائه الصيطين في الجهة المقابلة من البوسفور وفي ٢٩ يونيو سنة ٦٢٦ بعد الميلاد خرق ثلاثة آلاف من المتبربرين وهم مقدمة الافارس خط الاستحكامات الطويلة وأوقعوا التشويش والانزعاج في زحام الفلاحين والتبعة وأهل المدينة وجلب الشاغان ٨٠٠٠٠ نفس من رعاياه الوطنية ومن الرعايا الموجودين تحت حكمه

من قبائل الجبيدى والروسيين والبلغاريين والسلافيين وتقدم الشاغان نحو القسطنطينية وقضى شهرا فى سيره ومخابراته وأحاط بالمدينة فى ٣١ يوليه من ابتداء ضواحى بيره وغلاطه الى السبعة أبراج وشاهد السكان بعين الرعب والخوف علامات لهب النيران فى نواحى السواحل الاسياوية والاوروباوية فاجتهد فى اثناء هذه نواب القسطنطينية مرارا عديدة فى مشترى معاهدة مع الشاغان فرفضها وشتم مبعوثيهم وتضرر من وقوفهم أمام كرسيه وعرشه حينما كان مبعوثو الفرس جالسين بجانبه متوشحين بالملابس الحرير فقال الشاغان البربرى لمبعوثى نواب القسطنطينية انظروا بعيونكم دلائل اتحادى الكامل مع الملك الاكبر ملك فارس وان نائبه فى ساحل آسيا مستعدّ لان يرسل الى معسكرى شرذمة من أجود عساكره مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب فلا تظنوا انكم تسعون عند سيدكم فى ارسال فداء جزئى أو غير كاف فان أموالكم ومدينتكم صارت الهدية الكافية لنفسى التى يمكننى ان أقبلها وأما أنتم فانى أسمح لكم أن تخرجوا من المدينة على بدن كل واحد منكم ثوب وقميص تحته وصديقى سربار لا يرفض مروركم من خط حذائه العسكرى وان ملككم الغائب عنكم الذى هو الا آن اما أسير أو مجانب سه ترك القسطنطينية وما تؤول اليه عاقبة أمرها وصار الآن لا نجاة لكم من سيوف الافارس والفرس الا أن تطيروا فى الهواء مثل الطيور أو تغطسوا مثل السمك تحت أمواج البحور وفى مدة عشرة أيام متوالية كبس الافارس بالحصار على المدينة وتقدموا من أسوارها من أجل لغم السور أو كسره تحت محالف متينة وقدموا اثنى عشر برجا من الاخشاب شامخة بجوار الاسوار وصاروا يضربون عليها بالاحجار الضخمة والنشاب والحراب وأما السناتو وأهل المدينة فانهم بذلوا جهدهم فى المدافعة عن مدينتهم وأمرهم هرقل بفرقة من العساكر مؤلفة من ١٢٠٠٠ نفس فصلها من جيشه واستعملوا النيران الحريقية والآلات والاعمال والمنجنيقات الميكانيكية مع النجاح فى المدافعة عن المدينة وحفظت المراكب الحربية ذات الثلاثة صفوف من المقاذيف البوسفور ومنعت كسالى الفرس من العبور الى العاصمة فكانوا ينظرون هزيمة محالفيهم ودون المحافظة والمدافعة التامة التى أجراها أهل القسطنطينية وعساكر المدينة صدوا الافارس من هجومهم وأحرقوا أسطولا من مراكب السلاف فى الميناء وعزم رعايا الشاغان على تركه وقلت مؤناته وحرقت آلاته فأعطى اشارته برجعة وقهقرة مهولة ونسب الرومانيون هذه النصرة والخلاص الى مريم العذراء أم المسيح

ومن بعد أن قسم هرقل جيشه تقهقر مع الحزم الى شواطئ نهر فاسيس وفى نواحيه أجرى حربا دفاعيا على جيش الخمسين ألف مرزاق ذهب وانصرف عنه العناء والفكر بخلاص القسطنطينية وثبت عقله وتوطدت آماله بنصرة أخيه طيودوروس ومثلما اتحد خسرو مع الافارس اتحد أيضا الامبراطور الرومانى مع الترك وعقد معهم محالفة جليلة ودعاهم لنفسه وكانوا من عشائر وقبائل الخزر فلبوا دعوته ونقلوا خيامهم وأموالهم من نواحى نهر الولغا الى جبال جورجستان وقابل هرقل خاقانهم وأمراءهم فى نواحى تفليس فنزل الخاقان وأشراف قومه عن ظهور خيولهم وسجدوا فى الارض على وجوههم وقالوا لو ثقنا من الحريق لعبدنا أرجوانى القيصر فلما رأى هرقل مثل هذا الاحترام قلع تاجه من فوق رأسه ووضعه على رأس خاقان الترك وسلم عليه بالحضن وجعله ابنه واحتفل بهم فى وليمة مفتخرة أعدها لهم وأهدى طبيل الصحاف والزينة والذهب والجواهر والحرير التى كانت

مستعملة فى المائدة الامبراطورية وفرق بيده عليهم جواهر وحلقانا ووعد هرقل خاقان الترك بان يزوجه بابنته واستحوذ فى الحال على ٤٠٠٠٠ فارس خيال من الترك وتخابر فى تحويل الجيوش التركية من جهة نهر سيحون بالاغارة على الممالك الفارسية وأما من جهة الفرس فانهم تقهقروا مع السرعة الى معسكر عديسيه وجمع هرقل جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ نفس وأجرى حركاته المظفرة وفى ظرف بضع شهور استرد مدائن سوريا وميزوبوتاميا وأرمينية وكانت هذه المدائن على تحصين غير تام ومدافعة قليلة ومازال سربار مقيما فى الموقع العظيم فى كالشيدون فتولد من غيرة خسرو وطمعه أو من حيلة وخداع هرقل ابتعاد هذا المرزبان الشجاع من خدمة مليكه وبلاده وذلك انه وردت رسالة سواء كانت حقيقية أو مزورة للقائد الثانى يطلب منه فيها أن يرسل الى التخت من دون أدنى تأخير رأس المجرم الشقى القائد سربار فوصلت هذه الرسالة الى يد سربار نفسه فلما قرأ حكم قتله أدخل فيها أسماء أربعمائة نفس من الضباط وعقد مجلسا عسكريا وسأل القائد الثانى أمام المجلس هل هو مستعد لتنفيذ أوامر طاغيتهم وظالمهم فقال الضباط جميعا فى نفس واحد ان خسرو افقد وخسر قضيب مملكته فتولد من هذا الصنيع أن عقد سربار معاهدته على حدته مع حكومة القسطنطينية واتحد معها وصار من توابعها ومعاضديها

وفى سنة ٦٢٧ بعد الميلاد عندما خسر خسرو معاضدته الاكيدة من سربار وارتاب من وثوقه برعاياه عرف من دون ريب أن مملكته صارت على شرف الدمار فجمع جيشا مؤلفا من خمسمائة ألف نفس يكل عن وصفه الكاتب بما كان عليه هذا الجيش من الرجال والسلاح والخيول والفيلة التى غطت ميادى ميديا وأشوريا ضد اغارة هرقل وغزوته فزحف الرومانيون مع الشجاعة من نهر اركسيس الى نهر الدجلة وسار خلفهم الجبان راظاطيس قائد جيش مزراق الذهب بجيشه من وسط بلاد دقفرة حتى تحصل واقعة فاصلة لعاقبة مملكة فارس وكان فى الناحية الغربية من نهر الدجلة وفى نهاية قنطرة الموصل مدينة نينوى القديمة الكبيرة وخفيت هذه المدينة حتى أطلالها وآثارها تحت الارض واستمرت مسافتها الخالية حتى صارت ميدانا رحبا لحركات الجيشين فكانت محلا لملتقاهما وانتشاب الحرب فيها فآلت نتيجة واقعة نينوى الى نصر هرقل وهزم الفرس وفى هذا اليوم المشهور فاقت شجاعة هرقل محاربيه وكان راكبا على حصانه فالوس فانخرقت شفة الحصان برمح وانجرح فخذه لكنه نجا بسيده منصورا من وسط طوابير الفرس وقتل هرقل فى حرارة الواقعة ثلاثة من كبار القواد وشجعانهم بسيفه ورمحه وكان من ضمنهم راظاطيس وأخذ خودته وكانت من الذهب النقى وجحفته وكانت مائة وعشرين صفيحة أو لوحا من الذهب وسيفه ومنطقته وسرجه وزرخه ولولا أن هرقل كان من توابع المسيح وأمه لقدم هذا السلب هدية منه الى جوبتير الكابيتول فى رومة وأخذ فى واقعة نينوى التى ابتدأت من الفجر الى الساعة احدى عشر افرنكى من النهار ثمانية وعشرين بيرقا من الفرس خلاف الذى تكسر وقتل معظم الجيش وأخفى المنصورون تلفياتهم وباتوا ليلتهم فى الميدان على سلاحهم واستمر الباقى من خيالة الفرس ثابتا فى موقعه الى الساعة الثامنة افرنكى بعد الغروب ثم تقهقروا الى معسكرهم المكسور وجمعوا عفشهم وانتشروا فى كل جهة ثم سار هرقل على قدم نصرته ثمانية وأربعين ميلا فى أربع وعشرين ساعة حتى احتلت مقدمته قناطر نهر الذاب الاكبر والاصغر وفتحت المدائن والسرايات الاشورية أبوابها للرومانيين أول مرة ومازال فى سيره حتى دخل المقر الملوكى فى دستجرد مع الامن

والجسارة فمع انه صار نقل غالب الكنوز وصرف منها الكثير الا أن الباقى من الاموال والذخائر كان كافيا لما كان الرومانيون يأملونه فسد رمقهم وأشبع جوعتهم والذى لم يقدروا على حمله أحرقوه ودمروه وخلص هرقل ثلثمائة بيرق رومانى وجما غفيرا من أسرى عديسه والاسكندريه ثم سار من سرايه دستجرد حتى دخل المدائن ومنها الى شهرزور وعبر جبال زغرة قبل نزول الثلج واستقبل أهل تبريز عساكره وخيولهم مع السعة وانشراح الصدر

وكان خسرو أداه طمعه الى المدافعة عن ممالكه الوراثية وألزمه حب الفخر أو خوف العار على أنه لا بد له من مقابلة خصمه فى الميدان وفى واقعة نينوى وهى الواقعة الاخيرة الفاصلة كانت أفكار الفرس فى ان خسرو اما أن يغلب أو يقتل مع الشرف برمح امبراطور الرومانيين ففى أثناء الواقعة انتخب خسرو لنفسه محلا أمينا بعيدا عن حركة القتال وانتظر الواقعة حتى انهزمت عساكره وجمع ما بقى من بعد الهزيمة وتقهقر أمام حركة سير هرقل حتى صار على منظر من مقابر دستجرد المحبوبة عنده فافتكر أحبابه وأعداؤه أن مقصود خسرو دفن نفسه تحت أطلال المدينة والسرايه ومن ثم حصل عندهم كراهته من عدم ثباته وهربه أمام هرقل ثم دخل ملك آسيا سرايته خفية وأخذ شيرين وثلاث سرار من سراريه وهرب من شرم كان فى السور قبل وصول الرومانيين بتسعة أيام واستعوض زينة احتفاله وسجود الناس له حال ظهوره لابسا تاجه على رأسه بسفر خفى تاجيا بنفسه وبات فى أول ليلة فى خص أحد الفلاحين وانشرح الملك الاعظم من بابه الواطى وامتزج جسمه بالخوف والرعب ومازال فى هربه حتى دخل المدائن وصده نهر الدجلة ولما انكشف هربه من السرايه ارتجت السرايه والمدينة والعسكر فى دستجرد بالخوف والفزع والهيجان وتردد المرازبة فى أمرهم من خوفهم من ملكهم أو من العدو ووقع الاستغراب عند الحريم وفى داخل السرايه من هرب الملك ثم بعد قليل طلب الملك أزواجه فى قلعة بعيدة وأمر جيش دستجرد بالانتقال عنده فى معسكر جديد كانت مواجهته مستورة بنهر ابره وحذاء مؤلف من ٢٠٠ فيل فوصل اليه عساكر الاقاليم البعيدة والمرازبة على التدريج واجتمع رأى القبحاء من خدام الملك والمرازبة على المدافعة عن المملكة الى آخر نفس وكان خسرو مازال فى قوة على الحصول على معاهدة سلمية وجاءه مبعوثو هرقل المرة بعد المرة يسألونه الصفح عن رعيته ويمتنع من اجراآته الهمجية الحاصلة من القتل والحرق والسلب فى ولايات اسيا ولما تيقن خسرو من رجعة هرقل بكى وناح على ما حصل فى سراياته من الخراب والدمار وعلى ما كابدته أمته من المضار والآلام من أجله ولما رأى هذا المسكين تقدمه فى السن وذاق أنواع العذاب واعترته الاوجاع أضمر على أن يجعل تاجه فوق رأس ابنه مرزه وكان محبوبا عنده زيادة عن أولاده الاخر فتشكلت ثورة ضد رأيه هذا كان رأسها ابنه شيرويه من شيرين ومال شيرويه بالاحسان على اثنين وعشرين مرزبانا محبين للوطن وزاد فى مرتبات العساكر وسمح للمسيحيين بالحرية فى اجراء شعائر ديانتهم وأعتق الاسرى وكافأهم وقلل الضرائب والعوائد وصمم الثائرون على أن شيرويه يلزم أن يظهر فى المعسكر بالبيارق الملوكية واذا خاب هذا المشروع تكون نجاته فى هربه الى الديوان الامبراطورى ولما ظهر شيرويه فى المعسكر قابلوه بالتهليل والاحتفال وقبضوا على خسرو قبضا عنيفا وذبحوا أولاده الثمانية عشر أمام عينيه ثم رموه فى سجن مات فيه فى اليوم الخامس من حبسه وانقرض مع موته مجد البيت الساسانى وفخره وما تمتع ابنه الوحشى بثمرات ما جناه من الجرائم الاثمانية شهورا وفى ظرف أربع سنوات تقلد زمام التخت تسعة ملوك

تنازعوا عليه بالسيف من أجل مملكة اضمحل حالها وصار كل اقليم وكل مدينة من المملكة الفارسية مستقلا وتسلطنت الحالة الفوضوية مدة ثمان سنوات حتى انقطع خبر هؤلاء الاحزاب الطالبين تخت ناف خلفاء العرب

ولما سكنت الاحوال وخلصت الارتبا كات فى سنة ٦٢٨ بعد الميلاد وصارت الجبال قابلة للعبور منها وردت الاخبار على الامبراطور هرقل بنجاح الثائرين وقتل خسرو وجلوس ابنه الاكبر على تخت فارس وأرسل شيرويه رسلا من طرفه بمكتوب من عنده الى أخيه هرقل امبراطور الرومانيين يقدم له له فيه علائق ودية وارتباطات حبية كان الامتان محرومتين منها بمنازعات ومحاربات من عهد طويل ومعاهدة صلح وسلم أصلب من الحديد وصدق هرقل مع السهولة على شروط المعاهدة وتنفيذها وسار الامبراطور مسارا العدل والانصاف وأعاد البيارق والاسرى التى كانت وقعت فى أيدى الفرس وأعاد الصليب والبطريرك الى المدينة المقدسة وتنازل شيرويه مع عدم الحزن والاسف عن كل ما فتحه أبوه وانجلى الفرس عن سوريا ومصر ولما رجع هرقل من تبريز الى القسطنطينية قابله السناتو والقسس والامة أعظم مقابلة مع الابتهاج والفرح ومعهم أغصان الزيتون المقدس والقناديل المضيئة ودخل العاصمة فى عربة مجرورة بأربعة من الفيلة وما بقى من سلطنته كان جليلا الا أنه تولد من الاجتهادات والمساعى الكبيرة التى حفظ بها هرقل المملكة الشرقية وحروباته مع فارس وهن المملكة وتعجيزها حتى صار لا طاقة لها على مقاومة مستجدين من الاعداء يقومون عليها فيما بعد ومع هذا صار القسس مداينين المملكة بديون كبيرة فكانوا يأخذون معظم الاموال العمومية بأرباحها وفوائدها فى نظير الدين الذى اقترضه منهم هرقل بخصوص حفظ المملكة ومات هرقل فى سنة ٦٤١ بعد الميلاد من بعد أن تغلب العرب على الاقاليم الشرقية من مملكته مع غاية السرعة والنشاط وصارت لا تعود مرة ثانية وترك هرقل ممالكه لابنه قسطنطين الثالث وهراقليوناس ابن مارتينه بنت أخى هرقل وكان تزوجها أبوه رغما عن البطريرك والقانون الديانى ومن بعد قليل مات قسطنطين الثالث مسموما وقيل ان الذى سمه زوجة أبيه فحكم عليها بالنفى مؤبدا مع ابنها هرقليوناس وصار قسطنطين الثانى الابن الكبير لقسطنطين الثالث امبراطورا وكان عمره احدى عشرة سنة فى سنة ٦٤١ بعد الميلاد فأمر بقتل أخيه طيودوسيوس لاجل توالى وتعاقب الامبراطورية فى ذريته فنشأ مما حصل من الحزن والاسف على وقوع هذه الجريمة منه أن صار نفيه فى سنة ٦٦٢ بعد الميلاد وما زال منفيا حتى قتل فى جزيرة سيسليا فى سنة ٦٦٣ بعد الميلاد وخلفه من بعد نفيه ابنه قسطنطين الرابع فمع أن هذا الامبراطور أشرك معه أخوين له فى سمو الامبراطورية الا أنه جعل الشوكة الحقيقية فى يده فقام عليه أخواه فجردهما من ألقابهما ومناصبهما

وفى مدة هذه السلطنة تغلب العرب على القسم الاعظم من آسيا الغربية وفى سنة ٦٦٨ بعد الميلاد زحف العرب الى نواحى البوسفور وعدوا على القسطنطينية وحاصروها وضايقوها واستمر هذا الحصار مدة سبع سنوات الا أنه كان على غير طائل واستعمل الحريق فيه من أجل المحافظة والمدافعة عن المدينة النيران الحريقية الجارى استعمالها عندهم فى مثل هذه الحصارات ولما وجد العرب أنه يستحيل عليهم القرب من أسوار المدينة تحت هذه النيران الخطرة رفعوا الحصار وانجلوا عنها

وخلف يوسطنيان الثانى أباه قسطنطين الرابع فى سنة ٦٨٥ بعد الميلاد فأهان قومه بفظاعته وقساوته

فقطعوا أنفه وشوّهوا وجهه ونفوه فى جهات التتارسنة ٦٩٥ بعد الميلاد واستمرت الحكومة الامبراطورية عشر سنوات تحت مباشرة ليونطيوس فجلس على التخت وكان يوسطنيان يتباهى على حدود صيطيا بعوله ويأمل عوده الى تخته مرة أخرى ومن بعد مضى ثلاث سنوات من نفيه ورد اليه خبر سار بانه صار الاخذ بثاره بواسطة ثورة ثانية تحت رياسة ابسيماروس وخلعوا ليونطيوس وجدعوا أنفه فتلقب ابسيماروس بلقب طيبريوس وجلس على التخت وبذل جهده فى قطع دابر المنفى يوسطنيان واتحد مع تتار صيطيا وعدهم وعدا جميلا من بعد هلاك يوسطنيان ولما استشعر بذلك يوسطنيان هرب من جهة التتار الى قبيلة الخزر فعامله خان الخزر بالشفقة والاكرام وصعبت عليه حالته وعين لاقامته مدينة فنغوريا وزوجه بأخته فدخلت فى الديانة المسيحية وسمت نفسها طيودره ومن بعد قليل نكث الخان صداقته حينما ورد اليه ذهب القسطنطينية ليقبض على يوسطنيان ويقتله أو يسلمه لاعدائه فاستشعرت طيودره بما فى ضمير أخيها فعملت ما يلزم على قدر طاقتها فى نجاة زوجها فنزل يوسطنيان فى مركب فى البحر الاسود ناجيا بنفسه ليبحث عن صديق ومحالف جديد (خان الخزر هذا كان مقيما فى القرم الآن) فنزلت العواصف على مركبه واشتدت الرياح والتلاقيح فقال له رجل صالح من أصحابه اعقد نيتك على عفو عام اذا أعادك الله الى تختك فقال له يوسطنيان عفو عام (تعجب) اللهم لكنى فى هذه الساعة الله يغرقنى فى هذه الامواج ان كنت أرضى بيقاء رأس واحدة من رؤس أعدائى ومازال مقلعا بمركبه حتى وصل الى فم نهر الدانوب ونزل البر ودخل مع الامن فى المدينة الملوكية للبلغاريين واشترى مساعدة طربليس الشجاع ملك البلغاريين بزواجه ابنته وبقاسمه فى أموال مملكته وكانت المملكة البلغارية ممتدة فى ذلك الوقت الى حدود تراسة فحاصر الملكان القسطنطينية فى رأس ١٥٠٠٠ خيال وكان فى العشر سنوات التى مضت من نفى يوسطنيان وهنت أفكار جرائمه ورق لحاله الكثير من أهل القسطنطينية وأسفوا على حرمانه من الملوكية ونفروا من الشوكة الحاكمة الحالية فبواسطة مساعدة ملك البلغاريين ومساعدة أحبابه من داخل المدينة دخل يوسطنيان المدينة والسراية القسطنطينية وجلس على تخته فى سنة ٧٠٤ بعد الميلاد

وأظهر يوسطنيان علو الهمة والشرف فى مكافأة حلفائه وفى طلب زوجته وتوجه طربليس عائدا الى مملكته من بعد أن كنس يوما من الذهب بسوطه البلغارى ومانسى يوسطنيان اليمين المقدس أى يمين الانتقام الذى أقسمه فى وسط زوابع البحر الاسود وأمواجه فانه قبل أن يقتل كلا من ليونطيوس وأبسيماروس الملقب كل منهما بالطاغية صار جرهما الى الايبدروم واحد من حبسه والآخر من سرايته مغلولين فى السلاسل ورميا تحت أقدام تخت الامبراطور فوضع كل قدم من قدميه على رقبة كل منهما مقدار ساعة فصرخت الامة بهذا الصوت وضعت قدميك على الافاعى والحيات هلا وضعتهما على الاسد والتنين فمن هذا الوقت شرع يوسطنيان فى القتل والنفى والسلب كما فعل كاليجولا فى العصر الاول من المملكة الرومانية وماوقر يوسطنيان كبيرا لكبره ولاصغيرا لصغره ولا خليلا ولا عدوا وحافظ فى السبع سنوات التى تسلطن فيها هذه المرة على البطش بأعدائه وجعل آلاته العقابية الضرائب والكلاف والعذاب المبرح وكان غيظه الاكبر موجها نحو الخرسونيين من أهل القرم بما أنهم أهانوا نفيه وخرقوا قوانين النزول عندهم الا أن موقعهم القاصى كان هو الواسطة فى نجاتهم من أهواله فضرب ضريبة جسيمة على القسطنطينية لاستعداد أسطول وجيش وقال يوسطنيان ان مستعمرة الخرسونيين

جميع أهلها مجرمون ولابد من اهلاكهم أجمعين وعهد تنفيذ هذا الامر الدموى الى نديمه اسطفان وسلمه أمره الوحشى فسار بالاسطول والجيش الى القرم وتولد من بطء حركة هجومه انسحاب القسم الاعظم من أهل المستعمرة الى داخل المملكة فباع اسطفان الشبان والبنات وشوى سبعة من العمد والوجوه من أهل المستعمرة ورمى عشرين منهم فى البحر وكتف اثنين وأربعين بالحديد وأرسلهم فى الاسطول ليرى الامبراطور فيهم رأيه وعند عود الاسطول بالعساكر من البحر الاسود شحط بهم على صخور الاناضول فغرقوا ولما وصلت الاخبار الى يوسطنيان مدح البحر الاسود وأثنى عليه فى اغراقه كثيرا من رعاياه وأعدائه الا انه مازال مصرا على اغارة ثانية لاجل قطع دابر هذه المستعمرة ففى هذه المدة القليلة عاد الخرسونيون الى مستعمرتهم وعمروا مدينتهم واستعدوا للمدافعة والموت تحت السلاح فاجتمع كافة المنفيين من كل اقليم فى نواحى طوريس وألبسوا بارديس القميص الارجوانى ولقبوه بلقب فيلبيكوس وخلعوا يوسطنيان وقتلوه فى سنة ٧١١ بعد الميلاد وبموته انقرض بيت هرقل بعد أن تسلطن مائة سنة

وجلس فيلبيكوس امبراطورا على التخت فى سنة ٧١١ بعد الميلاد وذكر جبون فى تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها انه يوجد بين انقراض الهرقليين وقيام العائلة الايسورية مدة مقدارها ست سنوات انقسمت بين ثلاث سلطنات وحصل التأهل والترحاب ببارديس أو فيلبيكوس فى القسطنطينية وقابله أهلها مقابلة الشجاع الذى أنقذهم وأنقذ بلاده من الطاغية ظالمهم فذاق طعم بعض أوقات السعادة وزخرفة الدنيا والسيادة فى أول جلوسه وكان يوسطنيان ترك خلفه مبالغ جسيمة من النقود التى اكتسبها من ثمرة قطائعه وعنفوان نهبه وسلبه فصرف خليفته هذه فى مدة قليلة وأولم فيلبيكوس فى يوم عيد مولده ودعا الجم الغفير من الناس للالعاب فى الايبدروم وعمل له موكب من محل الايبدروم فى الشوارع كان فيه ألف بيرق وألف نفير واغتسل فى حمامات ظوكسيبوس وعاد الى السراية وأولم للاشراف وليمة مفتخرة أعدها لهم ولما صارت الشمس فى وقت الهاجرة توجه الى محل راحته سكران خزيان من التملق وشرب الشراب وما كان له علم بما هو مقدر عليه فى الغيب فكان بعض الثائرين عليه أدخلوا أنفسهم فى زحام العيد وهجموا عليه وهو غفلان فى سكره ونومه وكتفوه وقلعوا عينيه وخلعوه وهو فى شدة نومه ومع هذا حرم هؤلاء الخائنون من مكافأتهم وأصعد السناتو والامة بحرية الصوت شخصا اسمه أرطميوس من درجة كاتب الاسرار الى درجة الامبراطورية فى سنة ٧١٣ بعد الميلاد وهى السنة التى قتل فيها فيلبيكوس وجلس أرطميوس فى ٤ يونيه من هذه السنة وتلقب بلقب انسطاسيوس الثانى فأظهر فى مدة سلطنة قليلة ملكة مختلة القواعد كاهة ونباهته فى كل من حالتى السلم والحرب لكنه من بعد انقراض السلسلة الملوكية انخرم قانون الطاعة وتولد من وقوع التغيير فى كل شئ نشر أبذار ثورات جديدة ففى ثورة الاسطول وهيجان عساكره ألبسوا ضابطا مجهولا من ضباط الواردات الثوب الارجوانى رغم أنفه ومن بعد مضى بضع أشهر انقضت فى حرب بحرى تنازل انسطاسيوس عن السلطنة فى سنة ٧١٦ بعد الميلاد وجلس من بعده طيودوسيوس الثالث وخلع هذا فى دوره وجلس الاقوى منه شوكة ليو قائد وأمبراطور عساكر الشرق وسمح ليو للاثنين سلفه بالدخول فى الوظائف الكنائسية الا أن عدم وصبر انسطاسيوس وطيشه تولد منه موته فى ثورة كان رتبها على ليو وأما طيودوسيوس فانه استقام فى وظيفته ونال الشرف واطمئنان الحالة فكان دينا خيرا اشتهر اسمه وكراماته عند أهل أفسوس مدة طويلة فيما بينهم

وفى

وفى يوم ٢٥ مارث من سنة ٧١٧ بعد الميلاد جلس ليو الثالث على تخت الامبراطورية وأسس عائلة جديدة عرفت بالعائلة الايسوريانية وكان ليو من أهل ايسوريا واسمه الاصلى كونون وقدح فيه المؤرخون الذين من عاداتهم القدح والذم ووصفوه بانه كان طوافا فى كار التجارة على حمار له يبيع الفراخ فى البلاد الكبيرة وقالوا انه قابل يوما من الايام فى طريقه بعضا من دراويش اليهود وأخبروه بأنه سينال رفعة امبراطورية المملكة الشرقية الرومانية على شرط تكسيره الصور والتماثيل وابطال عبادة الاصنام وذكروا حكايات كثيرة ونوادر غريبة تختص بهجرة أبيه من اسيا الصغرى واقامته فى نواحى تراسة واشتغاله فيها ببيع الحشيش واكتسابه مبالغ جمة من النقود حتى انه وقت الحاجة ورد الى المعسكر الامبراطورى خمسمائة رأس من الاغنام وكانت أول خدمات ليو دخوله فى خفر يوسطنيان فاجتهد وترقى على التدريج وجذب الى نفسه غيرة الطاغية عليه واشتهر اسمه وعلا قدره فى الحرب الكولشيانى وعينه انسطاسيوس قائد الفرق الاناضولية وفيها انتخبه العساكر امبراطورا مع تصديق عموم المملكة الرومانية عليه وذكرهم الثناء له وحفظ ليو الثالث نفسه فى هذا المنصب الخطر من حسد أمثاله وعداوة أعدائه من الداخل والخارج وفتح سلطنته بالمدافعة والمحافظة الكبيرة على القسطنطينية من المسلمين وبما أنه من ايسوريا من جهة أرمينية قلد زمام المصالح الكبيرة الموجودة فى المملكة وكذا المحاكم العدلية لوجوه وأمراء الارمن لوثوقه بهم وبما أن اللسان الحريقى كان لسان الديوان والكنيسة والامة كانت أعمال الحكومة جارية بواسطة الاسياويين ولما خلص المملكة وأنقذها من أيادى العرب عكف على الشغل اللازم لاحياء رسومها وتقويتها فتولد من ادخال القوانين المدبرة فيها والنظامات الجليلة عصر جديد فى سعادة المملكة وفلاحها واستتب السلم والأمن عند كافة الامة بالمحاذرة على تمشية القوانين ودخلت التجارة بوفرة وسارت أحسن سير فى الاخذ والعطاء والبيع والشراء

ثم أصدر ليو فى السنة الحادية عشرة من سلطنته منشورا تولد منه الهياج والارتباك عند العالم المسيحى وذلك أن الكنائس كانت أدخلت على التدريج عبادة التماثيل والاصنام واستعملوها فى معابدها المقدسة وكان ليو على كراهة واشمئزاز نفس من هذه العادة التى اتخذت فى الكنائس فمن ثم أصدر منشورا فى سنة ٧٢٦ بعد الميلاد بتحريم عبادة الاصنام والتماثيل فتولد من هذا افتتاح الحرب المهول المزعج المعروف بحرب تكسير الاصنام ومن بعد ذلك بقليل أصدر منشورا ثانيا بكسر جميع الصور والتماثيل وعدم بياض أسوار وحوائط الكنائس فكانت هذه الاوامر سببا فى حصول مقاومات شديدة فى جميع أقسام المملكة ماعدا جهة الغرب فان حكومة الامبراطور ما كانت جارية على حسب أوامره ورفض أهل الكنائس الغربية قبول الاوامر الامبراطورية وأقام البابا نفسه مقام المدافع والحامى عن التماثيل والاصنام وفى وسط هذه الاختلافات الحاصلة مات ليو فى القسطنطينية فى سنة ٧٤١ من بعد أن تسلطن أربعا وعشرين سنة وانتقل الارجوانى الذى حازه بحقوق الوراثة الى النسل الثالث من ذريته

ومن بعد موته خلفه ابنه قسطنطين الخامس الملقب بالنجس وجلس على التخت فى يوم ١٨ يونيه سنة ٧٤١ بعد الميلاد فاستمرت سلطنته أربعا وثلاثين سنة فى حرب تكسير الاصنام مع الشدة والعنف فقام عباد التماثيل عليه ولعنوه وذموه وقالوا ان هذا الملعون هو الدجال وهذا هو التنين بزرة الثعبان الذى فاقت عيوبه ونقائصه علغبلوس ونيرو وكانت سلطنته مجزرة طويلة قتل فيها الشريف والوضيع

والقديس والبرىء والمجرم وكان ينظر الامبراطور بنفسه الى ذبح ضحاياه وقت خروج أرواحهم وتخبيرهم غرقان فى دمائهم من دون أن يشبع منها وقالوا انه تقدمت له صحفة ملآنة من الآذان فانثنى على مقدمها وكان يجدع خدمه وفراشيه بيده واشتق اسمه من تجيسه جرن المعمودية فقاموا عليه وطردوه من تخته فاسترده ثانيا وعاقب العصاة بأشد العقاب وعقد المجلس الثالث فى القسطنطينية فأصدر هذا المجلس قرارا رسميا بان عبادة التماثيل والاصنام شرك فى الدين وأصدر أمرا بتحريم عبادتها واستعمالها ومن بعد هذا القهر سار قسطنطين مسار الحزم والتدبير وصار ملكا قوى الشوكة وحفظ ممالكه الموجودة فى آسيا مع الشدة والثبات من اغارات العرب عليها وخلص ألوفا من الاسر والرق وأسكن ساحل ثراسة وكان خربا قفرا بمستعمرات جديدة واستحسنت الكنائس أعماله واجرا آته من بعدما كانت فى أشد الكراهة له ومات فى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد

وخلفه من بعد موته ابنه ليو الرابع فكان ملكا ضعيف العقل عاجز الرأى تنازل برضاه واختياره عن شوكته ودولته الى زوجته أرين وكانت من أهل أثينة وتتوج ابنه قسطنطين السادس واشترك فى الحكومة وكان عمره خمس سنوات ومن بعد مضى خمس سنوات مات ليو سنة ٧٨٠ بعد الميلاد وترك زوجته أرين وصيته ونائبة عن ابنه فكانت حزبا قوى الحيل لعباد الصور والتماثيل وحضنت أمرهم مع الغيرة والحماس وعقدت مجلسا حافلا فى نيس أى فى مدينة نيخيا فى سنة ٧٨٧ بعد الميلاد تقرر فيه أن وجود التماثيل واحترامها مطابق فى التعليم والاستعمال للكتب المقدسة والبراهين العقلية ومن هنا ألغى الامر الذى كان صدر من مجلس القسطنطينية وأظهرت أرين فى مدة صغر ابنها ما كانت عليه من الحزم والمهارة وجودة الحكم وحافظت على تربية ابنها وتهذيبه ومع هذا فان الامبراطور عند ما أشرف على بلوغ رشده صار لا طاقة له على حكم أمه وسلطتها فتولى عنها وجعل نفسه تحت سلطة ونفوذ المتقربين منه من سنه الطامعين فى مشاركتهم معه فى دولته وملاهيه فآلت هذه الحالة الى وقوع المنازعة بين الام والابن وكانت رغبة كل من الاثنين الاستحواذ على التخت وفى آخر الامر ظفرت أرين بابنها وسملت عينيه وجلست على تخت المملكة بمساعدة القسس وعباد التماثيل وتسلطنت بمفردها مع العز والجلالة من دون مبالاة بذم أو قدح أو أسف أو تهديد يقع عليها من قومها وكان ذلك من سنة ٧٩٧ الى سنة ٨٠٢ بعد الميلاد وختمت سلطنة الامبراطورة أرين فى سنة ٨٠٢ بعد الميلاد بثورة قامت عليها ونفيت الى جزيرة لسبوس

وجلس المالى الكبير نيسفروس زعيم الثورة على تخت المملكة وتسلطن تسع سنوات وما كان عليه من درايته بالامور والاجراآت فى أعمال المالية جعل له الطاقة الكبرى فى زيادة واردات المملكة بضرب ضرائب ضربها وقررتها وما أظهر على نفسه انه كسب اثما أو خطيئة زيادة عما كان يفعله ملوك الشرق فى عصره ومن قبل سلطنته بقليل كان حصل الانفصال النهائى بين الشرق والغرب باقامة المملكة الغربية واحيائها تحت سلطنة شرلمانيا وكان نيسفروس قليل البضاعة ضعيف الشوكة عن صد هذا الانفصال أو اعادة سير الوقائع حتى انه دخل فى السنة الثانية من سلطنته فى معاهدة مع شرلمانيه تحددت فيها حدود المملكتين وانهزم نيسفروس شر هزيمة كانت فاصلة مع الخليفة هارون الرشيد فى سنة ٨٠٥ بعد الميلاد وفى سنة ٨١١ بعد الميلاد انهزم وقتل فى حرب وقع بينه وبين البلغاريين وخلفه ابنه سطوراسيوس فتسلطن شهرين وقامت عليه ثورة جديدة أرغمته على التنازل عن التخت الى صهره

ميخائيل رنغابى وجلس هذا على التخت باسم ميخائيل الاول وكان من رجال السراية ورئيسهم وكان جلوسه على التخت برضا من أهل السراية والمدينة ماعدا أخاه الحسود وهرب طناسيوس بن نيسفوروس من يده وقام عليه فى ثورة ورأى فى ذلك تغيير المملكة الرومانية الى حالة تكون بها حرة فما تولد من هذه الافكار الاجنبية الامة وجاءبها وطردا المولد لهذه الثورة ومن قبل موت طناسيوس توسل برحمة ملكه الجديد فلو كان ميخائيل صعد التخت فى عصر السلم لكان تسلطن ومات أبو الامة فانه استظل تحت ظل عيشة خاصة به حتى صار لا طاقة له على مطامع أمثاله ولا على مقاومة الجيوش المظفرة البلغارية وفى سنة ٨١٣ بعد الميلاد عندما احتاج الى وجود الطاقة والظفر والنجاح اللازمة لتجهيز قوة عساكره أشعلت زوجته بركوبية لهب غيظهم بحدتها وقهرها لهم وأظهرت نفسها فى المعسكر وباشرت نظام العساكر وحركاتها وصار لها حالة وشرف مثل حال سميراميس الكلدانية ومن بعد حروب كانت على غير طائل ترك الامبراطور جيشه فاتر الهمة نافر الطبع تحت قيادة أعدائه فى محل مشتاه فأغوى هؤلاء الاعداء العساكر بحسن ألفاظهم وتخيلاتهم فى كسر شوكة الطواشية بالسراى وجعل حق الانتخاب من خصائص العسكرية مع خلع زوج بركوبيه وساروا جميعا نحو العاصمة ومازال القسس والنساء وأهل القسطنطينية كانوا مساعدين ميخائيل وفى جهته وكانت العساكر فى جهة آسيا وأموالها كافية لحفظ الضرر الذى يقع من حرب داخلى فصرف هذا الامر من تلقاء نفسه وأقام الدليل على أنه لا يلزم سفك دم أحد من المسيحيين فى المنازعة له وأرسل رسلا الى الغالبين معهم مفاتيح السراى والمدينة ومن ثم تفرق العساكر وخمد أمر الحرب الداخلى وحفظ ميخائيل نفسه وعينيه وتمتع هذا الامبراطور الزاهد باعتزاله فى دير من الديورة زيادة عن اثنتين وثلاثين سنة من بعد أن سلب الارجوانى وفارق زوجته

وفى مدة سلطنة نيسفوروس تخابر العاصى سيئ البخت باردنيس مع أحد كهان آسيا بانه من بعد سقوط ميخائيل يتولى المملكة ثلاثة من كبار الضباط وهم ليو الارمنى وميخائيل الفرجيانى وطوماس القبدوقى وتنجح سلطنة الاول والثانى يخيب الثالث فى مشروعه فتحقق هذا النبأ من بعد مضى عشر سنوات وقت ما خلع المعسكر التراسيانى زوج بركوبية وقدم عساكره التاج الى نفس ليو الذى أنبئ به وكان أول قواد العسكرية والمخترع لدسيسة هذه الثورة فلما تردد فى أمره قال له رفيقه ميخائيل أنا أفتح لسلطنتك الامبراطورية بهذا السيف أبواب القسطنطينية أو أدخله فى صدرك حالا ان حصل منك أدنى معارضة للمقاصد الحقة لاخوانك العسكر فأجاب بذلك وكافؤه بالمملكة فتسلطن سبع سنوات ونصفا باسم ليو الخامس فكان أحد الملوك البرانطية العظام وكانت تربيته فى المعسكر فما كان يعرف من القوانين المدنية شيأ ولا القراءة ولا الكتابة والتفت قليلا للمشاحنات الديانية وسار فى سياسة مع عباد التماثيل وفى أخرى مع أعدائهم فاكتسب بذلك من أهل الكنيسة اسم حرباء أى متلون أو مذبذب بين هؤلاء وهؤلاء وفى مدة سلطنته نال البلغاريون من النهب والسلب فى أقاليم المملكة غرضهم فكانوا يحملون أحيانا بغاراتهم وأهوالهم حتى يصلوا الى أبواب القسطنطينية وأخذوا مرة فى غزوة واحدة ٥٠٠٠٠ أسير فكان هؤلاء الاسرى المسيحيون الكثيرى العدد مبعوثين للحق فى الاراضى التى أسروا فيها وحلوا اليها فنجحوا فى كونهم أدخلوا ألوفا مؤلفة من أهل بلغاريا فى الديانة المسيحية وفى نحو غلاق القرن تعمد ملك البلغار بين بوغوريس ومن بعده بقليل دخلت جميع الامة البلغارية فى دين المسيح وأدخل ليو الخامس فى حكومته المدنية شدة وقساوة القانون والنظام العسكرى ومع أن شدته

كانت خطرة فى بعض الاحيان على البرىء الا أنها كانت أشد وأهول على المجرم وكافأ صاحبه ميخائيل على غيرته وشجاعته بالثروة والكرم الوافر وقيادة العسكرية وجعله مساعداله فى الخدمات العمومية وبقى الصاحب الفريجيانى الثالث من دون أن يتحصل على قليل ولا كثير من الجائزة الملوكية مثل قرينه فنفر وغضب على غير طائل وتصاعد فى الجو غضبه بخار الكنه أكن العداوة والحسد ضد الامبراطور وجعله ظالما وأنذر هذا الظالم مرارا ثم ان الامبراطور طرد صاحبه القديم ميخائيل فتسلطن الخوف والفزع فى قلبه وشرع فى دسيسة وثورة رتبها ضد الامبراطور فاكتشف الامبراطور عليها فعفاعنها ثم استمر فى دسائسه وخبثه ومن بعد أن صار التحرى على دسائسه وثبتت جريمته صدر الحكم عليه بالحرق حيا فى مستوقد الحمامات وتعين يوم ٢٥ ديسمبر من أجل تنفيذ هذا الحكم فرأت الامبراطورة طيوفانو أن نتيجة عاقبة هذه الحالة مشؤمة على زوجها وعائلتها ورأت أنه لا يوافق وجود مثل هذا المنظر الوحشى فى يوم ولادة المسيح فحضت ليو على ترك هذه المسئلة فى يوم العيد وفى ليلة العيد قلق الامبراطور جدا وصار لا تأخذه سنة من النوم فاشتاق للتوجه الى السجن المحبوس فيه عدوه لينظر حالته فتوجه سرا فى منتصف الليل فرآه مفكوكا من حديده راقدا على سرير السجان غارقا فى نومه فارتعب ليو من هذه الحالة ورجع عائدا ولم يحس به أحد لكن رآه أحد العبيد فى وقت ايابه وذهابه وكان هذا العبد واقفا مختفيا فى أحد أركان السجن فأخبر ميخائيل عنه فأرسل ميخائيل بعلة طلبه واحدا عارفا يعلن الثائرين بأن حياته متعلقة بهم فاستعد الثائرون فى مدة قليلة لحفظ سلامتهم وخلاص صاحبهم ومملكتهم وفى أثناء ذلك انتخب الامبراطور على حسب العادة الجارية شرذمة من القسس والمغنين من أجل هذا العيد الاكبر للحضور فى داخل السراى فدخلوا من باب مخصوص لاجل اقامة شعائر الديانة فى وقت الصبح فى كنيسة السراى فاختلط معهم الثائرون متزينين بزى أهل الكنيسة وسيوفهم تحت ملبوسهم ولما وصلوا الكنيسة وقفوا فى أركانها من الداخل وكان الاتفاق بينهم على الهجوم على الامبراطور عند قراءة أول ترنيمة أوسجعة تخرج من فمه فلما ابتدأ فى ترنيمته أحاط الثائرون جميعا بهذه الضحية السلطانية من كل جهة وكان ليو فى هذا الوقت مجردا من ملبوسه العسكرى ومن الحبيب والمعين فسحب صليبا ثقيلا ووقف فى دخلة يدافع عن نفسه وطلب منهم الرحمة فكان جوابهم له ليست هذه الساعة ساعة رحمة بل هى ساعة بطش وانتقام ومال عليه أول واحد منهم وضربه بسيفه ففصل ذراعه الايمن مع الصليب من جسمه وذبحوه تحت قدم منبر الكنيسة فى سنة ٨٢٠ بعد الميلاد

ثم خطفوا ميخائيل الثانى الملقب بالألكن أو الجلج من نار المستوقد الى سلطنة المملكة ولما كان لا يوجد من ضمن أرباب الثورة حداد بقيت الاغلال فى رجليه عدة ساعات وهو جالس على كرسى القياصرة وتسلطن ميخائيل الثانى تسع سنوات وفى هذه المدة دخلت المملكة فى موضوع جديد كبير من نجاحها فى التجارة وان كانت على شرف سقوطها واضمحلالها وتمتعت باحتكارها تجارة البحر الابيض المتوسط وصار لها منافع وفوائد واسعة من التجارة بين آسيا وأوروبا وصبت هذه المكاسب جميعها فى القسطنطينية وعادت بالثروة على أهلها ومع ما كانت عليه المملكة من كامل أعمالها فان العرب تغلبوا على جزيرة كريد وبعض جزائر أخرى فى البحر الابيض المتوسط وصاروا أسيادها هذه الجهات وحصل التنازع فى جلوس ميخائيل على التخت من صاحبه طوماس العسكرى الثالث من

الثلاثة فانه حوّل الى أوروبا ٨٠٠٠٠ نفس من المتبربرين من شواطئ نهر الدجلة وسواحل بحر الخزر وحاصربهم القسطنطينية فدافعت المدينة أشد دفاع عن نفسها وهجم ملك بلغارى على معسكر طوماس ووقع فى يده طوماس المذكور على قيد الحياة فقطعوا ساقيه من جسمه ووضعوه على حمار وطافوا به بين الناس فى الشوارع ودمه يرش الارض وأمر الامبراطور بعذابه بحضرته ولم يتركه من العذاب الامن قول أحد الوزراء الصادقين أو المجرمين له لماذا تأمر أحد الاعداء بفعل مايشاء من العذاب بأعز أصدقائك وأقدم أحبابك ومن بعد موت زوجة ميخائيل الاولى أخرج على حسب طلب السناتوغوفروسينى ابنة قسطنطين السادس من معبدها وعقد زواجه عليها على شرط أن أولادها يكون لهم نصيب فى المملكة مع أخيهم الاكبر فكانت زوجة ميخائيل وغوفروسينى عقيمة واكتفت بكونها القبت نفسها بلقب أم طيوفيلوس ابنه وخليفته من بعده

وخلف ميخائيل الثانى من بعد موته ابنه طيوفيلوس فى سنة ٨٢٩ بعد الميلاد فمع أنه كان ملكا ماهرا الا أن سلطنته كانت مشحونة بالمصائب وسوء السعادة وشرع فى عود الاقاليم التى كان العرب تغلبوا عليها فانهزم ولم ينجح فى مشروعه وكثرت مدخولات مملكته ومحصولاتها لكنه بدل أن يصرفها فى حفظ حدودها وثغورها صرفها فى زخرفة القسطنطينية وزينتها وكان العدو الالد لعبادة التماثيل ومات فى سنة ٨٤٢ بعد الميلاد وترك زوجته طيودره وصية على ولدهما ميخائيل الثالث ونائبة فى الحكم عنه فأعادت طيودره قضية عبادة التماثيل بتهليل وتفريح من الامة وكان ذلك ختام حرب تكسير الاصنام من بعد أن طال زيادة عن قرن وكذا كان ختام فصل المشرق من المغرب

وكان عمر ميخائيل الثالث خمس سنوات فى الوقت الذى مات فيه أبوه واستمرت الامبراطوره طيودره مدة أربع عشرة سنة قابضة على زمام النيابة فلما رأت ضعف نفوذها وخروج ابنها عن طاعتها تنازلت مع حزم رأيها عن نيابتها وأحكامها لابنها وكان بلغ سنه فى هذا الوقت ثمان عشرة سنة وما كان على شئ مطلقا من أحكام المملكة ولا حكم نفسه وباعتزال طيودره ضاع الوقار والتدبير من الديوان وانشحن بالعيوب والاختلال ولما صار ميخائيل حاكما منفرده فى المملكة ظهرت عليه الجبانة وعدم موافقته وقابليته للاحكام فكان فظا غليظا عاكفا نفسه على السكر والملاهى وصار لا يراعى حرمة الديانة ولا شرف مركزه وصرف ملايين من الذهب والفضة التى كان جمعها بشأن الاعمال العمومية على المتملقين له المشتركين معه فى ملاهيه وفى مدة سلطنته امتدت ثلاث عشرة سنة تجردت سراية السلطنة وكنائسها من أمتعتها البهية ولما رأى الامة أن الامبراطور لا أهلية فيه فضلا عن كونه من المهجين غضبوا من أفعاله وحقدوا عليه وكانوا يرجون خلاصهم منه من مدة طويلة فقتلوه فى نومه فى السنة المتممة للثلاثين من عمره وكان الذى تولى قتله أحد ضباطه المسمى بازيل فى سنة ٨٦٧ بعد الميلاد وكان بازيل سلافى الجنس الا أنه زعم أنه من ذرية الاسكندر الاكبر المقدونى فمن ثم عرفت العائلة التى أسسها بالعائلة المقدونية ومع انه نال مظفرات عظيمة على العرب وساق جيوشه المنصورة حتى وصل نهر الفرات وحطم الجمهورية البولسيانية الا انه ما كان عنده شهامة وحزم الرجل الحربى بل كان مشهورا بكونه مشرعا وتولد من تغيير اللسان والعوائد فى المملكة ضرورة الحالة المراجعة وتنقيح كافة كتب الفقه التى كان شرعها يوسطنيان ومن بعد المراجعة والتنقيح على حسب عوائد المملكة فى الاوقات الحالية جمل للمؤلفات والكتب الضخمة المشتملة على شرائعه وفتاويه وقانونه المدنى والقوانين المستجدة أربعين

اسمها باللغة الجريقية وأمر بأن القوانين البازيليقية التي صار تهذيبها وتنقيحها واتمام أشغالها بمعرفة ابنه وحفيده يلزم أن يكون أصلها من الاعمال العظيمة والاشغال الجسيمة لمؤسس عائلتها وهو بازيل الاول

وعقد بازيل معاهدته مع شرلمانيه وأبقى للمملكة الشرقية مدائن ايطاليا الجنوبية وفي سنة ٨٧٨ بعد الميلاد تغلب العرب على سراقوسه من أعمال جزيرة صقلية أو سيسيليا ومدوا شوكتهم ودولتهم على كامل الجزيرة ومن بعد مضي مدة استحوذوا على موطن ثابت في ايطاليا الجنوبية وأضعفوا به شوكة الامبراطور ومات بازيل في سنة ٨٨٦ بعد الميلاد

ذكر جبون في تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها ان بازيل خلف أربعة أولاد وهم قسطنطين مات قبل أبيه واكتفى اصطفان بدرجة شرف البطريرك ولبس ليو واسكندر الثوب الارجواني سوية الا أن شوكة الحكومة وادارتها كانت في يد ليو وهو الكبير ولقب نفسه بالسادس واشتهر اسمه بالفيلسوف فقال جبون على سبيل التهكم والاستهزاء ان ابن بازيل كان أجهل من معظم معاصريه في الديانة والسياسة وكان الذي باشر تعليمه وتهذيبه العالم فوطيوس ودون كتبا عديدة في علوم التاريخ والديانة الا أن شهرة فلسفته وديانته سقط أمرها بما حصل منه من النقائص والعيوب في سرايته وتعداده الزواج وكانت سلطنته مشحونة بالمصائب والاهوال وتغلب العرب على تسالونيقه التي هي المدينة الثانية في المملكة وذبحوا الجم الغفير من أهلها وباعوا اثنين وعشرين ألفا من شبانها في أسواق الرقيق وجلب على نفسه عداوة الكنيسة بسبب أنه تزوج ثلاث زوجات ولم يخلف منهن ولدا يرثه من بعده المملكة فأدخل ليو في سرايته ظيو الجميلة وتسرى بها ومن بعد أن حملت ووضعت قسطنطين أعلن هذا العاشق بكونه يجعل الام والولد شرعيين فقام عليه أهل الكنيسة وأخرجوه من الملة وكان عند مسيحي الشرق الزواج الثالث فجورا في الدين ولا يعرفون في مذهبهم زواجا رابعة ومن ثم كانت الكنيسة الجريقية تعد هذا الزواج محرما في شريعتها وامتدت سلطنته حتى دخلت في القرن التالي

ومن بعد موت ليو السادس خلفه ابنه قسطنطين السابع الملقب بالارجواني لانه ولد في ثياب أرجوانية وكان جلوسه على تخت المملكة في ١١ مايو سنة ٩١١ بعد الميلاد وكان عمره خمس سنوات في وقت موت أبيه وفي مدة صغره كانت ادارة الحكومة والسلطنة جارية بمعرفة عمه اسكندر ومن بعد موت عمه تقلدت والدته ظيو ونواب آخرون زمامها وفي سنة ٩١٩ بعد الميلاد تقلد رومانوس كبير القواد في الجيش زمام الحكومة مع لقب قيصر وأوغسطوس وأشرك معه في حكم المملكة أولاده الثلاثة وعزل قسطنطين من امبراطوريته وجعل نفسه امبراطورا فاستمر هذا الامبراطور الغير الشرعي مدة خمس وعشرين سنة مجردا الامبراطورات الاصلية من مناصبها الى مناصب دنيئة ولما مات الاخير من هؤلاء الغاصبين تقلد قسطنطين ثانية زمام ادارة الحكومة والسلطنة بمفرده وتسلطن نحوا من خمس عشرة سنة أي من سنة ٩٤٤ الى سنة ٩٥٩ بعد الميلاد وجذب بلينه ورقة أخلاقه قلوب رعيته لمحبته وكان صاحب تآليف عديدة في العلوم والتواريخ وخدم الآداب خدمة جليلة وأمر بالمحافظة على كثير من تآليفها وكتبها الغالية العظيمة

وخلف رومانوس الثاني ابن قسطنطين أباه في سنة ٩٥٩ بعد الميلاد ومات من بعد مضي أربع سنوات

سنوات بسم دبرته له زوجته فى سنة ٩٦٣ بعد الميلاد واشتهرت سلطنته بما حصل فيها من أعمال قائده نيسفروس فوكاس فانه رد جزيرة كريد من بعد أن كانت العرب تغلبوا عليها ونال عليهم مظفرات أخرى جليلة ولما رغبت الامبراطورة طيوفانو أرملة رومانوس الثانى فى تأكيد محلها على التخت تزوجت هذا القائد المنصور وهذا من دون أن يحرم الامبراطوران الصغيران بازيل الثانى وقسطنطين التاسع من تختهما فتقلد زمام التخت فى سنة ٩٦٣ ولقب نفسه أوغسطوس فتسلطن ست سنوات مع الشجاعة وعلو الهمة وقاوم مع الشدة والثبات اغارات العرب وحفظ الثغور من اغاراتهم وظهر على سلطنته فى مبادى أمرها شدة وعنف المملكة الشرقية من بعد ضعفها الاخير وهى مدة يمكن أن يقال بوجه الحق انها استمرت لحد سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد وقتل فى سنة ٩٦٩ بعد الميلاد بواسطة ابن أخيه يوحنا طيميس وخلفه على التخت كوصى على الامبراطورين القاصرين

وكان يوحنا المذكور أحد عشاق الامبراطورة طيوفانو فى مدة حياة زوجها فكان من أملها المشاركة فى التخت مع عاشقها فغض يوحنا الطرف عنها بأمر شديد صدر له من بطريك الكنيسة القسطنطينية وأبعدها عنه الى محل مخصوص بها وأثبت يوحنا لنفسه قابليته فى الحكم والادارة والشجاعة فانه فى جهة الشرق أوقع عدة كسرات على العرب وأعاد منهم أنطاكية من بعد أن كانوا تغلبوا عليها وبعض مدائن أخرى وجعل نهر الفرات حد المملكة مرة أخرى ونال مظفرات جليلة على السكندينا وبين حكام روسيا وكانوا أوقعوا الرعب والارتباك فى حدود مملكته وهزم القوى الروسية شر هزيمة فاصلة فى نواحى برشطلاوه وأوبرشتنه من أعمال بلغارية فى سنة ٩٧١ بعد الميلاد وأرغمهم على عقد صلح ومعاهدة تنازل الروسيون فيها على حسب شروطها للامبراطور عن مملكة بلغارية وكانوا تغلبوا عليها حديثا ومن ثم صار نهر الدانوب الحد الحريق مرة أخرى ومات يوحنا فى سنة ٩٧٦ بعد الميلاد

وجلس الامبراطوران الشرعيان بازيل الثانى وقسطنطين التاسع من بعده على التخت فأما قسطنطين فكان ضعيف العقل عديم الرأى فاتر الهمة مؤنث الطبع وأما بازيل فكان رجلا حازما فطنا ذا مهارة وجسارة جعل نفسه هو الحاكم الاصلى للمملكة وفى مدة سلطنته ارتقت عساكره الى أعلى درجات الشماخة فى اجرا آتها وأعمالها العسكرية وامتدت سلطنته فى داخل القرن الثانى ومات فى سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد من بعد أن استمر نحوا من أربعين سنة فى حروب شديدة مع البلغاريين وقبائل أخرى من السلافيين من بحيث جزيرة هلنى وأخضع كافة البلغاريين الا أن هذا الفارس سود شهرة اسمه وقذر صفته ورسمه بما أجراه من الفظائع وشراسة الاخلاق بكونه قلع عيون ١٥٠٠٠ نفس من أسرائه البلغاريين وأرسلهم الى ملكهم فنشأ مما حصل للملك من الحزن والاسف أن فقد حياته بمجرد نظره اليهم وفى السنة الثامنة والستين من عمره حمته دينه على أن يهيج حربا دينيا على العرب المتغلبين على جزيرة سيسيليا وركب اليهم بنفسه فنعه من ذلك الموت

ومات بازيل الثانى فى سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد بين شكر القسس له وثنائهم عليه ولعن الامة عليه وتوجه مقتهم اليه وجلس أخوه قسطنطين التاسع على التخت ثلاث سنوات من بعده ومات فى سنة ١٠٢٨ بعد الميلاد من بعد أن تمتع بلقب أوغسطوس ستا وستين سنة ما عمل فيها أدنى شئ يستحق الذكر عليه وكان بازيل الثانى عديم الذرية وأما قسطنطين فانه خلف ثلاث بنات فاستمر التخت نحوا من ثلاثين سنة فى أيدى القباح والاراذل أخلاء بنات قسطنطين ظيو وطيودره بسبب عدم وجود

ذكر يرث التخت من بعد موت بازيل وقسطنطين فكانت أكبر الحوادث فى ظرف هذه المدة ثورة أهل القسطنطينية بسبب ما حصل عندهم من الحنق والغضب من ضعف وفجور هؤلاء الحكام فاسدى الطباع والاخلاق وفى سنة ١٠٥٧ بعد الميلاد ختمت هذه القلاقل والارتباكات بجلوس اسحق كومنوس على التخت بواسطة الجيش وكان قائدا شريف المولد فأخذت صحته فى الضعف فتخلى عن التاج فى سنة ١٠٥٩ لاخيه يوحنا فاقبل يوحنا المذكور لبس الارجوانى فانتخب أمبراطور جديد من عائلة أخرى كان هو الامبراطور قسطنطين الحادى عشر فتسلطن ثمان سنوات ومات فى سنة ١٠٦٧ وعهد الحكومة لارملته عوديسيه فتزوجت رومانوس ديوغونيس وصار هذا امبراطور اتحت اسم رومانوس الرابع وتسلطن أربع سنوات مع العز والسمو والشرف

وفى غضون هذه المدة شرع الترك من بعد أن جعلوا أنفسهم أسياد الممالك العربية فى اسيا فى الكبس مع الشدة على الاقاليم الباقية من المملكة الجريقية فكان هذا الخطر هو السبب الداعى لحث الامبراطورة عوديسيه على زواجها برومانوس وكان عسكريا على غاية من الدراية والشجاعة فاجتهد بحركات وان كانت بطيئة الا انها كانت بشجاعة لا تقهر وحفظ جميع ممالكه الشرقية وطرد الترك فى ثلاثة حروب شديدة خلف نهر الفرات وفى حرب رابع حصل فى سنة ١٠٧١ بعد الميلاد كان عزم فيه على عود أرمينية منهم هزمه الب ارسلان سلطان الترك شر هزيمة وأسره عنده ثم خلص من أسره بوعد أن يدفع مبلغا جسيما فداء عن نفسه وخراجا سنويا ولما عاد الى القسطنطينية وجد قومه خلعوه وقت ما سمعوا بأسره وألزموا الامبراطورة طيودره بالموافقة والرضا فسعى رومانوس فى عود تخته واجتهد فانهزم وقتل وجلس ميخائيل السابع على التخت من سنة ١٠٧١ الى سنة ١٠٧٨ بعد الميلاد ونيسفوروس الثالث من سنة ١٥٧٨ بعد الميلاد الى سنة ١٠٨١ بعد الميلاد ثم حصلت منازعة فى جلوس الامبراطور نيسفوروس فى نواحى آسيا من قائد اسمه نيسفوروس أيضا فدعا الامبراطور الترك لمساعدته وهزم عدوه الا انه اشترى نصرته وظفره بعدوه بضياع ممالكه فى آسيا فانها انتقلت الى أيدى الترك ومن بعد مضى بضع سنين صار للامبراطور طاقة على مد حدود مملكته من الشرق الى نيقوميديا أى عبارة عن ستين ميلا من القسطنطينية واستحوذ الاتراك من وراء هذا الحد على الاقاليم الجريقية القديمة ماعدا طرابزون الموجودة فى آخر حدود البحر الاسود فانها بقيت فى يد الامبراطور بسبب منعتها وحصانة استحكاماتها الطبيعية

وفى سنة ١٠٨١ بعد الميلاد صار علكسيس الاول ابن يوحنا كومنوس امبراطورا من بعد سقوط نيسفوروس الثالث وجلس على التخت وكان سبب سقوط نيسفوروس الثالث أن يوحنا كومنوس أخا الامبراطور اسحق كان عائشا عيشة هنية فى أمن وشرف من أجل عدم قبوله لبس الارجوانى وخلف من امرأته عانى التى كان فيها شهامة وادارة الرجال ثمانية أولاد بعد أن مات منها ثلاث بنات تزوجن وأكثرن تعداد الاتحاد الحكومى مع كبار الامراء والوجوه من الجريق ومات من الخمسة ذكور منويل وأعاد اسحق وعلكسيس شرف الامبراطورية الى بيتهما من دون أن يحصل تعب أو كدر من أخويهما الصغيرين أدريان ونيسفروس وكان علكسيس الاخ الثالث أكثرهم مهارة وشهرة وتربت له ملكة فى عقله وقوة فى جسمه وكانوا جميعا تربوا فى الكرم الواسع ومارسوا أعمال الطاعة وعدمها وسلك الاخوان الآخران وهما علكسيس واسحق مسلك الحزم واتحدا بالامبراطور ميخائيل وحاربا معه العاصين عليه ولازماه

حتى

حتى مات وقال علكسيس لنيسفروس الثالث فى أول مقابلة تقابلها معه مع الحرية والثبات أيها الملك ان واجباتى صيرتنى عدوا لك وبأمر من الله ورضا من الامة صرت خاضعا لك فالتقاه نيسفروس أحسن ملتقى وأمنه ووثق به ووجهه على ثلاثة من العصاة أزعجوا راحة المملكة وراحة الامبراطورات وهم عورسيل وبرنيوس وبازيلاسيوس وكانوا اتقووا بكثرة ما كان معهم من القوى واشتهرت أعمالهم العسكرية فهزمهم علكسيس على التعاقب وأوثقهم فى الحديد والاغلال الى مواطئ التخت الامبراطورى ومن بعد أن عوملوا بأقسى المعاملات وأشدها محوا العفو والرضا عليهم ثم ان خضوع الكومنونيين حصل فيه التعكير على الفور وكثرة الارتياب وذلك أن علكسيس رفض توجهه الى عاص رابع كان زوج أخته فهدم ماعره من حسن خدماته السابقة عند الامبراطور وأراد البطش بهما فاعتزل الاخوان حماية لهما وحرية لنفسهما وجعار جالهما وخرجا من المدينة وأقاما بيرق العصيان وخضع العساكر الذين كانوا تجمعوا على التدريج فى المدينة وفى ضواحيها ودخلوا فى أمر قائدهم المنصور وألبس اسحق أخا علكسيس الارجوانى وعادوا الى القسطنطينية مهددين لها لاحاصرين وتغلب علكسيس على المدينة واختفى نيسفروس فى أحد الديورة ونهب الجيش المشكل من الامم المختلفة العاصمة ثم أعيد النظام ثانيا من طرف الكومنونيين وكان جلوس علكسيس الاول على التخت فى مدة مشحونة بالمصائب والاهوال وتراكمت الآفات والهياج وكل حالة يحصل منها تأثير فى ضعف المملكة حصل فى مدة سلطنته بعدل من الله وحزم أسلافه قال جبون ان الاتراك المنصورين فى الشرق أقاموا سلطنة الاسلام ونصبوا البيارق والرايات القرآنية الاسلامية من فارس الى بوغاز الدردانيل وأغارت الغارات على الاقاليم الغربية من شجعان رجال من أهل الشمال وفى أوقات السلم سكب نهر الدانوب أسرابا جديدة اكتسبوا من معرفتهم بالحرب وأعمالهم مافقدوه من شراسة طباعهم وتوحشها وما كان البحر أقل عداوة من البر وحالما كان الهجوم على الثغور جاريا من طرف عدو عدوانى وقع الخراب والدمار فى السراية من خيانات سرية وثورات غير جهرية فظهر علم الصليب على حين غفلة باللاتينيين وهوى كامل أوروبا على آسيا وغرقت القسطنطينية من هذا الطوفان العجاج فقاد علكسيس فى هذه الزوابع المهولة السفينة الامبراطورية بتدبير وشجاعة فكان فى رأس جيوشه جسورا فى فعله ماهرا فى حيلته صابرا على مشاق مره وحلوه مستعدا لما يعود منه النفع قام من هزيمته بشجاعة لاتقهر وأحيا نظام عسكره وألف رجالا جديدة وعساكر شديدة على منوال قائدهم وقوانينه وكان علكسيس عند دخوله مع اللاتينيين صبورا شجاعا ماهرا حازما من بصيرته الطريقة الجديدة لدنيا غير معروفة ووزن بسياسة عقله ومهارة فكره منافع ومضار محامى الصليب الاول وأخضع فى مدة سلطنة طويلة مدتها سبع وثلاثون سنة الحاسدين والمبغضين وعفا عنهم من حسن صفاته وكرمه وأعاد القوانين والنظامات العمومية والخصوصية وغرس أشجار الصنائع والعلوم والثروة ووسع حدود المملكة فى أوروبا وآسيا وانتقل قضيب الكومنونيين الى أولاده وذريته من النسل الثالث والرابع

ومات الامبراطور علكسيس الاول فى سنة ١١١٨ بعد الميلاد وخلفه ابنه الكبير يوحنا الثانى ومن شكله القبيح وفظاظته وسمرة ذاته ورذالة وجهه لقبه رعيته أهل المعرفة الحادة والاستهزاء على سبيل السخرية بلقب الظريف لكنه من بعد مضى مدة وقع هذا اللقب عند رعيته موقع القبول

والاستحسان بما ألهم منه من جميل الشكر والثناء وما حازه من الصفات الزكية فانه كان مدبرا فطنا حازم الرأى جيد القريحة حسن السيرة أعاد مع الشهامة العسكرية والاعمال الحربية بعض الجهات التى كان الاتراك تغلبوا عليها وخلص الاقاليم الساحلية الاسياوية من وجودهم فيها وحرمهم من التقرب اليها ومن خوف يوحنا من وجوه أشراف قومه ما تعرض لاحد منهم بسوء ولا سلك مسالك الاحوال المؤدية لعقاب أو عفو عن أعدائه ومات فى سنة ١١٤٣ بعد الميلاد

وخلف منويل الاول أصغر أولاد يوحنا الموجود على قيد الحياة أباه وتسلطن سبعا وثلاثين سنة كانت جميعها فى حرب مستمر مع الاتراك لانهم كانوا وصلوا جبال طوروس ومع الهنكاريين وزحف القبائل والعساكر الموجودة وراء نهر الدانوب على حدود المملكة وكان فيه نوع من الشجاعة والفروسية زيادة عما كان عنده من الحكم والتدبير وكانت أساطيل ومراكب ملك أهل الشمال المسمين بالنورمانيين فى سيسيليا تخرب سواحل الجريس المرار العديدة فانجبر منويل على ملتقى اغارات هذه الاساطيل واجتهد فى رجوعها باغارته على سيسيليا نفسها وجعل للمملكة الشرقية شوكة مزعجة وصولة مهلكة وانهزم فى آخر أمره فى واقعة حصلت بينه وبين الاتراك فى نواحى بسيديا وسلم نجاة حياته لكرم السلطان وعفوه ومن بعد هذه الهزيمة ابتدأت شوكة المملكة فى الضعف والاضمحلال ومات منويل فى سنة ١١٨١ بعد الميلاد تاركا سلطنته لابنه علكسيس أو علكسيوس الثانى وهذا من بعد مضى سنتين خلعه وقتله واحد من أقاربه اسمه اندرونيكوس وهو الابن الاصغر لاسحق وحفيد علكسيس كومنوس فكان اندرونيكوس فارسا شجاعا وان كان حاكما عنيفا جبارا ومن بعد مضى سنتين من جلوسه على التخت قتله الرعية بواسطة ما حصل لهم من فظائعه وقطعوا الامل منه وانقضى ما بقى من القرن فى حروب وزعازع بين طلاب مختلفة للتخت كانت سببا فى ضعف المملكة وجعلها مهيئة لمدتها الكبيرة الاولى من سقوطها

واستمر الضعف آخذا فى المملكة الشرقية وكان ابتداؤه موت الامبراطور منويل ومشاحنة خلفائه من بعده فى مدة القرن الثانى عشر وكان اسحق انغيلوس خلعه أخوه علكسيس فى سنة ١١٩٥ بعد الميلاد وهرب ولد آخر لاسحق اسمه علكسيس أيضا من القسطنطينية وأوى الى أوروبا الغربية واجتهد فى تحريض الدول الكبيرة على مساعدته فى عود سلطنة أبيه له وصرف عدة سنين فى هذا السعى كانت على غير فائدة وعندما عزم على قطع اليأس من الحصول على شئ من مسئلته وقضيته تتوجت أتعابه بغتة من غير انتظار وأمل كان يأمله بتاج النصر وذلك أن برنسات حرب الصليب الرابع كانوا اجتمعوا فى فنيزيا وحصل لهم الوعد من جمهورية فنيزيا باعطائهم المراكب اللازمة لنقلهم الى الارض المقدسة بالاجرة ولما عجزوا عن جمع مبلغ النقود الذى طلبته منهم الجمهورية قيمة سفرهم سمح لهم الفنيزيون بتأجيل دفع هذا المبلغ على شرط أن يفتحوا لهم بعض المدائن الموجودة على ساحل دلماطيه وكانت تلك المدائن عصت من الجمهورية فرضوا بهذا الشرط وتغلبوا على مدينة ظعرة وحصل لهم منها فوائد جمة وعقدوا نيتهم على قضاء فصل الشتاء فيها فتوجه البرنس الشاب علكسيس لمعسكرهم وتوسل بهم فى مساعدته على رجوع تخته فرفض توسله رجال جمهورية فنيزيا وأخيرا عول الصليبيون على مساعدته ووعدهم بمبلغ جسيم يؤديه لهم فى نظير أداء خدمتهم ان حصل لهم الظفر والنجاح فتحركوا وحاصروا القسطنطينية فى فصل صيف سنة ١٢٠٣ بعد الميلاد وهجموا عليها عنوة وتغلبوا عليها من

بعد

بعد محاربات شديدة وأجلسوا ملكيس على التخت لكنه خسر وثوق رعيته به بكونه ترك الدين الجريقي ودخل فى الدين الرومانى فقتلوه فى السنة التالية فى ثورة وهياج قام من أهل القسطنطينية لخنق أهل الصليب من هذا التعصب وهجموا على القسطنطينية عنوة مرة ثانية وأخذوها ومن هنا تم غلاق المملكة الشرقية وانقراضها

ثم أقام الصليبيون على أطلال المملكة الجريقية مملكة لاتينية وتوجوا الكونت بالدوين صاحب فلندره أمبراطورا للقسطنطينية وقسموا المملكة بينهم على قدر ما يمكنهم المحافظة عليه منها الانه يلزمنا أن نتذكر أن الجريق فى أشد الكراهة والعداوة للاتينيين وأن الجريق ما خضعوا للاتينيين الا لشدة قوتهم وكثرة عساكرهم وما كان بالدوين سيدا على جميع الممالك والايالات التى كانت تحت حكم القياصرة الجريقية حتى يقروا له بالملوكية عليهم فمن هنا تجزأت المملكة الشرقية الى عدة امارات صغيرة بعضها جريقية وبعضها لاتينية وأخذ بالدوين نحو ربع المملكة من نصيبه وما بقى من الايالات الاوروباوية صار قسمه بين الفنيزيين واللومبارديين والفرنساويين فأخذ الفنيزيون حصة واسعة غير مناسبة لاقسام القسمة وشيدوا فيها صفا من المعامل والمحطات التجارية فى طول الساحل من القسطنطينية الى فنيزيا وجعل بونيفاس ماركيز مونطيفرات ملكا على تسالونيقه أومقدونيا وأما أملاك المملكة الموجودة فى اسيا وما كانت دخلت فى حوزة الترك فانها اقسمت بين ملكين تسلطن أحدهما فى نيخيا والآخر فى طرابزون وتلقب كل منهما بلقب أمبراطور فكانت امبراطورات نيخيا على جودة من المهارة وحزم الرأى ومهارتهم وتدبير أحكامهم أخذ ملكهم فى التقدم والنجاح والقوة ومن الجهة الاخرى لما كانت المملكة اللاتينية فى القسطنطينية على غير وثوق من أهلها فاستمرت سبعا وخمسين سنة ولما خاب سعى اللاتينيين فى خضوع الجريقيين بالقوة وقعت هذه المملكة تحت أقدام الجيوش المظفرة للامبراطور ميخائيل باليولوغوس صاحب نيخيا فى سنة ١٢٦١ بعد الميلاد ومن حيث ان المملكة النيخيانية زعمت أنها هى الوارث الشرعى الحقيقى للمملكة الرومانية الشرقية فبواسطة فتحها القسطنطينية والتغلب عليها بواسطة ميخائيل يمكننا أن نعد هذا من درجات احياء المملكة الشرقية ومع هذا فانه ما تيسر لها الحصول على درجة شوكتها الاصلية أبدا الان الاتراك كسوا بشدة على حدودها الشرقية وصار الامبراطور الجريقى فى طرابزون وبعض من ملوك الجريق والفرنج حكاما مستقلين فى اماراتهم عن أمبراطور القسطنطينية وما كان عود المملكة الشرقية فى القسطنطينية فى الحقيقة الا زيادة تقوية للامارات المختلفة الجريقية وهذا استمر وجودها من دون أن يحصل من واحدة منها أدنى التفات الى مملكة القسطنطينية حتى انقرضت جميعها وتغلب عليها الاتراك العثمانيون فى القرن الخامس عشر ولما ارتاع ميخائيل من تهديد البابا له أن يسوق عليه حربا صليبيا من أوروبا الغربية اجتهد فى الزام رعيته بالانضمام الى الكنيسة اللاتينية فما نجح الا فى كونه ملأ ممالكه بالعناء وتحمل الاكدار والاهوال ومع ما حصل لهم من الشدة والعنف فانهم كانوا على درجة غير كافية لرضا رومة وذكر جيبون انه دعى لمحاكمة من رخاوته والريب فى صداقته ثم ان ابنه أندرونيكوس الذى ختمت سلطنته هذا القرن أنهى هذه الفظائع والارتباكات وألغى الانضمام الى رومة وأعاد الدين والعبادة الجريقية كما كانت

واستمرت سلطنة الامبراطور اندرونيكوس الثانى وكان خلف أباه ميخائيل باليولوغوس فى سنة ١٢٨٢ بعد الميلاد ثمانيا وعشرين سنة من القرن الرابع عشر وسنى ختام القرن الثالث عشر فى السنى الاولى من القرن الرابع عشر تقوت شرذمة من جسورى القطلانيين برجال من كافة عموم الدنيا عرفوا باسم

الجمعية الكبرى وأدوا خدمة جليلة للمملكة وهزموا الاتراك فى واقعتين كبيرتين دمويتين ورأوا أنه صار لهم حق فى المملكة التى كانوا سببا فى خلاصها وشرعوا فى نشر أعمال استبدادية فى الاقاليم حتى ان الامبراطور ضعف جدا عن مقاومتهم ولما خسر وارئيسهم الاول بقتلهم اياه ضبطوا قلعة جليبولى الحصينة الموجودة على بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وهزموا قوى المملكة الحربية فى واقعتين فى البحر والبر وتولد من هذه النصرة أن انضاف اليهم من أمثالهم واستمروا فى فظائعهم حتى أحوجتهم المؤنات والشقاق بين قوادهم الى التشتيت والتفريق وذكر جبون فى تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها أن الامبراطور ميخائيل وهو أول البليولوغونيين خلص مملكته بواسطة ايقاعه الممالك الغربية فى العصيان وسفك الدماء فتولد من هذه المنازعات والمحاربات رجال من الحديد هجموا على مملكة ابنه وأوقعوا بها التلف والخسران وفى هذه الازمان الاخيرة تولد من الديون وكثرة الضرائب السم الخفى القاتل القارض لسلاسل السلم وراحة القلب وأما فى القرون المتوسطة فكان الضعف وعدم انتظام الحكومات ناشئا من الجيوش وتفريق العساكر فكان ذلك هو الضرر الاكبر والاذى الاجر لانه بسبب تقاعدهم وتراخيهم عن الاشغال وكبرهم وعجبهم واعتاد هؤلاء العساكر الاجربة على كونهم يعيشون على السلب والنهب وقطع سبل البر فبعد عقد صلح بين الحروب التى كانت حاصلة فى جزيرة سيسيليا تجمع عدة ألوف من الجنويز والقطلانيين الفرنساوية ومن الاسبانيين وكانوا يحاربون فى البر والبحر تحت بيرق انغوأو أو رغون وصار هؤلاء الالوف تحت رؤسا منهم وجعلوا أنفسهم أمة واحدة وسمعوا ان الاغارة حاصلة من الاتراك فى الاقاليم الحربية فى آسيا فصمموا على أن يكون لهم نصيب من هذا الموسم فى سلب النقود وأخذ القلوب وساعدهم فريدريق ملك سيسيليا فى سفرهم من أرضه وفى ظرف عشرين سنة اشتغلوا فيها بالحروب والكروب صار كل مركب أو سفينة أو معسكر أرضهم وبلادهم فكان السلاح صنعتهم وعقارهم وكانوا موصوفين بالشجاعة والفروسية والقوة وشرب نساؤهم مشرب أزواجهم قيل ان الشخص القطلانى كان اذا ضرب بسيفه العريض الفارس ضربة واحدة شطره مع حصانه شطرين مهما كان عليه من الدروع وكان أكبر قوادهم المحبوب عندهم روزردوفلورفن شدة ما كان عليه خيمت سحب خصاله وأوصافه على كبر أعدائه الارغونية وكان روزردوفلورفرعا نبت من زواج عمدة من ديوان فريدريق الثانى من جرمانيا بقينة من مدينة برنديزى فكان روزر فى الابتداء من فرسان الكنيسة ثم ارتد وجحد وكفر بدينه ثم صار من قطاع الطريق ثم صار أغنى وأقوى أميرال فى البحر الابيض المتوسط فسافر من مينه الى القسطنطينية مع ثمان عشرة مركبا من مراكب الحرب وأربع سفن من السفائن الكبيرة وثمانية آلاف من المخاطرين وعمل معاهدة فى الابتداء مع الامبراطور أندرونيكوس على غاية من الصداقة فقبلها الامبراطور على فرح وخوف من هذا الجبار وخصص لاقامته سراية وزوجه بابنة أخيه ورفعه فى الحال الى درجة دوق أو أميرال رومانى ومن بعد أن استراح فى غاية من الحشمة والوقار نقل عساكره الى بحر مرمرا وساقهم مع الجسارة والشجاعة على الترك وقتل فى واقعتين دمويتين نحوا من ثلاثين ألف نفس من المسلمين وحاصر مدينة فيلادلفيا واشتهر اسمه وصيته بانه مخلص آسيا الا انه من بعد هذا النجاح القليل خيم سحاب الرق والخراب على هذا الاقليم المنحوس وهرب سكانه من الدخان الى لهب النيران فكانت عداوة الترك أقل ضررا وأذى من عداوة أخ القطلانيين فانهم رأوا أن الارواح والاموال والامتعة التى خلصوها من الترك صارت ملكا لهم واعتنق القينات اللاتى خلصن من الجنس المقطوع الغلفة

بالعساكر

بالعساكر أصحاب الغلفة من المسيحيين فكانوا يطلبون مطاليبهم بالنهب القبيح والطلب العنفوانى المستبد ولما قاومت مغنسيا طلبهم حاصرها الدوق الكبير وكانت من مدائن المملكة الرومانية وفعل أتباعه وعساكره الافعال التى أضروا بها العباد وأخربوا بها البلاد وضاق اندرونيكوس ذرعا من أفعال روزرو ما كان فى طاقته مقاومته وما استحصل الامبراطور بواسطة منشوره المذهب الاعلى خمسة آلاف خيال وألف من المشاة وكثرت العساكر عند روزرو كانوا فى خير ونعمة من العلوفات وزيادة المرتبات ووصل المعاش الذى تقرر لهم سنويا نحوا من ١٠٠ رطل من الليرات الذهبية وضربت ضرائب مهولة شديدة على حبوب وغلال المزارعين وأسقط الثلث من راتب المستخدمين فى الاعمال العمومية وتنازلت قيمة المعاملة جدا حتى صار لا يوجد فى كل أربعة وعشرين جزأ الا خمسة أجزاء من الذهب فطلب الامبراطور انجلاء روزرو من الاقليم الذى خرب ومابقى فيه شئ يستحق النهب فرفض انجلاءه وتفريق عساكره وصار فى حالة استقلال وعداوة وأقام بيرق العصيان وقال اذا كان ولابد من مشى الامبراطور اليه فانه يلزمه أن يتقدم أربعين خطوة ويلثم الارض أمام جلالته وبعد قيامه من هذه السجدة تكون حياته وسيفه فى خدمة أحبابه فانعم عليه الامبراطور برتبة قيصر وحكومة آسيا وارسال النقود والغلال وتقليل عساكره الى ٣٠٠٠ نفس فقط فقبل الدوق رتبة قيصر مع الكراهة ورفض الباقى وتوجه لزيارة المقر الملوكى فى مدينة ادرنه ولما وصل الى محل الاستقبال وصار على منظر من الامبراطورة ضربه أحد الخفر بخنجر فوقع قتيلا وقاموا على أهله وتوابعه فى القسطنطينية وقتلوهم ولما هلك هذا القائد انتشر المخاطرون على ساحل البحر الابيض المتوسط وضبط شرذمة منهم قدرها ١٥٠٠ نفس من القطلانيين أو الفرنساوية قلعة جليبولى الحصينة وثبتوا فيها ونشروا الاعلام الارغونية واستعدوا الاخذ ثار رئيسهم فعزم الامبراطور ميخائيل ابن الامبراطور اندرونيكوس ورفيقه فى المملكة على الكبس عليهم بالعدة والعدد وبذل جهده حتى شكل جيشا مؤلفا من ١٣٠٠٠ خيال و ٣٠٠٠٠ من المشاة وامتلأ بحر مرمرا بمراكب الجنويز والجريق وفى واقعتين حصلتا فى البر والبحر هزم القطلانيون هذه القوى وهرب الامبراطور الشاب الى السراى وترك خفرا قليلا من الخيالة الخفيفة لاجل المحافظة على المملكة فجددت هذه النصرة آمال القطلانيين وانضم اليهم الكثير من المخاطرين وجاءهم رجال من كل أمة وانضم اليهم ٣٠٠٠ من الاتراك تركوا الخدمة الامبراطورية وبواسطة استحواذ القطلانيين على قلعة جليبولى ضبطوا تجارة القسطنطينية والبحر الاسود ومدوا تخريباتهم وتدميراتهم على ساحل الهلسبون فى آسيا وأوروبا فدمر الجريق معظم الاراضى البزانطية وتقهقروا بأولادهم وأنعامهم الى داخل العاصمة وخلت ضواحى جليبولى من السكان وصارت أرضا قفرة فشق على القطلانيين عدم وجود المؤنة وتولد من هذا ومن شقاق زعمائهم الانجلاء عن سواحل الهلسبون وضواحى القسطنطينية ومن بعد أن انفصل الاتراك منهم سار الباقى من الجمعية الكبيرة من وسط مقدونيا وتسالياقى البحث لهم عن محل جديد فى داخل الجريس وما زالوا فى سيرهم حتى قربوا من أثينة ولما علم أمير أثينة بقربهم منه وماهم مصممين عليه جمع قوة مقدارها ٧٠٠ فارس و ٦٤٠٠ من الخيالة و ٨٠٠ من المشاة وتقابل معهم على نهر صفيسوس فى بيوطيا وكان عددهم ينيف عن ٣٥٠٠ خيال و ٤٠٠٠ من المشاة فلما رأى القطلانيون ماعليه أمير أثينة من محاربتهم أحاطوا معسكرهم بفيضان صناعى من الماء وزحف الامير بفرسانه وخيالته من دون خوف ولا حذر

على أرض الميدان الاخضر فوحلت خيوله فى أرض المستنقع فقطعهم خيالة القطلانيين قطعا وتغلبوا على أطيقه و بيوطيه وتزوجوا بأرامل المقتولين وقطنوا فى الجريس

وكان اندرونيكوس أشرك ابنه ميخائيل فى الحكم معه فى المملكة وكان عمره ثمان عشرة سنة وسمى ميخائيل ابنه باسم اندرونيكوس على اسم جده واشترك معه وهو صغير السن فى السمو الامبراطورى وابتدأ ابن ميخائيل على الفور فى الانتظار مع عدم الصبر على وازالة العوائق والموانع الموجودة بينه وبين حيازته التخت بمفرده فمن موت أبيه على حين غفلة زالت واحدة من هذه الموانع الا أنه من سوء بخت اندرونيكوس الاصغر أن جده نقل الى حفيد آخر ما كان يؤمله و يتمناه فهرب الامبراطور الشاب من القسطنطينية فى سنة ١٣٢١ بعد الميلاد وأقام بيرق الحرب الداخلى على جده وكان هروبه من العاصمة تحت علة الصيد وأقام بيرقه فى مدينة أدرنه وفى ظرف بضع أيام جمع تحته ٥٠٠٠٠ نفس من الخيالة والمشاة واستمرت الحروب الداخلية بين الامبراطورين اندرونيكوس الكبير والصغير مدة سبع سنوات وكانت عبارة عن ثلاث وقائع ففى الحرب الاول عقدت معاهدة انقسمت بها بواقى المملكة الجريقية فأخذ أندرونيكوس الكبير القسطنطينية وتسالونيقه والجزائر واستحوذ الاصغر على القسم الاعظم من تراسة من مدينة فيلبى الى الحدود البيزانطية وفى الحرب الثانى عقد معاهدة شرط فيها على مرتبات عساكره وتتويجه ومشاركة جده فى شوكة المملكة ومحصولاتها وانتهى الحرب الثالث الداخلى بالهجوم على القسطنطينية فى سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد انتصر فيه الامبراطور الشاب واعتزل اندرونيكوس الثانى الى دير من الديورة مات فيه فى سنة ١٣٣٢ بعد الميلاد

ولما صار اندرونيكوس الثالث امبراطورا بمفرده شرع بعد ذلك يقاتل فى صد تقدم الاتراك فانهزم شر هزيمة وجرح فى هذا الحرب وكان أضحية لما حصل منه من الافراط فى مبادى شبابه ومات فى سنة ١٣٤١ بعد الميلاد فى السنة الخامسة والاربعين من عمره وترك ولدا اسمه يوحنا من زوجته الثانية الامبراطورة عانى أخت الكونت صاحب صافوى وكان صبيا عمره تسع سنوات فعين الامبراطور على حسب رغبته صديقه القديم المجرب وأحب الناس اليه يوحنا كنطاكوظينوس وصيا على ابنه ونائبا عنه فى الحكومة فساس فى مدة صغر الامبراطور المملكة ودبر أحوالها مع العقل والتؤدة والثبات ومن تدبيره وحزم رأيه أعاد جزائر لسبوس وامارة عطوليا الى المملكة مرة ثانية فوشى واحد من أعدائه فى حقه عند الامبراطور الشاب وعند أمه وحضهما على عزل كنطاكوظينوس من نيابته وأشيع أن هذا الوزير الماهر عدو للمملكة والكنيسة فمن بعد عزله قام بالسلاح ليعود الى الشوكة والسلطة وانتشب حرب داخلى استمر ست سنوات متوالية وفى سنة ١٣٤٣ بعد الميلاد استغاث كنطاكوظينوس بالاتراك فى المساعدة ورخص لهم فى الدخول فى أوروبا ومن ثم تيسر لهم الحصول على وضع قدم مستمر ثابت فى أوروبا وتجزأت من هذا الوقت المملكة الجريقية ولما ساعد الاتراك كنطاكوظينوس التزم الامبراطور الشاب على الانقياد والتسليم وعاد يوحنا كنطاكوظينوس الى القسطنطينية مظفرا منصورا وجلس على التخت باسم يوحنا الخامس وقرر أن ابن اندرونيكوس يكون رفيقا له فى المملكة ولقبه يوحنا السادس وسعى يوحنا السادس مرتين فى خلع رفيقه المهول بالقوة الجبرية فانهزم فى كل مرة سعى فيها ثم هرب أخيرا الى اللاتنيين فى جزيرة طندوس وجعلها مأوى له وأوقف يوحنا الخامس هذه المنازعات بخلعه الامبراطور الشاب وأشرك معه فى الحكومة ابنه متى وجعل خلافة التخت فى عائلته فتولد من ذلك ثورة وتعاضد يوحنا السادس بالعساكر الجنويزية وعاد الى تخت آبائه واعتزل كنطاكوظينوس

الى حظيرة من الخطائر عاش متعبدا فيها مابقى من حياته فى سنة ١٣٥٥ بعد الميلاد

وكانت سلطنة كنطا كوظينوس مشحونة بالقلاقل والارتباكات كسلطنة سلفه وحدث فى أثنائها حروب مهولة بين الجنويزيين والفنيزيين والبزانيين من أجل احتكار تجارة المشرق وصار الامبراطور لاطاقة له على الزامهم بعقد صلح بينهم وانتشبت عدة محاربات دموية بين القوى الامبراطورية والفنيزيين وبين الجنويز فكان الجنويز هم الفائزين فى هذه الوقائع وأرغموا كنطا كوظينوس على كونه يوقع على معاهدة مهينة ربط فيها نفسه على طرد الفنيزيين من القسطنطينية والرخصة للجنويزيين رعيتهم فى احتكار التجارة فلو لم تكن شوكة هذه الجمهورية انكسرت بما حصل فيها من الارتباكات الداخلية لكانت القسطنطينية صارت تبعة لجنويزة واستمرت هذه القلاقل مدة من القسم الاول من سلطنة يوحنا السادس الذى عاد جلوسه على التخت الى حد سنة ١٣٩١ بعد الميلاد ثم ابتدأ نزول البلاء وتساقطت الاهوال والمصائب على المملكة وذلك ان الاتراك الذين سمح لهم يوحنا كنطا كوظينوس بالدخول فى أوروبا استحوذوا لانفسهم على مدينة أدرنه فى تراسة وجعلوها عاصمة لهم وعولوا مع شدة العزم على مد مملكتهم فى أوروبا الى حد بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وصارت الغلبة على القسطنطينية قضية وقتية وعاملوا الامبراطورات الجريقية معاملة عبيد لهم وكان لاطاقة لهؤلاء الامبراطورات على مقاومة مثل هؤلاء الاشداء فالتزموا البقاء كالمتفرجين بدون مساعد لهم على خراب مملكتهم ولما اكتشف بايزيد على ثورة وقعت من ابنه فى حقه سمل عينيه وكان يوحنا ابن الامبراطور الجريقى داخلا فى هذه الثورة فصمم بايزيد على خلع ابنه وطلب من الامبراطور بالحدة والغضب تنفيذ مثل هذا العقاب على ابنه يوحنا أيضا فالتزم الامبراطور على الطاعة والانقياد لما صدر من بايزيد

ومات يوحنا السادس وخلفه ابنه الثانى منويل فى سنة ١٣٩١ بعد الميلاد فدخل بايزيد فى الحال وحضن أمر يوحنا البرنس الاعمى فترك منويل القسطنطينية وسار مسرعا الى فرنسا فى البحث على مساعدته وترك الاعمى جالسا على التخت وكان بايزيد لا يخفى ما فى ضميره من القصد فادعى ان القسطنطينية مدينته فلم يقبل يوحنا قوله فحاصر بايزيد القسطنطينية وأجهد أهلها بوقوع الحصار والقحط فيهم حتى صارت القسطنطينية على شرف السقوط لولا أن تداركها طلب بايزيد فى نواحى آسيا المدافعة عن ممالكه من تيمور العدو المغرور وكان أقوى شوكة من بايزيد

ويولد من انسحاب بايزيد ورفع حصاره عن القسطنطينية استمرار المملكة الجريقية لحظة من الزمن فانتهز الامبراطور منويل الفرصة فى زيارته دواوين أوروبا الغربية من أجل عقد علاقات الاتحاد والارتباط فى أمر المساعدة فما وجد أحدا من ملوك أوروبا دخل فى شرط المساعدة له وجاء عقب موت بايزيد مشاحنات وحروب بين أولاده وتولد منها منع الترك عن الاجتهاد فى اتحاد قواهم على القسطنطينية ثم ان يوحنا باليولوغوس الثانى ابن منويل وخليفته وكان جلس على التخت فى سنة ١٤٢٥ بعد الميلاد صرف النظر بفكره الثاقب عن العداوة والبغضاء المختصة بالديانة وكانت عداوة الديانة سببا فى تقسيم العالم المسيحى مدة طويلة وطلب البابا زيارته فى ايطاليا للممارسة فى اصلاح المواد المتعلقة بهذه المادة فزار فى سنة ١٤٣٨ بعد الميلاد مدينة فراره وكان بها مجلس مشكل يختص بالكنيسة اللاتينية وطلب البابا اوغينوس التام مجلس فى مدينة فلورنسه وفى شهر يوليه من سنة ١٤٣٨ أعلن رسميا بانضمام الكنيسة الجريقية الى الكنيسة اللاتينية وكان هذا الانضمام بسعى وشغل من الامبراطور وما كان

للامة الجريقية دخل ولا اشتراك فيه ولا محبة له فكان هذا الشغل من أجل فوران الحمية وتوطيد مساعدة العالم المسيحي له في مساعيه بخصوص بقاء تخته وحفظه من اغارات الترك وفي الايام الاخيرة من أيام المملكة حين كان الامن والراحة مستتبين عند الجريق كانت امبراطوراتهم مكدة وساعية في عدم وقوع أدنى ارتباك يتسبب منه انفصال الكنائس الشرقية من الكنائس الغربية الا أن مشروعات هذه الاعمال ما كانت على أساسات ثابتة وما تولد منها جذور غزيرة وصمم الجريق على عدم قبولهم سلطة البابا وأما البابا نفسه فما كان عنده تقصير في شمول الرفاهية واستتباب الامن والراحة عند اخوانه من الجريقيين واجتهد في قيام ملوك الغرب لمساعدتهم الا أن اوغينوس وجد أن الشغل الذي كان تم وكمل من مدة أربعة قرون مضت بفصاحة وبلاغة واحد من الزهاد لزم له الآن بذل القوة البابا وية وما تداخلت الانكليز ولا فرانسا ولا جرمانيا في هذه المسئلة بل دخل فيها هنكاريا وپولنده فكان هذان يباشران حركات الاعمال النافعة لهما في عدم وقوع خطر مستمر عليهما من اغارات الترك فأجابا (هنكاريا وپولنده) طلب البابا مع الرضا وتمتوج لادسلوس بتاج المملكتين وجمعت اللوم والعساكر من الممالك الاخر بكنوز لا تحصر وغفران وعفو بواسطة نواب أرسلوا اليهما من طرف البابا فاجتمع لذلك جيش مقداره ١٠٠٠٠ نفس تحت قيادة يوحنا هونيادس أحد شجعان العسكرية في عصره وعقدت محالفة مع سلطان كرمانيا في آسيا وجمع أسطول من بورغندى وجنويزه وفنيزيا فنال أهل الصليب في الابتداء بعض فوائد ومظفرات الا أن جيشهم قل عدده وأخيرا هزمهم السلطان مراد الثاني شر هزيمة وقتل لادسلوس في واقعة وارنه سنة ١٤٤٤ بعد الميلاد

وفي سنة ١٤٥١ بعد الميلاد خلف محمد الثاني أباه مرادا الثاني على التخت العثماني فمع أنه وطد للامبراطور الجريقي صداقته له الا أنه شرع في مدة سلطنته بتحصينه بوغاز الهلسپون أي الدردانيل فتولد من ذلك هياج حرب بين المملكتين وفي فصل ربيع سنة ١٤٥٣ بعد الميلاد حاصر جيش تركي مقداره ٢٥٨٠٠٠ نفس مدينة القسطنطينية ومن بعد مضي ثلاثة وخمسين يوما من الحصار فتحت المدينة عنوة وتغلب عليها الترك وكان آخر ملوكها قسطنطين الثالث عشر ومن بعد أن دافع عن عاصمته مع الشجاعة والبسالة التامات والسيف في يده مكدا في صد الهجوم الاخير واستعمل الترك في هذا الحصار المدافع وكانت مرعية في هذا الوقت بانها من أهم التطقيمات العسكرية لاي جيش كان الا أنها ما كانت استعملت في أعمال مهمة مثل هذه قبل وجعل محمد الثاني القسطنطينية عاصمته وعاصمة مملكته وحول كنيستها الكبرى سنت صوفيه الى مسجد جامع أطلق عليه لحد الآن اسم جامع أيه صوفيه وسنأتي على شرح ذلك جميعه مفصلا في تاريخ الدولة العثمانية بحول الله وقوته

وبسقوط القسطنطينية انقضى نحب المملكة الشرقية وأما البلاد والاراضي التي كانت باقية للامبراطورات الجريقية فان العساكر المنصورة التركية أخذتها منهم في الحال وعامل محمد الثاني الامة الجريقية بالوقار والاحترام وحفظ لهم حياتهم وحريتهم ورخص لهم باقامة شعائر ديانتهم وترك لهم نصف كنائس القسطنطينية على ذمتهم وتمتعوا ستين سنة في خير واحسان من هذا التغيير

﴿ تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله تاريخ ايطاليا ﴾

(فهرست الجزء الثانى من البحر الزاخر)

	صحيفة
﴿الكتاب الحادى عشر تاريخ مملكة فارس الاخيرة﴾	
الباب الاول – من ابتداء سقوط المملكة الفارطية الى الوقت الحاضر	٢
﴿الكتاب الثانى عشر تاريخ قرطاجنة﴾	
الباب الاول – من ابتداء تأسيس قرطاجنة الى الحروب مع رومة	٥٩
﴿الكتاب الثالث عشر تاريخ اليونان أو الجريس﴾	
الباب الاول – عصر الشجاعة	٦٥
« الثانى – من التاريخ القديم الى الاولمبياد الاول	٧٤
« الثالث – من ابتداء الاولمبياد الاول الى الحرب الفارسى	٨٢
« الرابع – الحروب الفارسية	٩٠
« الخامس – سلطنة أثينة وسيادتها	٩٨
« السادس – الحرب البلوبونيزى أو المورى	١٠٧
« السابع – سيادة الاسبرطيين والطيبيين وسلطتهم	١٢٢
« الثامن – السيادة المقدونية	١٣٠
« التاسع – من موت الاسكندر الاكبر الى الفتح الرومانى	١٥٢
« العاشر – من الفتح الرومانى الى الوقت الحالى	١٦٢
﴿الكتاب الرابع عشر تاريخ المملكة الجريقية فى سوريا﴾	
الباب الاول – من ابتداء قيام المملكة الى الفتح الرومانى	١٧٤
﴿الكتاب الخامس عشر تاريخ الممالك الصغيرة الجريقية فى آسيا﴾	
الباب الاول – تاريخ برجاموس وبسنيا وبفلاجونيا وبونطوس وقبدوثيا وأرمينية وبقطريا	١٨١
﴿الكتاب السادس عشر تاريخ رومة﴾	
الباب الاول – التاريخ القديم والمدة الملوكية	١٩٢
« الثانى – من تشييد الجمهورية الى الحرب مع الفى أو الفنطيانيين	٢٠٦
« الثالث – من ابتداء الحرب مع الفى الى طرد البيرهوس من ايطاليا	٢١٣
« الرابع – الحرب مع قرطاجنة	٢٢٧
« الخامس – من خراب قرطاجنة الى موت ماريوس	٢٤٠
« السادس – من موت ماريوس الى تشييد المملكة	٢٥٥
« السابع – الكلام على المملكة من أوغسطوس الى علغبلوس	٢٨٠
« الثامن – من سلطنة اسكندر سفروس الى انتهاء سقوط المملكة الغربية الرومانية ..	٣١٠
﴿الكتاب السابع عشر تاريخ المملكة الرومانية الشرقية﴾	
الباب الاول – من ابتداء سقوط المملكة الغربية الى فتح الترك القسطنطينية	٣٤٤

﴿تمت﴾

﴿ بيان الخطا الواقع في هذا الكتاب وصوابه ﴾

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٣٥	٩	استحوذن	استحوذ
٣٥	١٠	قرو	قرون
٥٣	١٢	والخراب	والحراب
٥٤	٢	أولاده أولاده	وأولادأولاده
٧٣	١٠	الاولبيا	الاولمبياد
٨١	٢٣	استاربة	استادية
٨٢	١٦	الممكة	المملكة
٩٣	١	اكروبولى	اكروبوليس
٢٠٥	٣٠	ثلثمائة	مائتان
٢٠٥	٣٣	٣٤٤	٢٤٤
٢٠٩	٣٢	بتلقيح	بتنقيح
٢١٧	٣٠	وقوعبت	وعوقبت
٢٣٥	١٥	الاما	الامة
٢٦٨	١٢	الاسندرية	الاسكندرية
٢٩٥	٢٩	وكلامن سيكوس	وكلاسيكوس
٣٠٤	٢٣	الحيدو	الجيدو
٣٠٤	٢٩	كذلك	كل ذلك
٣١٠	٢٢	ديسمبر	ريسمر
٣٣١	١٣	العد	العدو
٣٤٦	٢٣	امبراطوارة	امبراطورة
٣٤٦	٢٧	امبراطوارا	امبراطورا
٣٥٧	٣٣	وندميته	ونديمته